شبكة الألوكة
www.alukah.net

مخطوطات جامع عنيزة

مخطوطة (١٢٥)

لوامع الانوار البهية شرح الدرة المضية للسفاريني،
به خروم، مبتور الآخر. ٣٠٠ق

ولكني وتشفي من معظم الخلاف الذي ذاع وانتشر ثم بعد تمام نظمها والفراغ مما اودعه
ضمن دقايق علمها الحر المذكور واخوانه وذووه واخذانه على تصنيف شرح
هذا العقد الذي شفى وابراه وقالوا صاحبا البيت بالذي فيه ادرى فتجشمت تلك المسالك
الوعره والمدارك التي تقاعس عن ادراك حقايقها غير الالمعية المهره فاني وان
كنت غير المعي ولا ماهر ولكني تطفلت على ما اودع حذاق هذا الشان في الطروس
والدفاتر فاجبتهم ايجابا لمطلوبهم وطلبا لشفاء صدورهم وصلاح قلوبهم وعولت
فيما قصدت على المولى الجواد الجليل فهو عوني وحسبي ونعم الوكيل وسميته
بلوامع الانوار البهيه وسواطع الاسرار الاثريه لشرح الدرة المضيه في عقد
اهل الفرقة المرضيه ولما قدم امام المطلوب مقدمة تشتمل على عشر تعريفات مختمة
بعد البرائه من القوة والحول والاعتماد على ذي الكرم والطول المقدمة
مشتمله على عدة تعريفات التعريف الاول اعلم ان الملة المحمدية تنقسم الى اعتقاديات
وعمليات فالاعتقاديات هي التي تتعلق بكيفية عمل مثل اعتقاد وجود وجود القادر
المختار ووحدانيته وتسمى اصلية والعمليات هي ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية
فالمتعلق بالعمليه علم الشرايع كلام لانها تستفاد الا من جهة الشرع فلا يسبق الفهم عند
اطلاق الاحكام الا عليه اعتقاديات هو علم التوحيد والصفات وعلم
الكلام وعلم اصول ا العلم اهم لابتناء العمليات عليه اورد الابراهيني
والحجج عليه واكتفوا ا يستفاد من الادلة السمعيه ولما كان عصر
الصحابة والتابعين طهم با عالي ام البدع الكلاميه والشبه الخياليه والخصوم
المعتزليه لم تكن ادلة علم دين مدونة هذا التدوين فلما كثرت الشبه والبدع
وانتشر الخلاف بين اهل العلم وفشا وسطع وصار كل امام بدعة له نحلة يعول عليها
وعقيدة يدعو الناس اليها واوضاع يرجع في مهماته اليها دقوا علما والكلام قواعده
المعلومه واوضاعه المفهومه لدفع الشبه والخصوم وردهم عن تمامها فهم الى الصواب
المعلوم عن النبي المعصوم وعلم الكلام هو علم يقتدر معه على اثبات العقايد الدينيه
اي المنسوبة الى دين النبي صلى الله عليه وآله وان لم تكن مطابقة للواقع لعدم اخراج الخصم المعتزلة

بهمية والقدرية والجبرية والكرامية وغيرهم عن ان يكونوا من علماء الكلام وان اخطأوا او
كفرناه وقيل تعريف علم الكلام الذي هو التوحيد واصول الدين العلم بالعقائد الدينية
عن الادلة اليقينية اي العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من ادلتها اليقينية
سواء توقفت على الشرع كالسمعيات ام لا وسواء كانت من الدين في الواقع كلام اهل الحق
او لا كلام المخالف واعتبر في ادلتها اليقين لانه لا عبرة في الظن بالاعتقاديات بل في العمليات
وموضوعه هو المعلوم من حيث انه يتعلق به اثبات العقائد الدينية اذ موضوع كل
علم ما يبحث في ذكر العلم عن عوارضه الذاتية ولا شك ان يبحث في هذا العلم عن احوال
الصانع من القدم والوحدة والقدرة والارادة وغيرها ليعتقد ثبوتها له تعالى واحوال
الجسم والعرض من الحدوث والافتقار والتركيب عن الاجزاء وقبول الفناء ونحو ذلك لاثبات
للصانع ما ذكر مما هو عقيدة اسلامية او وسيلة اليها وكل هذا مبحث عن احوال
كاثبات العقائد الدينية وهذا اولى من زعم ان موضوعه ذات الله تعالى وتقدس
صفاته وافعاله واعلم انا لا نأخذ الاعتقادات الاسلامية من القواعد الكلامية بل اعتمادنا
من النصوص القرآنية والاخبار النبوية وليس القصد بالاوضاع الكلامية الا دفع شبه الخصوم
والفرق الضالة عن الطرق الحقية فانهم طعنوا في بعض ما هو غير معقول فبين لهم بالقواعد
الكلامية معقولية ذلك البعض واستمداد ذلك [illegible] المنزل والتفسير والحديث
الثابت والفقه والنظر والاجماع ومسائله القص[illegible] الاعتقادية وغايته
ان يصير الايمان والتصديق بالاحكام الشرعي[illegible] له شبهة من شبه المبطلين
ومنفعته في الدنيا انتظام امر المعاش بالمحافظ[illegible] والمعاملة التي تجاذ
اليها في ابقاء النوع الانساني على وجه لا يؤدي الى الف[illegible] الآخرة النجاة من العذاب
المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد وسيأتي تحد كل مبحث من هذا عند ذكره في النظم ان شاء الله والله
الموفق الثاني اعلم ان الصحابة الكرام قد تنازعوا في كثير من الاحكام وهم سادات المؤمنين
واكمل الامة ايمانا بلا انقصام ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسئلة واحدة من مسائل
الاسماء والصفات والافعال بل كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال
فكلهم واحدة من اولهم الى آخرهم لم يسموها تاويلا ولم يحرفوها عن مواضعها بتبديل

ولم يبدو

ولم يبدُ والشيء منها ابطالا ولا ضربوا لها امثالا ولم يدفعوا في صدورها واعجازها ولم
يعمل احد منهم بحيث صرفها عن حقايقها وحملها على مجازها بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها
بالايمان والتعظيم ولم يفعلوا كما فعل اهل الاهواء والبدع حيث جعلوا القرآن عضين فاقروا
ببعض آيات الصفات وانكروا بعضها من غير فرقان مبين مع ان اللازم لهم فيما انكروه
كاللازم لهم فيما اقروا به واثبتوه فاهل الايمان اذا تنازعوا في شيء مع القرآن ردوه الى الله ورسوله
كما امرت به عليه الايمان فكل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله جليته وخفيته
ردوه اليهما فلو لم يكن في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان ما تنازعوا فيه
لم يأمر الله بالرد اليه اذ من الممتنع ان يأمر الله بالرد عند النزاع الى ما لا يوجد عنده فصل
النزاع وقد اجمع الناس على ان الرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الرد اليه نفسه في حياته والى سنته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد جعل الله هذا الرد من
موجبات الايمان ولوازمه فاذا انتفى انتفى الايمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه
ولا سيما التلازم بين هذين الامرين فانه من الطرفين فكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر وقد
نهى الصديق ثم الفاروق ومن بعدهما الصحابة عن القول بالرأي حتى قال عمر رضي الله عنه
ان اصحاب الرأي اعداء السنن اعيتهم الاحاديث ان يعوها وتفلتت منهم ان يحفظوها فقالوا
في الدين برأيهم فضلوا واضلوا وقال رضي الله عنه ايها الناس اتهموا الرأي في الدين فلقد
رأيتني والي لارد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيي فاجتهد ولا آلو وذلك يوم ابي جندل
يعني يوم قضية الحديبية وافضل كل رأي وابطله وافسده واعطله الرأي المقتضي لتعطيل
اسماء الرب وصفاته وافعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها اهل البدع والضلال من
الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم حيث استعملوا قياساتهم الفاسدة وآراءهم
الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة والآيات الصريحة فردوا لاجلها الفاظ
النصوص التي وجدوا السبيل الى تكذيب رواتها وتخطئتهم وحرفوا المعاني التي لم يجدوا
الى رد الفاظها سبيلا فقابلوا النوع الاول بالتكذيب والنوع الثاني بالتحريف والتاويل
فانكروا رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة وانكروا كلامه وتكليمه لعباده وانكروا مباينته
للعالم واستواءه على عرشه وعموم قدرته وحرفوا النصوص عن مواضعها واخرجوها
عن معانيها وحقايقها بالرأي المجرد الذي حقيقته انه زبالة الاذهان ونخالة الافكار

وعصارة الآراء ووساوس الصدر فملؤا به الاوراق سوادا والقلوب شكوكا والعالم فسادا
فكل ماله مسكة من علم ودراية من فهم يعلم ان فساد العالم وخرابه انما نشأ من تقديم الرأي
على الوحي والهوى على النقل وما استحكم هذا الاصل الفاسد في قلب الا استحكم هلاكه
ولا في امة الا وفسد امرها اتم فساد وقد قال الامام احمد رضي الله عنه راي فلان ورأي فلان
عندي سواء وانما الحجة في الآثار وروى ابن عبد البر في مسنده عن عبد الله ابن الامام احمد
ابن حنبل عن ابيه رضي الله عنهم ٭ دين النبي محمد آثار ٭ نعم المطية للفتى الاخبار ٭

٭ لا تعدن علم الحديث واهله ٭ فالراي ليل والحديث نهار ٭
٭ ولربما جهل الفتى طرق الهدى ٭ والشمس طالعة لها انوار ٭

وقال ـــــ بعض اهل العلم شعرا واحسن

٭ العلم قال الله قال رسوله ٭ قال الصحابة ليس خلف فيه ٭
٭ ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ٭ بين النصوص وبين راي فقيه ٭
٭ كلا ولا رد النصوص تعمدا ٭ حذار من التحريم والتشبيه ٭
٭ حاشى النصوص من الذي رميت به ٭ من فرقة التعطيل والتمويه ٭

ثم اه الراي المذموم هو الراي المجرد الذي لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا قياس جلي بل هو
خوض وتحمل فهذا الراي الذي ورد التحذير منه والتحذير عنه واما الراي المستند
الى الاستدلال والاستنباط من النص وحده او من نص آخر معه في الاحكام فهذا من
الطف فهم النصوص ودقه وما ورد عن السلف مما يشعر بمدح الراي وقبوله فالمراد به هذا
والله اعلم الثالث الراي مصدر رئي رايا مهموز والجمع آراء وهو التفكر في مبادي الامور
ونظر عواقبها وعلم ما يؤول اليه من الخطا والصواب واصحاب الراي عند الفقهاء هم اهل
القياس والتاويل كاصحاب الامام ابي حنيفة وابي حسن الاشعري واصحاب الراي ضد
اصحاب الظاهر من داود وابن حزم ومن نحى نحوهم واصحاب التاويل ضد اصحاب اتباع
المأثور والمروي كما جاء مع التفويض فاعتقاد التنزيه بانه ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير وكان سبب انتشار البدع وظهورها وزيادتها ونشورها المأمون ابن هارون
الرشيد واسمه عبد الله وكنيته ابو العباس سابع خلفاء بني العباس وامه امة اسمها مراجل
ولي الخلافة سنة ١٩٨ مائة وسبعين وكان من رجال بني العباس حزما وعزما وحلما وعلما

داود بن علي الظاهري نسبة الى الظاهر لاخذه بظاهر الحديث وابن حزم هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري كان شافعيا ثم انتقل الى مذهب داود وله ابن اسمه الحجاج وله ابن حزم شقيقان ٥

ورأيا

ورأيا ودهاء وشجاعة وبراعة وفصاحة وسماحة الا انه كان رافضيا معتزليا قدريا فهو
خبيث الاعتقاد كبير الفساد والعناد وفي سنة ٢١١ مائتين واحدى عشرة امر ان ينادى بريء
الذمة ممن ذكر معاوية رضي الله عنه بخير فانه افضل الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وفي سنة ٢١٢ مائتين واثنتي عشرة اظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافا الى تفضيل
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه على الشيخين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاشمأزت منه النفوس
ودعا الناس لرأيه المعكوس وكادت الفتن ان تقوم على ساقها فكف عن ذلك الى سنة
ثماني عشرة فامتحن الناس بالقول بخلق القرآن فاجاب من اجاب طوعا وكرها وامتنع سيدنا
الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ومن امتنع معه من ائمة الحديث وطلب الامام احمد فهلك
المأمون ولم يره الامام احمد ولله الحمد وكان هلاك المأمون في شهر رجب سنة ٢١٨ ثمان عشرة
بعد المائتين قال العلماء ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى اظنه صاحب
جزيرة قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه احد
فجمع الملك خواصه من ذوي الراي واستشارهم في ذلك فكلهم اشار بعدم تجهيزها اليه
الا اطريان واحد فانه قال جهزوها اليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية
الا افسدتها واوقعت بين علمائها قال الصلاح الصفدي حدثني من اثق به ان
شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه كان يقول ما اظن الا ان الله تعالى يغفل عن
المأمون ولا اداري يقابله على ما اعتمده مع هذه الامة من ادخال هذه العلوم الفلسفية
بين اهلها قال الصلاح الصفدي لم يبتل المأمون النقل والتعريب بل فعل ذلك قبله
كثير فان يحيى ابن خالد البرمكي عرب من كتب الفرس كليلة ودمنة وعرب لاجله كتاب
المجسطي من كتب اليونان والمشهور ان اول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية
لما ولع بكتب الكيمياء ثم قال الصفدي والخلاق ما زال في هذه الامة منذ توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى في موته ودفنه وامر الخلافة بعده وامر ميراثه وامر قتال مانعي الزكاة
الى غير ذلك بل في نفس مرضه صلى الله عليه وسلم لما قال ائتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا
لا تضلوا بعدي على ما هو مذكور في مواطنه وقد روى انس ابن مالك رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان بني اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان امتي ستفترق على
اثنين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة وهو صلى الله عليه وسلم الصادق

المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قد اخبر ان هذه الامة ستفترق ومتى افترقت خالف بعضها
بعضا ومتى خالفت تمسكت بحجج وشبه وناظر كل فرقة من يخالفها فانفتح باب الجدل واحتاج
كل احد الى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية او نقلية او مركبة منهما فهذا الامر كان اما مامونا
قبل المامون بقرن واحد فلما كان المامون وقع ما وقع زاد الشر والضرر وقويت به حجج المعتزلة وغيرهم واخذ اصحاب الاهوا
ومخالفوا السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فادخلوها في مباحثهم وفرجوا بها مضايق
جدلهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على الراقع وكاد مناد الحق الواحد يتشبه
بالثلاثة الاثافي والرسوم البلاقع على ان السنة الشريفة مرفوعة المنار ماموتة الزار
خافقة الاعلام ساطعة الاحلام باهرة السنا سائغة الجنا يزيدها مر الليالي جدة
وتقادم الايام حسن شباب واهل السنة قد فتح لهم السلف الصالح مغلق ابوابها
وذللوا بالشواهد الصادقة الصادعة ما جمح من صعابها واطلعوا نيرها الاعظم فطمس
من البدع تالق شهابها واجنوا من اتبع هديهم ثمر اليقين متحد النوع وان كانوا متشابها
وجاسوا خلال الحق فميزوه واهل مكة اخبر بشعابها ومن قال ان الشهب اكبرها السيما
بغير دليل كذبته الدلائل وما ذكره الصلاح الصفدي مما يشم منه رائحة العذر للمامون
عما ارخله على الامة فيه حق وباطل فاصل الخلاف كان موجودا الا انه في امور يسيرة بعضها
بخلاف ما افشى بفتنة المامون قال الحافظ الذهبي في كتابه العرش لما ولي المامون وكان
متكلما عربت له كتب الاوائل فدعى الناس الى القول بخلق القرآن وتهددهم وخوفهم فاجابه
خلق كثير رغبة ورهبة وامتنع من اجابته الامام احمد بن حنبل ومسهر عالم دمشق
ونعيم بن حماد عالم مصر والبويطي فقيه مصر وعفان محدث العراق وطائفة سواهم
فسجنهم ثم لم يلبث ان مات بطرسوس ودفن ثم استخلف بعده اخوه المعتصم فامتحن
الناس ونهض باعباء المحنة قاضيه احمد بن ابي دواد وضربوا الامام احمد رضي الله عنه
ضربا مبرحا فلم يجبهم وناظروه وجرت امور صعبة انتهى واما خالد بن يزيد فعربت له
كتب الطب والنجوم وقيل الذي عربت له كتب الطب والنجوم المنصور واما خالد انما وله
في صنعة الكيميا وله في ذلك رسائل وكان قد اخذ تلك الصناعة عن رجل من الرهبان
يقال له مريانس الرومي واما المنصور فاول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية
بالعربية مثل كليلة ودمنة واقليدس كما جاء في تاريخ الخلفا للحافظ جلال الدين السيوطي

وقال

وقال اول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم واما المامون فهو اول من ادخل علم المنطق
وسائر العلوم اليونانية في الملة الاسلامية واحضرها من جزيرة قبرص وترجمت له كتب كثيرة
كما في اوائل السيوطي انتهى وبسبب ذلك حدثت الفتن بين المسلمين والبغي على ائمة الدين وظهر اختلاف
الآرا والميل الى البدع والاهوا وكثرت الوقايع والاختلافات والرجوع الى العلما في المهمات
فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والاصول وترتيب
الابواب والفصول وتكثير المسائل بادلتها وايراد الشبه باجوبتها وتعيين المواضع والاصطلاحات
وتبيين المذاهب والمختلفات فسموا ما يفيد معرفة الاحكام العملية عن ادلتها التفصيلية
بالفقه ومعرفة احوال الادلة اجمالا الى افادتها الاحكام باصول الفقه ومعرفة العقايد عن ادلتها
بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح ومعظم خلافياته مع الفرق الاسلامية خصوصا المعتزلة
لانهم اول فرقة اسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرا عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم
في باب العقايد فاول من صنف في علم الكلام والجدل والخصام مع اهل السنة والجماعة
ابو حذيفة واصل بن عطا وهو رئيس المعتزلة واول من يسمى معتزليا اعتزل مجلس الحسن
البصري رحمه الله تعالى فسمي بذلك كان واصل بن عطا هذا احد البلغا المتكلمين في علم الكلام و
غيره وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا وكان هذا احد الاعاجيب لان اللثغة كانت قبيحة جدا
فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة الفاظه وذكر ابن خلكان
لغيره من اهل التاريخ واخبار الناس ان واصل بن عطا كان يجلس الى الحسن البصري رحمه الله فلما ظهر
الاختلاف فقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر وقالت الجماعة بانهم مؤمنون وان اشتغل
بالكبائر فاسق فخرج واصل بن عطا عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا
كافر بل منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد
فقيل لهما ولاتباعهما معتزلون فهذا سبب تسميتهم بالمعتزلة ولواصل من التصانيف
كتاب المرجئة وكتاب التوبة وكتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب خطبته التي اخرج منها
الراء وكتاب معاني القرآن وكتاب الخطب في العدل والتوحيد وكتاب ما جرى بينه وبين
عمرو بن عبيد وكتاب السبيل الى معرفة الحق وغير ذلك وكانت ولادته سنة ثمانين من الهجرة
بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ١٣١ احدى وثلاثين ومائة وهو من موالي بني ضبينة
وقيل من موالي بني مخزوم واما عمرو ابن عبيد ابن باب من موالي بني عقيل آخر اده ابن يربوع

ابن مالك كان جده باب من سبي كابل من جبال السند وكان عمرو شيخ المعتزلة في وقته وله
كتاب تفسير عن الحسن البصري وله كتاب الرد على القدرية وله كلام كثير في العدل والتوحيد
على اعتقاد المعتزلة ولد سنة ثمانين من الهجرة ومات سنة ١٤٤ اربع واربعين ومائة
وهو راجع الى مكة بموضع يقال له مران على ليلتين من مكة من جهة البصرة والله اعلم الرابع الخبر
انه طابق ما في الخارج فهو صدق وان لم يطابق الواقع الخارج فهو كذب ولا فرق في ذلك
بين اعتقاد المطابقة مع الصدق او عدمها مع الكذب وبين ان لا يعتقد شيئا او يعتقد
عدم المطابقة مع وجودها او يعتقد وجودها مع عدمها فاذا علم هذا علم انه لا واسطة
بين الصدق والكذب وهذا مذهب اهل الحق خلافا للجاحظ في زعمه ان المطابقة مع اعتقاد
عدم المطابقة صدق وغير المطابقة مع اعتقاد المطابقة كذب وغيرهما واسطة لا صدق
ولا كذب فيدخل في الواسطة اربعة اقسام فتصير الاقسام عنده ستة ويكون الصدق
والكذب عنده في مستقبل كما يكونان في زمن ماض وموردهما النسبة التي تضمنها الخبر بايقاع
المخبر ومن الخبر ما هو معلوم صدقه وهو انواع احدها ما يكون علم صدقه ضروريا
بنفس الخبر من غير نظر كالخبر الذي بلغت رواته حد التواتر لفظيا كان او معنويا على الاصح
الثاني ما يكون ضروريا بغير نفس الخبر بل لكونه موافقا للضروري وهو ما يكون متعلقه
معلوما كالكل اعظم من غير كسب وتكرر نحو الواحد نصف الاثنين الثالث ما يكون ضروريا
لخبر الله تعالى وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم وخبر كل الامة لان الاجماع حجة فكل واحد من هذه
الثلاثة علم بالنظر والاستدلال النوع الى الرابع ما يكون غير ضروري وغير نظري ولكنه موافق
للنظر وهو الخبر الذي علم متعلقه بالنظر كقولنا العالم حادث ومن الخبر ما هو معلوم كذبه
وهو ايضا انواع احدها ما علم خلافه بالضرورة كقول القائل النار باردة الثاني ما علم
خلافه بالاستدلال كقول الفيلسوف في العالم قديم الثالث ان يوهم امرا باطلا من غير ان يقبل
التاويل لمعارضته للدليل العقلي كما لو اختلف بعض الزنادقة حديثا كذبا على الله وعلى
رسوله صلى الله عليه وسلم يتحقق انه كذب الرابع ان يدعي شخص الرسالة عن الله عز وجل بغير
معجزة ومن الخبر ايضا ما هو محتمل للصدق والكذب فالاول ما تقدمت انواعه الضرورية
من المتواتر وموافق الضروري ونظري ولخبر الله ورسوله والاجماع وخبر من وافق
احدها او ثبت به صدقه والثاني من الخبر المعلوم كذبه ما تقدمت انواعه مما خالف ما علم صدقه

والثالث

والثالث ما الخبر وهو المحتمل للصدق والكذب فثلاثة انواع احدها خبر العدل يترجح صدقه
على كذبه ويتفاوت في الظن الثاني ما ظن كذبه كخبر الكذاب يترجح كذبه على صدقه وهو
متفاوت ايضا والثالث ما شك فيه كخبر مجهول الحال فيستوي فيه الاحتمالان لعدم المرجح ولا
يلزم من عدم علم صدق الخبر كذبه ومدلول الخبر من حيث هو الحكم بالنسبة لا بثبوتها
فاذا قيل زيد قائم فمدلوله الحكم بثبوت قيامه لا نفس ثبوت قيامه اذ لو كان الحكم بالنسبة
ثبوت قيام زيد لزم منه انه لا يكون شيء من الخبر كذبا بل يكون كله صدقا وخالف
القرافي ففال العرب لم تضع الخبر الا للصدق لاتفاق اللغويين والنحويين على ان معنى
قام زيد حصول القيام منه في الزمن الماضي واحتماله الكذب ليس من الوضع بل من جهة
المتكلم انتهى قال الكوراني التحقيق في هذا المقام هو ان الخبر مثل زيد قائم اذا صدر
عن المتكلم بالقصد يدل على ايقاع وهو الحكم الذي صدر عنه المتكلم ويدل ايضا على
الوقوع فكل منهما يسمى حكما فاحتمال الصدق والكذب وصدق الخبر وكذبه في نفس الامر
انما هو باعتبار الايقاع لانه المقتضى بذلك لا الوقوع واما باعتبار افادة المخاطب
فالحكم هو الوقوع لانك اذا قلت زيد قائم انما يفيد المخاطب وقوع القيام لا انك اوقعت
القيام على زيد فانه لا يعد فائدة والله اعلم الخامس تعريف المتواتر والآحاد ومتعلقاتهما
ذكر التواتر لغة تتابع شيئين فصاعدا بمهملة واصطلاحا خبر عدد يمتنع معه لكثرته
تواطؤ على كذب عن محسوس او عن عدد كذلك الى ان ينتهي الى المحسوس من مشاهدة او
سماع فقوله خبر جنس يشمل المتواتر وغيره وبإضافته الى عدد يخرج خبر الواحد
وبقوله يمتنع معه الخ يخرج به خبر عدد لم يتصف بالوصف المذكور وخرج بقيد المحسوس
ما كان عن معلوم بدليل عقلي كاخبار اهل السنة دهريا بحدوث العالم لتجويز غلطهم
في الاعتقاد وهذا الخبر المتواتر مفيد للعلم بنفسه فقيد بنفسه لاخراج الخبر الذي هو
صدق المخبرين به بسبب القرائن المحتفة به والحاصل ان خبر التواتر ضروري عند
اصحابنا والاكثر اذ لو كان نظريا لافتقر الى توسط المقدمتين ولما حصل لمن ليس من
اهل النظر كالنساء والصبيان ولساغ الاختلاف فيه عقلا كسائر النظريات فالعلم الضروري
ما اضطر العقل الى التصديق به وهذا كذلك وقال ابو الخطاب الكلوذاني وجمع
انه نظري اذ لو كان ضروريا لما افتقر الى النظر في المقدمتين وهما اتفاقهم على الاخبار

وامتناع تواطئهم على الكذب فصورة التركيب ممكنة وردّ ذلك بأن ما ذكره مطرد في كل ضروري
وقال الطوفي في مختصره الخلاف لفظي إذ مراد الأول بالضروري ما اضطر العقل إلى
تصديقه والثاني البديهي الكافي في حصول الجزم به تصور طرفيه والضروري ينقسم
إليهما فدعوى كل فريق غير دعوى الآخر والجزم حاصل على كلا القولين ثم اعلم أن خبر التواتر
لا يولد العلم بل يقع العلم عنده بفعل الله تعالى عند الفقهاء وغيرهم من أهل الحق وخالف
قوم وهو على المعتمد بمنزلة إجراء العادة بخلق الولد من المني والله قادر على خلقه بدون
ذلك خلافا لمن قال بالتولد والتواتر من حيث هو قسم من لفظي لحديث من كذب عليّ متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار فقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم نيف وستون صحابيا
منهم العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم أجمعين والتواتر يكون في القرائن كالقرائن السبع
واختلف في الثلاث الباقية هل هي متواترة أو لا والحق أنها متواترة وأما الإجماع
فالمتواتر فيه كثير وأما السنة فالمتواتر فيها قليل حتى إن بعضهم نفى المتواتر اللفظي في
السنة إلا حديث من كذب عليّ متعمدا وزاد بعضهم حديث الحوض كما سنذكره في محله
وكذا حديث الشفاعة قال القاضي عياض بلغ التواتر وحديث المسح على الخفين
قال ابن عبد البر رواه نحو أربعين صحابيا واستفاض وتواتر وأما التواتر المعنوي من السنة
بأن يتواتر معنى في ضمن أحاديث مختلفة الألفاظ متحدة المعنى فكثير فالمتواتر المعنوي
هو تغاير الألفاظ مع الاشتراك في معنى كلي ولو بطريق اللزوم كحديث الحوض وسخاء حاتم
وشجاعة علي رضي الله عنه وغيرها وذلك إذا كثرت الأخبار والوقائع واختلف فيها فكل واحد
لكون كل واحد منها يشتمل على معنى مشترك بينها بجهة التضمن أو الالتزام فيحصل العلم
بالقدر المشترك وهو مثلا الشجاعة لعلي رضي الله عنه والسماحة لحاتم ونحو ذلك والمعتمد
عدم انحصار التواتر في عدد وإنما يعلم حصول العدد إذا حصل العلم عنده ولا يلزم الدور
إذ حصول العلم معلول للأخبار ودليله كالشبع والري معلول الشبع والمروي ودليلهما
وإن لم يعلم القدر الكافي منها ويختلف العلم الحاصل بالتواتر باختلاف القرائن كالهيئات
المقارنة للخبر الموجبة لتعريف متعلقه واختلاف أحوال المخبرين في اطلاعهم على قرائن التعريف
واختلاف إدراك المستمعين لتفاوت الأذهان والقرائح واختلاف الوقائع على عظمها
وحقارتها والمعتمد العلم بالتواتر لكل من بلغه فيتفق الناس كلهم في العمل به لأنه يتفاوت

المعلوم

المعلوم عند الإمام أحمد رضي الله عنه والمحققين منهم شيخ الإسلام ابن تيمية روح الله روحه وغيره
وعنه لا قال المحقق ابن قاضي الجبل الأصح التفاوت فإنا نجد بالضرورة الفرق بين كون الواحد
نصف الاثنين وبين ما علمناه من جهة التواتر ومع كون اليقين حاصلا فيهما وكما نفرق بين علم اليقين
وعين اليقين وحق اليقين ولا يشترط إسلام العدد المشروط في التواتر ولا عدالتهم خلافا
لمن اعتبرهما قالوا لأن الكفر والفسق عرضة للكذب والتحريف ولأن النصارى نقلوا أن اليهود
قتلوا المسيح وهو باطل بالنص وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وبالإجماع والجواب
أنا نمنع حصول شرط التواتر للاختلاف في الطبقة الأولى لكونهم لم يبلغوا عدد التواتر وكذا
الجواب عن أخبار الإمامية بالنص على إمامة علي رضي الله عنه ولا يشترط أيضا أن لا يحوطهم بلد
ولا يحصيهم عدد خلافا لطوائف من الفقهاء لأنه أهل الجامع لو أخبروا عن سقوط المؤذنة عن
المنارة والخطيب عن المنبر لكان أخبارهم مفيد للعلم وفضلا عن أهل بلد وأما الآحاد فهو ما
عدا المتواتر فدخل مستفيض مشهور وهو ما زاد نقلته على ثلاثة عدول وعزيز وهو ما لا
تنقص نقلته عن عدلين وخبر الآحاد إذا كان مستفيضا مشهورا أفاد علما نظريا كما نقله
العلامة ابن مفلح وغيره عن أبي إسحق الإسفرائيني وابن فورك وقيل يفيد القطع
وغير المستفيض من سائر أخبار الآحاد يفيد الظن فقط ولو مع قرينة عند الأكثر لاحتمال
السهو والغلط ونحوهما على ما دون عدد رواة المستفيض لقرب احتمال السهو والخطأ
على عددهم القليل وقال الإمام الموفق وابن حمدان والطوفي وجمع إنه يفيد العلم بالقرائن
قال العلامة علاء الدين علي بن سليمان المرداوي في شرح التحرير وهذا أظهر وأصح و
القرائن وإن قال الماوردي لا يمكن أن تضبط بعادة فقد قال غيره بل يمكن أن تضبط بما تسكن
إليه النفس لسكونها إلى المتواتر أو قريب منه بحيث لا يبقى فيها احتمال عنده البتة إلا إذا نقله
أي نقل خبر الآحاد غير المستفيض آحاد الأئمة المتفق عليهم وعلى إمامتهم وجلالتهم وضبطهم
من طرق متساوية وتلقته الأمة بالقبول فيفيد العلم حينئذ قال القاضي أبو يعلى هذا
المذهب وقال أبو الخطاب هذا ظاهر كلام أصحابنا واختاره ابن الزاغوني والإمام تقي الدين
ابن تيمية قدس الله روحه وقال الذي عليه الأصوليون من أصحاب أبي حنيفة والشافعي
وأحمد رضي الله عنهم أجمعين أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا وعملا به
يوجب العلم إلا فرقة قليلة تبعوا طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك والأول ذكره أبو إسحق

وابو الطيب وذكره عبد الوهاب واصحابه من المالكية والسرخسي واصحابه من الحنفية وهو الذي
عليه اكثر الفقهاء واهل الحديث والسلف واكثر الاشعرية وغيرهم انتهى قال ابن الصلاح
ما اسنده البخاري ومسلم العلم اليقيني النظري واقع به خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بانه لا
يفيد في اصله الا الظن وانما تلقته الامة بالقبول لانه لا يجب عليهم العمل بالظن قال والظن
قد يخطئ قال ابن الصلاح وقد كنت اميل الى هذا واحببه قويا ثم بان لي ان المذهب الذي
اخترناه اولا هو الصحيح لان ظن ما هو معصوم من الخطا لا يخطئ والامة معصومة
في اجماعها من الخطا وقال الامام النووي من الشافعية خالف ابن الصلاح المحققون
والاكثرون وقالوا يفيد الظن ما لم يتواتر انتهى قال الامام ابن عقيل والحافظ ابن الجوزي
والقاضي ابو بكر الباقلاني وابو حامد وابن برهان والفخر الرازي والسيف الآمدي وغيرهم
لا يفيد العلم ما نقلته آحاد الامة المتفق عليهم ولو تلقي بالقبول وقال الاستاذ
ابو اسحق الاسفرايني يفيده قوة الاعمال انتهى ونقل الامام احمد رضي الله عنه
في رواية الاثرم انه يعمل به ولا نشهد انه النبي صلى الله عليه وسلم قاله واطلق ابن عبد البر
وجماعة انه قول جمهور اهل الاثر والنظر حتى قال بعضهم ولو مع قرينة ونقل حنبل عن
الامام احمد رضي الله عنه اخبار الرؤية حتى نقطع على العلم بها وقال المروذي هنا اسناده
يقوي الخبر يوجب عملا لا علما فعابه وقال ما ادري ما هذا وفي كتاب الرسالة
لاحمد بن جعفر الفارسي عن الامام احمد رضي الله عنه لا نشهد على احد من اهل القبلة
انه في النار لذنب عمله او لكبيرة اتاها الا ان يكون ذلك في حديث كما جاء نصدقه ونعلم
انه كما جاء قال القاضي ذهب الى هذا جماعة من اصحابنا انه يفيد وذكره القاضي
في مقدمة المجرد عن علمائنا وجزم به ابن ابي موسى وقاله كثير من اهل الاثر وبعض اهل
النظر والظاهرية وابن خويز منداد المالكي وانه مخرج على مذهبه كالك ولما وقف
ابن كثير على اختيار ابن الصلاح من ان ما اسند في الصحيحين مقطوع بصحته قال وانا
مع ابن الصلاح فيما عول عليه وارشد اليه قال ثم وقفت على كلام شيخنا العلامة
ابن تيمية مضمونه انه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الامة بالقبول عن جماعات ونقل ما قدمناه
عنه وزاد وابن حامد والقاضي ابو يعلى وابو الخطاب وابن الزاغوني وامثالهم من الحنابلة
وشمس الائمة من الحنفية قال وهو مذهب اهل الحديث قاطبة وقد ذهب السلف عامة تنبيه

فقد قدمنا

قد قدمنا ان المستفيض ما زاد نقلته على ثلاثة فلا بد ان يكونوا اربعة فصاعدا وقال قوم
هو ما عده الناس شائعا وقال محيي الدين يوسف الجوزي المستفيض ما ارتفع عن ضعف
الآحاد ولم يبلغ بقوة المتواتر والله اعلم السادس يعمل بخبر الاحاد في اصول الدين وحكى
الامام ابن عبد البر الاجماع على ذلك قال الامام احمد رضي الله عنه ولا نتعدى القرآن والحديث
وقال القاضي ابو يعلى يعمل به في الديانات اذا تلقته الامة بالقبول وبهذا قال الامام احمد
رضي الله عنه قد تلقتها الامة بالقبول قال العلامة ابن قاضي الجبل مذهب الحنابلة ان اخبار
الآحاد المتلقاة بالقبول تفيد لاثبات اصول الديانات وذكره القاضي ابو يعلى في مقدمة المجرد
والتقي الدين في عقيدته انتهى وقال ابو الخطاب وابن عقيل وغيرهما لا يعمل به فيها ولا
يكفر منكر خبر الآحاد في الاصح حكى ابن حامد اجماعين عن الاصحاب ونقل تكفيره عن الامام
اسحق ابن راهويه قال في المسودة قد اختلف العلماء في تكفير من يجحد ما ثبت بخبر
الواحد العدل وقد ذكر ابن حامد في اصوله عن اصحابنا في ذلك وجهين والتكفير منقول
عن الامام اسحق بن راهويه انتهى قال ابن حامد لكن قال اصحابنا على كفره فيما يتعلق
بالصفات وذكر في محكمه آخرا ان محمد اخبار الاحاد كفر كالتواتر عندنا فانه يوجب العلم والعمل
فاما من جحد العلم بها فالاشبه انه لا يكفر ويكفر في نحو ما ورد في الاسراء والنزول ونحوهما
من الصفات كما في حاشية الجراعي على اصول العلامة ابن اللحام رحمهما الله وقال
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في شرح العقيدة الاصفهانية يجب تصديق كل سلم
فيما اخبر به الله ورسوله من صفاته نفيا واثباتا فليس ذلك موقوفا على ان يقوم دليل عقلي على تلك
الصفة بعينها فانه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم ندرك نحن بعقولنا
ومعارفنا بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد اشبه الذين قال الله عنهم وقالوا لولا يكلمنا الله
حتى نرى ما اولا تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم
وهو في الحقيقة ليس مؤمنا بما جاء به الرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بمنزلة الذين يؤمنون
كما سنذكره هذه المقالة في محلها ان شاء الله السابع المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة
الكرام رضوان الله عليهم اجمعين واعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم وائمة الدين
ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شانه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف دون

٧

من رمي ببدعة او شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية
والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق لكن لما كان
فشو البدع وظهورها بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم وزاد البلا واظهر
المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال ظهورا لامزيد عليه بسبب انحراف الخلفا
عن مذهب الحق وكان الذي قام في نحورهم ورد مقالتهم وابطال مذهبهم وتزييفه
وذم من ذهب اليه او عول عليه او انتمى اليه او ناضل عنه ولو مال اليه سيدنا الامام المجدد
المبجل والحبر البحر المفضل ابو عبد الله الامام احمد بن محمد بن حنبل نسبة مذهب السلف
اليه وعول اهل عصره من اهل الحق فمن بعدهم عليه والا فهو المذهب المأثور والحق
الثابت المشهور لسائر ائمة الدين واعيان الامة المقتدين قال حرب بن اسمعيل الكرماني
في كتابه المصنف في مسائل الامام احمد واسحق ابن ابراهيم بن راهويه مع ما ذكر فيها من الآثار
عن النبي المختار والصحابة الابرار والتابعين الاطهار ومن بعدهم قال هذا مذهب
ائمة العلم واصحاب الاثر المعروفين بالسنة المقتدى لهم فيها وادركت من ادركت من
علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيأ من هذه المذاهب وطعن فيها
او عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق قال
وهو مذهب الامام احمد واسحق وبقي بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور
وغيرهم ممن حالسنا واخذنا عنهم العلم فذكر الكلام في الايمان والقدر والوعيد
والامام الخ كلامه كما سننبه عليه في محاله وممن الف في عقائد السلف وذكر معتقدهم
في كتب التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير الامام احمد واسحق
وبقي بن مخلد وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن ابي حاتم ومحمد بن جرير
الطبري وابي بكر بن المنذر وابي بكر عبد العزيز وابي الشيخ الاصفهاني وابي بكر بن مردويه
وغيرهم وكذلك الكتب المصنفة في السنة والرد على الجهمية واصول الدين المنقولة
عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق الافعال
للبخاري وكتاب السنة لابي داود ولابي بكر الاثرم ولعبد الله ابن الامام احمد ولحنبل بن اسحق
ولابي بكر الخلال ولابي الشيخ الاصفهاني ولابن القاسم الطبراني ولابي عبد الله بن منده واغفالهم
وكتاب الشريعة لابي بكر الآجري والابانة لابي عبد الله بن بطة والاصول لابي عبد الله الطلمنكي

وكتاب

وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي وكتاب الرد على الجهمية وغير ذلك فالائمة الاربعة والسفيانان
والحمادان وابنا ابي شيبة والليث بن سعد وابن ابي ذئب وربيعة بن عبد الرحمن والبخاري
ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجة وابن حبان وابو ثور وابن جرير
والاوزاعي وابن الماجشون وابن ابي ليلى وابو عبيد ابن سلام ومسعر ابن كدام للامام ومحمد
ابن يحيى الذهلي امام اهل خراسان بعد اسحق بلا مدافعة وابو حاتم الرازي ومحمد بن نصر المروزي
وغير هؤلاء كلهم على عقيدة واحدة سلفية اثرية وان كان الاشتهار للامام احمد بن حنبل
رضي الله عنه للعلة التي ذكرناها حتى ان الشيخ ابا الحسن الاشعري قال في اخر كتابه الابانة في
اصول الديانة ما نصه بحروفه فان قال قائل قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية
والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها
تدينون قيل له قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث فنحن بريدك
معتصمون وبما كان عليه الامام احمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون وله لما خالف قوله مجانبون
لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي ابان الله به الحق عند ظهور الضلال و
اوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين وحمى الله عليه من امام مقدم وكبير مفخم وعلى جميع
ائمة المسلمين انتهى فنسب المذهب اليه لاشتهاره مع ان سائر ائمة الدين سلكوا تلك المسالك
وبالله التوفيق الثامن قال الجلال السيوطي في الاوائل اول من تفوه بكلمة خبيثة
في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار اخر ملوك بني امية فقال ابان الله لا يتكلم
قال شيخ الاسلام في الرسالة الحموية الكبرى اصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة
وان كان قد نبغ اصلها في اواخر عصر التابعين ثم قال اصل مقالة التعطيل للصفات انما هو
ماخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فانه اول من حفظ عنه انه قال
هذه المقالة في الاسلام هو الجعد بن درهم واخذها عنه الجهم بن صفوان فاظهرها وهو
نسبت اليه وقد قيل ان الجعد اخذ مقالته عن ابان بن سمعان واخذها ابان عن طالوت
ابن اخت لبيد بن اعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا
فيما قيل من اهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا اهل دين النمروذ

والكنعانيين الذين صنف بعض السحرين في سحرهم والنبروذ هو ملك الصابئة كما ان كسرى
ملك الفرس والمجوس فهو اسم جنس لا اسم علم قال وكانت الصابئة اذ ذاك الا قليلا منهم
على الشرك وعلماؤهم الفلاسفة وان كان الصابي قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله و
اليوم الاخر كما قال تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لكن
كثيرا منهم او اكثرهم كانوا كفارا ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل
وهذهب الفلاة الذين يقولون ليس له صفات الا سلبية او اضافية او مركبة منهما وهم
الذين بعث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم فيكون الجعد اخذ عقيدته عن الصابئة الفلاسفة
واخذها الجهم ايضا فيما ذكره الامام احمد رضي الله عنه عنه وعن غيره وكذلك ابو نصر
الفارابي دخل حران واخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فلسفته لما ناظر السمنية بعض فلاسفة
الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات فرجعت اسانيد الجهم الى اليهود
والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين اما من الصابئين واما من المشركين
فلما عربت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما القى الشيطان في قلوب اهل الضلال ابتداء من جنس
ما القاه في قلوب اشباههم فلما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة
التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر ابن غياث المريسي وذويه
وكلام الائمة مثل مالك وسفيان ابن عيينة وابن المبارك وابي يوسف والشافعي واحمد
واسحق والفضيل ابن عياض وبشر الحافي وغيرهم في هؤلاء في ذمهم وتضليلهم معروف
وهذه التاويلات الموجودة اليوم بايدي الناس مثل اكثر التاويلات الذي ذكرها
ابو بكر ابن فورك في كتاب التاويلات وابو عبد الله ابن محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي
سماه تاسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل ابي علي الجبائي
وعبد الجبار ابن احمد الهمداني وابي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التاويلات التي
ذكرها بشر المريسي في كتابه كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان ابن سعيد
الدارمي احد الائمة المشاهير في زمن البخاري وسمى كتابه رد عثمان ابن سعيد على
الكاذب العنيد فيما افترى من التوحيد فانه حكى هذه التاويلات باعيانها عن بشر المريسي

ثم ردها

ثم ردها باكلام اذا طالعه الذكي العاقل يعلم حقيقة ما كانت عليه السلف وتبين له ظهور
فحش طريقتهم وضعف حجج من خالفهم وقد اجمع ائمة الهدى على ذم المريسية بل اكثرهم ضللهم
وكفرهم ويعلم بمطالعة كتاب ابن سعيد الدارمي ان هذا القول الساري في هؤلاء المتاخرين
الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فمذهب
السلف حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه
لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز
القرآن والحديث قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه مذهب السلف انهم يصفون
الله تعالى بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل
ومن غير تكييف ولا تمثيل فالمعطل يعبد عدما او المتمثل يعبد صنما والمسلم يعبد الله الاحد
الصمد والله اعلم التاسع مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المامور و
اهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة وبكل مكرمة راجية
من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدور والايمان
بالقدر والتسليم لما جاءت به النصوص فمن المحال ان يكون المخالفون اعلم من السالفين
كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه ممن لم يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله
ولا المؤمنين حق المعرفة المامور بها من ان طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف اعلم واحكم
وهؤلاء انما اتوا من حيث ظنوا ان طريقة السلف هي مجرد لما يمار بالفاظ القرآن والحديث
من غير فقه ذلك بمنزلة الامين وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة
عن حقايقها بانواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد اوجب تلك المقالة
التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهور وقد كذبوا وافكوا على السلف وضلوا
في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين ضلالتين وباطلين الجهل بطريق السلف في الكذب
عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم قال الحافظ ابن رجب في كتابه
بيان فضل علم السلف على علم الخلف ما نصه ومما حدثات الامور ما احدثه المعتزلة
ومما حذا حذوهم في الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بادلة العقول وهي اشد خطرا في الكلام
في القدرة لان الكلام في القدرة كلام في افعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته وتنقسم هؤلاء
الى قسمين احدهما من نفى كثيرا مما ورد به الكتاب والسنة لاستلزامه عندهم التشبيه

كنفي الرؤية والاستواء وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم
وقد سلك سبيلهم في بعض الامور كثير ممن ينتسب الى السنة والحديث من المتأخرين
الثاني من رام اثبات ذلك بادلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد على اولئك مقالتهم
كالكرامية ومن وافقهم حتى منهم من اثبت الجسم اما لفظا واما معنى ومنهم من اثبت
له صفات المرياث بها الكتاب والسنة كالحركة وقد انكر السلف على مقاتل ورد عليهم
جهم بادلة العقل وبالغوا في الطعن عليه والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار
ايات الصفات واحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن احد من السلف
خلاف ذلك البتة خصوصا الامام احمد رضي الله عنه ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل لها
وان كان بعض من كان قريبا من زمنه فيهم من فعل ذلك من اتباعا لطريقة مقاتل بن سليمان
فلا يقتدى به في ذلك وانما الاقتداء بائمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي
والشافعي واحمد واسحق وابي عبيد ونحوهم رضي الله عنهم اجمعين فكل هؤلاء لا يوجد
في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلامه
من سلك من قدح وجرح وقد قال ابو زرعة الرازي كل من كان عنده علم فلم يصن علمه
واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فلستم منه وقال الحافظ ابن رجب ايضا وفي
زماننا تعين كتابة كلام ائمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي واحمد واسحق
وابي عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة
وحدث ممن انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو اشد مخالفة لها
لشذوذه عن الامة وانفراده عنهم بفهم يفهمه او باخذ مالم تاخذ به الامة من قبله
اما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء
من ذلك الا وتلطخ ببعض اوضارهم كما قال الامام احمد رضي الله عنه لا يخلو من نظر في الكلام
الا يتهم وكما هو وغيره يحذرون عن اهل الكلام وان ذبوا عن السنة واما ما يوجد
في كلام من احب الكلام المحدث واتبع اهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال و
نسبته الى الجهل او الحشو او الى انه غير عارف بالله او بدينه فمن حظوات الشيطان نعوذ بالله
منه انتهى ملخصا وفي الآداب للعلامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا
عبد الله ابن الامام احمد قال لي ابي قال قبور اهل السنة من اهل الكبائر روضة وقبور اهل البدعة

من الزنادقة

من الزنادقة حفرة فساق اهل السنة اولياء الله وزهاد اهل البدع اعداء الله وفي صحيح
مسلم عن زيد بن ارقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ بك
من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وخرجه
اهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها ومن دعاء لا يسمع
وفي بعضها اعوذ بك من هؤلاء الاربع واخرج الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني رواه النسائي
من حديث انس رضي الله عنه وزادوا ورزقني علما تنفعني به وبالي الكلام على هذا
باوسط من هذا في المقدمة والله اعلم العاشر اعلم رحمك الله تعالى ان اصطلاحي في هذا
الشرح الاستدلال بالكتاب القديم والحديث بقول النبي الكريم عليه افضل الصلاة واتم
التسليم واقتفاء الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وما درج عليه الرعيل
الاول من القرون المفضلة مما تلقاه ائمة الدين بالقبول واثنوا به المقول واصلوه
في الاصول وان زعم متحذلق انه يبان العقول فهو كلام باطل ومذهب معلول
فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تاتي بمحارات العقول لا بمحالاتها فمن زعم ان العقل
يحيل شيئا مما جاءت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يخلو من احد امرين اما عدم
ثبوته عنهم واما عجز العقل عن ادراكه ولا يلزم من عجز العقول عن ادراك شيء من الاصول
او غيرها ان يكون مستحيلا كحديث النزول مع عدم الانتقال وكون القرآن كلام الله وصفته
مع عدم الانفصال ونظائر ذلك كثيرة جدا فما لم يسلم للمنقول وقابله بالرد بالمعقول
فهو ضال مخذول فمذهبنا هو ما وافق صحيح المنقول وصريح المعقول الذي
يجمع ما في الاقوال المختلفة من الصواب ويجتنب ما فيها من الخطا والارتياب وهذا هو
مذهب سلف الامة وسائر الائمة وهو الذي يدل عليه الكتاب والسنة واجماع السلف
فان الله تعالى بين في كتابه الحق بما ضرب فيه من الامثال للخلق وبذكر لهم من البراهين
ما يفيد لسليم الصدر عين اليقين فاذا تامل العاقل الفهيم نهاية ما يذكره اهل
النظر من جميع طوائف المتكلمة والمتفلسفة ونحوهم يجد الذي في القرآن اكمل منه واوضح
بيانا مع سلامته من المراء والجدال وزبالات افهام الرجال ومن لم يكن عنده علم متلقى من
الكتاب والسنة فهو عاجز نافع في نفسه ولا منتفع به بل ضرره اكثر من نفعه وعلامة

هذا العلم كما قال الحافظ ابن رجب انه يكتسب صاحبه الزهو والفخر والعجب والخيلاء وطلب العلو والرفعة
في الدنيا والمنافسة فيها وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس اليه
ومرادي بالشيخ وشيخ الاسلام حيث اطلق شيخ الاسلام ابن تيمية ومرادي بالمحقق تلميذه
العلامة ابن القيم وبالعلامة ابن مفلح واعلم انه غالبا في هذه التعريفات ستدرك
في محالها وانما قصدت جمعها لكي تكون على بصيرة منها وهذا اوان الشروع في المقصود
من شرح المنظومة والله تعالى اعلم بسم الله اي باسم مسمى هذا اللفظ الاعظم الموصوف باوصاف
الكمال فالباء متعلقة بمحذوف وتقديره فعلا خاصا مؤخرا اولى من تقديره اسما
عاما مقدما اما اولوية كونه فعلا فلانه الاصل في العمل وحينئذ تحمل الجار والمجرور النصب
على المفعولية بالفعل المقدر واما اولوية كونه خاصا فلانه ادل على المطلوب فتقدير اولف
عند التاليف اولى من ابتدي وكذا عند القراءة ونحو ذلك فيقدر عند كل امر ما يناسبه واما
اولوية تقديره مؤخرا فلامرين احدهما الاهتمام بالابتداء باسم الله لفظا وتقديم الاسم الله
مقدم ذاتا فقدم ذكره ليوافق الاسم المسمى الثاني لافادة التخصيص كما في قوله تعالى اياك نعبد
واياك نستعين لايقال الاولى ملاحظة قوله تعالى اقرأ باسم ربك لانا نقول المطلوب الاهم
ثم القراءة لانها اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم اول ما طرق التاسع الشريفة من الوحي فكان
الانسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء بها والاهتمام لها وحذفت همزة الوصل من الاسم خطا
كما حذفت لفظا وكتبت الباء متصلة بالتين لكثرة الاستعمال وطولت الباء للتعظيم
ولتكون كالعوض عن الهمزة ويروى عن امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه ضرب من
لم يطول الباء وهي للاستعانة او للمصاحبة او التعدية اي اقدم اسم الله تعالى واجعله ابتداء
نظمي وتاليفي والاسم لغة ما دل على مسمى وعرفا ما دل مفرد اعلى معنى في نفسه ولم تقترن
بزمان والتسمية جعل اللفظ دالا على المعنى وهو مشتق عند البصريين من السمو وهو
العلو لانه يدل على مسماه فيعليه ويظهره وعند الكوفيين من السمة وهي العلامة
لانه علامة على مسماه واوصل بعضهم لغات للاسم الى ثمانية عشر ونظمها في قوله

ثمان وعشر من لغات اتت لنا ... في الاسم نص العارفين بنقلها
سم وسمة اسم سما كذا سما ... سماة تثلث الاوائل كلها

فائدة الاسم في حق المخلوق غير المسمى وفي الخالق تعالى لا غير ولا عين قال الامام المحقق شمس الدين

ابو عبد الله محمد ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اسماء الله الحسنى التي في القرآن كلها مه وكلامه
غير مخلوق ولا يقال عنها هي غيره ولا هو هو وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون
اسماؤه غيره وهي مخلوقة والله اعلم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد
وهو عزي عند الاكثر وزعم البلخي من المعتزلة انه معرب عبري او سرياني واكثر محققي النظار
على عدم اشتقاقه بل هو اسم مرتجل للمحق جل شانه قال في شرح المواقف وعلى تقدير
كونه في الاصل صفة فقد انقلب علما مشعرا بصفات الكمال للاشتهار قال الامام المحقق
ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد زعم السهيلي وشيخه ابن العربي ان اسم الله غير مشتق
لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه سبحانه قديم لا مادة له فيستحيل
الاشتقاق ولا ريب انه اذا اريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل ولكن من قال
بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ولا التزمه بقلبه وانما اراد انه دال على صفة له تعالى وهي الالهية
كسائر اسمائه الحسنى من العليم والقدير فانه مشتق من مصادرها بلا ريب وهي قديمة
والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الاسماء فهو جواب من قال بالاشتقاق في الله
ثم الجلالي عن الجميع انا لا نعني بالاشتقاق الا انها ملاقية لمصادرها في اللفظ
والمعنى لا انها متولدة منها تولد الفرع من اصله وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه
اصلا وفرعا ليس معناه ان احدهما تولد من الآخر وانما هو باعتبار ان احدهما متضمن للآخر
وزيادة فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مبادي وانما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمن
فيه بالكسر مشتقا والمتضمن بالفتح مشتقا منه ولا محذور في اشتقاق اسماء الله بهذا
المعنى انتهى ثم اختلف من قال بانه مشتق في ماخذ الاشتقاق فقيل انه من اله اذا
تذلل فمعناه المتذلل له والتاليه منه اله ياله بفتح العين في الماضي والمضارع والمصدر
بمعنى تعبد ولجا الى غيره كما قالوا الهت اليه بالبنائين فالفيته فمعنى محمد
اي التجأت اليه واعتمدت عليه والتفعل في اله للدلالة على حصول شيء فشيئا كما في تفهم وتعلم
ونظائره ووجهه ان معنى اله الى الشيء استند اليه وهو تغتني الذل والافتقار لانه
لا يعتمد على غيره الا لعجز له لديه وافتقاره اليه فكان معنى اله تذلل وافتقر واحتاج
وقيل من وله كله من باب علم ولها وتحير لكن قلبت الواو همزة فصار الها كما ابدلوا
وسادة فقالوا اسادة ونحوه فلما دخلت عليه اداة التعريف صار الاله ثم حذفت الهمزة

ابو عبد الله

لكثرة دورانه على الالسنة فصار الله فزيدت الالف بين اللام والهاء ليكون كالعوض عن الهمزة
فصار الله لكن لما كتبت الالف في الرحمن لكثرة الاستعمال والدوران واطلاق المصدر والارادة
اسم الفاعل او اسم المفعول شائع في لغة العرب بمعنى المالوه اليه اي المعتمد عليه المتذلل
له المحتاج اليه او المالوه فداي المتحير فيه لدقة طريق معرفته وقيل انه مشتق من اللهو
فصار له فادخلت اداة التعريف وزيدت الالف بين اللام والهاء لتكون كالعوض عن
الواو المحذوفة كما مر ومعناه الملهوه اي المطروب به والمفزوع به يعني عند معرفته وقيل
انه مشتق من اللوه وهو الاستتار من لاه يلوه اذا استتر لكن قلبت الواو ياء لسكونها
وانفتاح ما قبلها فادخلت ال عليه فصار اللاه فحذفت الالف خطا كما مر ومن قال بعدم الاشتقاق فقد
سلم من هذه التكلفات والله اعلم الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من رحم بجعله لازما بنقله الى باب
فعل بضم العين او بتنزيله منزلة اللازم اذ هما صفتان مشبهتان وهي لا تشتق من متعد
والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا كما في قطع وقطع ومن غير
الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيده زائده من المبالغة كحذر وحاذر فان حذرا ابلغ من
حاذر قال الرحمن صفة في الاصل بمعنى كثير الرحمة جدا ثم غلب على المبالغ في الرحمة غايتها
وهو الله تعالى والرحيم ذو الرحمة الكثيرة والتي بها بعد الرحمة الدال على جلائل النعم اشارة
الى ان ما دل عليه من دقائق الرحمة وان ذكر بعده ما دل على جلائلها الذي هو المقصود الاعظم
هو مقصود ايضا وللاشتباه توهم انه غير ملتفت اليه وقال بعض الصوفية الرحمن هو المحسن
باعطاء الامور الملكوتية مثل الروح والعقل والايمان والشهوة والقدرة ونحوها وقيل
هو المحسن في الدنيا لعموم احسانه لانه يعم باحسانه المسلم والكافر وغيرهما والرحيم بالضد
فباعتبار كون الرحمة للدنيا يكون الرحيم للاخرة ويكون للملكوتية يكون الرحيم لعالم الشهادة
من اعطاء المأكول والمشروب والملبوس الى غير ذلك وقد قيل اذا كان الرحمن الرحيم اسمين
فلم اعربا بغتة لله تعالى والاعلام لا ينعت بها قيل قد قال هذا قوم واعربوهما على
انهما بدل وقال السهيلي البدل ممتنع ايضا كعطف البيان كما ان الاسم الاول لا يفتقر الى التبيين
لانه اعرف المعارف كلها وابينها ولهذا قالوا ومما الرحمن ولم يقولوا وما الله قال السهيلي
لكنه وان جرى مجرى الاعلام فهو وصف يراد به الثناء وكذلك الرحيم قال المحقق العلامة القيم
في بدائع الفوائد اسماء الرب تعالى اسماء ونعوت فانها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها

بين

بين العلمية والوصفية فالرحمن اسمه تعالى ووصف لانبا في اسميته وصفته فمن حيث هو صفة جرى
تابعا على اسم الله تعالى ومن احيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع يعني كقوله تعالى الرحمن على
العرش استوى ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن وهذا شاهد الاسم العلم ولما كان
هذا الاسم مختصا به تعالى حسن مجيئه مفردا غير تابع لمجيء اسمه تعالى كذلك وهذا انبا في دلالته
على صفة الرحمة كاسمه الله فانه دال على صفة الالوهية ولم يجئ قط تابعا لغيره بل متبوعا
بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ولهذا لا يجئ هذه ونحوها كذلك مفردة بل تابعة
قال ابن القيم روح الله روحه واما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع وهو ان الرحمن
دال على الصفة القائمة به تعالى والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم وكان الاول الوصف
والثاني الفعل فالاول دال على ان الرحمة صفة اي صفة ذات له سبحانه والثاني دال على انه
يرحم خلقه برحمتها اي صفة فعل له سبحانه فاذا اردف فهم هذا فتامل قوله تعالى وكان
بالمؤمنين رحيما انه لهم رؤف رحيم ولم يجئ قط رحمن بهم فعلمت لهذا ان رحمن هو الموصوف
بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته قال رحمه الله وهذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب
وان تنفست عندها مرآة قليلك لم تخل لك صورتها انتهى ورحمة الله جل شانه وتعالى
سلطانه صفة قديمة قائمة بذاته تقتضي التفضيل والانعام واما تفسيرها
برقة في القلب تقتضي التفضيل فالتفضيل غايتها فيراد منها غايتها كما يقوله من يقوله
من المتكلمة كالزمخشري في كشافه وغيره من النظار فهذا انما يليق برحمة المخلوق لا رحمة
الخالق تعالى وتقدس وبينهما بون ونظير ذلك العلم فان حقيقة علمه تعالى القائمة به تعالى
ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق بل نفس الارادة التي يريد بعضهم الرحمة اليها هي في حقه تعالى
مخالفة لارادة المخلوق اذ هي في المخلوق ميل قلبه الى الفعل او الترك والله تعالى منزه عن ذلك
وكذلك الزمخشري يلجأ في حقه تعالى الى الفعل بمعنى الانعام والتفضيل فان فعل العبد الاختياري
انما يكون لجلب نفع للفاعل او دفع ضرر عنه ولا كذلك فعله تعالى فما قرمنه اهل التاويل موجود فيما
فروا اليه من المحذور وفي هذا ظهر انه لا حاجة الى دعوى المجاز في رحمته تعالى فانه خلاف الاصل
وهو انما يصار اليه عند تعذر حمل الكلام على حقيقته ولا تعذر هنا كما لا يخفى وايضا معيار
المجاز صحة نفيه كما اذا قيل زيد اسد او بحر او قمر لم يجز عنه او كوم او حسنه فانه يصح ان
تقول زيد ليس باسد او ليس ببحر او ليس بقمر وهذا مما لا خلاف فيه بينهم ولا يصح ان يقال

الله ليس برحيم فلو كانت الرحمة مجازا في حقه تعالى لصح ذلك ولا يقال ان الرحمة صفة كمال وسائر الكتب السماوية مملوءة بذكرها واطلاقها عليه تعالى ومن العجب ان تكون هذه الصفة العظيمة حقيقة في حق المخلوق مجازا في حق الخالق والحاصل ان الصفة تعتبر تارة من حيث هي وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى وتارة بحيث قيامها بغيره تعالى وليست الاعتبارات متماثلة اذ ليس شئ مثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله والكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما انا نثبت ذاتا ليست كالذوات فلنثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق كما اشار الى ذلك وقرره ونبه عليه وحرره ابن القيم رحمه الله في البدائع **فوائد الاولى** انما تبدأ المصنفون كتبهم بالبسملة تاسيا بالكتاب المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم واقتداء به في مكاتبته للملوك وغيرهم وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع رواه عبد القادر الرهاوي في الاربعين البلدانية وكذا الخطيب من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ومعنى ذي بال اي حال شريف يحتفل به ويهتم به من مصنف ودارس ومدرس وخطيب وخاطب وبين يدي كل الامور المهمة ويعني بالاقطع ناقص البركة وقد يكون بغير معتد به وروى ابن ماجة والبيهقي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو اقطع ابتر ممحوق من كل بركة فتفرد بذكر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اسمعيل ابن زياد وهو ضعيف وفي رواية كل امر ذي بال لا يفتتح فيه بذكر الله وقد روى ابو داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو اجذم اسناده صحيح **الثانية** اختلف القدماء فيما اذا كان الكتاب كله شعرا فحكى عن الشعبي رحمه الله انه امتنع عن ذلك وعن الزهري رحمه الله قال مضت السنة ان لا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم وعن سعيد بن جبير رحمه الله جواز ذلك وتابعه على ذلك الجمهور وقال الخطيب وهو المختار انتهى ولا سيما اذا كان المنظوم من نفائس العلوم قال بعض العلماء الراجح عند الجمهور طلب البسملة في ابتداء الشعر ما لم يكن محرما او مكروها قال وامام يتعلق بالعلوم فمحل وفاق **الثالثة** البسملة اية منفردة بنفسها فاصلة بين السور القرانية وليست منها وكل سورة لا الفاتحة ولا غيرها على الصحيح من المذهب وقال الامام ابي حنيفة رضي الله عنه وامام مالك رضي الله عنه فقال ليست هي من القرآن راسا وعند الشافعي رضي الله عنه انها اية من كل سورة من القرآن سوى براءة

ومراد

ومراد من قال انها ليست من القرآن غير التي في سورة النمل فانها بعض آية اجماعا فيكفر منكرها بخلاف البسملة غيرها فيقتصر **الرابعة** في بعض فضائل البسملة في ذلك احاديث وآثار كثيرة جدا قال الزهري في قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم وروى الامام ابو محمد عبد الرحمن ابن ابي حاتم في تفسيره بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عثمان بن عفان رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من اسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب وكذلك رواه ابو بكر ابن مردويه وروى الامام احمد وابو داود والنسائي والحاكم في المستدرك واللفظ للنسائي عن ابي المليح واسمه عامر وقيل زيد بن اسامة بن عمير عن ابيه رضي الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعيرنا فقلت تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس الشيطان فانه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صرعته ولكن قل بسم الله فانه يصغر حتى يصير مثل الذباب وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا فيجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم ذكره ابن عطية والقرطبي وابن كثير في تفاسيرهم عن الاعمش عن ابي وائل عن وبيع عنه قال ابو القاسم الجنيد بن محمد قدس الله سره في الله هيبته وفي الرحمن عزته وفي الرحيم مودته وفضائل البسملة غير محصورة وادلة شرفها مشهورة **الخامسة** قال بعض الصوفية وغيرهم اسم الله الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم كلها وعند اكثر اهل العلم انه لفظ الجلالة وعدم الاجابة لاكثر الناس مع الدعاء به لتخلف بعض الشروط التي منها الاخلاص واكل الحلال وقد اخرج ابو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن بريدة عن ابيه رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسالك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال لقد سالت الله بالاسم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب ورواه الحاكم الا انه قال فيه لقد سالت الله باسمه الاعظم وقال صحيح على شرطهما قال الحافظ المنذري قال شيخنا الحافظ ابو الحسن المقدسي واسناده لا مطعن فيه قال ولم يرد في هذا الباب حديث اجود اسنادا منه انتهى قال المحقق ابن القيم ومجموع اسم الله الاعظم هو الحي القيوم وذكر ذلك في نونيته بقوله ولاجل ذا جاء الحديث بانه في اية الكرسي وذي عمران

اسم الله الاعظم اشتمل على اسمين الحي والقيوم مقترنان
والكل مرجعها الى الاسمين بيد ري ذاك ذو بصر لهذا الشان

النار رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح من حديث اسماء بنت يزيد رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي اخرج الامام احمد وابن ماجه من حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بابي عياش زيد بن الصامت الزرقي وهو يصلي وهو يقول اللهم اني اسئلك بان لك الحمد لا اله الا انت يا حنان يا منان يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دعى الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى رواه ابو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد هؤلاء الاربعة يا حي يا قيوم وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وزاد الحاكم في رواية له اسئلك الجنة واعوذ بك من النار وقد روى يعلى ورواته ثقات عن السري بن يحيى عن رجل من طيء واثنى عليه خيرا قال كنت اسئل الله عز وجل ان يريني الاسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب فرايت مكتوبا في الكواكب في السماء يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام والذي في جلاء الافهام للمحقق ابن القيم وفي مسند ابي يعلى الموصلي عن بعض الصحابة انه طلب ان يعرف اسم الله الاعظم فرئي في منامه مكتوبا في السماء بالنجوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام انتهى **الحمد** لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم على الحامد وغيره والشكر لغة هو الحمد اصطلاحا وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه يجتمعان فيما اذا كان باللسان في مقابلة نعمة وينفرد الحمد فيما اذا كان باللسان لا في مقابلة نعمة وينفرد الشكر فيما اذا كان بغير اللسان في مقابلة نعمة واختار الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت على الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث لكمالها مع كونها على نسق الكتاب العظيم اليق بالمقام وثناء ولا بد لك وهي وان كانت خبرية لفظا ففي انشائية معنى واختار مادة الحمد لاشتمالها على الحاء الحلقية والميم الشفوية والدال اللسانية في استعمالها بالثناء على رب البرية حتى لا يخلو مخرج من نصيبه من ذلك بالكلية وال في الحمد للاستغراق او الجنس او العهد اي كل الحمد مستحق او جنسه مختص ومملوك **لله** وعلامة ال الاستغراقية انه يخلفها كل

ونحوها

ونحوها وال الجنسية اذا تعقبتها لام الاختصاص كانت المعنى جنس الحمد مختص ومملوك له تعالى فتفيد ما افادته ال الاستغراقية ضمنا وان كانت ال للعهد فالمعهود ثناء الله على نفسه وثناء ملائكته ورسله وانبيائه وخواص خلقه وكائنا من كان لغيرنا ايهم والدام في لله للملك او الاستحقاق او الاختصاص ولما ابتدا بالبسملة ابتداء حقيقيا وهو ما يتبادر بها قبل كل شيء اعقبها بالحمدلة ابتداء اضافيا اي بالنسبة لما بعدها وهو ما يقدم على الشروع في المقصود بالذات جمعا بين حديثي البسملة والحمدلة ولم يعكس لموافقة الكتاب العزيز فانه افتتح كتابته في الامام الكبير بالتسمية والحمدلة تلوها وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم في جميع الامصار سواء في ذلك من يقول بانها البسملة آية ومن لا يقول ذلك فكانا اولى **القديم** نعت لله سبحانه وتعالى وهو اسم من اسمائه وتقدم في الرحمن انه ونحوه من اسماء الله تعالى وانه جرى مجرى الاعلام فهو وصف يراد به الثناء فاسماؤه تعالى اسماء ونعوت والقديم هو الذي لم يسبق وجوده عدم فانه سبحانه وتعالى متصف بالقدم وهي صفة سلبية في اصطلاح اهل الصفات السلبية ما دل لولا على عدم امر لا يليق به تعالى فقدمه تعالى ذاتي واجب له تعالى غير مسبوق بعدم اذ هو تعالى ابتداء لوجوده واعلم ان القدم اما ذاتي كقدم الواجب واما زماني كقدم زمان الهجرة بالنسبة لليوم ومنه حتى عاد كالعرجون القديم ومنه القدم لما صار في لقدم الاب بالنسبة للابن **فائدة** القديم اخص من الازلي لان القديم من وجود لا ابتداء لوجوده والازلي ما لا ابتداء له وجودا كان او عدميا فكل قديم ازلي ولا عكس وفرق آخر ايضا وهو ان القديم يستحيل ان يلحقه تغير او زوال بخلاف الازلي الذي ليس بقديم كعدم الحوادث المنقطع بوجودها **الباقي** مشتق من البقاء وهو امتناع لحوق العدم والبقاء صفة واجبة لله تعالى لما وجب له القدم لانه ما ثبت قدمه استحال عدمه لانه سبحانه وتعالى لو قدر لحوق العدم له لكانت نسبته الى الوجود والعدم الى ذاته سواء فيلزم افتقاره في وجوده الى موجد يخرجه عن حد العدم الجائز عليه تقدس وتعالى عن ذلك فيكون حادثا واللازم باطل فكذا الملزوم لان وجوده تعالى واجب لذاته **تنبيه** نقل بعض المحققين ان البقاء صفة نفسية وعن الاشعري انها صفة معنى والمشهور عند المتكلمين المحققين انها صفة سلبية كالقدم ومنهم من ذهب الى ان القدم سلبي والبقاء وجودي ونعني ما ذكرنا انه تعالى لا يشاب بالعدم وهذا نعوت الجلال والجلال عبارة عن الصفات السلبية ففي القدم سلب

ذا اول المخلوقة

معنى

الحدوث وفي البقا سبب الفنا ولحوق العدم فنعوت الجلال كالقوام للكمال **مسبب الاسباب** الموصل بها الى مسببا تها اي خالق الاسباب الموصل بها الى المطلوب قال اهل اللغة السبب الحبل وكل شيء يتوصل به الى امر مّا من الامور وفي عرف الشرع ما يلزم من وجوده كما لوجود ولا يلزم من عدمه العدم لذاته فالاول احتراز من الشرط فانه لا يلزم من وجوده الوجود والثاني احتراز من المانع لانه لا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته والثالث احتراز مما لو قارن السبب فقدان الشرط ووجود المانع كالنصاب قبل تمام الحول او مع وجود الدين فحينئذ لا يلزم من وجوده الوجود لكن لا لذاته بل لامر خارج عنه وهو انتفاء الشرط في الاول ووجود المانع في الثاني فالتقييد بكون ذلك لذاته للاستظهار على ما لو تخلف وجود المسبب مع وجدان السبب لفقد شرط او وجدان مانع لم يضر سبب الارث ولكنه قاتل او رقيق وعلى ما لو وجد المسبب مع فقدان السبب لكن لوجود شرط آخر كالردة المقتضية للقتل اذا فقدت ووجد قتل يوجب القصاص او زنا محصن فتخلف هذا الترتيب عن السبب لا لذاته بل لمعنى خارج ولهذا قال بعض الاصوليين المسبب عبارة عن وصف ظاهر منضبط دل الدليل الشرعي على كونه معرفا لثبوت حكم شرعي طردا كان كجعل زوال الشمس سببا للصلاة او غير طردي كالشدة المطربة سواء اطرد الحكم معه او لم يطرد لان السبب الشرعي يجوز تخصيصه وهو المسمى بالعلة فان قلت هل من اسمائه تعالى المسبب حتى اطلقته عليه مع ان اسماءه توقيفية ام كيف الحكم قلت ذكر غير واحد من المحققين منهم الامام المحقق في بدائع الفوائد ان ما يطلق عليه سبحانه وتعالى في باب الاسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه في باب الاخبار لا يجب ان يكون توقيفيا كالقديم والشيء والموجود والقايم بنفسه قال في البدائع فهذا فصل الخطاب في مسئلة اسمائه هل هي توقيفية او يجوز ان يطلق عليه منها بعض ما لا يرد به السمع **تنبيه** في نسخة من منظومتي بدل مسبب الاسباب مقدر الاجال وهو اولى لامرين الاول ان المقدر من صفات افعاله المعبر عنها بالفعل اضل لان تقدير الاجال وفي نسخة بدل الاقدار الاجال وهي اعم وتدبير الامور والاحكام فعل هو احسان منه تعالى وهو السبب لوجود الحمد والشكر لان الاحسان يدعو الى ذكر المحسن بفضائله التي تاتي بها الاحسان والاقدار جمع قدر بسكون الدال وهو عبارة عن مبلغ الشيء ومنتهاه من حيث المكان والزمان وكل ما له قدر فهو مصنوع مفتقر الى مخصص بقدر

ما المتصف به من الاقدار من طول وعرض وعمق فالله تعالى جعل لكل شيء قدرا لا يتجاوزه وحدا لا يتعداه الثاني الدلالة على تقدير الاجال جمع اجل محركة غاية الوقت في الموت وحلول الدين ومدة الشيء قال تعالى اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا والآجال والآثار في ذلك كثيرة جدا **ومقدر الارزاق** بالفتح جمع رزق بالكسر ما ينتفع به من حلال وحرام ويأتي الكلام عليه في محله وهو سبحانه وتعالى **حي** اي لم يزل موجودا او بالحياة موصوفا وسيأتي الاحياء بعدهم الموت والعدم في احد الطرفين او فيهما معا كل شيء هالك الا وجهه والحياة صفة ذاتية حقيقية قائمة بذاته تعالى **عليم** بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم خلقه كقوله تعالى علم الغيب علم بذات الصدور وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا وهو مشتق من العلم ويأتي الكلام عليه ان شاء الله تعالى **قادر** اي ذو القدرة التامة والقدرة عبارة عن صفة يوجد بها المقدور على طبق العلم والارادة قال شيخنا الشهاب المنيني في كتابه شرح تاريخ العتبي للقادر معنيان احدهما ان يكون بمعنى القدير ومعنى القدرة على كل شيء وذلك صفة الله تعالى وحده دون غيره وانما يوصف القادر منا على بعض المقدورات دون بعض الثاني ان يكون القادر بمعنى المقدر يقال منه قدر يقدر بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد قال تعالى فقدرنا فنعم القادرون اي نحن المقدرون والمراد بقوله من القدرة على كل شيء يعني على كل ممكن كائنا الذي تتعلق به القدرة كما يأتي في محله **موجود** سبحانه وتعالى بالوجود القديم لانه العالم وكل جزء من اجزائه حادث ومفتقر من حيث وجوده وعدمه اليه تعالى من حيث صانعيته وايجاده اياه وصانع العالم المحتاج اليه في وجوده لا يكون الا واجبا بخلاف وجود غيره فانه جائز وحاصل ذلك ان يقال قد ثبت حدوث العالم او يقال لا شك في وجود حادث وكل حادث فالضرورة له محدث فاما ان يدور او يتسلسل وكلاهما محال واما ان ينتهي الى قديم لا يفتقر الى سبب اصلا وهو المراد ثم قلنا **قامت** اي وجدت واستمرت به سبحانه وتعالى **الاشياء** كلها من الجواهر والاعراض العلوية والسفلية **و** قام به **الوجود** لكل موجود سواه وهو الذي خلقه وسواه واحدثه وانشاه فوجود الباري صفة له واجد قديم ووجود غيره حيث محدث باحداث الخالق الحكيم وعطفه على الاشياء من عطف الخاص على العام للتنصيص عليه ردا على القايلين بكلية الوجود ووحدته

وانه قديم وانه موجود في الخارج وهذا ضرب من الهذيان والهجل فما يقولونه فانه القائلين بهم القائلون بالوحدة ولا يخفى ان القول بها ضرب من الزندقة فانه من المعلوم بصريح العقل وصحيح النقل ان الخالق للبدع ليس هو المخلوق ولا جزء من اجزائه ولا صفة من صفاته تعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيرا ومما يقولون ان الكليات الطبيعية ثابتة في الخارج فانه يقولون الجواهر جزء من المعينات او صفة لها وهذا يقولون المطلق جزء من المعين والعام بعد الخاص فيلزم من زعم ان وجود الرب تعالى هو الكلي ان يكون الخالق جزءا من المخلوق او صفة له وهذا مما يعلم بطلانه بصريح العقل وصحيح النقل واما المثل الافلاطونية فاذا قيل انه ثم موجود اكليا مطلقا مقارنا لجميع الموجودات فهو بمنزلة الانسانية المطلقة والحيوانية المطلقة والعقل الصريح يقطع ان الانسانية المقارنة لا تكون خالقة لكل انسان ولا الحيوانية خالقة لكل حيوان فكيف يكون الوجود المجرد خالقا لكل موجود او قديما غير مخلوق فان هذه الكليات لو قدر وجودها وانها جواهر عقلية مع ان هذا باطل ولا وجود لها الا في الاذهان وهؤلاء تخيلوها في اذهانهم فظنوها وجودها في الخارج فعلى فرض تسليم ذلك فهي جواهر بسيطة لا توصف بانها حية ولا عالمة ولا قادرة ولا متكلمة فتعالى الله عن مقالات اهل الوحدة والحلول والفلسفة والزندقة علوا كبيرا والحاصل انه لا ذرة ولا شذرة من جوهر ولا عرض ولا ملك ولا فلك ولا روح ولا نفس ولا جن ولا انس من جميع العالم السفلي والعلوي الا وهو مخلوق ومصنوع لله تعالى كان بعد ان لم يكن فلا يستحق الوجود الواجب شيء سواه ولا التفات لما لم يهده الله فاثبت القدم لبعض مخلوقات الله كما يأتي الكلام على ذلك في محله عند قولنا وضل من اثنى عليها بالقدم

دلت دلالة عقلية قطعية **على وجوده** سبحانه وتعالى **الحوادث** جمع حادث وهو ظاهر فالقديم والدلالة هي كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم او الظن بشيء اخر ومن الظن به الظن بشيء آخر فالاول يسمى دليلا برهانيا وبرهانا ان لم تتخلله الظنون والا فدليلا اقناعيا واماريا والشيء الثاني يسمى مدلولا لازما والدال ان كان لفظا فالدلالة لفظية والا فغير لفظية فان توسط الوضع فيها كالخطوط والعقود والاشارة والنصب فوضعية والا فعقلية كدلالة العالم على الصانع وقد استدل به جمع محققون من علماء الكلام وغيرهم وهو مبني على مقدمتين احداهما ان الحوادث موجودة والثانية ان الحادث لا يوجد الا بقديم وبعضهم يعبر بان الممكنات موجودة والممكن لا يوجد الا بواجد فاما المقدمة الاولى فدليلها ما يشاهد من حدوث الحوادث فانا نشاهد حدوث

الحيوان

الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك وهذه الحوادث ليست ممتنعة فان الممتنع لا يوجد ولا واجبة الوجود بنفسها فانه واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم وهذه كانت معدومة ثم وجدت فعدمها ينفي وجودها ووجودها ينفي امتناعها وهذا دليل قاطع واضح بين على ثبوت الممكنات واصرح من ذكر واوضح ان نفس حدوث الحوادث دليل على اثبات المحدث لها فان العلم بان الحادث لا بد له من محدث ابين من العلم بان الممكن لا بد له من واجب فسلوك هذه الطريقة ابين واقصر كما في النظم واما المقدمة الثانية وهي ان الحادث لا بد له من محدث فلاستحالة حدوثه بنفسه كما قال تعالى ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون يقول الله تعالى احدثوا من غير محدث ام هم احدثوا انفسهم ومعلوم ان المحدث لا يوجد بنفسه وطريق العلم بذلك ان يقال الموجود اما حادث واما قديم والحادث لا بد له من قديم فيلزم ثبوت القديم على كل حال وذلك ان الفقر والحاجة لكل حادث وممكن وصف لازم لها فهي مفتقرة اليه دائما حال الحدوث وحال البقاء ومن زعم من اهل الكلام ان افتقارها اليه يرتفع حال البقاء فقط كما هو قوله ومن زعم من المعتزلة وغيرهم انه يرتفع حال البقاء فقط كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين بمساواة العالم لله وكلا القولين خطأ كما قاله شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس ابن تيمية روح الله روحه في شرح عقيدة شمس الدين الاصبهاني رحمه الله فالامكان والحدوث متلازمان فكل محدث ممكن وكل ممكن محدث والفقر ملازم لهما فلا تزال مفتقرة اليه لا تستغني عنه لحظة عين وهو الصمد الذي يصمد اليه جميع المخلوقات ولا يصمد هو الى شيء بل هو سبحانه الغني بنفسه المغني لما سواه وللامام ابن تيمية الفقر الى وصف ذات لازم ابدا كما الغنى ابدا وصف له ذاتي **سبحانه** وتعالى وهو اسم لمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وانتصابه بفعل محذوف متروك اظهاره ولا يخفى حسن موقعه هنا اي هو سبحانه وتعالى منزه عما ان يخلق الخلق سدى او يشاركه في احداث شيء من الحوادث شريك بل هو الخالق المختار بلا حاجة ولا اضطرار قاهرة الحكمة باهرة ولهذا قلنا **فهو تعالى الحكيم** اي المتقن لخلق الاشياء المحسن التدبير والبديع التقدير بحيث يخضع العقل لرفعته ويشهد باتقانه صنعته كما قال تعالى احسن كل شيء خلقه وقال وخلق كل شيء فقدره تقديرا والحكيم من اسمائه الحسنى وهو ذو الحكمة وهي اصابة الحق بالعلم فالحكمة منه تعالى علم الاشياء وايجادها على غاية الاحكام ومن الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهذا الذي وصف به لقمان في قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الامام الحافظ ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر العقل لا ينتهي الى حكمة الخالق سبحانه وقد ثبت عنده وجوده وملكه وحكمته فعرضه بالتفاصيل

على ما تجري به عادات الخلق جهل ثم قال الا ترى الى اول المعترضين وهو ابليس اللعين كيف ناظر
فقال انا خير منه وقول ابي العلاء المعري ردي منكرا لا يشتهي فستزدقاه ثم قال ومحك احضر
عقلك وقلبك واسمع ما اقول اليس قد ثبت ان الحق مالك والملك اله يتصرف كيف يشاء اليس قد
ثبت انه حكيم والحكيم لا يعبث قال وانا اعلم انه في نفسه مع هذه الكلمة شيأ فانك قد سمعت
عن جالينوس انه قال ما ادري احكيم ام لا والسبب في قول هذا اني ري نقضا بعد احكام
فقاس الحال على احوال الخلق وهو انهم ما بنى ثم نقض لا لمعنى فليس بحكيم قال وجواب لو كان
حاضرا ان يقال بماذا بان لك ان النقض ليس بحكمة اليس بعقلك الذي وهبه الصانع لك فكيف
ذهب لك الذهن الكامل وبقوته هو الكمال وهذه المحنة التي جرت لابليس فانه اخذ يعيب الحكمة بعقله
فلو فرض علم انه واهب العقل اعلم العقل انه حكمته او في من كل حكيم لانه بحكمته التامة انشأ العقول
فهذا اذا تأمله المنصف زال عنه الشك انتهى ومراد الحافظ ابن الجوزي من كان ممن لا يرى طريقا
الى ادراك حكمة الاباء العقل كيف وقد جاء في صحيح المنقول ما يوافق صريح المعقول من الكتاب
والسنة مما لا يبقى في لب اللبيب اقل اختلاج وادنى ريب والله اعلم بكل غيب وهو الوارث
اي الباقي بعد فناء الخلق والمسترد لاملاكهم وموازيثهم بعد موتهم كما قال تعالى انا نحن نرث
الارض ومن عليها والينا يرجعون وقال تعالى وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون فلا يبقى عليها
ولا عليهم لاحد غيره سبحانه ملك ولا ملك ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك
اليوم ولا احد يجيبه فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار وسيأتي الكلام على
دقايق تتعلق بالاسماء عند مباحثها ان شاء الله تعالى ثم اني بعد ابتدائي بالبسملة والحمدلة
والثناء عليه تعالى بما هو اهله عقبته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اظهارا لعظمة قدره
واداء لبعض حقوقه الواجبة اذ هو الواسطة بين الله وبين عباده وجميع النعم الواصلة اليهم
التي من اعظمها الهداية للدين القويم انما هي به وعلى يديه صلى الله عليه وسلم وامتثالا لاقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما واغتناما للثواب الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم من صلى
علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له وفي رواية تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب وللجمع
بين الثناء على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه فقلت ثم الصلاة وهي
من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن غيرهم التضرع والدعاء تخريجا لهذا هو المشهور والجاري
على السنة الجمهور ولم يرتض هذا المحقق ابن القيم في كتابه جلاء الافهام وبدايع الفوائد وغيرهما
وردده من وجوه منها ان الله تعالى غاير بينهما في قوله عليهم صلوات من ربهم ورحمة الثاني ان سؤال
الرحمة يشرع لكل مسلم والصلاة تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وآله فهي حق له ولآله ولهذا

منع

منع كثير من العلماء الصلاة على معين غيره ونعني وغير سائر الانبياء والملائكة ولم يمنع احد من الترحم
على معين من المسلمين الثالث انو رحمة الله عامة وسعت كل شيء وصلاته خاصة تختص بعض عباده
وقد لهم الصلاة من العباد بمعنى الدعاء مشكل ايضا من وجوه احدها ان الدعاء يكون بالخير والشر والصلاة
لا تكون الا في الخير الثاني ان دعوت تتعدى باللام وصليت لا تتعدى الا بعلى ودعي المتعدى بعلى ليس
بمعنى صلى وهذا يدل على ان الصلاة ليست بمعنى الدعاء الرابع ان فعل الدعاء يقتضي مدعوا ومدعوا
له تقول دعوت الله لك بخير وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك لا تقول صليت الله لك ولا عليك فدل
على انه ليس بمعناه فاي تباين اظهر من هذا قال ولكن التقليد منع عن ادراك الحقائق فاياك
والاخلاد الى الارض قال وراينا لابي القاسم السهيلي كلاما حسنا في اشتقاق الصلاة
فذكر ما ملخصه ان معنى اللفظة حيث تصرفت ترجع الى الحنو والعطف الا ان ذلك يكون محسوسا
ومعقولا فالمحسوس منه صفات الاجسام والمعقول منه صفة ذي الجلال والاكرام وهذا
المعنى كثير موجود في الاسماء والصفات والكثير يكون صفة للمحسوسات وصفة للمعقولات
وهو من اسماء الرب تعالى وتقدس عن مشابهة الاجسام ومضاهات الانام فمما يضاف
اليه من هذه المعاني معقولة غير محسوسة فاذا ثبت هذا فالصلاة كما قلنا حنو وعطف
من قولك حنيت صلاك وعطفته فاخلق بانه تكون الرحمة كما سمي عطفا وحنوا تقول اللهم اعطف
علينا اي ارحمنا فاك الشاعر وما زلت في لينى له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الام واما
رحمة العباد فرقة في القلب اذا وجدها الراحم من نفسه انعطف على المرحوم واثنى عليه ورحمة الله
للعباد جود وفضل فاذا صلى عليه فقد افضل عليه وانعم وهذه الافعال اذا كانت من الله
او من العبد وفي متعدية بعلى مخصوصة بالخير لا تخرج عنه الى غيره فرجعت كلها الى معنى واحد
لا تنافي معنى الدعاء والرحمة صلاة معقولة اي انحناء معقول غير محسوس ثم ترتب من العبد
الدعاء انه لا يقدر على اكثر منه وثم ترتب من الله الاحسان والانعام فلم تختلف الصلاة في معناها
وانما اختلفت ثم تنوعها الصادرة عنها والصلاة التي هي الركوع والسجود انحناء محسوس فلم تختلف
المعنى فيها الا من جهة المعقول وليس ذلك باختلاف في الحقيقة ولذلك تعدت كلها بعلى واتفقت
في اللفظ المشتق من الصلاة ولم يجز صليت على العدو اي دعوت عليه فقد صار معنى الصلاة
ارق وابلغ من معنى الرحمة وان كانا راجعا اليه اذ ليس كل راحم ينحنى على المرحوم وينعطف عليه من
شدة الرحمة انتهى والسلام بمعنى التحية والسلامة من النقايص والرذايل وفي المطلع قال الازهري
في قولك السلام عليك قولان احدهما اسم السلام ومعناه اسم الله عليك ومنه قول لبيد
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

الثالث ص

في البديع ص

واهتار من القيم انها بمعنى الثناء

والثاني سلم الله عليك تسليما وسلاما ومن سلم الله عليه سلم من الافات كلها قال الحافظ ابن الجوزي في متناهي الحصن واما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الاولى والاكمل لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ولو اقتصر على احدهما جاز من غير كراهة فقد جرى عليه جمع منهم مسلم في صحيحه خلافا للشافعية وفي كلام بعضهم لا اعلم احدا نص على الكراهة حتى ان الامام الشافعي نفسه اقتصر على الصلاة دونه تسليم في خطبة الرسالة والله اعلم سرمدا اي دائما متصلا على مر الليالي والايام قال في القاموس السرمد الدايم او الطويل من الليالي اي صلاة وسلاما ممتدين دائمين امتدادا دائما سرمدا وبالله التوفيق على النبي قال في المطلع بهمز ولا يهمز فمن جعله من النباهة لانه ينبئ الناس عن الله اولانه ينبئ بما هو بالوحي وعالم بهمز فاما سهله واما اخذه من النبوة وهي الرفعة لارتفاع منازل الانبياء على الخلق وقيل ماخوذ من النبي الذي هو الطريق لانهم الطرق الموصلة الى الله تعالى وهو انسان اوحي اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان امر بتبليغه فهو رسول ايضا على المشهور فبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا والرسول افضل من النبي اجماعا لتميزه بالرسالة التي هي افضل من النبوة على الاصح خلافا لابن عبد السلام ووجه تفضيل الرسالة لانها تتم هداية الامة والنبوة قاصرة على النبي فنسبتها الى النبوة كنسبة العالم الى العابد ثم ان محل الخلاف فيما مع اتحاد محلها وقيامهما بشخص واحد اما مع تعدد المحل فلا خلاف في افضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة المصطفى اي المختار والمستخلص ماخوذ من الصفوة مثلثة يقال اصطفى الشيء اخذ منه صفوه واختاره كاصطفاه وفي مسلم والنسائي عن واثلة ابن الاسقع رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من بني كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ورواه الترمذي ولفظه ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم كنزا اي معدنا ومقر الهدى وموضعه الذي نشأ فيه واستقر لديه والكنز في الاصل المال المدفون تحت الارض وفي الحديث لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة اجرها مدخر لقائليها والمتصف بها كما يدخر الكنز المدفون لصاحبه والهدى في الاصل مصدر كالرمي والتقى ومعناه الارشاد والدلالة ولو غير موصلة ومن اسمائه تعالى الهادي وهو الذي يقدر عباده وعرفهم طرق معرفته حتما قدرا وابرز بريته وهدى كل مخلوق الى ما لابد له منه في بقائه

ودوام

ودوام وجوده وفي الحديث الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة والمراد بالهدي هنا الطريقة والسيرة ومعنى الحديث ان هذه الخلال من شمائل الانبياء وخصالهم الحميدة وان هذا جزء معلوم من اجزاء افعالهم لا ان المعنى ان النبوة تتجزى ولا ان من جمع هذه الخلال كان فيه جزء من النبوة فان النبوة غير مكتسبة ولا متحصلة بالاسباب وانما هي كرامة من الله تعالى كما ياتي تقرير ذلك في محله ان شاء الله وتخصيص هذا العدد مما كان يستاثر النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفته والصلاة والسلام الدايمان سرمدا يتعلق على الله صلى الله عليه وسلم وهم اتباعه على دينه قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه جلاء الافهام يقال آل الرجل لنفسه واله لاتباعه واله لاهله واقاربه فمن الاول قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وقوله تعالى سلام على آل ياسين وتنازع في هذا قوم فقالوا لا يقال الا للاتباع ولا يقال للاقارب واجابوا عما ذكر بما يراد من الآية والحديث الاقارب واختلف في اله صلى الله عليه وسلم فقيل هم الذين حرمت عليهم الزكاة وهم عندنا كالحنفية بنو هاشم خاصة وعند الشافعية بنو هاشم وبنو المطلب وقيل بنو هاشم ومن فوقهم الى غالب وهذا قول اشهب من اصحاب مالك وقيل هم ذريته وازواجه خاصة حكاه ابن عبد البر في التمهيد وقيل اله اتباعه على دينه الى يوم القيمة حكاه ابن عبد البر عن بعض اهل العلم واقدم من روى عنه هذا القول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ذكره البيهقي واختاره بعض الشافعية قلت وكثير من علمائنا في مقام الدعا خاصة وقيل هم الاتقياء من امته حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل من آلك فقال كل مؤمن تقي وفي القاموس آل الرجل اهله واتباعه واولياؤه ولا يستعمل الا فيما فيه شرف غالبا فلا يقال آل الاسكاف كما يقال اهله وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه بل معناه وهو صاحب وهل اللغة منقلبة عنها واصله اهل كما هو مذهب سيبويه او عن اوو كما هو مذهب الكسائي ظاهر كلام ابن القيم في جلاء الافهام ترجيح الثاني وكلاهما مسموع ويصغر على اهيل واويل والصواب جواز اضافة آل الى الضمير قال الشاعر انا الفارس الحامي حقيقة والدي وآلي فاتحي حقيقة الكاتبة

وفي شعر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم هو انصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك نعم هو بالكثبة الى اضافة الى الظاهر قليل وانما اتبعنا الا على الصلاة والسلام لما تظافرت به الاخبار وصحت به الآثار من قوله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم الى ما لا يحصى الا بكلفة والصلاة والسلام الدايمان المتصلان على صحبه اسم جمع لصاحب وقال الاخفش جمع له وبه جزم الجوهري فقال وجمع صاحب صحب كراكب وركب والضمير عايد على النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالصاحب هنا الصحابي الابرار جمع البر اي البار وهو الصادق

الهدية ص

عابديه ص

وفي الحديث من صبر على لاواء المدينة وشدتها كنت له شفيعا يوم القيامة او شهيدا

والكثير البر والصدق في اليمين وفي اسمائه الحسنى البر ودوى البار قال العلامة ابوبكر ابن ابي داود في
كتابه تحفة العباد البر هو العطوف على عباده المحسن اليهم عم ببره جميع خلقه فلم يخل عليهم برزقه
وهو البر باوليائه اذ خصهم بولايته واصطفاهم لعبادته وهو البر بالمحسن في مضاعفة الثواب
له وبالمسيء في الصفح والتجاوز عنه والابرار كثيرا ما يخص بالاولياء والزهاد والعباد والصحابة
الكرام افضل اولياء الانام وفي الاية الكريمة وتوفنا مع الابرار والصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه
مؤمنا ولو لحظة ومات على ذلك ولو تخللته ردة وقسمه الامام الحافظ ابن الجوزي الصحبة
الى ثلاث مراتب الاولى من كثرت معاشرته ومخالطته للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث لا يعرف صاحبا
الا بها فيقال هذا صاحب فلان وخادمه لمن تكررت خدمته لا لمن اخذ عنه مرة واحدة او ساعة
او يوما الثانية من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ولو مرة واحدة لانه يصدق عليه انه صحبه
وان لم ينته الى الاشتهار به الثالثة من رآه صلى الله عليه وسلم رؤية ولم يجالسه ولم يماشه هذا
الحق بالصحبة الحاقا وان كانت حقيقة الصحبة لم توجد في حقه ولكنهما صحبة الحاقية حكمية لشرف
قدر النبي صلى الله عليه وسلم لاستواء الكل في انطباع طلعته المصطفى صلى الله عليه وسلم فيهم برؤيته اياهم
اورؤيتهم اياه مؤمنين بما جاء به وان تفاوتت رتبهم رضوان الله عليهم وفي وصفنا اياهم بالابرار
اشارة الى مذهب الراجح من انهم عدول كلهم لا يبحث عن عدالة احد منهم لانه رواية والشهادة في صح
والمراد مما لم يظهر معارض كردتهم عاصروفي قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم دليل على عدالتهم اذ لو لم يكونوا عدولا لما حصل الاهتداء بالاقتداء بهم وعلى الناس
ذكر محاسنهم والكف عما جرى بينهم من الفتن ويجب حمل ذلك على اجتهادهم وظن كل فريق منهم
انه ما صار اليه هو الواجب وانه ارفق للدين واوفق للمسلمين وكل مجتهد ماجور والله
ولي الامور وبهذا وصفهم بقوله معادن جمع معدن وهي المواضع التي يستخرج منها
جواهر الارض كالذهب والفضة وغيرهما والمعدن الاقامة والمعدن مركز كل شيء ومنه
حديث فعن معادن العرب تسالوني قالوا نعم اي عن اصولها التي ينسبون اليها ويتفاخرون
بها اي هم مستقر التقوى ومواضعها والتقوى لغة الحجز بين الشيئين وشرعا التحرز بطاعة
الله عن مخالفته وامتثال الامر واجتناب نهيه واصل التقى اوتقى لانه من وقى وقاية فقلبت
الواو تاء وادغمت التاء في التاء جامع الاسرار البديعة والاحوال الرفيعة والسر ما استودع عنه
لاخيك وكرهت ان يطلع عليه احد وقد قال صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس
سفك دم حرام وفرج حرام واقتطاع مال بغير حق رواه ابو داود من حديث مرفوعا واخرج
الامام احمد عن ابي الدرداء ما سمع من رجل حديثا لا يشتهي ان يذكر عنه فهو امانة وان
لم يستكتمه وقال العباس ابن عبد المطلب لابنه عبد الله رضي الله عنهما يا بني اني ارى امير المؤمنين

يدنيك

يدنيك يعني عمر رضي الله عنه فاحفظ عني ثلاثا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلعن
منك على كذبة ولا تشاور احدا من الصحابة رضي الله عنهم كانوا اعمق الناس اسرارا وابرهم قلوبا واعلاهم
انوارا **تنبيهات الاول** كثيرا ما يجمع المصنفون في الصلاة بين الال والصحب ويعطفونهم
عليهم مع شمول الآل لهم في مقام الدعا على المعتمد كما اختاره القاضي ابو يعلى احد ائمة المذهب
وقد عد المجد في شرحه والامام الموفق في المغني لزعم انوف المبتدعة من الرافضة واشباههم ازالهم الله تعالى
الثانية ذكر الحافظ ابو زرعة الرازي واسمه عبد الله بن عبد الكريم شيخ الاسلام ابي الحسين
مسلم ابن الحجاج ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يزيدون على مائة الف قال البرماوي
في شرح الزهر البستام هذا على الاصح في النقل عنه كما رواه ابن المديني في ذيله على كتاب الصحابة
وروى انهم مائة الف واربعة وعشرون الفا ممن روى عنه وسمع منه صلى الله عليه وسلم واستوعبه
البرماوي قلت قد جزم بهذا العدد الحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص الصغرى
وذكر شيخنا الشهاب المنيني في نظمها بقوله وصحبه افضل خلق الله بعد النبيين بلا اشتباه
هم كالنجوم كلهم مجتهد يا ويح اقوام ذمهم لهم قد اوا والفضل فيما بينهم مراتب
وعدهم للانبيا يقارب **الثالثة** اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء عليهم الصلاة
والسلام هل تجوز استقلالا ام لا قال الامام المحقق ابن القيم في جلاء الافهام وهذه
المسئلة على نوعين احدهما ان يقال اللهم صل على آل محمد وهذا يجوز ويكون عليه الصلاة والسلام
داخلا في آله فالافراد عنه وقع لفظا لا معنى الثاني ان يفرد واحد بالذكر كقوله اللهم صل
على علي او حسن او ابي بكر او غيرهم من الصحابة فكره ذلك الامام مالك قال ولم يكن ذلك من عمل
من مضى وهو مذهب ابي حنيفة وسفيان ابن عيينة والثوري وبه قال طاوس وقال
ابن عباس رضي الله عنهما لا تنبغي الصلاة الا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات
بالاستغفار وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز وروى ابن ابي شيبة عن جعفر بن برقان قال
كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله اما بعد فانا ناسا من الناس قد اكثروا الدنيا بعمل
الآخرة وانا من القصاص قد احدثوا في الصلاة على خلفائهم وامرائهم عدل صلاتهم على
النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءك كتابي فمرهم ان تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين
عامة وهذا مذهب الشافعية وهو ثلاثة اوجه تحريم او كراهة تنزيه او خلاف الاولى
ترك الاولى حكاها النووي في الاذكار وقالت طائفة من العلماء تجوز الصلاة على غير
النبي استقلالا قال القاضي ابو يعلى من ائمة مذهبنا في كتابه رؤوس المسائل وبذلك
قال الحسن البصري وحنش ومجاهد ومقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان وكثير
من اهل التفسير وهو قول الامام احمد رضي الله عنه نص عليه في رواية ابي داود وقد
سئل ينبغي ان لا يصلى على احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس قال علي عمر صلى الله عليك

وبعد فاعلم ان [illegible] معرج للتوحيد فاسمع نظمي

قال القاضي وبه قال اسحق بن راهويه وابو ثور وابن جرير الطبري واحتجوا بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على جماعة من اصحابه ممن كان يأتيه بالصدقة واختار الامام المحقق ابن القيم الجواز ما لم يتخذ شعارا او يخص به واحد اذا ذكر دون غيره ولو كان افضل منه كفعل الرافضة مع امير المؤمنين علي واهل بيته دون غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فيكره حينئذ ولو قيل بالتحريم لكان له وجه هذا ملخص كلامه والله اعلم وبعد الواو بدل عن اما النائبة عنها ومهما ولتضمنها معنى الشرط لزمت الفاء في جوابها وبعد من الظروف المبنية ما لم تضف لفظا ومعنى او ينو ثبوت لفظ الاضافة المضاف اليها او تقطع عن الاضافة رأسا فتعرب حينئذ في الثلاثة وان حذف المضاف اليها ونوي ثبوت معناه بنيت على الضم وينوى بها الانتقال من اسلوب الى غيره اي بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه ويستحب الاتيان بها في الخطب والمكاتبات لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته للملوك وغيرهم ونقل الامام القاضي علاء الدين المرداوي الحنبلي في كتابه شرح التحرير انه نقل اتيانه صلى الله عليه وسلم بأما بعد في خطبه ونحو هاهنة وثلاثون صحابيا واختلف في اول من نطق بها فقيل داود عليه السلام وعن الشعبي انها فصل الخطاب الذي اوتيه داود لانها تفصل بين المقدمات والمقاصد وقيل اول من نطق بها يعقوب وقيل ايوب وقيل سليمان عليهم السلام وقيل قس بن ساعدة الايادي وقيل كعب بن لؤي وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان وائل وعلى هذه الاقوال ففصل الخطاب الذي اوتيه داود عليه السلام البينة على المدعي واليمين على من انكر والاول وهو ان اول من تكلم بها داود عليه السلام اشبه كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره ويمكن الجمع لكن نسبة اولية ذلك لسحبان وائل ساقط احد انعم زعم بعض الناس ان سحبان اول من نطق بها في الشعر حتى قال لعد علم الرك اليمانوية انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها وقد نظم ذلك الشمس الميداني مع زيادة آدم عليه السلام فقال

جرى الخلف اما بعد من كان باديا ... بها عد اقوال وداود اقربُ

ويعقوب ايوب الصبور وآدم ... وقس وسحبان وكعب ويعربُ

فاعلم الفاء في جواب الواو والنائبة عن اما لتضمنها معنى الشرط والعلم صفة يميز المتصف بها بين الجواهر والاجسام والاعراض والواجب والممكن والممتنع تمييزا جازما مطابقا ان كان العلم اي سائر العلوم الشرعية وكذا العقلية بانواعها وتفاريعها من اصولها وفروعها كالفرع لعلم التوحيد المتفرع عليه والناشئ عنه المنظور اليه والمقتبس منه فاسمع سماع فهم وعرفان وقبول واذعان نظمي لامهات مسائله ومهمات دلائله والتوحيد تفعيل

لانه العلم الذي لا ينبغي لعاقل لنفسه لم يبتغ
فيعلم الواجب والمحال ... والجائز في حقه تعالى

للنسبة كالتصديق والتكذيب للجعل فمعنى وحد الله نسبه للوحدانية لا جعلته واحدا فان وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل قال في القاموس التوحيد ايمان بالله وحده انتهى اي التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الخبر الدال على ان الله تعالى واحد في الوهيته لا شريك له والتصديق بذلك خبرا ينسبه الى الصدق ومطابقته الواقع بالقلب واللسان معا لانا نعني بالتوحيد هنا الشرعي وهو افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وافعالا فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات ولا تتعدد عن الذات ولا يدخل افعاله الاشتراك فهو الخالق وما سواه وانما كان العلم كالنوع لعلم التوحيد لانه اشرف العبادات وافضل الطاعات وشرط في صحة كل عبادة وطاعة وشرط القبول الاعمال اذ هو معرفة ذي العظمة والجلال فمن لم يوحد المعبود فكل عمله مردود وانما سمي هذا العلم بالتوحيد لانه اشهر مسائله واشرفها ويسمى ايضا بعلم الكلام لان مباحثه كانت معنونة في كتب القدماء بقولهم الكلام في كذا وكذا ولانه اشهر مواضع الخلاف فيه مسئلة الكلام في الله تعالى حتى جرى ما جرى لائمة الدين بنزغة الشيطان للمحن الفادحة والكوى علم التوحيد اصل العلوم وراس النجاة وسلم المعرفة للحي القيوم قلنا لانه اي علم التوحيد العلم العظيم القدر الفخيم الامر الذي لا ينبغي اي لا يطلب ولا يحسن ولا يحمل الشخص بالغ عاقل من ذكر وانثى من بني آدم لفهمه اي لادراك صور معرفته في ذهنه واقتداره على الاتصاف بالعلم به لم يبتغ اي لم يطلبه ويداوم في تحصيله لكونه اعانه على بصيرة في عبادته على يقين ومعرفة غيره ويبانيه اهل الشك والريب والحيرة بل عليه ان يسعى على ساق الجد والاجتهاد ويداوم في تحصيله في سائر احواله لينال المراد ويباين اهل الفرقة والتقليد ويخلع من عنقه ربقة التقليد فيعلم الواجب اي يجب على كل مكلف شرعا ان يعرف ما يجب لله تعالى وهو ما لا يتصور في العقل عدمه لوجوده كما وجوب قدمه وقدم الواجب لشرفه اذ به يتصف الباري جل وعلا ولان بمعرفته يعرف قيامه ويعلم المحال اي وهو ما لا يتصور في العقل وجوده كالشريك له تعالى والفه للاطلاق وقدمه على الجائز لانه كالبسيط بالنسبة اليه ولانه المقابل للواجب ولاجل القافية كما يجب على كل مكلف ان يعلم كل حكم جائز وهو ما يصح في نظر العقل وجوده وعدمه على السواء كارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع ونسخ بعضها ببعض الى سائر ما يجوز في حقه تعالى وتقدس ومثل ذلك لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

فيعرف الواجب في حقهم من الصدق والعدالة وتبليغ ما امروا بتبليغه والمستحيل في حقهم من الكذب
والخيانة وكتم شيء مما امروا بالاغه والجايز في حقهم من الاكل والشرب والنوم والنكاح ونحو العوارض
الغير المزرية بمناصبهم العالية كما ياتي تفاصيل ذلك في محالها ان شاء الله وصار في هذه الازمنه
ومن قبلها في سائر الامصار بعد كثرة الخلاف وتباين الفرق وظهور البدع من قديم الاعصار
من عادة اهل العلم بالسنة الدائبين في تحرير ادلتها والقايمين بنشرها وتعليمها والوقوف على
اصولها وتبيين دقايق محال الخلاف خوف الزيغ والانحراف ان يعتنوا اي يقصدوا ويشتغلوا
ويهتموا في سبر اي تتبع مهمات مسايل ذا اي هذا العلم اي الذي هو علم التوحيد وضبط
امهات تفاصيله بالنظم لسهولة حفظه لانه كلام منتسق مقفى موزون فيسرع في الحافظه
من غير مزيد مشقة بخلاف المنثور فانه اصعب رسوخا في الحافظه كما لا يخفى فمن ثم قلنا
معللين للنظم لانه اي المنظوم المفهوم من النظم يسهل يقال سهل ككرم سهالة وسهل تسهيلا
لان ويسر ومن الارض ضد الحزن اي يسر للحفظ والعلوق في الحافظة كما انه يروق اي يحسن
ويجلو ويلذ للسمع لكونه ينبسط له ويلتذ سماعه لتفقيته ووزنه ويشفي اي يبري من ظمأ
اي من شدة عطش واشتياق الى معرفة اصول علم التوحيد ومهمات مسايله والظمأ هو العطش
او شدته وظما اليه اشتاق وترك الهمز للوزن هنا اي من اجل ما ذكرنا من تيسير النظم على النثر
فظمت النظم التاليف وضم شيء الى اخر يقال نظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما اللفه وجمعه الى ولي كان
مثلي واعتقادي او غيري اعتقادي على النحو الاثري عقيدة سلفية اثرية ارجوزة وزنها فعولن
كالخصوصة اي مرجزة النظم من الرجز احد بحور الشعر على الاصح وجمعها ارجاز قال الشاعر
• ابا الارجاز يا ابن اللوم توعدني • وجيزة اي قليلة من اوجز في كلامه اذا اختصره وقلله مفيدة
اي من حيث تملي قراها وتامل معانيها حق التامل فظمتها اي نظمت مسايلها ومهماتها في سلكها
اي خيطها قال في القاموس السلك بالكسر الخيط الذي يخاط به والجمع سلك وجمع الجمع اسلاك مقدمه
بكسر الدال المهملة على الافصح اسم فاعل من قدم بمعنى تقدم ومنه لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
اي لا تتقدموا عليه ومقدمة العلم ما يتوقف الشروع فيه عليها لمعرفة حده ورسمه
وموضوعه وغاية المقصود منه ومقدمة الكتاب تقال لطايفة من كلامه قدمت امام
المقصود منه لارتباط له بها وانتفاع له فيها وست ابواب جمع باب وهو موجة في سايتي
يتوصل بها من خارج الى داخل ومن داخل الى خارج وفي العرف اسم لطايفة من العلم تشتمل على فصول

وفروع

وفروع ومسايل غالبا كذا اي كما ان الذي يشتمل على مقدمة وستة ابواب يشتمل على خاتمة وهي في اللغة
عاقبة الشيء واخره وهنا مراد هذا القبيل ما ياتي بها المصاب والناظم في اخر كل باب وفي آخر بحث
او مسئلة لتعلقها بما تقدمها في الجملة وهذه فهرست ما ذكرنا المقدمة في ترجيح مذهب السلف على
غيره الباب الاول في معرفة الله وما يتعلق بذلك الثاني في الافعال الثالث في الاحكام والكلام على
الايمان ومتعلقات ذلك الرابع في بعض السمعيات من الحشر والنشر واشراط الساعة ونحو ذلك الخامس
في النبوات ومتعلقاتها وفي ذكر فضل الصحابة وافضلهم السادس في ذكر الامامة ومتعلقاتها
الخاتمة في فوايد جليلة وفرايد جزيلة لا يسع الجهل بها وستدرك بابا بابا ان شاء الله ولما
نظمت هذه العقيدة الاثرية وسمتها اي سميتها اي سميتها يعني عقيدتي التي نظمتها
في التوحيد بالدرة بضم الدال المهملة المشددة وفتح الراء المشددة اي اللؤلؤة العظيمة والجمع
درر ودرر ودرات المضية اي المنورة من الاضاءة يقال اضاءت واضاءت بمعنى يعني استنارت
وصارت مضيئة في عقد اي اعتقاد اهل الفرقة اي الطايفة المرضية في اعتقادها المانعة
عن منبع الهدى وينبوع النور وياتي الكلام عليها قريبا على اعتقاد متعلق بنظمت والاعتقاد
هو حكم الذهن الجازم فانه كان موافقا للواقع فهو صحيح والا فهو فاسد والحاصل ان الكلام يعبر
عبر عنه الانسان بكلام خبري من اثبات او نفي تخيله او لفظ به اما ان يحتمل متعلقه النقيض
بوجه من الوجوه او لا الثاني العلم والاول اما ان يحتمل النقيض عند الذاكر لو قدره او لا الثاني
الاعتقاد فانه طابق هذا الاعتقاد لما في نفس الامر فهو اعتقاد صحيح وان لم يطابق ما في نفس
الامر فهو اعتقاد فاسد والاول وهو الذي يحتمل النقيض عند الذاكر لو قدره الراجح منه ظن والمرجوح
وهم والمساوي شك وسياتي الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى اي صاحب السداد بفتح السين المهملة
المشددة فدالين مهملتين بينهما الف المقصد في الدين والسبيل قال في القاموس والسداد
الاستقامة كالسداد يعني بالفتح واما سداد القارورة والثغر فبالكسر فقط وسداد من عوز وعيش
لما يسد به الخلة وقد يفتح او لحن اثنوه وقد جزم النظر بن شميل وجمع يحيى من فتح سداد في قوله
صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس وامير المؤمنين علي رضي الله عنه اذا تزوج الرجل المراة لدينها و
جمالها كان فيه سداد من عوز وفيه حكاية مشهورة والمراد بذي السداد هو الامام الامجد اماما
ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد بن ادريس بن عبد الله بن حيان بفتح المهملة
وتشديد التحتية وبعد الالف نون ابن عبد الله بن انس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن
ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وايل بن قاسط بن هنب بكسر الهاء واسكان النون وبعدها

وسميتها بالدرة المضية في عقد اهل الفرقة الرضية

وما زال من عادة اهل العلم ان يعتنوا في تحرير ذا بالنظم لانه يسهل الحفظ كما يروق للسمع ويشفي من ظمأ
الجهل ولذا نظمت اعقيدة هنا فظمت اي سلكها مقدمة وست ابواب كذا في خاتمة

موحدة بنى افصى بالفا والصاد المهملة بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان
الامام المروزي ثم البغدادي الحنبلي نسبة الى جده فهو ابي ابيه حنبل امام اهل الحق الذين هم الفرقة
الناجية لاقتفائهم المأثور عن صنع الهدى ومعدن الخيرات وينبوع النور ذي صاحب العدد
اي المقدار العلي اي المرتفع السامي للكثرة فضائله وتوفر محامده ومناقبه وآثاره في الاسلام
المشهورة ومقاماته في الدين المذكورة فقد انتشر ذكره في البلاد وعم نفعه العباد قال الامام اسحق
ابن راهويه الامام احمد بن حنبل حجة بين الله تبارك وتعالى بين عباده في ارضه وقال الامام الشافعي
خرجت من بغداد وما خلفت فيها احدا اتقى ولا اورع ولا افقه ولا اعلم من احمد بن حنبل وقال احمد
ابن سعيد الدارمي ما رأيت اسود راسا احفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اعلم بفقه معانيه
من ابي عبد الله احمد بن حنبل ومن ثم قلت حبر الملا بفتح الحا المهملة وكسرها وسكون الموحدة العالم والصالح
والملا بفتح الميم واللام مهموز اشراف الناس وجماعتهم وذوو الشارة منهم فرد اي واحد صاحب
الخصال العلا اي المرتفعة السامية باوصافها الجميلة ونعوتها الفضيلة الرباني اي العالم العامل
المعلم للعلم غيره وهو منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون الدالة على كمال الصفة وهو السيد
المتكفل بدين الله وطاعته وعن المبرد انه منسوب الى ربان الذي يربي الناس بالتعليم وقال الصوفية
هو الكامل من كل الوجوه في جميع المعالي وفي البخاري الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم
قبل كباره وقيل بعضهم الرباني من اقتضت عليه المعارف الالهية فعرف بها ربه وعرف الناس
بعلمه وروينى كما بناه كتابي القول العلي في شرح حديث سيدنا امير المؤمنين علي عند قوله رضي الله عنه
الناس ثلاثة فعالم ربالي ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق مالفظة العالم
الرباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل ولا منزلة فوق منزلته لكامل قال ابن عباس
رضي الله عنهما الرباني هو المعلم اخذه من التربية اي يربي الناس بالعلم كما يربي الطفل ابوه و
قال سعيد بن جبير هو الفقيه العليم الخبير وقال سيبويه زادوا الفا ونونا في الرباني اذا
اراد والتخصيصا بعلم الرب كما قالوا شعراني ولحياني لعظيم الشعر واللحية وقال ابو نعيم
الزاهد سالت ثعلبا عن هذا الحرف وهو الرباني فقال سالت ابن الاعرابي فقال اذا كان
الرجل عالما عاملا معلما قيل له هذا رباني فان حرم خصلة منها لم يقل رباني وفي مفتاح
دار السعادة للامام المحقق ابن القيم معنى الرباني المرفيع الدرجة في العلم العالي المنزلة فيه
وعلى ذلك حملوا قوله تعالى ولا ينهاهم الربانيون والاحبار انتهى والله اعلم رب اي صاحب الحجى العقل

العقل والفطنة والمقدار العالي كان سيدنا الامام احمد رضي الله عنه ربعة من الرجال حسن الوجه
حسن الهيئة لا يخوض في شيء من امور الناس ذا وقار وسكينة مراحيا الناس واكرمهم نفسا واحسنهم
عشرة وادبا كثير الاطراق وغض البصر معرضا عن اللغو لا يسمع منه الا المذاكرة بالحديث وذكر الصالحين
قال الامام الحافظ ابو داود وكانت مجالس الامام احمد مجالس اخرة لا يذكر فيها شيء من امر الدنيا
قال وما سمعته ذكر الدنيا قط وقال ثعلب ما رايت رجلا كان النار توقد بين عينيه
وقال عبد الملك الميموني ما اعلم اني رايت احدا انصف قولا ولا اشد تعاهدا لنفسه في ثيابه
وشعر راسه وبدنه من الامام احمد بن حنبل وكان يحب الفقر ويعرض عن الدنيا وكان حسن الخلق الخلق صح
دائم البشر ليس الحياء ليس بفظ ولا غليظ يحب في الله ويبغض في الله ويحب لمن احبه ما يحبه
لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه لا تاخذه في الله لومة لائم حسن الجوار يؤذى فيحتمل وكان
اصبر الناس على الوحدة فكان لا يرى الا في مسجد او جنازة او عيادة مريض ويكره المشي
في الاسواق ويقول الخلوة اروح لقلبي وكان يقال كان ابن مسعود رضي الله عنه اشبه
الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسمتا وكان اشبه الناس بهدي عبد الله وسمته
علقمة بن قيس وكان اشبه الناس بعلقمة ابراهيم النخعي وكان اشبه الناس بابراهيم منصور
ابن المعتمر وكان اشبه الناس بمنصور سفيان الثوري وكان اشبه الناس بسفيان وكيع
ابن الجراح قال محمد بن يونس وكان اشبه الناس بوكيع الامام احمد بن حنبل رضوان الله عليهم
اجمعين وكان الامام احمد رضي الله عنه مخضب بالحنا خضابا ليس بالفاحش واعلم ان الاشبهة
عند ائمة الدين بان سيدنا الامام احمد رضي الله عنه امام السنة والصابون في المحنة ماحي
بنور السنة واضاءة المتابعة وسنا الوراثة المحمدية اي مذهب الذي اي الذي ظلمة البدعة
يقال دجى الليل دجوا ودجوا اظلم كادجى وتدجى وليلة داجية اي مظلمة ودياجي الليل حنادسه
فان امامنا وسيدنا الامام احمد رضي الله عنه كسر سورة اهل البدع وفل جموعهم ورد كيدهم
في صدورهم وابقى شجوهم في نحورهم الشيباني نسبة الى احد اجداده شيبان المذكور في
نسبه فالامام احمد رضي الله عنه من صريح ولد اسمعيل ومن صميم العرب وكان ابو الامام احمد
والي سرخس من ابناء الدولة العباسية وتوفي وله ثلاثون سنة ١٧٩ سبع وسبعين
ومائة وللامام احمد نحو خمس عشرة سنة فان امه حملت به بمرو وقدمت بغداد وهي حامل به
فوضعته بها وولدته امه واسمها صفية وهي شيبانية ايضا فانها صفية بنت ميمون بن عبد الله الشيباني

نزل ابوه بلهم فتزوجها حدها عبد الملك بن سواده ابن هند الشيباني من وجوه بني شيبان تنزل به
قبائل العرب للضيافة فحاز اماما رضي الله عنه شرف النسبين وكمل له باصليه تمام الشرفين فانه
اي الامام احمد رضي الله عنه امام وقدوة اهل اي اصحاب الاثر يعني الذين اخذوا ما جاء به النبي
من المأثور عن الله عز وجل في كتابه او في سنة النبي صلى الله عليه وسلم او ما ثبت وصح عن السلف الصالح
من الصحابة الكرام والتابعين الفخام دون ما زيد بالآراء اهل الاهواء والبدع وفخالات اصحاب الاراء
والبشع فمن اي اي انسان من هذه الامة نحى اي قصد وتم منحاه اي مقصده ومذهبه وسار
بسيرته من اتباع الاخبار واقتفاء الآثار فهو اي ذلك الذاهب مذهب الامام احمد الاثري اي
المنسوب الى العقيدة الاثرية والفرقة السلفية المرضية ويعرف ايضا بمذهب السلف وهو مذهب
سلف الامة وجميع الائمة المعتبرين المعتمدين في احكام الدين وقد قال الامام علي ابن المديني
وهو شيخ الامام احمد وشيخ الشافعي وشيخ البخاري وغيرهم اتخذت احمد اماما فيما بيني وبين الله
وقال اذا افتاني احمد بن حنبل لم ابالي اذا لقيت ربي كيف كان وقال احمد سيدنا حفظ الله احمد
هو اليوم حجة الله على خلقه وقال ان الله تعالى اعز هذا الدين برجلين لا ثالث لهما ابو بكر
يوم الردة واحمد بن حنبل يوم المحنة وقد قال قتيبة وابو حاتم اذا رأيت الرجل يحب الامام احمد
ابن حنبل فاعلم انه صاحب سنة وقال ابن مكرم الامام احمد هو امام النقل وعلم الزهد والورع
وقال غير واحد من ائمة الدين الامام احمد امام اهل السنة وفي قصيدة اسمعيل بن فلان التيمي
رحمه الله فيه

لعمرك ما يهوى لاحمد نكبة ... من الناس الا ناقص العقل معور

هو المحنة اليوم الذي يبتلى به ... فيعتبر السني فينا ويسبر

فقا عين المراق فعل ابن حنبل ... واخرس ما يبغي العيوب ويحقر

وقال ابو مزاحم الخاقاني

لقد صار في الآفاق احمد محنة ... وام القرى فيها فليس بمشكل

ترى ذا الهوى جهلا لاحمد مبغضا ... وتعرف ذا التقوى بحب ابن حنبل

وقال ابن عيينة رحمه الله

اضحى ابن حنبل حجة مبرورة ... وبحب احمد يعرف المتنسك

واذا رأيت لاحمد متنقصا ... فاعلم بانه ستورده سقر

وعلى كل حال الامام احمد امام اهل السنة بلا مجال فهو المبيض وجه السنة الناقض عارها وشنارها
غبار البدعة فكل سني اثري فهو امامه فان قلت اذا مذهب السلف هو ما عليه الائمة جميعا
تبعا للتابعين والصحابة الكرام رضوان الله عليهم اجمعين وهو الذي كان عليه سيد المرسلين وخاتم النبيين

فليعرف

فكيف يتأتى هذا المذهب للامام احمد دون من تقدمه من ائمة الدين قلت الامر كما ذكرت والحق
كما استخبرت وهذه المقالة هي الشريعة الغراء ومقالة اهل الفرقة الناجية بلا محال ولا ارتياب
ذو لب لبيب ورأي صحيح مصيب الفاهي التي كان عليها النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم واصحابه
اهل الاصابة والتصويب والتابعين لهم باحسان من اهل التفضيل والتبويب ولكن لما كان
في المائة الثالثة اشرأبت الفتن واستعلت البدع والمحن وقامت دولة اهل الابتداع على
ساق واعلن بقواعد اهل الاعتزال ذو الضغائن والنفاق وساعدهم على ذلك ائمة الجور
والخلفاء الفساق قام الامام احمد كالنار المحصورة لابل كالبحر الطامي والربيل الجسور فوكيدهم
في نحورهم والقى بلابلهم في صدورهم فمع مقالتهم وزيفها عليهم فبين فسادهم بكل حال
وردهم على اعقابهم خائبين لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال فلاجرم نسب المذهب
اليه لانه المقصود اذ ذاك بالذات والمعول عليه فانه هو الذي انتصر للحق ونصره وسدع
راس اهل البدع وهصره وبين الصحيح من الفاسد والغث من السمين والحق من الباطل
والصدق من المين فلما كان الامام احمد رضي الله عنه هو الذي فل مضاديهم وبين معايبهم
وكشف عوارهم ودحض حجتهم وتلوينهم وانتصر لما كان عليه السلف من الاثبات بلا تمثيل
ومن التنزيه بلا تعطيل ومرر الآيات المتشابهات بلا تاويل ودعى الجهمية المعتزلة واقام
عليهم كل برهان ودلالة نسبت له المقالة وصار امام اهلها في كل حاله والف كتابه
في الرد على الجهمية والزنادقة وهذا الكتاب رواه عنه الخلال بطرق ابنه عبد الله وذكره كله
في كتاب السنة الذي جمع فيه نصوص الامام احمد وكلامه وعلى منواله كتاب الخلال السنة
جمع البيهقي كتابه الذي سماه جامع النصوص من كلام الشافعي وخطبة كتاب الامام احمد الرد
على الجهمية الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من اهل العلم يدعون من ضل
الى الهدى ويصبرون منهم على الاذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بكتاب الله اهل العمى
فكم من قتيل لابليس قد احيوه وكم من ضال تائه هدوه فما احسن اثرهم على الناس واقبح اثر
الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين الذين
عقدوا الوية البدعة واطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب
مجمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون
بالمتشابه من الكلام ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين ثم

ساق الكتاب قد قرأناه ورويناه عن علماء معتبرين وفضلاء راسخين والله ولي المتقين وقد
ذكر كتاب الامام احمد هذا ائمة المذهب قال الخلال كتب هذا الكتاب من خط عبد الله وكتبه
عبد الله من خط ابيه الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه واحتج القاضي ابو يعلى في كتابه ابطال التاويل
بما نقله عنه الامام احمد وذكر ابن عقيل في كتابه بعض ما فيه عن الامام احمد ونقل فيه اصحابه
قديما وحديثا ونقل منه الحافظ البيهقي وعزاه الى الامام احمد وصحح هذا الكتاب شيخ الاسلام
ابن تيمية عن الامام احمد واعتمده الامام المحقق ابن القيم في جلاء العيم وصححه في كتابه اجتماع
الاسلامية قال ولم يسمع من احمد من متقدمي اصحاب الامام احمد ولا متاخريهم طعن فيه والله
اعلم فلما انتصر الامام احمد رضي الله عنه للسنة السنية والفرقة الناجية المرضية وقمع
اهل البدع وزنقهم قمعا لنهم واد حض بدعتهم واظهر ضلالتهم صار هو علم السنة واما مها
وصاحبها وخليلها ومقدامها حتى ان الامام ابا الحسن علي بن اسمعيل الاشعري امام الطائفة
الاشعرية انتسب الى الامام احمد ورى اتباعه على عقيدته هو المنهج الاحمد قال في كتابه
الابانة في اصول الديانة لما انكر قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة
والمرجئة فان قال قائل قد انكرتم فعرفونا قولكم الذي به تقولون ودياننكم التي بها
تدينون قيل له قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما
كان عليه الامام احمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته واجزل مثوبته قائلون ولمن
خالف قوله مجانبون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي ابان الله به الحق عند ظهور
الضلال واوضح به المنهاج ودمغ به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله
عليه من امام مقدم وكبير معظم وعلى جميع ائمة المسلمين انتهى ولد سيدنا وقدوتنا وامامنا
الامام احمد رضي الله عنه في شهر ربيع الاول سنة ١٦٤ اربع وستين ومائة ببغداد وتوفي
نهار الجمعة من شهر ربيع الاول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه سنة ٢٤١ احدى واربعين و
مائتين وغسله المروذي وادرج في ثلاث لفائف وحنط وصلي عليه بمائة الف الف وعلى
السور نحو ستين الفا سوى من كان في السفن وكان الامام احمد رضي الله عنه يقول قولوا لاهل
البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز واسلم من اليهود والنصارى والمجوس يوم موته عشرون الفا
وناحت الجن عليه وهتفت بموته الهواتف وقال ابو زرعة كان يقال عندنا نجر سارية الجن نعت

احمد بن حنبل قبل موته وسمعوا قائلا يقول مات رجل بالعراق فذهبت الجن كلها تصلي عليه الا المردة
وقد دفن بقصايد رحمة ودفن ببغداد بباب حرب سقي ضريحا اي قبرا وفي حديث دفن النبي
صلى الله عليه وسلم يرسل الى اللاحد والضارح فايهما سبق تركناه قال في النهاية الضارح هو
الذي يعمل الضريح وهو القبر فعيل بمعنى مفعول من الضرح وهو الشق في الارض ومنه في حفر
سطيح او في على الضريح حله اي سكنه الامام احمد ونزل به يقال حل الكان وبه يحل ومحل نزل به
كاحله وبه فهو حال صوب بالرفع فاعل سقى وهو بفتح الصاد وسكون الواو وفتح الموحدة كالصيب
انصباب الغيث وارا قته ومجيء الماء بالمطر اي غيث الرضوان ارا قته على قبره وانصبابه على ضريحه
اي رضوان الله ورحمته وبركته وجوده عليه وسقى ضريحا حله الامام احمد صوب العفو من الله و
الصفح والغفران بضم الغين المعجمة وسكون الفاء فنون قبله الف اسم من الغفر وهو الستر والتغطية
يقال غفر الله لذنبه مغفرة وغفرانا غطى عليه وعفى عنه ومن اسمائه تعالى الغفور والغفار وهما
من ابنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعيوبهم المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم
والمغفرة الباس الله تعالى العفو للمذنبين ولا تزال رضوان الله ورحمته وعفوه ومغفرته نازلة
على ضريح الامام احمد رضي الله عنه ومتواصلة ومستمرة ما نجم اي كوكب من نجوم السما اضا
اي استنار يقال اضاء واضاء بمعنى استنار وصار مضيئا اي مدة دوام استنارة الكواكب
في كبد السماء وفيه من المناسبة انه شبه العلما بالنجوم من مجامع الانارة والهداية في الظلما
وحله الله سبحانه وتعالى اي احل الامام احمد بن حنبل رضوان الله عليه واحل سائر اي بقية الائمة
من علماء الامة واعلام الائمة من الاربعة المتبوعة مذاهبهم وغيرهم من ائمة الدين واعلام المسلمين
الذين بذلوا جهدهم في نشر السنة وتدوين الشريعة على الطريقة المرضية الحسنة منازل
الرضوان من الرحيم الرحمن الكريم المنان في اعلا الجنة اي الدرجات العالية من انجاه على حسب
مقاماتهم الشامخة ومناصبهم الباذخة فلهم الفضيلة بالسبق والاجتهاد وبذل النصح وارشاد
العباد وعلى الذين جاؤا من بعدهم على ممر الزمان ان يقولوا ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان رضوان الله ورحمته وعفوه وصفحه وغفرانه وبركته عليهم ولهم ما تعاقب الملوان
وكر الجديدان والله ولي الاحسان فوائد تقدم ان امام المقصود لا يستغني عن
معرفتها في هذا الفن ليكون الطالب لنيل هذه المطالب على بصيرة الاولى لابد لكل طالب علم ان
يتصوره اما بحده او رسمه ليكون على بصيرة في طلبه وان يعرف موضوعه ليمتاز عنده عما سواه

مزيد امتياز فانه العلوم انما يتميز بعضها عن بعض بامتياز الموضوعات وان يصدق بغاية ماله
والا كان طلبه واجتهاده عبثا ولابد ان يكون معتدا بها بالنظر لمشقة التحصيل والا فربما
فتر جده وان تكون مرتبة على ذلك الشيء المطلوب والا فربما زال اعتقادها بعد الشروع فيه فيصير
سعيه في تحصيل عبثا بغير نظره فاذا علمت هذا فاحد هذا العلم المسمى باصول الدين ويعلم
العقائد ويعلم التوحيد ويعلم الكلام العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية اي العلم
بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من ادلتها اليقينية والمراد بالعقائد الدينية المنوبة
الى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سواء توقفت على الشرع كالسمعيات ام لا وسواء كانت من الدين
في الواقع كلام اهل الحق ولا كلام المخالف واعتبر في ادلتها اليقين لانه لا عبرة بالظن في هذا
العلم بل في العمليات وخرج عن التعريف العلم بغير الشرعيات وبالشرعيات الفرعية وعلم الله
والملك وعلم الرسول عليه الصلاة والسلام بالاعتقاديات ودخل علم علماء الصحابة بذلك فانه
كلام واصول وعقائد وان لم يكن يسمى بذلك الزمان بهذا الاسم حيث كان متعلقا بجميع العقايد
بقدر الطاقة البشرية مكتسبا من النظر في الادلة اليقينية او كان ملكة تتعلق بها بان يكون
عندهم من المأخذ والشرايط ما يكفيهم في استحضار العقائد على ما هو المراد بقولنا العلم بالعقايد
من الادلة وموضوع كل علم شرعيا كان او عقليا ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية فموضوع
هذا العلم البحث عن احوال الصانع سبحانه من القدم والوحدة والقدرة والارادة وغيرها
من صفاته وافعاله الاختيارية وكذلك ما يبحث عن الجواهر والاعراض والاجسام والحدوث
والافتقار والتركيب من الاجزاء وقبول الفناء ونحو ذلك مما لا يجوز عليه تعالى وغايته
ان يصير الايمان والتصديق بالاحكام الشرعية متقنا محكما لا تتزلزله شبه المبطلين فيرتقي
من حضيض التقليد الى ذروة الايقان بسبب التمكن من الاستدلال ومحافي ايضا ارشاد الطالبين والزام المعاندين باقامة الحجج والبراهين ونفض غبار شبه
الخصوم عن قواعد الدين وصحة النية والاعتقادات الاسلامية التي يقع بها التعبد فيحيز
القبول وثمرته جميع ذلك الفوز بسعادة الدارين والظفر بما هو كمال في الكونين ففي الدنيا
بانتظام امر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج اليها في ابقاء النوع
الانساني على وجه لا يؤدي الى الفساد وفي الاخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء
الاعتقاد ومسائل القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية واستمداده من الكتاب والسنة

والاجماع

والاجماع والنظر الصحيح **الفائدة الثانية** مما ينبغي ان يعلم ان القواعد الكلامية ما رتبت
هذا الترتيب وبوبت هذا التبويب لتوخذ منها الاعتقادات الاسلامية والقواعد
ليس ص الدينية بل المقصود منها الادفع شبه الخصوم وبعض نهج اهل البدع والضلال فانهم طعنوا
في بعض منها بانه غير معقول فبين علماء السنة بان زعمهم على غاية من الغلط والذهول فان
الانبياء اتوا في محارات العقول لا بمحالاتها ثم بين لهم علماء السنة بالقواعد الكلامية معقوليته
ما انكروا عليهم وزيفوا مذاهبهم الفضيعة ونزغاتهم الشنيعة مما ابتكروا وانما اخذ
اهل السنة الاعتقادات واعتمدوا من المعتقدات على ما جاءت به النصوص الصريحة والاخبار
الصحيحة ودرج عليه سلف الامة ونهج اليه اعلام الائمة من الرعيل الاول ومن على نهجهم دون
سواهم المعقول **الثالثة** اول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الارجاء وبدعة التشيع والخوارج
وهذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون وقد انكروا على اهلها كما سياتي بيانه
ذلك ثم ظهر بدعة الاعتزال ولم ينزل المسلمون على النهج الاول ولزوم ظاهر السنة وما كان عليه
الصحابة رضي الله عنهم الى ان احدثت الفتن بين المسلمين والبغي على ائمة الدين وظهر اختلاف
الاراء والميل الى البدع والاهواء وكثرت المسائل والواقعات والرجوع الى العلماء في المهمات
فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاستنباط النتايج وتمهيد القواعد واتناج القضايا و
الفوائد واخذوا في التبويب والتفصيل والترتيب والتاصيل فاستت فرقة المعتزلة قواعد
الخلاف ونهجت منهج الفرقة والانحراف وكان اول من اعتزل عن مجلس سيد التابعين الحسن البصري
واصل ابن عطاء رئيس الطائفة المعتزلة قال شيخ الاسلام ابن تيمية كان الناس في قديم
الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي وهو اول خلاف حدث في الملة هل هو كافر او مؤمن
فقالت الخوارج انه كافر وقالت الجماعة انه مؤمن وقالت طائفة نقول هو فاسق لا مؤمن
ولا كافر منزلة بين منزلتين وخلدوه في النار فقال الحسن البصري رضي الله عنه اعتزلوا عنا
فاعتزلوا حلقة الحسن واصحابه فسموا معتزلة وسموا انفسهم اصحاب العدل والتوحيد
لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصي على الله ونفي الصفات القديمة عنه وقال
بعض العلماء وقف على مجلس الحسن البصري رجل فقال يا امام ظهر في هذا الزمان جماعة
يكفرون اصحاب الكبيرة يعني بهم الخوارج وجماعة يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع
مع الكفر طاعة يعني بهم المرجئة فما تعتقده من ذلك فاطرق الحسن مفكرا في الصواب فبادره واصل

ابن عطا بالجواب فقال انا لا اقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا وقام الى اسطوانة
في المسجد يقرر مذهبه ويثبت المنزلة بين المنزلتين ويقول الناس ثلاثة مؤمن وكافر ولا مؤمن
ولا كافر وهو صاحب الكبيرة اذا مات بلا توبة فقال له الحسن اعتزل عنا واصل فسموا المعتزلة
لذلك ورفيق واصل في الاعتزال وقرينه عمرو بن عبيد المتكلم الزاهد وكان من العلم والعمل
والزهد والورع والديانة على جانب عظيم حتى ان الحسن البصري لما سئل عنه اجاب السائل لقد
سألت عن رجل كان الملائكة اذ بته وكان الانبياء ربته ان قام بامر قعد به وان قعد بامر قام به
وان امر بشيء كان الزم الناس له وان نهى عن شيء كان اترك الناس له ما رايت ظاهر الشيء بباطن
ولا باطنا اشبه بظاهره انتهى ويروى ان واصل بن عطا تكلم مرة بكلام ففال عمرو بن عبيد
لو بعث نبي ما تكلم كان يتكلم باحسن من هذا وفصاحة واصل مشهورة وكان يلثغ بالراء فكان
يجتنبها حتى كانها ليست من الحروف ثم خلفه الجبائي وكان الاشعري امام طائفة الاشعرية
من اصحابه ثم فارقه لما ظهر له فساد مذهبه كما هو مشهور والله اعلم الرابعة اهل السنة
والجماعة ثلاث فرق الماتريدية وامامهم الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه والاشعرية وامامهم ابو الحسن
الاشعري رحمه الله والماتريدية وامامهم ابو منصور الماتريدي واما فرق الضلال فكثيرة
جدا وهذا اوان الشروع في المقصود وبالله التوفيق المقدمة في ترجيح مذهب السلف على
غيره من سائر المذاهب وقد قدمنا ما يفيد ان مذهب السلف هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ومن بعدهم من ائمة الدين والديانة والمعرفة والصيانة
والسنة والامانة وانما نسب لامامنا احمد رضي الله عنه لانه انتهى اليه من السنة ونصوص
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما انتهى لغيره وابتلي بالمحنة والرد على اهل البدع اكثر من غيره
فصار اماما في السنة اظهر من غيره ولهذا قال بعض شيوخ المغاربة المذهب لمالك
والشافعي وغيرهما من الائمة والظهور للامام احمد بن حنبل فالذي عليه احمد عليه جميع الائمة
وان زاد بعضهم على بعض في العلم والبيان واظهار الحق ودفع الباطل اعلم فعلا من العلم
وهو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع اي كما هو فيه ايا ومستندها الادراك ما يلقى اليك من
العلوم وما في ضمن المنثور من كلامي والمنظوم هديت جملة معترضة دعائية من
الهداية وهي الدلالة والمراد بها هنا الدلالة الموصلة الى المطلوب بقرينة المقام انه اي
الشان والامر جاء الخبر يعني الحديث المعول عليه في القديم والحديث عن النبي المصطفى

والمجيب

والمجيب المقتفي المخلص المتبع ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم المقفي قال في النهاية هو المولى المذهب
وقد تقفى يقفي فهو مقف بمعنى انه آخر الانبياء المتبعهم فاذا قفى فلانا بعده انتهى وقال
الامام المحقق ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد المقفي الذي قفى على اثار من تقدمه
من الرسل فقفى الله به على اثارهم سبقه منهم وهذه اللفظة مشتقة من القفو يقال قفاه
يقفوه اذا اتاخر عنه خير البشر بل خير جميع الخلق من الانس والجن والملائكة فهو سيد
العالم وصفوة بني آدم وافضل خلق الله وخير مخلوقات الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله
وصحبه اجمعين بان ذا اي هذه الامة المحمدية والملة الاحمدية سوف اي ستفترق فيما بعد
بضعا اي الى بضع وسبعين فرقة والبضع في العدد بالكسر وقد تفتح ما بين الثلاث
الى التسع واذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع فلا يقال بضع وعشرون او يقال ذلك كما في
القاموس وعلى هذا القول جرينا في النظم فيقال بضعة وعشرون رجلا وبضع وعشرون
امراة ولا يعكس اعتقادا اي افتراقهم لاجل الاعتقاد فهو مفعول لاجله وهي ضالة
منحرفة عن الصراط المستقيم والنهج القويم وانما الحق من جميعها طائفة واحدة وهي ما كان
سيرها واعتقادها وفهمها واعتمادها في نهج اي منهج النبي المصطفى اي صفوة خلق الله
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويقال ادم من اسمائه صلى الله عليه وسلم المصطفى وهو مشهور ملهوج
به وهو صادق عليه ولائق به قال القاضي عياض في الشفا بعد ان ذكر المأثور من اسمائه
صلى الله عليه وسلم ما لفظه وجرى منها اي القابه وسمائه في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه
واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى وبالمجتبى وبالحبيب
صلى الله عليه وسلم والله اعلم ومن كان منهم في نهج صحبه رضوان الله عليهم اي من كان على مناهجهم وسار
بسيرهم من اقتفاء الرسول في اتباع المنقول من غير زيغ اي من غير ميل ولا انحراف ولا شك
ولا انصراف ومن غير حيفا بالجيم اي من غير جنا في عهدهم وازالة نهجهم والحيف نقيض الصلة
ويقصر ويصح ان يقرا بالخاء المعجمة ويكون المعنى من غير ميل ولا كتم وستر والخافية صند
العلانية والمسار اليه في البيتين هو ما رواه سيدنا الامام احمد من حديث معاوية رضي الله عنه
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين
وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار
وواحدة في الجنة وهي الجماعة ورواه ابو داود وزاد فيه وانه سيخرج في امتي اقوام تتجارى بهم الاهواء

بان ذا الامة ستفترق بضعا وسبعين اعتقادا والحق المصطفى ما كان في نهج النبي المصطفى وصحبه من غير زيغ ولا حيف

علم هديت ان مجيء الخبر الصحيح عن النبي المصطفى

كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله قوله الكلب بفتح اللام قال
الخطابي هو داء يعرض للانسان من عضة الكلب قال وعلامة ذلك في الكلب ان يحمر عيناه
ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه فاذا رئى انسانا ساوره وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال
ستفترق امتي ثلاثا وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة او هي ما كان على ما انا عليه
واصحابي قال بعض العلماء هم يعني الفرقة الناجية اهل الحديث يعني الماتريدية والاشعرية
قلت ولفظ الحديث يعني قوله الا فرقة واحدة ينافي التعدد ولذا قلت وليس هذا النص
المذكور عن منبع النور ومصباح الدجور جزما يحتمل المصدرية اي اجزم به جزما او انه
مفعول لاجله اي من جهة الجزم واليقين يخبر اي يستدل به ويوافق في فرقة اي لا يطبق
ويصدق على فرقة من الثلاث وسبعين فرقة الا على فرقة اهل الاثر وما عداهم من سائر الفرق
قد حكموا العقول وخالفوا المنقول عن محمد الرسول صلى الله عليه وسلم والواجب ان يتلقى بالقبول فالى
يصدق عليهم الخبر او يطبق عليهم الاثر بنيف وسبعين الاول قال بعض اهل العلم اهل
البدع خمسة يعني من جهة اصولهم كل فرقة تتشعب وتتفرق فرقا شتى احدها المعتزلة
القائلون بان العباد خالقوا اعمالهم ونفوا رؤية الله في الاخرة وقولهم بوجوب الثواب
والعقاب والصلاح والاصلح على الله ومن اصول المعتزلة القول بالعدل وبثبوت المنزلة
بين المنزلتين والتوحيد يعني نفي الصفات كما تقدم وهم عشرون فرقة يضلل بعضهم
بعضا احدها الواصلية اصحاب واصل بن عطا قالوا بالجميع ما ذكر وخطأوا احد الفريقين
من عثمان رضي الله عنه ومعاوية وجوزوا ان يكون سيدنا عثمان رضي الله عنه بين الكفر والايمان
وخلدوه في النار وكذا علي ومعاوية وحكموا بان طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم بعد وقعة
الجمل لو شهدوا على حبة لم تقبل شهادتهم كالمنافقين الثانية العمرية مثلهم الا انهم فسقوا
كلا الفريقين الثالثة الهذيلية اصحاب ابي الهذيل العلاف قالوا بفناء مقدورات الله من الجنة
والنار وان العباد مجزيون فيها في الاخرة وهذا اسم المعتزلة لان ابا الهذيل جهمي الاخرة وان الله
عالم بعلم وقادر بقدرة كلاهما عين ذاته مريد بارادة لا هي ذات متكلم بكلمة كن لا هي ذات
وهو يوافق قول جهم في بعض الوجوه وان كان المعتزلة كلهم جهمية قال شيخ الاسلام
ابن تيمية اول من حفظ عنه انه قال مقالة التعطيل للصفات هو الاسلام الجعد بن درهم
الذي ضحى به خالد القسري واخذها عنه الجهم بن صفوان واظهرها فنسبت اليه وقد قيل

ان الجعد اخذ مقالته عن ابان بن سمعان واخذها ابان عن طالوت ابن اخت لبيد بن الاعصم واخذها
طالوت من لبيد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا
فيما قيل من اهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا اهل دين النمرود بن
الكنعانيين والنمرود هو ملك الصابئة المشركين اسم جنس كسرى لملك الفرس وقيصر لملك
الروم وكان الصابئون هؤلاء يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل فمذهب النفاة منهم هؤلاء
يقولون ان الرب تعالى ليس له الا صفات سلبية او اضافية او مركبة منهما واخذها الجهم ايضا
فيما ذكره الامام احمد عن السمنية وبعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون دين العلوم ما سوى
الحسيات قال شيخ الاسلام فهذه اسانيد الجهم ترجع الى اليهود والنصارى والصابئين
والمشركين والفلاسفة الضالين اما من الصابئين واما من المشركين الى الرابعة النظامية
اصحاب ابراهيم بن سيار النظام قالوا لا يقدر على ان يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح لهم فيه
وان لا يزيد وينقص من ثواب وعقاب وكونه مريدا لفعله كونه خالقا ولفعل العبد
كونه آمرا به والانسان هو الروح والبدن والاعراض وهي اجسام لا تبقى والجسم مؤلف
من الاعراض والعلم والجهل المركب مثلا بالايمان والكفر كذلك وان الله خلق الخلق دفعة
والتقدم والتاخر في الكون والظهور ونظم القرآن ليس بمعجز والتواتر يحتمل الكذب والاجماع
والقياس ليس بحجة واوجبوا النص على الامام وثبوته لعلي لكن كفر عمر لخامسة وهم اصحاب
الاسواري زادوا واعلم من قبلهم ان الله لا يقدر على ما اخبر بعدمه او علم عدمه والانسان قادر
على ما اخبر بعدمه او علمه السادسة الاسكافية اصحاب ابي جابر الاسكافي قالوا الله لا
يقدر على الظلم على العقلاء لكن على الصبيان والمجانين السابعة الجعفرية اصحاب جعفر
ابن مبشر وابن حرب زادوا وانه في فساق الامة من هو شر من الزنادقة والمجوس والاجماع على حد
الشرب حظا وسارق الحبة متخلع عن الايمان الثامنة البشرية اصحاب بشر ابن المعتمر
قالوا الاعراض من الطعوم والروائح وغيرها متولدة والقدرة بسلامة البنية والله قادر
على تعذيب الطفل ظالما التاسعة المردارية وهم اصحاب ابي موسى عيسى بن صبيح المردار
تلميذ بشر قالوا ان الله قادر على الظلم والكذب ووقوع فعل بين فاعلين تولد والناس قادرون
على مثل القرآن واحسن منه ويكرهون لقائل بخلق الاعمال والرؤية العاشرة الهشامية اصحاب
هشام ابن عمر قالوا لا يطلق اسم الوكيل على الله تعالى استدعائه موكلا ولا دلالة في القرآن على الحلال والحرام

والامامة لا تنعقد مع الاختلاف والجنة والنار لم تخلقا بعد ولم يقتل عثمان رضي الله عنه ومن افسد
صلاة عقدها بشروطها فاولى صلاته معصية الحادية عشر الصالحية وهم اصحاب الصالح جوزوا
قيام السمع والبصر والعلم والقدرة بالميت واخلوا الجواهر عن الاعراض الثانية عشر الحائطية
اصحاب احمد بن حائط اصحاب البطال قالوا للعالم الها قديم ومحدث والمسيح هو الذي يحاسب
الناس في الآخرة الثالثة عشر اصحاب فضل الحدثي زادوا التناسخ وان كل حيوان مكلف
بل قيل في كل نوع من الحيوان نبي من جنسه الرابعة عشر المعمرية اصحاب معمر بن عباد السلمي قالوا
ان الله لا يخلق شيئا غير الاجسام ولا يوصف بالقدم ولا يعلم نفسه والانسان لا يفعل الا غير
الارادة الخامسة عشر الثمامية اصحاب ثمامة ابن اشرس النمري قالوا الافعال المتولدة
لا فاعل لها والمعرفة متولدة من النظر والنظر واجبة قبل الشرع واليهود والنصارى والمجوس
والزنادقة يصيرون مؤمنين ولا يدخلون جنة ولا نارا وكذا البهائم والاطفال والاستطاعة
سلامة الآلة ومن لا يعلم خالقه من الكفار معذور ولا فعل للانسان غير الارادة وما عداها
حادث لا بمحدث والعالم فعل الله بطبعه السادسة عشر الخياطية اصحاب ابي الحسن
ابن ابي عمر الخياط قالوا بالقدرة وتسمية المعدوم شيئا وجوهرا وعرضا وقالوا عن ارادة الله
كونه غير مكره ولا كاره وهي في فعله الخلق وفي فعل العباد الامر والسمع والبصر العلم تتعلقها
السابعة عشر الجاحظية اتباع عمرو الجاحظ ابو عثمان ابن بحر البصري المتكلم صاحب
التصانيف في كل فن وكان تلميذا لابي اسحق ابراهيم ابن سيار البلخي المتكلم الذي تقدم ذكره
قالوا المعارف كلها ضرورية ولا ارادة في الشاهد والاجسام ذوات طبايع ويمتنع
انعدام الجواهر والنار تحتذب اليها اهلها الا ان الله يدخلهم فيها والخير والشر من فعل العبد
والقرد بجسد يغلب تارة رجلا وتارة امرأة الثامنة عشر الكعبية اصحاب ابي القاسم
عبد الله الكعبي قالوا فعل الرب واقع بغير ارادة ولا يرى نفسه ولا غيره الا بمعنى العلم
التاسعة عشر الجبائية وهم شيعة ابي علي الجبائي قالوا الارادة لله حادثة لا في محل والعالم
يفنى فناء لا في محل والله متكلم بكلام يخلقه في جسم ولا يرى في الآخرة والعبد خالق لفعله
ومرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر وان مات بلا توبة يخلد في النار ولا كرامة للاولياء وواجب
على الله اكمال العقل للمكلف واعداد اسباب التكليف له من بعث الرسل والمعجزة على يديه
وشاركه ابنه له يعني ابا علي وهو ابو هاشم وانفرد ابو علي بان الله عالم بلا صفة وسمعه وبصره

كونه

كونه حيا بلا آفة العشرون الهاشمية فرقة ابي هاشم قالوا الا قوة عرض كبيرة مع الاصرار على غيرها
اذا كان عالما بقبحها ولا مع عدم القدرة عليها ولا يتعلق علم عالم من على التفصيل واثبت لله
خمس حالات الحيية والعالمية والقادرية والموجودية والالهية موجبة للاربعة فهذه العشرون
فرقة المشهورة من فرق اهل الاعتزال وكلها متصفة بالبدع والضلال الفرقة الثانية الشيعة
الشيعة وافترقت الى اثنين وعشرين فرقة واصول ذلك كله ثلاث فرق غلاة وامامية وزيدية
اما الغلاة فافترقت ثمانية عشر فرقة يكفر بعضها بعضا احدها السبائية وهم اتباع عبد الله
ابن سبا الذي قال لامير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انت الاله حقا فاحرق من اصحاب
هذه المقالة فرقد عليه منهم فحفر لهم اخاديد واحرقهم بالنار وقال اني اذا سمعت قولا منكرا
اوقدت ناري ودعوت قنبرا قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وابن سبا هذا
اول من ابتدع الرفض قال وكان منافقا زنديقا اراد افساد دين الاسلام كما فعل بولص صاحب
الرسائل التي بايدي النصارى حيث ابتدع لهم بدعا افسدها دينهم وكان يهوديا فاظهر النصرانية
نفاقا لقصد افساد ملتهم وكذلك كان ابن سبا يهوديا فقصد ذلك وسعى في الفتنة فلم
يتمكن لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة فقتل فيها عثمان ابن عفان رضي الله عنه وتبع ابن سبا
جماعات على بدعته وضلالته وقال لهؤلاء ان عليا رضي الله عنه لم يمت وانما الذي قتله
عبد الرحمن بن ملجم شيطانا واما علي ففي السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل
الى الارض ويملأها عدلا ويقول عند الرعد عليك السلام يا امير المؤمنين الثانية
الكاملية وهم اتباع ابي كامل قالوا بكفر الصحابة رضي الله عنهم بترك بيعة علي وبكفر علي بترك
طلب حقه ويعتقدون التناسخ واذا الامامة نور يتناسخ وقد يصير في شخص نبوة
الثالثة البنانية اصحاب بنان ابن سمعان التميمي قالوا الله تعالى على صورة انسان و
يهلك الا وجهه وروح الله حل في علي ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في ابنه ابي هاشم ثم في بنان
الرابعة المغيرية وهم اتباع المغيرة بن سعيد العجلي قالوا الله جسم على صورة انسان
من نور وقلبه منبع الحكمة ولما اراد الخلق تكلم بالاسم الاعظم فطار فوقع تاج على راسه ثم كتب
على كفه اعمال العباد فغضب من المعاصي فعرق فحصل منه بحران احدهما ملح مظلم والاخر حلو
نير ثم اطلع في البحر الملح فابصر ظله فانتزعه فجعل منه الشمس والقمر وافنى الباقي ثم خلق الخلق
بين البحرين فالكفر من الظلم والايمان من النور ثم ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم والناس في ضلال
وعرض الامانة وهي منبع الاعمال على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها

وحملها الانسان قالوا وهو ابو بكر وحملها بامر عمر بشرط ان يجعل الخلافة له بعده قالوا والامام المنتظر
زكريا بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه وهو حي في جبل حاجر اخاه الخاحيه
وهم المنسوبون الى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين قالوا الارواح تتناسخ فكان
روح الله في آدم ثم في شيث ثم في الانبياء والائمة حتى انتهت الى علي واولاده الثلاثة ثم الى عبد الله
قالوا وهو حي بجبل اصبهان وانكروا القيامة واستحلوا المحرمات السادسة المنصوريه
وهم اتباع ابي منصور العجلي قالوا الامامة صارت لمحمد بن علي بن الحسين وعرج الى السماء ومسح
الله راسه بيده وقال يا بني اذهب وبلغ عني قالوا والرسل لا تنقطع واجنة رجل امرنا بموالاته
وهو امام والنار رجل امرنا بعداوته وكذا الفرائض والمحرمات السابعة الخطابيه وهم اتباع
ابي الخطاب الاسدي قال الائمة انبياء وادعى الفبوة لنفسه وقال الحسنان رضي الله عنهما ابنا الله
وجعفر اله لكن ابو الخطاب افضل منه ومن علي ويستحلون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم
قالوا والجنة نعيم الدنيا والنار آلامها واستباحوا المحرمات وتركوا الفرائض قالوا ويمكن ان
يوحى الى كل مؤمن ومنهم من هو خير من جبريل وميكائيل وهم لا يموتون بل يرفعون الى الملكوت
الثامنه الذميه الذين ذموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا نعلم الا بعثه ليدعو له فدعى
الى نفسه وقد قيل عند هؤلاء بالهيتهما ولهم هنا في القديم خلاف وقد قيل عندهم هما و
لحسنا وفاطمة آلهة وهم يقولون فاطم ولا يقولون فاطمة تحاشيا عن التانيث
التاسعة الغرابيه وهم الذين قالوا لمحمد اشبه بعلي من الغراب بالغراب فغلط جبريل
من علي الى محمد بالرسالة العاشرة الهاشميه وهم اتباع هشام ابن الحكم قالوا ان الله جل شانه
طويل عرضه عميق متساو كالسبيكة البيضاء تتلالا لام كل جانب وله لون وطعم ورائحة
ويقوم ويقعد ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه اليه وهو سبعة اشبار باشبار
نفسه مماس للعرش بلا تفاوت وارادته هي حركة لا عينه ولا غيره وانما يعلم الاشياء بعد كونها
يعلم القديم والحديث وكلامه صفة له لا مخلوق ولا قديم والاعراض لا تدل على الباري
والائمة دون الانبياء الحادية عشر الزرارية وهم اتباع زرارة ابن اعين قالوا صفات الله
حادثة ولا حياة قبل الصفات ولهم اقوال خبيثة جدا الثانية عشر اليونسية وهم اتباع
يونس بن عبد الرحمن القمي قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات كان يونس على مذهب
الفطحية في الامامة ثم افرط في التشبيه فقال ان الله تعالى يحمله حملة عرشه وهو اقوى منهم

كما ان

كما ان الطائر المعروف بالكركي تحمله رجلاه وهو اقوى من رجليه واستدل بقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية وهذا الاستدلال حظ امنه فان الاية مصرحة بان العرش هو المحمول الثالثة عشر
النعمانية وهم اتباع محمد بن النعمان قال ان الله نور غير جسماني على صورة انسان وانما يعلم الاشياء
بعد حدوثها الرابعة عشر الرزاميه قالوا الامامة لمحمد بن الحنفيه ثم لابنه عبد الله ثم لمحمد بن علي
ابن عبد الله بن عباس ثم لاولاده الى المنصور ثم حل الالنه الى مسلم وانه لم يقتل واستحلوا المحارم
الخامسة عشر المفوضة قالوا الله تعالى فوض خلق العالم الى محمد صلى الله عليه وعليهم السادسة عشر
البدائيه جوزوا البدا على الله السابعة عشر النصيريه قالوا ان الله تعالى حل في علي رضي الله عنه
الثامنة عشر الاسماعيليه ويلقبون بالباطنيه لقولهم بباطن الكتاب واصل دعوتهم مبنية
على ابطال الشرايع وانتقاض الدين فاول قوم ظهر من المجوس راموا عند ظهور الفتن واختلاف
الكلمة وتباين الدول كسر شوكة الاسلام وانتقاض عرى الدين ولم يمكنهم التصريح بذلك ولا
اعلان ما قصدوه من الافك والمهالك فاخذوا في تاويل الشريعة على وجه يعود الى قواعد
اسلافهم ورأسهم في ذلك حمدان قرمط ومنهم بل صاحب دعوتهم ابو سعيد الجنابي فظهر على
البحرين واجتمع على جماعة من الاعراب القرامطه فقوي امره وقتل من حوله من اهل تلك القرى
ثم قتل ابو سعيد سنة احدى وثلاثمايه قتله خادم له في الحمام وقام مقامه ولده ابو طاهر
سليمان ابن ابي سعيد الحسين ابن بهرام القرمطي وكان قد استولى على هجر والقطيف والطايف
وسائر بلاد البحرين فلما كان عام سبع عشرة وثلاثمايه وافى حجاج المسلمين ابو طاهر القرمطي
بمكة يوم التروية فنهب اموال الحجاج وقتلهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت الحرام و
قلع الحجر الاسود وانفذه الى هجر وطرح القتلى في بئر زمزم وقلع الكعبه باب الكعبه والقرمط
بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة وكان ابو سعيد المذكور قصيرا مجتمع
الخلق اسم كريه المنظر فلذلك قيل له قرمطي والجنابي بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الالف
موحدة نسبة الى جنابه وهي بلدة من اعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف والقرامطه
منها فنسبوا اليها ولهم في دعوتهم مراتب الزرق وهو التوقف في حال المدعو هل هو قابل
ام لا ولذلك منعوا الفاء والبذر في السبخة والتكلم في بيت فيه سراج او فقيه ثم التانيس
باستعمال كل احد بما يميل اليه من زهد ثم التشكيك في اركان الشريعة بمقطعات السور وقضاء
صوم الحايض دونه واصلاتها والغسل من المني دون البول لتعلق القلوب بمراجعتهم فيما

الزرق خ

ثم الربط وهو اخذ الميثاق ممن يحسن اعتقاده انه لا يفشي عنهم شيئا وهو النص على الامام في كل ما اشكل عليه
ثم التدليس وهو دعوى موافقة اكابر الدين لهم حتى يزداد ميلهم ثم التاسيس وهو تمهيد
مقدمات يعقلها المدعو ثم الخلع وهو الطمانينة الى اسقاط الافعال البدنية ثم السلخ
عن الاعتقادات وحينئذ يأخذ في الاباحة واستحلال اللذات وتاويل الشريعة
قال شيخ الاسلام ابو العباس تقي الدين ابن تيمية روح الله روحه ذكر الكاشفون للاسرار
القرامطة والباطنية الاسماعيلية وامثالهم كالقاضي ابي بكر ابن الطيب والقاضي ابي يعلى وطوائف كثيرة
ما وجدنا مصداقه في كتب القرامطة انهم وضعوا لانفسهم اصطلاحات روجوها على
المسلمين ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئين والمجوس الثنوية كقولهم
السابق والتالي يعنون به العقل والنفس ويقولون هو اللوح والقلم واصل دينهم ماخوذ من دين
المجوس والصابئين ومن مذهبهم ان الله تعالى لا موجود ولا معدوم وربما خلطوا الكلام
بكلام الفلاسفة وقد دخل كثير من هذه القرامطة في كلام كثير من المتصوفة كما دخل في كثير
من المتكلمة قال شيخ الاسلام ابن تيمية وكتاب رسائل اخوان الصفا اصل مذهب
القرامطة الفلاسفة وربما نسبوا هذا الكتاب بالافتراء الى جعفر الصادق ليجعلوه ميراثا
عن اهل البيت قال وهذا من اقبح الكذب واوضحه فانه لا نزاع بين العقلاء ان رسائل اخوان
الصفا انما صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه قريبا من بناء القاهرة المعزية ودولة
العبيدة الحاكمة المنتسبين لاهل البيت الملقبين بالفاطمية من هذا النمط فان ظاهر مذهبهم
الرفض وباطنهم الكفر المحض ومن فرقهم الدرزي والنصاهنة والحمزاوية واضرابهم وهؤلاء
من اكفر الناس وبالله التوفيق واما الزيدية فانهم ينتسبون للسيد الشريف زيد بن علي
زين العابدين بن الحسين الشهيد كربلا ابن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم
وكان زيدا عالما شجاعا مقداما وكان قد بايعه جموع من الشيعة ثم قالوا له تبرا
من الشيخين يعنون ابا بكر وعمر فقال معاذ الله وزيرا جدي فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه
فسموا الرافضة والنسبة رافضي ثم انقسموا ثلاث فرق الاولى الجارودية
اصحاب ابي الجارود قالوا بالنص على علي رضي الله عنه والصحابة كفروا بترك الغدر والخلافة بعد
الحسن والحسين شوري في اولادهما فمن خرج منهم بالسيف وهو عالم شجاع فهو امام
واختلفوا في المنتظر انه محمد بن عبد الله ولم يقتل او محمد بن القاسم او يحيى بن عمر صاحب الكوفة

الثانية

الثانية السليمانية شيعة سليمان ابن جرير قالوا الامامة شورى وانما تنعقد برجلين من خيار
المسلمين وابو بكر وعمر امامان وان اخطأت الامامة في البيعة لهما وكفروا عثمان وطلحة والزبير و
عائشة الثالثة البترية اصحاب بتر التوصي قالوا بنحو قول من قبلهم الا انهم توقفوا في كفر عثمان رضي الله عنه
واما الامامية فقالوا باتباع الاثني عشر اماما وهم علي والحسن والحسين وزين العابدين
علي ابن الحسين والباقر محمد بن علي زين العابدين وجعفر الصادق ابن محمد الباقر وموسى الكاظم بن جعفر
الصادق وعلي الرضي بن موسى الكاظم ومحمد الجواد بن علي الرضي وعلي الهادي بن محمد الجواد وحسن العسكري
ابن علي الهادي ومحمد بن الحسن الحجة فالامامية هم القائلون بزعمهم بقول هؤلاء الائمة الابرار رضوان الله
عليهم وسلامه ما تعاقب الليل والنهار فقالت الامامية بالنص الجلي على امامة امير المؤمنين
علي رضي الله عنه وكفروا الصحابة بمخالفته وساقوا الامامة الى جعفر الصادق ثم اختلفوا في المنصوص
عليه بعده وتشعب متاخروا الامامية الى معتزلة ومشبهة ومفضلة والله تعالى اعلم
الفرقة الثالثة الخوارج وهم الذين خرجوا على امير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
وفارقوه بسبب التحكيم وكانوا اثني عشر الفا فارسل اليهم ابن عباس رضي الله عنه فجادلهم ورجع
فرجع بعضهم واصر على المخالفة فاخرجوه وقالت فرقة ننظر ما يصدر مما علي من امر التحكيم فان
انفذه افتنا على مخالفته ثم انهم اعلنوا الفرقة واخذوا في مذهب مستقل برايهم وقد ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلها اولى الطائفتين بالحق فقتلهم
علي وطائفته وقال صلى الله عليه وسلم في حق الخوارج المارقين يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم
وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام
كما يمرق السهم من الرمية اينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا عند الله تعالى من قتلهم
يوم القيامة وقد روى مسلم احاديثهم في صحيحه من عشرة اوجه واتفق الصحابة على قتالهم
وفرح علي رضي الله عنه بقتلهم واخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر به ولما قيل لعلي رضي الله عنه الحمد لله
الذي ازاح منهم العباد قال كلا والذي نفسي بيده ان منهم لفي اصلاب الرجال وارحام النساء ولن
يكون مع الدجال ثم انهم تشعبوا الى سبع فرق الاولى المحكمة الذين خرجوا على امير المؤمنين علي
رضي الله عنه عند التحكيم وكفروه وهم اثنا عشر الفا قالوا لا امر نصبه من قريش وغيرهم وعدل فهو امام
ولم يوجبوا نصب امام وكفروا عثمان واكثر الصحابة وكل مرتكب للكبيرة الثانية البيهسية
اتباع بيهس واسمه الهيصم بن جابر كما في القاموس قالوا الايمان هو العلم بالله تعالى وما جاء به الرسول

صلى الله عليه وسلم فمن وقع فيما لا يعرف انه حلال ام حرام فهو كافر لوجوب التحرز عنه وقيل لا حتى يرجع
الى الامام فيجدده وما لا حد فيه فغفور وقيل اذا كفر الامام كفرت الرعية حاضرا كان او غائبا
والاطفال كابائهم ايمانا وكفرا **الثالثة** الازارقة اتباع نافع ابن عبد الله ابن الازرق الخارجي باللعين
وقد خرج معه قوم من البصرة والاهواز وغيرهما من بلاد فارس وغيرها وعظمت شوكتهم وقتلوا
الامصار وكانت له اراء ومذاهب دانوا بها منها انه كفر عليا رضي الله عنه بسبب التحكيم
وزعم ان قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله الاية نزلت في حقه وزعم انه نزل في حق عبد الرحمن بن ملجم
لعنه الله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ومنها انه كفر من لم يقل برايه واستحل
دمه وكفر القعدة عن القتال وبرئ ممن قعد عنه وان مات تائبا كبيرة خرج من الاسلام
وكان مخلدا في النار مع سائر الكفار وحرم التقية وجوز قتل اولاد المخالفين لهم ونساءهم
وقال لا حد للقذف ولا للزنا **الرابعة** النجدية اتباع نجدة بن عامر الحنفي قالوا لا حاجة
الى الامام ويجوز نصبه ووافقوا الازارقة في التكفير **الخامسة** الاصفرية وهم اتباع زياد
ابن الاصفر خالفوا الازارقة في تكفير القعدة ووقع منع الحد على الزنا وفي اطفال الكفار وقالوا
المؤمنة من الكافر في دار التقية دون العلانية **السادسة** الاباضية اتباع عبد الله ابن
اباض قالوا مخالفونا كفار غير مشركين يجوز مناكحتهم وتقبل شهادتهم فيما لفيهم عليهم و
مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة وتوقفوا في اولاد الكفار وفي النفاق انه هو شرك ام لا و
جوازوا بعثة الرسل بلا دليل وتكليف اتباعه وكفروا عليا واكثر الصحابة رضي الله عنهم وافترقوا
اربع فرق الاولى الحفصية اتباع ابي حفص ابن ابي المقدام زادوا ان الايمان هو الشرك
معرفة الله فمن كفر بامر سوى الشرك او بارتكاب كبيرة فكافر لا مشرك **الثانية** اليزيدية
قالوا سيبعث نبي من العجم بكتاب يكتب من السماء ويترك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم **الثالثة** الحارثية اتباع ابي الحارث الاباضي خالفوا في العذر والاستطاعة قبل
الفعل **الرابعة** القائلون باستطاعة لا يراد بها الله **السابعة** المجاردة اتباع عبد الرحمن
ابن مجرد زاد واعلى النجدية وجوب دعوة الطفل الى الاسلام اذا بلغ واطفال المشركين في النار
وتسعة من فرقهم احدى عشرة فرقة الاولى الميمونية اصحاب ميمون بن عمران قالوا بالقدر و
الاستطاعة قبل الفعل والله يريد الخير دون الشر ولا يريد المعاصي واطفال الكفار في الجنة

وهم

وهم اعتقادات سبعة **الثانية** الحمزية اتباع حمزة ابن ادرك ووافقوهم الا انهم قالوا اطفال الكفار
في النار **الثالثة** الشعيبية اتباع شعيب بن محمد هم كالميمونية الا في القدر **الرابعة** الحازمية
وهم اصحاب حازم ابن عاصم وافقوا اصحاب خلف والاطرافية عذروا اهل الاطراف فيما لم يعرفوه
ووافقوا اهل السنة في اصولهم ونفوا القدر **الخامسة** المعلومية كالحازمية الا ان المؤمن عندهم
من عرف الله بجميع اسمائه وفعل العبد مخلوق لله تعالى **السادسة** المجهولية قالوا لا تكفي معرفة الله ببعض
اسمائه وفعل العبد له **السابعة** الصلتية وهم اصحاب عثمان ابن ابي الصلت هم كالمجاردة لكن
قالوا من اسلم واستجار بنا تولينا ه وبرئنا ه من اطفاله **الثامنة** التغلبية اصحاب تغلب ابن عامر
قالوا بولاية الاطفال ونفل عنهم ان الاطفال لا حكم لهم ويرون اخذ الزكاة من العبيد اذا استغنوا
واعطاؤها الى العبيد اذا افتقروا ثم افترقوا اربع فرق احدها الاخنسية اصحاب الاخنس
ابن فليس وهم كالتغالبة الا انهم توقفوا في اهل دار التقية الا من علم حاله وحرموا الاغتيال بالقتل
والسرقة ونقل عنهم تزويج المسلمات من مشركي قومهم **والمعبدية** اصحاب معبد ابن عبد الرحمن
خالفوهم في التزويج من المشركين وخالفوا التغالبة في زكاة العبد **والشيبانية** اصحاب
شيبان ابن سلمة قالوا بالجبر ونفوا القدرة **والمكرمية** اصحاب مكرم العجلي قالوا تارك الصلاة
كافر لجهله بالله وكذا كل كبيرة كفر فاذا فرق الخوارج عشرة والله اعلم **الفرقة الرابعة**
المرجئة لقبوا بذلك لانهم يرجون العمل عن النية ولما عتقاد اي يؤخرونه او انهم يقولون لا يضر
مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم ست فرق **الاولى** اليونسية قالوا الايمان
المعرفة بالله والخضوع له والمحبة ولا يضر معها ترك طاعة وابليس كان عارفا بالله وانما كفر
باستكباره **الثانية** العبيدية اصحاب عبيد المكتب زادوا ان الله علم الله لم يزل شيئا غيره
وانه على صورة الانسان **الثالثة** الغسانية اصحاب غسان الكوفي قالوا الايمان هو المعرفة
بالله ورسوله وبما جاء من عندهما اجمالا وهو لا يزيد ولا ينقص وعنوا بالاجمال جواز ان يقال
ان الله تعالى فرض الحج ولا ادري اين الكعبة لعلها في غير مكة او يقال بعث محمدا ولا ادري اهو الذي
بالمدينة ام لا **الرابعة** الثوبانية وهم اصحاب ثوبان المرجي قالوا الايمان هو المعرفة والاقرار
بالله ورسله وما لا يحوز في العقل ان يفعله ولو عفى عن عاص لعفى عما كان منه وهو مثله وكذا لو اخرج
واحدا من النار ولم يجز عندهم خروج المؤمن من النار **الخامسة** التومنية وهم اصحاب ابي معاذ
التومني قالوا الايمان المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار وترك بعضه كفر وليس

بعضه ايمان وكل معصية يجمع على انها كفر يقال لمرتكبها فسق وعصى لا فاسق ولا عاصي ومن قتل نبيا
او لطمه فقد كفر لانه دليل تكذيبه وهذه هي المرجئة الخالصة ومنهم من جمع بين الارجاء والقدر
كمحمد بن شبيب وغيلان الدمشقي قال الاوزاعي اول من تكلم في القدر معبد الجهني ثم غيلان
السادسة النجارية وهم اصحاب محمد بن الحسين النجار وافقوا اهل السنة في خلق الافعال
واثبات الاستطاعة مع الفعل والعبد مكتسب ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات وحدوث
الكلام وفرقهم ثلاث البرغوثية قالوا الكلام اذا قرئ عرض واذا كتب جسم والزعفرانية
قالوا كلام الله غيره وكلما هو غيره مخلوق ومن قال كلام الله مخلوق فقد كفر والمستدركة
استدركوا عليهم وقالوا انه مخلوق مطلقا لكنا وافقنا السنة والاجماع في نفيه وقالوا اقوال
مخالفينا كذب حتى قولهم لا اله الا الله **الفرقة الخامسة الجبرية** الذين يقولون اننا مجبورون
على افعالنا ويسندون الافعال الى الله تعالى فمنهم متوسط يسند الفعل الى الله ويثبت للعبد
كسبا وخالصة لا تثبت للعبد شيئا كالجهمية اصحاب الجهم ابن صفوان قالوا لا قدرة للعبد
اصلا والله سبحانه وتعالى يعلم الشيء قبل وقوعه وعلم تعالى حادث لا في محل ولا يوصف بما يوصف
غيره كالعلم والقدرة والارادة والجنة والنار يفنيان ووافقوا المعتزلة في نفي الرؤية وخلق الكلام
واوجبوا المعرفة بالعقل وقول الجهمية من اعظم مقالات اهل الالحاد والضلال باتفاق سلف
الامة وائمتها حتى ان الامام عبد الله بن المبارك لما سئل عن الاثنتين وسبعين فرقة اجاب
بان اصولها اربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية فقيل له فالجهمية فقال ليست الجهمية
من امة محمد صلى الله عليه وسلم وكان يقول انا لا نستطيع ان نحكي قول اليهود والنصارى ولا
نستطيع ان نحكي قول الجهمية فانها تارة تقول بالحلول وتارة قولها التعطيل انتهى وقال
شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته الحموية اصل مقالة التعطيل للصفات انما اخذ من تلامذة
اليهود والمشركين وضلال الصابئين قال فانه اول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام
الجعد ابن درهم واخذها عنه الجهم ابن صفوان واظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه وقد قيل
ان الجعد اخذ مقالته عن ابان ابن سمعان واخذها ابان عن طالوت ابن اخت لبيد ابن الاعصم
واخذها طالوت من لبيد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد
هذا فيما قيل من اهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة نقايا اهل دين النمرود
الكنعانيين واخذها الجهم ايضا عن السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون العلوم

ما سوى

ما سوى الحسيات فهذه اسانيدهم ترجع الى اليهود والنصارى والصابئة والمشركين والفلاسفة
الضالين والله اعلم **السادسة المشبهة** الذين شبهوا الله تعالى بخلوقاته وقد اختلفوا
في طرق التشبيه فمنهم مشبهة غلاة الشيعة كما تقدم ومنهم مشبهة الحشوية قالوا هو تعالى
من لحم ودم وله اعضاء حتى قال بعضهم لاصحابه لما سألوه اعفوني عن اللحية والفرج وسلوني
عما وراءهما ومنهم مشبهة الكرامية اصحاب محمد عبد الله ابن كرام ابي محمد بن كرام قالوا ان الله
على العرش في جهة العلو ويجوز عليه الحركة والنزول فقيل يملأ العرش واختلفوا ابتعد متناه
او غيره ومنهم من اطلق عليه لفظ الجسم وفي القاموس ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل
بان معبوده مستقر على العرش وانه جوهر تعالى عن ذلك انتهى فسماه محمد والمعروف ان عبد الله بن كرام
نعم لما ساذا ابو بكر محمد بن اسحق بن محمد بن اسحاق كان زعيم اصحاب عبد الله بن كرام وكان في دولة
يمين الدولة وامين الملة محمود بن سبكتكين كبير القدر على الذكر قالوا ويحل الحوادث
في ذاته تعالى وانما يقدر عليها دون الخارجة عن ذاته ويجب عندهم ان يتقدم اول خلقه حيا يصح
منه الاستدلال والنبوة والرسالة صفتان سوى الوحي والمعجزة والعصمة وصاحبا رسول
ويجب على الله ارسال لا غير فهو حينئذ مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس ويجوز عزله دون الرسول
وجوز امامين كعلي ومعاوية الا ان امامة علي على وفق السنة بخلاف معاوية لكن يجب
طاعة رعيته له والايمان قول الذرع الازلي بلى وهو باق في الكل الا المرتدين ولا يخفى ما في عد
هذه الفرقة السادسة والمشهور ان اصول الفرق الضالة سبعة اولها المعتزلة ثم
الشيعة فالخوارج فالمرجئة فالنجارية فالجبرية **المشبهة** **السابعة الثاني**
ذكر ابو حامد العراقي في كتابه التفرقة بين الايمان والزندقة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ستفترق
امتي بضعا وسبعين فرقة كلها في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة هذا لفظ الحديث في بعض الروايات
قال وظاهر الحديث يدل على انه اراد الزنادقة من امته اذ قال ستفترق امتي ومن لم يعترف بنبوته
فليس من امته والذين ينكرون اصل المعاد والصانع فليسوا معترفين بنبوته اذ من عمم ان الكون
عدم محض وان العالم لم يزل كذلك موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة انتهى قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الاسكندرية
قلت اما هذا الحديث فلا اصل له بل هو موضوع كذب باتفاق اهل العلم بالحديث ولم يروه احد
من اهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الحديث الذي في كتب السنن والمسانيد عن النبي صلى الله عليه

موجوده الله قال ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار وروي عنه
انه قال هي الجماعة وفي حديث اخر هي ما كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي وضعفه ابن حزم لكن رواه
الحاكم في صحيحه وقد رواه ابو داود والترمذي وغيرهم قال وايضا لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم
كما لا يوجد في القرآن واما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في توبته قبولا وردا فالمراد به عندهم المنافق الذي
يظهر الاسلام ويبطن الكفر انتهى قلت وقد ذكر الحديث الذي ذكره الغزالي الحافظ ابن الجوزي في
الموضوعات وذكر انه روي من حديث انس ولفظه تفترق امتي على سبعين او احدى وسبعين فرقة
كلهم في الجنة الا فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم قال الزنادقة وهم القدرية اخرجه العقيلي وابن عدي
ورواه الطبراني ايضا قال انس كنا نراهم القدرية قال ابن الجوزي وضعه الاربعة ابن اشرس وكان
وضاعا كذابا واخذه عنه ياسين الزيات فغلب اسناده وخلطه وسرقه عثمان بن عفان القرشي
وهؤلاء كذابون متروكون واما الحديث الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان امته ستفترق الى ثلاث
وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار فروي من حديث امير المؤمنين علي ابن ابي طالب
وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابي الدرداء ومعاوية وابن عباس وجابر وابي امامة وواثلة وعوف
ابن مالك وعمرو بن عوف المزني فكل هؤلاء قالوا واحدة في الجنة وهي الجماعة ولفظ حديث معاوية
ما تقدم فهو الذي ينبغي ان يعول عليه دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخذ
يذكر بعض ما عليه اهل الفرقة الناجية فقال فافهم اي لما ترى من الفرقة الناجية اتباع النصوص
القرآنية والاحاديث النبوية متمسكين بالتنزيه لله سبحانه وتعالى من غير تعطيل للصفات
الواردة في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وهو نفيها عنه تعالى فان المعطلين لم يفهموا
من اسماء الله تعالى وصفاته الا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فجمعوا بين
التمثيل والتعطيل فمثلوا اولا وعطلوا اخرا هذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من اسمائه وصفاته
بالمفهوم من اسماء خلقه وصفاتهم فعطلوا ما يستحقه سبحانه وتعالى من الاسماء والصفات
اللائقة به عز وجل بخلاف سلف الامة واجلاء الائمة فانهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما
وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تشبيه تعالى الله عن ذلك
فانه تعالى قال في محكم كتابه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فرد على المشبهة بنفي المثلية ورد
على المعطلة بقوله وهو السميع البصير واعلم ان قدماء المعتزلة كابي علي الجبائي وابنه ابي هاشم
ذهبوا الى ان المماثلة هي المشاركة في اخص صفات النفس فمماثلة زيد لعمرو عندهم مشاركته اياه

في الناطقية

في الناطقية فقط وذهب الماتريدية الى ان المماثلة هي المشاركة في الصفات النفسية كالحيوانية
والناطقية لزيد وعمرو قالوا ومن لازم الاشتراك في الصفة النفسية امران احدهما الاشتراك
فيما يجب ويجوز ويمتنع وثانيهما ان يسد كل واحد منهما مسد الآخر وينوب الاخر عنه فمن ثم يقال
المثلان موجودان اشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع او موجود ان يسد كل واحد منهما مسد الاخر
والمتماثلان هما اشتركا في الصفات النفسية لكن لا بد من اختلافهما بجهة اخرى ليستحق التعدد
والتمايز فيصح التماثل ونسب الى الاشعري انه يشترط في التماثل التساوي في كل وجه واعترض
بانه لا تعدد حينئذ فلا تماثل وبانه اهل اللغة مطبقون على صحة قولنا زيد مثل عمرو في الفقه اذا كان
يساويه فيه ويسد مسده وان اختلفا في كثير من الاوصاف وفي الحديث الخطة بالخطة مثلا
بمثل اراد به الاستواء في الكيل كالوزن وعدد الحبات واوصافها وكما يخفى انه من الممكن ان يقال
المراد التساوي في الوجه الذي به التماثل فزيد وعمرو اذا اشتركا في الفقه وكانا بينهما مساواة
فيه بحيث ينوب احدهما عن الاخر يصح القول بانهما مثلان فيه والا فلا وكل هذا مغالطة و
تمويه ليس شيء منه مما نحن فيه فكلما جاء عن الله عز وجل في القرآن العظيم من الايات القرآنية
او صح مجيئه في الاخبار بالاسانيد الثابتة المرضية عن رواة ثقاة في النقل وهم العدول
الضابطون المرضيون عند اهل الفن العارفين بالجرح والتعديل من الاحاديث الصحاحية
والآثار الصريحة مما يوهم تشبيها او تمثيلا فهو من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله نؤمن به وبانه من
عند الله تعالى ونمره كما قد جاء عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما وصفه به السابقون
الاولون لا يتجاوز القرآن والحديث قال الامام احمد رضي الله عنه لا يوصف الا بما وصف به نفسه
ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والحديث فمذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف
به نفسه وبما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تكييف وهو سبحانه وتعالى ليس كمثله
شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وكلما اوجب نقصا او حدوثا فالله تعالى منزه عنه حقيقة
فانه تعالى يستحق الكمال الذي لا غاية فوقه ومذهب السلف عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه
وتفويض علمه الى الله تعالى قال حبر القرآن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما هذا من المكتوم الذي لا
يفسر فالواجب على الانسان ان يؤمن ظاهره ويكل علمه الى الله وعلى ذلك مضت ائمة السلف
كالزهري ومالك والاوزاعي وسفيان الثوري والليث ابن سعد وعبد الله ابن المبارك والامام
احمد واسحق فكل هؤلاء رضي الله عنهم يقولون في الايات المتشابهة مروها كما جاءت قال سفيان بن عيينة

فكلما جاء من الآيات تشابهت او صح في الاخبار عن ثقاة من الاحاديث ثم وكما قد جاء فاسمع من موثق

فوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم

ما تشابه النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه

وناهيك به كل ما وصف الله نفسه في كتابه فتفسيره قرأته والسكوت عنه ليس لاحد ان يفسره الا الله
ورسوله فهذا مذهب سلف الامة وفضلاء الائمة رضي الله عنهم فلهذا قلت فاسمع سماع اذعان
وتفهيم وامتثال وتعليم من منطوق نظامي ومفهومه ومحترزه ومعلومه واعلم ان فعل الامر
مؤكد بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة الفا اي اعلم ذلك علم تحقيق وتحرير وتدقيق واعتمده
واعتقده فانه نهج سلف الامة وسبيل احبار الائمة ولا ترد ذاك الوارد في الكتاب المنزل
وما جاء عن النبي المرسل ولا استامته بالعقول بضرب من التاويل او التمويه والتضليل لاجل
قول انسان مفتر من القرية وهي الكذب ومنه فقد اعظم على الله الفرية اي الكذب ومنه قوله تعالى
ولا ياتين ببهتان يفترينه يقال فرى يفري فريا وافترى يفتري افتراء اذا كذب ومفتر اسم
فاعل منه بذلك اي بذلك القول الذي تقوله والتاويل الذي تاوله جهول صفة لمفتر من صفات
المبالغة فان الله جل شانه سمى نفسه في كتابه العزيز بالرحمن الرحيم ووصف نفسه بالرحمة
والمحبة فقال ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقال ورحمتي وسعت كل شيء وقال فسوف
ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال ان الله يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب الصابرين
ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وكذلك رضا والغضب الى غير
ذلك من سائر ما جاء به الكتاب العظيم والنبي الكريم فسلف الامة وعلماء الائمة يؤمنون به
ويثبتونه لله تعالى بالمعنى الذي اراده تعالى مع اعتقادهم التنزيه والتقديس عن التشبيه والتنقيص
وذم الناس من يجعل رحمة الله تعالى وحبه عبارة عما يخلقه من النعمة وهذا ظاهر البطلان فان قيل
ان اثبات هذا تشبيه لان الرحمة رقة تلحق المخلوق والرب منزه عن امثل صفات المخلوقين
فالجواب ان الذي يلزم من هذه يلزم من غيرها فان الارادة في حق المخلوق ميل الى ما ينفعه
ودفع ما يضره والله تعالى منزه عن الاحتياج الى عباده وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه بل هو
الغني عن كل ما سواه فان قيل الارادة التي نثبتها لله تعالى ليست مثل ارادة المخلوقين كما انا
قد اتفقنا وسائر المسلمين على انه تعالى حي عليم قدير وليس هو مثل سائر الاحياء العلماء القادرين
فالجواب الا نقول وكذلك الرحمة والمحبة التي نثبتها لله تعالى ليست مثل رحمة المخلوق ومحبة المخلوق
فان قيل لا نعقل من المحبة والرحمة الا هذا قال لك لغاة الصفات ونحن لا نعقل من الارادة الا
هذا وقلنا نحن معشر اهل الاثر لا يخفى على عاقل فهيم ولا مؤمن سليم ان ارادتنا ومحبتنا ورحمتنا
بالنسبة الينا وارادة الله تعالى ومحبته ورحمته بالنسبة اليه فكما ان ذاته لا تشبه ذواتنا وحياته

لا تشبه

لا تشبه حياتنا فرحمته ومحبته ورضاه وغضبه كذلك فلا يجوز التفريق بين المتماثلين فثبت
لاحد الصفتين وتنفى عنه الاخرى مع ورود الجميع في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وليس
في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق اذ غاية ما يقال انا انما نثبت الارادة بالعقل الاول وجود
التخصيص في المخلوقات دل على الارادة فيقال اولا انتفاء الدليل المعين لا يقتضي انتفاء المدلول
فهب ان مثل هذا الدليل لا يثبت في الرحمة والمحبة فمن اين لنفيتم ذلك مع ان السمع اثبت ذلك ويقال
ثانيا في اثبات ذلك بالطريق العقلي نظير الذي اثبتم به الارادة ما في المخلوقات من وجود المنافع
للمحتاجين وكشف الضر عن المضرورين والاحسان الى المخلوقات وانواع الرزق والهدى والمسرات
دليل على رحمة الخالق سبحانه والقرائن تثبت دلالة الربوبية لهذه الطريقة تارة وتدلهم
بالايات المخلوقة على وجود الخالق وتثبت علمه وقدرته وحياته وتارة تدلهم بالنعم والآلاء
على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته وهذا كثير في القرآن كقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية وقوله
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز الآية وقوله في سورة الرحمن بعد ذكر تعداد انواع النعم
فباي آلاء ربكما تكذبان وكذلك اثبات حكمته تعالى ومحبته التي تبنى عليها حكمته خلقه وامره مما يعلم
بالسمع وبالعقل ايضا كما تعلم ارادته تعالى بهما وسلف الامة وائمتها على ان الله تعالى يحب ويحب
وهو قول شيوخ المعرفة والحديث واسلك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة
اذا علمت ذلك فعقدنا معشر الاثريه الذي نعتقد عليه ومنهجنا الذي نسلكه ونذهب اليه الاثبات
للاسماء والصفات كما وردت به الايات ودلت عليه الروايات يا خليلي من الخلة وهي نهاية المحبة
وخلاصتها بحيث الفت تخللت الاعضاء والمفاصل والمراد بالخليل هنا الموافق على المذهب السلف
السائل عن مناهجه ودقائقه وامهات مسائله وحقائقه فانا نذعن لله تعالى باثبات ما جاءت
به الايات وصحيح الروايات وسلكته الائمة السادات من غير تعطيل لها عما حقائقها ونفيها
مع صحة مخارجها بل نثبتها ونؤمن بها ولا تشبيه في مجرد اثباتها ولا اي ومن غير تمثيل لها
بصفات المخلوق بل اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل فالممثل يعبد صنما والمعطل يعبد
عدما والمثبت المسلم يعبد رب الارض والسماء المنعوت بنعوت الصفات والاسماء وعندنا
معشر السلف ومن نحى منحانا من علماء الخلف وكل من اول في الصفات الثابتة للذات المقدسة
عن سمات المحدثات والمراد بالتاويل هنا ان يراد باللفظ ما يخالف ظاهره او صرف اللفظ عن ظاهره

فعقل ذلك بالعقل يخالف الاثبات بالعقل من غير تعطيل ولا تمثيل
وذلك بالعقل مفتر به مجهول

لمعنى آخر او عن حقيقته لمجازه وهو في ايات الصفات المقدسة من المنكرات عند ائمة الدين من علماء
السلف المعتبرين فانا حيث اثبتنا ذاتا لا كالذوات فما المانع من اثبات صفات لا كصفات المحدثات
فالكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات فصفاته تعالى قديمة ثابتة لذاته تعالى فليس لنا ان نتاول
في صفات الله تعالى ولا في ذاته من غير ما دليل لتاكيد النفي ولاقامة الوزر باثبات شيء عما صاحب
الشرع واصحابه وائمة التابعين المعتبرين من علماء السلف واتباعهم هم العمدة دون غيرهم و
علم من النظام ان الله سبحانه يطلق عليه الذات كما يقال انه شيء لا كالاشياء وانه ذات لا كالذوات بخلاف
الماهية فاكثر المتكلمين منع اطلاقها على الله لان معنى الماهية الجوابية وهي المشاركة في
الجنس والفصل قالوا وما روي عن الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى انه كان يقول ان لله ماهية
لا يعلمها الا هو لم يصح عندنا فان هذا اللفظ لم يوجد في كتبه ولم ينقل عنه احد من اصحابه
العارفين باقواله فلو ثبت عنه نحمل على ان مراده انه تعالى يعلم ذاته لا بدليل او ان له اسماء لا
يعلمها غيره كما في حديث اسئلك بكل اسم هو لك انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت
به في علم الغيب عندك فلله اسماء لا يعلمها الا هو واما قوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين
اسما من احصاها دخل الجنة يعني لاسماء الحسنى متصفة بانه من احصاها دخل الجنة والله اعلم
فقد تعدى هذا خبر للمبتدا الذي هو كلام من اول وتعديته بحرف على لما لم يأذن به الله ورسوله
فانه فعل ما ليس له وقال على الله بما لم يأذن الله ورسوله له به واستطال على السلف الصالح
فكانه استدرك عليهم ما زعم انهم اغفلوه وحرفا يدعي انهم اهملوه واجترى افتعال من الجرأة
اي تشجع وافتات حدة وتعدى طوره ولم يقتد بالصادة المصدوق ولا باصحابه والتابعين
لهم باحسان وخاض يقال خاض الماء يخوضه خوضا وخياضا دخله كخاضه واختاضه
وبالفرس اورده كاخاضه وخاض الغمرات اقتحمها اي اقتحم في بحر الهلاك اي الموت والاثم يحاق
يعني رمى نفسه في بحر يذهب بدينه ويؤول به الى الهلاك الابدي والعذاب السرمدي وافترى
على مولاه الذي خلقه وسواه ومن اظلم ممن افترى على الله فانه من لم يسلم لم يسلم ومن لم يقتف
طريقة السلف الصالح لم يرتح ويغنم فعلى العاقل ان يتبع طريقة اهل الاثر فانها اسلم ودع
عنك ما قيل من ان مذهب الخلف اعلم فانها من النزغات الفلسفية والزخارف البدعية والاحداس
النفسية والوساوس الجهمية والتخذلقات الزندقية فاين علم زيد وعمر ومن عاينك شاهد الرسول
وعاين الامر ومن ثم قلنا الم تر اختلاف اصحاب النظر يعني نظار المتكلمين من سائر الفرق والطوائف

ورد بعضهم

ورد بعضهم على بعض وتضليل بعضهم بعضا فيه اي في نظرهم الذي يزعم كل فريق منهم انه هو العلم
الحق والعقل الصدق فيأتي غيره الفريق فينقضه ويرمي صاحبه بالزندقة والتحميق فكل فرقة
من المتاولين تخطي الاخرى وتزعم انها اهتدت اليه بعقلها احق واحرى فتود ما زعمت تلك انه
برهان فتجتبي الاخرى فتبرهن على بطلانه وتزعم ان هذا زيغ وتعتقد ان الذي زخرفته هو الحق اليقين
فمنهم فرقة اخرى فتزعم انه من وحي الشياطين فكم من طالع كتب اهل الكلام والمنوصفة علم ما
في قولهم من الهذرمة والزخرفة والناس شتى واراء مفرقة كل يرى الحق فيما قال واعتقد اما
والبر ترجمان اي المذهب الذي ذهب اليه والمنحى الذي نحاه وقصده ونهجه ذوي صاحب مذهب
الائمة من النبي لاعين والصحابة والتابعين والائمة المعتبرين الذين هم عمدة هذا الدين فانهم
اي الاثرية المعنوين من قوله وحسن ما نحاه ذوو الاثر قد اقتفوا فيما اعتقدوه وعولوا
فيما اعتمدوه بالنبي المصطفى فانه من الصفوة وهو نبينا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم و
اقتدوا من بعده صلى الله عليه وسلم بصحبه الذين صحبوه ونقلوا عنه الشريعة وعاينوا الوحي والتنزيل و
وعلموا ان الرسول بما جاء به جبريل فانه كنت تبغي السلامة وتسلم من البدع والندامة فاقتفي
اي اترض بهذا البيان المستند الى ايات القرآن والى حديث سيد ولد عدنان والى الصحابة
والتابعين والائمة المهديين وكفى بهؤلاء مستندا ومعتقدا في السلامة فيما نحوه واصلوه
لا فيما زخرفه اهل التاويل وتقولوه تنبيهات الاول لا خلاف بين العقلاء ان الله سبحانه
وتعالى متصف بجميع صفات الكمال منزه عما يضاد جميع صفات النقص لكنهم مع اتفاقهم على ذلك
اختلفوا في الكمال والنقص فما هم به يثبت احدهم لله ما يظنه كمالا وينفي الآخر عنه ما اثبته لهذا
لظنه نقصا وسبب ذلك انهم سلطوا الافكار على ما لا سبيل اليه من طريق الفكر فان الله تعالى
خلق العقول واعطاها قوة الفكر وجعل لها حدا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث
هي قابلة للوهب الالهي فاذا استعملت العقول افكارها فيما هو في طورها وحدها ووقفت
النظر حقا اصابت باذن الله تعالى واذا سلطت الافكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها
الذي حده الله لها ركبت متن عمياء وخبطت خبط عشواء فلم يثبت لها قدم ولم تر تلق على امر
تطمئن اليه فانه معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بادراكها من طريق الفكر
وترتيب المقدمات وانما تدرك ذلك من نور النبوة وولاية المتابعة وتصفية القلب من وضر البدع
فهو اختصاص الهي يختص به الانبياء واهل وراثتهم مع حسن المتابعة وتصفية القلب من وضر البدع والفكر

فيه وحسن ما نحاه ذوو الاثر
فانهم قد اقتفوا بالمصطفى وكفى
وصحبه فاقتفي بهدي وكفى

الصفات
ما اثبات
ان له من غير ما اثبات
فقد تعدى واستطال واجترا
وافترى
خاض في بحر الهلاك واصحاب النظر
من غير اختلاف

من زنغات الفلسفة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومما يوضح ذلك ان العقول
لو كانت مستقلة بمعرفة الحق واحكامه لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب
واللازم باطل بالنص قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى فكذا الملزوم فلما
بعث الله الرسل وانزل الكتب وجبت لله الحجة على الخلق وانقطعت علقة الاعتذار فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وما عجزت العقول من طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي
وراء طورها ومنحاها القبول وقد انزل الكتاب وانزل فيه ما عارت في ادراكه العقول
من الايات المتشابهات التي لا يعلم تاويلها الا الله امرنا الشارع بالايمان بها ونهانا عن التفكر
في ذات الله رحمة منه بنا ولطفا بنا عن ادراكه فان تسليط الفكر على ما هو خارج عن حد ادراكه
تعب بلا فائدة ونصب من غير عائدة وطمع في غير مطمع وكدم من غير منجع وقد امرنا بالايمان بالمتشابه
وفي الحديث تعلموا القرآن والتمسوا غرائبه يعني فرائضه اي حدوده وهي حلاله وحرامه ومحكمه
ومتشابهه وامثاله فاحلوا حلاله وحرموا حرامه واعملوا بمحكمه وامنوا بمتشابهه واعتبروا
بامثاله رواه الديلمي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه واخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود
رضي الله عنه ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف
واحد ونزل القرآن من سبعة ابواب على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه
وامثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما امرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بامثاله
واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند ربنا وروى نحوه البيهقي في شعب
الايمان من حديث ابي هريرة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انزل القرآن على اربعة احرف حلال وحرام لا يعذر احد بجهالته وتفسير تفسره العرب
وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ثم رواه
من وجه اخر عن ابن عباس موقوفا بنحوه وروى ابن ابي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال آمنوا بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به وهو من عند الله كله وقالت
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في العلم اذا آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه ولما قدم ابن صبيغ
المدينة المنورة وجعل يسأل عن متشابه القرآن ارسل اليه امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وقد اعد له عراجين النخل فقال من انت قال عبد الله بن صبيغ فاخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى
ادمى رأسه وفي رواية فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برئ ثم اعاد عليه الضرب ثم
تركه حتى برئ فدعى به ليعيده عليه فقال ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا واوردي الى ارضي فاذن
له الى ارضه وكتب الى ابي موسى الاشعري ان لا يجالسه احد من المسلمين وفي فروع ابن مفلح من علمائنا
ان عمر رضي الله عنه امر نهج ابن صبيغ لسؤاله عن الذاريات والمرسلات والنازعات انتهى وهذا من سيدنا
امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لسد باب الذريعة والآية الشريفة دلت على ذم متبع المتشابه
ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم الى الله وسلموا اليه كما مدح الله تعالى
المؤمنين بالغيب فعلى العاقل الناصح لدينه ونفسه ان يسلك مسلك السلف الصالح وان يرقى
على سلم التسليم فانه من انهج المصالح وانه يؤمن بالمتشابهات من آيات الاسماء والصفات كما
فعل الصحابة والتابعون وتمتثل امر نبيه خاتم النبيين وامام المرسلين في قوله وامنوا بمتشابهه
وقولوا امنا به كل من عند ربنا فلقد بالغ في النصيحة بادلة صحيحة وكلمات فصيحة فجزاه الله
عنا خير ما جزا نبيا عن قومه ورسولا عن امته ورضي الله تعالى عنه آله وصحبه والتابعين لهم
باحسان وذوي الحق وحزبه الثالث اعلم ان مذهب الحنابلة هو مذهب السلف فيصفون الله تعالى
بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل
فالله تعالى ذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه الصفات من المخلوقات
فاذا ورد القرآن العظيم وصحيح سنة النبي الكريم عليه افضل الصلاة واتم التسليم بوصف الباري
جل شانه تلقيناه بالقبول والتسليم ووجب اثباته له على الوجه الذي ورد هو نكل معناه
للعزيز الحكيم ولا نعدل به عما حقيقة وصفه ولا نلحد في كلامه ولا في اسمائه ولا في صفاته
ولا نزيد على ما ورد ولا نتلفت لمن طعن في ذلك ورد فهذا اعتقاد سائر الحنابلة بجميع
السلف فمن عدل عن هذا المنهج القويم نزاغ عن الصراط المستقيم وانحرف فدع عنك فلانا عن
فلان وعليك بسنة سيد ولد عدنان فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها والجنة الواقية
التي لا انحلال لها والله الموفق الثالث قد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام والتعمق
والتدقيق فيما زعموا انه قضايا برهانية وحجج قطعية يقينية وقد شحنوا اذهاننا بالقضايا
المنطقية والمدارك الفلسفية والتخيلات الشعرية والمباحث الغرطيسية وكانت ائمة الدين
مثل مالك وسفيان وابن المبارك وابي يوسف والشافعي واحمد واسحق والفضيل ابن عياض

وبشر المحافي بالعفو وبه في ذم الكلام وفي ذم بشر المريسي وتضليله حتى ان هرون الرشيد حامل خلفاء
بني العباس قال يوما بلغني ان بشر المريسي يقول ان القرآن مخلوق ولئن علي لئن اظفرني الله به لاقتلنه
قتلة ما قتلتها احدا فاقام بشر متواريا ايام الرشيد نحو من عشرين سنة قال شيخ الاسلام ابن تيمية
وهذه التاويلات التي ذكرها ابن فورك ويذكرها الرازي في تاسيس التقديس ويوجد منها
في كلام غالب المتكلمة من الجبائي وعبد الجبار وابي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التاويلات
التي ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمي عثمان بن سعيد احد مشاهير ائمة السنة
من علماء السلف في زمن البخاري في المائة الثالثة في كتابه الذي سماه رد عثمان بن سعيد على الكاذب
العنيد فيما افترى على الله من التوحيد فحكى هذه التاويلات باعيانها عن بشر المريسي بكلام يقضي
ان المريسي اقعدها واعلم بها واعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتاخرين الذين ارتقلت
اليهم من جهته وقد اجمع ائمة الهدى على ذم المريسية واكثرهم كفروهم وضللوهم وذموا
الكلام واهله بعبارات رادعة وكلمات جامعة قال ابو الفتح نصر المقدسي في كتابه
الحجة على تارك المحجة باسناده عن الربيع ابن سليمان قال سمعت الامام الشافعي يقول ما رايت
احدا ارتدى بالكلام فافلح ولما كلمه حفص الفرد من اهل الكلام قال لا يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه
خلا الشرك بالله عز وجل خير له من ان يبتلى بالكلام وقال حكمي في اصحاب الكلام ان يضعوا
وينادى بهم في العشائر والقبائل هذا جزاء من ترك السنة واخذ في الكلام وقال سيد الامام
احمد عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم واياكم والخوض والمراء فانه لا يفلح من احب الكلام وقال
في علماء اهل البدع من المتكلمة لا احب لاحد ان يجالسهم ولا يخالطهم ولا يانس بهم فكل من احب الكلام
لم يكن اخرا مره الا الى البدعة فانه الكلام لا يدعوهم الى خير فلا احب الكلام ولا الخوض فيه ولا الجدال
عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به ودعوا الجدال وكلام اهل الزيغ والمراء دركنا الناس
وما يعرفون هذا ويجانبونه اهل الكلام وقال رضي الله عنه من احب الكلام لم يفلح عافية الكلام لا
تؤول الى خير اعاذنا الله واياكم من الفتن وسلمنا واياكم من كل هلكة وقد نقل عن هذين الامامين
من ذم الكلام واهله كلام كثير مذكور في كتب علماء السلف وعن عبد الرحمن ابن مهدي قال وخلف
على الامام مالك رضي الله عنه للرجل العكد من اصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فانه ابتدع هذه
البدعة من الكلام ولو كان الكلام علما التكلم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم كما تكلموا في
الاحكام والشرايع ولكنه باطل يدل على باطل فهل يكون اشد من هذا الانكار من هؤلاء الائمة الكبار

وقال

وقال محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة سمعت ابا حنيفة يقول لعن الله عمرو بن عبيد فانه مبتدع
والنصوص عن ائمة الهدى في ذلك كثيرة جدا وروى الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في كتابه
العرش بسنده الى الحسن الغيدواني قال سمعت الاستاذ ابا المعالي الجويني يقول لاصحابنا
لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به وقال الامام الفقيه
ابو عبد الله الدبوسي حكى لنا الامام ابو الفتح محمد بن علي الفقيه قال دخلنا على الامام ابي المعالي
الجويني نعوده في مرض موته فاقعد فقال لنا اشهدوا علي اني قد رجعت عن كل مقالة قلتها
اخالف فيها السلف الصالح واني اموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور قال الامام الحافظ
الذهبي قلت هذا معنى قول بعض العلماء عليكم بدين العجائز يعني انهن موتمنات بالله
على فطرة الاسلام لم يدرين ما علم الكلام قال الحافظ الذهبي وقد كان شيخنا ابو الفتح
القشيري رحمه الله تعالى يقول مرة

وخضت بحار اليسر يدرك قعرها ... وسيرت نفسي في قسيم المفاوز
ولجت في الافكار ثم تراجعت ... اختياري على استحسان دين العجائز

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته الحموية وقد اخبر الواقف على نهايات اقدام المتكلمة بما انتهى اليه من مرامهم

لعمري لقد طفت المعالم كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر ... على ذقن او قارعا سن نادم

وقول بعض رؤسائهم

نهاية اقدام العقول عقال ... واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقال

قال شيخ الاسلام ويقول الاخر منهم لقد خضت البحر الخضم وتركت اهل الاسلام وعلومهم وخضت
في الذي نهوني عنه والآن اعلم يقينا لو ان الله يرحمني فالويل للفلاسفة وها انا اموت على عقيدة
امي ويقول الاخر منهم اكثر الناس شكا عند الموت اصحاب الكلام قال شيخ الاسلام ثم اذا حقق
عليهم الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خير ولم يقعوا من ذلك على
عين ولا اثر وما ذكرناه عن الانبياء فطرة من بحر الجي وبالله التوفيق فانه قد تبين اذا كان علم الكلام
بالمثابة التي ذكرت والمكانة التي عنها برهنت فكيف ساغ للائمة الخوض فيه والتنقيب عما يحتويه

ثم انك اتيت ما عنه نهيت وحرمت ما عنه نفرت وهل هذا في بادي الراي الا مدافعة وجمعا
للشيئين الذين بينهما تمام المنافاة قلت انما ذهب اليه وهلك من التدافع الممتنع
وما سنح في خلدك من التدافع لمندفع بل العلم الذي نهينا عنه غير الذي الفناه والكلام
الذي حذرنا عنه غير الذي صنف فيه كل امام حافظ وفقيه فعلم الكلام الذي نهى عنه
ائمة الاسلام هو العلم المشحون بالفلسفة والتاويل والالحاد والاباطيل وصرف الايات
القرآنية عن معانيها الظاهرة والاخبار النبوية عن حقايقها الباهرة دون علم السلف
ومذهب اهل الاثر وما جاء في الذكر الحكيم وصحيح الخبر فهذا العمري ترياق القلوب الملسوعة
بارقم الشبهات وشفاء الصدور المصدوعة بتراجم المحدثات ودواء الداء العضال
وبادزهر السمة القتال فهو فرض عين او عين فرض على كل بنيه وهو العلم الذي يتعقل
عليه الخاصر لدحض حجة كل متحذلق وسفيه قال هذا الاشكال والله ولي الافضال

الباب الاول في معرفة الله تعالى وما يتعلق بذلك من تعداد الصفات

التي لم يثبتها المتكلمة كالسلف واسماؤه تعالى وكلامه وغير ذلك اول واجب على العبيد
جمع عبد ولم احد عشر جمعا جمعهما ابن مالك في قوله عباد عبيد جمع عبد وعبد اعابد معبود
معبدة عبدة كذا عبدان وعبد ابتاة كذا العبدا وامدة ان شئت ان تمدة
قال ابو علي الدقاق ليس شئ اشرف ولا اسم اتم للمؤمن من الوصف بالعبودية قال الشاعر
ولله عني الابا عبدها فانه اشرف اسمائي وقال الاخر اصم اذا نوديت باسمي وانني
اذا قيل لي يا عبدها السمع معرفة الاله سبحانه وتعالى وهي عبارة عن معرفة وجود
ذاته بصفات الكمال فيما لم يزل ولا يزال دون معرفة حقيقة ذاته وصفاته لاستحالة
ذلك عقلا عند الاكثرين يعني ان العقل يحيل معرفة كنه ذاته وقوله اول واجب يعني
لنفسه على كل مكلف بالنظر في الوجود والموجود ووجوب ذلك بالشرع دون العقل لان
العقل لا يوجب ولا يحرم وهذا مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة وجبت معرفة الله
عقلا لا شرعا لانها دافعة للضرر المظنون وهو خوف العقاب في الاخرة حيث اخبر جمع
كثير بذلك وخوف ما يترتب في الدنيا على اختلافا الفرق في معرفة الصانع من المحاربات
وهلاك النفوس وتلف الاموال وكل ما يدفع الضرر المظنون برا والمشكوك واجب عقلا
كما اذا اردت سلوك طريق فاخبرت بانه في ما عدوا او سبعا فانه يجب عليك اجتنابه خوفا لوقوع

في الهلكة

في الهلكة ورد قولهم لمنع ظن الخوف في الاعم الاغلب اذ لا يلزم الشعور بالاختلاف ولا بما يترتب عليه
من الضرر ولا بالصانع وبما رتب في الاخرة من الثواب والعقاب ولا اخبار بذلك انما يصل الى البعض
وعلى فرض الوصول لا رجحان الى انا نصدق لانا نقدر عدم معرفة الصانع وبعثة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ودلالة المعجزات ولو سلم ظن خوف فلا نسلم ان تحصيل المعرفة يدفعه بل ان
احتمال الحظا قايم فخوف العقاب او الاختلاف بحاله والعناء زيادة وفي كتاب جامع الانوار
لتوحيد الملك الجبار من الاشعرية ان وجوب معرفة الله تعالى بالعقل والشرع معا والتحقيق وجوب
معرفة الباري جل شانه شرعا وقوله بالتسديد اي التقويم والتوفيق للسداد اي الصواب
يعني بالنظر الصايب في الوجود والموجود كما مر آنفا ومحل النظر قبل التوقف عليه فهو اول واجب
لغيره وقال القاضي اول واجب وطاعة اكتساب النظر المؤدي الى المعرفة فمن تركه مع القدرة
عليه لغير عذر اثم ولا اثم على الناظر في ملة نظره والنظر والمعرفة اكتساب وقد يوهبان
لمن اراد الله هداه ولا يقعان ضرورة وقيل بلى وحمل ذلك شيخ الاسلام على المعرفة الفطرية
كمعرفة ابليس لا على المعرفة الايمانية وقال مثبتو النبوات تحصل لهم المعرفة بالله بثبوت النبوة من
غير نظر ولا استدلال في دلائل العقول ذكره القاضي ابو يعلى في عيون المسائل وغيره من كتبه
وذكر ابن حمدان في نهاية المبتدين ان معرفة الله تعالى تحصل باكتساب موجب اي ان الهداية سبقت
بالتوفيق لاصابة الدليل الموصل الى المعرفة واختصاص المريد بمعرفته سبق بفضله ومقارنة
عونه بالوصول الى تمام ادلته فتكون المعرفة الحقيقة معرفة الدليل الموصل الى حقيقة معرفة
الله تعالى وهو اكتساب موهوب كقصة ابراهيم الخليل عليه السلام في النظر والمعرفة تزيد وتنقص
كالايمان نص عليه الامام احمد رضي الله عنه فخرقة التفصيل ازيدكم معرفة الجملة واول نعم الله
الدينية على المؤمن واعظمها ان اقدره على ارادة النظر والاستدلال المعرفته تعالى وقال
خاتمة المحققين العلامة الشيخ عثمان النجدي في تعليقته في اصول الدين اول نعم الله الدينية
على عبده ان اقدره على معرفته وقال ابن حمدان بعد ان ذكر الاول وقيل ان اهداه للايمان
واول نعمه الدنيوية الحياة العرية عن ضرر وقال القاضي ادراك اللذات ونيل المشتهيات التي
لا يتعقبها ضرر لاجلها وهو يعم كل حيوان ولكن يقيد المكلف بالشكر وهو اعترافه بنعمة المنعم
على جهة الخضوع والانقياد عليه وصرف كل نعمة في طاعته فشكر المنعم واجب شرعا خلافا للمعتزلة
في قولهم بوجوب شكر المنعم عقلا فيجب على كل مكلف شرعا ان يعرف الله تعالى بصفات الكمال ويجزم بانه

الشيرازي

سبحانه وتعالى وجل لا يجري ولا يقسم فرد صمد لا نظير له اي لا مثل له ولا شبيه في ذاته ولا في صفاته
ولا في افعاله ولا شريك له في ملكه ولا وزير له تعالى والوزير هو الملك الذي يتحمل ثقله ويعينه
بوابه فلا وزير للباري جل شانه يحمل ثقله ويعينه في تدبير خلقه ولا ظهير له في صنعه
ولا معين له في ملكه صفاته سبحانه وتعالى الذاتية والفعلية والخبرية كذاته عز شانه قديمة
لا ابداء لوجودها ولا انتهاء اذ لو كانت حادثة لاحتاجت الى محدث تعالت ذاته المقدسة
وصفاته المعظمة عن ذلك فان حقيقة ذاته مخالفة لسائر الحقائق وكذلك صفاته تعالى
قال المحققون ليست حقيقة معلومة للانسان في الدنيا للناس وانما يعلم تعالى بصفاته
وهل علمنا حقيقته في الآخرة فقال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها كما سيأتي وبعضهم
لا والرؤية لا تفيد الحقيقة كما يأتي فمذهب السلف الفرقة الناجية بين التعطيل وبين
التمثيل فلا يمثلون صفات الله تعالى بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون
ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلون اسماءه الحسنى وصفاته العلى
ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في اسماء الله تعالى وآياته وليس في العقل الصريح
ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية اصلا فالنبي المعصوم
صلوات الله وسلامه عليه مع كمال علمه وقدرته وارادته وشدة حرصه على هداية امته
وبلوغ نصحه وشفقته عليهم ارشدهم الى هذا السبيل وكذا الصحابة والتابعون لهم
باحسان فالسلف في اثبات الصفات كالذات على الاستقامة واما المنحرفون
عن طريقهم فثلاث طوائف اهل التخييل واهل التاويل واهل التجهيل فاهل التخييل
هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف فانهم يقولون انما ذكره الرسول
صلى الله عليه وسلم من امر الايمان واليوم الآخر انما هو تخييل للحقائق ليتنفع به الجمهور لا انه
بين به الحق ولا هدى به الخلق ولا اوضح الحقائق وليس فوق هذا الكفر كفر واهل
التاويل هم الذين يقولون ان النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول ان يعتقد
الناس الباطن ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم ذلك ولا دلهم عليه ولكن اراد ان ينظروا
فيعرفوا الحق بعقولهم بمجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها ومقصوده امتحانهم
وتكليفهم وابتلاءهم اذ هاتهم وعقولهم ان يصرفوها عن مدلولها ومقتضاه ويعرفوا الحق
في غيره وسواه وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن نحا منحاهم ولا يخفى ما في ضمن

كلام

كلام هؤلاء من قصد الاضلال وعدم النصح ومناقضة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وما وصفه
الله به من الرأفة والرحمة وقد تظاهر هؤلاء بنصر السنة وهم في الحقيقة لا للاسلام نصروا ولا
للفلاسفة كسروا بل فتحوا لاهل الالحاد الباب وسلطوا القرامطة والباطنية من ذوي الفساد
والملاحدة في السنة والكتاب واهل التجهيل هم الذين يقولون ان الرسول لم يعرف معاني ما
انزل عليه من ايات الصفات ولا جبريل يعرف معاني الايات ولا السابقون الاولون عرفوا ذلك
وكذلك قولهم في احاديث الصفات وان الرسول تكلم بكلام لا يعرف معناه وهذا قول كثير من
المنتسبين الى السنة واتباع السلف فيقولون في ايات الصفات واحاديثها لا يعلم معناها
الا الله ويستدلون بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله ويقولون يجري على ظاهرها وظاهرها
مراد مع قولهم ان لها تاويلات بهذا المعنى لا يعلمه الا الله قال شيخ الاسلام ابن تيمية
في الجواب التاويل الذي لا يعلمه الا الله هو الحقيقة التي يؤول الكلام اليها فتاويل الصفات
هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كما مالك وغيره
الاستواء معلوم والكيف مجهول فكيفية الاستواء مثلا هو التاويل الذي لا يعلمه الا الله جل وعلا

تنبيه اختلف الناس في اثبات صفات الباري جل شانه فاثبتها اهل الحق من غير
نفي لها ولا لبعضها وهذا مذهب سلف الامة وسائر الائمة واثبت المتكلمون بعضها
من الحياة والقدرة والارادة والعلم والكلام والسمع والبصر وسموها الصفات الثبوتية
والمعنوية وما عداها من صفات الافعال والسلوب ونحوها الحادثة عندهم وذهبت
المعتزلة والفلاسفة واكثر فرق اهل الضلال الى نفيها كما يأتي تحرير بعض قول اهل الاعتزال
نعم تثبت المعتزلة لله الاسماء دون الصفات والله اعلم

فصل في بحث اسمائه جل
وعلا اعلم ان المعتزلة ومن وافقهم واتبعهم يثبتون لله سبحانه وتعالى الاسماء دون ما تضمنته
من الصفات فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالاعلام المحضة المترادفة
ومنهم من قال عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع بلا سمع بصير بلا بصر فاثبتوا الاسم دون
ما تضمنه من الصفات قال شيخ الاسلام في رسالته التدمرية والكلام على فساد مقالة
هؤلاء وبيان تناقضها بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول فان هؤلاء يسفسطون
في العقليات ويقرمطون في السمعيات وذكر انه قد علم بضرورة العقل انه لا بد من موجود قديم
غني عما سواه اذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان والمعدن والنبات والحادث ممكن لذاته يوجب

لا نظير
بالنون وحذف
الهمزة ولا شبيه
ولا وزير
صفاته قديمة

ح
التعاب

ولا يمتنع وقد علم بالاضطرار انه المحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد له من واجب كما قال تعالى ام خلقوا
من غير شيء ام هم الخالقون فاذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق ولا هم الخالقون لانفسهم تعين انه
لهم خالقا خلقهم واذا كان من المعلوم بالضرورة الدينية الوجود ما هو قديم واجب بنفسه وما
هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم فالمعلوم ان هذا موجود وهذا موجود ولا يلزم من
اتفاقهما في مسمى الوجود ان يكون وجود هذا مثل وجود هذا بل ووجود هذا يخصه
ووجود هذا يخصه واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة
والتقييد والتخصيص ولا في غيره فلا يقول عاقل اذا قيل له ان العرش شيء موجود وان البعوض
شيء موجود ان هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود بل الذهن يأخذ معنى مشتركا
كليا هو مسمى الاسم المطلق واذا قيل هذا موجود وهذا موجود فوجود كل منهما يخصه
لا يشركه فيه غيره مع ان الاسم حقيقة في كل منهما وهذا اسمى الله تعالى نفسه باسماء وسمى
صفاته باسماء وكانت تلك الاسماء مختصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره لانه سبحانه
القديم واسماؤه قديمة وصفاته قديمة فاذا كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالاسما
كالمعتزلي الذي يقول انه حي عليم قدير وينكر ان يتصف بالحياة والعلم والقدرة قيل له
لا فرق بين اثبات الاسماء وبين اثبات الصفات فمن زعم ان اثبات الصفات تقتضي
تشبيها او تجسيما لما يرى في الشاهد قيل له ولا يرى في الشاهد ما هو مسمى بحي وعليم وقدير
الا ما هو كذلك فكل ما احتج به من نفي الصفات يحتج به عليه من الاسماء الحسنى فما كان جوابا له
كان جوابا للمثبتي الصفات ولما كانت اسماؤه سبحانه ثابتة باتفاق اهل السنة والمعتزلة
قال مشير الذكر في النظم بقوله اسماؤه سبحانه وتعالى ثابتة بالنص والعقل عظيمة وصفاتها بذلك
لانها معظمة بالها حسنى وبالها قدرية عند اهل الحق كصفاته الذاتية وكذا الفعلية والمراد
باسمائه تعالى ما دل على مجرد ذاته كالله او باعتبار الصفة كالعالم والقادر قال الامام
المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اسماء الرب هي اسماء ونعوت فالها دالة على صفات كماله
فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية قال ومن اسمه حي وصفته انه في اسميته من حيث هو صفة
جرى تابعا على اسم الله وقد حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم وامازعم المعتزلة
ان الله كان ازليا بلا اسم ولا صفة فلما اوجد الخلق وضع له الاسماء والصفات كما نقله عنهم
القرطبي والفاكهاني وغيرهما فهو خطأ فاحش قال السمين هذا القول منهم اشد خطأ من قولهم

٤٠

نخلف القرائن لاستعارته بالاجتباع للغير وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين في اصول الدين
اسماء الله تعالى قديمة انتهى وقد نص الامام الشافعي ان اسماء الله تعالى غير مخلوقة وقال
سيدنا الامام احمد من قال ان اسماء الله مخلوقة فقد كفر قال ابن حمدان ولا يقال اسماء الله تعالى
هي المسمى ولا غيره اذ الغير ما فارق او يفارق بزمان او مكان او الوجود والعدم بل يقال الاسم
للمسمى به او صفة للمسمى وعلم عليه او دال على المسمى وقيل اسماء الفعل غيره واسماء الذات
هي المسمى نفسه قال وقد عظم الامام احمد الكلام على الاسم والمسمى واسهب عنه بعضهم وقال لا
نعلم وقال القاضي الاسم والتسمية والوصف والصفة واحد فتسمية الخلق ربهم
المسمى كما نقول في التلاوة هي المتلو واما تسمية الله للخلق فهو غير الاسم لانهم مخلوقون وكذلك
اسماؤهم وقال القاضي ايضا الاسم غير المسمى وقال اخيرا الصحيح عندي ان الوصف
ليس هو الصفة لان الموصوف حروف والصفة معنى يرجع الى ذات الموصوف وهي هيئة فيه
ليست حروفا قال واما الاسم والتسمية فهما بمعنى واحد وان التسمية هي الاسم لان الجميع
بحروف فهي كالتلاوة والمتلو لان الجميع حروف والمسمى هو الذات انتهى وقال ابن بطة لا
يقال في اسم الله انه غيره ولا هو انتهى كلام ابن حمدان وقال الامام المحقق في بدائع الفوائد
اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلا له حقيقة متميزة متحصلة فاستحق ان
يوضع له لفظ يدل عليه لانه شيء موجود في اللسان مسموع بالاذان فاللفظ المؤلف من
همزة الوصل والسين والميم عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلا واللفظ
المؤلف من الزاي والياء والدال عبارة عن الشخص الموجود في الاعيان والاذهان وهو المسمى
والمعنى واللفظ الدال عليه هو الاسم وهذا اللفظ ايضا فلما صار مسمى صار حينئذ كان لفظ
الهمزة والسين والميم عبارة عنه فقد بان لك ان الاسم في اصل الوضع ليس هو المسمى ولهذا
تقول سميت هذا الشخص بهذا الاسم كما تقول حليته بهذه الحلية فالحلية غير المحلى فكذلك
الاسم غير المسمى وقد صرح بذلك سيبويه واحفظ من نسب اليه غير هذا او ادعى ان
مذهبه اتحادهما قال في البدائع وما قال نحوي قط ولا عرفي ان الاسم هو المسمى ويقولون
اجل مسمى ولا يقولون اجل اسم ويقولون مسمى هذا الاسم كذا ولا يقولون اسم هذا الاسم كذا ويقولون بسم الله ولا يقولون باسم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله تسعة وتسعون اسما ولا يصح ان يقال مسمى ونظائره كثيرة جدا قال ابن القيم في البدائع

واذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى فنبحث هنا التسمية التي اغتر بها من قال باتحاد الاسم والمسمى والتسمية
عبارة عن جعل المسمى ووضعه الاسم للمسمى كما ان التحلية عبارة عن فعل المحلي ووضعه
الحلية على المحلى فهنا ثلاثة حقايق اسم ومسمى وتسمية محلي ومحلى وحلية وعلامة
ومعلم وتعليم ولا سبيل الى جعل اللفظين منها مترادفين على معنى واحد لتباين حقايقها
فاذا جعل الاسم هو المسمى بطل واحد من هذه الحقايق الثلاثة ولا بد فان قيل
ما شبهة من قال باتحادهما فالجواب شبهته اشياء منها ان الله تعالى هو وحده الخالق
وما سواه مخلوق فلو كانت اسماؤه غيره لكانت مخلوقة وللزم ان لا يكون للاسم في الازل ولا
صفة لان اسماءه صفات وهذا اعظم ما قاد متكلمي الاثبات الى القول باتحادهما والجواب
عن كشف هذه الشبهة ان منشأ الغلط في هذا الباب من اطلاق الفاظ مجملة محتملة لمعنيين
حق وباطل فلا ينفصل النزاع الا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل الفاظها عليها ولا ريب ان
الله تعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال المشتقة اسماؤه منها فلم يزل باسمائه
وصفاته وهو الاله واحد له الاسماء الحسنى والصفات العلى وصفاته واسماؤه داخلة
في مسمى ذاته وان كان لا يطلق على الصفة انها اله تخلق وترزق فليست صفاته و
اسماؤه غيره وليست هي نفس الاله وبلاء القوم من لفظة الغير فانها ترد بها معنيين
احدهما المغايرة لتلك الذات المسماة بالله وكل ما غاير الله مغايرة محضة فهذا الاعتبار
فلا يكون الا مخلوقا ويراد بها مغايرة الصفة للذات اذا جردت عنها فاذا قيل علم الله و
كلام الله غيره بمعنى انه غير الذات المجردة عن العلم والكلام كان المعنى صحيحا ولكن لم اطلاق
باطل فاذا اريد ان العلم والكلام مغاير لحقيقة المخصصة التي امتازت بها عن غيرها كان
باطلا لفظا ومعنى وبهذا اجاب اهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن وقالوا
كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه فان الله اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال ومن تلك
الصفات صفة الكلام كما ان علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة واذا كان
القرآن كلامه وهو صفة من صفاته فهو متضمن لاسمائه الحسنى فاذا كان القرآن غير مخلوق
ولا يقال انه غير الله فكيف يقال ان بعض ما تضمنه وهو اسماؤه مخلوقة وهي غيره فقد
خصص الحق محمد الله والخسف الاشكال واسماؤه الحسنى التي في القرآن من كلامه وكلامه
غير مخلوق ولا يقال هو غيره ولا هو هو وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون

اسماؤه

اسماؤه غيره وهي مخلوقة ولما ذهب من رد عليهم ممن يقول اسمه نفس ذاته لا غيره وبالتفصيل
تزول الشبهة ويتبين الصواب واحتج من قال بان الاسم عين الذات بقوله تعالى تبارك
اسم ربك واذكروا اسم ربك وسبح اسم ربك ونحو ذلك والجواب انها حجة عليهم في الحقيقة لان
النبي صلى الله عليه وسلم امتثل هذا الامر وقال سبحان ربي الاعلى وسبحان ربي العظيم ولو كان الامر كما زعموا
لقال سبحان اسم ربي العظيم ثم ان الائمة كلهم لا يجيز احد منهم ان يقول عبدت اسم ربي ولا سجدت
لاسم ربي ولا ركعت لاسم ربي ولا يا اسم ربي ارحمني وهذا يدل على ان هذه الاشياء متعلقة بالمسمى
لا بالاسم واما الجواب عما تعلق الذكر والتسبيح المامور به بالاسم فقد قيل ان التعظيم والتنزيه
اذا وجب للمعظم فقد يعظم ما هو من سببه ومتعلق به كما يقال سلام على الحضرة العالية
والباب السامي والمجلس الكريم ونحوه وكما يخفى ان هذا الجواب غير مرضي لان الرسول انما قال سبحان
ربي فلم يعرج على ما ذكوه ولانه يلزم مما ذكروه ان يطلق على الاسم التكبير والتحميد والتهليل وسائر
ما يطلق على المسمى فيقال الحمد لاسم الله ونحوه وهذا مما لم يقله احد والجواب الصحيح ان الذكر
الحقيقي محله القلب لانه ضد النسيان والتسبيح نوع من الذكر فلو اطلق الذكر والتسبيح لما فهم منه
الا ذلك دون اللفظ باللسان والله تعالى اراد من عباده الامرين جميعا ولم يقبل الايمان وعقد
الاسلام الا باقترانهما واجتماعهما فصار معنى الايتين سبح ربك بقلبك ولسانك واذكر
ربك بقلبك ولسانك فاقحم الاسم بتسبيح على هذا المعنى حتى لا يخلو الذكر والتسبيح من اللفظ باللسان
لان ذكر القلب متعلقة المسمى المدلول عليه بالاسم دون ما سواه والذكر باللسان متعلقة اللفظ
مع مدلوله لان اللفظ لا يراد لنفسه فلا يتوهم احد ان اللفظ هو المسبح دون ما يدل عليه من المعنى
قال ابن القيم في البدائع وعثرت على شيخنا ابو العباس ابن تيمية قدس الله روحه على هذا المعنى
بعبارة لطيفة وجيزة فقال المعنى سبح ناطقا باسم ربك متكلما وكذا سبح اسم ربك المعنى
سبح ربك ذاكرا اسمه قال وهذه الفائدة تساوي رحلة لكن لمن يعرف قدرها واحتجوا ايضا
بقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء وانما عبدوا مسمياتها والجواب انهم وان كانوا
عبدوا المسميات ولكن من اجل انهم يخلعون اسماء باطلة كاللات والعزى وهي مجرد اسماء كاذبة باطلة
لا مسمى لها في الحقيقة فانهم سموها الهة وعبدوها لاعتقادهم حقيقة كما الهية لها وليس لها من الالهية
الا مجرد الاسم لا حقيقة المسمى فما عبدوا الا اسماء لا حقائق لمسمياتها وهذا كمن سمى قشور البصل
لحما واكلها فيقال ما اكلت من اللحم الا اسمه لا مسماه تنبيهات الاول ما يجري صفة او خبرا

على الرب تبارك وتعالى اقسام احدها ما يرجع الى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع والبصير
الثاني نفس الذات كقولك ذات وموجود وشيء الثاني ما يرجع الى صفات معنوية كالعليم والقدير
والسميع والبصير الثالث ما يرجع الى افعاله نحو الخالق والرازق الرابع ما يرجع الى التنزيه المحض ولا
بد من تضمنه ثبوتا اذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس السلام الخامس ما دل على جملة اوصاف عديدة
لا تختص بصفة معينة بل يدل على معاني نحو المجيد العظيم الصمد فان المجد مركب من اتصاف بصفات متعددة
من صفات الكمال ولفظه يدل على هذا فانه موضوع للسعة والكثرة والزيادة ومنه قولهم في كل
شجر نار واستمجد المرخ والعفار ومجد الناقة علفا ومنه ذو العرش المجيد لسعة العرش وعظمته
والعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال وكذلك الصمد السادس صفة تحصل من
اقتران احد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قد يزيد على مفرديهما نحو الغني الحميد العفو القدير
الحميد ونحو ذلك فان الغني من صفات الكمال والحمد كذلك واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله
ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما وكذلك نظائرهما واما صفات السلب المحض فلا تدخل
في اوصافه تعالى الا ان تكون متضمنة لثبوت كالاحد المتضمن لانفراده بالربوبية والالهية والسلام
المتضمن لسلامته من كل نقص وبرأته من كل ما يضاد كماله وكذلك الاخبار عنه بالسلوب انما هو
لتضمنها ثبوتا كقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم فانه متضمن لكمال حياته وقيوميته وكذلك قوله
وما مسنا من لغوب متضمن لكمال قدرته وكذلك قوله ولا يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء متضمن لكمال علمه ونظائر ذلك الثاني يجب ان يعلم ان ما يدخل في باب الاخبار عنه
تعالى اوسع مما يدخل في باب اسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه فانه هذا يخبر به
عنه ولا يدخل في اسمائه الحسنى وصفاته العلى الثالث اسماؤه الحسنى اعلام واوصاف
فالوصف منها لا ينافي العلمية وهذا بخلاف اوصاف العباد ثم ان الاسم من اسمائه لدل دلالات
دلالة على الذات والصفة بالمطابقة ودلالة على احدهما بالتضمن ودلالة على الصفة الاخرى
باللزوم ولاسمائه الحسنى اعتباران احدهما من حيث الذات والثاني من حيث الصفات
فهي بالاعتبار الاول مترادفة وبالاعتبار الثاني متباينة ولما ذكر اسماؤه سبحانه وتعالى
واتبعها ثانية للذات المقدسة والهها عظيمة قديمة اردف ذلك بقوله لكنها اي الاسماء الحسنى
في القول الحق المعتمد عند اهل الحق توقيفية بنص الشارع وورود السمع بها ومما يجب
ان يعلم ان علماء السنة اتفقوا على جواز اطلاق الاسماء الحسنى والصفات العلى على الباري جل وعلا

اذا ورد

اذا ورد بها الاذن من الشارع وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه واختلفوا هل الاذن او المنع
الاسماء هي في جواز اطلاق ما كان تعالى متصفا بمعناه ولم يكن من الاعلام الموضوعة من سائر اللغات اذ
جواز هي ليس اطلاقها عليه تعالى محل نزاع لاحد بشرط ان لا يكون اطلاقها يوهم نقصا بل مشعرا بالمدح فالجمهور
منعوا اطلاق ما لم يأذن به الشارع مطلقا وجوزه المعتزلة مطلقا ومال اليه بعض الاشاعرة
كالقاضي ابي بكر الباقلاني ووقف امام الحرمين الجويني وفصل الغزالي فجوز اطلاق الصفة
وهي ما دل على معنى زائد على الذات ومنع اطلاق الاسم وهو ما يدل على نفس الذات واحتج للقول
المعتمد الحقاني توقيفيه بانه لا يجوز ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بما ليس من اسمائه فالباري اولى و
تعلق المعتزلة بانه اهل اللغة يسمى سبحانه باسم مخصص بلغتهم كقولهم خداي وشاع من
غير نكير ورد هذا بانه لو ثبت لكان كافيا في الاذن الشرعي والتوقيفي ما ورد به كتاب او سنة
صحيحة او حسنة او اجماع لانه لا يخرج عنهما واما السنة الضعيفة والقياس فلا يثبت بهما
لان المسألة من العلميات ولهذا قال ابن معشر اهل السنة واتباع السلف بذا اي باعتبار ثبوت
التوقيف في اسماء الباري جل وعلا من الشارع ادلة جمع دليل وفيه اي عالية توفي بالمقصود
لانه ما لم يثبت عن الشارع لم يكن ماذونا في اطلاقه عليه والاصل المنع حتى يقوم دليل الاذن
فاذا ثبت كان توقيفيا قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد ما يطلق عليه
سبحانه وتعالى في باب الاسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه في باب الاخبار لا يكون
توقيفيا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه فهذا فصل الخطاب في مسألة اسمائه
هل هي توقيفية او يجوز ان يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع تنبيهات احدها
اذا كانت الصفة منقسمة الى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في اسمائه تعالى بل يطلق عليه منها
كمالها وهذا كالمريد والفاعل والصانع فان هذه الالفاظ لا تدخل في اسمائه ولهذا غلط من
سماه بالصانع عند اطلاق بل هو الفعال لما يريد فانه الارادة والفعل والصنع منقسمة
ولهذا انما اطلق على نفسه من ذلك اكمله فعلا وخبرا ثم انه لا يلزم من الاخبار عنه بالفعل مقيدا
ان يشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من اسمائه الحسنى المضل الفاتق
الماكر تعالى عن قوله فانه هذه الاسماء لم يطلق عليه سبحانه منها الا افعال مخصوصة معينة فلا
يجوز ان يسمى باسمائها المطلقة وقال السعدي فانه قيل قد وجدنا من الاوصاف ما يمتنع
اطلاقه مع ورود الشرع به كالماكر والمستهزئ والمنزل والمنشئ والحارث والزارع والرامي

اي والباقي والمامر والناهي قلت لا يكفي في صحة الاجتراء على الاطلاق وقوعها في الكتاب والسنة بحسب
ما اقتضاه المقام وانتساق الكلام بل يجب ان لا يخلو عن نوع تعظيم ورعاية ادب وما قبل
هذا اوضح منه وتمام فائدة الثاني ان الاسم اذا اطلق على الله جاز ان يشتق منه المصدر و
الفعل فيخبر بسعته فعله ومصدره نحو السميع البصير القدير يطلق عليه منه السمع والبصر
والقدرة ويخبر عنه بالافعال المذكورة نحو قد سمع الله فقد رنا فنعم القادرون وهذا اذا كان
الفعل متعديا فانه كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي يطلق الاسم والمصدر دون الفعل فلا
يقال حيي الثالث احصاء اسماء الله الحسنى والعلم بها اصل العلم بكل معلوم فان المعلومات
سواه اما ان تكون مخلوقة له تعالى او امرا اما علم بما كونه او علم بما شرعه ومصدر الخلق
والامر هي اسمائه الحسنى وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضي بمقتضيه فالامر كله مصدره
عن اسمائه الحسنى وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرافة والرحمة بهم والاحسان
اليهم بتكميلهم بامرهم به ونهاهم عنه فامره كله حكمة ومصلحة ورحمة لطف واحسان اذ
مصدره اسماؤه الحسنى وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة اذ مصدره
اسماؤه الحسنى ايضا فلا تفاوت في خلقه ولا عبث ولم يخلق خلقه باطلا ولا سدى ولا عبثا
واحصاؤها العلم باسمائه واحصاؤها اصل لسائر العلوم فمن احصاها كما ينبغي للمخلوق
دخل الجنة الرابع اسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم الا وهو حسن وقد تقدم ان من اسمائه
ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق والرازق والمحيي والمميت وهذا يدل على ان افعاله
كلها حسنات محضة لا شر فيها لانه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن اسماؤه كلها حسنى
وهذا باطل فالشر ليس اليه فكما لا يدخل في صفاته وكماله لحق ذاته فلا يدخل في افعاله فالشر
لا يضاف اليه فعلا ولا وصفا وانما يدخل بين مفعولاته وفرق بين الفعل والمفعول فالشر
قائم بفعله المباين له لا بفعله الذي هو فعله فتامل هذا فانه خفي على كثير من المتكلمين
وزلت فيه اقدام وضلت فيه افهام وهدى الله اهل الحق لما اختلفوا فيه باذنه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم كما مر ذكر ذلك كله في البدايع الخامس اختلف في مرتبة احصاء اسماء الله
التي من احصاها دخل الجنة وهذا قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح فقيل احصى الفاظها
وعددها وقيل فهم معناها ومدلولها وقيل دعاؤه بها كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها وهذا على مرتبتين احداهما دعاء ثنا وعبادة والثاني دعاء طلب ومسئلة فلا يثنى عليه

بمفعوله

الا باسمائه

الا باسمائه الحسنى وصفاته العلى ولذلك لا يسال الا بها فلا يقال يا موجود او يا شيء او يا ذات
اغفر لي وارحمني بل يسال في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا اليه
بذكر الاسم قال في البدايع وهذه العبارة اولى من عبارة من قال تتخلق باسماء الله فانها
ليست بعبارة سديدة وهي منتزعة من قول الفلاسفة الفلسفة التشبه بقدر الطاقة
والحاصل ان لهم اربع مراتب اسدها انكارا عبارة الفلاسفة وهي التشبه به تعالى يليها
عبارة من قال التخلق باسمائه تعالى واحسن منها عبارة ابي الحكم ابن برجان وهي التعبد و
احسن من الجميع الدعاء وهي المطابقة للامر القراني وبالله التوفيق السادس الالحاد في اسمائه
تعالى المشار اليها في قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت
لها وهو ماخوذ من الميل كما تدل عليه مادة لحد تقول العرب التحد فلان الى فلان
اذا عدل اليه فالالحاد في اسمائه تعالى انواع احدها ان تسمى الاصنام بها كتسميتهم
اللات من الاله والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم الها وهذا الالحاد حقيقة فانهم
عدلوا باسمائه الى اوثانهم والهتهم الباطلة الثاني تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية
الفلاسفة له موجبا بذاته او علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك والثالث
النصارى له ابا وتسمية الفلاسفة له
وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس عن النقائص كقول اخبث اليهود ان فقير وقولهم انه
استراح بعد ان خلق خلقه وقولهم يد الله مغلولة وامثال ذلك مما هو الحاد في اسمائه و
صفاته ورابعها تعطيل الاسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول الجهمية ومن تبعهم
ان اسماءه تعالى الفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير
والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا ارادة تقوم
به وهذا من اعظم الالحاد فيها عقلا ولغة وشرعا وفطرة وهو مقابل الالحاد المشركين
وخامسها تشبيه صفاته تعالى بصفات خلقه فهو الحاد في مقابلة الحاد المعطلة تعالى الله
عن الحادهم علوا كبيرا وبرا الله اتباع رسوله وورثة بيته القائمين بسنته عن ذلك كله
فلم يصفوه الا بما وصف به نفسه ووصفه به بيته فاثبتوا له الاسماء والصفات ونفوا
عنه مشابهة المخلوقات فكانوا اتباعهم بريا من التمثيل والتعطيل وبهم خليا عن التعطيل والله يهدي
من يشاء الى سواء السبيل انتهى ملخصا من البدايع والله الموفق فصل في بعض صفات مولانا عز وجل

اعلم ان التوحيد ثلاثة اقسام توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وتوحيد الصفات فتوحيد
الربوبية ان الاخالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا موجد ولا معدم الا الله تعالى وتوحيد
الالهية افراده تعالى بالعبادة والتالله له والخضوع والذل والحب والافتقار والتوجه اليه تعالى
وتوحيد الصفات ان يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم نفيا
واثباتا فنثبت ما اثبته لنفسه وننفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم ان طريق سلف الامة
وائمتها اثبات ما اثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك
ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع ما اثبته من الصفات من غير الحاد في الاسماء والآيات
فان الله تعالى ذم الملحدين في اسمائه وآياته فقال وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما
كانوا يعملون وقال تعالى ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من
يأتي آمنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فطريقة سلف الامة
وائمتها اثبات الاسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل
كما قال الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والله سبحانه وتعالى بعث رسله باثبات مفصل
ونفي مجمل فاثبتوا له الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتعطيل
فالاثبات المفصل من صفاته واسمائه ما انزله في محكم آياته كقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم الى آخره
وقوله قل هو الله احد السورة وهو العليم الحكيم وهو العليم القدير وهو السميع البصير
وهو العزيز الحكيم وهو الغفور الرحيم وهو بكل شيء عليم الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه اتبعوا ما
اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم وغضب الله عليهم ولعنه وكلم الله موسى تكليما
ونادوناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ويوم ينادهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
كن فيكون ورحمتي وسعت كل شيء الى امثال هذه الآيات والاحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في اسماء الرب سبحانه وتعالى وصفاته فاته في ذلك من اثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل
واثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله عباده الى سواء السبيل فهذه طريقة الرسل
صلوات الله عليهم اجمعين بخلاف من حاد وزاغ عن سبيلهم من الكفار والمشركين ومن ضاهى
هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والقرامطة والجهمية والباطنية والملحدين فهم على الضد من ذلك

يتصفوه

فيصفون الله سبحانه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون له الا وجودا مطلقا لا
حقيقة له عند التامل وانما يرجع الى وجود في الاذهان لا في الاعيان فوقوعهم يستلزم التعطيل
والتمثيل فانهم يمثلونها بالممتنعات والمعدومات والجمادات ويعطلون الاسماء والصفات تعطيلا
يستلزم نفي الذات المقدسة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولما كانت صفاته تعالى
يقول بها اهل السنة وكذا المعتزلة على ما مر قدم البحث عليها ولما كانت صفاته تعالى منها ما
اتفق عليها كالصفات السبعة ومنها ما اختلف فيها كصفات فعله تعالى ورحمته وغضبه ونحوها
بدا بما اتفق عليه منها وهي السبع صفات التنويه الاولى ما اشار اليها بقوله ومما يجب له سبحانه وتعالى
الحيوة وهي صفة ذاتية تنويهية قديمة ازلية تقتضي صحة العلم والقدرة لاستحالة قيامهما
بغير الحي قال العلماء حياة الباري عز وجل مما اتفق عليه العقلاء لعدم الحياة في حقه لا يجوز
ان يكون بمعنى الحياة في حقنا لانها في حقنا قوة تتبع اعتدال النوع وهذا في حقه تعالى محال
ومن ثم اختلف في معناها في حقه تعالى فقال ابو الحسين البصري من المعتزلة حياته صحة العلم
والقدرة فمعنى كونه حيا انه يصح ان يعلم ويقدر وعند الفلاسفة الحي هو المدرك الفعال
وقال اهل السنة حياته سبحانه صفة زائدة على العلم والارادة قديمة قائمة بذاته لاجلها
يصح ان يعلم ويقدر لان صحة العلم والقدرة وكذا اكثرها جمهور الائمة من اهل السنة واجماعة
فهي صفة كمال في نفسها فاتصف بها جل وعلا فصفة الحياة هي الجامعة لسائر الصفات
متقدمة الرتبة عليها فلا تتقدمها الا الوجود وهي لا تتعلق بشيء لا موجود ولا معدوم و
مثلها الوجود والعدم والبقاء عندهم بعدها من الصفات الذاتية وضابطها انها كل صفة
لا تقتضي امرا زائدا على قيامها بالمحل فان العلم يقتضي معلوما والقدرة تقتضي مقدورا الخ

تنبيه ذكر الامام المحقق ابن القيم في البدايع ان الصفة متى قامت بموصوف فانها من
امور اربعة امر ان لفظيان وامر ان معنويان فاللفظيان ثبوتي وسلبي فالثبوتي ان يشتق
للموصوف منها اسم والسلبي ان يمتنع الاشتقاق لغيره والمعنويان ثبوتي وسلبي فالثبوتي
انه يعود حكمها الى الموصوف ويخبر بها عنه والسلبي انه لا يعود حكمها الى غيره ولا يكون خبرا
عنه وهذه قاعدة عظيمة في معرفة الاسماء والصفات كالكلام والعلم ونحوهما الثانية
ما اشار اليها بقوله ويجب له سبحانه وتعالى الكلام اي يجب الجزم بانه تعالى متكلم بكلام قديم ذاتي وجودي
غير مخلوق ولا محدث ولا حادث لا يشبه كلام الخلق قال شيخ الاسلام ابو العباس تقي الدين ابن تيمية

شرح رسالة الاصفهاني الامام المتكلم الاشعري قد اتفق سلف الامة وائمتها على ان الله تعالى
متكلم بكلام قام به وان كلامه تعالى غير مخلوق وانكر ذلك على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم
في قولهم ان كلامه تعالى مخلوق وخلقه في غيره وانه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة وكلم جبريل بكلام
خلقه في الهوى واتفق ائمة السلف على ان القرآن منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود قال
ومعنى قولهم منه بدا اي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة
وغيرهم بانه بدا من بعض المخلوقات وانه سبحانه لم يقم به كلام قال ولم يرد السلف انه كلام فارق
ذاته فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل الى
غيره فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل الى غيره وهذا قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه
كلام الله ليس ببائن منه خلقه في بعض الاجسام قال شيخ الاسلام ومعنى قول السلف واليه
يعود ما جاء في الاثار ان القرآن يسري به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه اية
وما جاءت به الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لهم باحسان وغيرهم من ائمة
المسلمين كالحديث الذي رواه الامام احمد في المسند وكتبه الى المتوكل في رسالته التي ارسل بها
اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تقرب العباد الى الله بافضل مما خرج منه يعني القرآن وفي
لفظ باحب اليه مما خرج منه وقول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة ان
هذا كلام لم يخرج من اله اي من رب وقول ابن عباس رضي الله عنهما لما سمع قائلا يقول الميت
لما وضع في قبره اللهم رب القرآن اغفر له فالتفت اليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال انه القرآن
كلام الله ليس بربوب منه بدى واليه يعود وهذا الكلام معروف عن ابن عباس رضي الله عنهما
وقول السلف القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود كما استفاضت الاثار عنهم بذلك
كما هو منقول في الكتب المسندة بالاسانيد المشهورة قال شيخ الاسلام في شرح الاصفهانية
وهذه حال وايات لا يدل شيء منها على ان الكلام يفارق المتكلم وينتقل الى غيره وانما يدل على ان
الله تعالى هو المتكلم بالقرآن وانه سمع لانه خلقه في غيره كما فسره بذلك الامام احمد وغيره من الائمة
قال ابو بكر الخلال سئل الامام احمد عن قوله القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود فقال الامام احمد
منه خرج هو المتكلم به واليه يعود يعني ما قد علمنا وقد سمعنا قال شيخ الاسلام كلام الباري جل وعلا صفة
ذات او صفة فعل فالجواب مذهب سلف الامة ومحققي الائمة انه صفة ذات وفعل معا فان
صفة الكلام لله عز شانه ثابتة باجماع الانبياء على ذلك فيتكلم اذا شاء متى شاء بلا كيف فان الكلام

صفة كمال

صفة كمال لا نقص فيه فالرب احق ان يتصف بالكلام من كل موصوف بالكلام اذ كل كمال لا نقص فيه
يثبت للمخلوق فالخالق اولى به لان القديم الواجب الخالق احق بالكمال المطلق من المحدث الممكن المخلوق
ولان كل كمال يثبت للمخلوق فانما هو من الخالق وما جاز اتصاف به من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له
لكان اما ممتنعا وهو محال بخلاف الفرض واما ممكنا فيتوقف ثبوته له على غيره والرب تعالى يحتاج
في ثبوت كماله الى غيره فان معطي الكمال احق بالكمال فيلزم ان يكون اكمل منه لو كان غيره معطيا الكمال
وهذا محال بل هو جل شانه بنفسه المقدسة مستحق لصفات الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلما
على غيره فيجب ثبوت كونه متكلما واذ قد ثبت كونه متكلما ولا يزال والمتكلم بمشيئته وقدرته اكمل ممن لا يكون
الكلام الا زمانا بعد ان لم يكن قادرا ومشيئته والذي لم يزل يتكلم اذا شاء اكمل ممن صار الكلام يمكنه
بعد ان لم يكن الكلام ممكنا له وحينئذ فكلامه مع انه تكلم بمشيئته وقدرته وقال ابن كلاب
ومن وافقه كلامه تعالى صفة ذات لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته هو متعلقا بالمشيئة وقدرته
بل هو قديم كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بقدرته ومشيئته لزم ان يكون حادثا فيلزم ان يكون مخلوقا
او قائما بذات الرب فيلزم قيام الحوادث به وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لان القابل
للشيء لا يخلو عنه وعما يضده قالوا وتسلسل الحوادث منقطع اذ التقدم على هذا الاصل
ثم انه هؤلاء لما قالوا بقدم عين الكلام تنازعوا فقالت طائفة القديم لا يكون حروفا ولا
اصواتا لان الصوت يستحيل بقاؤه كما يستحيل بقاء الحركة وما امتنع بقاؤه امتنع قدمه
عينه بطريق الاولى والاحرى فيمتنع قدم شيء من الاصوات المعينة كما يمتنع قدم شيء من الحركات
المعينة لانه تلك لا تكون كلاما الا اذا كانت متعاقبة والقديم لا يكون مسبوقا بغيره فلو
كانت الميم من بسم الله قديمة مع كونها مسبوقة بغيرها لكان القديم مسبوقا بغيره وهذا
ممتنع فيلزم ان يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تعدده لانه لو تعدد لكان اما ان يكون
بقدر دون قدر ترجيحا بلا مرجح وان كان لا يتناهى لزم وجود اعداد لا نهاية لها في آن واحد
قالوا وهذا ممتنع فيلزم ان يكون معنى واحدا هو الامر والنهي والخبر والتوراة والانجيل والزبور
والفرقان قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا اصل قول الكلابية والاشعرية
ومن وافقهم وقالت طائفة من اهل الكلام والحديث والفقهاء وغيرهم انه حروف قديمة الاعيانها
لم تزل ولا تزال وهي مرتبة في ذاتها الاني وجودها كالحروف المرتبة في المصحف وليست باصوات
قديمة ومنهم من قال بل هو اصوات ايضا قديمة ولم يفرق هؤلاء بين الحروف المنظومة التي لا توجد

الامتحاقة وبين الحروف المكتوبة التي توجد في اذا واحد كما يفرق بين الاصوات والمداد ويمتنع ان يكون
الصوت المعين قديما لانه ما وجب قدمه لزم بقاؤه وامتنع عدمه والصوت لا يبقى واما
الحروف المكتوبة فقد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد وما تقدر مقدار المداد كالشكل المصنوع
في حجر او ورق بازالة بعض اجزائه وقد يراد بالحروف نفس المداد واما الحروف المنطوقة فقد
يراد بها ايضا الاصوات المقطعة المؤلفة وقد يراد بها حدود الاصوات واطرافها كما يراد
بالحرف في الجسم حده ومنتهاه فيقال حرف الرغيف وحرف الجبل ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله
على حرف وقد يراد بالحروف الحروف الخالية وهو ما يتشكل في باطن الانسان من الكلام المؤلف
المنظوم قبل ان يتكلم به وقد تنازع الناس هل يمكن وجود الحروف بدون اصوات في الحي
الناطق على قولين لهم وعلى هذا تنازعت هذه الطائفة القائلة بقدم اعيان الحروف هل
تكون قديمة بدون اصوات قديمة ام لا بد من اصوات قديمة لم تزل ولا تزال ثم القائلون بقدم
الاصوات المعينة تنازعوا في المسموع من القاري هل يسمع منه الصوت القديم فقيل
المسموع منه هو الصوت القديم وقيل بل صوتان احدهما القديم والاخر المحدث فما لا بد منه
في وجود القرآن فهو القديم وما زاد على ذلك فهو المحدث وقيل بل الصوت القديم غير المسموع
من العبد وهذا كله كلام من لا يعول على كلامه من الفرق المائلة والذين قالوا ان كلامه تعالى
صفة فعل هم الذين يقولون ان القرآن مخلوق وبين الفريقين بون فالاولون يقولون
ان التكليم والند ليس الا مجرد خلق ادراك المخلوق بحيث يسمع ما لم يزل ولا يزال الا ان يكون
هناك كلام يتكلم الله بمشيئته وقدرته ولا تكلم بل تكلمه عندهم جعل العبد سامعا
لما كان موجودا قبل سمعه غير له كجعل الاعمى بصيرا لما كان موجودا قبل رؤيته من غير
احداث شيء منفصل عنه الاعمى وعندهم لما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم لا انه
نودي وهذا يقولون انه يسمع كلامه لخلقه بل كقول الناس يكلم خلقه واما الاخرون
وهم الخلقية الذين يقولون ان القرآن مخلوق خلقه الله في جسم من الاجسام المخلوقة كما هو
قول الجهمية الذين قالوا ان مخلوق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية ولا تخفى ان قوله تعالى
منزل من ربك يبطل هذا ولقول من يقول ان القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوقا اما
في جبريل او محمد او الهواء او اللهم جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي او اللهم محمد فعبر عنه بالقرآن
العربي او يكون اخذه جبريل من اللوح المحفوظ او غيره فهذا قول من يقول ان القرآن العربي ليس هو

كلام الله

كلام الله وانما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى وهذا قول
الكلابية والاشعرية في نفس القرآن العربي الذي جاء به جبريل من رب العالمين فبلغه للنبي الامين
واخبرنا الله ورسوله انه كلام رب العالمين نزل به الروح الامين وقالت طائفة بل الكلام لا
يقوم بالمتكلم ويمتنع ان يكون كلامه مخلوقا في غيره والحق جل شانه متكلم بمشيئته وقدرته
فكلامه حادث كما انه بعد ان لم يكن وهذا قول الكرامية ومن نحى نحوهم ثم منهم من يقول
كلامه حادث لا محدث ومنهم من يقول هو حادث ومحدث وتحرير مذهب السلف ان الله تعالى
متكلم كلما شاء وان كلامه قديم وان القرآن كلام الله وانه قديم حروفه ومعانيه وقد توعد الله جل شانه
من جعله قول البشر بقوله انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر
ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر ومحمد صلى الله عليه وسلم
بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول بشر او جني او ملك فمن جعله قولا لاحد
من هؤلاء فقد كفر واما قوله تعالى انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر فالمراد انه الرسول
بلغه عن مرسله لا انه قوله من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي ارسله كما قال وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فالذي يبلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه وهذا كان
النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في المواسم ويقول الا رجل يحملني الى قومه لابلغ كلام ربي
فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي رواه ابو داود وغيره والكلام كلام من قاله مبتديا به
لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون
يسمعه بعضهم من بعض فسماع موسى مطلق بلا واسطة وسماع الناس مقيد بواسطة كما قال تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وكلم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وبين التكليم
بواسطة الرسول كما كلم سائر الانبياء بارسال رسول اليهم والناس يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا تكلم بكلام تكلم بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه
بحركاتهم واصواتهم كما قال صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه فالمستمع
منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول واذا كان هذا معلوما
فمن يبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق اولى بذلك ولهذا قال تعالى فاجره حتى يسمع كلام الله
وقال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم فجعل الكلام كلام الباري وجعل الصوت الذي

يقرؤه بد العبد صوت القاري واصوات العباد ليست هي الصوت الذي ينادي الله به ويتكلم به كما
نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله فان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فليس
علمه مثل علم المخلوقين ولا قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه مثل نداءهم ولا صوته
مثل اصواتهم ثم قال عن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله او كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال
ومن قال ان اصوات العباد والمداد الذي يكتب به القرآن قديم ازلي فهو ملحد مبتدع ضال
بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت في المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القرا
ليس هو مسموعا منه تعالى فكلام الله تعالى قديم وصوت العبد مخلوق والحاصل ان مذهب
الحنابلة كسائر السلف ان الله تعالى يتكلم بحرف وصوت قال الامام الموفق في رسالته البرهانية
في حقيقة القرآن قال تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا وقال لكن الله يشهد بما انزل اليك
انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وهو في هذا الكتاب العزيز الذي بين
ماية واربع عشر سورة اولها الفاتحة واخرها قل اعوذ برب الناس مكتوب في المصاحف
متلو في المحاريب مسموع بالاذان متلو بالالسن محفوظ في الصدور له اول واخر واجزاء و
ابعاض وهو كلام الله وقولهم ان القديم لا يتجزى ولا يتعدد غير صحيح فان اسماء الله تعالى
متعددة قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما
من احصاها دخل الجنة وهي قديمة ونص الامام الشافعي ان اسماء الله غير مخلوقة وقال
الامام احمد من قال ان اسماء الله مخلوقة فقد كفر وكذا كتب الله التوراة والانجيل والزبور والفرقان
متعددة وهي كلام الله تعالى وقد ورد السمع بان القرآن ذو عدد وقد اتفق المسلمون بانه كلام الله تعالى
وقد عد الاشعري صفات الله تعالى سبعة عشر صفة وبين ان منها ما لا يعلم الا بالسمع فاذا
جاز ان يوصف بصفات متعددة لم يكن مدخول العدد في الحروف شيئا قال سيدنا الامام احمد
رضي الله عنه القرآن كيف تصرف فهو غير مخلوق ولا نرى القول بالحكاية والعبارة وغلط من قال
بهما وجهله فقال من قال ان القرآن عبارة عن كلام الله فقد غلط وجهل قال وقوله تعالى تكليما
يبطل الحكاية منه بدا واليه يعود قال الامام موفق الدين ابن قدامة واما قولهم ان كلام الله
يجب ان لا يكون حروفا يشبه كلام الآدميين فالجواب ان الاتفاق في اصل الحقيقة ليس
بتشبيه كما ان اتفاقا البصر في ادراك المبصرات والسمع في انه ادراك المسموعات والعلم
مع انه ادراك المعلومات ليس بتشبيه كذلك هذا وانه لا يلزم من ان نفي هذه الصفة لكون

هذا

هذا تشبيها ان ينفوا سائر الصفات من الوجود والحياة والسمع والبصر وغيرها واما قولهم ان
الحروف تحتاج الى المخارج والادوات فالجواب ان احتياجها الى ذلك في حقنا لا يوجب ذلك في كلام
ربنا تعالى عما ذكر على ان بعض المخلوقات لم تحتج الى المخارج في كلامها كالارجل والايدي والجلود التي
تتكلم يوم القيمة والحجر الذي سلم على النبي صلى الله عليه وسلم والحصا الذي سبح في كفه والذراع المسمومة
التي كلمته وقال ابن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل واذا قالوا ان الله تعالى
لا حاجة له فيما عملنا فهو عين التشبيه الذين ينزهونه عنه واما قولهم ان الحروف
الحروف قلنا انما كان ذلك في حق من ينطق بالمخارج والادوات والله سبحانه لا يوصف بذلك
قال الحافظ ابو نصر انما يتعين التعاقب في من يتكلم بادات يعجز عن اداء شيء الا بعد الفراغ من
غيره واما المتكلم بلا جارحة فلا يلزم في كلامه التعاقب وقد اتفقت العلماء على ان
الله سبحانه وتعالى يتولى الحساب بين خلقه يوم القيمة في حالة واحدة وعند كل واحد منهم
انه المخاطب في الحال هو وحده وهذا خلاف التعاقب قال الامام الموفق في قوله تعالى وكلم الله
موسى تكليما وكلمه ربه وقال تعالى ونادينا من جانب الطور الايمن وقال تعالى اذ ناداه ربه بالواد
المقدس طوى اجمعنا على ان موسى عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله تعالى من الشجرة
ولا من حجر ولا من غيره لانه لو سمع من غير الله تعالى لكان بنو اسرائيل افضل في ذلك منه لانهم سمعوا
من افضل ممن سمع منه موسى لكونهم سمعوه من موسى وهو على زعمهم انما سمع من الشجرة ثم يقال
لهم فلم سمي موسى كليم الله واذا ثبت ان موسى عليه السلام انما سمع من الله عز وجل لم يجز ان يكون
الكلام الذي سمعه الا صوتا وحرفا فانه لو كان معنى في النفس فقط ورويته لم يكن ذلك تكليما
لموسى ولا هو شيء يسمع والمفكر لا يسمى مناداة قال فان قالوا نحن لا نسميه صوتا مع كونه مسموعا
قلنا هذا مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى فانه لا يعني بالصوت الا ما كان مسموعا
ثم ان لفظ الصوت قد صحت به الاخبار وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ومن نفى الصوت
يلزمه ان الله تعالى لم يسمع احدا من ملائكته ولا رسله كلامهم بل الهمهم اياه الهاما قال وحاصل
الاحتجاج للنفي ارجع الى القياس على اصوات المخلوقين لانها التي عهدت ذات مخارج ولا
يخفى ما فيه اذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما ان الرؤية قد تكون من غير اتصال اشعة ولئن
سلم فيمنع القياس المذكور لانه صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوق واذا ثبت ذكر الصوت
بهذه الاحاديث الصحيحة وجب الايمان به بلا تعرض لنفي ولا اثبات واما التاويل وقال ابن حجر ايضا في موضع

آخر

من شرح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم ثم ينادي بهم بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد حمله
بعض الائمة على مجاز الحذف اي يأمر من ينادي فاستبعده بعض من اثبت الصوت بانا في قوله
يسمعه من بعد اشارة الى انه ليس من المخلوقات لانه لم يعهد مثل هذا فيهم وباذا الملائكة
اذا سمعوه صعقوا واذا سمع بعضهم بعضا لم يصعقوا قال وعلى هذا فصوته صفة
من صفات ذاته لا يشبه صوت غيره اذ ليس يوجد شيء من صفاته في صفات المخلوقين
قال وهكذا قرره المصنف يعني الامام البخاري في كتاب خلق افعال العباد انتهى ومن احاديث
في اثبات الصوت ما روى جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال خرجت الى الشام الى عبد الله
ابن انيس الانصاري رضي الله عنه فقال عبد الله بن انيس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يحشر الله العباد او قال الناس واومى بيده الى الشام عراة غرلا بهما قال قلنا ما بهما قال
ليس معهم شيء فينادي بهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا
ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة واحد من اهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ولا ينبغي
لاحد من اهل النار ان يدخل النار واحد من اهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة قلنا كيف وانما
نأتي الله حفاة عراة غرلا قال بالحسنات والسيئات اخرج اصله البخاري في صحيحه تعليقا
مستشهدا به الى قوله انا الملك انا الديان واخرجه الامام احمد وابو يعلى الموصلي والطبراني و
اخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي بسنده الى جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال بلغني ان
للنبي صلى الله عليه وسلم حديثا في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر فاشتريت بعيرا فشددت
عليه رحلا وسرت حتى وردت مصر فاضيفت الى باب الرجل الذي بلغني عنه الحديث فقرعت
بابه فخرج الي مملوكه فنظر في وجهي ولم يكلمني فدخل الى سيده فقال اعرابي ببابه فقال سلمه ان انت
فقال جابر ابن عبد الله الانصاري فخرج الي مولاه فلما عتق احدثنا صاحبه فقال يا جابر
ما جئت تعرف فقلت حديث بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم في القصاص ولا اظن ان احدا ممن
مضى وممن بقي احفظ له منك قال نعم يا جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
تبارك وتعالى يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة غرلا بهما ثم ينادي بصوت رفيع
غير فضيع يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل
اليوم ظالما ولو لطمة بكف ويدا على يد لاواه اشد ما اتخوف على امتي من بعدي عمل قوم لوط

فلما قرب

فلما قرب قيام العذاب اذا تكافأت النساء بالنساء والرجال بالرجال وقد رواه عبد الحق الاشبيلي
من طريق الحارث ابن ابي اسامة ومن مسنده نقله وخرجه علي ابن عبد العزيز المالكي
وغيره وفيه فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلي ثم سرت اليه فسرت شهرا حتى قدمت الشام
فاذا عبد الله ابن انيس الانصاري فاتيت منزله فارسلت اليه ان جابرا على الباب فرجع
الرسول الي وقال جابر ابن عبد الله قلت نعم فرجع الي فخرج فاعتنقته فقلت حديث بلغني انك
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم اسمعه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يحشر الله العباد او قال الناس الحديث وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اذا تكلم بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كالسلسلة على الصفا
فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فاذا جاءهم جبريل فزع عن
قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك قال يقول الحق فينادون الحق الحق اخرجاه ابو داود ورجاله
ثقات ونحوه من حديث ابي هريرة رواه البخاري وابو داود والترمذي وابن ماجه وكذا رواه الامام
احمد وابنه عبد الله وقال سألت ابي فقلت يا ابت بجهمية بن عمرو ان الله لا يتكلم بصوت فقال كذبوا
انما يروون على التعطيل ثم روى الامام احمد رضي الله عنه بسنده الى عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه
قال اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته اهل السماء قال البجري ومائج رواية هذا الخبر الا امام
مقبول وثقة الخبر فخروا سجدا حتى اذا فزع عن قلوبهم قال سكن عن قلوبهم قال
اهل السماء ماذا قال ربكم قالوا الحق قال كذا وكذا قال القاضي ابو الحسين وغيره
ومثل هذا لا يقوله ابن مسعود رضي الله عنه الا توقيفا فالاثبات صفة للذات انتهى وقد
روي في اثبات الحرف والصوت احاديث تزيد على اربعين حديثا بعضها صحاح وبعضها
حسان ويحتج بها واخرجها الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره واخرج سيدنا
الامام احمد غالبها واحتج به واخرج الحافظ ابن حجر غالبها ايضا في شرح البخاري واحتج
بها البخاري وغيره من ائمة الحديث على ان الله تعالى شأنه يتكلم بحرف وصوت وقد صححوا هذا
الاصل واعتقدوه واعتمدوا على ذلك منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث
وسمات النقص فاذا رأينا احد من الناس مما لا يقدر عشر معشار هؤلاء يقول لم يصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم حديث واحد انه تكلم بحرف وصوت ورأيت هؤلاء الائمة قد دونوا هذه الاخبار
وعملوا بها ودانوا الله سبحانه وتعالى بها وصرحوا بان الله تعالى تكلم بحرف وصوت لا يشبهان اصوات مخلوق

والاحرف بوجه البتة معتمدين على ما صح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في اقواله وافعاله الذي
لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى مع اعتقادهم الجازم الذي لا يعتريه شك ولا وهم ولا خيال
نفي التشبيه والتمثيل والتحريف والتعطيل بل يعتقدون في صفة الكلام كما يقولون في سائر الصفات
اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل كما عليه سلف الامة وفحول الائمة فهو حق اليقين بلا محال وهل
بعد الحق الا الضلال تنبيه مما ذهب اليه السلف والحنابلة ما قدم كلام الله تعالى
انه بحرف وصوت مرتب متأخر بعضه عن بعض متخلق
ومجاز فوسيأتي لذلك تتمة عند ذكر القرآن الكريم والفرقان القديم وبالله التوفيق الصفة
الثالثة والرابعة ما اشار اليهما بقوله ويجب سبحانه وتعالى البصر وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى
يتعلق بالمبصرات فيدرك بها ادراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تأثر حاسة كما
يأتي الكلام على ذلك مع السمع قريبا سمع باسقاط حرف العطف اي ويجب له سبحانه وتعالى سمع قال
العلامة ابن هشام في حذف حرف العطف بابه الشعر كقول الخطيئة فانا امرأ رهطه بالشام منزله
بوملي يبوني جار بيدما اغتربا اي ومنزله والسمع صفة قديمة تتعلق بالمسموعات واثبات
هاتين الصفتين اعني السمع والبصر للدلائل السمعية وهما صفتان زائدتان على الذات عند
اهل السنة كسائر الصفات لظواهر الايات والاحاديث وليستا راجعتين الى العلم بالمسموعات
والمبصرات خلافا للفلاسفة ومعتزلة وافقهم وللامام ابي الحسن الاشعري في قوله انهما راجعتان
الى العلم بالمسموع والمبصر لكن المشهور من مذهب الاشاعرة كسائر اهل السنة انه كلام السمع
والبصر صفة مغايرة للعلم ونقل صاحب المواقف ان الجمهور خالفوا ابا الحسن الاشعري في قوله
انهما راجعتان الى العلم قال فانا اذا علمنا شيئا كالنار مثلا علمنا انا نراه فانا نجد بين
الحالتين فرقا ضروريا ونعلم ان الحالة الثانية مخالفة للحالة الاولى بلا شبهة ولو كانا الابصار
علما بالمبصر لم يكن هناك فرق وهكذا نجد الفرق بين العلم بهذا الصوت وسماعه وبين
العلم بهذا الطعم وذوقه وبين العلم بهذه الرائحة وشمها وظواهر الكتاب والسنة تدل على
المغايرة بين العلم والسمع والبصر ففي البخاري في باب وكان الله سميعا بصيرا عن عائشة
رضي الله عنها قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا اذا علونا كبرنا فقال اربعوا على انفسكم فانكم
لا تدعون اصم ولا غائبا تدعون سميعا بصيرا قريبا الحديث وقال الامام الحافظ البيهقي في
كتابه الاسماء والصفات السميع من له سمع يدرك به المسموعات والبصير من له بصر يدرك به

الرياض

المرئيات والكلام منها في حق الباري صفة قائمة بذاته تعالى وقد افادت الآية والاحاديث الرد على من
زعم انه سميع بصير بمعنى عليم واخرج ابو داود بسند قوي على شرط مسلم من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها الى قوله ان الله كان سميعا بصيرا ويضع اصبعيه قال ابو عيسى ووضع ابو هريرة ابهامه
على اذنه والتي تليها على عينه قال البيهقي واراد بهذه الاشارة تحقيق اثبات السمع و
البصر له لبيانا لمحلهما من الانسان يريد ان له سمعا وبصرا لا بآلة المراد بها العلم فانه لو كان كذلك
لأشار الى القلب لانه محل العلم ولم يرد بذكر الجارحة فان الله تعالى منزه عن مشابهة
المخلوقين ولا يلزم من قدم السمع والبصر قدم المسموعات والمبصرات كما لا يلزم من قدم العلم و
القدرة قدم المعلومات والمقدورات لانها صفات قديمة تحدث لها تعلقات بالحوادث
الصفة الخامسة ما اشار اليها بقوله ارادة باسقاط حرف العطف على ما مر اي ويجب
له تعالى صفة الارادة ويراد فيها المشيئة وهما عبارتان عن صفة هي الحي توجب تخصيص احد
المقدورين به احد الاوقات بالوقوع مع استوا نسبة القدرة الى الكل قال علماء الكلام
نسبة الضدين الى القدرة سواء اذ كما يمكن ان يقع بقدرته تعالى احد الضدين يمكن ان يقع به
الضد الاخر ونسبة كل منهما الى الاوقات سواء اذ كما يمكن ان يقع في وقته الذي وقع فيه يمكن ان
يقع قبله او بعده فلا بد من مخصص يرجح احدهما على الاخر ويعين له وقتا دون سائر الاوقات
وهذا المخصص هو الارادة واحدة وهي قديمة ازلية باقية اذ لو كانت حادثة لزم كونها
محلا للحوادث وايضا لاحاجة الى ارادة اخرى وهي شاملة لجميع الكائنات لانه تعالى موجد
لكل ما يوجد من الممكنات ولانه تعالى فاعل بالاختيار فيكون مريدا لها لان الايجاد بالاختيار
يستلزم ارادة الفاعل وياتي تتمة الكلام عند ذكر متعلق القدرة والارادة ان شاء الله تعالى
الصفة السادسة ما اشار اليها بقوله ويجب سبحانه وتعالى علم اي يجب الجزم بانه تعالى
عالم بعلم واحد وجودي قديم ذاتي باق به ينكشف له المعلومات عند تعلقه بها وانما قلنا
بانه علم ذاتي لسائر صفاته تعالى للرد على الحكماء القائلين بنفي الصفات واثبات غاياتها والرد
على المعتزلة القائلين بانه تعالى عالم بالذات لا بصفة زائدة تعلمها والدليل على ان صفاته
زائدة على ذاته ورود النصوص بانه تعالى حي وعالم وقادر ونحوها وكونه عالما يعلم بقيام العلم به
في الشاهد فكذا في الغائب وقس عليه سائر الصفات وايضا العالم من قام به العلم والقادر

الصفات واما المعتزلة واتباعهم فانهم يعترفون بما يستلزم اثباتها فانهم يثبتون كونه
حيا عالما قادرا وهذا بعينه يستلزم اثبات الصفات قال شيخ الاسلام ابن تيمية منشأ
الضلال في هذا الموضع ان مسمى واجب الوجود عبر وا به عن عدة معان احدها الذي
يكون موجودا بنفسه لا يفتقر الى مبدع وهذا هو الذي يدل عليه وجود الممكنات والثاني
الذي لا يكون له تعلق بغيره ولا ملازمة بينه وبين غيره وفي الصفات انما يكون على هذا
التقسير لا على المعنى الاول ثم بعد كلام كثير لابن تيمية رحمه الله يرد به على الفلاسفة
والمعتزلة واضرابهم قال ومن المعلوم لكل من عرف ما جاءت به الرسل ان التوحيد الذي ارسل الله
به رسله وانزل به كتبه لم يتضمن نفي صفات الله بل الكتب الالهية مملوءة باثبات صفات الله قال
وكذلك العقل الصريح هو موافق لما جاءت به الكتب الالهية من اثبات صفات الكمال لله تعالى
وقول هؤلاء وامتناع اثبات واجبين قديمين لفظ فيه اجمال وابهام فان اريد بذلك نفي
الهين واجبين او الهين قديمين فهذا حق لا ينازع فيه مسلم وكذلك ان عنوا انفي موجودين
قائمين بانفسهما واجبين او قديمين فهذا حق منهم وان كان هذا بعض مرادهم فلم يقتصروا
عليه بل اراد وا نفي صفات الله الواجبة القديمة كعلمه وقدرته وحيه ففي واجبين قديمين
بهذا الاعتبار باطل وهم قد يقولون لو كانت الصفة ثابتة لكانت مشاركة في اخص صفاته
فتكون الصفة الها ويدعون ان من اثبت الصفات فقد قال بقول النصارى كما حكاه سيدنا
الامام احمد وغيره من ائمة السنة عنهم وهو موجود في كلامهم وهذا باطل ومن المعلوم
ان صفة الموصوف المحدث الممكن اذا وافقته في كونها محدثة ممكنة لم يلزم ان تكون مماثلة
له فليست صفة النبي نبيا ولا صفة الانسان انسانا فكيف يجب ان تكون صفة الاله الها
بل هو سبحانه الواحد المختص بالايمائلة فيه غيره من صفات الكمال منزه عن صفات
النقص مطلقا وهو ان يكون له كفوا في شيء من صفات الكمال قال شيخ الاسلام ومعرفة
هذا من اهم الامور فان نفاة الصفات ادخلوا ذلك في مسمى التوحيد وجعلوا هذا من مسمى
التوحيد فلبسوا بذلك على كثير من الناس اذ كان مسمى التوحيد في غاية العظمة عند اهل الملل فاذا
ظن من لم يعرف حقائق الامور ان ما ذكروه من النفي المستلزم للتعطيل هو من التوحيد الذي
بعث الله به الرسول انقلب دين الاسلام في نفسه فجعل ما هو داخل في التعطيل الذي ذم الله به
فرعون وغيره من الكافرين هو من التوحيد الذي بعث الله به المرسلين ولهذا كان علماء الحديث
يصنفون في الكتب في التوحيد يذكرون فيه اثبات ما اثبته الله ورسوله من الاسماء والصفات ونقض

من قامت به القدرة فان قيل قياس الغائب على الشاهد فقهي فالجواب انه ليس كذلك بل هو
قياس في الجملة قال شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح العقيدة الاصفهانية عما الامام الرازي
في كتاب نهاية العقول قال نفاة الصفات اذا ذات الله تعالى لو كانت موصوفة بصفات قائمة بها
لكانت الحقيقة الالهية مركبة من تلك الذات ومن تلك الصفات ولو كانت كذلك لكانت ممكنة لان
كل حقيقة مركبة فهي محتاجة الى اجزائها وكل واحد من اجزائها غيرها فاذا كل حقيقة مركبة
فهي محتاجة الى اجزائها غيرها وذلك في حق الله تعالى محال فاذا يستحيل اتصاف ذاته بالصفات
قال الرازي في الجواب عن هذا قوله يلزم من اثبات الصفات وقوع الكثرة في الحقيقة الالهية
فقلنا تلك الحقيقة ممكنة قلنا الا غنيتم به احتياج تلك الحقيقة الى اجزاء خارجية فلا يلزم من الاحتياج
استناد تلك الصفات الى الذات الواجبة لذاتها والا غنيتم توقف الصفات في ثبوتها على الذات
المخصوصة فذلك مما تلتزمه فاين المحال وايضا فعندكم الاضافات صفات وجودية في الخارج
فيلزمكم ما الزمتمونا ثم قال الرازي ومما يبين فساد قول الفلاسفة في قولهم الشيء الواحد
لا يكون موثرا وقابلا انهم اتفقوا على ان الله تعالى عالم بالكليات واتفقوا على ان العلم بالشيء عبارة
عن حصول صورة مساوية للمعلوم في العالم واتفقوا على ان صور المعلومات موجودة في
ذات الباري تعالى حتى ان ابن سينا قال ان تلك الصور اذا كانت داخلة في الذات بل كانت من
لوازم الذات لم يلزم منها محال واذا كان كذلك فذاته موثرة في تلك الصورة وقابلة لها
ومن كابر في ذلك فمذهبه لا كيف يمكنه انكار الصفات قال وبالجملة فلا فرق بين الصفاتية
وبين الفلاسفة الا ان الصفاتية يقولون الصفات قائمة بالذات والفلاسفة يقولون
هذه الصور العقلية عوارض مقومة بالذات فالذي تسميه الصفاتية صفة يسميه
الفلسفي عارضا والذي يسميه الصفاتي قائما يسميه الفلسفي قواما او مقوما فلا فرق
الا في العبارة وقد عارضه شيخ الاسلام في بعض مقالته وغض من بعض ادلته مما اعترض
عليه ما ذكره من اتفاق الفلاسفة على ان الله تعالى عالم بالكليات قال هو اتفاق ابن سينا واتباعه
بخلاف ارسطو واتباعه وكذلك ما ذكره من قولهم باثبات صور المعلومات لذاته وانما عارضته
لذاته هو قول ابن سينا وموافقيه صرح بذلك في الاشارات وهو مما اعترف الفلاسفة
بتناقض ابن سينا واتباعه بذلك في مسئلة توحيدهم ونفي الصفات حيث قالوا بنفي الصفات
الثبوتية مطلقا ثم قالوا باثبات صور علمية وجودية قائمة بذاته وهو تصريح باثبات
الامور الوجودية القائمة بذاته ثم ان شيخ الاسلام بعد ما افسد كلام الفلاسفة وبرهن
على افسادها قال ثم ان نظار المسلمين ردوا عليهم اما الصفاتية بانهم يلتزمون اثبات

الصفة

لهو رأي النفاة فانه منفي الصفات لم يكن الا معدوما فاثبات ذات بلا صفات اوجود
مطلق لا يتعين انما يتحقق في الاذهان كما في الاعيان فمن لم يثبت لله الصفات لم يحقق عبادته
قلهذا وغيره كان الشرك بعبادة غير الله واقعا في نفاة الصفات تنبيه ذكر شيخ الاسلام
ابن تيمية وغيره من علماء الكلام ادلة عقلية على اثبات صفة العلم لله منها ايجاده سبحانه
وتعالى للاشياء المستحيلة ايجادا مع الجهل قال شيخ الاسلام هذا الدليل مشهور عند نظار
المسلمين اولهم واخرهم والقرآن قد دل عليه كما في قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير قال
والفلاسفة ايضا سلكوه وبيانه من وجوه احدها ان ايجاده للاشياء هو بارادته والارادة تستلزم
تصور المراد وهو العلم فكان الايجاد مستلزما للارادة والارادة مستلزمة للعلم فالايجاد
مستلزم للعلم الثاني ان المخلوقات فيها من الاحكام والاتقان ما يستلزم علم الفاعل بها
لان الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم قال وبهذين الطريقين يتقرر ما ذكره
اي الاصفهاني في عقيدته قال شيخ الاسلام ولهم طرق اخرى منها ان من المخلوقات ما هو عالم
والعلم صفة كمال ويمتنع ان يكون المخلوق اكمل من الخالق اذ كل كمال فيه فهو منه فيجب ان يكون الخالق
عالما قال وهذا الطريق احدها ان يقال العلم بالضرورة ان الخالق اكمل من المخلوق وانه
الواجب اكمل من الممكن ويعلم بالضرورة انا اذا فرضنا شيئين احدهما عالم والآخر غير عالم
كان العالم اكمل فلو لم يكن الواجب عالما لزم ان يكون الممكن اكمل منه وهو ممتنع الثاني ان يقال
كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه ومن الممتنع ان يكون فاعل الكمال وسيد عار
عنه بل هو احق به والله سبحانه وتعالى له المثل الاعلى لا يستوي هو والمخلوق في قياس شمول
ولا في قياس تمثيل بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق تعالى احق به وكل نقص تنزه عنه مخلوق فما
فتنزيه الخالق عنه اولى وقال شيخ الاسلام في موضع آخر وهذا كان المستعمل في
الكتاب والسنة وكلام السلف في حقه تعالى هو القياس الاولى مثل ان يعلم ان ما ثبت لغيره من
كمال مطلق لا نقص فيه فهو احق بان يثبت له من ذلك الكمال ما هو احق به مما سواه فاذا كان
الحياة والعلم والقدرة كمالا لا نقص فيه وقد اتصف به المخلوق فالخالق تعالى احق ان يتصف
بالحياة والعلم والقدرة وما تنزه عنه غيره من العيوب فهو سبحانه احق بتنزيهه عنه كما في قوله
ولله المثل الاعلى انتهى ملخصا ودليل ثبوت صفة العلم لله تعالى سمعا من الكتاب والسنة كثير جدا
كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة لكن اسمع شهد ما انزل الله كما انزله بعلمه والملائكة يشهدون
اليه برد علم الساعة ولا يحيطون بشيء من علمه بعلم ما تخفي الانفس وتكن الصدور وما لا يحصى من الايات

الا بكلفة وفي حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال سبق علم الله في خلقه فهم صائرون اليه وفي ٥١
حديث ابن عمر رضي الله عنهما مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله الى غير ذلك من الايات والاخبار و
الله ولي الاسرار السابعة ما اشار اليها بقوله واقتدر جل شانه على ايجاد الموجودات وخلق
الممكنات بقدرة وهي صفة ازلية توثر في المقدورات عند تعلقها بها فالله جل شانه قادر على بقدرة تعلقت بممكن
جميع الممكنات باتفاق المتكلمة وكذا الحكما لكن القدرة عند المتكلمين عبارة عن صحة الفعل والترك
وعند الحكما عبارة عن كونه بحيث ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل ومقدمة الشرطية لما ولي
بالنسبة الى وجود العالم دايم الوقوع ومقدمة الشرطية الثانية بالنسبة الى وجود العالم
دايم ان لا وقوع وصدق الشرطية لا يستلزم صدق طرفيها ولا نبالي في كذبهما ودوام الفعل
وامتناع الترك بسبب الغير لا ينافي الاختيار كما ان العاقل ما دام عاقلا لا يغمض عينه كلما قرب منه
من عينه بقصد الغمر فانه يغمضها بالاختيار وامتناع ترك الماء غاض بسبب
كونه عالما بضرر الترك لا ينافي الاختيار فاتضح ان يكون علة عين ذاته كل هذا على راي الحكما
القائلين ان المقتضي لقدرته هو الذات والصحيح للمقدورية هو الامكان فاذا ثبت قدرته
على البعض يثبت على الكل لان العجز عن البعض نقص وهو على الله محال مع ان النصوص قاطعة
بعموم القدرة كقوله تعالى وهو على كل شيء قدير قال الاصفهاني في عقيدته الدليل على قدرته ايجاد
الاشيا وهو اما بالذات وهو محال والا لكان العالم وكل مخلوق قائمة قديما وهو باطل فتعين
ان يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وقد يقال
هذا انما اثبته به كونه فاعلا بالاختيار يثبت الارادة لا يثبت القدرة ثم قال في اثبات القدرة
وتقريره كما ان يقال انه اما ان يكون المبدع للاشيا مجرد ذات عرية عن الصفات مستلزمة
وجود المفعول كما يقوله المتفلسفة القائلين بقدم الافلاك وصدورها عن ذات مجردة
واما ان يكون ذاتا موصوفة بصفات لا يجب معها وجود المخلوقات كما عليه اهل الملل والاول باطل
لانه يستلزم ان لا يحدث في العالم شيء لان العلة التامة القديمة يجب ان يستلزم معلولها
فلا يتاخر شيء من معلولها عنها الا زل وهو خلاف الحس والمشاهدة وهذا الوجه
يبطل قولهم بالموجب بالذات وتقدم شيء بعينه من اجزاء العالم وسواء فسر الموجب بذات
مجردة مستلزمة للمعلول او بذات موصوفة مستلزمة للموجب فان القول بكون المبدع ملزوما
لموجبه ومقتضاه مع تاخر بعض ذلك عنه الزل جمع بين النقيضين الى ان قال والصفة التي
يصلح بها الفعل هي القدرة او يقال فاذا لم يكن موجبا بذاته بل بصفة تعين ان يكون مختارا فانه

الا بكلفة

اما موجب بالذات واما فاعل مختار بالاختيار والمختار انما يفعل بالقدرة اذ القادر هو الذي ان شاء فعل
وان شاء لم يفعل فاما ما يستلزم المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة التي
تستلزم الحركات الطبيعية الذي لا قدرة له على فعلها ولا تركها وحقيقة الامر ان العلم بكونه
الفاعل قادرا علم ضروري الى ان قال صفة التي تسمى قدرة واذا كانت اكمل من غيرها سميت قوة
قال تعالى وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وقد ذكر قوله
اشد منهم قوة في غير موضع وقال تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ثم قال والذي دل عليه
الكتاب والسنة وكان عليه سلف الامة وائمتها ان الله يخلق الاشياء بالاسباب فالقوى التي جعلها
الله في الحيوان والجماد هي من الاسباب التي بها يحدث الحوادث قال ومذهب السلف والائمة
ان الله خلق كل شيء بمشيئته وقدرته وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فقدرته ومشيئته تستلزم
وجود المقدور ولفظ الاختيار في القرآن والسنة وكلام السلف يتضمن تفضيل المختار على غيره
قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال ما كان لهم الخيرة فذكر الاختيار بعد المشيئة وقد صار
لفظ الاختيار يعبر به عن الارادة بناء على ان العالم لا يريد الا ما هو خير مما عداه او بناء على ان
الحي المريد الا ما هو خير له من غيره وان كان قد يغلط في اعتقاده انه خير من غيره والمقصود
ان السلف والائمة وجمهور الامة يثبتون في المخلوقات قوى وقدرة تصدر الحوادث عنها
فاثبات القوة لله تعالى وقدرته على الفعل من ابين الاشياء عندهم والعلم بذلك هو اظهر المعارف
واجلاها فانه قد استقر في فطرهم ان الفاعل لا يكون الا قادرا وان القدرة صفة كمال فاذا
كان المخلوق قويا قادرا على ما يفعله فالخالق تعالى اولى ان يكون قادرا قويا على ما يفعله ومن المستقر
في الفطر ايضا انه اذا فرض الفاعل غير قادر على الفعل امتنع كونه فاعلا ولهذا كان من نفى ان
يكون للعبد قدرة مؤثرة كالجهم ابن صفوان وابي الحسن الاشعري ومن اتبعهما لا يسمون العبد
فاعلا بل يقولون هو كاسب وانه ليس له قدرة مؤثرة في المقدور ومذهب ائمة السلف
وعلماء اهل السنة ان الله تعالى خالق لافعال العباد مع قولهم ان العبد فاعل قادر يفعل بمشيئته
وان الله خالق ذلك كله وانه تعالى اذا خلق للعبد قدرة تامة ومشيئة جازمة كان هذا
مستلزما لخلق المراد المقدور قال شيخ الاسلام ابن تيمية مذهب السلف وجمهور المسلمين
الذين يثبتون القدر يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وان العبد فاعل قادر مختار
والله تعالى خالق فعله وقدرته ومشيئته كما قال تعالى والله خلقكم وما تعملون فاذا تحقق العبد
هذا المقام زالت عنه اشكالات كثيرة ويظهر له ان لا منافاة بين ان يكون الرب قادرا مختارا

ما شاء كان

ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو موجب بمشيئته وقدرته ما شاءه من المقدورات فما شاءه وجب
وجوده وما لم يشأه امتنع وجوده فهو موجب بذاته الموصوفة بالمشيئة والقدرة وكل
ما شاءه فهو محدث كائن بعد ان لم يكن ليس معه شيء قديم بقدمه فاذا علم هذا وانضم الى ما قاله
السلف وجمهور ائمة السنة انه تعالى يخلق الاشياء بالاسباب وانه يخلق بحكمة علم بانه تعالى
قادر مختار والكثرة فروع هذه المسئلة وما تنازع الناس فيها وكثرة لوازمها قال جلال الدين
الدواني في شرح العقائد العضدية الاولى في اثبات هذا المطلب بل سائر المطالب التي يتوقف
ارسال الرسول عليها ان يتمسك فيها بالدلائل السمعية فيستدل على شمول القدرة بقوله تعالى
ان الله على كل شيء قدير وعلى شمول العلم بقوله والله بكل شيء عليم وامثال ذلك ولما فرغ من
تعداد السبع صفات التي يثبتها المتكلمة الصفاتية وغيرهم شرع في ذكر ما لها من المتعلقات
وتقدم ان الحياة لا تتعلق بشيء فقال تتعلق قدرته الله تعالى الازلية القديمة الذاتية بكل ممكن
وقد علمت ان الممكن ما ليس بواجب الوجود ولا مستحيل الوقوع ولم يوجد شيء ولن يوجد
شيء الا بها وقد نص سيدنا الامام احمد رضي الله عنه انه تعالى قادر بقدرة قديمة وقوة شديدة
قال شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح العقيدة الاصفهانية الممتنع لذاته ليس شيء في
الخارج باتفاق العقلاء لامتناع ان يكون له في الخارج وجود او ثبوت عند من يفرق بين
الوجود والثبوت فهو سبحانه قادر على كل شيء واحد الضدين على سبيل البدل واما وجودهما
معا فليس بشيء بل هو ممتنع لذاته وكذلك وجود الملزوم بدون لوازمه التي يمتنع وجوده
بدونها هو من هذا الباب كوجود الولد قبل والده مع كونه قد ولده ووجود الصفات بدون
ذات تقوم بها ونحو ذلك قال ومن فهم هذا الامر انحلت عنه الاشكالات التي تورد على
قدرة الله وحكمته ومشيئته في مسائل القدر وغيرها وتبين له ان خير الكلام كلام الله
وانه سبحانه وتعالى بين في امهات المسائل والمطالب العلية احسن بيان واكمله حيث بين قدرته
على الاشياء لم يفعلها كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولو شاء الله ما اقتتلوا ونحو ذلك
مع انه تعالى لم يفعل مقدوره وتبين ان خلاف المعلوم مقدور ممكن باعتبار نفسه لكنه
لا يكون لعدم مشيئته له وهو لا يشاؤه لما في ذلك من فوات حكمته التي تمتنع اجتماعها مع
وجود هذا المفروض والله اعلم وقد سمى النظام ان القدرة لا تتعلق بواجب ولا مستحيل
فليسا متعلقا لها ولا عجب في ذلك لانها لو تعلقت بهما لزم انقلابهما جائزين ولزم
صحة تعلقها باعدام محلها قال بعض المتاخرين والاولى الاستدلال بالنصوص الدالة

على شمول قدرته تعالى اجمالا مثل والله على كل شئ قدير وخلق كل شئ فقدره تقديرا وتفصيلا مثل خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور خلق الموت والحياة تنبيهان الاول صحح بعض متاخري الاشاعرة ان للقدرة الازلية تعلقين صلوحيا وهو التعلق الازلي بمعنى انها في الازل صالحة للايجاد والاعدام على وفق تعلق الارادة الازلية بهما فيما لا يزال وتعلقا تنجيزيا وهو التعلق الحادث المقارن لتعلق الارادة بالحدوث الحالي وظاهر كلام علمائنا بل وكلام الامام احمد ان تعلق القدرة بالممكن تعلق واحد مغيا بغاية محدودة من الزمان يوجد في ذلك الزمان المخصص بالارادة القديمة الازلية والله اعلم الثاني مما طوائف الضلال القائلين بعدم شمول القدرة الازلية لجميع الممكنات المجوس قالوا ان الله تعالى لا يقدر على الشرور ولا خلق الاجسام المؤذية وانما القادر على ذلك فاعل آخر يسمى اهرمن ومنهم النظام واتباعه من المعتزلة قالوا ان الله تعالى لا يقدر على خلق الجهل والكذب والظلم وسائر القبائح ومنهم عباد الصمري واتباعه قالوا ان الله تعالى لا يقدر على ما علم انه لا يقع ولا ما علم انه يقع لاستحالة الاول ووجوب الثاني ومنهم الكعبي واتباعه قالوا لا يقدر على مثل مقدور العبد ومنهم الجبائي واتباعه قالوا ان الله تعالى لا يقدر على نفس مقدور العبد قال العلامة الشيخ مرعي رحمه الله في كتابه رفع الشبهة والغرر عما يحتج على فعل المعاصي بالقدر وذهب اهل الحق ان الرب سبحانه متفرد بخلق المخلوقات فلا خالق سواه ولا مبدع غيره وكل حادث فانه محدثه وقالت المعتزلة ان جميع افعال العباد من حركاتهم وسكناتهم واقوالهم واعمالهم لم يخلقها الله تعالى ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها الذين فعلوها دون الله تعالى وقال آخرون ليست مخلوقة ولكنها افعال موجودة لا خالق لها وقال آخرون هي فعل الطبيعة فالذين زعموا ان العباد خلقوها قالوا ان وقوع الافعال من العبد على وفق قصده وداعيته اقداما واحجاما دليل على انه موجدها ومخترعها قالوا ولو لا ذلك لكانت التكاليف كلها واقعة على خلاف ما استطاعة وتكليفا بالمحال وكان لا يحسن مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب وهو خلاف مقتضى العقل والشرع والعرف ونقل عن الامامية هل افعال العباد خلق لهم او خلق لله على قولين ونقل ابو حسن الاشعري عن الزيدية انهم فرقتان فرقة تزعم ان افعال العباد مخلوقة لله خلقها وابدعها وفرقة تزعم انها مخلوقة لله تعالى وانها كسب للعباد احدثوها واخترعوها وفعلوها واتى على هذه الثمانية في بحث القدر ان شاء الله تعالى ولما كانت الارادة تتعلق بما تعلقت به القدرة من جميع الممكنات قال كذلك اي مثل القدرة في التعلق بالممكنات الارادة فانها ايضا ارادة واحدة كما مر وان القدرة والمرادة غير متناهيتي المتعلقات كما قاله المتكلمون

الا ان

الا ان تعلق القدرة بالممكنات تعلق ايجاد واعدام وتعلق المرادة بها تعلق تخصيص كما تقدم والاولى التعويل في ثبوت عموم تعلق الارادة على الادلة السمعية مثل قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان قيل يلزم من عموم تعلق الارادة نفيها للزوم المحال وهو اما نسبة الارادة الى الفعل والترك والى جميع الاوقات على السواء اذ لو لم يجز تعلقها بالطرف الاخر وفي الوقت الاخر لزم نفي القدرة والاختيار واذا كانت على السواء فتعلقها بالفعل مثلا دون الترك وفي هذا الوقت دون غيره مفتقر الى مرجح ومخصص لامتناع وقوع الممكن بلا مرجح على راي المتكلمين فالجواب ان الارادة تتعلق بالمراد لذاتها من غير افتقار الى مرجح آخر لانها صفة شانها التخصيص والترجيح للمساوي والمرجوح فان قيل فمع تعلق الارادة لا يبقى التمكن من الترك وينتفي الاختيار فالجواب انه قد تقرر ان الوجوب بالاختيار محقق الاختيار ثم انا نقول قد تقدم ما يرد هذا مثل هذه الشبهة في كلام شيخ الاسلام ومن المعلوم ان تعلق القدرة والارادة بالممكنات بالنسبة الى الذات واما بعد التعلق والتخصيص فقد وقع ما وقع وامتنع ما امتنع وقال بعض محققي الاشاعرة الارادة تخصص ما تعلقت به وترجحه وعند وقوع المراد يزول التعلق الحادث مع بقائها اي القدرة بحالها وبقاء تعلقها الصلوحي بحالها ايضا تعلقات ازلي صلوحي وحادث تنجيزي كما للقدرة سواء وتقدم ما فيه والله اعلم تنبيهان الاول التعلقات الثانية للقدرة والارادة يعني التنجيزية مترتبة فتعلق القدرة تابع لتعلق الارادة وتعلق الارادة تابع لتعلق العلم فلا يوجد او يعدم سبحانه من الممكنات عندنا الا ما اراد ايجاده او اعدامه منها ولا يريد الا ما علم فما علم منها انه يكون اراده وما علم انه لا يكون لم يرده وقالت المعتزلة الارادة تابعة للامر والعلم فلا يريد عندهم الا ما امر به من الايمان والطاعة سواء وقع ذلك ام لا فعندنا ايمان ابي جهل ما مامور به غير مراد لله تعالى لعلمه سبحانه عدم وقوعه وكفر ابي لهب منهي عنه وهو واقع بارادة الله تعالى وقدرته وعند المعتزلة ايمانه مراد له ما مور به وكفره غير مراد له منهي عنه الثاني قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه الذي كتبه على حسن الارادة وكذلك تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف المعلوم قال فاذا اريد بالقدرة القدرة الشرعية التي هي مناط الامر والنهي كالاستطاعة المذكورة في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فكل من امره الله ونهاه فهو مستطيع بهذا الاعتبار والله اعلم انه لا يطيعه واذا اريد بالقدرة القدرة القدرية التي لا تكون الا مقارنة للمفعول فمن علم الله انه لا يفعل الفعل لم تكن هذه القدرة ثابتة له قال وفي هذا الباب تنازع الناس في الامر والارادة هل الله تعالى يامر بما لا يريد او لا يامر الا بما يريد

كذا المرادة في موضعين

قال فان الارادة لفظ فيه اجمال يراد بالارادة الارادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن وكقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومما يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقول نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فلا ريب ان الله تعالى يأمر العباد بما لا يريده بهذا
التفسير والمعنى كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فدل على انه لم يرد كل نفس هداها
مع ان الله تعالى امر كل نفس بهداها قال شيخ الاسلام واما الارادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضا
فهي ملازمة للامر كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم وكقول
المسلمين هذا فعل لا يريده الله اذا كان يفعل بعض الفواحش اي انه لا يحبه ولا يرضاه بل ينهى
عنه ويكرهه ثم قال اعلم ان التأثير اذا فسر بوجود شرط الحادث او بسبب يتوقف حدوث الحادث
على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك مخلوق لله تعالى فهذا حق وتأثير قدرة العبد مقدورها
ثابت بهذا الاعتبار واذا فسر التأثير بأنه المؤثر مستقل بالاثر من غير مشارك معاون ولا معاوق
مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثرا بل الله وحده خالق كل شيء فلا شريك له ولا نديد فما شاء
كان وما لم يشأ لم يكن ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم
فيهما من شرك وما لهم منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له الآية ولما كان
هذا المقام مشتملا على هذا الغموض والنزاع مما ذكرناه واضعاف اضعافه مما لم نذكره حسن
قوله في تتمة البيت فعي من وعاه يعيد حفظه وجمعه كاوعاه اي اجمع حواشي هذا الكلام
واحفظ مضمون هذا النظام واستبن اي اطلب البيان من مظانه والايضاح من مكامنه
فان قدرته تعالى القديمة وارادته الازلية التعلقية كل منهما انما يتعلق بالممكن الجائز كما في التفصيل
دون الواجب والمستحيل والله الموفق لسواء السبيل والعلم اي علم الله تعالى والكلام في كلامه سبحانه وتعالى
اي كل واحد منهما قديم فعلمه تعالى واحد وجودي قديم باقي ذاتي وكلامه تعالى قديم وجودي ذاتي
قد تعلقا اي علم الله وكلامه اي كل واحد منهما قد تعلق بكل شيء من الاشياء من الجائزات والواجبات
والمستحيلات فيجب شرعا ان يعلم ان علم الله غير متناه من حيث تعلقه اما بمعنى انه لا ينقطع وهو
واضح واما بمعنى انه لا يصير بحيث لا يتعلق بالمعلوم فانه يحيط بما هو غير متناه كالاعداد
والاشكال ونعيم الجنة فهو شامل لجميع التصورات سواء كانت واجبة كذاته وصفاته او
مستحيلة كشريك له تعالى او ممكنة كالعالم باسره الجزئيات من ذلك والكليات على ما هي عليه من جميع

ذلك

ذلك وانه واحد لا تعدد فيه ولا تكثر وانه تعدد في معلوماته وتكثرت اما وجوب عموم تعلقه سمعا
فقول قوله تعالى وانه بكل شيء عليم عالم الغيب والشهادة لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور يعلم ما تسرون وما تعلنون الى غير ذلك من الايات القرآنية واما
وجوب ذلك عقلا فلانه المقتضي للعالمية هو الذات اما بواسطة المعنى الذي هو العلم على ما هو مذهب
الصفاتية والسلف وهو الحق او بدونه على ما هو رأي الشيخ والمقتضي للمعلومية امكانها ونسبته
الذات الى الكل على السواء فلو اختصت عالمية بالبعض دون البعض لكان ذلك تخصيصا وهو محال
لامتناع احتياج الواجب في صفاته وسائر كماله الى التخصيص لمنافاته لوجوب الوجود والغنا
المطلق واما وجوب وحدته فلانه الناس جملة وتفصيلا انحصروا في فريقين احدهما اثبت العلم
القديم مع وحدته والآخر نفاه ولم يذهب الى تعدد علوم قديمة احد يعتمد عليه الا ابو سهل
الصعلوكي من الاشاعرة حيث قال ان لله علوما لا نهاية لها كما ان متعلقاتها كذلك وهو
محجوج بالاجماع السابق ولمقالته فان قيل كيف يستقيم القول بوحدة العلم مع كونه تعالى
عالما بما كان وبما يكون وبالكائن والعلم بذلك كذلك متغاير فالجواب ان الباري جل شانه
في ازله يتعلق علمه بوجود الشيء مضافا الى المحل المعين فالماضي والحال والاستقبال من عوارض
الاخبار عما تعلق علمه تعالى لا ظروف للعلم لانه ليس بزماني حتى يوصف بالماضي والحاضر و
المستقبل ومثاله الشبيه بما هيئ الاخبار عن ذلك التعلق المخصوص بالقول اللفظي فانه تقدم
زمان الاخبار عنه على زمان وجود ذلك الفعل سمي الاخبار مستقبلا وان تأخر سمي ماضيا وان قارن
سمي حالا فهي مسميات تعرض باعتبار الاخبار عنه اما تعلق العلم بوجوده في الزمان المعين
فشيء واحد وبعض الاشاعرة جعل للعلم تعلقين ازليا وتنجيزيا كالقدرة والارادة قال و
تلك الاخبار راجعة للتعلق التنجيزي قلت ومذهب السلف بمعزل عما يراد من هذا فان الله
قديم وصفاته قديمة وافعاله قديمة وما يتخيل للعقل من انواع التغيرات والتخالفات ينسب
واضافات بالنسبة لادراكاتنا والله الموفق تنبيهان الاول زعمت الفلاسفة انه لا
يعلم الجزئيات من حيث كونها جزئيات زمانية لمحيتها التغير قالوا لانا تغير المعلوم يستلزم
تغير العلم وذلك يستلزم تغير الذات وهو محال على الله تعالى بيان الملازمة انه لو كان عالما
بانه زيد جالس في المكان الفلاني فعند خروج زيد منه فاما ان يبقى ذلك العلم اولا فانه بقي لزم
الجهل وان كان الثاني لزم التغير في علمه وهو قائم به فلزم قيام الحوادث به وهو محال و
الجواب اختيار الثاني ومنع التغير في نفس العلم فان التغير تعلقه لا نفيه وتغاير الاضافة

والعلم والكلام قد تعلقا
يتعلق شيء بالخليق مطلقا

والنسب جائزة واجاب الفلاسفة عن هذا مشايخ اهل السنة ومشايخ المعتزلة بان علم الباري بان الشيء سيوجد ينقلب العلم بانه وجد فانا نعلم ان زيدا سيدخل البلد غدا فعند حصول الغد ينعلم بهذا العلم انه دخل البلد الآن وانما يحتاج احدنا العلم آخر لطريان الغفلة عن الاول والباري منزه عن ذلك فلا يلزم من علمه بالجزئيات تغير اصلا في علمه تعالى وهذه احدى مكفرات اهل الاسلام الفلاسفة بها وهم من احتالم الطامات المعضلات فلا يهولنك ما نسب اليهم من المعارف ودقائق الاخبار فما منهم الا المخالف او على شفا جرف هار الثاني مخالف في احاطة علمه تعالى بسائر الاشيا فرق سوى الفلاسفة فقالت فرقة بانه تعالى لا يعلم نفسه واحتجوا بان العلم نسبة عارضة للعالم بالنسبة الى المعلوم قالت والنسبة انما تتحقق بين المتغايرين فلا تتحقق عند عدم المغايرة والجواب عنه بانه صفة لا نسبة بل صفة ذات وايضا ينتقض ما زعموه بعلمنا فانا نعلم كل واحد منا بعلم نفسه ضرورة مع عدم المغايرة الثانية زعمت بانه تعالى وتقدس لا يعلم شيأ قالوا لانه لو علم شيأ علم علمه به وهو انما يكون بعد علمه بذاته ضرورة قالوا وقد علم امتناع علمه بذاته كما زعمت الفرقة الاولى وايضا لو كان يعلم شيأ امكن ان يعلم علمه به والا يلزم ان يكون واحدا عالما بالعلوم الهندسيات ولم يمكنه العلم بانه عالم بها وهذا العلم فاسده بنفس تصوره فلا يشتغل برده لانه هذيان من قائليه الثالثة زعمت انه لا يعلم غيره لان العلم بشيء غير العلم بآخر فلو كان عالما بالغير وغيره غير متناه يلزم قيام العلوم الغير المتناهية بذاته وهو يوجب الكثرة في الذات وهو محال والجواب ان الكثرة في المعلومات والتعلقات دون العلم وهذا بين الرابعة زعمت انه تعالى لا يعلم الشيء الغير المتناهي لانه كل معلوم متميز عند العالم عن غيره وتميز غير المتناهي عن الغير انما يكون بانه يحيط به حد وغاية يكون الغير خارجا عنه ومتميزا وغير المتناهي لا يكون له حد وغاية والا يكون متناهيا والجواب ان المعقول من كل واحد واحد من غير متناه وهو متميز وما هو غير متميز انما هو الكل من حيث هو غير متناه وهو لا يقدح في المطلوب لان المطلوب علمه بغير المتناهي وهو حاصل عند العلم بكل واحد واحد لكن خامسة زعمت انه تعالى لا يعلم الاشياء كلها قالت والا لزم ان يكون علمه بالشيء علما بذلك الشيء وهلم جرا فيلزم التسلسل والجواب ان هذا التسلسل في الاضافات والنسب وهو غير محال وبالله التوفيق الثالث معنى تعلق علمه تعالى بالمستحيل علمه تعالى باستحالته وانه لو تصور متصورا وقوعه لزم من الفساد كذا على ما اشار اليه بعض السلف بقوله علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون وبهذا تميز عن علمنا بالمستحيل الرابع قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ان علم الله تعالى السابق محيط بالاشياء

على ما هي عليه

على ما هي عليه ولا محو فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا انقص فانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون قال واما ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ فهل يكون فيه محو واثبات على قولين للعلما واما الصحف التي بيد الملائكة فيحصل فيها المحو والاثبات انتهى ومثل العلم في تعلقه بالواجب والجائز والمستحيل صفة الكلام فانه تتعلق بكل شيء من الثلاثة يعني الواجب والممكن والممتنع يا خليلي اي يا صديقي ومحبي مشتق من الخلة وهي توحيد المحبة فالخليل الذي يوجد حبه لمحبوبه وهي رتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين انما سميت خلة لتخلل المحبة جميع اجزاء الروح كما قال الشاعر قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلا قال والخليل الصديق والمانع خليله والخلالة مثلثة الصداقة والمودة مطلقا عن التقييد بواحدة من اللذات بل يعمها جميعها وسمعه سبحانه وتعالى كالبصر منه جل شانه فسمعه سبحانه وتعالى يتعلق بكل شيء مسموع وبصره سبحانه وتعالى يتعلق بكل مبصر فهو تعالى سميع بصير كما تقدم يسمع ويبصر بسمع وبصر قديمين ذاتيين وجوديين متعلقين بكل مسموع ومبصر كما ذكره علماؤنا واسندوه الى نص الامام احمد رضي الله عنه بقي هاتين الصفتين متحدتا المتعلق فتعلقا بالموجود واجبا كان او ممكنا عينا كان او معنى كليا كان او جزئيا مجردا كان او ذا مادة مركبا او بسيطا ولا يلزم من اتحاد الصفة اتحاد المتعلق فالبصر تتعلق بجميع المبصرات والسمع يتعلق بسائر الاصوات وتقدم الكلام عليهما والله اعلم فصل في مبحث القرآن العظيم والكلام المنزل القديم اعلم رحمك الله ان الناس اختلفوا في هذا الكتاب المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم ما نزل قطر وهطل فمذهب السلف الصالح وائمة اهل الاثر هو ما اشير اليه بقوله وانا اي نجزم ونتحقق فهو معطوف على قوله بانه واحد لا شبيه له ومن بعده فالواجب اعتقاده والملزوم اعتماده بانه ما اي الوحي والكلام الذي جاء من الله مع جبريل الملك المكرم امين الله على وحيه لانبيائه ورسله وفيه لغات عديدة منها جبرئيل كجبرعيل وضرقيل كما في النظم وجبرين بنون وغيرها هو محكم القرآن العظيم ومحكم التنزيل الذي انزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة امينه الفضيل الملك المعظم جبريل فهو عطف مرادف كلامه سبحانه وتعالى قديم قال الشيخ الامام ابو الحسن محمد ابن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول في الاصول سمعت الامام ابا منصور محمد بن احمد يقول سمعت الامام ابا بكر عبد الله بن احمد يقول سمعت شيخنا ابا حامد الاسفرايني يقول

وسمعه سبحانه كالبصر بكل مسموع وكل مبصر

وان ما جاء مع جبريل والتنزيل من معلم القرآن والتنزيل كلامه سبحانه قديم

مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فقد كفر و
القرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعا من الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة
رضي الله عنهم سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نتلوه نحن بالسنتنا وفيما بين الدفتين
وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومقروءا وكل حرف منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق
ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس اجمعين انتهى كلامه بحروفه وقد
اخبر الله تعالى بتنزيله وشهد بانزاله على رسوله فقال انا نحن نزلنا عليك القرآن
تنزيلا وقال وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقال جل شانه لكن الله يشهد
بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا والمنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
هو هذا الكتاب وقد امرنا سبحانه بترتيله فقال ورتل القرآن ترتيلا ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى
اليك وحيه وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به وامر سبحانه وتعالى بقراءته وبالاستماع والانصات اليه
واخبر انه يسمع ويتلى فقال حتى يسمع كلام الله وقال فاقرؤا ما تيسر من القرآن وانا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا وكل هذا من صفات هذا الموجود عندنا لا من صفات ما في النفس الذي لا
يظهر لحس ولا يدرى ما هو واخبر سبحانه ان منه سورا وايات وكلمات وقال الامام الموفق
في كتابه البرهان في حقيقة القرآن كتاب الله العزيز الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم فهو كتاب الله
الذي هو هذا الذي هو سور وايات وحروف وكلمات بغير خلاف قال تعالى تلك ايات الكتاب
المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا والايات في هذا
كثيرة جدا وكذا الاحاديث النبوية والاخبار الاثرية كقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن
حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه الحديث
وفيه فاتلوه فان الله يوجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات الا اني لا اقول الم حرف
ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاعربه فله بكل حرف
عشر حسنات ومن قرأه فلحن فيه فله بكل حرف حسنة حديث صحيح واجمع المسلمون على ان
القرآن انزل على محمد وانه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم المستمرة الذي تحدى الله الخلق بالاتيان
بمثله فعجزوا واجمعوا على انه يقرأ ويسمع ويحفظ ويكتب وكل هذه الصفات لا تعلق لها
بالكلام النفسي قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قاعدته التي في بيان ان القرآن كلام الله ليس
شيء منه كلاما لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم الى قوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق بيان ان نزول جبريل به من الله

فان

فان روح القدس هذا جبريل بدليل قوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله وهو
الروح الامين في قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربي مبين وفي قوله الامين دلالة على انه مؤتمن على ما ارسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه
فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة وقال في صفته في الاية الاخرى انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وفي قوله قل نزله روح القدس منزل من ربك دلالة
على امور فيها ابطال قول من يقول انه كلام مخلوق خلقه في جسم من الاجسام المخلوقة كما هو
قول الجهمية الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم فان السلف
كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الاخرة جهميا لان بدعة
نفي الاسماء والصفات اول ما ظهرت من جهم فانه بالغ في نفي ذلك فلهذه البدعة مزية المبالغة
وكثرة اظهار ذلك والدعوة اليه وان كان الجعد بن درهم قد سبقه الى بعض ذلك فانه اول من
احدث ذلك في الاسلام فضحي به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر فقال ايها الناس ضحوا
تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى
تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه فالمعتزلة وان وافقوا جهما على
بعض ذلك فهم يخالفونه في مسائل غير ذلك من مسائل الاسماء بالعدم وبعض مسائل الصفات
ولا يبالغون في النفي مبالغته فانهم يقولون ان الله لا يتكلم او يتكلم بطريق المجاز واما
المعتزلة فيقولون يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول جهم وهم ينفون الاسماء كما
نفتها الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة بخلاف المعتزلة فلا يغلون الاسماء وفي قوله تعالى
منزل من ربك دلالة على بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال
او غيره كما يقوله طوائف من الفلاسفة والصابئة وهذا القول اعظم كفرا من الذي قبله وفيها
دلالة ايضا على بطلان قول من يقول ان القرآن العربي ليس منزل من الله بل مخلوق اما في جبريل
او محمد او في جسم آخر كما يقول ذلك الكلابية والاشعرية القائلون بان القرآن العربي ليس
هو كلام الله وانما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى وهذا
يوافق قول المعتزلة ونحوهم في اثبات خلق القرآن العربي قلت وكل هذا ذكر جماعة من محققي الاشعرية
كالسعد التفتازاني والجلال الدواني وشرح جوهر المعضد لتلميذه الكرماني انه لا نزاع بينهم
يعني الاشاعرة وبين المعتزلة في تسمية الله متكلما بمعنى انه موجد الاصوات والحروف في الغير
وهو اللوح المحفوظ او جبريل او النبي صلى الله عليه وسلم وانما النزاع ان المعتزلة لم يثبتوا غير هذه

الاصوات والحروف الموجدة في الغير معنى قائما بذات الباري قالوا ونحن نعني معاشر الاشاعرة بذلك
فانهم يقولون كلام الله تعالى معنى قائما بذات الله معبرا عنه بالعبارات والالفاظ وهو الطلب
الذي يجده كل واحد منا عند الامر بالشيء قبل التلفظ بصيغة افعل قالوا فهو يغاير العبارات
والعلم والارادة اما العبارات فلانها تختلف بحسب الازمنة والاقوام دون المعنى القائم بذاته تعالى
واما العلم فلانه تعالى امر بالجهد بالايمان وكان عالما بانه لا يؤمن لان معلومه تعالى واجب الوقوع
فلو كان ايمان ابي لهب واقعا في علم تعالى لوقع ولم يقع واما الارادة فلانه تعالى امر به ولم يرده
فلذلك لم يقع قالوا فما قالت المعتزلة على حدوث الكلام لا ينفي قولنا بقدمه لانا ما قلنا
في حدوثه وجهان معقول ومنقول فالمعقول انه لو كان قديما يلزم تحقق الامر بلا مامور
وهو سفه وعبث وهذا انما يدل على حدوث لفظ الامر على حدوث المعنى القائم بذاته لا معنى
امره في الازل انه تعالى يطالب في الازل المامور به المامورين عند وجودهم كطلب الوالد
التعلم من ولده لا سفه في ذلك ولا عبث قالوا والمنقول ان القرآن ذكر والذكر محدث
ونقلوا من جنس هذا الكلام ضروبا والحاصل ان المعتزلة موافقة الاشعرية والاشعرية
موافقة المعتزلة في ان هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق محدث وانما الخلاف بين
الطائفتين ان المعتزلة لم تثبت لله كلاما سوى هذا والاشعرية اثبتت الكلام النفسي
القائم بذاته تعالى وان المعتزلة يقولون ان المخلوق كلام الله والاشعرية لا يقولون انه كلام الله
نعم يسمونه كلام الله مجازا هذا قول جمهور متقدميهم وقالت طائفة من متاخريهم لفظ الكلام
يقال على هذا المنزل الذي نقرؤه ونكتبه في مصاحفنا وعلى الكلام النفسي بالاشتراك اللفظي
قال شيخ الاسلام ابن تيمية لكن هذا ينقض اصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به
وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما يقوله المعتزلة مع انه كلام حقيقة
بل يجعلون القرآن العربي كلاما لغير الله وهو كلامه حقيقة قال شيخ الاسلام وهذا شر
من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه فقول المعتزلة اقرب قال وقول
الاخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة في المعنى يوافقونهم هؤلاء وانما ينازعونهم
في اللفظ الثاني اذ هؤلاء يقولون لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته والخلقية يقولون لا يقوم
بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر لكن جمهور المحققين من علماء
السلف يقولون ان اصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاما لله حقيقة غير المخلوق
لانهم يقولون ان الكلام النفسي انما معنى واحد هو الامر والنهي والخبر ان عبر عنه بالعربية

قولهم في

كان

كان قرانا وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وجمهور العقلاء يقولون
ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام فانا اذا عربنا التوراة والانجيل لم يكن
معناهما معنى القرآن بل معاني هذا ليست معاني هذا وكذلك قال هو الله احد ليس هو معنى تبت
يدا ابي لهب ولا معنى آية الكرسي وآية الدين وقالوا اذا جوز ان تكون الحقايق المتنوعة شيئا
واحدا لجوز ان يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف ائمة
هذا القول بان هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي ثم منهم من قال الناس في الصفات اما مثبت
لها واما نافٍ لها واما اثباتها واتحادها فخلاف الاجماع وممن اعترف بانه ليس لهم عنه جواب ابو الحسن
الآمدي وغيره من المحققين والمقصود ان النهر القرآني يبين فساد هذا القول فان قوله تعالى
قل نزله روح القدس من ربك تقتضي نزول القرآن من رب العالمين والقرآن اسم لهذا الكتاب
العربي لفظه ومعناه بدليل قوله فاذا قرأت القرآن فانه انما يقرأ القرآن العربي لا معانيه
المجردة وايضا فضمير المفعول في قوله نزله عائد الى ما في قوله تعالى والله اعلم بما ينزل فالذي
انزله الله هو الذي انزله روح القدس فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم ان يكون
نزله من الله فلا يكون شيء منه نزله من عند الاعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وايضا فانه تعالى
قال عقب هذه الآية ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي و
هذا لسان عربي مبين وهذا ظاهر الدلالة على بطلان زعمهم فقد اشتهر في التفسير ان بعض
الكفار كان يقول عمدوا الى محمد صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن من شخص كان بمكة اعجمي قيل انه كان مولى لابن الحضرمي
فاذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله عز وجل ابطل ذلك
بان لسان ذلك اعجمي وهذا لسان عربي مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربي المبين
وان محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس واذا كان روح القدس نزل به من الله علما
علم انه سمعه منه تبارك وتعالى لم يتلقه روح القدس وهذا بيان من الله تعالى ان القرآن
الذي هو باللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله سبحانه وتعالى ونزل به منه وقد قال
تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين والكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق فانه الكلابية
او بعضهم ومن وافقهم يفرقون بين كلام الله وكتاب الله فيقولون كلام الله هو القايم
بالذات وكتاب الله هو غير مخلوق وكتابه المنظوم المؤلف من الحروف العربي وهو مخلوق والقرآن
يراد به هذا تارة وهذا تارة وقد سمى الله في نفس مجموع اللفظ والمعنى قرانا وكتابا وكلاما فقال تعالى

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وقال طسم تلك آيات القرآن وكتاب مبين وقال واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فبين ان الذي
سمعوه هو القرآن وهو الكتاب وقال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ انه لقرآن كريم في كتاب مكنون
والمقصود ان قوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا هو الذي اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق اخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال لهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظنونه او يقولونه
والعلم الذي هو الاعتقاد مطابقا للمعلوم بخلاف القول والظن الذي ينقسم الى حق وباطل فعلم ان
القرآن العربي منزل من الله تعالى لا من الهوى ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا من محمد
عليهم السلام ولا من غيرهم فمن لم يقر بذلك من هذه الامة كان من اهل الكتاب خير منه من هذا الوجه
فان قلت وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى انا انزلناه في
ليلة القدر انزل الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث وقد اخبر الله
ان القرآن الكريم مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال تعالى
انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون وقال تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة وقوله تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم فالجواب
ان كون القرآن العظيم مكتوبا في اللوح المحفوظ وفي الصحف المطهرة بايدي الملائكة الكرام لا ينافي
ان يكون جبريل نزل به من الله تعالى سواء كتبه الله قبل ان يرسل به جبريل او بعد ذلك واذا كان قد
انزله الى بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله قبل ان ينزله قال شيخ الاسلام
وقال والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو تعالى قدر مقادير الخلائق
وكتب اعمال العباد قبل ان يعملوها كما اثبت ذلك في الكتاب والسنة وآثار السلف ثم انه يامر الملائكة
بكتابتها بعد ما يعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتاخرة عنه
فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف وهو حق فاذا كان
ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه فكيف يستبعد ان يكون كلامه الذي يرسل به ملائكته
مكتوبا قبل ان يرسلهم به ومن زعم ان جبريل عليه السلام اخذ القرآن من الكتابة ولم يسمعه من الله
كان هذا باطلا من وجوه منها ان الله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى عليه السلام بيده فلو
اراد ان يعلمه القرآن لكتبه له فانه كلامه فاذا كان محمد اخذ عن جبريل وجبريل اخذ من الكتاب كان بنو اسرائيل اغلام محمد صلى الله عليه وسلم بدرجة وهكذا من قال
انه القى الى جبريل معاني القرآن وان جبريل عبر عنها بالكلام العربي فقوله يستلزم ان يكون

جبريل الهمه

جبريل الهما وهذا الالهام لاحد المؤمنين كما قال تعالى واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا
بي وبرسولي واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقد اوحى الى سائر النبيين فيكون هذا
الوحي الذي يكون الانبياء والمؤمنين اعلاما اخذ محمد صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم عن جبريل
عليه السلام لا ان جبريل هو الذي علمه محمدا من نزلة الواحد من هؤلاء ولهذا زعم بعض الصوفية
ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء وزعم انه ياخذ من المعدن الذي ياخذ منه الملك الذي
يوحي به الى الرسول فجعل اخذه واخذ الملك الذي جاء الى الرسول من معدن واحد وادعى
ان اخذه عن الله اعلى من اخذ الرسول القرآن قال شيخ الاسلام ابن تيمية ومعلوم
ان هذا من اعظم الكفر قال وهذا القول من جنسه ولهذا يات القرآنية تدل دلالة صريحة على ان
القرآن منزل من الله لا من غيره كقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم حم تنزيل من الرحمن الرحيم وكذلك قوله بلغ ما انزل اليك من ربك
وايضا الكلابية يقولون ان معنى واحد فاذا كان موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام
وان سمع بعضه فقد تبعض وكلاهما ينقض عليهم قولهم فانهم يقولون ان معنى واحد
لا يتعدد ولا يتبعض فاذا كان ما يسمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله كان كل من موسى
والملائكة سمع جميع كلام الله وكلامه مقتض لجميع خبره وامره وهذا معلوم الفساد بالضرورة
وان كان الواحد منهم هو لاء انما يسمع بعضه فقد تبعض كلامه وذلك مناقض لقولهم
وايضا فقول الله تعالى وكلم الله موسى تكليما ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ونادينا ه
من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا فلما اتيها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك
انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى الايات دليل على تكليم يسمعه موسى
والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ومما قال يسمع فهو كما بر ودل الدليل على انه ناداه ونادى
لا يكون الا صوتا مسموعا فلا يعقل في لغة العرب لفظ النداء الا صوت مسموع لا حقيقة
ولا مجازا كما تقدم وذكر الامام الموفق المقدسي في البرهان ان الله تعالى لما كلم موسى عليه السلام
فناداه ربه فاجابه سريعا استيناسا بالصوت لبيك لبيك اسمع صوتك ولا ارى مكانك فاين
انت قال يا موسى انا فوقك وعن يمينك وعن شمالك وامامك وعن ورائك فعلم ان هذه
الصفة لا تكون الا لله تعالى قال فكذلك انت يا الهي فكلامك اسمع ام كلام رسولك قال بل كلامي يا موسى
كما في الخبر قال وجاء في خبر آخر ان بني اسرائيل قالوا يا موسى بما شبهت صوت ربك قال انه لا شبه له

لا آحاد ه

فيلزم ان يكون كل واحد من كلامه تعالى او ما نزل عليه
شيئا من كلامه تعالى لا مجموع الحاضرين والموجود

يامو سى ه

قال وروي انه موسى عليه السلام لما كلمه ربه ثم سمع كلام الآدميين مقتهم لما وقر في مسامعه
من كلام الله تعالى قال الامام الموفق وهذه الاخبار ونحوها لم تزل متداولة بين اهل العلم
من الصحابة والتابعين يروونها بعضهم عن بعض لم ينكرها منكر فكانوا اجماعا كذا قال
ولما بين الناظم اداة القرآن العظيم الذي انزله الله تعالى مع جبريل عليه السلام الى النبي المكرم
عليه افضل الصلاة واتم التسليم واثبت انه كلام الله وانه قديم اعقب ذلك ببعض نعوت
هذا الكتاب المنزل على النبي المرسل فقال العي اي العجز الوري اي جميع الخلق من انس وجن
قال في القاموس الوري كفتى الخلق بالنص القرآني والتنزيل الرحمان يا عليم اي يا عالم
يعني المبالغ في العلم صفة مبالغة كما هو معروف قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فتحدى الخلق بالاتيان
بمثله وقال تعالى ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين فلما
عجزوا عن الاتيان بمثله تحداهم بعشر سور فقال جل شانه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
فلما عجزوا تحداهم بالاتيان بسورة واحدة فقال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله اي مثل القرآن
العظيم فعجزوا وفي قوله تعالى ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين
غاية التحدي والتبكيت والرد عليهم والتسكيت اي ان كانوا صادقين في زعمهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم تقوّل القرآن العظيم فليأتوا بحديث مثله فانه ان كان محمد صلى الله عليه وسلم قادرا على ان
يتقوله كما يقدر الانسان ان يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر كان هذا ممكنا للناس الذين هم من جنسه
فيمكن الناس ان يأتوا بمثله ولما تحداهم الله بسورة واحدة في قوله تعالى فأتوا بسورة
من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بعد ان تحداهم بالاتيان
بعشر سور هم ومن استطاعوا قال جل شانه فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون كما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا اي هو سبحانه يعلم انه منزل لا يعلم انه مفترى كما قال وما كان
هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي ما كان لاحد ان يفتريه يقول ما كان لينفعل هذا فلم
ينفه مجرد فعله بل نفى احتمال فعله واخبر بانه مثل هذا لا يقع بل لا يمكن وقوعه فيكون المعنى
لا يمكن ولا يحتمل ولا يجوز ان يفترى هذا القرآن من دون الله فانه الذي يفتريه من دون الله
مخلوق وليس في طوق اي ليس في وسع الوري من جميع الخلق وطاقتهم فالطوق الوسع

والطاقة

والطاقة كما في القاموس وفي حديث ابي قتادة رضي الله عنه ومراجعته للنبي صلى الله عليه وسلم في الصوم
فقال عليه الصلاة والسلام وددت اني طوقت ذلك اي ليته جعل داخلا في طاقتي وقدرتي ولم
يكن عاجزا عن ذلك غير قادر عليه لضعف فيه ولكن يحتمل انه خاف العجز عنه للحقوق التي تلزمه
لنسائه فان ادامة الصوم تخل بحظوظ من منه كما في النهاية ومنه حديث عامر بن فهيرة
رضي الله عنه كل امرئ مجاهد بطوقه اي اقصى غايته وهو اسم لمقدار ما يمكن ان يفعل لمشقة منه فالمعنى
ليس في قدرة الخلق وطاقتهم ولو بذلوا جهدهم بغاية ما يمكنهم ولو مع تمام المشقة الحاصلة لهم
من اصله اي الوري يعني الخلق من اولهم الى آخرهم ويحتمل وهو المراد انه ليس في طوق الخلق من اصل
ان يستطيعوا الاتيان باقصر سورة من القرآن فليس في طوق جميع الخلق من اصل خلقتهم و
جبلتهم وقدرتهم واستطاعتهم من غير ان يسلبهم الله تعالى ذلك الاتيان باقصر سورة من مثله
اي القرآن كما تحدى الدية اهل الفصاحة والبلاغة واللسن وذوي الرزانة والدراية والفطنة
فاعترفوا بالعجز عن الاتيان بمثل اقصر سورة في القرآن قال الامام الحافظ ابن الجوزي رحمه الله
لما تحيروا عند سماع القرآن وادهشهم اسلوبه نودي عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله قل فأتوا
بسورة من مثله انتهى هذا وهم مصاقع الكلام وبلغاء النثر والنظام فعدلوا عن
مصاقعة اللسانة الى مقارعة السنانة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله سره في كتابه
الجواب الصحيح وهذا التحدي كان بمكة فان سورة يونس وهود والطور من المكي ثم اعاد
التحدي في المدينة بعد الهجرة فقال في سورة البقرة وهي مدنية وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ثم قال فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين فذكر امرين احدهما
قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار يقول اذا لم تفعلوا فقد علمتم انه حق فخافوا
الله ان تكذبوه فيحيق بكم العذاب الذي وعده المكذبين وهذا دعاء الى سبيل الله بالموعظة
الحسنة بعد ان دعاهم بالحكمة وهو جدلهم بالتي هي احسن والثاني قوله ولن تفعلوا ولن
لنفي المستقبل فنفت انهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بمثل سورة مثله كما اخبر قبل ذلك
وامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول في سورة سبحان وهي مكية افتتحها بذكر الاسراء وهو
كان بمكة بفصل القرآن والخبر المتواتر قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فعم بأمره ان يخبر بالخبر جميع الخلق مخبرا لهم قاطعا
بانهم اذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثل هذا القرآن ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك وهذا التحدي لجميع الخلق

ان يستطيعوا اسورة من مثله

شيأ اي كتحداه والحُدَيّا بالضم وفتح الدال المهملة المنازعة والمباراة الثانية ما قد اشرت اليه
في قولي وليس في طوق البشر من اصله الخ اي ليس في وسع البشر ولا سائر الخلق ولا في اصل خلقتهم
وجبلتهم القدرة على ان ياتوا بمثل اقصر سورة من القرآن العظيم والذكر الحكيم فانه معجز في نفسه
فليس في وسع الخلق ولا قدرتهم على مضاهاته قال الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي في كتابه الوفا
وكان المرتضى العلوي يقول بالصرفة يعني ان الله تعالى صرف العرب عن الاتيان بمثله لانهم عجزوا
قال الامام ابو الوفا ابن عقيل الصرف عن الاتيان بمثله دال على انه لهم قدرة حاصلة قال
وان كان في الصرفة نوع اعجاز الا ان كون القرآن في نفسه ممتنعا عن الاتيان بمثله لمعنى
يعود عليه الكل في الدلالة واعظم لفضيلة القرآن قال وما قول من قال بالصرفة الا غباية
من قال بان عيون الناظرين الى عصى موسى عليه السلام خيل لهم انها حية وثعبان لا انها
في نفسها انقلبت قال فالتحدي للمصروف عن الشيء لا يمكن كما لا يتحدى العجم بالعربية قال
الحافظ ابن الجوزي وانا اقول انما يصرف عن الشيء بتغيير طباعهم عند نزول الاية بقدروا
على مثله فهل وجد احد منهم قبل الصرفة منذ وجدت العرب كلام يقاربه مع اعتمادهم
على الفصاحة فالقول بالصرفة ليس بشيء وقال شيخ الاسلام في الجواب الصحيح كما ذكره
الناس من الوجوه في اعجاز القرآن حجة على اعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا
لما تنبهوا له ثم قال ومن اضعف الاقوال قول من يقول من اهل الكلام انه معجز بصرف
الدواعي مع قيام الموجب لها او بسبب القدرة الجازمة وهو ان الله تعالى صرف قلوب الامم
عن معارضته مع قيام المقتضي التام او سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما
مثل قوله لئن كررنا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ليال سويا فانه هذا يقال على سبيل التقدير
والتنزل وهو انه اذا قدر انه هذا الكلام يقدر الناس على الاتيان بمثله فامتناعهم جميعهم
عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة الى المعارضة من ابلغ الايات الخارقة
للعادة بمنزلة ما يقول الذي اخذ جميع اموال اهل هذا البلد العظيم واضرهم جميعهم
وهم قادرون على ان يشكوا الى الله والى ولي الامر وليس فيهم من ذلك من يشتكي فهذا من ابلغ
العجايب الخارقة للعادة ولو قدر ان احدا صنف كتابا يقدر امثاله على تصنيف مثله
او قال شعرا يقدر امثاله على ان يقولوا مثله وتحداهم فقال عارضوني وانا لم نعارضوني
فانتم كفار ماواكم النار وردماؤكم حلال امتنع في العادة انه لا يعارضه احد فاذا لم
يعارضوه كان هذا من العجايب الخارقة للعادة والذي جاء بالقرآن صلى الله عليه وسلم

وقد سمعه كل من قرأ القرآن وعرفه الخاص والعام وعلم مع ذلك انهم لم يعارضوه ولا اتوا بسورة كانوا
من مثله ومن حين بعث صلى الله عليه وسلم الى اليوم الامر على ذلك مع ما علم من ان الخلق كلهم كفار
قبل ان يبعث ولما بعث اتبعه قليل وكان الكفار من احرص الناس على ابطال قوله مجتهدين
بكل طريق يمكن تارة يذهبون الى اهل الكتاب فيسالونهم عن امور من الغيب حتى سالوه عنها
كما سالوه عن قصة يوسف واهل الكهف وذي القرنين ويجتمعون في مجمع بعد مجمع على
ما يقولون فيه وصاروا يضربون له الامثال فيشبهونه بما ليس بمثله لمجرد شبه قام بظهور
الفرق فتارة يقولون مجنون وتارة يقولون ساحر وكاهن وشاعر الى امثال ذلك من الاقوال
التي يعلمونهم وغيرهم من كل عاقل يسمعها انها افتراء عليه فاذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد
مرة وهي تبطل دعوتهم فعلوم انهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها فانه مع وجود هذا الداعي
التام المؤكد اذا كانت القدرة حاصلة وجب وجود المقدور ثم هذا القول في سائر الاعصار
فهذا يوجب علما بينا لكل احد بعجز جميع اهل الارض على ان ياتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة
وهذا ابلغ من الايات التي تكون جنسا كاحياء الموتى فانه هذه الايات احد بنظيره فاقداره
صلى الله عليه وسلم في اول الامر على هذا التحدي وهو بمكة واتباعه قليل على ان يقول اخبارا يقطع به
انه لو اجتمع الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله في ذلك العصر وفي سائر الاعصار
المتاخرة لا يكون الامر جزما بذلك ويقينا ولا الواقع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف
ان يظهر كذبه فيفتضح فيرجع الناس عن تصديقه واذا كان جازما بذلك متيقنا له ولكن
ذلك لاعلام الله تعالى له بذلك وليس في العلوم المعتادة ان يعلم الانسان ان جميع الخلق
لا يقدرون ان ياتوا بمثل كلامه الا اذا علم العالم انه خارج عن قدرة البشر والعلم بهذا يستلزم
كونه معجزا قال شيخ الاسلام رحمه الملك العلام ونفس نظم القرآن واسلوبه عجيب بديع
ليس من جنس اساليب الكلام المعروف وليات احد بنظير هذا الاسلوب فانه ليس من جنس الشعر ولا جزء
ولا الرسايل والخطابة ولا نظم نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم ونفس فصاحة القرآن وبلاغته
عجيب خارق للعادة وليس له نظير في كلام جميع الخلق يعني من لدن آدم والى الآن وهذا نهاية
الاعجاز وبالله التوفيق **فوائد** الاولى التحدي المعارضة والمتحدي هو الذي يتحدى
الناس اي يدعوهم ويبعثهم على ان يعارضوه فيقال فيه حداني على هذا الامر اي بعثني عليه
ومنه سمي حادي العيس لانه يحدوها على السير وقال شيخ الاسلام في الجواب الصحيح
وقد يريد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوة ولكن اصله الاول انتهى وفي القاموس احدى تحد

قال للخلق كلهم انا رسول الله اليكم جميعا ومن آمن بي دخل الجنة ومن لم يؤمن بي دخل النار
وقد بيح لي قتل رجالهم وسبي ذراريهم وغنيمة اموالهم ووجب عليهم كلهم طاعتي ومع
لم يطعني كان مباحا لسفك الخلق ومع اياتي هذا القرآن فانه لا يقدر احد على الاتيان بمثله فانه
لا يخلو اما ان يكون الناس قادرين على المعارضة وعاجزين فان كانوا قادرين ولم
يعارضوه بل صرف الله دواعي قلوبهم ومنعها ان تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم
او سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه فان سلب القدرة المعتادة ان يقول رجل
معجزتي انكم كلكم لا يقدر احد منكم على الكلام ولا على الاكل والشرب فان المنع من المعتاد
كاحداث غير المعتاد فهذا من ابلغ الخوارق وان كانوا عاجزين ثبت انه خارق للعادة
فثبت كونه خارقا للعادة على تقديري النفي والاثبات فثبت انه من المعجزات الناقضة
للعادة وهذا نص كلام شيخ الاسلام قدس الله سره فهذا غاية التنزل قال والا فالصواب القطوع
به ان الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرون على ذلك قال بل ولا يقدر محمد نفسه
صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه على ان يبدل سورة من القرآن بل يظهر الفرق بين القرآن وبين
سائر كلامه الكلام الذي تدبر كما اخبر به تعالى في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا قلت وفي شفاء
الى الفضل القاضي عياض بعض ميل للقول بالصرفة فانه قال وذهب ابو الحسن يعني
الاشعري الى انه ممكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن
هذا ولا يكون لمنعهم الله وعجزهم عنه قال وقاله جماعة من اصحابه قال وعلى الطريقين
فخرق العربة عنه واقامة الحجة عليهم بما يصح ان لا يكون في مقدور البشر وتحداهم بان ياتوا بمثله
قاطع قال وهو اقطع في النجي واحرى بالتقريع والاحتجاج فمجيء ببشر مثلهم بشيء ليس من قدرة
البشر لازم وهو ظاهر اية واقع ذلك وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بقال بل صبروا على الجلا
والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من اشوح الامم للانف واباية الضيم بحيث
لا يرتاب ذو ذكا حشيا ان لو لم يرضوه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم
لاسرعوا بها الى وقطع العذر والخام الخصم لديهم هذا وهم مع الهم قدرة على الكلام وقدرة
بالمعرفة الجيش الالهام ومن الامم جهد جهدة واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره و
اطفاء نوره فما جلوا في ذلك حيلة من بنات شفاههم ولا القوا بغطة من معين فيها هم مع
طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ايسوا فانبسوا ومنعوا فانقطعوا

١ انتهى كلامه

انتهى كلامه وذكر الامام الحافظ ابن الجوزي في كتابه الوفا عن الامام ابن عقيل انه قال حكى لي ابو محمد بن اسلم
الفرضي قال كنا نتذاكر اعجاز القرآن وكان ثم شيخ كثير الفضل فقال ما في هذا يعجز الفضلا عنه
ثم ارتقى الى غرفة ومعه صحيفة ومحبرة ووعدانه سيبادرهم بعد ثلاثة ايام بما يعلم مما يضاهي
القرآن فلما انقضت الايام الثلاثة صعد واحد فوجده مستندا اياسا وقد جفت يده
على القلم قلت ومثل هذا قد يحتج القائلون بالصرفة وليس بحجة لعدم حصر الهلاك فيما
بل لما عجز اهلكه الله لمدا ولتجريه على ما ليس في وسعه وقدرته والله الموفق الثالثة
كون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط او نظمه واسلوبه او اخباره بالغيب
والمغيبات ولا من صرف الدواعي والمعارضات بل هو اية بينة ومعجزة ظاهرة ودلالة
باهرة وحجة قاهرة من وجوه متعددة من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة
في دلالة اللفظ على المعنى ومن جهة معانيه التي امر بها ومعانيه التي اخبر بها عن الله تعالى
واسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ومن جهة معانيه التي اخبر بها عن الغيب الماضي
والغيب المستقبل ومن جهة ما اخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل
اليقينية والمقايسة العقلية التي هي الامثال المضروبة كما في قوله تعالى ولقد ضربنا في هذا
القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا فابى اكثر الناس الا كفورا ولعلهم
يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون فكل ما ذكره الناس من وجوه الاعجاز في القرآن
فهو حجة على اعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبه له كما مر في كلام شيخ الاسلام
الثانية القرآن العظيم كلام الله القديم ونوره المبين وحبله المتين وفيه الحجة والدعوة
فلا يدل اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي
الا وقد اوتي من الايات ما امن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي
فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة قال الحافظ ابن حجر في الفتح يعني ان معجزتي
التي تحديت بها الوحي الذي انزل علي وهو القرآن لما اشتمل عليه من الاعجاز الواضح قال وليس المراد
حصر معجزاته فيه وانه لم يوت من المعجزات ما اوتي من تقدمه بل المراد ان المعجزة العظمى
والاية الكبرى التي اختص بها دون غيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم السلام انتهى ولا يخفى
ان كون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم هي الدعوة التي هي شريعته المنعوت بها فيها معجزته التي
تحدى الخلق بها من اعظم الايات والبراهين واظهر الدلالات ولهذا استمرت معجزته العظمى
باستمرار شريعته الغراء وفيه اشارة وتنبيه وايماء وتنويه الى ان هذا النبي الامي خاتم الانبيا

قال الاصمعي رايت في البادية جارية لم تبلغ الحلم وهي تقول استغفر الله لذنبي كله
قلت انسانا بغير حله
مثل غزال ناعم في ظله
ينتصف الليل ولم اذله
فقلت لها قاتلك الله ما افصحك فقالت اوبعد هذه الاية فصاحة

الرابعة من وجوه اعجازه رصفيه الايم تجمع بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين الى تفسير الى الانسان

والمرسلين فشريعته دائمة عادام الملوان ومعجزته باقية ماكر الجديدان وبالله التوفيق والعصمة
كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يأتون بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة لما قومهم الكافرة
وامهم الفاجرة فكان كل نبي تقع معجزته مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشيا عند فرعون
فجاء موسى عليه السلام بالعصى على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا فبطل
وانصدعوا واحتاروا وانقمعوا وعلموا ان ما جاء به موسى هو الحق اليقين فالقي السحرة ساجدين
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولم يقع ذلك بعينه لغير موسى من الانبياء
عليهم السلام ولما كان الزمن الذي بعث فيه عيسى عليه السلام قد فشا فيه الاطباء والحكماء بين
الامم وكان امرهم في غاية الظهور والاعتناء بصناعتهم ظاهرا مشهورا جاء سيدنا المسيح
باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص من الداء العضال القبيح وخلق من الطين كهيئة الطير
باذن الله فطاشت قلوب الحكماء واذعنوا بانه من عند الله ولما كانت العرب ارباب البلاغة
وجواثم الفصاحة واساطين البيان وارومة الوضاحة وفرسان الكلام وارباب النظام قد
خصوا من البلاغة والحكم مالم يخص به غيرهم من سائر الامم وقد اوتوا من ذرابة اللسان
مالم يؤت مثله انسان وفي فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله تفاضلهم في ذلك طبعا
وسليقة وفيهم غريزة وحقيقة يأتون منه على البديهة بالعجب العجاب ويدلون به الى سبب
من الاسباب فيخطبون بديهة في المقامات الشديدة الخطب ويرتجزون به في مقاطل
الحرب بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويتفضلون
ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم
ما هو اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن
ويهيجون الدمن ويجرون الجناد ويبسطون من يد الجعد البناد ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون البنيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام
الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة واللمحة
الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة
الكثير الرونق الرقيق الحاشية وعلى كل حال لهم في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة
لا يشك ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم فما راعهم الا والرسول الكريم قد اتى
بهذا الكتاب العظيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

قد علمت

قد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول
وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب
مجالا واوسع في اللغة والغريب مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها
بثنا ضلوعه صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين من السنين وهو تحداهم
لهم على رؤس ملا منهم اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور من مثله مفتريات
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يقرعهم
اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم
ويسبي ارضهم واموالهم ونساءهم وابناءهم وهم في كل ذلك ناكصون عن معارضته
محجوبون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والافتراء فيقولون تارة
هذا سحر مفترى واخرى اساطير الاولين وطورا يقولون اذا سمعوا ايات الكتاب
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ومنهم من استحق
وهذى فقال بضرب من الدعوى لو نشاء لقلنا مثل هذا ومن تعاطى شيأ من سخافتهم
بدعوى المعارضة افتضح وانكشف عواره وما بجح وظهر بواره ولما سمع الوليد
ابن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصغى بمائوم واعرض
عن المشركين فسجد فقيل له في ذلك فقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يتلو
فلما استيأس وامته خلصوا نجيا قال اشهد انه مخلوق لا يقدر على مثل هذا الكلام وذكر
القاضي عياض في الشفا ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في
المسجد اذ هو بقايم على راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم
مما يحسن كلام العرب وغيره وانه سمع قوما من اسرى المسلمين يقرؤون اية من كتابكم فيا علمنا
فاذا هي قد جمع فيها ما انزل على عيسى ابن مريم عليه السلام من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون وقال وحكى الاصمعي انه سمع
كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت اوبعد هذا فصاحة بعد قول الله
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا
رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين

وروى ان الاصمعي قال لرايته في البادية
شنف الاصمعي فقال لها
كلمة تكلمت بها فقالت لها
ما افصحك الخ

فهذا من انواع اعجاز القرآن العظيم والذكر الحكيم وفوق كل ذي علم عليم وبالله التوفيق الخامسة
قال علماؤنا في بعض اية من القرآن العظيم اعجاز وعلى التحقيق يتفاضل لوابه ويتفاضل اعجازه
كما في مختصر التحرير وغيره من كتب الاصول وقال القاضي ابو يعلى ابن الفراء قدس الله روحه في بعض
اية من القرآن اعجاز لقوله تعالى فليأتوا بحديث مثله وقال القاضي علاء الدين المرداوي في شرح التحرير
والظاهر ان القاضي ابا يعلى اراد ما فيه الاعجاز والا فلا يقول الا مثل قوله تعالى ثم نظر ونحوها
اني بعضها اعجاز او فيها ايضا وهو واضح وقال الامام ابو الخطاب الكلوذاني احد اعلام
المذهب والحنفية ما اعجاز في بعض اية بل في اية وهذا ليس على اطلاقه فان الاعجاز في بعض الايات
الطوال فيها الاعجاز كما ان الاية القصيرة كقوله تعالى ثم نظر لا يلزم ان يكون فيها اعجاز وقال
بعض المحققين القرآن كله معجز لكن منه ما لو انفرد لكان معجزا بذاته ومنه ما الاعجاز مع الانضمام
فان القرآن يتفاوت اعجازه ويتفاضل ثوابه فان الفرق بين اية الكرسي واية الدين وبين
سورة الاخلاص وسورة تبت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه القرآن
وهو اعلم بجمله وتفاصيله وبفضله وتفضيله ياسين قلب القرآن وفاتحة الكتاب افضل
سورة في القرآن واية الكرسي اعظم اية في القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن والاحاديث
الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والايات بالتفضيل وكثرة الثواب في تلاوتها
كثيرة جدا وذهب الامام ابو الحسن الاشعري والقاضي الباقلاني وغيرهما الى المنع ويروى
هذا القول عن الامام مالك رضي الله عنه ولذلك كرهه ان ترد سورة دون غيرها قال بعض
العلماء والعجب ممن يذكر الخلاف في ذلك بعد ورود النصوص عن اصحاب الشريعة بالتفضيل
قال العز ابن عبد السلام كلام الله تعالى اي المتعلق بذاته تعالى وصفاته والثناء على نفسه
ونحو ذلك افضل من كلامه في غيره فقل هو الله احد افضل من تبت يدا ابي لهب قال الحافظ
جلال الدين السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن اختلف القائلون بالتفضيل فقال
بعضهم التفضيل راجع الى عظم الاجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفوس وخشيتها
وتدبرها وتفكرها عند ورودها وصافي العلي الاعلى وقيل يرجع لذات اللفظ وانه ما
تضمنه قوله تعالى والهكم اله واحد الاية واية الكرسي واخر سورة الحشر وسورة الاخلاص
من الدلالات على وحدانيته تعالى وصفاته ليس موجودا مثلها في تبت يدا ابي لهب وما كان
مثلها فالتفضيل اغا هو بالمعاني المجيبة وكرامتها وبالله التوفيق **فصل** في ذكر
الصفات التي يثبتها الله تعالى ائمة السلف وعلماء الاثر وغيرهم من علماء الخلف واهل الكلام

فضلا

فضلا عن فرق اهل الزيغ والفساد واساطين الفلاسفة واهل الالحاد ولما كان في اثبات
هذه الصفات ما يدر للعقول الفلسفية والمقاييس الكلامية والاخيلة الخلفية ما يوهم
التجسيم قدم امام المقصود ما ينفي ذلك بقوله وليس ربنا بتارك وتعالى بجوهر يراد به ما قابل
العرض ويراد به ما في اصطلاح اهل الكلام يعني العين الذي لا يقبل الانقسام لا فعلا
ولا وهما ولا فرضا وهو الجزء الذي لا يتجزى وعند الفلاسفة وبعض محققي النظار والوجود
للجوهر الفرد اعني الجزء الذي لا يتجزى واليه ميل شيخ الاسلام ابن تيمية قال المثبتون للجوهر الفرد
بانه لا شكل له لانه الشكل احاطة هيئة لحد الواحد والحدود فلو كان له شكل لكان محاطا لحد او حدود
حينئذ يلزم انقسامه لانه ما يلاقي من منه جزء من المحيط غير الملاقي بآخر وهو الانقسام لانا لا نعني
بالتقسيم الا ما يفرض فيه شيء غير شيء فلا يكون ما فرضناه جوهرا فردا واذا لم يكن له شكل امتنع ان
يكون مشاكلا لشيء لان المشاكلة هي الاتحاد في الشكل وليس الجوهر الفرد شكلا كما علمت ولسنا بصدد
تقريره ولا ابطاله وانما نحن بصدد ان نثبت للباري جل شانه جوهرا ولا بنا جل شانه وتعالى سلطانه
عرض وهو ما لا يقوم بذاته بل بغيره تعالى بان يكون تابعا لذلك الغير في التحيز او مختصا به اختصاص
الغنج بالمغنوج لا بمعنى انه لا يمكنه تعلقه بدونه المحل كما قد يتوهم فان ذلك انما هو في بعض الاعراض
ولا سبحانه جسم وهو ما تركب من جزئين فصاعدا وعند بعض النظار لا بد من تركيبه من ثلاثة
اجزاء لتحقق الابعاد الثلاثة اعني الطول والعرض والعمق وعند البعض من ثمانية ليتحقق تباعد
الابعاد على زوايا قائمة قال السعد وليس هذا نزاعا لفظيا راجعا الى الاصطلاح حتى يدفع
بان الكل واحد ان يصطلح على ما شاء بل هو نزاع في ان المعنى الذي وضع لفظ الجسم بازائه هل يكفي
فيه التركيب من جزئين ام لا والاصح الاول وبانه يقال لاحد الجسمين اذا زيد عليه جزء واحد انه
اجسم من الاخر فلولا ان مجرد التركيب كاف في الجسمية لما صار بمجرد زيادة الجزء ازيد في الجسمية وفيه انه
الضخامة افعل من الجسامة بمعنى الضخامة وعظم المقدار يقال جسم الشيء اذا عظم فهو جسيم والكلام في
الجسم الذي هو اسم لا صفة الا ترى وقال الكرماني في شرح الجواهر الجسم يطلق بالاشتراك على معنيين
الاول الجسم الطبيعي المنسوب الى الطبيعة التي هي مبدأ الاثار وعرفه الحكماء بانه جوهر يمكن ان
يفرض فيه ابعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قائمة فقوله يمكن يشعر بان هناك الجسمية ليس فرض
الابعاد بالفعل حتى يخرج الجسم عن الجسمية بانه لا يفرض فيه الابعاد بالفعل بل مجرد امكان الفرض
وان لم تفرض اصلا كاف وتصور فرض الابعاد في الجسم بعد تاليف ما كان وهو الطول وبعد آخر

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم

الجوهر

عرض

هو

الضخامة

مقاطعاله على زوايا قائمة وهي العرض وبعد آخر مقاطعها كذلك وهو العمق فقوله على زوايا قائمة
ليس للاحتراز بل بيان الواقع فان حقيقة الجسم لا تكون الا كذلك ولما نفى كونه الباري عز وجل جوهرا
او عرضا او جسما لانتفاء الاول بالامكان والحقارة والثاني لاحتياجه الى محل يقوم به والثالث
لانه مركب فيحتاج الى اجزاء فلا يكون واجب الذات ولا مستغنيا عن غيره وفي ضمن ما نفاه رد على فرق
الضلال من الجهمية كما تقدمت الاشارة الى ذلك في صدر هذا الكتاب اعقب ذلك بقوله تعالى
وتقدس وتعالى في ذاته العلية وصفاته القدسية عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم ذكر بعد
هذا التمهيد المذهب السلفي والاعتقاد الاثري فقال سبحانه انما صدر بالتسبيح اشارة
الى تنزيهه تعالى عن قول المعطلة واعتقاد الممثلة قد استوى على عرشه فوق سبع سمواته
استواء يليق بذاته كما ورد في الايات القرآنية والاحاديث النبوية والنصوص السلفية مما لا يحصى
ويتعذر او يستقصى فهذا كتاب الله من اوله الى آخره وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اولها
الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان رحمهم الله تعالى كلام سائر
ائمة الدين مما تلوى على كلامهم الخناصر ولا ينازع فيه الا كل معاند ومكابر بان الله مستو
على عرشه بائن من خلقه قال شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم في كتابه
اجتماع الجيوش الاسلامية هذا كتاب الله وذكر مثل ما ذكرنا وقال ابن القيم في قوله تعالى الله الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا
شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون ذاك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم تامل ما في هذه الايات
من الرد على الطوائف المعطلين والمشركين ففي قوله خلق السموات والارض في
ستة ايام تضمن ابطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وانه لم يزل وان الله تعالى
لم يخلقه بقدرته ومشيئته بل من اثبت منهم وجود الرب جعله لازما لذاته ازلا وابدا
كما يقول ابن سينا ونصير الطوسي واتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه
الرسل والكتب وشهدت به العقول والفطر وقوله ثم استوى على العرش يتضمن ابطال
قول المعطلة الجهمية الذين يقولون ليس على العرش سوى العدم وان الله سبحانه ليس مستويا
على عرشه ولا ترفع اليه الايدي ولا يصعد اليه الكلم الطيب ولا رفع المسيح اليه ولا عرج
برسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ولا تعرج الملائكة والروح اليه الخ كلامه رحمه الله تعالى وقال تعالى

هو الذي

هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وقوله
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل
النهار يطلبه حثيثا وقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وقوله تنزيلا ممن خلق الارض والسموات
العلى الرحمن على العرش استوى وقوله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا وقوله هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم احاطته وعموم
رؤيته وقال تعالى حاكيا عن فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وقال شيخ الاسلام ابو الحسن الاشعري وقد احتج بهذه الآية
على الجهمية فاكذب فرعون موسى عليه السلام في قوله ان الله فوق السموات واما الاحاديث
منها قصة المعراج وهي متواترة ويجاوز النبي صلى الله عليه وسلم السموات سماء سماء حتى انتهى
الى ربه فقربه وادناه وفرض عليه خمسين صلاة فلم يزل يتردد بين موسى عليه السلام وبين الله
ينزل من عند ربه الى موسى فيسئله كم فرض ربك عليك فيخبره فيقول ارجع الى ربك واسأله
التخفيف عن امتك فيصعد الى ربه فيسئله التخفيف وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش
ان رحمتي تغلب غضبي وفي لفظ فهو مكتوب عنده في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي
تغلب غضبي وفي لفظ فهو مكتوب عنده فوق العرش وكل هذه الالفاظ في صحيح البخاري وفي
صحيح مسلم من حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل
قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه
بصره من خلقه وذكر الامام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه من حديث انس بن مالك رضي الله عنه
حديث الاسراء وفيه ثم علا به يعني جبريل فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى
ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه فيما اوحى فرض خمسين صلاة
كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي
خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع فارجع فليخفف ربك عنك وعنهم فالتفت

النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل انه نعم ان شئت فعلا به
الى المجاد تبارك وتعالى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم في حكومة سعد بن معاذ في بني قريظة لقد
حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة وفي لفظ من فوق سبع سموات واصل القصة في الصحيحين
وفي صحيح مسلم في حديث معاذ بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال لطمت جارية لي فاجبرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي فقلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ائتني بها فاتيت بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اين الله تعالى فقالت في السماء قال فمن انا قالت انت رسول الله
قال اعتقها فانها مؤمنة وفي لفظ اعتقها فانها مؤمنة قال الامام الحافظ شمس الدين الذهبي
في كتابه العرش رواه مسلم وابو داود والنسائي وغير واحد من الائمة في نصانيفهم بدون نونه
كما جاء وقال في اول الحديث من الاحاديث المتواترة الواردة في العلو في صحيح البخاري
عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال كانت زينب تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن
اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الاوعال والعرش
فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما انتم عليه رواه الامام احمد في المسند وابن خزيمة في كتاب
التوحيد وقول عبد الله بن رواحة الذي انشده للنبي صلى الله عليه وسلم

شهدت بانه وعد الله حق ... وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

وقول امية ابن ابي الصلت الثقفي الذي انشد للنبي صلى الله عليه وسلم فاستحسنه وقال امن شعره او كقوله

مجدوا الله فهو للمجد اهل ... ربنا في السماء امسى كبيرا
بالبناء الاعلى الذي سبق الخلق وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا ما ينال ناظر تزوى دونه الملا يك صورا

وقد جاء من ذلك في الكتاب والسنة ما يتعذر او يتعسر احصاؤه فتارة يخبر انه خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش كما مر وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة
مواضع من كتابه وتارة يخبر بعروج الملائكة وصعودها وارتفاعها اليه وتارة يخبر بنزولها
من عنده وتارة يخبر بانه العلي الاعلى كقوله سبح اسم ربك الاعلى وقوله وهو العلي العظيم وتارة
يخبر بانه في السماء وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض كقوله تعالى ولمن في السموات والارض
ومن عنده ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون قال شيخ الاسلام
ابن تيمية واما الاحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها الا الله تعالى قال

فلا يخلو

فلا يخلو اما ان يكون ما اشتركت فيه هذه النصوص من اثبات علو الله تعالى على خلقه واستوائه عليهم
نفيضه اذ الحق لا يخرج عن النقيضين واما ان يكون هو جل شانه نفسه فوق الخلق او لا
يكون فوق الخلق كما يقوله الجهمية الذين يقولون هو بجانه لا فوقهم ولا تحتهم ولا داخل العالم
ولا خارجه ولا مباين ولا محايث وتارة يقولون هو بذاته في كل مكان وفي كلا القولين
يدفعون ان يكون هو نفسه فوق فاما ان يكون الحق اثبات ذلك او نفيه فان كان نفي ذلك
هو الحق فمعلوم ان القرآن لم يبين هذا قط لا نصا ولا ظاهرا ولا الرسول ولا احد
من الصحابة والتابعين وائمة المسلمين لائمة المذاهب الاربعة ولا غيرهم ولا يمكن احدا
ان ينقل عن واحد من هؤلاء انه نفى ذلك واخبر به واما نقل الاثبات عن هؤلاء فاكثر
من ان يحصى فان كان الحق هو النفي دون الاثبات والكتاب والسنة والاجماع انما دل على
الاثبات ولم يذكر النفي اصلا لزم ان يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق في هذا
الباب بل نطقوا بما يدل اما نصا واما ظاهرا على الضلال والخطا المناقض للهدى والصواب
ومعلوم ان من اعتقد هذا في الرسول والمؤمنين فلا اوفر حظا من قوله تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم
وساءت مصيرا فان القائل اذا قال هذه النصوص اريد بها خلاف ما يفهم منها او خلاف
ما دلت عليه او انه لم يرد اثبات علو الله نفسه على خلقه وانما اريد به علو المكانة ونحو
ذلك فيقال له فكان يجب ان يبين للناس الحق الذي يجب التصديق به باطنا وظاهرا بل وبين
لهم ما يدل على ان هذا الكلام لم يرد به مفهومه ومقتضاه فان غاية ما يقدر الله تكلم بالمجاز
المخالف للحقيقة والباطن المخالف للظاهر ومعلوم باتفاق العقلاء ان المخاطب المبين اذا
تكلم بمجاز فلا بد ان يقرن بخطابه ما يدل على ارادة المعنى المجازي فاذا كان الرسول المبلغ
المبين الذي بين للناس ما نزل اليهم علم ان المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه كان
عليه ان يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يرد ولا سيما اذا كان باطلا
لا يجوز اعتقاده في الله فان عليه ان ينهاهم عن ان يعتقد وا في الله ما لا يجوز اعتقاده
اذا كان ذلك مخوفا عليهم ولو لم يخاطبهم بما يدل على ذلك فكيف اذا كان خطابهم هو الذي
يدلهم على ذلك لاعتقاد الذي يقول النفاة انه اعتقاد باطل فاذا لم يكن في الكتاب ولا
السنة ولا كلام احد من السلف والائمة ما يوافق قول النفاة اصلا بل هم دائما لا يتكلمون

الا بالاثبات امتنع ح ان لا يكون مرادهم الاثبات وانه يكون النفي هو الذي يعتقدونه و
يعتمدونه وهم لم يتكلموا به ولم يظهروه وانما اظهروا ما يخالفه وينافيه وهذا كلام
متين لا مخلص لاحد عنه قال شيخ الاسلام روح الله روحه لكن للجهمية المتكلمة
هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام اما المتفلسفة والقرامطة فيقولون ان الرسل كلموا
الخلق بخلاف الحق واظهروا لهم خلاف ما يبطنون وربما يقولون انهم كذبوا لاجل مصلحة العامة
فاما مصلحة العامة لا تقوم الا باظهار الاثبات وانه كان في نفس الامر باطلا وكذا مع ما
فيه من الزندقة البينة والكفر الواضح قول متناقض في نفسه فانه يقال لو كان الامر كما تقولون
والرسل من جنس رؤسائكم يطلعون على ذلك ولكانوا يطلعون خواصهم على هذا الامر
فكان يكون النفي مذهب خاصة الامة واكابرها عقلا ومعرفة والامر بالعكس فانه من تامل
كلام السلف والائمة وجد اعلم الائمة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ
ابن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وابي بن كعب وابي الدرداء وعبد الله بن عباس
وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وامثالهم من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين هم اعظم الخلق اثباتا
وكذلك افاضل التابعين مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري وعلي بن الحسين واصحاب
ابن مسعود واصحاب ابن عباس وهم من اجل التابعين وامثالهم بل المنقول عنهم في الاثبات يجب
عدة اضعاف ما يروى عن كثير من الناس وعلي ذلك تاول يحيى بن عمار وصاحب شيخ الاسلام ابو اسمعيل
الانصاري ما يروى ان الامام العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا اهل العلم بالله فاذا ذكروه لم ينكره
الا اهل الغرة بالله وتاولوا ذلك على ما جاء من الاثبات لان ذلك ثابت عن الرسول والسابقين
والتابعين لهم باحسان بخلاف النفي فانه لا يوجد عنهم ولا يمكن حملهم عليه وقد
جمع علماء الحديث ما المنقول عن السلف في الاثبات مما لا يحصى عدده الا رب السموات
ولم يقدر احد انه يات عنهم في النفي بحرف واحد الا ان يكون من الاكاذيب المختلقة التي
ينقلها من هو ابعد الناس عن معرفة كلامهم قلت وقد اكثر العلماء من التصنيف
واجلبوا بخيلهم ورجلهم من التاليف في ثبوت العلو والاستواء ونبهوا على ذلك بالايات
والحديث وما حوى فمنهم الراوي للاخبار بالاسانيد ومنهم الحاذف لها والمعاني بكل لفظ مفيد
ومنهم المطول المسهب ومنهم المختصر والمتوسط والمهذب فمن ذلك مسئلة العلو لشيخ الاسلام
ابن تيمية والعلو للامام الموفق صاحب التصانيف السنية والحيوان للاسلامية للامام المحقق ابن قيم الجوزية

وكتاب

وكتاب العرش للحافظ شمس الدين الذهبي صاحب الانفاس العلية وما لا احصي عددهم الا الخالقة
والله تعالى الموفق قال العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي في كتابه اقاويل الثقاة في تاويل الاسماء
والصفات ومما احتج اهل الاثبات بانه الذي طبع الله عليه الفطرة العقلية السليمة فمن اولين و
لمتاخرين الذين يقولون انه فوق العالم اذا العلم بذلك ضروري لا يتوقف على سمع قالوا ولم
يقل قائل يا الله الا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو بحيث لا يمكن دفع هذه الضرورة عن
القلوب ولا يلتفت الداعي يمنة ويسرة واما العلم بانه تعالى استوى على العرش بعد خلقه
السموات والارض في ستة ايام فهذا سمعي علم بالوحي على الانبيا فاخبروا عليهم الصلاة والسلام
امتهم بذلك قال سيدنا الكبير الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي قدس الله سره في كتاب الغنية
في العقد قال وهو تعالى بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علما بالاشيا اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه الامر وكما يجوز
وصفه بانه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش استوى كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى
ثم قال وينبغي اطلاق صفة الاستوا من غير تاويل وانه استواء الذات على العرش ثم قال وكونه
مستويا على العرش مذكور في كل كتاب انزل على كل نبي ارسل بلا كيف هذا نص كلامه قدس الله
سره في الغنية وقال الامام القرطبي في تفسيره في سورة الاعراف وقد كان السلف الاول
رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثباتها
لله تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله قال ولم ينكر احد من السلف الصالح انه استوى على
عرشه حقيقة انتهى وقال ابو نعيم الحافظ في كتابه حجة الواقفين واجمعوا على ان الله
فوق سمواته وانه عال على عرشه مستو عليه لا مستول كما تقول الجهمية وقال ابن رشد
المالكي في كتابه المسمى بالكشف واما هذه الصفة يعني القول بالجهة فلم تزل الشريعة
يثبتونها حتى نفتها المعتزلة ومتاخروا الاشاعرة كابي المعالي ومن اقتدى بقولهم
ثم قال وقد ظهر ان اثبات الجهة واجب عقلا وشرعا الخ كلامه وقيل للامام عبد الله بن المبارك
كيف نعرف ربنا قال بانه فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه على ان نفس الامام
ابي الحسن الاشعري في كتابه الابانة قال ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى
وقال اليه يصعد الكلم الطيب وقال العلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا كذب موسى في قوله
ان الله فوق السموات وقال ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور فوقها العرش

فلما كان العرش فوق السموات وكان كلما علا فهو سما كما قال تعالى ما في السماء وانما اراد العرش
الذي هو اعلا السموات قال وراينا المسلمين جميعا يرفعون ايديهم اذا دعوا الى نحو السماء لان
الله مستو على العرش فوق السموات فلو لا ان الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش قال وقد
قال وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى استوى استولى وملك وقهر وان الله
في كل مكان وحجدوا ان يكون على عرشه كما قال اهل الحق وذهبوا في الاستوا الى القدرة فلو كان كما
قالوا لكان لا فرق بين العرش والارض السابعة لان الله تعالى قادر على كل شيء والارض فالله قادر عليها
وعلى الحشوش فلو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلا لجاز ان يقال انه مستو على الاشيا كلها
مع انه لم يجز عند احد من المسلمين ان الله تعالى مستو على الحشوش والاخلية فبطل ان يكون الاستوا
على العرش للاستيلا ثم بسط الادلة على هذه المسئلة من الكتاب والسنة والعقل بما يطول نقله
وقال الاشعري ايضا في كتابه جمل المقالات قال اهل السنة واصحاب الحديث ان الله ليس بجسم ولا
يشبه الاشيا وانه على العرش كما قال عز وجل الرحمن على العرش استوى ولا نتقدم بين يدي الله في القول
بل نقول استوى بلا كيف وانه نور كما قال وبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام الى ان قال ولم يقولوا
شيئا الا ما وجدوه في الكتاب والسنة او جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
وقالت المعتزلة ان الله استوى على عرشه بمعنى استولى هذا نص كلامه فالاشعري انما حكى
تاويل الاستوا بالاستيلا عن المعتزلة والجهمية وصرح بخلافه وانه خلاف قول اهل السنة
وكذلك قال محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره تابعا لابي حسن الاشعري
قال والقاضي ابو بكر ابن الباقلاني وهو من افضل متكلمي الاشعرية فانه قال قائل فهل
تقولون انه تعالى في كل مكان قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما اخبر وقال اليه يصعد
الكلم الطيب وساق الايات المتقدمة ثم قال ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان و
الحشوش ولصح ان يوغب اليه نحو الارض والى خلفنا ويميننا وشمائلنا قال وهذا قد
اجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله واطال في الاستدلال في كتاب التمهيد في اصول
الدين وهو من اشهر كتبه قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وكثير من الناس
صار منتسبا الى بعض طوائف المتكلمين متوهما انهم محققون في هذا الباب عالمون بحقيقة غرهم
فلو اني بكل آية ما تبعهم حتى يوتى بشيء معلوم ثم هم مع هذا مخالفون للاسلاف غير
متبعين لهم قال ومن كان لا يقبل الحق الا من طائفة معينة ولا يتبع ما جاء به الحق فقيه

قال الصح

شبه

شبه من اليهود الذين قال الله فيهم واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون
بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم فكذلك من يتعصب لطائفة بلا برهان من الله
انتهى اذا علمت هذا فاعلم انه كثير من الناس ينطقون بان القائل بالجهة او الاستوا هو من
المجسمة لانهم يتوهمون ان من لوازم ذلك التجسيم وهذا وهم فاسد وظن كاذب وحدس
حائد لانا نقول ولا نسلم ان هذا التركيب لازم المذهب ليس بمذهب عند ائمة اهل التحقيق
وذوي النباهة والمعرفة والتصديق فكيف يحسن ان ينسب الى المرء شيء من لوازم كلامه وهو في
البعد الناس عنه بقصده ومراده فان اهل الاثبات المتبعين المنصوص من الاخبار والايات
ينزهون الله تعالى عن التكييف والحد ويعتقدون ان من وصفه تعالى بالجسم او كيف فقد
زاغ والحد ويلحد قال لما اثبت له صفة للاستوا كما ورد في القرآن العظيم والذكر
الحكيم نؤمن بانه عز وجل استوى على عرشه من غير كيف كما روى اللالكائي الحافظ في
كتابه السنة من طريق قرة بن خالد عن الحسن البصري عن ام حنيرة مولاة ام المؤمنين
ام سلمة رضي الله عنها عن ام سلمة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى
الاستوا معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة والجحد به كفر
وهذا الحكم المرفوع لانه مثله لا يقال من قبل الراي وفي لفظ اخر قالت الكيف غير معقول
والاستوا غير مجهول والاقرار به من الايمان والجحود به كفر وروى يحيى بن آدم عن ابيه
وابن عيينة قال سئل ربيعة ابن عبد الرحمن المشهور بربيعة الراي وهو شيخ للامام
مالك ابن انس رضي الله عنه عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال الاستوا
غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق
وروي نحو ذلك ايضا عن الامام مالك رضي الله عنه فقد ذكر الامام يوسف بن عبد البر في كتابه
التمهيد قال اخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المومن قال حدثنا احمد بن جعفر بن حمدان
قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثنا ابي قال حدثنا شريح ابو النعمان قال حدثنا
عبد العزيز بن ابي حازم قال قال الامام مالك ابن انس الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه
مكان قال وقيل لمالك الرحمن على العرش استوى كيف استوى فقال مالك رحمه الله استواؤه معلوم
وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة واراك رجل سوء وامر به فاخرج وروي عن الشعبي انه سئل عن
الاستوا فقال هذا من متشابه القرآن نؤمن به ولا نتعرض لمعناه وروي عن الامام الشافعي
رضي الله عنه انه سئل عن الاستوا فقال آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل والهمت نفسي في الادراك

من غير كيف قد تقدم ان يحد

التي المخلوقين فلذلك هو سبحانه وتعالى فوق عرشه ولا ليست لفوقية خصايص فوقية المخلوقين
على المخلوق تعالى الله عن ذلك فلدفع هذا الوهم اشار في النظم لنفي التحديد المتخذ لقوله كل ملحد وعنيد
قال الامام القرطبي ظهر الاقوال وانا كنا نما اقول به ولا اختاره ما تظاهرت عليه الادلة والاخبار
والفضلاء الاخيار ان الله سبحانه على عرشه كما اخبر في كتابه بلا كيف بائن من جميع خلقه هذا جملة
مذهب السلف الصالح انتهى والعجب من القرطبي حيث يقول وانا كنا نما اقول به ولا اختاره ولعله
خشي من تحريف الحسدة فدفع وهمهم بذلك قال العلامة التحفة مرعي وهذا قال جماهير الحنابلة
لكن قالوا استوى على الوجه الذي يستحقه لذاته مما لا يشاركه فيه المحدث ولا يشابهه ولا يماثله
ولا دليل على اثبات كمية ولا صفة كيفية بل على الوجه الذي يستحقه الله لنفسه قالوا والى هذا
الاشارة في حديث ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها في الحديث المار الاستواء معلوم والكيف مجهول
ورضي الدعوة الامام مالك حيث قال او كلما جاءنا رجل اجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد
صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء وكلما هؤلاء مخصوم مثل ما خصم به الآخر فلم يبق الا الرجوع لما قاله
الله ورسوله والتسليم لهما **تنبيهات الاول** قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه اكثر
ما يخطئ الناس من جهة التاويل والقياس فالتاويل في الادلة السمعية والقياس في الادلة
العقلية وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره وحده وهو كما قال والتاويل الخطا انما يكون
في الالفاظ المتشابهة والقياس الخطا انما يكون في المعاني المتشابهة قال شيخ الاسلام وقد وقع
بنو آدم في عامة ما يتنازعون فيه من انواع الضلالات حتى ان الامر المتفق عليه التحقيق
والتوحيد والعرفان منهم الى الله استند عليهم وجود الرب بوجود كل موجود وهذا غاية الضلال
والالحاد ثم قال شيخ الاسلام روح الله سره وحده ما اخبر به الرسول عن ربه فانه يجب الايمان به
سواء عرفناه او لم نعرفه لانا نصدق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن
من الايمان به وان لم يفهم معناه وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الامة وائمتها مع ان هذا الباب
يوجد منصوصا في الكتاب والسنة متفقا عليه بين سلف الامة وما تنازع فيه المتاخرون
نفيا واثباتا فليس على احد بل ولا له ان يوافق احدا على اثبات لفظه او نفيه حتى يعرف مراده
فان اراد حقا قبل واذا اراد باطلا رد واذا اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد
جمع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى قال كما تنازع الناس في الجهة فلفظ الجهة قد يراد به
شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا كما اذا اريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات وقد يراد به
ما ليس بموجود غير الله تعالى كما اذا اريد بالجهة ما فوق العالم ومعلوم ان ليس في النص اثبات

واما سكت عما الخوض غاية الامساك وعن سيدنا الامام احمد ابن حنبل رضي الله عنه انه لما سئل
عن الاستواء اجاب بقوله استوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر فمعنى قول ام سلمة رضي الله عنها
في الحديث ومن نحو هاتين الآيتين الاستواء معلوم اي وصفه تعالى بانه تعالى على العرش استوى معلوم
بطريق النقل الثابت بالتواتر واما الوقوف على حقيقته امر يعود الى الكيفية فمجهول والجهل الذي هو
من جهتنا انه لا سبيل لنا الى معرفة الكيفية لانها تابع للماهية وقولهم والسؤال عنه بدعة لانه
الصحابة رضي الله عنهم لم يسألوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لم يسألوا
الصحابة لان جوابه يتضمن الكيفية ولهذا قيل في الجواب لما دخلت عليهم الشبهة طالبين
بسؤالهم التكييف الكيف غير معقول فالذي ثبت تفيه بالشرع والعقل واتباع السلف
انما هو علم العباد بالكيفية فعندها تنقطع الاطماع وعن ادراكها تقصر العقول والوقوف
على درج سلم التسليم تنتهي هممهم الفحول ولهذا قال في تتمة نظمه ملوحا بالرد على الممثل
والمعطل بقوله قد تعالى الله جل وعلا ولسنا في اتباع المأثور مع التسليم للمولى الحكيم على
وجل فانا نقتفي اثر المأثور ونشهر سيوف السنة لاعناق اهل البدع والنفي باتباع المشهور
ونرد على كل ملحد باد الله تعالى وتقدس وتنزه عن ان يحد او نقاس بما تحد وفيه
اشارة الى رد زعم من زعم بانه يلزم من كونه تعالى مستويا على عرشه ان يحد قال الامام القرطبي
وابن ابي زيد والقاضي عبد الوهاب من المالكية وجماعة من شيوخ الحديث والفقه وابن عبد البر
والقاضي ابو بكر بن العربي وابن فورك وغيرهم ممن لا يحصى عددهم انه سبحانه مستو على العرش
بذاته واطلق قوم في بعض الاماكن فوق عرشه قال القاضي ابو بكر وهو الصحيح الذي اقول به من غير
تحديد ولا تمكن في مكان ولا مماسة وقال شيخ الاسلام ابن تيمية استوى على عرشه على الوجه
الذي يستحقه سبحانه من الصفات اللائقة به قال فان قال قائل لو كان الله تعالى فوق العرش
للزم ان يكون اكبر من العرش او اصغر او مساويا وذلك كله محال ونحو ذلك من الكلام والجواب
ان يقال ان هذا لم يفهم من كون الله على العرش الا ما ثبت للاجسام فهذا اللازم تابع
لهذا المفهوم واما استواء يليق بجلال الله ويختص بعظمته فلا يلزم من شيء من اللوازم
الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الاجسام وحال هذا القائل مثل قول من يقول اذا
كان للعالم صانع فاما ان يكون جوهرا او عرضا وكلاهما محال اذ لا يعقل موجود الا كذلك
قال والقول الفصل هو ما عليه الائمة الوسط من ان الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق
بجلاله فكما انه تعالى موصوف بالعلم والبصر والقدرة ولا يثبت لذلك خصايص لاعراض

الشارح رحمه الله الى معنى قوله ما لكنا جوابه
الاستواء معلوم الى ورود هذا
اللفظ معلوم وقد قال الشيخ الاسلام
وجوده وشيوعه عند اهل العلم
ومن نحا نحوهم من ائمة الفقهاء الذين
ام الاوزاعي والثوري والليث بن سعد
جعلوا معلوما ليس بمجهول
لفظ الاستواء ليس بمجهول
الصحابة رضي الله عنهم لم يسألوا
الصحابة لان جوابه يتضمن
بسؤالهم التكييف
الصحابة رضي الله عنهم
على درج سلم التسليم
والمعطل بقوله قد تعالى الله
وجل فانا نقتفي اثر المأثور
ونرد على كل ملحد باد الله
اشارة الى رد زعم من زعم
والقاضي ابو بكر بن العربي
بذاته واطلق قوم في
تحديد ولا تمكن في
الذي يستحقه سبحانه
للزم ان يكون اكبر
ان يقال ان هذا
لهذا المفهوم
الباطلة التي يجب
كان للعالم صانع
قال والقول الفصل
بجلاله فكما انه
التي

لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه اثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج اليه ونحو ذلك وقد علم انه
ما ثم موجود الا الخالق والمخلوق والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى فليس في مخلوقاته شيء
من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته فيقال لمن نفى الجهة اتريد بالجهة انها شيء موجود مخلوق
فالله ليس داخلا في المخلوقات ام تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب ان الله فوق العالم باين
من المخلوقات وكذلك يقال لمن قال الله في جهة اتريد بذلك ان الله فوق العالم او تريد به
ان الله داخل في شيء من المخلوقات فان اردت الاول فهو حق وان اردت الثاني فهو باطل وكذلك
لفظ التحيز ان الله تحويزه المخلوقات فالله اعظم واكبر قدرا وسع كرسيه السموات والارض وقد
قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقبض الله الارض ويطوي السموات بيمينه
ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما السموات السبع
والارضون السبع وما فيهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد احدكم وفي حديث اخر انه ليدحوها
كما يدحو الصبيان بالكرة قال واذا اراد به انه منحاز عن المخلوقات اي مباين لها ومنفصل
عنها ليس حالا فيها فهو سبحانه كما قال ائمة السنة فوق سمواته على عرشه باين من خلقه
للمخلوقات فيعلم بالعقل واما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع وليس في الكتاب
والسنة وصف له بانه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله فيظن المتوهم
انه اذا وصف بالاستواء على العرش كما استوائه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام
كقوله وسخر لكم الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره فيتخيل انه اذا كان مستويا
على العرش كان محتاجا اليه كحاجة المستوي على الفلك والانعام فتعالى الله وتقدس فهذا خطأ
وفي مفهوم استوائه تعالى على العرش حديث ظن انه مثل استواء المخلوق فانه ليس في اللفظ ما
يدل على ذلك لانه تعالى اضاف الاستواء الى نفسه الكريمة كما اضاف اليه سائر افعاله وصفاته
فذكر انه خلق ثم استوى كما ذكر انه قدر فهدى فلم يذكر استواء مطلقا يصلح للمخلوق ولا
مباينا والمخلوق كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته وقد علم ان الله تعالى الغني عن كل ما سواه
فليس يجوز ان يتوهم انه تعالى اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وهل هذا الا جهل محض وضلال ممن توهم ذلك او توهمه او ظنه ظاهر اللفظ او جوزه
على رب العالمين الغني عن الخلق المجيد المتعال الثالث قال الجلال الدواني في شرح العقايد

العضدية

نسخ
ان اراد به ج

وفي خلق وان اراد بالخلق والغير ما سوى الله كل ما

٦٩

العضدية ما لفظه وابن تيمية ابو العباس احمد واصحابه ميل عظيم الى اثبات الجهة ومبالغة في الفحص
في نفيها قال ورايته في بعض تصانيفه انه لا فرق عند بديهة العقل بين ان يقال هو معدوم
وبين ان يقال طلبته في جميع الممكنة فلم اجده ونسب النافين الى التعطيل قال وهذا
مع علو كعبه في العلوم النقلية والعقلية كما يشهد به من تتبع تصانيفه قال ومحصل
كلام بعضهم في بعض المواضع ان الشرع ورد بتخصيصه تعالى بجهة الفوق كما خص الكعبة بكونها
بيت الله ولذلك يتوجه اليها في الدعا قال ولا يخفى انه ليس في هذا القول غائلة اصلا لكن بعض
اصحاب الحديث من المتاخرين لم يرض بهذا القول وانكر كون الفوق قبلة الدعا بل قال قبلة الدعا
هو بعينه نفسه كما ان نفس الكعبة قبلة الصلاة وصرح بكونه جهة الله حقيقة من غير تجوز انتهى
كلامه بحروفه قلت ليس شيخ الاسلام باول من نسب النافين للتعطيل فهذا ابو محمد
عبد الله بن سعيد بن كلاب وهو الذي تبع طريقته ابو الحسن الاشعري وان خالفه في بعض المسايل
الا انه على نفيه في اثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه قال ابن كلاب في بعض كتبه
اخرج من الاثر والنظر ما قال انه سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه وحكى عنه ابو الحسن الاشعري
انه كان يقول ان الله مستو على عرشه كما قال وانه فوق كل شيء هذا لفظ حكاية الاشعري
وحكى عنه ابو بكر ابن فورك فيما جمعه من مقالاته في كتابه المجرد اخرج من النظر والخبر قولا من
قال لا هو في العالم ولا خارجا عنه فنفاه نفيا مستويا لانه لو قيل الصفة بالعدم ما قدروا
الا يقولوا اكثر من هذا وقال ابن كلاب انه قالوا لا فوق ولا تحت اعدموه لانهما كانا لا فوق
ولا تحت عدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وانما رجع الاشعري عن مذهب
المعتزلة سلك طريق ابن كلاب وقال انا اهل السنة والحديث وانتسب الى الامام احمد كما قد
ذكر ذلك في كتبه كلها كالابانة والموجز والمقالات وغيرها وقال شيخ الاسلام في رسالته
التدمرية بعد ان ذكر ان الذين لا يصفونه الا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة الها محمودا
ولا موجودا قال وكذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا انه لا يتكلم ولا يرى او ليس فوق
العالم او لم يستو على العرش ويقولون ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مباين للعالم ولا
محايث له اذ هذه الصفات يمكن ان يوصف بها المعدوم وليست هي مستلزمة صفة الثبوت
ولهذا قال محمود بن سبكتكين لما ادعى ذلك في الخالق مين لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين
المعدوم انتهى الثالث ذكر الامام ابو العباس عماد الدين احمد بن ابراهيم الواسطي الصوفي المحقق
العارف تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سرهما الذي قال فيه شيخ الاسلام انه جنيد زمانه

العضدية

في رسالة نصيحة الاخوان ما حاصله في مسئلة العلو والفوقية والاستواء هو ان الله عز وجل كان
ولا مكان ولا عرش ولا ماء ولا فضاء ولا هواء ولا ملاء ولا خلاء وانه كان منفردا في قدمه وازليته
متوحدا في فردانيته لا يوصف بانه فوق كذا اذ لا شيء غيره هو تعالى سابق التحت والفوقية اللذين
هما جهتا العالم وهو لازم ما لله تعالى وهو تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته
فلما اقتضت الارادة المقدسة خلق الاكوان المحدثة المخلوقة المحدودة ذات الجهات اقتضت
الارادة ان يكون الكون له جهات من العلو والسفل وهو سبحانه منزه عن صفات الحدث
فكون الاكوان وجعل جهتي العلو والسفل واقتضت الحكمة الالهية ان يكون الكون في جهة
التحت لكونه مربوبا مخلوقا واقتضت العظمة الربانية ان يكون هو تعالى فوق الكون باعتبار الكون
لا باعتبار فردانيته اذ لا فوق فيها ولا تحت والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وازليته وفردانيته
لم يحدث له في ذاته ولا صفاته ما لم يكن له في قدمه وازليته فهو الآن كما كان لما احدث
المربوب المخلوق ذا الجهات والحدود والخلاء والملاء الفوقية والتحتية كان مقتضى حكم
العظمة الربوبية ان يكون فوق ملكه واذ تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار
القدم من المكون فاذا اشير اليه بشيء يستحيل ان يشار اليه من جهة التحتية او من جهة اليمنة او من
جهة اليسرة بل لا يليق ان يشار اليه الا من جهة العلو والفوقية ثم الاشارة هي بحسب الكون وحدوثه
وسفله فالاشارة تقع على اعلا جزء من الكون حقيقة وتقع على عظمة الله تعالى كما يليق به
لا كما يقع على الحقيقة المحسوسة عندنا في اعلا جزء من الكون فانها اشارة الى جسم وتلك اشارة
الى اثبات اذا علم ذلك فالاستواء صفة كانت لله سبحانه وتعالى في قدمه لكن لم يظهر حكمها الا بعد
خلق العرش كما ان الحياة صفة قديمة لا يظهر حكمها الا في الاخرة وكذلك التجلي في الاخرة لا
يظهر حكمه الا في محله قال فاذا علم ذلك فالامر الذي تهرب المتاولة منه حيث اولوا الفوقية
بفوقية المرتبة والمستوا بالاستيلا فنحن اسعد الناس هربا من ذلك وتنزيها للباري عن الحد
الذي لا يحصره فلا نجد نجد يحصره بل نجد تنزيه عظمة ذاته عن مخلوقاته والاشارة
الى الجهة انما هو بحسب الكون وسفله اذ لا تمكن الاشارة اليه الا هكذا او هو في قدسه سبحانه
منزه عن صفات الحدث وليس في العدم فوقية ولا تحتية وانما هو محصور في التحت لا لكنه
معروف بانه الامر فوقه فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة وتنتهي الجهات
عند العرش ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجملا
مثبتا لا مكيفا ممثلا قال فاذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التاويل وعماوة التعطيل

وحماقة

وحماقة التشبيه والتمثيل واثبتنا علوه بنا وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته
والحق واضح في ذكره والصدر ينشرح فاذا التحريف تاباه العقول الصحيحة مثل تحريف المستوا
بالاستيلا وغيره والوقوف في ذكر جهل وفي مع كون الرب وصف لنا نفسه هذه الصفات لنعرفه
بها فوقف فتاعة اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها فاوصف لنا نفسه
بها الا لنثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذكر ذلك وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة
فمن وفقه الله للاثبات فلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله
والله اعلم قال شيخ الاسلام في كتابه العرش ما حاصله اختلف في العرش هل هو كري كالافلاك
فيكون محيطا بها او اما ان يكون فوقها وليس هو كريا فان كان الاول فمن المعلوم بالاتفاق
من يعلم ان الافلاك مستديرة كرية الشكل وان الجهة العليا هي جهة المحيط وهو المحدود
وان الجهة السفلى هي المركز وليس للافلاك الا جهتان العلو والسفل فقط واما الجهات
الست فهي للحيوان وليس لها في نفسها صفة لازمة بل هي بحسب الاضافة فيكون يمين هذا ما يكون
يسار هذا ويكون امام هذا ما يكون خلف هذا ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا لكن جهة
العلو والسفل للافلاك لا تتغير فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل مع ان وجه الحكمة
التي وضعهما الله للانام وارساها بالجبال هو الذي عليه الناس والبهايم والشجر والجبال والنبات ص
والانهار الجارية فاما الناحية الاخرى من الارض فالبحر محيط بها وليس هناك شيء من الادميين
وما يتبعهم ولو قدر ان هناك احدا لكان على ظهر الارض ولم يكن من في هذه الجهة تحت
من في هذه ولا من في هذه تحت من في هذه كما ان الافلاك محيطة بالمركز وليس احد جانبي الفلك
تحت للاخر ولا القطب الشمالي تحت القطب الجنوبي ولا بالعكس وان كان الشمالي هو الظاهر لنا
فوق للارض وارتفاعه نحسب بعد الناس عن خط الاستواء فكلما بعده عن خط الاستواء ازداد
درجة مثلا كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة وهو الذي يسمى عرض البلد فاذا قدر ان
العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو اعلاها واسفلها وهو فوقها مطلقا فلا يتوجه
اليه ولا الى ما فوقه الانسان الا من جهة العلو لان جهاته الباقية اصلا ومن توجه الى الفلك الثامن
او الكرسي او غيره من جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلا فكلف بالتوجه الى العرش او الى
ما فوقه وغاية ما يقدر ان يكون كري الشكل واسطها محيط بالمخلوقات كلها احاطة تليق
بجلاله فان السموات السبع والارض في يده اصغر من الخردلة في يد احدنا قال ابن عباس
رضي الله عنهما ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن الا كخردلة

في يد احدكم وهذا الاثر وامثاله معروفة في كتب الحديث قال شيخ الاسلام ومن المعلوم ان
الواحد منا ولله المثل الاعلى اذا كان عنده خرزة ان شاء قبضها فاحاطت بها قبضته
وان شاء لم يقبضها بل جعلها تحته فهو في الحالين مباين لها والعرش سواء كان هذا الفلك
التاسع الذي هو الفلك الاطلس عند الفلاسفة ويسمونه الفلك الاعظم وفلك الافلاك
او كان جسما محيطا بالفلك التاسع او كان فوقه من جهة وجه الارض غير محيط به فيجب على كل حال
ان يعلم ان العالم العلوي والسفلي بالنسبة الى الخالق في غاية الصغر كما قال الله تعالى وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وفي ذلك
من الاحاديث ما سيأتي ذكر بعضها عند ذكر يد الله تعالى وسواء قدر ان العرش محيط بالمخلوقات
كاحاطة الكرة بما فيها او قيل انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذي نحن عليه بالنسبة
الى جوفها او كالقبة بالنسبة الى ما تحتها او غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق
المخلوقات والخالق سبحانه وتعالى فوقه والعبد في توجهه الى الله يقصد العلو دون التحت
ثم قال شيخ الاسلام في اخر كتاب العرش قد تبين ان سبحانه وتعالى اعظم واكبر من ان تكون
المخلوقات عنده بمنزلة داخل الفلك في الفلك وانها اصغر عنده من الحمصة او الفلفلة ونحو ذلك
في يد احدنا فاذا كانت الحمصة او الفلفلة بل الدرهم والدينار او الكرة التي يلعب بها الصبيان
ونحو ذلك في يد الانسان او تحته ونحو ذلك هل يتصور عاقل اذا استشعر علو الانسان على ذلك
واحاطته به ان يكون الانسان كالفلك فالله تعالى وله المثل الاعلى اعظم من ان يظن ذلك به وانما
يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد كان سبحانه وتعالى نهى عن المتابذة في العظمة والكبرياء
والجلالة وكان الناظم مستشعرا لهذا قال فلا يحيط علمنا معشر الخلق من الملائكة والانس
والجن ولو بذلنا جهدنا في تحصيل معرفته وانفقنا اعمارنا في الدأب والتدقيق والامعان في النظر
فيما يوصل الى ادراك حقيقته فلا يمكن ان يحيط علمنا ولا ان تدرك عقولنا العلم بذاته
المقدسة وحقيقته المعظمة قال شيخ الاسلام في التدمرية ومثل هذا يعني عدم العلم بحقايق
الصفات والذات يوجد كثيرا في كلام السلف والائمة ينفون به علم العباد بكيفية صفات الله
وانه لا يعلم كيف الله الا هو سبحانه وتعالى قال فما يعلم ما هو الا هو وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك وهذا في صحيح مسلم وغيره وقال في الحديث الماخر اللهم اني اسئلك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في

علم الغيب

فلا يحيط علمنا بذاته

والحديث في المسند وصحيح ابن حبان وقد اخبر فيه ان لله من الاسماء ما استاثر به في علم
الغيب عنده صح

في علم الغيب عندك فمعاني هذه الاسماء التي استاثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره ونحن نعلم
ان اسماء الله تعالى كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله مع تنوع معانيها وهي متفقة متواطئة
من حيث الذات متباينة من جهة الصفات وهي مترادفة بحسب الذات متباينة بحسب الصفات
قال شيخ الاسلام ما اخبر الله به من علم الغيب اعظم مما يعلم في الشاهد وفي الغايب مالا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن اذا اخبرنا الله بالغيب الذي اختص به من الجنة
والنار علمنا معنى ذلك وفهمنا ما اريد منا فهم بذلك الخطاب وفسرنا ذلك واما نفس الحقيقة المخبر
عنها مثل التي لم تكن بعد وانما تكون يوم القيمة فذلك من التاويل الذي لا يعلمه الا الله انتهى
ولهذا قال بعض الناس ليس في الدنيا شيء مما في الاخرة الا الاسم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
قال ابن وهب قال عبد الرحمن ابن زيد يعرف من اسماء كما كانوا في الدنيا بالتفاح والرمان وليس
هو مثله في الطعم وقد اخرج عبد الله ابن الامام احمد رحمهما الله من حديث ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهبط الله آدم من الجنة وعلمه صنعة كل شيء وزوده
من ثمار الجنة غير انها تغير وتلك لا تغير فالله جل ثناؤه لا يعلم عباده الحقايق التي اخبر
عنها من صفاته وصفات اليوم الاخر ولا يعلمون احقايق ما اراد بخلقه وامره من الحكمة
ولا حقايق ما صدرت عنه من المشيئة والقدرة فحقيقة ما دل عليه سبحانه وتعالى من حقايق
الاسماء والصفات وما لله من الجنود الذين يستعملهم في افعاله فلا يعلمه الا هو وما يعلم جنود
ربك الا هو وهذا من تاويل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى ولهذا ليس الا المتشابه يكون
في الالفاظ المتواطئة كما يكون في الالفاظ المشتركة التي ليست بمتواطئة فان زال الاشتباه
بما يبين احد المعنيين من اضافة او تعريف كما اذا قيل فيها الفار من ماء فهنا قد خص هذا الماء
بالجنة فظهر الفرق بينه وبين ماء الدنيا لكن حقيقة ما امتاز به ذلك الماء غير معلومة لنا وهو
ما اعد الله تعالى لعباده الصالحين مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من التاويل
الذي لا يعلمه الا الله وكذلك مدلول اسمائه وصفاته التي يختص بها التي هي حقيقته ولا يعلمها الا
هو ولهذا كان الائمة الكبار كالامام احمد وغيره ينكرون على الجهمية وامثالهم الذين
يحرفون الكلم عن مواضعه فالحقيقة التي استاثر الله بعلمها لا يعلمها الا هو كما بسط عليه الكلام
شيخ الاسلام في التدمرية وغيرها ثم قال وقد افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق
فالسلف والائمة واتباعهم آمنوا بما اخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الاخر مع علمهم بالمباينة

التي بين ما في الدنيا وبين ما في الاخرة وانما بينه الله لها لخلقه اعظم والفريق الثاني الذين اثبتوا
ما اخبر الله به في الاخرة من الثواب والعقاب ونفوا كثيرا مما اخبر الله به من الصفات مثل طوائف
من اهل الكلام والفريق الثالث نفوا هذا وهذا كالقرامطة الباطنية والفلاسفة اتباع المشائين
ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما اخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر وهؤلاء الباطنية
هم الملاحدة الذين اجمع المسلمون على انهم اكفر من اليهود والنصارى والله اعلم كذلك اي كما ان علمنا
لا يحيط بالذات المقدسة لا ينفك لا يخلص ولا يزول عن صفاته الذاتية وافعاله الاختيارية
فذاته المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين وصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين فنسبة
صفة المخلوق اليه كنسبة صفة الخالق اليه وليس المنسوب كالمنسوب ولا المنسوب اليه
كالمنسوب اليه واراد الناظم بما ذكر الرد على المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات فانهم يزعمون
ان كل من اثبت لله صفة قديمة فهو مشبه ممثل فمن قال لله تعالى علم قديم او قدرة قديمة
كان عندهم مشبها ممثلا لان القدم عندهم هو اخص وصف للرب فمن اثبت له صفة قديمة
فقد اثبت له مثلا قديما فيسمونه ممثلا لهذا الاعتبار ومثبتو الصفات لا يوافقونهم على هذا
بل يقولون اخص وصفه ما لا يتصف به غيره مثل كونه رب العالمين وانه بكل شيء عليم وانه على
كل شيء قدير وانه اله واحد ونحو ذلك والصفة لا توصف بشيء من ذلك ثم من هؤلاء الصفاتية
من لا يقول ان الصفات انها قديمة بل يقول الرب بصفاته قديم ومنهم من يقول هو وصفاته قديمان
ولكن يقول ذلك لا يقتضي مشاركة الصفة لشيء من خصائصه فان القدم ليس هو من خصائص
الذات المجردة بل هو من خصائص الذات الموصوفة بالصفات ولهذا الذات الموجودة المجردة
لا وجود لها عندهم فضلا ان تختص بالقدم وقد يقولون الذات متصفة بالقدم والصفات
متصفة بالقدم وليست الصفات الها ولا ربا كما ان النبي صلى الله عليه وسلم محدث وصفاته محدثة
والصفات ليست نبيا فهؤلاء المعتزلة اذا اطلقوا على الصفاتية اسم التشبيه والتمثيل كان هذا
بحسب اعتقادهم الفاسد الباطل وهم ان المعنى قد يسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيها فهذا
المعنى لم ينفه عقل ولا سمع وانما الواجب نفي ما تنفيه الادلة الشرعية والعقلية والقرآن قد نفى مسمى
المثل والكفو والند ونحو ذلك والصفة في لغة العرب ليست مثل الموصوف ولا كفوه ولا ندّه فلا
تدخل في النصوص واما العقل فلم ينف مسمى التشبيه في اصطلاح المعتزلة وكذلك زعمهم ان الصفات
لا تقوم الا بجسم فلو قامت الصفات للزم ان يكون مماثلا لسائر الاجسام وهذا هو التشبيه وهذا باطل

كذلك لا ينفك عن صفاته

فان الله

فان الله تعالى له المثل الاعلى فلا يجوز ان يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل ولا في قياس
شمول لتستوي افراده ولكن يستعمل في حقه تعالى المثل الاعلى وهو ان كل ما اتصف به المخلوق
من كمال فالخالق به اولى وكل ما ينزه عنه المخلوق فالخالق عنه انزه واعلى فالذي يعتمد عليه في نفي
النقص والعيب مما هو سبحانه مقدس عنه فهذه الطرق الصحيحة والحجج الرجيحة فيثبت له من
صفات الكمال ما يليق بعزة ذي الجلال وينفي مماثلة غيره له فيها فلا يشركه شيء من الاشياء فيما
هو من خصائصه وكل صفة من صفات الكمال فهو متصف بها على وجه لا يماثله فيه احد وهذا مذهب
السلف وائمة الدين اثبات ما وصف الله به نفسه من الصفات ونفي مماثلته لشيء من المخلوقات
كما تقدم الكلام على الصفات بما العلم فيه كفاية لمن تبصر والله الموفق تنبيه اختلف النظار
في صفات الباري عز وجل هل هي عين ذاته تعالى او غير ذاته المقدسة ولهذه الشبهة نفت
المعتزلة الصفات عن الذات لانهم قالوا اما ان تكون الصفات حادثة فيلزم قيام الحوادث
بذاته وحلوله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وغيرها من الكمالات وصدورها
عنه تعالى بالقصد والاختيار وبشر اياها حادثة والجميع باطل بالاتفاق واما ان تكون قديمة
فيلزم تعدد القدماء وهو كفر باجماع المسلمين وقد كفر النصارى بثلاثة قدماء فكيف بالاكثر
والجواب اما المحظور في تعدد القدماء المغايرة ونحن نمنع تغاير الذات مع الصفات و
الصفات بعضها مع بعض فينتفي العدد والتكثر ولئن سلم ما زعموا من تعدد القدماء
فالممتنع من تعدد القدماء اذا كانت ذواتا مستقلة لا تعدد ذات وصفات لها هذا مباين
لقول النصارى كما لا يخفى على ذي بصيرة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في شرح
العقائد الاصفهانية اسم الغير فيه اصطلاحان احدهما ان الغيرين ما جاز العلم باحدهما مع
عدم العلم بالآخر والثاني ان الغيرين ما جاز موافقة احدهما للآخر وعرفا ايضا بانهما الموجودان
اللذان يمكن انفكاك احدهما عن الآخر بوجود او كان او زمان فالغيرية كون الموجودين
يتصور انفكاك احدهما عن الآخر والعينية هي الاتحاد في المفهوم بلا تفاوت اصلا فلا يكون ان
نقيضين بل يتصور بينهما واسطة بان يكون الشيء بحيث لا يكون مفهوم احدهما مفهوم الآخر ولا وجد
بدونه كالجزء مع الكل والصفة مع الذات العلية وبعض صفاتها مع بعض قال شيخ الاسلام
والاول يعني احد الغيرين ما جاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر اصطلاح المعتزلة والكرامية
والثاني وهو احد الغيرين ما جاز مفارقة احدهما للآخر كما تقدم اصطلاح طوائف من الكلابية
والاشعرية ومن وافقهم من المنتسبين الى اصحاب الائمة الاربعة قال واما الائمة كالامام احمد بن حنبل رضي الله عنه

وغيره فان لفظ الغير عندهم يحتمل هذا وهذا ولهذا كان السلف لا يطلقون بان صفات الله تعالى
غيره لانها ليست غيره فلا يقولون كلام الله غير الله ولا يقولون ليس غير الله بل يستفسرون
القائل عما مراده فقد يريد الاول وقد يريد الثاني وهذه طريقة حذاق النظار فانه اذا اراد
الاصطلاح الثاني فجزء الشيء اللازم وصفته اللازمة ليس هو بغيره فلا يكون ثبوته موجبا
لافتقاره الى غيره واذا تكلم بالاول فثبوت الغير بهذا التفسير لا يدعنه فانه يمكن العلم بوجوده
والعلم بانه خالق والعلم بعلمه والعلم بارادته وهم يفسرون ما عذكر بالعقل والعناية
وهذه المعاني اغيار وعلى هذا الاصطلاح وثبوتها لازم لواجب الوجود واذا كان ثبوت
هذه الاغيار لازما له لم يجز القول بنفيها لان نفيها يستلزم نفي واجب الوجود وعلم ان
مثل هذا وان سمي تركيبا فليس منافيا لوجوب الوجود فاذا قيل واجب الوجود لا يفتقر الى
غيره قيل لا يفتقر الى غير يجوز مفارقته له ام الى غير لازم الوجود فالاول حق واما الثاني
اذا اريد بالافتقار انه مستلزم له فممنوع وقال شيخ الاسلام ايضا قدس الله سره في كتابه
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح من الناس من يقول كل صفة للرب عز وجل غير الاخرى و
يقول الغيران ما جاز العلم باحدهما مع الجهل بالاخر ومنهم من يقول ليست هي غير الاخرى
ولا هي هي لان الغيرين ما جاز وجود احدهما مع عدم الاخر وما جاز مقارنة احدهما الاخر
بزمان او مكان او وجود قال والذي عليه سلف الامة وائمتها اذا قيل لهم علم الله وكلام الله
هل هو غير الله ام لا لم يطلقوا النفي والاثبات فانهم اذا قيل لهم غيره او لهم انه مباين له
واذا قيل ليس غيره او لهم انه هو بل تستفصل السائل فان اراد بقوله غيره انه مباين له منفصل
عنه فصفات الموصوف لا تكون مباينة له منفصلة عنه وان كانت مخلوقة فكيف بصفات
الخالق وان اراد بالغير انها ليست هي هو فليست الصفة هي الموصوف في غير هذا الاعتبار
واسم الرب تعالى اذا اطلق يتناول الذات المقدسة بما تستحقه من صفات الكمال فيمتنع وجود
الذات عرية عن صفات الكمال فاسم الله عز وجل يتناول الذات الموصوفة بصفات الكمال
وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى بل هي داخلة في المسمى ولكنها زائدة على
الذات المجردة التي تثبتها نفاة الصفات فاولئك لما زعموا انه ذات مجردة قال هؤلاء الصفات
زائدة على ما اثبتموه من الذات واما في نفس الامر فليس هناك ذات مجردة تكون الصفات زائدة
عليها بل الرب تعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال وصفاته داخلة في مسمى اسمائه
الحسنى سبحانه وتعالى انتهى وهذا تحقيق لا مزيد عليه فاحفظه فانه مهم وبالله التوفيق ثم اخذ يتكلم

في ذكر

في ذكر الصفات التي يثبتها السلف فقال فكل ما اي وصف قد جاء مضمونة في الدليل الشرعي
من الكتاب العظيم وسنة النبي الكريم ووصفه به السلف الصالح فانه ثابت له سبحانه وتعالى
وموصوف به من غير ما زائدة لمزيد النفي وتاكيده تمثيل بل نثبت له ما ورد ولا نتعرض له
بتاويل ولا رد فهذا مذهب السلف في ايات الصفات الها لا تؤول ولا تفسر بل يجب الايمان بها وتفويض
معناها المراد منها الى الله تعالى فقد روى اللالكائي الحافظ عن محمد بن الحسن قال اتفق العلماء
كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه وقال العلامة المرعي
وغيره من علمائنا وغيرهم مضت ائمة السلف على الايمان بظاهر ما جاء في الكتاب من ايات
الصفات وكان الزهري ومالك والاوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك
والامام احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهم رحمهم الله ورضي عنهم يقولون في ايات الصفات
مرورها كما جاءت وقال سفيان بن عيينة وناهيك به علما وفهما وورعا وزهدا وامامة
كل ما وصف الله نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لاحد ان يفسره الا الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك مما ذكرناه اولا ومما لم نذكره مما هو في معناه اضعاف اضعافه
اذا علمت ذلك فما اثبت له السلف دون غيرهم صفة الرحمة وقد اشار الى ما يقوله من رحمة
وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والانعام كما تقدم في اول الكتاب قال
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في شرح العقائد الاصفهانية الذي اتفق عليه سلف
الامة وائمتها ان يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف
ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فانه قد علم بالسمع مع العقل ان الله ليس كمثله شيء لا في
ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله كما قال تعالى هل تعلم له سميا فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون
ولم يكن له كفوا احد وقد علم بالعقل ان المثلين يجوز على احدهما ما يجوز على الاخر ويجب له
ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه فلو كان المخلوق مثلا للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب للرب
اشتراكهما فيما يجوز ويمتنع والخالق يجب وجوده وقدمه والمخلوق يستحيل وجوب
وجوده وقدمه بل يجب حدوثه وامكانه فلو كانا متماثلين للزم اشتراكهما في ذلك وهذا جمع
بين النقيضين قال اذا عرف هذا فنقول ان الله تعالى سمى نفسه في القرآن العظيم الرحمن الرحيم
ووصف نفسه بالرحمة كما قال ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ورحمتي وسعت كل شيء قال
ومن الناس من جعل رحمة الله تعالى عبارة عما يخلقه من النعم ومنهم من يجعل رحمته الارادة
لانهم زعموا ان الرحمة لغة رقة القلب وانعطافه وذلك من الكيفيات التابعة للمزاج

جلس

والله منزه عنها فالمراد بها في حقه ارادة الخير والاحسان الى من يرحمه فاذا اسماء الله تعالى
تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات وقدم في اول
الكتاب الكلام على الرحمة بما العلة يكفي ويشفي قوله ونحوها اي نحو الرحمة من محبته تعالى
ورضاه وغضبه ونحو ذلك قال تعالى يحبهم ويحبونه والقيت عليك محبة مني اي الله يحب
المحسنين ويحب المتقين ويحب الصابرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا قال شيخ
الاسلام ومن الناس من نفى ان تكون له صفة محبة اورضا او غضب غير الارادة قال علماء
الخلف المحبة ميل القلب الى ما يلايم الطبع والله منزه عن ذلك وح فمحبة للعبد ارادة
اللطف به والاحسان اليه ومحبة العبد لله هي محبة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتنا
بتحصيل مراضيه فمعنى يحب الله اي يحب طاعته وخدمته او يحب ثوابه واحسانه وهذا
مذهب جمهور المتكلمين وقال الامام العلامة المحقق الاصولي الطوفي الحنبلي رحمه الله
عليه ذهب طوائف من المتكلمين والفقهاء الى ان الله تعالى لا يحب واغا محبته محبة طاعته
وعبادته وقالوا هو ايضا لا يحب عباده المؤمنين واغا محبته ارادته لهم احسانه اليهم
قال والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وائمتها وجميع مشايخ
الطريق ان الله تعالى يحب ويحب لذاته واما حب ثوابه فدرجة نازلة وهذا من كلام شيخ الاسلام
فانه قال للناس في هذا الاصل العظيم ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى يحب ويحب كما
قال تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فهو المستحق ان يكون له كمال المحبة دون ما
سواه وهو سبحانه يحب ما امر به ويحب عباده المؤمنين قال شيخ الاسلام وهذا قول سلف
الامة وائمتها وقول ائمة شيوخ المعرفة والقول الثاني انه يستحق ان يحب لكنه لا يحب
الا بمعنى يريد وهذا قول كثير من المتكلمين ومن وافقهم من الصوفية والثالث انه لا يحب ولا يحب
واغا محبة العباد له ارادتهم طاعته وهو قول الجهمية ومن وافقهم من متاخري اهل الكلام
كالرازي فيقال لمن نفى رحمة الله ومحبته وغضبه ورضاه ونحوها واثبت له الارادة لم نفيت
تلك واثبت له الارادة فان قال لان اثبات هذه الصفات تشبيه لان الرحمة رقة تلحق المخلوق
والغضب غليان دم لارادة الانتقام ونحو ذلك والرب منزه عن مثل هذه صفات المخلوقين
قيل له وكذلك يقول لك منازعك في الارادة ان الارادة المعروفة ميل الانسان الى ما
ينفعه ودفع ما يضره والله تعالى منزه عن ان يحتاج الى عباده وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه
بل هو الغني عن خلقه كلهم فان قيل الارادة التي نثبتها لله تعالى ليست مثل ارادة

المخلوقين

المخلوقين كما انا قد اتفقنا وسائر المسلمين على انه حي عليم قدير وليس هو مثل سائر الاحياء
العلماء القادرين قال لك اهل الاثبات وكذلك المحبة والرحمة ونحوها التي نثبتها لله تعالى
ليست مثل رحمة المخلوق ومحبته فان قلت لما اعقل من الرحمة والمحبة الا هذا قال لك الكفاة
ونحن لا نعقل من الارادة الا هذا ومعلوم عند كل عاقل ان ارادتنا ومحبتنا ورحمتنا بالنسبة
الينا وارادته ومحبته ورحمته تعالى بالنسبة اليه فلا يجوز التفريق بين المتماثلين فنسأله
احد الصفتين وننفي الاخرى وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق قال شيخ الاسلام
في الدمرية القول في بعض الصفات كالقول في بعض فاذا كان المخاطب ممن يقر بان الله تعالى
حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بارادة
يجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته تعالى ورضاه وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازا
او نفيه اما بالارادة واما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات قيل له ما الفرق بين ما
نفيته وبين ما اثبته بل القول في احدهما كالقول في الاخر فان قلت ان ارادته مثل ارادة
المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل وان قلت ليست ارادته تلحق به
كما ان المخلوق ارادة تلحق به قيل لك وكذلك له محبة تلحق به وللمخلوق محبة تلحق به وله
تعالى رضا وغضب يلحق به وللمخلوق رضا وغضب يلحق به فان قال الغضب غليان دم
القلب لطلب الانتقام قيل له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة او دفع مضرة فان قلت
هذه ارادة المخلوق قيل لك وهذا غضب المخلوق وكذا يلزم بالقول في علمه وسمعه
وبصره وقدرته ونحو ذلك فهذا الفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه
كما يقوله هو لمنازعه فيما اثبته فان قال تلك الصفات اثبتها بالعقل لان الفعل دل
على القدرة والتخصيص دل على الارادة والاحكام دل على العلم وهذه الصفات مستلزمة
للحياة والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام او ضد ذلك قال له سائر اهل الاثبات لك جوابان
احدهما ان يقال عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول فحينئذ ان ما سلكته من الدليل
العقلي لا يثبت ذلك فانه لا ينفيه وليس لك ان تنفيه من غير دليل الثاني ان يقال نحن
المثبت والسمع قد دل عليه ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب اثباته ما اثبته
الدليل السالم عن المعارض المقاوم الثاني ان يقال نحن احد مسلكيك اثبات هذه الصفات
بنظير ما اثبت به تلك من العقليات فيقال نفع العباد بالاحسان اليهم وما يوجد في
المخلوقات من المنافع وكشف الضر عن المضرورين وانواع الرزق والهدى والمسرات
دليل على رحمة الخالق كدلالة التخصيص على الارادة والمشيئة والقرائن بينت دلالة
الربوبية لهذه الطريق تارة يدلهم بالايات المخلوقة على وجود الخالق وتثبت علمه وقدرته

قبله

وحياته وتارة بدلهم بالنعم والآلاء على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته وهذا كثير
في القرآن وان لم يكن مثل الاول او اكثر منه لم يكن اقل منه بكثير واكرام الطائعين
بدل على مجتهم وعقاب الكفار بدل على بغضهم كما قد ثبت بالشاهد والخبر من اكرام اوليائه
وعقاب اعدائه والغايات الموجودة في مفعولاتها وما مورثاتها وهي ما تنتهي اليه مفعولاته
وما مورثاته من العواقب الحميدة تدل على حكمته البالغة كما بدل التخصيص على الارادة واولى
لقوة الفاعله ولهذا كان ما في القرآن من بيان محلوقاته من النعم والحكم اعظم مما في القرآن
من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة قال شيخ الاسلام طيب الله ثراه ضجعه
ومما يوضح ذلك ان وجوب تصديق كل مسلم بما اخبر الله ورسوله من صفاته تعالى موقوف
على ان يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فانه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول
اذا اخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا
ومالم يقم بما جاء به الرسول حتى يعلم بعقله فقد اشبه الذين قال الله عنهم وقالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته ومن سلك هذا السبيل
فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بشان الربوبية ولا فرق عنده
بين ان يخبر الرسول بشيء من ذلك اولم يخبر به فانا اخبر به اذا لم يعلمه بعقله لا يصدقه
بل يتاوله او يفوضه ومالم يخبر به انا علم بعقله فلا فرق عنده في سلك هذا السبيل بين وجود
الرسول واخباره وبين عدم الرسول وعدم اخباره وكان ما يذكر من القرآن والحديث والاجماع
عديم الاثر عنده قال شيخ الاسلام في شرح الاصفهانية وقد صرح بهذا ائمة هذا الطريق
ثم قال اهل هذا الطريق النبوية فيهم من يحيل على القياس وفيهم من يحيل على الكشف وكل من
الطريقين فيهم من اضطراب والمختلف مالا ينضبط وليست واحدة منهما تحصل المقصود
بدون الطريق النبوية والطريق النبوية بها يحصل الايمان النافع في الاخرة ثم اذا حصل
قياس او كشف يوافق ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم كان حسنا مع ان القرآن قد بين
الطرق الاعتبارية التي بها يستدل على مثل ما في القرآن كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فاخبر انه يري عباده من الايات المشهودة التي هي
ادلة عقلية ما يبين به ان القرآن حق وليس لقائل ان يقول انما خصت هذه الصفات بالذكر
لان السمع موقوف عليها دون غيرها فان الامر ليس كذلك فان التصديق بالسمعيات
ليس موقوفا على اثبات السمع والبصر ونحو ذلك ثم قال شيخ الاسلام قدس الله روحه

والمقصود

والمقصود هنا التنبيه على ان ما يجب اثباته لله تعالى من الصفات ليس مقصورا على ما ذكره هؤلاء
مع انهم يثبتون بعض صفاته بالعقل وبعضها بالسمع فانما يعرف حقائق اقوال الناس بطرقها
التي دعتهم الى تلك الاقوال اصل العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق وكان مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه خاصة اهل السنة المتبعين للرسول
صلى الله عليه وسلم فانهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله
واما اهل البدع فيبتدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها انتهى وبالله التوفيق ثم ذكر
من صفات الله تعالى التي يثبتها السلف دون غيرهم عدة وبدا بصفة الوجه له تعالى فقال
كوجهه اي من الصفات الثابتة له صفة الوجه اثبات وجود لا اثبات تكييف وتحديد وهذا
الذي نقله الخطابي وغيره انه مذهب السلف والائمة الاربعة وبه قال الحنفية والحنابلة و
كثير من الشافعية وغيرهم وهو اجرى آيات الصفات واحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية
والتشبيه عنها محتجين بان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فاذا كان اثبات
الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف فكذلك اثبات الصفات وقالوا انا لا نتلفت في ذلك الى
تاويل لسنا منه على ثقة ويقين لاحتمال ان يكون المراد غيره لانه ماخوذ بالظن والتخمين لا بالقطع
واليقين فلا ينبغي اعتقادنا عليه ولا نرجع عن النص الثابت اليه فان هذا عند السلف
مذموم وناهج هذا المنهج معيب ملوم قال بعض المحققين صفات الله تعالى معلومة
من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكييف والتحديد فللوهم مسرح فيها من وجه
اعمى ما وجه مبصر من حيث الاثبات والوجود اعمى من حيث التكييف والتحديد قال الله تعالى في
محكم كتابه ويبقى وجه ربك فانما تولوا فثم وجه الله انما نطعمكم لوجه الله وفي الحديث
من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله وفي اخر اعوذ بوجهك والاحاديث كثيرة مشهورة
قال اهل التاويل المراد بالوجه الذات المقدسة فاما كونه صفة لله فلا وهو قول المعتزلة
وجمهور المتكلمين وزعموا انه يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الوجه عبارة عنه عز وجل
كما قال ويبقى وجه ربك وقال ابن فورك قد تذكر صفة الشيء ويراد بها الموصوف توسعا
كما يقول القائل نظرت في علم فلان وفي علمه والمراد نظرت الى العالم وقال القرطبي قال الخطابي
الوجه راجع الى الوجود والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام اذ كان الوجه اظهر الاعضاء
في المشاهدة وقد ذهب السلف الماوك والعمل الذي عليه المعول على الوجه صفة ثابتة لله تعالى
ورد بها السمع فتتلقى بالقبول ويبطل مذهب اهل التاويل ما قاله العلامة الامام الحافظ البيهقي

نظرت الى وجه

راجع وجه

والخطابي في قوله تعالى ويبقى وجه ربك فاضاف الوجه الى الذات واضافة النعت الى الوجه فقال ذو الجلال والاكرام ولو كان ذكر الوجه صلة ولم يكن للذات لقال ذي الجلال فلما قال ذو الجلال علمنا انه نعت للوجه واذ الوجه صفة للذات وقال علماؤنا قد ثبت في الخطاب العرفي الذي اجمع عليه اهل اللغة ان تسمية الوجه في اي محل وقع من الحقيقة والمجاز يرد على قولنا ذات فاما الحقيقة فذلك مشهور حقيقة لا يمكن دفعه واما في مقامات المجاز فكذلك ايضا لانه يقال فلان وجه القوم لا يراد به ذات القوم اذ ذات القوم غيره قطعا ويقال هذا وجه الثوب لما هو اجوده ويقال هذا وجه الرأي اي اصحه واقومه ويقال اتيت بالخبر على وجهه اي على حقيقته الى غير ذلك مما يقال في الوجه فاذا كان هذا هو المستقر في اللغة وجب ان يحمل الوجه في حق الباري على وجه يليق به وهو اما ان يكون صفة زائدة على تسمية قولنا ذات فانه قيل يلزم ان يكون اعضاء وجارحة ذات كمية وكيفية وهو باطل فالجواب هذا لا يلزم لانا ما نوهمه المعترض انما هو بالاضافة الى ذات الحوادث لان خصيصة نسبة الوجه ولكن في جملة نسبة الوجه الى جملة الذات فيما ثبت لها من الماهية المركبة وذلك امر مدرك بالحس في جملة الذات فكانت الصفات الحادثة مساوية للذات المحدثة بطريق كونها منها ومنتسبة اليها نسبة الجزء من الكل فاما الوجه المضاف للباري تعالى ينسب اليه نسبة الذات اليه وقد ثبت ان الذات في حق الباري لا توصف بانها جسم مركب تدخله الكمية وتتسلط عليه الكيفية ولا نعلم لها ماهية فصفته تعالى التي هي الوجه كذلك لا يوصل بها الى ماهية ولا يوقف لها على كيفية ولا تدخل التحريف المأخوذة من الكمية لان هذه انما هي صفات الجواهر المركبة اجساما والله تعالى منزه عن ذلك ولو جاز هذا الاعتراض في الوجه لقيل مثله في السمع والبصر والقدرة والعلم ونحوها فان العلم في حق المخلوق في الشاهد عرض قائم بغلب يثبت بطريق ضرورة او اكتساب ولا كذلك في حق الباري جل وعلا لانه مخالف للشاهد في الذاتية وغير مشارك في اثبات ماهية او كيفية قال ابو الحسن الاشعري لله تعالى وجه بلا كيف كما قال ويبقى وجه ربك قال ونصدقه بجميع الوصفات التي يثبتها اهل النقل وقال القاضي ابو بكر الباقلاني فانه قال قايل في الدليل على ان لله تعالى وجها قيل له قوله تعالى ويبقى وجه ربك وقال الامام ابو حنيفة وله تعالى يد ووجه ونفس فما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس فهو له صفات بلا كيف وقد روى مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه حديث ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام حجابه النور

لو كشفه

لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه قال الامام النووي معناه ان الله تعالى لا ينام وانه يستحيل في حقه النوم اذ النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وسبحات وجهه نوره وبهاؤه وجلاله بضم السين المهملة والباء الموحدة وقيل سبحات الوجه محاسنه لانه يقال سبحان الله عند رؤيتها واصل الحجاب في اللغة المنع والستر وانما يراد به هنا المانع من رؤيته وسمي ذلك المانع نورا لانه يمنع في العادة من الادراك كشعاع الشمس قال والمراد بالوجه الذات وبما انتهى اليه بصره جميع المخلوقات لان بصره تعالى محيط بجميع المخلوقات الخ كلامه وقوله المراد بالوجه الذات يعني على طريقة الخلف وقالوا في قوله تعالى فانما تولوا فثم وجه الله اي فثم رضاه وثوابه وقالوا في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله اي لرضاه وطلب ثوابه وقيل فثم وجه الله والوجه صلة وقيل المراد بالوجه في قوله تعالى فثم وجه الله الجهة التي وجهنا الله اليها اي القبلة والحق الحقيق مذهب سلف الامة وما عليه الائمة من اثبات الوجه ونحوه ولهذا قال وكيده تعالى الثابت بها النص القرآني والحديث النبوي العرفاني كقوله تعالى بيداه فوق ايديهم ولما خلقت بيدي بل يداه مبسوطتان قال ان الفضل بيد الله فقد اعلمنا في محكم تنزيله انه خلق ادم بيده وكذب جل ثناؤه اليهود في قولهم يد الله مغلولة فقال بل يداه مبسوطتان واعلمنا في محكم الذكر ان الارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقال فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون وقال تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التقى ادم وموسى فقال موسى انت الذي خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا نحوه فقال ادم يا موسى انت الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده الحديث وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي رواية لما خلق آدم كتب بيده على نفسه ان رحمتي تغلب غضبي وفي حديث النزول من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فيبسط يده فيقول العبد ليسلني فاعطيه الحديث وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدكم ليتصدق بالتمرة من طيب ولا يقبل الله الا طيبا فيجعلها الله في يده اليمنى ثم يربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى تصير مثل احد وفي رواية فيجعلها الله في كفه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فصيله حتى تعود في يده مثل الجبل ومعنى تعالى

والمراد في الكائنات

وبيده وكل ما من نحوه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هنا تصريح في رواية من حديث ابي هريرة مرفوعا من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله
الا طيبا ولا يصعد الى السماء الا الطيب فتقع في كف الرحمن وفي لفظ الا هو يضعها في يد الرحمن
او في كف الرحمن وفي رواية وان كانت مثل تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من
الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله وفي لفظ ان الرجل ليتصدق باللقمة فتربو في يد الله
او قال في كف الله حتى تكون مثل الجبل وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذنه
فقال له ربه رحمك ربك يا ادم الحديث وفيه فقال الله له ويداه مقبوضتان اختر ايهما
شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة الحديث وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة
سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه
وعرشه على الماء وبيمينه الاخرى القبض يرفع ويخفض وفي حديث ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب
مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها
وفي القرآن العظيم وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه لما في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيمة ويطوي السماء
بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي الصحيحين ايضا واللفظ لمسلم عن ابي عبد الرحمن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات
يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون
وفي لفظ في الصحيح عن عبد الله بن معتمر انه نظر الى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي صلى الله عليه وسلم
قال ياخذ الله سماواته وارضه بيده ويقول انا الملك ويقبض اصابعه ويبسطها انا الملك
حتى نظرت الى المنبر يتحرك مما اسفل شيء منه حتى اني لاقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي لفظ قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول ياخذ الجبار سماواته وارضه
ويقبض بيديه ويجمع يقبضها ويبسطها ويقول انا الرحمن انا الملك انا السلام انا المؤمن
انا المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر انا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئا انا الذي
اعيدها اين الملوك اين الجبابرة وفي لفظ اين الجبارون اين المتكبرون ويتميل رسول الله صلى الله عليه وسلم

على يمينه وعلى شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك مما اسفل شيء منه حتى اني لاقول اساقط هو برسول الله
صلى الله عليه وسلم والحديث مروي في الصحيح والمسانيد وغيرها بالفاظ يصدق بعضها بعضا
وفي بعض الفاظه قال فرأيت على المنبر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
الآية قال مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة وفي لفظ ياخذ الجبار سماواته وارضه
بيده فيجعلهما في كفه ثم يقول لهما هكذا كما يقول الصبيان بالكرة انا الله الواحد وقال
ابن عباس رضي الله عنهما يقبض عليها فما يرى ما طرفاها بيده وفي لفظ عنه ما السموات السبع
والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد احدكم ثم قال الا الا
في كتاب العرش وهذه الآثار معروفة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال يا محمد انا نجد ان الله يجعل السموات على اصبع والارضين
على اصبع والجبال والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع
فيهز هو فيقول انا الملك انا الملك قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا
لقول الحبر قال وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة الآية
قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه ففي هذه الآية والاحاديث الصحيحة
المفسرة لها المستفيضة التي اتفق اهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول ما يبين
ان السموات والارض وما بينهما بالنسبة الى عظمة الله عز وجل اصغر من ان تكون مع
قبضة لها الا كالشيء الصغير في يد احدنا حتى يدحوها كما يدحي الكرة اذا استحضرت
ما ذكرناه وفهمت معنى ما تلوناه فاعلم ان مذهب السلف الصالح وعلماء الكتاب والسنة ومن وافقهم
من اهل الاثر انه المراد باليدين اثبات صفتين ذاتيتين يسميان يدين بلا كيف على
اللغة والقدرة محتجين بما مر من الآيات القرآنية والاخبار النبوية فان الله تعالى اثبت
لآدم عليه السلام من المزية ولما اختصاص ما لم يثبت مثله لابليس بقوله لما خلقت بيدي
والافكان ابليس يقول وانا ايضا خلقتني بيدك فلا مزية لآدم ولا تشريف فان قيل
انما اضيف ذلك الى آدم ليوجب له تشريفا وتعظيما على ابليس ومجرد النسبة كاف في
التشريف كناقة الله وبيت الله فهذا كاف في التشريف وان كانت الناقة والبيوت
كلها لله فالجواب التشريف بالنسبة اذا تجردت عن اضافة الى صفة اقتضى مجرد التشريف
فاما النسبة اذا اقترنت بذكر صفة اوجب ذلك اثبات الصفة التي اضيفت اليها ما تثبت النسبة
فان قولنا خلق الله الحديدة بقدرته لما نسب الفعل الى المتعلقة بصفة الله اقتضى ذلك

اثبات الصفة وكذا احاط بالخلق بعلم تقتضي احاطته بصفة هي العلم فكذلك هنا لما كان ذكر
التخصيص مضافا الى صفة وجب اثبات تلك الصفة على وجه يليق بجلال الله وعظمته لا
بمعنى العضو والجارحة والجسمية والبعضية والكمية والكيفية تعالى الله عن ذلك قال الامام
الحافظ البغوي في قوله تعالى بيدي في تحقيق الله تعالى التثنية في اليد دليل على انها ليست
بمعنى القدرة والقوة والنعمة وانها صفتان من صفات ذاته وقال البيهقي في كتاب
الاسماء والصفات باب ما جاء في اثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة فذكر الايات
ثم قال الحافظ البيهقي قال بعض اهل النظر قد تكون اليد بمعنى القوة كقوله داود ذا الايدي
اي ذا القوة وبمعنى الملك والقدرة والنعمة وتكون بمعنى صلة اي زائدة ثم ابطل البيهقي
ذلك كله واثبت ان اليدين صفتان لا تعلقنا بخلق آدم تشريفا له دون خلق ابليس تعلق
القدرة بالمقدور لا من طريق المباشرة ولا من حيث الملامسة وليس لذلك التخصيص وجه من صح
غيره ما بينه الله تعالى في قوله تعالى لما خلقت بيدي انتهى وقال ابو الحسن الاشعري اليد صفة
ورد بها الشرع والذي يلوح من معنى هذه الصفة انها قريبة من معنى القدرة الا انها
اخص منها والقدرة اعم كالمحبة مع الارادة والمشيئة فان في اليد تشريفا لآدم ما وذهبت
المعتزلة وطائفة من الاشعرية الى ان المراد باليدين معنى النعمتين وطائفة من الاشعرية ايضا
ان المراد باليدين القدرة لان اليد يعبر بها في اللغة عن القدرة كقول الشاعر

فقمت وما لي في الامور يد الا ... بكفي يد مسوطة وبنان

يعني القدرة والى هذا ذهب ابو عبيد في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان انما اثنى لليد مبالغة
في الرد على اليهود ونفي البخل عنه واثبات لغاية الجود قالوا فان غاية ما يبذل السخي
من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة قالوا والمراد بالنشأة اعتبار
نعمة الدنيا ونعمة الآخرة او باعتبار قوة الثواب وقوة العقاب ولا يخفى ما في هذا من الاعراض
والانصراف والعدول عن الحق والانصاف بل الصواب اثبات ما اثبته الله لنفسه
ووصفه به بنبه حسبما ورد من غير الحاد ولا رد فهو اثبات وجود بلا تكييف كما مر
قال الحافظ البيهقي المتقدمون من الائمة لم يفسروا ما ورد من الآي والاخبار في هذا
الباب مع اعتقادهم باجمعهم بان الله تعالى واحد لا يجوز عليه التبعيض قال وذهب
بعض اهل النظر الى ان اليمين يراد به اليد واليد لله صفة بلا جارحة فكل موضع
ذكرت فيه من الكتاب والسنة فالمراد بذكرها تعلقها بالمكان المذكور معها من الطي والاخذ
والقبض والبسط والقبول والانفاق وغير ذلك تعلق الصفة الذاتية بمقتضاها
من غير مباشرة ولا مماسة وليس في ذلك تشبيه بحال وهذا مذهب السلف والحنابلة ومن وافقهم
قال الخطابي وليس معنى اليد عندي الجارحة وانما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها

على ما جاءت ولا نكيفها ونتنهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار الصحيحة وهو مذهب
اهل السنة والجماعة انتهى وقال اهل التاويل كما في تفسير البيضاوي وغيره في الآية هو تنبيه
على عظمته وكمال قدرته على الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام ودلت على انه تعالى
اهوى شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين لا حقيقة ولا
مجازا وقال بعضهم هو لبيان تصوير عظمة الله وجلاله وقدرته واياه الملكوتات كلها
منقادة لارادته ومسخرات بامره وذهب بعضهم الى ان القبض قد يكون بمعنى الملك والقدرة
كقولهم ما فلان الا في قبضتي اي قدرتي ويقولون الاشياء في قبضة الله اي في ملكه وقدرته
قالوا وعلى هذا التاويل تخرج الآية والاحاديث كحديث مسلم وغيره ان المقسطين
عند الله يوم القيمة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم
واهليهم وما ولوا ورواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
قال النووي وهو من احاديث الصفات اما نؤمن بها ولا نتكلم بتاويل ونعتقد ان ظاهرها
غير مراد وانها معنى يليق بالله او نقول على ان المراد بكونهم على اليمين على الحالة الحسنة
والمنزلة الرفيعة وقوله وكلتا يديه يمين فيه تنبيه على ان لفظ اليمين المراد باليمين الجارحة
وان يديه تعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما لان الشمال تنقص عن اليمين قال بعضهم
وقد تكون اليمين بمعنى التبجيل والتعظيم يقال فلان عندنا باليمين اي بالمحل الجليل ومنه قول الشاعر

اقول لناقتي اذ بلغتني ... لقد اصبحت عندي باليمين

اي بالمحل الرفيع واحسن منه قول بعضهم

الم اك في يمنى يديك جعلتني ... فلا تجعلني بعدها في شمالكا

قال العلامة الذي مرعي في كتابه القول البديع في علم البديع اراد ان يقول الم
اكن قريبا منك فلا تجعلني بعيدا عنك فعدل عنه الى لفظ التمثيل لما فيه من زيادة المعنى
لما تعطيه لفظتا اليمين والشمال من الاوصاف لان اليمين اشد قوة في معدة للطعام
والشراب والاخذ والاعطاء وكل ما شرف والشمال بالعكس واليمين مشتق من اليمن وهو
البركة والشمال من الشوم فكانه قال الحاكي مكرما عندك فلا تجعلني مهانا وقد كنت
منك بالمكان الشريف فلا تجعلني في الوضيع وفي بعض الفاظ الحديث ذكر الشمال الا ان
من طريقين في احدهما جعفر ابن الزبير وفي الاخر يزيد الرقاشي وهما متروكان قال وكيف
يصح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام انه سمى كلتا يديه
يمينا وكان من قال ذكر الشمال من لفظه على ما وقع له او على عادة العرب من ذكر الشمال في مقابلة
اليمين وقال الخطابي ليس فيما يضاف الى الله سبحانه من صفة اليدين شمال لان الشمال محال

النقص والضعف وقال الامام الحافظ ابو بكر محمد بن خزيمة في كتاب السنة مذهبنا مذهب اهل الاثار
ومتبع السنن ولا نلتفت الى جهل من يميهم مشبهة اذ الجهمية المعطلة جاهلوه بالتشبيه
فنحن نقول لله جل وعلا يد كما اعلمنا الخالق الباري في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه
المصطفى صلى الله عليه وسلم ونقول كلتا يدي ربنا عز وجل يمين على ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم
ونقول ان الله عز وجل يقبض الارض جميعا باحدى يديه ويطوي السماء بيده الاخرى
وكلتا يديه يمينان لا اشمال فيهما ثم قال كيف يكون مشبها من يثبت لله تعالى اصابع على
ما بينه صلى الله عليه وسلم للخالق الباري ونقول ان الله جل وعلا يضع السماء على اصبع
والارضين على اصبع الى تمام الحديث ثم قال فكيف يكون مشبها من يثبت لربه عز وجل
يدين على ما اثبته الله لنفسه واثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مشبها يدي ربه
بيدي بني ادم نقول لله يدان مبسوطتان ينفق كيف يشاء بهما خلق ادم عليه السلام
بيده وكتب التوراة بيده ويداه قائمتان لم تزالا بالاثبات واليدي المخلوق قائمتين
مخلوقة محدثة غير قديمة فانية غير باقية بالية تصير ميتة ثم رميما ثم يشبه الله
خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم قال اي تشبيه يلزم اصحابنا انهما
العقلاء اذا اثبتوا للخالق ما اثبته لنفسه وما اثبته له نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم
ثم قال وقول هؤلاء المعطلة يوجب الاكل من يقرا كتاب الله ويؤمن به اقرارا باللسان
وتصديقا بالقلب فهو مشبه لانه ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله تزعم هذه
الفرقة انه من وصفه به فهو مشبه ثم سبهم ولعنهم ووصفهم بالكفر والتعطيل واطال
من التثبيت والتنكيت على من اول النصوص وصرفها عن حقيقتها وبالله التوفيق
وفي صحيح مسلم وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء
ثم قال عليه الصلاة والسلام اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك روى هذا
الحديث من عدة طرق عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم منهم النواس بن سمعان الكلابي
قال رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب الا وهو بين اصبعين
من اصابع الله تعالى ان شاء اقامه وان شاء ازاغه وكان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي
على دينك رواه الامام احمد والحاكم في صحيحه ومنهم ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في دعائه اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك

قالت

قالت فقلت يا رسول الله وان القلوب لتتقلب قال نعم ما من خلق الله من بني آدم الا وقلبه
بين اصبعين من اصابع الله فان شاء اقامه وان شاء ازاغه فنسأل الله تعالى ان لا يزيغ
قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله ان يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب ومنهم ابو ذر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الله تعالى
فاذا شاء صرفه واذا شاء نصره واذا شاء الله نكسه ولم يعط الله احدا من الناس
شيئا هو خير من ان يسلك في قلبه اليقين وعند الله مفاتح القلوب فاذا اراد الله بعبد خيرا
فتح له قفل قلبه باليقين والصدق وجعل قلبه وعاء واعيا لما سلك فيه وجعل
قلبه سليما ولسانه صادقا وخليقته مستقيمة وجعل اذنه سميعة وعينه بصيرة
ولم يؤت احدا من الناس شيئا يعني هو شر مما ان يسلك الله في قلبه اليقين وجعل نفسه
شرهة شرهة متعاطلة لا تنفعه المال وان اكثر الله له وغلق الله العقل على قلبه فجعله
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كما روى ذكره الامام الحافظ ابو بكر ابن خزيمة في كتابه
السنة واما قول الخطابي ذكر الاصابع لم يوجد في شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها
فهو عجيب منه بل هو ثابت في صحيح السنة المقطوع بصحتها وقال النووي في شرح صحيح مسلم
هذا من الاحاديث المتشابهات وفيها القول الاول الايمان بها من غير تعرض لتاويل ولا
لمعرفة المعنى بل نؤمن بها وان ظاهرها غير مراد لقوله تعالى ليس كمثله شيء ثانيها نتاول
بحسب ما يليق قال فعلى هذا فالمراد المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي لا يراد انه حال
في كفه بل المراد تحت قدرتي ويقال قلبه في خنصري وبين اصبعي قلبه كيف شئت
يعني انه هين علي قهره والتصرف فيه كيف شئت ومعنى الحديث ان سبحانه يتصرف
في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما اراده كما لا يمتنع على
الانسان ما بين اصبعيه قال خاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعاني الحسية تاكيدا
لها في نفوسهم واجابوا عن تثنية الاصابع مع كون القدرة واحدة بانه ذلك مجاز و
استعارة واقعة موقع التمثيل بحسب ما اعتادوه غير مقصود به التثنية والجمع وفي
نهاية ابن الاثير اطلاق الاصابع عليه مجاز كاطلاق اليد واليمين والعين وهو جار
مجرى التمثيل والكناية عن سرعة تقلب القلوب وان ذلك امر معقود بمشيئة الله تعالى قال
وتخصيص ذكر الاصابع كناية عن اجراء القدرة والبطش لان ذلك باليد والاصابع و
قال القرطبي وغيره الاصبع قد تكون بمعنى القدرة على الشيء وسهولة تقليبه

فهذا مذهب سلف الامة وسائر الائمة فالعدول عنه وصمة والنقاية الى سواه نقمة وبالله التوفيق
وقوله وكل ما اي كل شيء وارد من صفات الله تعالى من نحو اي نهج اليد والوجه ونحوهما والنهج
الطريق الواضح اي كل ما ورد من الاوصاف من الرجل والقدم والصورة والعين عز وجل فنهجه
الواضح وسبيله المبين الاقرار بما ورد والايمان بما صح من غير تشبيه ولا تمثيل ولا الحاد ولا تعطيل
بل نقر ونذعن ونسلم ونؤمن بكل ذلك وننتهي اثبات وجود بلا تكييف ولا تحديد ومن ذلك
العين في قوله تعالى ولتصنع على عيني وقوله فانك باعيننا وقوله تجري باعيننا فمذهب السلف
اثبات ذلك صفة لله تعالى وفي الصحيحين وغيرهما لما ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله ليس باعور وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور واشار بيده الى عينه وان المسيح الدجال اعور العين اليمنى
كان عينه عنبة طافية خرجه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه في باب قوله ولتصنع على
عيني وذكر البخاري في حجة الوداع من كتاب المغازي من صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا
نتحدث بحجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فلا ندري ما حجته فحمد الله واثنى عليه
ثم ذكر المسيح الدجال فاطنب في ذكره وقال ما بعث الله من نبي الا انذر امته الدجال انذره
نوح والنبيون من بعده وانه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم ان ربكم ليس باعور
وانه اعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية والاحاديث كثيرة قال البيهقي والقرطبي
وغيرهما في هذا نفي نقص العور عن الله تعالى واثبات العين له صفة وعرفنا بقوله ليس بمثله
شيء انها ليست بحدقة وقال علماؤنا ورد السمع باثبات صفة له تعالى وهي العين فتجري
مجرى السمع والبصر وليس المراد اثبات عين هي حدقة ماهيتها شحمة لان هذه العين من
جسم محدث والله تعالى عما ذكروا واما العين التي وصف بها الباري جل وعلا فهي مناسبة
لذاته في كونها غير جسم ولا جوهر ولا عرض فلا يعرف لها ماهية ولا كيفية قالوا وقد امتنعت
المعتزلة والاشعرية من ان يقال لله تعالى عين فاما المعتزلة فنفوا العين والبصر فهم على
جادتهم واما الاشعرية فنفوا صفة العين واثبتوا صفة البصر فيضعف ذلك على قولهم لانهم
يوافقون على انه يبصر بصر وانما امتنعوا من اثبات عين لما استوحشوا من العين في الشاهد
ففالوا بالتاويلات ومن المفاسد قياس الغائب على الشاهد وقال اهل التاويل المراد من قوله
تجري باعيننا اي ترى منا ونحن نراها قالوا والمراد باعيننا بحفظنا وكلاءتنا قالوا والمراد به
اعين الماء اي تجري باعين خلقناها وفجرناها وفي اضافة صفة ذاتية

كما يقول من استسهل شيئا واستخفه مخاطبا لمن استثقله انا احمله على اصبعي واوقعه باصبعي
واسكه بخنصري فهذا مما يراد به الاستظهار في القدرة على الشيء فلما كانت السماوات
والارض اعظم الموجودات وكانت امساكها بالنسبة الى الله تعالى كالشيء الحقير الذي يجعله
بين اصابعه ونحوه بايدينا ونتصرف فيه كيف شئنا دل ذكر على قدرته القاهرة وعظمته
الباهرة لا الله الا هو سبحانه وقال بعض المحققين هذا الحديث من جملة ما تنزه
السلف عن تاويله كاحاديث السمع والبصر واليد فانه ذكر يحمل على ظاهره ويجري بلفظه الذي
جاء به من غير ان يشبه بصفات الخلق او يحمل على معنى المجاز في لا نتساع بل يعتقد انها صفات
الله تعالى لا كيفية لها قال وانما تنزهوا عن تاويل هذا القسم لانه لا يلتئم معه ولا يحمل
ذلك على وجه يرتضيه العقل الا ويمنع منه الكتاب والسنة من وجه آخر وقال شيخ الاسلام
ابن تيمية روح الله روحه في رسالة التدمرية اذا قال القائل ظاهر النصوص مراد او ليس
مراد فانه يقال له لفظ الظاهر فيه اجمال واشتراك فان كان القائل يعتقد ان ظاهرها التمثيل
بصفات المخلوقين او ما هو من خصائصهم فلا ريب ان هذا غير مراد ولكن السلف والائمة
لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها ولا ينبغي ان يكون ظاهر القرآن والحديث كفرا وباطلا
والله اعلم واحكم من ان يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه الا ما هو كفر واضلال
الى ان قال قوله صلى الله عليه وسلم قلوب الخلائق بين اصبعين من اصابع الرحمن فقالوا قد علمنا
انه ليس في قلوبنا اصابع الحق فيقال لهم لو اعطيتم النصوص حقها من الادلة لعلمتم انها لا تدل
الا على حق اما لواحد فقوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله
فكانما صافح الله وقبل يمينه فالمشبه ليس هو المشبه به الى ان قال واما قوله صلى الله عليه وسلم
قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن فانه ليس في ظاهره ان القلب متصل بالاصبع
ولا مماسها ولا في جوفه ولا في قول القائل هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته ليديه واذا قيل
السحاب المسخر بين السماء والارض لم يقتض ان يكون ماسا للسماء والارض ونظائر هذا
كثيرة فمذهب السلف في هذا ونظائره من الاخبار المتشابهة الواردة في صفات الله تعالى ما
بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم اعتقاد ما فيه ونفي الاي المتشابه في القرآن لا نتعمقها
ولا نرد لها ولا نتأولها تاويل المخالفين ولا نخوض فيها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها ولا ننقص
منها ولا نكيفها فنطلق ما اطلقه الله ونفسر ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعون
والائمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والامانة رضوان الله عليهم اجمعين

فهذا

او المراد تجري باوليائنا وخيار خلقنا وقالوا في قوله تعالى ولتصنع على عيني اي تربى وتغذى على
مرئي مني كذا فانزل باعيننا اي بمرئي منا وناحفظنا وقال بعضهم العين موقوفة بالبصر
والادراك بل قيل انها حقيقة في ذلك خلافا لتوهم بعض الناس انها مجاز قال وانما المجاز في
تسمية العضو بها وذكر الشيخ ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه الشيخ محمد المقدسي
القشاشي ما لفظه ثم وقفت على كلام الشيخ الاشعري في الابانة الذي هو آخر مصنفاته والمعتمد
في المعتقد على ما يشهد له كلامه ما قررناه عنه مذهبه وذلك انه قال وان لله عينين بلا كيف وان
لله تعالى علما ونثبت لله تعالى السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما فعلته المعتزلة والجهمية والخوارج
انتهى قال الكوراني فصرح باثبات العينين بلا كيف والحمد لله رب العالمين وقال سيدنا الامام
احمد رضي الله عنه احاديث الصفات نمر كما جاءت من غير بحث عن معانيها ونخالف ما خطر في
الخاطر عند سماعها وننفي التشبيه عما الله تعالى عند ذكرها مع تصديق النبي صلى الله عليه وسلم والايمان
بها وكل ما يعقل ويتصور فهو تكييف وتشبيه وهو محال كما نقله عنه الامام ابن حمدان في نهاية
المبتدين انتهى وهذا مذهب السلف والاثرية وهو الحق وبالله التوفيق **فائدة** ذكر الامام
شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ما نصه لما كان حلول اللاهوت في البشر
والاتحاد به مذهب أصل به طوائف كثيرة من بني آدم والنصارى وغيرهم وكان المسيح
الدجال يأتي بخوارق عظيمة والنصارى احتجوا على الهية المسيح بمثل ذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
من علاماته كذبه امورا ظاهرة لا يحتاج فيها الى بيان موارد النزاع التي ضل فيها خلق كثير
من الآدميين فان كثيرا من الناس بل اكثرهم تدهشهم الخوارق حتى تصد قوا صاحبها
قبل النظر في امكان دعواه واذا صدقوه صدقوا النصارى في دعوى الهية المسيح وصدقوا
ايضا من ادعى الحلول والاتحاد في بعض المشايخ او بعض اهل البيت او غيرهم من اهل الافك
والفجور قال شيخ الاسلام وهذا يظهر الجواب عما اورده بعض اهل الكلام كالرازي على
هذا الحديث حيث قال لو دل لدل على كون الدجال ليس هو الله ظاهرة فكيف يحتج النبي صلى الله عليه وسلم
على ذلك بقوله انه اعور وان ربكم ليس باعور قال شيخ الاسلام وهذا السؤال يدل على جهل
قائله بما يقع فيه بنو آدم من اضلال الملة البينة التي تبين فساد الاقوال الباطلة والا
فاذا كان بنو اسرائيل مع عهد موسى ظنوا ان العجل هو الله موسى فقالوا هذا الهكم واله موسى
وظنوا ان موسى نسيه والنصارى مع كثرتهم يقولون ان المسيح هو الله وفي المنتسبين
الى القبلة خلق كثير يقولون ذلك في كثير من المشايخ واهل البيت حتى ان كثيرا من اكابر شيوخ

المعرفة

المعرفة والتصوف يجعلون هذا نهاية التحقيق والتوحيد وهو ان يكون الموجود هو الموجد
فكيف يستبعد مع اظهار الدجال هذه الخوارق العظيمة ان يعتقد فيه انه الله وهو يقول
انا الله وقد اعتقد ذلك في معالم يظهر فيها مثل خوارقه من الكذابين وقديمن لم يقل انا الله
كالمسيح وسائر الانبياء والصالحين والله تعالى اعلم **ومن صفة النزول** اي ما يثبته
السلف ولا يتاولونه صفة نزول الباري عز وجل الى سماء الدنيا كما اخرجه الامام احمد والترمذي
وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ينزل ليلة النصف
من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم بني كلب والحديث للامام احمد ومسلم
عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يمهل حتى اذا
كان ثلث الليل الاخر نزل الى السماء الدنيا فنادى هل من مستغفر هل من تائب هل من سائل هل
من داع حتى ينفجر الفجر ورواه البخاري ولفظه ينزل ربنا عز وجل الى السماء الدنيا وروى ايضا
من حديث جابر بن عبد الله وحديث رفاعة بن عرابة الجهني ومن حديث جبير ابن مطعم ومن
حديث عثمان ابن ابي العاص ومن حديث ابي الدرداء ومن حديث القاسم ابن محمد عن ابيه او عن عمه
عن جده وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين وذكر احاديث هؤلاء الحافظ ابو بكر ابن خزيمة في
كتابه السنة باسانيده من اوجه متعددة قال الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح
صحيح البخاري قد اختلف في معنى النزول فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة
تعالى الله عن قولهم ومنهم من انكر صحة الحديث وهم الخوارج ومنهم من اجراه على ما ورد ونفى عنه
على طريق الاجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف ونقله البيهقي و
غيره عن الائمة الاربعة والسفيانين والحمادين والاوزاعي والليث وغيرهم ومنهم من اوله
على وجه يليق مستعملا في كلام العرب ومنهم من افرط في التاويل حتى كاد يخرج الى نوع التحريف
قال الامام الحافظ البيهقي واسلمها الايمان بلا كيف والسكوت عما لم يات الا ما يؤكد عن
الصادق المصدوق ويصار اليه قال ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على انه التاويل المعين غير واجب
في المتفق بين اسلم انتهى وقال العلامة الطوفي في قواعد الاستقامة والاعتدال المشهور
عند اصحاب الامام احمد رضي الله عنه انهم لا يتاولون الصفات التي من جنس الحركة كالمجي والاتيان
والنزول والهبوط والدنو والتدلي كما لا يتاولون غيرها متابعة للسلف الصالح قال وكلام
السلف في هذا الباب يدل على اثبات المعنى المتنازع فيه قال الماوزاعي لما سئل عن حديث النزول
يفعل الله ما يشاء وقال حماد بن زيد نؤمن بما خلقه كيف شاء وهو الذي حكاه الاشعري عن اهل السنة

والحديث وقال الفضيل ابن عياض اذا قال لك الجهمي انا انكر ربا ينزل عن مكانه فقل انا اؤمن
بربٍ يفعل ما يشاء وقال ابو الطيب حضرت عند ابي جعفر الترمذي وهو من كبار فقهاء
الشافعية واثنى عليه الدارقطني وغيره فسئله سائل عن حديث ان الله ينزل الى سماء
الدنيا وقال له انا النزول كيف يبقى فوقه علو فقال ابو جعفر الترمذي النزول معقول
والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فقد قال في النزول كما قال مالك
في الاستواء وهكذا القول في سائر الصفات وقال ابو عبد الله احمد بن سعيد الرباطي حضرت
مجلس الامير عبد الله ابن طاهر وحضر اسحق ابن راهويه فسئل عن حديث النزول اصحيح
هو قال نعم فقال له بعض قواد الامير يا ابا يعقوب اتزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال
كيف ينزل قال اسحق ابتث الحديث حتى اصف لك النزول فقال الرجل اجل ابتثه فقال اسحق
وجاء ربك والملك صفا صفا فقال الامير عبد الله ابن طاهر هذا يوم القيمة فقال اسحق عز الله
الامير ومن يجيء يوم القيمة من منعه اليوم ذكره ابو عبد الله الحاكم وروى باسناده ايضا
عن اسحق بن راهويه قال قال لي الامير عبد الله ابن طاهر يا ابا يعقوب هذا الحديث الذي
ترويه عن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا كيف ينزل قال قلت اعز الله الامير لا
يقال للامر كيف ينزل انما ينزل بلا كيف وقال اسحق لا يجوز الخوض في امر الله كما يجوز
الخوض في امر المخلوقين لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولا يجوز ان يتوهم على الله
بصفاته وافعاله بفهم ما يجوز التفكر والنظر في امر المخلوقين وبذلك يمكن ان يكون الله
موصوفا بالنزول كل ليلة اذا مضى ثلثا ها الى السماء الدنيا كما شاء ولا يسال كيف نزوله لان الخالق
يصنع ما يشاء كما يشاء وذكر شيخ الاسلام في شرح الامام صفها نية عن الامام عبد الله ابن المبارك رضي الله عنه
انه سئل عن النزول ليلة النصف من شعبان فقال يا ضعيف ليلة النصف من شعبان
وحدها ينزل في كل ليلة فقال الرجل كيف ينزل اليس يخلو ذلك المكان فقال عبد الله ابن المبارك
ينزل كيف شاء وقال قال ابو عثمان النيسابوري لما صح خبر النزول عن النبي صلى الله عليه وسلم
اقر به اهل السنة وقبلوا الحديث واثبتوا النزول على ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا
تشبيها بنزول خلقه وعلموا وعرفوا واعتقدوا وتحققوا ان صفات الرب سبحانه تشبه صفات المخلوق
كما ان ذاته لا تشبه ذوات المخلوق سبحانه وتعالى عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا
وروى البيهقي باسناده عن اسحق بن راهويه قال جمعني وهذا المستدع يعني ابراهيم بن صالح
مجلس الامير عبد الله بن طاهر فسئلني الامير عن اخبار النزول فثبتها فقال ابراهيم بن صالح

كيف

قال الشيخ ابو عثمان ما الصابوني الواعظ
الاسلام ورسالته التي اكاد ان يتواتر سماعها
[illegible] ينزل سمعت
[illegible] حضرت مجلس
[illegible] وحضر اسحق
[illegible] فسئله

كتلطف الجهمية معتمدا فيها على المريسي وبيس عند الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون
بالله ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكييف ولا تمثيل فزعم ان هؤلاء المؤمنين لها
يكيفونها ويشبهونها بذوات انفسهم وانه العلما قالوا بين عدم ليس في شيء منها اجتهد ورأى
ليدرك كيفية ذلك ويشبه شيئا منها بشيء مما هو في الخلق قال وهذا خطأ قلنا ان الله ليس
كمثله شيء فلذلك ليس كصفاته شيء قال ابو سعيد فقلنا للمعارض المدلس بالتشنيع انه عثمان بن سعيد ص
قوله كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو في الخلق خطأ فانا لا نقول كما قلت فنحن لا نكيفها
ولا نشبهها ولا نفكرها ولا نذكرها ولا نبطلها تأويل الضلال كما ابطلها المريسي واما ما ذكرت
من اجتهاد الرأي في تكييف صفات الله تعالى فانا لا نجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والاحكام
التي نراها باعيننا ونسمعها باذاننا فكيف في صفات الله تعالى نراها العيون وقصرت عنها
الظنون غير انا لا نقول فيها كما قال المريسي انه هذه الصفات كلها شيء واحد وليس السمع منه
غير البصر وانه الرحمن بن عمكم ليس يسمع لنفسه سمعا من بصر ولا بصرا من سمع ولا وجها من يدين
ولا يدين من وجه وهو كله بنو عمكم سمع وبصر ووجه ويد ونفس وعلم وقد قال تعالى اني معكما
اسمع واري وقال ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وقال تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
ولم يقل رئي وقال اعملوا فسيرى الله عملكم ولم يقل يسمع الله فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ولا
السمع فيما يرى الى آخر كلامه الذي رد به على المريسية وقال الامام الحافظ ابو بكر بن خزيمة
باب ذكر اخبار ثابتة السند صحيحة عند العوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي صلى الله عليه وسلم
في نزول الرب جل وعلا الى سماء الدنيا كل ليلة فشهد شهادة مقر بلسانه مصدقة بقلبه مستيقن
بما في هذه الاخبار من ذكر نزول الرب من غير ان نصف الكيفية لان نبينا المصطفى لم يصف لنا
كيفية نزوله فانتهينا الى سماء الدنيا واعلمنا انه ينزل والله جل وعلا ولي تنبيه على اللهم
بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من امر دينهم فنحن قائلون ومصدقون بما في هذه الاخبار
من ذكر النزول غير متكلفين للقول بصفة الكيفية اذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية
النزول ثم ذكر الاخبار باسانيده **تنبيهات الاول** الذي يلزم من قال باثبات
صفة النزول يلزم مثله من قال باثبات صفة الحياة والسمع والبصر والعلم والكلام والقدرة
والارادة له تعالى لانه لا يعقل من هذه الصفات الا الاعراض التي لا تقوم الا بجوار حنا
فكما نقول نحن وهم حياته وسمعه وبصره ليست باعراض بل هي صفات كما تليق به لا كما
تليق بنا فنقول نحن ايضا مثل ذلك بعينه نزوله وفوقيته واستواؤه ونحو ذلك فكل ذلك

ثابت

ثابت معلوم غير مكيف بكيفية ولا انتقال يليق بالمخلوق بل هو كما اخبر هو ورسوله سيد البشر
مما يليق بجلال عظمته وباهر كبريائه لا اله الا ذاته وصفاته معلومة من حيث الجملة ثبوتا وعلم وجود
بلا كيفية ولا تحديد فكل ما ورد في الكتاب وصح عن رسول الملك الوهاب فسبيله واحد
من النزول والقدم واليد والوجه والغضب والرضا وغيرها فاحفظه وبالله التوفيق
ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في رسالته الحموية واعلم انه ليس في
العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية اصلا وقد علم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بهذه الامور بالاضطرار كما انه جاء بالصلوات الخمس وصوم
شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها عن هذا منزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج و
الصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوة ثم ان العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص
وان كان في النصوص من التفصيل ما يحير العقل عن درك تفصيله على ان الاساطين من هؤلاء
والنحول معترفون بانه لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهية واذا كان هكذا فالواجب تلقي
علم ذلك من النبوات على ما هو عليه ومن المعلوم للمؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم من غيره
بذلك وانصح للامة وافصح من غير عبارة وبيانا بل هو علم الخلق بذلك وانصح الخلق للامة وافصحهم
فقد اجتمع في حقه صلى الله عليه وسلم كمال العلم والقدرة والارادة ومن المعلوم ان المتكلم اذا كمل
علمه وقدرته وارادته كمل كلامه وفعله وانما يدخل النقص امام نقص علمه واما مع عجزه عن بيان
علمه واما لعدم ارادة البيان والرسول صلى الله عليه وسلم هو الغاية في كمال العلم والغاية في ارادة
كمال البلاغ المبين والغاية في قدرته على البلاغ ومع وجود القدرة التامة والارادة الجازمة
يجب وجود المراد فعلم قطعا ان ما بينه من الايمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان
وان ما اراده من البيان هو المطابق لعلمه وعلمه بذلك هو اكمل العلوم فكل من ظن ان غير رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعلم بهذا منه فهو من الملحدين لا من المؤمنين والصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم
باحسان رحمة الله عليهم ومن سلك سبيل السلف في هذا الباب على الاستقامة دون من سواهم
وتقدم في صدر الكتاب ما العلم يشفي ويكفي **الثاني** قال اهل التأويل ان العرب تنسب الفعل
الى امر به كما تنسبه الى من فعله وباشره بنفسه قالوا والمعنى هنا ان الله تعالى يأمر ملكا
بالنزول الى السماء فينادي بامره وقال بعضهم ان قوله وينزل راجع الى فعاله لا الى ذاته
المقدسة فان النزول كما يكون في الاجساد يكون في المعاني او راجع الى الملك الذي ينزل

بامره وفعله تعالى واما حمل النزول في الاحاديث على الجسم فتلك صفة الملك المبعوث بذلك واما حمل على
المعنوي انه لم يفعل ثم فعل سمي بذلك نزولا من مرتبة الى مرتبة ففي عربية صحيحة والحاصل
انا تاويله على وجهين اما ان المراد بنزول امره او الملك بامره واما انه استعارة بمعنى التلطف
بالداعين والاجابة لهم ونحو ذلك كما يقال نزل البايع في سلعته اذا قارب المشتري بعد ما باعه
واملكه منها بعد منعه والمعنى هنا ان العبد في هذا الوقت اقرب الى رحمة الله منه في غيره من
الاوقات وانه تعالى يقبل عليهم بالتحنن والعطف في هذا الوقت بما يليق به فلولهم من التنبيه
والتذكير الباعثين لهم على الطاعة وقد حكى ابن فورك ان بعض المشايخ ضبط رواية البخاري
بضم اوله على حذف المفعول اي ينزل ملكا قالوا ويقويه ما روى النسائي وغيره عن ابي هريرة
وابي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي
شطر الليل الاول ثم يامر منادیا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من
سائل يعطى قال القرطبي صحيح عند الحقاق قالوا وهذا يرفع الاشكال ويزيل كل احتمال والسنة
يفسر بعضها بعضا وكذا الايات قالوا ولا سبيل الى حمله على صفات الذات المقدسة فان
الحديث فيه التصريح بتجدد النزول واختصاصه ببعض الاوقات والساعات وصفات
الرب جل شانه يجب اتصافها بالقدم وتنزيهها عن التجدد والحدوث وقالوا وكلما لم يكن
فكان اولم يثبت فثبت مما وصفه تعالى به ومن قبل صفات الافعال قالوا فالنزول و
الاستواء من صفة الافعال والله اعلم الثالث قال ابن حمدان في نهاية المبتدين نقول بحدوث
النزول مما سنده صحيح ولفظه صريح قال التميمي في اعتقاد سيدنا الامام احمد النزول حق
نقول به من غير انتقال ولا حلول في الامكنة وقال ابن البناء اعتقاد الامام احمد انه يقال
بحركة ولا انتقال وقال القاضي قد وصف النبي صلى الله عليه وسلم النزول الى السماء الدنيا
لا على جهة الانتقال والحركة كما جازت رؤيته تعالى وتجلي للجبل لا على وجه الحركة ولا انتقال
وقال ما اثبت نزولا عن علو ونزال بل نزولا لا يعقل معناه ولا يعقل ذلك في الشاهد
وقال ابن عقيل ليس بنزول ولا انتقال ولا كنزولنا وقال القاضي اجماع الامة
انه بائن من خلقه وهو على ما يليق لنفسه في ذاته وصفاته ومن شبهه بخلقه كفر
وخطا ابن عقيل وغيره من الائمة من قال نزوله بحركة وانتقال وقال القاضي النزول
صفة ذات لله والحق انه صفة فعل قال الشيخ عماد الدين الواسطي نزوله تعالى ثابت

معلوم ما

معلوم غير مكيف بحركة وانتقال يليق بالمخلوق بل نزوله كما يليق بعظمته وجلاله فصفاته تعالى
معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكييف والتحديد فكيفية الوصف
لها من وجه اعمى من وجه مبصر من حيث الاثبات والوجود اعمى من حيث التكيف والتحديد
وبالله التوفيق ومما اختلف فيه فائدة السلف والماتريدية دون غيرهم من المعتزلة والكلابية
والاشعرية صفة خلقه لكن الاشعرية ونحوهم يثبتون لله تعالى الصفات السبعة المتقدمة
واما المعتزلة فتنفي قيام الصفات والافعال به وتسمي الصفات اعراضا والافعال حوادث
ويقولون لا تقوم به الاعراض ولا الحوادث فنفيهم من لم يعرف حقيقة قولهم انهم ينزهون
الله تعالى عن النقايص والعيوب والافات ولا ريب ان الله تعالى يجب تنزيهه عن كل عيب ونقص
وآفة فانه القدوس السلام الصمد الكامل في كل نعت من نعوت الكمال كما لا يدرك الخلق
حقيقة تنزيها عن كل نقص تنزيها لا يدرك الخلق كماله وكل كمال يثبت لموجود من غير استلزام
نقص فالخالق احق به والكمال فيه منه وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق احق بتنزيهه عنه
واولى ببرائته منه قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره في مسالة حسن ارادة الله تعالى
لخلق الخلق واشاء الانام روينا من طريق غير واحد كعثمان ابن سعيد الدارمي وابي جعفر
الطبري والبيهقي وغيرهم في تفسير علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الصمد
قال السيد الذي كمل في سودده والشريف الذي كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحكيم
الذي قد كمل في حكمته والغني الذي قد كمل في غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي
قد كمل في علمه والحليم الذي قد كمل في حلمه وهو الذي قد كمل في انواع الشرف والسودد وهو لله
عز وجل هذه صفة لا تنبغي الا له ليس له كفو وليس كمثله شيء سبحانه الواحد القهار قال
وهذا التفسير ثابت عن عبد الله ابن ابي صالح عن علي ابن ابي طلحة الوالبي لكن يقال انه لم يسمع التفسير
عن ابن عباس لكن مثل هذا الكلام ثابت عن السلف وقد روي عن سعيد ابن جبير ايضا انه قال
الصمد السيد الكامل في صفاته وافعاله وثبت عن ابي وايل شقيق بن سلمة انه قال الصمد السيد
الذي انتهى سودده وهذه الاقوال وما اشبهها لا تنافي ما قاله كثير من السلف كسعيد ابن
المسيب وابن جبير ومجاهد والحسن والسدي والضحاك وغيرهم من ان الصمد الذي لا جوف له
وهذا منقول عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن عبد الله ابن بريدة عن ابيه موقوفا ومرفوعا
فانه كلام الله لكن حق ولفظ الاعراض في اللغة قد يفهم منه ما يعرض عن الاستناد من الامراض
ونحوها وكذلك لفظ الحوادث والمحدثات قد يفهم منه ما يحدث من الناس من الافعال المذمومة

وخلقه فاحذر من التزو

حقيقته

هو ع

والبدع التي ليست مشروعة او ما يحدث بالانسان مما يخل الاعراض والله تعالى يجب تنزيهه
عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص ولكن لم يكن مقصود المعتزلة نفي قولهم منزه عن الاعراض
والحوادث الا نفي صفاته الذاتية وافعاله الاختيارية فعندهم لا يقوم به علم ولا قدرة
ولا مشيئة ولا رحمة ولا حب ولا رضى ولا فرح ولا خلق ولا احسان ولا عدل ولا ابتداء
ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته وافعاله وجماهير السلف يخالفونهم في
ذلك ومن الطوائف من ينازعهم في الصفات دون الافعال ومنهم من ينازعهم في بعض الصفات
دون بعض ومن الناس من ينازعهم في الفعل القديم فيقول ان فعله تعالى قديم وان كان
المفعول محدثا انتهى وقال الوزير في الخفية في كتابه الذي سماه مرقاة المبتدئين في اصول الدين
وهو شرح المنظومة المعروفة بالجواهر ما ملخصه ان التخليق صفة لله وهو فعل الله تعالى اقتضاه
المفعول فعلا لاستحالة المفعول بلا فعل ففعله تعالى صفة له فاستحالت دخوله تحت قدرته
وارادته ثم قال واعلم ان الائمة الاربعة ونظارهم من اهل السنة واكثر رجال الصوفية الذين ائمتهم
كانت كراماتهم ظاهرة مثل مالك ابن دينار وابو ابراهيم ابن ادهم والفضيل ابن عياض وذي النون المصري
والسري السقطي ومعروف الكرخي وسهل ابن عبد الله التستري ومن نشر علم الاشارة الجنيد
البغدادي وابو بكر الشبلي وغيرهم كانوا يصفون الله تعالى بالفعل والكلام والرؤية والسمع كما
يصفونه بالحياة والعلم والقدرة ثم حط على الاشعري وانه الى تجلد في اهل السنة انتهى
وقال النسفي في عقايده المشهورة والتكوين صفة الله ازلية وهي تكوينه للعالم ولكل جزء
من اجزائه وهو غير المكون عندنا قال شارحها المحقق التفتازاني التكوين هو المعنى المعبر
عنه بالفعل والخلق والتخليق والايجاد والاحداث والاخراج ونحو ذلك ونعبر باخراج
المعدوم من العدم الى الوجود صفة الله تعالى لاطباق العقل والنقل على انه خالق للعالم مكونه
وامتناع اطلاق الاسم المشتق على الشيء من غير ان يكون ماخذ الاشتقاق وصفا قائما به
ازلية لوجوه الاول انه يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى الثاني انه وصف ذاته في كلامه الازلي
بانه الخالق فلو لم يكن في الازل للزم الكذب او العدول الى المجاز اي الخالق فيما يستقبل
او القادر على الخلق من غير تعذر الحقيقة على انه لو جاز اطلاق الخالق عليه بمعنى القادر
لجاز اطلاق كل ما يقدر عليه الاعراض الثالث انه لو كان حادثا بالتكوين بتكوين
اخر لكلامنا فيلزم التسلسل وهو محال او يلزم منه استحالة تكوين مع انه المشاهد واما بدونه

فيستغني

فيستغني الحادث عن المحدث والاحداث وفيه تعطيل الصانع الرابع انه لو حدث الحدث اما في
ذاته تعالى فيصير محلا للحوادث او في غيره كما ذهب اليه ابو الهذيل مما ان تكوين كل جسم قائما به
فيكون كل جسم خالقا ومكونا لنفسه وايضا في استحالته ومعنى هذه الادلة على ان التكوين
صفة حقيقة كالعلم والقدرة قال والمحققون من المتكلمين على انه من الاضافات والامور اعتبارية
العقلية فالمكون هو الصانع تعالى وتقدس قبل كل شيء ومعه وبعده ومذكور بالسنتنا و
معبود الناء ومحيينا ومميتنا ونحو ذلك قال والحاصل في الازل هو مبدا التخليق والترزيق
والاماتة والاحياء وغير ذلك ولا دليل على كونه صفة اخرى سوى القدرة والارادة
وان كانت نسبتها الى وجود المكون وعدمه على السواء لكن مع انضمام الارادة بتخصيص
احد الجانبين قال ولما استدل القائلون بحدوث التكوين بانه لا يتصور بدون المكون
كالضرب بدون المضروب فلو كان قديما لزم قدم المكونات وهو محال اشار النسفي الى الجواب
بقوله وهو اي التكوين تكوين للعالم ولكل جزء من اجزائه لا في الازل بل في وقت وجوده
على حسب علمه وارادته فالتكوين باق ازلا وابدا والمكون حادث بحدوث التعلق كما
في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي تتعلق مما قدم متعلقاتها
لكون تعلقاتها حادثة وهذا تحقيق ما يقال ان وجود العالم اذا لم يتعلق بذات الله
او بصفة من صفاته لزم تعطيل الصانع واستغنا الحوادث عن الموجد وهو محال
وان تعلق فاما ان يستلزم ذلك قدم ما تعلق وجوده به فيلزم قدم العالم وهو باطل
او لا فليكن التكوين ايضا قديما مع حدوث المكون المتعلق به وما يقال بان القول بتعلق
وجود المكون بالتكوين قول بحدوثه اذ العدم ما لا تعلق وجوده بالغير والحادث ما
يتعلق به فمنظور فيه لان هذا معنى القديم والحادث بالذات على ما يقول به الفلاسفة
واما عند المتكلمين فالحادث ما لوجوده بداية اي يكون مسبوقا بالعدم والقديم بخلافه
ووجوده ومجرد تعلقه بالغير لا يستلزم حدوثه بهذا المعنى لجواز ان يكون محتاجا الى الغير صادرا عنه
دائما بدوامه كما ذهب اليه الفلاسفة فيما ادعوا قدمه من الممكنات كالهيولى مثلا
نعم اذا ثبت اصدور العالم من الصانع بالاختيار دون الايجاب بدليل لا يتوقف على
حدوث العالم كان القول بتعلق وجوده بتكوين الله تعالى قولا بحدوثه وههنا يقال
ان التنصيص على كل جزء من اجزاء العالم اشارة الى الرد على زعم قدم بعض الاجزاء كالهيولى
والا فهم انما يقولون بتقدمها يعني بمعنى المسبوقية بالعدم لا بمعنى عدم تكونه بالغير

كالا لهيولى

والحاصل انا لا نسلم انه لا يتصور التكوين بدون المكون وانه وازنه معه وزاد الضرب مع المضروب
فيه وقد بينا ان التكوين صفة حقيقية هي مبدأ الاضافة التي هي اخراج المعدوم من العدم
الى الوجود لا عينها حتى لو كانت عينها على ما وقع في عبارة بعض المشايخ لكان القول
بتحققها بدون المكابرة وانكار المكون الضروري فلا يندفع بما يقال من ان الضرب مستحيل
البقاء فلا بد لتعلقها بالمفعول ووصول الالم اليه من وجود المفعول معه اذ لو تأخر
لانعدم كذا قيل وهذا بالنسبة لفعل المخلوق وهو بخلاف فعل الباري فانه ازلي الدوام
يبقى الى وقت وجود المفعول فالتكوين غير المكون عندنا لان الفعل يغاير المفعول بالضرورة
كالضرب مع المضروب والاكل مع المأكول لانه لو كان نفس المكون لزم ان يكون المكون مكونا
مخلوقا بنفسه ضرورة انه مكون بالتكوين الذي هو عينه فيكون قديما مستغنيا عن
الصانع وهو محال وان لا يكون للخالق تعلق بالعالم سوى انه اقدم منه وقادر عليه من غير
صنع وتأثير فيه ضرورة تكونه بنفسه وهذا لا يوجب كونه خالقا والعالم مخلوقا فلا
يصح القول بانه خالق العالم وصانعه وهذا خلف وانه لا يكون الله مكونا للاشياء ضرورة
انه لا معنى للمكون الا ما قام به التكوين والتكوين اذا كان عين المكون لا يكون قائما بذات الله
وانه يصح القول بانا خالق سواد هذا الحجر خالق السواد اذ لا معنى للخالق و
الاسود الا ما قام به الخلق والسواد وهما واحد فجعلهما واحدا هذا كله تنبيه على كون
الحكم بتغاير الفعل والمفعول ضروريا ثم قال السعد التفتازاني وهذا يعني ابطال
القول بان الفعل هو المفعول لا يتم الا باثبات ان تكوين الاشياء وصدورها عن الباري تعالى
يتوقف على صفة حقيقية قائمة بالذات مغايرة للقدرة والارادة قال والتحقيق ان
تعلق القدرة على وفق الارادة بوجوب المقدور لوقته وجوده اذا نسب الى القدرة يسمى
ايجادا له واذا نسب الى القادر يسمى الخلق والتكوين ونحو ذلك فحقيقة كون الذات
بحيث تتعلق قدرته بوجود المقدور لوقته ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات
خصوصيات الافعال كالترزيق والتصوير والاماتة والاحياء وغير ذلك الى ما لا نهاية له
قال واما كون كل من ذلك صفة ازلية حقيقة مما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر وفيه
تكثير للقدماء جدا وان لم تكن متغايرة قال والمآل ما ذهب اليه المحققون منهم وهو
ان مرجع الكل الى التكوين فانه ان تعلق بالحياة سمي احياء وبالموت اماتة وبالصورة
تصويرا وبالرزق ترزيقا الى غير ذلك فالكل تكوين وانما الخصوص بخصوصية التعلقات انتهى

مراده

وما ذكره الفاضل الفناري في شرح الفارابي من ان الضرب صفة اضافية لا يتقوم بدون المضروب فيه

ومراده بقوله مما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر يعني علما الكلام والا فهو مذهب السلف الذي
لا يعدل عنه الا الى آراء متهافتة وتخليطات متفاوتة ونحاتة اذهانه قد انحرفت عن
جادة المأثور وذبالات نظارات قد انفتلت عن المنهج المشهور الى التهافتات الفلسفية
والتخيلات الكلامية ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في شرح
العقائد الاصفهانية الصواب ان الخلق غير المخلوق قال والذي يقولونه الخلق هو المخلوق
قولهم فاسد وبين وجه فساده وذكر من الايات القرآنية والاخبار النبوية الدالة على
هذا الاصل شيئا كثيرا مثل كل يوم هو في شأن واتبعوا ما سخط الله وكرهوا رضوانه
فاحبط اعمالهم وقوله ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا
يرضه لكم فاخبر ان الطاعة سبب محبته ورضاه والمعصية سبب سخطه وغضبه وقال تعالى
اذكروني اذكركم وجواب الشرط مع الشرط كالمسبب مع سببه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى انه قال من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن
ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب
الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وفي الصحيحين وغيرهما
لله اشد فرحا بتوبة عبده المؤمن ممن كان راحلته بارض دوية مهلكة عليها
طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ اذا هو بدابته عليها طعامه
وشرابه فاشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته وفي الصحيح يضحك الله الى رجلين
يقتل احدهما الاخر كلاهما يدخل الجنة متفق في الصحاح والسنن والمسانيد ومن هذا شيء كثير
يتعذر او يتعسر احصاؤه وقد ذكر من ذلك الكثير ثم قال وهذا الاصل العظيم
الذي دلت عليه الكتب المنزلة من السماء القرآن والتوراة والانجيل وكان عليه سلف الامة
وائمتها بل وعليه جماهير العقلاء واكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة يظهر بطلان مذهب
القائلين بالقدماء الخمسة قال شيخ الاسلام وهذا المذهب منسوب الى ديمقراطيس وهي
العلة والنفس والهيولى وهي لغتهم بمعنى المحل والخلاء والدهر فزعم هؤلاء ومن وافقهم بانه
هذه الخمسة قديمة ازلية وانه سبب حدوث العالم ان النفس اشتاقت الى الهيولى وامتنع على
الرب تخليصها او رئي انه لا يخلصها مرارة تعلقها بالهيولى ثم تخلصها او لتستفيد
بذلك كمالات ثم تخلصها بعد ذلك قال ولهذا يقول محمد بن زكريا الرازي من فلاسفة الاسلام
اللذة الاعدام الالم وغاية سعادة النفس خلاصها من الالم الحاصل بتعلقها بالهيولى

وابو عبد الله ابن الخطيب الرازي يعني الفخر وبعض من يأتم به يرجحون هذا القول وبه يجيب
هؤلاء عن الحجج المشهورة للفلاسفة ويسمونه الجواب الباهر قال في محصله وذكر ما هو شبيه
بالخرافة وهو نعزل عن كلام اهل الشرايع والدين والنبوات ومناهج المرسلين قال شيخ الاسلام
روح الله روحه وهذا المذهب من افسد مذاهب العالم قال وهو شبيه من بعض الوجوه
بمذهب المجوس القائلين بالاصلين القديمين النور والظلمة قال والرسل عليهم الصلاة
والسلام واتباعهم اهل الملل متفقون على ان الله تعالى خالق لكل ما سواه فليس معه شيء قديم
بقدمه لا نفس ولا عقل ولا غير ذلك من الاعيان سواء سمي خلاء او دهرا او غير ذلك وبالله التوفيق
ولما كان اهل الملة مختلفين فمنهم من نفى الصفات من اصلها واثبت الاسماء وهم المعتزلة
ومنهم من نفى الصفات الخبرية والافعال الاختيارية ان تقوم بذاته تعالى واثبت السبع الصفات
كالاشعرية ومن وافقهم وكان مذهب السلف وسائر الائمة وجمهور الامة اثبات الصفات
الذاتية والاسماء الحسنى والصفات الخبرية وصفات الافعال الاختيارية لله تعالى
حتما على الاتباع لسلف الامة وحذرا من الابتداع ومخالفة السنة واعياء الائمة
فقال فاحذر من النزول من ذروة الايمان وسنام الدين والايقان واوج الرفعة
والعرفان الى حضيض الابتداع ووقاذورات الاختراع فان السلامة كل السلامة في اتباع
الرعيل الاول والسرب الذي عليه المعول لا ما ابتدعته فروخ الجهمية وانتحلته اساطين
الفلاسفة من فرق المشائية والاشراقية فسائر الصفات الذاتية من الحياة والقدرة
والارادة والسمع والبصر والعلم والكلام وغيرها وسائر الصفات الخبرية من الوجه
واليدين والقدم والعينين ونحوها وسائر صفات الافعال من الاستواء والنزول
والاتيان والمجيء والتكوين ونحوها قديمة لله اي هي صفات قديمة عند سلف الامة وائمة
السلام لله ذي الجلال والاكرام ليس شيء منها محدثا والا لكان محلا للحوادث وما حل به الحادث
فهو حادث تعالى الله عن ذلك ولما كان دعاتهم متوهم ان ذلك يسلم للتشبيه والتمثيل المنفي
في محكم الفصل ستدرك ذلك فقال لكن باسكان النون بلا كيف ولا تمثيل واثبات ذلك والاعتراف
به والاقرار والاذعان بموجبه لما دلت عليه النصوص القرآنية والاحاديث النبوية
فاعتقدناه كذلك واعتمدناه متابعة للسلف وارتضيناه ورغما اي لاجل رغم انوف اهل الزيغ
اي الميل والانحراف عن نهج اهل الحق والسداد والحور عن سبيل اهل الصدق يقال زاغ اذا مال
وازاغ غيره اذا اماله ورغما لانوف اهل التعطيل من الطوائف الضالة والفرق المائلة عن مذهب

السلف

السلف حق بين باطلين وسنة بين بدعتين فان من الناس من احمل النصوص على التشبيه والتمثيل
فضل وضل ومنهم من حملها على التحريف والتعطيل فالحد وانفصل عنا الحق وخذل واهل
الحق اثبتوا النصوص واعتقدوها بلا تكييف ثم يقولون اثبات وجود لا اثبات تكييف
وتحديد ولهذا قال غرها اي ايات الصفات واخبارها ولا تتعرض لمعانيها واسرارها
بل تفسيرها انزلها كما اتت في الذكر القرآني والحديث الصحيح عن المعصوم العدناني من
غير تاويل لها وغير فكر في معانيها فان ذلك ليس في وطوق البشر ان يكلفوه ولا في وسعهم ان
يعرفوه وعلى ذلك مضت ائمة السلف والحق معهم من سلف فكان الزهري والامام مالك والاوزاعي
وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن المبارك والامام احمد واسحق ابن راهويه وغيرهم
رضي الله عنهم يقولون في مثل هذه الايات يعني التي فيها مجيء الله واتيانه ووجهه والاخبار
كخبر النزول ما هو كما جاءت ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وسمع الامام احمد رضي الله عنه
شخصا يروي حديث النزول ويقول ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا تغير حال فانكر الامام
احمد عليه ذلك وقال قل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما اخبر على ربه منكر وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه في كتابه الفقه الاكبر ما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات
بلا كيف ولا يقال ان يده قدرته ونعمته لان فيه ابطال الصفة وهو قول اهل القدر والاعتزال
ولكن يده صفة بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وقال العلامة
ابن الهمام ان الاصبع واليد صفة له تعالى بالمعنى الجارحة بل على وجه يليق به هو سبحانه اعلم
وقال ابو حامد الغزالي في كتابه لجام العوام في الباب الاول منه اعلم ان الحق الصحيح
الذي لا محيد عنه عند اهل البصائر هو مذهب السلف اعني الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين
ثم قال حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا ان كل من بلغه حديث من هذه الاخبار من عوام
الخلق يجب عليه سبعة امور التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الكف
ثم الامساك ثم التسليم لاهل المعرفة فالتقديس تنزيه الرب عن الجسمية وتوابعها والتصديق
بالايمان بقول صلى الله عليه وسلم وان كل ما ذكر حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذي قاله
وارادوه والاعتراف بالعجز ان يقر بان معرفة مراده ليس على قدر طاقته وان ذلك ليس من شانه وحرفته
والسكوت بان لا يسئل عن معناه ولا يخوض فيه بخواطر اذهانه وانه وان شك ان يكفر لو خاض فيه
من حيث لا يشعر واما الامساك فانه لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة اخرى
والزيادة فيها والنقصان منها والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه

من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة واما الكلف فيأباه يكلف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه
واما التسليم لاهل المعرفة فانه لا يعتقد اذ كل ما خفي عليه لعجزه فقد خفي على الرسول او على
الانبيا او على الصديقين والاولياء انتهى وقد مر انه لا يعلم حقيقة ما هو تعالى غيره فعليه
المعول والله تعالى اعلم ولما فرغ من ذكر ما يجب له تعالى من الصفات الذاتية والاخبارية و
الفعلية اخذ في ذكر ما يستحيل في حقه تعالى فقال ويستحيل في حق الله تعالى اضداد الصفات
التي اتصف بها الباري جل شأنه والمستحيل هو كما مر ما لا يتصور في العقل بثبوته فمما يستحيل
في حق مولانا عز وجل الجهل الذي هو ضد العلم والعجز الذي هو ضد القدرة كما انه قد
استحال في حقه تعالى الموت الذي هو ضد الحياة حقا ذكر حقا فهو مصدر ويستحيل في حقه تعالى
العمى الذي هو ضد البصر وكذا الصمم الذي هو ضد السمع والبكم الذي هو ضد الكلام والفنا
الذي هو ضد البقا والعدم الذي هو ضد الوجود والفقر الذي هو ضد الغنى والمماثلة للحوادث
المنفي في قوله ليس كمثله شيء وتقدم انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض فهو من المستحيلة في حقه تعالى
وما نفاه سبحانه وتعالى عن نفسه في محكم الذكر بقوله ليس كمثله شيء هل تعلم له سميا فلا تضربوا
لله الامثال فلا تجعلوا لله اندادا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك في الملك ونحو ذلك والنفي انما يدل على عدم المنفي والعدم المحض ليس بشيء اصلا
فضلا عن ان يكون كمالا وانما يكون كمالا اذا استلزم امرا وجوديا فلهذا لم يصف الله تعالى
نفسه بشيء من النفي الا اذا تضمن ثبوتا كقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة
ولا نوم فقوله لا تأخذه سنة ولا نوم يتضمن كمال حياته وقيوميته فان النوم اخو الموت
وما تأخذه السنة والنوم لا يكون قيوما قائما بنفسه مقيما لغيره فان السنة والنوم
ينافيان قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فنفى
شفاعة احد عنده الا باذنه يتضمن كمال كونه له ما في السموات وما في الارض ليس له في ذلك
شريك ولا ظهير فان الشافع اذا شفع عند غيره بغير اذنه كان شريكا له فيما يشفع فيه وكان
متصرفا فيه اذ جعله مماثلا بعد ان لم يكن فكان في نفي هذه الشفاعة قد بين انه لا شريك له
بوجه من الوجوه والصمد الذي يحتاج اليه كل شيء ولا يحتاج الى شيء ولا يؤثر فيه غيره والحاصل
ان كل ما كان ضد المأذون منها وصافه او نقيضا او خلافا هو تنزه عنه مطلقا ولهذا قال
فكل نقص من هذه الاوصاف المذكورة ونحوها قد نفاها وتنزه الله عنه لان له الكمال المطلق
فكل كمال لا يؤدي الى نقص ما فالله اولى به وكل نقص فالله منزه عنه فبالشرعي نادى البشرى بشارة
لكل من اي تخصص من اهل السنة والجماعة قد والاه الله او قد والى هو الله اي اتخذه وليا معتمدا

عليه

عليه ومفوضا جميع اموره اليه مع اقتفائه للمأثور واتباعه للرسول فكانه يقول لنفسه ولسائر
اهل السنة هذا او اذا البشرى لكم او يا بشرى اقبلي فهذا او انك وانما نوه بالبشرى لما والاه الله تعالى
لعظم ذكره وخطره ودخوله في حصنه وكلايته ومحل نظره وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته
بالحرب وروى ابن ابي الدنيا من حديث ام المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال من عادى لي وليا فقد استحل محاربتي ورواه الامام احمد
بمعناه وفي رواية يقول الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واخرج ابن ماجه
من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان يسير الرياء شرك ومن عادى
لي وليا فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الابرار الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا
واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وقد قال الله تعالى
في محكم الذكر الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم
البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فالناظم عفى الله عنه
اقتبس من الاية البشارة لاهل الولاية وقد روى الامام احمد رضي الله عنه في كتاب الزهد
باسناده عن وهب بن منبه قال ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام حين كلمه اعلم ان من اهان
لي وليا او اخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادائي وعرض نفسه ودعاني اليها واناسرع شيء
الى نصرة اوليائي افيظن الذي يحاربني ان يقوم لي او يظن الذي يعاجزني ان يعجزني ام يظن
الذي يبارزني ان يسبقني او يفوتني كيف وانا الثائر لهم في الدنيا والاخرة فلا اكل نصرهم
المغيري واعلم ان كل من عصى الله فقد حاربه لكن كلما كان الذنب اقبح كان اشد محاربة
لله تعالى ولهذا سمى الله تعالى اكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله ورسوله لعظم ظلمهم لعباده
وسعيهم بالفساد في بلاده وكذلك معادات اوليائه فانه سبحانه يتولى نصرة اوليائه و
يحبهم ويتولاهم فمن عاداهم فقد عادى الله وحاربه فاذا كان من والى الله تعالى هذه المثابة
من الحفظ والاعزاز والنصرة لم يقبل العزيز القهار وتوعد من عاداه وآذاه بمعادات القوي
الجبار فله البشارة العظمى والمسرة والمنزلة العليا والمبرة وقد قدمنا غير مرة ان الحق عز وجل
موصوف بكل كمال منزه عن كل نقص وهو العزيز المتعال تنبيه قال شيخ الاسلام ابن تيمية
قدس الله روحه جماع الامر ان الاقسام الممكنة في ايات الصفات واحاديثها ستة اقسام
كل قسم عليه طائفة من اهل القبلة قسمان يقولان يجب ان تجري على ظاهرها وقسمان يقولان
هي على خلاف ظواهرها وقسمان يسكتان فاما الاولياء فاحدهما من يجريها على ظاهرها

حصول صح
وتعالى صح

حديث صح

صوابه
اذى

ان صح

وصفه تعالى بالجهل والعجز كما
قد استحال الموت والعمى
فقد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

قد تعالى الله
عنه فيما يليق
به والاه

من جنس صفات المخلوقين فهو لاء المشبهة ومذهبهم باطل انكره السلف وعليهم توجه الرد
بالحق الثاني من جريها على ظاهرها اللايق بجلال الله تعالى وعظمته كما يجري اسم العليم والقدير
والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللايق بجلال الله تعالى فان ظواهر هذه
الصفات في حق المخلوقين اما جوهر محدث واما عرض قائم فالعلم والكلام والقدرة
والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العباد اعراض والوجه واليدين
والعين في حقه اجسام فاذا كان الله عز وجل موصوفا عند عامة اهل الاثبات بانه له
علما وقدرة وكلاما ومشيئة ولم تكن في حقه تعالى اعراضا يجوز عليها ما يجوز على صفات
المخلوقين فكذلك الوجه واليد والعين ونحوها صفات لله تعالى لا كصفات المخلوقين
وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام
الباقين لا يخالفه وهو امر واضح فان الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة
ما غير انها تكون من جنس ذوات المخلوقين فكذلك صفاته ثابتة حقيقة ما غير انها تكون من جنس
صفات المخلوقين وتقدم نظير هذا فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء
الا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه وقدم ان لا يعلم ما هو الا هو وان
صفاته لا يعلم كنهها وحقيقتها الا هو تعالى وانما تعلم الذات المقدسة والصفات من
حيث الجملة على الوجه الذي يليق بعظمته وجلاله وقد نازع الناس في حقيقة الروح
واختلفوا فيها اختلافا كثيرا مع القطع بانصافها بالبدن وانها تخرج منه وتعرج الى
السماء وقد تخبط فيها الفلاسفة ومن وافقهم تخبط الذي يتخبطه الشيطان لكونهم
رأوها من غير جنس البدن وعالمه وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي ان تكون الصفات
الثابتة لها من الصعود والنزول والاتصال والانفصال حقا قال شيخ الاسلام و
اما القسمان اللذان يقولان هي على خلاف ظواهرها فقسم يتأولون ما ويعينون المراد
منها مثل قولهم استوى بمعنى استولى وبمعنى علو المكانة والقدر وقسم يقولون الله اعلم بمراده
منها لكنا نعلم انه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه قال واما القسمان الموافقان
فقسم يقول يجوز ان يكون المراد ظاهرها اللايق بالله تعالى ويجوز ان لا تكون صفة لله
وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم وقسم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على
تلاوة القرآن وقراءة الحديث مع ضمن يقولونهم والسنتهم عن هذه التقديرات قال
فهذه الاقسام الستة لا يمكن الرجل ان يخرج عما قسم منها قال والصواب في كثير من الصفات
واحادها القطع بالطريقة الثانية انتهى كلامه والله تعالى الموفق

فصل

فصل

في ذكر الخلاف في صحة ايمان المقلد في العقايد وعدمها وفي جوازه وعدمه

وقد اشار الناظم الى هذا المقام الذي هو مزلة اقدام فقال وكل ما اي حكم ومطلوب مما عنه
الذكر الحكمي وهو المعنى الذي يعبر عنه بالكلام الخبري وهو ما ان باع امرء في نفسه من اثبات
او نفي والمراد هنا كل اعتقاد يطلب فيه اي في ذلك الاعتقاد من معرفة الله تعالى وما يجب له ويستحيل
عليه ويجوز الجزم بما يجزم به جزما لا يحتمل متعلقه النقيض عنده لو قدره في نفسه فان
طابق الواقع فهو اعتقاد صحيح والا فاسد فما كان من هذا الباب فمنع تقليد وهو لغة
وضع الشيء في العنق حال كونه محيطا به وذلك الشيء يسمى قلادة وجمعها قلائد وعرفا
اخذ مذهب الغير بغير اعتقاد صحة واتباعه عليه بلا دليل فان اخذه بالدليل فليس بتقليد له
فيه ولو وافقه فالرجوع الى قوله صلى الله عليه وسلم ليس بتقليد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه
في المسودة التقليد قبول القول بغير دليل فليس المصير الى الاجماع بتقليد لان الاجماع دليل
ولذلك يقبل قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد وقد قال الامام احمد في رواية ابي الحارث
مع قوله الخبر حجة ان يسلم ان شاء الله فاطلق اسم التقليد على من صار الى الخبر وانه كان حجة
بنفسه انتهى ملخصا بذاك اي بما يطلب فيه الجزم ولا يكتفى فيه بالظن حتم بفتح الكاف المهملة
وسكون النون والمثناة فوق اي لازم واجب قال علماؤنا وغيرهم يحرم التقليد في معرفة الله
والتوحيد والرسالة وكذا في اركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر عند العامة قال الامام احمد رضي الله عنه
والاكثر وذكره ابو الخطاب عن عامة العلماء وذكر غيره انه قول الجمهور قاله في شرح التحرير وصح
قال واطلق الحلواني من اصحابنا وغيره منع التقليد في اصول الدين واستدلوا بتحريم التقليد
بامره سبحانه وتعالى بالتدبر والتفكر والنظر وفي صحيح ابن حبان لما نزل في آل عمران ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها
ولم يتدبرها وويل له وويل له والاجماع على وجوب معرفة الله تعالى ولا تحصل بتقليد لجواز
كذب المخبر واستحالة حصول العلم لمن قلد في حدوث العالم وكمن قلد في قدمه ولان التقليد
لو افاد علما فاما بالضرورة وهو باطل واما بالنظر فيستلزم الدليل والاصل عدمه والعلم
يحصل بالنظر واحتمال الخطأ لعدم مراعاة القانون الصحيح ولانه تعالى ذم التقليد بقوله
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم ولقوله فاعلم انه لا اله الا الله فالزم الشارع بالعلم
ويلزمنا نحن ايضا لقوله فاستعوه لعلكم تهتدون فتعين طلب اليقين في التوحيد ونحوه
ويقاس عليها غيرها والتقليد لا يفيد الا الظن فلهذا قال معللا للمنع منه بقوله لان اي
البناء والامر والقصة لا يكتفى في اصول الدين ومعرفة الله رب العالمين بالظن الذي هو

وكل ما يطلب فيه الجزم فمنع تقليد فيه بذاك

لأنه لا يكتفى فيه بالظن

ترجيح احد الطرفين على الآخر فالراجح هو الظن والمرجوح الوهم فلا يكتفى به في اصول الدين لذي
اي لصاحب الحجى كالى العقل والفطنة في قول اهل الفن من الائمة وعلماء المنقول والمعقول
من الاصوليين والمتكلمة وغيرهم قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين كلما يطلب فيه
الجزم يمتنع التقليد فيه والاخذ بالظن لانه لا يفيده دليل قطعي قال في شرح مختصر التحرير و
اجازه يعني التقليد في اصول الدين جمع قال بعضهم ولو بطريق فاسد قال العلامة ابن مفلح
واجازه بعض الشافعية لاجماع السلف على قبول الشهادتين ممن اعتقدهما بقال لقائلهما
هل نظرت وسمعه الامام ابن عقيل من ابي القاسم ابن البناء الحنبلي المعتزلي قال وانه
يكفي بطريق فاسد وقال وهذا المعتزلي اذا عرف الله وصدق رسوله وسكن قلبه الى ذلك
واطمأن به فلا علينا من الطريق تقليدا كان او نظرا او استدلالا والى هذا اشار بقوله
وقيل يكفي في اصول الدين الجزم ولو تقليدا اجماعا بكل ما اي حكم يطلب بضم اوله مبنيا
لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل مضمر يعود على الجزم فيه اي في ذلك المطلوب من اصول
الدين عند كل العلماء من علماء مذهبنا والشافعية والمعتزلة وغيرهم قال العنبري وغيره
يجوز التقليد في اصول الدين ولا يجب النظر اكتفاء بالعقد الجازم لانه صلى الله عليه وسلم
كان يكتفي في الايمان من الاعراب وليسوا اهلا للنظر بالتلفظ بكلمتي الشهادة المنبي
عن العقد الجازم وبقاس غير الايمان من اصول الدين عليه وقال العلامة ابن حمدان
في نهاية المبتدئين وقيل يكفي الجزم يعني بالظن اجماعا بما يطلب فيه الجزم فالجازمون
حينئذ بعقدهم ولو تقليدا من عوام البشر الذين ليسوا اهلا للنظر والاستدلال بما لا
يتم الاسلام بدونه فعلى الصواب هم مسلمون عند اهل الاثر واكثر النظار والمحققين
وان عجزوا عن بيان ما لا يتم الاسلام الا به وقال ابن حامد من علمائنا لا يشترط
ان يجزم مواطأة دليل يعني بل يكفي الجزم ولو عن تقليد وقيل الناس مؤمنون حكما في
النكاح والارث وغيرهما ولا ادري ما هم عند الله تعالى انتهى وقال العلامة المحقق ابن
قاضي الجبل من علمائنا في اصوله قال ابن عقيل القياس المنقل مجة يجب العمل به ويحب النظر
والاستدلال به لعدو ورود الشرع قال ولا يجوز التقليد واكثر الذي لا محيد عنه ولا
انفكاك لاحد منه صحة ايمان المقلد تقليدا خاز ما صحيحا وان النظر والاستدلال
ليسا واجبين وان التقليد الصحيح محل العلم والمعرفة نعم يجب النظر على من لا يحصل التصديق
الجازم اول ما تبلغه الدعوة قال بعض علماء الشافعية اعلم ان وجوب الايمان

بالله

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا يشترط فيه ان يكون عن نظر واستدلال بل
يكفي اعتقاد جازم بذلك اذ المختار الذي عليه السلف وائمة الفتوى من الخلف وعامة الفقهاء صحة
ايمان المقلد قال واما ما نقل عن الامام ابي الحسن الاشعري من عدم صحة ايمان المقلد فلذ عليه
كما قاله الاستاذ ابو القاسم القشيري ثم قال ومما يرد على من زعم بطلان ايمان المقلد ان الصحابة رضي الله
عليهم اجمعين فمحو اكثر العجم وقبلوا ايمان عوامهم كاجلاف العرب وان كانوا تحت السيف او الكثير منهم
اسلم ولم يأمروا احدا منهم بترديد نظر ولا سألوه عن دليل يصدقه ولا ارجوا امره حتى ينظر
والعقل يجزم في نحو هذا بعدم وقوع الاستدلال منهم لاستحالته حينئذ فكان ما اطبقوا
عليه دليلا اي دليل على صحة ايمان المقلد وقال ان التقليد لا يسمع من نشأ بقلة جبل الناس
يقولون للخالق هو خلقهم وخلق كل شيء ما غير شريك له ويستحق العبادة عليهم فيجزم
بذلك اجلالا لاهم عن الخطأ وتحسينا للظن بهم فاذا تم جزمه بانه لم يجز نقض ما اخبروا به
فقد حصل واجبا لايمان وان فاته الاستدلال لانه غير مقصود لذاته بل للتوصل به للجزم
وقد حصل وقال الامام النووي في الاربعين النووية من صح منه حقا وان كان مقلدا على مذهب
المحققين والجماهير من السلف والخلف لانه صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به والم
يشترط المعرفة بالدليل وقد تظاهرت نصوص هذا الاحاديث الصحاح يحصل بجموعها التواتر و
العلم القطعي الذي وبما تقرر تعلم ان النظر ليس بشرط في حصول المعرفة مطلقا وانما وجد
بدونه لوجوب انتفاء المشروط بانتفاء الشرط لكنها قد توجد فظهر ان النظر لا يتعين على كل احد
وانما يتعين على من لا طريق سواه بان بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحصل له العقد الجازم
ابتداء تقليدا فيجب عليه النظر حتى يظهر له حقيقة الاسلام اذ الاعراض غير جائز فمثل هذا
الشخص النظر عليه واجب اجماعا واما المقلد الذي يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم اول ما
بلغته دعوته وصدق به تصديقا جازما بلا تردد فمع صحة ايمانه بالاتفاق لا اثم بترك
النظر وان كان ظاهر ما تقدم الاثم مع حصول الايمان لان المقصود الذي لاجله طلب النظر
من المكلف وهو التصديق الجازم قد حصل بدون النظر فلا حاجة اليه نعم في ريبة انخطاط
وربما كان متزلزل الايمان فالحق انه يأثم بترك النظر وان حصل له الايمان ومن ثم نقل بعضهم
الاجماع على اثمه لما مر فيه حينئذ لا ثقة به اذ لو عرضت له شبهة عكرت عليه وصار
متردد ا بخلاف المجرم الناشيء عن الاستدلال فانه لا يفوت بذلك والله تعالى الموفق تنبيهات

الاول في مسئلة التقليد ثلاثة اقوال اولها النظر واجب وقد نقلناه عن معظم النقل عنه
ورجحه الرازي وابو الحسن للآمدي الثاني ليس بواجب والتقليد جائز وقد قدمنا كلام العنبري
في ذلك وهو الثالث التقليد حرام وبه اتم بترك النظر والاستدلال ومع اثمه يترك النظر فايمانه صحيح
وقد فهم كل هذا مما قررناه سابقا وثم قول رابع وهو ان النظر حرام لانه مظنة الوقوع في
الشبه والضلال لاختلاف المذاهد بخلاف التقليد فيجب بان يجزم المكلف عقده بما ياتي به البرهان
من العقايد الدينية وكل قد علم مما مر ان الرجوع الى الكتاب والسنة ليس بتقليد وانما يسمى تقليدا مجازا
ومنه قول الامام احمد رضي الله عنه ومن قلد الخبر رجوت ان يسلم ان شاء الله تعالى وقد قال ابو حامد
الغزالي في كتابه فصل التفرقة بين الايمان والزندقة من ظن ان مدرك الايمان الكلام والادلة
المحررة والتقسيمات المرتبة فقد بعد الا ان الايمان نور يقذفه الله في قلوب عباده عطية وهدية
من عنده تارة بتنبيه في الباطن لا يمكن التعبير عنه وتارة بسبب وفي المنام وتارة
بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبته ومجالسته وتارة بقرينة حال
فقد جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم جاحدا له منكرا فلما وقع على طلعته البهية وعرته الرعدة
فرآها بتلالي منها نور النبوة فقال والله ما هذا وجه كذاب وسأله ان يعرض عليه الاسلام فاسلم
وجاء آخر اليه فقال انشدك الله آلله بعثك نبيا فقال بلى والله الله بعثني نبيا فصدقه
بيمينه واسلم وامثالهما اكثر من ان تحصى ولم يشتغل واحد منهم قط بالكلام وتعلم الادلة
بل كان يزيد ونور الايمان اولا بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة بيضاء ثم لا يزال يزداد وضوحا
واشراقا بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وبتلاوة القرآن وتصفية القلوب الى ان قال
ولكن الصريح ان كل من اعتقد ان ما جاء به الرسول واشتمل عليه القرآن حق اعتقادا جازما فهو
مؤمن وان لم يعرف ادلته قال فالايمان المستفاد من الادلة الكلامية ضعيف جدا
مشرف على التزلزل بكل شبهة انتهى قال قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يعلمون
ان العوام واجلاف العرب يعلمون الادلة اجمالا كما اجاب به الاعرابي الاصمعي عن دليل سؤاله
بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير واثر الاقدام تدل على المسير فسماء ذات ابراج و
ارض ذات فجاج لا تدل على اللطيف الخبير فلذلك لم يلزموهم بالنظر ولا سألوهم عنه ولا ارجوا
امرهم فلما كانوا كذلك لم يكن اكتفاؤهم بمجرد الاقرار دليلا على عدم وجوب النظر على الاعيان ولا
على الاتارك غير آثم فالجواب ما ذكروه دعوى بلا دليل وحكاية الاعرابي لا تدل على ان جميع الاحلاف
والعوام كانوا عالمين بالادلة اجمالا فانه المثال الخبري لا يصح القواعد الكلية والعقول مختلفة

الامر جه متفاوتة اشد تفاوت فوجود فرد من الاعراب قوي العقل نافذ البصيرة لا يدل على
ان كل الاعراب والاحلاف كذلك بل اخفا وتوضيحا ان من الذين اسلموا في عهده كانوا يكونوا اعجما
ونساء وقبلوا منهم الاسلام ولم يلزموهم بالنظر ولم يوجوهم وايضا كانوا اهل الشرك من قريش
يجادلون ويناضلون عن الهتهم واذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون انئنا لتاركوا
الهتنا لشاعر مجنون وقال اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ويقول ابو سفيان اعل هبل ص
وهو من رؤسائهم وصناديدهم يوم احد اعل هبل فقال هذا المصمم على الشرك المتعجب من التوحيد
وقد اسلم تحت ظل السيف كان صلى الله عليه وسلم يعلم ان مثل هذا كان لا يعلم دليلا اجماليا على التوحيد
والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لم يسمعوا ولم يعلموا منه قبل ذلك الا الشرك المصمم والكفر
الصراح والاعتقاد الفاسد هذا مما لا يدل عليه عقل ولا نقل الثاني قد قدمنا ان التقليد الصحيح
محصل للعلم بعفو ان المقلد تقليدا صحيحا لا يصدق بما التي عليه من العقايد الخفية الا بعد انكشاف
صدورها عنده من غير ان يكون له دليل عليها وقد جاء في محكم الذكر فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام واخرج ابن المبارك في الزهد والفريابي وعبد الرزاق وابن ابي شيبة
وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات
عن ابي جعفر المدني رجل من بني هاشم وليس هو محمد بن علي قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
هذه الاية قال كيف يشرح صدره للاسلام يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له و
ينفسح له قالوا فهل لذلك من امارات يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل لقاء الموت قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في هذا الحديث مرسل
له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقي بها الى درجة الصحة او الحسن وكلما كان قذف النور
في القلب موجبا لانشراح الصدر وانفساح القلب كان قذفه مستلزما لجعل النفس قابلة للحق
مهيأة لحلوله فيها متصفة بما ينعه وينافيه سواء كان ثم استدلال اولا ولا كلما اتصفت
كدورانها واتصفت بالصفات المذكورة كان قبولها للعقايد الخفية اشد واذعانها لها
اجرى لكون ذلك النور المقذوف في القلب كاشفا لعين البصيرة عند صدق ما اخبر به من العقايد ع ٢ عن
كشفا يحمله على الاذعان والانقياد والتصديق به وحسن الاعتقاد بحيث يصير ضروريا
حتى لو رام الانفكاك عنه لم يجد اليه سبيلا وان لم يكن ثم نظر ولا استدلال الثالث قد نقل عن
ابي الحسن الاشعري انه لا بد من ابتناء الاعتقاد في كل مسئلة من الاصول على دليل عقلي لكن الاشتراط
الاقتدار على التعبير عنه وعلى مجادلة الخصوم ودفع الشبه قال السعد التفتازاني

في شرح المقاصد هذا المشهور عن الاشعري حتى حكي عنه انه قال من لم يكن كذلك لم يكن مؤمنا
انتهى قال في جمع الجوامع وعن الاشعري لا يصح ايمان المقلد قال شارحه وشنع عليه العوام
بانه يلزم منه تكفير العوام وهم غالب المؤمنين وقال القشيري مكذوب عليه قال التاج السبكي
والتحقيق انه اذا كان التقليد اخذ القول الغير بغير حجة مع احتمال شك او وهم بانه لا يخرج به
فلا يكفي ايمان المقلد قطعا لانه كما ايمان مع ادنى تردد فيه وان كان التقليد اخذ القول الغير
بغير حجة لكن جزما فلكفي ايمان المقلد عند الاشعري وغيره خلافا لابي هاشم المعتزلي في قوله
لا يكفي بل لابد لصحة الايمان من النظر وقد وافق النقل عن الاشعري جماعة منهم القاضي وامام
الحرمين وغيرهما قالوا قال الجمهور عدم صحة الاكتفاء بالتقليد في العقايد الدينية حتى زعم
بعضهم انه مجمع عليه وعزاه ابن القصار للامام مالك رحمه الله والمشهور نقل بعضهم عن
الجمهور عدم جواز التقليد في العقايد الدينية والهم اختلفوا في المقلد منهم من قال انه مؤمن
الا انه عاص بترك المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح ومنهم من فصل فقال هو مؤمن عاص
ان كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وغير عاص ان لم يكن فيه اهلية ذلك ومنهم من نقل
عن طائفة انه من قلد القرآن والسنة القطعية صح ايمانه لاتباعه القطعي ومن قلد غير ذلك
لم يصح ايمانه لعدم امن الخطا على غير المعصوم ومنهم من جعل النظر والاستدلال شرطا
للكمال ومنهم من حرم النظر كما مر ذلك قال الجلال المحلي في شرح جمع الجوامع وقد اتفقت الطرق
الثلاثة يعني الموجبة للنظر والمجوزة له والمحرمة له على صحة ايمان المقلد انتهى وعبارة
الآمدي في الابكار اتفق لما صحابنا على انتفاء كفر المقلد وانه ليس للجمهور الا القول بعصيانه
بترك النظر انه قدر عليه مع اتفاقهم على صحة ايمانه وانه لا يعرف القول بعدم صحة ايمان
المقلد الا لابي هاشم بن ابي علي الجبائي من المعتزلة محتجا بانه من لم يعرف الله سبحانه بالدليل
فهو كافر قال الآمدي واصحابنا مجمعون على خلافه وقال الامام ابو منصور الماتريدي
رئيس الطائفة الماتريدية اجمع اصحابنا ان العوام مؤمنون عارفون بربهم فانهم حشو
الجنة كما جاءت به الاخبار وانعقد عليه الاجماع لكن منهم من قال لابد من نظر عقلي في العقايد
وقد حصل لهم منه القدر الكافي فان فطرهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوثه
وما سواه من الموجودات وانه متجر واعن التعبير باصطلاح المتكلمين وهذا حاصل ما اجيب به
عن الاشعري حتى قال بعض الاشاعرة عن الاشعري لا يكاد يكون في العوام مقلد وعبارة
شرح المقاصد وذهب كثير من العلماء وجميع المفتين الى صحة ايمان المقلد وترتيب احكام

عليه في الدنيا والاخرة ومنعه الشيخ ابو الحسن والمعتزلة وكثير من المتكلمين احتج القائلون
الايمان بالصحة بانا حقيقة التصديق وقد وجدت من غير اقتران بموجبات الكفر فانا قبل
لا يتصور التصديق بدون العلم لانه اما ذاتي للتصديق او شرط له ولا علم للمقلد لانه
اعتقاد جازم مطابق مستند الى سبب هو ضرورة او استدلال فاجاب بانا المعتبر في
التصديق هو اليقين اعني الاعتقاد الجازم المطابق بل ربما يكتفى بالمطابقة ويجعل الظن
الغالب الذي لا يخطر معه التفويض بالبال في حكم اليقين انتهى الرابع قال السعد اعلم بانا
القائلين بعدم صحة ايمان المقلد اولين بنافع اختلفوا فمنهم من قال لا بد ان يبنا الاعتقاد
على استدلال عقلي في كل مسئلة بل يكفي ابتناؤه على قول من عرف رسالته بالمعجزة مشاهدة
او تواترا او على الاجماع ومنهم من قال لا بد من ابتنا الاعتقاد في كل مسئلة من الاصول على دليل
عقلي لكن لا يشترط الاقتدار على التعبير عنه ولا على مجادلة الخصوم وتقدم الصحيح المعتمد
من هذا قريبا ومنهم من قال لا بد من ابتنا الاعتقاد على الدليل العقلي من الاقتدار على
مجادلة الخصوم وحل ما يورد عليه من الاشكالات قال وذهب اليه المعتزلة فلم يحكموا
بايمان من عجز عن شيء من ذلك بل يحكم ابو هاشم بكفره وقد تقدم عن العنبري وغيره من شيوخ
المعتزلة جواز التقليد في اصول الدين وانه لا يجب النظر اكتفاء بالعقد الجازم فعليه المعول
واتضح ان المرجح صحة ايمان المقلد عند محققي كل طائفة بشرط الجزم وعدم التزلزل والشك
على ان القول المختار والراجع الى اخبار الرسول والكتاب المنزل والاجماع فليس عقلد من شهد
لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ونهج سبيل المؤمنين من فعل المامور وترك المحظور
ولم يات بما يكفر فهو مؤمن وبالله التوفيق ويؤيد هذا ما اخرجه الامام الحافظ ابو القاسم
ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري بسنده
المتصل الى ابي حازم عمر بن احمد العبدي الحافظ انه قال سمعت ابا علي طاهر بن احمد السرخسي
يقول لما حضر اجل ابي الحسن الاشعري رحمه الله تهافت داري ببغداد دعاني فانيته فقال
اشهد علي اني لا اكفر احدا من اهل القبلة لان الكل يشيرون الى معبود واحد وانما هذا
كله اختلاف عبارات انتهى بلفظه فسئل الله التوفيق وحسن الختام

الباب الثاني في الافعال المخلوقة وسائر ما بقية الاشياء جمع شيء غير الذات
المقدسة وغير ما زائدة لتاكيد النفي الاسماء اي غير اسمائه تعالى فانها قديمة كالذات وغير الصفات
الذاتية والخبرية التي يثبت بالكتاب والسنة والفعلية فكل شيء غير الذات العلية واسمائها

وصفاته مخلوقة لنا بنا تبارك وتعالى العدم مسبوقة به وتبين لك حكمة تعبير الناظم
بسائر الافهام بمعنى المنقة قال في القاموس والسائر الباقي لا الجميع كما توهمه جماعات او قد يستعمل
ومنه قول الماعوص فجللها النابانة فاهة وقد النوم سائر الحراس قال وضاف اعرابي قوما
فامر الجارية بتطييبه فقال يطيب عطري وسائري ذري فحكى ما سواه سبحانه باسمائه
وصفاته محدث مسبوق بالعدم وهذا المتفق عليه عند سلف الامة وائمتها من ان الله تعالى خالق
كل شيء وربه ومليكه وانه خالق كل شيء بقدرته ومشيئته وانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن
فهو سبحانه وتعالى خالق الممكنات المحدثات من الاجسام والاعراض القائمة بالحيوان والجماد
والمعادن والنبات وغيرها وهذا الذي دلت عليه الكتب المنزلة واخبرت به الرسل المرسلة
وعليه سلف الامة وائمتها بل وعليه جماهير العقلاء واكابرهم من جميع الطوائف خلافا لارسطو
القائل بقدم العالم وخلافا لدهماء الطبيعيين القائلين بقدم النفس والعلة والهيولى والخلا
والدهر قال شيخ الاسلام ابن تيمية في جواب المسائل الاسكندرية قد نقلوا عن اساطين
الفلاسفة المتقدمين انهم كانوا يقرون بمحدث صورة الفلك ولكنهم مضطربون في المادة
ومتنازعون فيها لكن عمدة ارسطو واتباعه قائلون بقدم صورته قال وليس معهم دليل
صحيح على قدم صورته البتة ولهذا قال وضل عن الصراط المستقيم والنهج البين القويم
من اياي شخص وكل طائفة من طوائف العالم التي علمناها اي على سائر الاشياء سوى الذات المقدسة
وصفاتها القديمة فسائر ما عدا ذلك كل من اثنى على شيء منها بالقدم فقد ضل واضل وقد اخبر الله
في محكم الذكر بانه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وفي صحيح مسلم عن عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر مقادير الخلايق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء اي مقادير الخلايق التي خلقها
في ستة ايام الى ان يدخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وما اكتب قال ما هو كائن الى يوم القيامة فقد بين
ان القلم الذي هو اول المخلوقات من هذا العالم انما كتب ما هو كائن الى يوم القيامة وهذا هو
التقدير المذكور في قوله قدر مقادير الخلايق الحديث وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب
اصحابه فذكر بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم وقد جاء عن الصحابة
رضي الله عنهم والتابعين من الاثار والاخبار من هذا النهج شيء كثير وفي التوراة ما يوافق الكتاب

والسنة

مخلوقة من اشتق عليها بالقدم
وضل من اثنى عليها بالقدم

والسنة من ذكر الماء الذي كان مخلوقا قبل ان تخلق السموات والارض وان الله تعالى خلق السماء
من بخار ذلك الماء وذلك البخار هو الدخان المذكور في قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين والعرش ايضا خلق قبل ذلك كما دل عليه
الكتاب والسنة قال شيخ الاسلام في الاجوبة الاسكندرية قد اخبرت الكتب الالهية ان الله تعالى
خلق السموات والارض في ستة ايام قبل ذلك الايام ليست مقدرة بحركة الشمس والقمر فانهما
خلق الشمس والقمر والافلاك وسواء كانت تقدر هذه الايام او كان كل يوم بقدر الف سنة
فعلى القولين ليس مقدار هذه حركات ما خلق فيها والحاصل ان الكتب الالهية والسنة النبوية
واجماع المسلمين على ان الله خالق كل شيء فما سوى الله مخلوق قال شيخ الاسلام و كل ص
صفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه وتقدم قال شيخ الاسلام وليس بين اهل الملل خلاف
في ان الملائكة جميعهم مخلوقون وفي صحيح مسلم وغيره من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق ادم
مما وصف لكم وقال الامام المحقق شمس الدين ابن القيم في كتابه اغاثة اللهفان وشيخ شيخ الاسلام
في شرح الاصفهانية اول من عرف عنه القول بقدم العالم ارسطو وكانا ضالا مشركا يعبد
الاصنام يعني المصورات في هياكلهم على صور الكواكب السيارة قال ولغة الهيئة كلام كله
خطاء وتعقب الرد عليه طوائف من المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة والقدرية والرافضة
وفلاسفة الاسلام انكروه عليه قال ابن القيم قد جاء في كلامه بما يسخر منه العقلاء فانكروا
ان يكون الله تعالى يعلم اشياء الموجودات وقدروا ذلك بانه لو علم شيئا لكمل معلوماته ولم يكن كاملا
بنفسه وبانه كان يلحقه التعب والكلال من تصور المعلومات قال المحقق ابن القيم يسخر به
ويهزأ منه فهذا غاية عقد هذا المعلم والاستاذ وقد حكى ذلك عنه ابو البركات البغدادي
فيلسوف الاسلام وبالغ في ابطال هذه الحجج ورد هاقال ابن القيم فحقيقة ما كان عليه هذا
المعلم لاتباعه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ودرج على اثره اتباعه من الملاحدة
ممن يتستر باتباع الرسل وهو منحل من كل ما جاؤا به قال واتباعه يعظمونه فوق ما يعظم به الانبيا
عليهم السلام ويرون عرض ما جاءت به الانبيا على كلامه فما وافقه منها قبلوه وما خالفه لم يعبأوا به
شيأ ويسمونه المعلم الاول كما انه اول من وضع لهم التعاليم المنطقية والمعلم الثاني من الفلاسفة
ابو نصر الفارابي الا انه من فلاسفة الاسلام وهو الذي وضع لهم التعاليم الصوتية ووسع
لهم في صناعة المنطق وبسطها وشرح فلسفة ارسطو وهذبها وبالغ في ذلك وكان على طريقة سلفه

في الهيئات

والمعلم الثالث ابو علي ابن سينا فانه بالغ في تهذيب الفلسفة وتقريبها من شريعة الرسل ودين الاسلام
بجهده وغاية ما يمكنه قال الامام ابن القيم وحسبك جهلا بالله واسمائه وصفاته
وافعاله ما يقوله انه سبحانه لو علم الموجودات لحقه الكلال والتعب واستكمل بغيره و
حسبك خذلانا وضلالا وعمى السير خلف هؤلاء واحسانا الظن بهم والهم ذوو العقول
وحسبك عجبا من جهلهم وضلالهم ما قالوه في سلسلة الموجودات وصدور العالم عن
العقول العشرة والنفوس التسعة الى ان انتهوا صدور ذلك الى واحد من كل جهة لا علم له
بما صدر عنه ولا قدرة له عليه ولا ارادة وانه لم يصدر عنه الا واحد قال ابن القيم و
صرح افلاطون بحدوث العالم كما كان عليه الاساطين وحكى عنه ذلك تلميذه ارسطو
وخالفه فيه فزعم انه قديم وتبعه على ذلك ملاحدة الفلاسفة المنتسبين الى الملل وغيرهم
قال شيخ الاسلام روح الله روحه ليس لارسطو ولا لاتباعه ولا لغيرهم حجة واحدة تدل
على قدم شيء من المخلوقات اصلا وقد قدمنا قول شيخ الاسلام وغيره ان اول من قال بقدم العالم
من الفلاسفة هو ارسطو قال شيخ الاسلام روح الله روحه واما الاساطين قبله فلم يكونوا
يقولون بقدم صورة الفلك وانما كان لهم في المادة اقوال اخر والحاصل ان الحق الذي لا ريب
فيه ولا شك يعتريه ان الله تعالى خالق لكل ما سواه فليس معه شيء قديم بقدمه لا نفس ولا عقل
ولا غيرهما قال في اغاثة اللهفان والفلاسفة فرق شتى لا يحصيهم الا الله واحصى
المعتنون بمقالات الناس منهم اثنتي عشرة فرقة مختلفة اختلافا كثيرا منها اصحاب الرواق
واصحاب الظلة والمشاؤون وهم شيعة ارسطو وفلسفتهم هي الدائرة اليوم بين الناس وهي
التي يحكيها ابن سينا والفارابي وابن الخطيب وغيرهم ومنهم الشاغوريه ولم افلاطونيه
قال ولا تجد منهم اثنين متفقين على راي واحد بل قد تلاعبهم الشيطان كتلاعب الصبيان
بالكرة قال وبالجملة فملاحدتهم هم اهل التعطيل المحض فانهم عطلوا الشرائع وعطلوا
المصنوع عن الصانع وعطلوا الصانع عن صفات كماله وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له
وبه فعطلوه عن مبدئه ومعاده عن فاعله وغايته ثم سرى هذا الداء منهم في الامم
وفي فرق المعطلة اولا واخرا وهذا قال وضلال من اثنى عليها بالقدم فهؤلاء هم الضلال وممن
نحى نحوهم من الفرق الضالة والله على كل شيء قدير وربنا تبارك وتعالى يخلق ما يشاء ان
يخلقه من سائر مخلوقاته باختيار منه فهذا مذهب سلف الامة وائمتها ان الله تعالى لم يزل
فاعلا لما يشاء وانه تقوم بذاته الامور الاختيارية وانه تعالى لم يزل متصفا بصفاته

الذاتية

الذاتية والفعلية فلم يحدث له اسم من اسمائه ولا صفة من صفاته في مخلوق سبحانه المخلوقات و
يحدث الحوادث بعد ان لم تكن سواء كان ذلك على مثال سابق او لا على مثال سابق والابداع احداث الشيء بعد ان لم
يكن على غير مثال سابق من غير حاجة منه تعالى اليه يخلق الخلق لا لحاجة اليه ولا اضطرار عليه
فالحاجة المصلحة والمنفعة والمضرة الالم والاحواج والالزام والاكراه فلا حاجة باعثة له
سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خلق المخلوقات وامر بالمامورات لمحض المشيئة و
صرف الارادة وهذا قول جمهور من يثبت القدر وينتسب الى السنة من اهل الكلام والفقه وغيرهم
وقال به طوائف من الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول ابي الحسن الاشعري واصحابه
وهو قول كثير من نفاة القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وامثاله وحجة هذا انه
لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فانه اما ان يكون وجود تلك العلة وعدمها
بالنسبة اليه سواء او يكون وجودها اولى به فان كان الاول امتنع ان يفعل لاجلها وان
كان الثاني ثبت ان وجودها اولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وايضا
فالعلة اذا كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية واذا كانت متقدمة على المعلول
في العلم والقصد في متاخرة في الوجود عن المعلول كما يقال اول الفكرة آخر العمل واول
الغية آخر المدرك ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فمن فعل فعلا لمطلوب
يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر ان المطلوب الذي هو العلة
قديما كان الفعل قديما بطريق الاولى فلو قيل انه يفعل لعلة قديمة لزم ان لا يحدث شيء من الحوادث
وهو خلاف المشاهدة او قيل انه فعل لعلة حادثة لزم محذوران احدهما ان تلك العلة
الحادثة المطلوبة بالفعل هي ايضا مما يحدثه الله بقدرته ومشيئته اذ يكون محلا للحوادث فان
العلة اذا كانت منفصلة عنه فاذا لم يعد اليه منها حكم امتنع ان يكون وجودها اولى به من عدمها
واذا قدر انه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثا فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني ان ذلك
يستلزم التسلسل من وجهين احدهما ان تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي ايضا مما
يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فاذا كانت لغير علة لزم المحذور كما تقدم وان كانت لعلة عاد
التقسيم فيها فاذا كان كل ما يحدثه احدثه لعلة والعلة ما احدثه لزم تسلسل الحوادث الثاني
ان تلك العلة اما ان تكون مرادة لنفسها او لعلة اخرى فان كان الاول امتنع حدوثها لان ما
اراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر احداثه وان كان الثاني فالكلام في ذلك الغير كالكلام فيها
ويلزم التسلسل فهذه حجج من ينفي تعليل افعال الله تعالى واحكامه التقدير الثاني قول من

ذكرهم

يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله الفلاسفة القائلون بقدم
العالم واصل قول هؤلاء ان المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا يجوز ان يتاخر عنها
معلولها واعظم حججهم قولهم مع ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلا انما كانت موجودة في الازل
لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتاخر عنها معلولها فانه لو تاخر لم يكن جميع شروط
الفعل وجدت في الازل فانا لا نعني بالعلة التامة الا ما تستلزم المعلول فاذا قدر انه تخلف عنها
المعلول لم تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود
الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم تكن جميعها في الازل
فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجدد سبب حادث والا لزم ترجيح احد طرفي الممكن بلا
مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول ويلزم التسلسل
قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح
بلا مرجح ثم اكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكنهم متناقضون
فانهم يثبتون العلة الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس
الارادة بل هو موجب بالذات سواء فاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة
في محالها فنسكت عما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه حسن الارادات
هذا القول يستلزم ان لا يحدث شيء وان كل ما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم
ان بطلان هذا بين وابطال في رد ذلك ومما ذكر ان يقال لهم حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية
اما ان يكون ممكنا في العقل او ممتنعا فان كان ممتنعا لزم ان الحوادث جميعها الاول كما يقوله
اهل الحق وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وان كان ممكنا امكن ان يكون حدوث ما احدثه الله
كالسموات والارض موقوفا على حوادث قبل ذلك كما تقولون انتم فيما يحدث في هذا العالم من
الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حجتكم على التقديرين
ثم يقال اما ان يثبتوا للمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة او لا فان لم تثبتوا بطل قولكم
باثبات العلة الغائية وبطل ما تذكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك
من المخلوقات وايضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود امر يفوت
العد والاحصاء كما احدثه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث
المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته
وامثال ذلك مما هو كثير جدا وان اثبتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة
الغائية لزم ان تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بان الفاعل فعل كذا

لحكمة كذا

لحكمة كذا بد وان كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء الفلاسفة من اكثر
الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة
واما ان ذكر التقدير الثالث هو انه سبحانه فعل المفعولات وامر بالمامورات لحكمة محمودة
قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول اكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف
من اصحاب ابي حنيفة والشافعي واحمد ومالك رضي الله عنهم وقول طوائف من اهل الكلام من
المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول اكثر اهل الحديث والتصوف واهل التفسير واكثر
قدماء الفلاسفة وكثير من متاخريهم كابي البركات وامثاله لكن هؤلاء على قول منهم من قال
ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة
في ذلك احسانه للخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الله احسانا الى الغير
حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير ان يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به
ولا فعل وقال لهم الناس انتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكنه
يعود منه الى فاعله حكم محمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الخير والثواب بذلك
واما لرقة والم تجده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الالم واما للتذاذه وسروره
وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتتلذذ بالخير الذي يحصل منها الى
غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكونه المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور واما اذا قدر
انه وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل سواء لم يقل ان مثل هذا الفعل يحسن منه
بل مثل هذا العبث في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة
ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عابثا ولم يكن محمودا على هذا وانتم علمتم
افعاله تعالى فرارا من العبث فوقعتم فيه فان العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة
ولا فائدة تعود الى الفاعل وهذا لم يامر الله تعالى ولا رسوله ولا احد من العقلاء احدا بالاحسان
الى غيره ونفعه وبخذ ذلك الا لما له في ذلك من المنفعة والمصلحة فامر الفاعل بفعل
لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لا في العاجل ولا
في الآجل ليس بحسن من الامر ومن ثم قال الكندي تعالى وتقدس هذا استدراك من مفهوم قوله
انه يخلق الخلق بالاختيار لا بالذات خلافا للمعتزلة ومن وافقهم من غير حاجة اليه ولا
اضطرار عليه غير انه جل وعلا لا يخلق الخلق سدى اي هملا بلا امر ولا نهي ولا حكمة ومعنى
السدى المهمل وابل سدى اذا كانت ترعى بلا راع حيث شاءت كما في النص القرآني

لكنه لا يخلق الخلق سدى
كما في النص القرآني
بنقة

والسنة النبوية والآثار مما هو كثير جدا الا الله تبارك وتعالى لا يفعل الا لحكمة وعلم وهو العليم
الحكيم مما خلق شيئا ولا قضاه ولا شرعه الا بحكمة بالغة وان تقاصرت عنها عقول البشر فاتبع
الهدى باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا يجحد حكمة كما لا يجحد قدرته فهو الحليم الخبير
قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة و
غيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتقبيح العقلي فاثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم
ومن وافقهم من اصحاب ابي حنيفة ومالك والشافعي واهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا
ذلك عن الامام ابي حنيفة نفسه ونفى ذلك الاشعرية ومن وافقهم من اصحاب مالك والشافعي و
احمد وغيرهم واتفق الفريقان على ان الحسن والقبيح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملائما له
وكونه ضارا للفاعل منافرا له انه تمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظهر من هؤلاء ان
الحسن والقبيح المعلوم بالشرع خارج عما هذا وليس كذلك بل جميع الافعال التي اوجبها تعالى وندب
اليها هي نافعة لفاعلها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله تعالى عنها هي ضارة لفاعلها
ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المرتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم
والعقاب المرتب على معصيته ضار للفاعل مفسدة له والمعتزلة اثبتت الحسن في افعال الله
لا بمعنى حكم يعود اليه من افعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا ان لا حسن ولا قبح
في الفعل الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته
وكل ما يقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول
واولئك يعني المعتزلة اثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وغلطهم
لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد بينا وقضوا ثم اخذوا يقيسون
ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه جنس ما يوجبون على العبد
ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك المعتزلة العدل والحكمة مع قصور
عقلهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلون له على كل
شيء قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقرون بانه خالق كل شيء ولا يثبتون
له الظلم مانزه نفسه عنه فانه سبحانه قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما
ولا هضما اي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى
بدل القول لدي وهما انا بظلام للعبيد وفي حديث الطاقة عند الترمذي وغيره لا اظلم
عليك اليوم والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وامره لا يكون لعلة في قول مرجوح

اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقال الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول
الثاني انها العلة وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن ناصر الجبل
وحكاه عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجوب الصلاح
ولهم في الاصلح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة قال
شيخ الاسلام لما اهل السنة في تعليل افعال الله تعالى واحكامه قولان والاكثرون على التعليل والحكمة
وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به او قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل لهم فيه ايضا قولان
وهل يتسلسل الحكم او لا يتسلسل او يتسلسل في المستقبل دون الماضي فيه اقوال قال احتج
المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل وقوله كيلا يكون دولة وقوله
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم ونظائرها ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لمصلحة
وحكمة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والاجماع واقع على استعمال الافعال على احكم
والمصلح جائز عند اهل السنة ووجوبا عند المعتزلة ففعل ما يريد بحكمته وتقدم ان النافين
للعلة والحكمة احتجوا بما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو محال ومن حدوثها
افتقارها الى علة اخرى وانه يلزم التسلسل قال الامام الرازي وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء
صنعه ولا علة لصنعه وما اجاب به من قال بالحكمة والها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم
معلولها كالارادة فانها قديمة ومتعلقها حادث وتقدمت الاشارة في اول البحث الى محصل
هذا كله والحاصل ان شيخ الاسلام وجماعة تلامذته اثبتوا الحكمة والعلة في افعال الباري
جل وعلا واقاموا على ذلك البراهين فالعلة لا يبقى في مخيلة الفطين السالم من تقليد الاساطين
اذ هو اختلاج واقل تخمين واما الامام شمس الدين ابن القيم فغذا جلب واجتث والى ما يقضي
منه العجب في كتابه شرح منازل السائرين ومفتاح دار السعادة وغيرهما فمما احتج به في
مفتاح دار السعادة قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا و
عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون قال على ان هذا حكم بشيء قبيح تنزه الله عنه
فانكره من جهة قبحه في نفسه لانه من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز ان
يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحسبان باطل والله تعالى
عنه لما فاته الحكمة فقال تعالى احسب الانسان ان يترك سدى فانكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى
انكارا مراجعا في العقل استقباح ذلك واستهجانه والله لا يليق ان ينسب الى احكم الحاكمين
ومثله قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو

رب العرش الكريم فنزه نفسه سبحانه وباعد ما عنه هذا الحسبان وانه متعال عنه فلا يليق به
لقبحه ومنافاته الحكمة وهذا يدل على اثبات المعاد بالعقل كما يدل عليه اثباته بالسمع ثم اذا ابن القيم
بسط القول ووسع العبارة في ازيد من عشرة كراريس ثم قال الكلام هنا في مقامين احدهما
في التلازم بين القبح والحسن العقليين وبين الايجاب والتحريم شاهدا وغايبا والثاني
في انتفاء اللازم وثبوته فاما المقام الاول فلمثبتي الحسن والقبح فيه طريقان احدهما
ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه بنا ظروه
وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني اثبات الحسن والقبح وانكاره
يقولون باثباته ويصرحون بنفي الايجاب قبل الشرع على العبد وبنفي ايجاب شيء على الله
البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كابي الخطاب وغيره والشافعية كسعد بن علي
الزنجاني الامام المشهور وغيره وهؤلاء في نفي الايجاب العقلي في المعرفة بالله واثبوته خلاف
قال فالاقوال اربعة لامزيد عليها احدها نفي الحسن والقبح ونفي الايجاب العقلي في العمليات
دون العلميات كالمعرفة وهذا اختيار ابي الخطاب وغيره فعرف انه لا تلازم بين الحسن والقبح
وبين الايجاب والتحريم العقليين فهذا احد المقامين واما المقام الثاني وهو انتفاء اللازم
واثبوته فللناس فيه هنا ثلاثة طرق احدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحريم العقليين
شاهدا وغايبا وهذا القول المعتزلة وهؤلاء يقولون بترتب الوجوب شاهدا وبترتب
المدح والذم عليه واما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن اثبته منهم يقول ان
العذاب الثابت بعد الايجاب الشرعي نوع اخر غير العذاب الثابت على الايجاب العقلي
وبذلك يجيبون عما النصوص المنافية للعذاب قبل البعثة واما الايجاب والتحريم العقليان
غايبا فهم مصرحون بهما ويفسرون ذلك باللزوم الذي اوجبته حكمته وانه يستحيل عليه
خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب واللغوب فهذا معنى الوجوب والامتناع في
حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضته ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به
لمنافاته كماله وغناه قالوا وهذا في الافعال نظير ما يقول اهل السنة في الصفات انه
يجب له كذا ويمتنع عليه كذا فكما ان ذاك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا
ما تقتضيه حكمته وتاباه يستحيل عليه الاخلال به وان كان مقدورا له لكنه لا يخل به لكمال
حكمته وعلمه وغناه الفرقة الثانية منعت ذلك جملة واحالت القول به وجوزت على الرب تعالى
كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في افعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين النقيضين

وبابه

وبابه فقابلوا المعتزلة اشد مقابلة واقتسموا طرفي الافراط والتفريط وردوا هؤلاء الوجوب والتحريم
الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما اخبر انه يكون فهو واجب لتصديق خبره وما
اخبر انه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحريم عندهم راجع الى مطابقة العلم المعلوم
والمخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلا كتحريم الظلم على نفسه فانهم يفسرونه
بالمستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتنزه الله عنه
مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الاشعرية ومن وافقهم الفرقة الثالثة هم الوسط
بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى اوجبت على الله تعالى شريعة بعقولها حرمت عليه
واوجبت ما لم يحرمه على نفسه ولم يوجبه على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى
ويتنزه عنه لمنافاته حكمته وكماله والفرقة الوسط اثبتت له ما اثبته لنفسه من الايجاب والتحريم
الذي هو مقتضى اسمائه وصفاته الذي لا يليق به نسبته الى ضده لانه موجب كماله وحكمته
وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعتها بعقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تحوج عليه ما نزه
نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد اخبر الله تعالى انه حرم الظلم على
نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وقال ولا يظلم ربك
احدا وقال وما ربك بظلام للعبيد وقال ولا تظلمون فتيلا فاخبر بتحريمه على نفسه ونفي عن
نفسه فعله وارادته وللناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزه عن
فعله وارادته ثلاثة اقوال بحسب اصولهم وقواعدهم احدها انه نظير الظلم من
الادميين بعضهم لبعض فشبهوه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضربوا له
من قبل انفسهم الامثال فصاروا بذلك مشبهة ممثلة في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل
الاعلى الذي اثبته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه في افعاله بخلقه كما ان الجهمية المعطلة
امتنعت من اثبات المثل الاعلى الذي اثبته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه في صفاته
بالجمادات الناقصة بل بالمعدومات واهل السنة نزهوه عن هذا وهذا واثبتوا ما
اثبته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ونزهوه فيما عن التشبيه والمثال فاثبتوا
له المثل الاعلى ولم يضربوا له الامثال فكانوا اسعد الناس بمعرفته واحقهم بولايته ومحبته
وذكر فضل السريوتية ثم قال ثم التزم اصحاب هذا التفسير عند من اللوازم الباطلة ما لا قبل
لهم به فقالوا اذا امر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تحامز وجوه الاعانة فقد ظلمه والتزموا
انه لا يقدر ان يهدي ضالا كما زعموا انه لا يقدر ان يضل مهتديا وقالوا انه اذا امر اثنين بامر واحد

التشبيه ع

وقد القديم محدثا والمحدث قديما فما يتنزه كلام آحاد العقلاء عما تسمته ظلما وعما نفى خوفه على
العبد فكيف بكلام رب العالمين قالوا واما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على انه سبحانه لا عذبهم
فانهم عباده وانه غير ظالم لهم وانه لا يسئل عما يفعل وانه قضاه فيهم عدل وبمناظرة ايأس
للقدرية فهذه النصوص وامثالها كلها حق يجب القول بموجبها وبما تحوى معانيها والكل من
عند الله ولكن اي دليل فيها يدل على انه يجوز عليه تعالى ان يعذب اهل طاعته وينعم اهل معصيته
وينعم بغير جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة
وكمال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضعه العقوبة
والثواب مواضعهما وانه لم يعذب بهما عدا مستحقهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته
وانفراده بالربوبية والحكم وانه ليس فوقه آمر ولا ناه يتعقب افعاله بسؤال وانه لو عذب اهل
سمواته وارضه لكان ذلك تعذيبا لهم عليهم وكانوا اذ ذاك مستحقين للعذاب لاداء اعمالهم لا تفي
بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمة منه وفضل فرحمته لهم ليست في مقابلة اعمالهم ولا هي ثمنا لها فانها خير منها كما قال في الحديث
نفسه ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من اعمالهم فجمع بين الامرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم
باستحقاقهم ولم يكن ظالما لهم وانه لو رحمهم لكانت رحمته محض فضله وكرمه لا باعمالهم اذ رحمته خير لهم من
اعمالهم وطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها ولا للقليل منها فكيف
يستحق بها على الله النجاة وطاعة المطيع لا نسبة لها الى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تتقاضاه
شكرا والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه بجميع عباده تحت عفوه ورحمته وفضله
فما نجى منهم احد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه
حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لانهم حيث كونه قادرا عليهم وهم ملكه بل
لاستحقاقهم ولو رحمهم لكانت رحمته بفضله لا باعمالهم ويأتي لذلك تحرير مزيد والله اعلم

افعالنا معشر الخلق جميعها خيرها وشرها كبيرها وصغيرها **مخلوقة** ومصنوعة
لله تعالى خلقها واوجدها كما قال تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شيء وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم
والله خلقكم وما تعملون وكقوله تعالى الا له الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهل من خالق غير الله
والا لاهواء قال العلماء اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع على ان الخالق هو الله وما سواه وان الحوادث كلها
حادثة بقدرة الله ثم من غير فرق بين ما يتعلق بقدرة العبد وبين ما يتعلق به فهي مقدورة
بقدرة الله اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر والية الاشارة بقوله لكنها اي افعالنا

وخص احدهما باعانته على فعل المامور كان ظالما وانه اذا اشترك اثنان في ذنب يوجب العقاب
فعاقب باحدهما وعفى عن الاخر كان ظالما الى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها
ترك تسوية بين عباده في فضله واحسانه ظلما فعارضهم اصحاب التفسير الثاني وقالوا
الظلم المنزه عنه في الامور الممتنعة لذاته فلا يجوز ان يكون مقدورا لله تعالى ولا انه تركه لمشيئته
واختياره وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقد القديم محدثا
والمحدث قديما ونحو ذلك مما لا يقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس
بظلم سواء فعله او لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من اهل العلم وشرح الحديث به واسندوا
ذلك وقووه بايات واثار ورد بعضها الشاذ عليه كقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك يعني لهم تتصرف
في غير ملكك بل انما عذبت من ملكك وعلى هذا فيجوز ان تعذيب كل عبد له ولو كان محسنا ولم يتولد ذلك
ظلما وبقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وبقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لو عذب
اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم وبما روي عن ايأس بن معاوية قال ما ناظرت
بعقلي كله احدا الا المقدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تاخذ ما ليس لك وان تتصرف فيما
ليس لك قلت فلله كل شيء والتزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز
عليه ان يعذب انبياءه ورسله وملائكته واولياءه واهل طاعته ويخلدهم في العذاب الاليم
ويكرم اعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بمحبته وكرامته وكلاهما عدل
وجائز عليه وانه يعلم انه لا يفعل ذلك لمجرد خبره فصار ممتنعا لاخباره انه لا يفعله لا لمنافاته
حكمته ولا فرق بين الامرين بالنسبة اليه ولكن اراد هذا واخبر به واراد الاخر واخبر به فوجب
هذا الارادة وخبره وامتنع ضده لعدم ارادته واخباره بانه لا يكون والتزموا ايضا انه
يجوز ان يعذب الاطفال الذين لا ذنب لهم اصلا ويخلدهم في الجحيم وربما قالوا انه وقوع ذلك
فانكروا على الطائفتين معا اصحاب التفسير الثالث وقالوا الصواب الذي دلت عليه النصوص
ان الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلا وارادة هو ما فسره به سلف الامة
والمتبعون لهم ان يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا كسب له فيه ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من
حسناته فلا يجازى بها او بعضها اذا قارنها او طرأ عليها ما تقتضي ابطالها او اقتضاص
المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما قال السلف والمغفرة لا تخافا فلا يحمل عليه سيئات غيره ولا
ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه واما الجمع بين النقيضين

وقيل

بجنته

التي تصدر عنا في بادي الراي كسبا لنا معنى الخلق والكسب في اصطلاح المتكلمين ما وقع من الفاعل
مقارنا لقدرة محدثة واختيار وقيل هو ما وجد بقدرة محدثة في المكتسب وقال العلامة
ابن حمد الامر علمائنا الكسب هو ما خلقه الله في محل قدرة المكتسب على وفق ارادته في كسبه وقال
العلامة شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح لمعة صفحة ١٥٠ فسر والكسب بما قارن القدرة المحدثة
في محلها ومجرد المقارنة لا يعني القدرة عن غيرها فان الفعل يقارنه العلم والارادة وغير ذلك
قالوا والقدرة هي التمكن من التصرف وقيل سلامة البنية وقال القاضي الامام من علمائنا
خلق الشيء بقوله كن وهو قائم بالله غير بائن منه ومراده وقال شيخ الاسلام روح الله روحه
فيما كتبه على حسن الارادة الله تعالى الكسب عند القائلين به عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة
المحدثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة وقالوا ايضا الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة
عليه والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه وقوله يا لاهي تكملة للبيت بالاتيان بالقافية
واشارة الى الحث على المبادرة في الدأب في الطاعة وعدم الخلود الى الراحة وقيل الغفلة عن اللهو و
اللعب يقال لهى لهو اللعب كالتهى والهاه ذكره الملاهي الآلة قال النسفي في عقايده كغيره
من علماء السنة وللعباد افعال اختيارية يثابون بها ان كانت طاعة ويعاقبون عليها ان كانت
معصية لا كما زعمت الجبرية انه لا فعل للعبد اصلا وان حركاته بمنزلة حركات الجماد لا قدرة لها
عليها ولا قصد ولا اختيار وهذا باطل لانا نفرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة الارتعاش
ونعلم ان الاول باختياره دون الثاني ولانه لو لم يكن للعبد فعل اصلا لما صح تكليف ولا ترتب
استحقاق الثواب والعقاب على افعاله ولا اسناد الافعال التي تقتضي سابقة القصد والاختيار
اليه على سبيل الحقيقة مثل صلى وصام وكتب بخلاف مثل طال واسود لونه والنصوص القطعية
تنفي ذلك كقوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الى غير ذلك قال المحقق
السعد التفتازاني فان قيل بعد تعميم علم الله تعالى والارادة الجبر لازم قطعا لانهما اما ان
يتعلقا بوجوب الفعل فيجب او بعدمه فيمتنع قلنا يعلم ويريد ان العبد يفعله او يتركه
باختياره فلا اشكال فان قيل لا معنى لكون العبد فاعلا بالاختيار الا كونه موجدا
لافعاله بالقصد والارادة وقد سبق ان الله تعالى مستقل بخلق الافعال وايجادها ومعلوم
ان المقدور الواحد لا يدخل تحت قدرتين مستقلتين قال التفتازاني قلنا الكلام في قوة هذا
الكلام ومتانته الا انه لما ثبت بالبرهان ان الخالق هو الله تعالى وبالضرورة ان لقدرة العبد
وارادته مدخلا في بعض الافعال كحركة البطش دون البعض كحركة الارتعاش احتجنا

في التنصي

في التنصي عن هذا المضيق الى القول بان الله خالق والعبد كاسب وايجاد الله تعالى الفعل عقيب
ذلك خلق والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين لكن بجهتين مختلفتين فان الفعل مقدور لله
بجهة الايجاد ومقدور العبد بجهة الكسب وهذا القدر من المعنى الضروري وانا لم نقدر
على ازيد مما ذكر في تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون العبد كاسبا لخلق الله وايجاده
مع ما للعبد من القدرة والاختيار ومعاملة ما لهم في الفرق بين الخلق والكسب ان الكسب مع
الة والخلق بلا الة والكسب لا يصح انفراد القادر به والخلق يصح فان قيل قد اثبتم ما نسبتم
الى المعتزلة من اثبات الشركة قلنا الشركة لا يجتمع اثنان على شيء وينفرد كل منهما بما هو له دون
الآخر كشركة القرية والمحلة كما اذا جعل العبد خالقا لافعاله والصانع خالقا لسائر الاعراض
والاجسام بخلاف ما اذا اضيف امر الى شيئين بجهتين مختلفتين كالارض تكون ملكا لله تعالى
بجهة التخليق وللعباد بجهة ثبوت التصرف وكفعل العبد ينسب الى الله تعالى بجهة الخلق
والى العبد بجهة الكسب فان قيل فلم كان الكسب قبيحا سفيها موجبا لاستحقاق الذم بخلاف
خلقه قلنا لانه قد ثبت ان الخالق حكيم لا يخلق شيئا الا وله عاقبة حميدة وان لم نطلع
عليها فجوزنا بان ما نستقبحه من الافعال قد يكون له فيها حكم ومصالح كما في خلق الاجسام
الخبيثة الضارة الموذية بخلاف الكاسب فانه قد يفعل الحسن وقد يفعل القبيح فجعلنا
كسبه للقبيح مع ورود النهي عنه قبيحا سفيها موجبا لاستحقاق الذم والعقاب وكل ما اي
فعل او الذي يفعله العباد من طاعة وهي ما تكون متعلق المدح في العاجل او الثواب في
الآجل او اي وكلما يفعلونه من ضدها اي ضد الطاعة وهي المعصية يعني ما فيه ذم في
العاجل والعقاب او اللوم في الآجل مراد لربنا تعالى اي داخل تحت ارادته ومشيئته
فالله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير
وهو تعالى يحب المحسنين ويحب المتقين ويرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ومع كونه تعالى خالق كل شيء
وربه ومليكه فرق بين المخلوقات وميز بين اعيانها وافعالها كما قال فجعل المسلمين كالمجرمين
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
ساء ما يحكمون ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين
كالفجار وقال تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوي الاحياء ولا الاموات الى غير ذلك من الآيات مما يبين الفرق بين المخلوقات والاقسام

فان قيل كيف يصح ان يفعله العباد اختيارا ويشتهيه ويحبه ويرضاه ولنا فيما يفعلونه اختيارا ويشتهونه ويحبونه ويرضونه منقوض بما فيه ذم ومؤاخذة
ولنا ما يفعلونه اختيارا ويشتهونه ويحبونه ويرضونه من طاعة او ضدها هو مما يشاء الله تعالى ويحبه ويرضاه
ولنا ما يفعلونه من غير ما ذكر اختيارا ويشتهونه ويحبونه ويرضونه من طاعة او ضدها هو مما يشاء الله تعالى ويحبه ويرضاه

نخلق الى الشقي وسعيد كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال تعالى فريقا هدى و
وفريقا حق عليهم الضلالة ونظير هذا في القرآن كثير وما غيرها زائدة لتأكيد النفي اضطرارا
افتعال من الضر واصله مضترر فادغمت الراء وقلبت الطاء لاجل الضاد اي من غير الجاء
وجبر واكراه فالحق سبحانه خلق للانسان ما حصل كالفجار وصرفه فيما شاء من توبة
واصرار ووجوبة واستغفار وثنى عنانه الى المراد له بقوة اقتدار ما غير اكراه ولا اجبار
ولا اضطهاد ولا اضطرار بل خلق له قدرة ونوع اختيار ففعل الفعل ويوقعه باذن
القادر الجبار وقوله منه اي من غير اضطرار من الله تعالى لنا معشر العباد بل خلق فينا قدرة و
اقدرنا على ايقاع افعالنا بالاذن منه والتمكن لنا من التوصل الى امتثال الاوامر والانكفاف
عن مواقع الزواجر فلقدرة العبد تاثير في ايجاد فعله لا بالاستقلال ولا باستبداد بل بالاعانة
والاذن والتمكن من الفاعل المختار لحوادث فافهم فهما اذعانا وتحقيقا وتحريرا وتدقيقا تقال
فهم الشيء علما اذا عرفه بقلبه ولا تمار في علمك ولا تحار في فهمك بل كن مع الحق حيث كان
ولا تغتر بنحاتة الاوهام وزبالة الاذهان فما ثم الا النص الصريح والنقل الصحيح دون
المحال وما بعد الحق الا الضلال فلا تكن امعة في هذا الباب وتخلد الى الدعة فيحيق بك
العذاب والمر الجدال والممارات المجادلة على مذهب الشك والريبة وتقال للمناظرة
مماراة كأن كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويتمريه كما يمترى الحالب اللبن من الضرع
وقد روى ابو داود وابن حبان في صحيحه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر رواه الطبراني وغيره ومن حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه
قال في النهاية قيل اراد المراء والجدال في الايات التي في ذكر القدر ونحوه من المعاني على
مذهب اهل الكلام واصحاب الاهواء والآراء دون ما تضمنته من الاحكام وابواب الحلال
والحرام فانه قد جرى بين الصحابة فمن بعدهم من العلماء وذلك فيما يكون الغرض فيه
والباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة وروى ابو داود والترمذي واللفظ له
وابن ماجة والبيهقي وحسنه الترمذي من حديث ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وما تركه وهو محق
بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في اعلاها ورواه الطبراني في الاوسط
من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا زعيم ببيت
في الجنة لمن ترك المراء وهو محق وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وهو مازح وببيت

في اعلاه

منه لنا فافهم وللاتمار

في اعلا الجنة لمن حسنت سيرته وربض الجنة بفتح الراء والباء الموحدة وبالضاد المعجمة ما
حولها وهذا المقام زلت فيه اقدام وضلت فيه طوائف من اهل الكلام والتصوف وصاروا
الى ما هو شر من قول المعتزلة ونحوهم وحاصل ذلك ان الناس انقسموا الى طرفي تفريط وافراط ووسط
اما المفرطون في القدرية بعظموا الامر والنهي والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا في القدر واعتقدوا انهم اذا ابتلوا بمشيئة عامة و
قدرة تامة وخلقا متنا ولا كل شيء لزم من ذلك القدح في عدل الرب تعالى وحكمته وغلطوا
في ذلك والقدرية متفقون على ان العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة وعندهم
ان الله تعالى ما احدث هذا ولا هذا بل امر بالطاعة ونهى عن المعصية وليس عندهم لله تعالى نعمة
على عباده المؤمنين في الدين الا وقد انعم عليهم بها على الكفار فعندهم ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
وابا لهب مستويان في نعمة الله تعالى الدينية اذ كل منهما ارسل اليه الرسول واقدر على الفعل
لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير ان يخصه بنعمة امر بها وهذا فعل الكفر بنفسه من غير
ان يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا خصه بنعمة آثره لاجلها وعندهم ان الله تعالى حبب
الايمان الى الكفار كابي لهب وامثاله كما حببه للمؤمنين كعلي رضي الله عنه وامثاله وزينه في قلوب
الطائفتين وكره الكفر والفسوق والعصيان اليهما بالسوية الكل هو لاء كرهوا ما كرهه الله تعالى
اليهم بغير نعمة خصهم بها وهو لاء لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم قال شيخ الاسلام ابن تيمية
روح الله روحه من توهم منهم او من نقل عنهم ان الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل
بمذهبهم فانه لم يقل احد من علماء القدرية ولا يمكن ان يقولوه فان اصل قولهم ان فعل العبد
للطاعة كفعله للمعصية كلتاهما فعله بقدرة تحصل له من غير ان يخصه الله تعالى بارادة
خلقها فيه تختص باحدهما ولا قوة جعلها فيه تختص باحدهما فمن احتج منهم بقوله تعالى ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك على مذهبهم فانه جاهل بمذهبه وكانت
الاية الكريمة حجة عليهم لانهم ان قالوا كل من عند الله وعندهم ليس الحسنات المفعولة
ولا السيئات المفعولة من عند الله بل كلاهما من العبد والله سبحانه وتعالى ذكر هذه الاية الكريمة
ردا على من يقول الحسنة من الله والسيئة من العبد قال ولم يقل احد من الناس ان الحسنة المفعولة
من الله والسيئة المفعولة من العبد قال شيخ الاسلام في شرح الاصفهانية واثبتت القدرية
من المعتزلة ونحوهم ما في الحيوان من القدرة والاختيار والافعال دون سائر القوى والطبائع
والافعال التي فيها وفي غيره من الاجسام وغلوا في افعال الحيوان حتى جعلوها تحدث بلا سبب

محدث لها كما زعمه الفلاسفة في الحركة الفلكية وجعل اكثرهم ما يحدث بسبب منه ومن غيره فعلا
يسمونها الافعال المتولدة كالشبع عقب الاكل والري عقب الشرب وخروج السهم عقب النزع
وحصول الموت عقب الضرب ونحو ذلك وهؤلاء القدرية تارة يثبتون احداثا بلا محدث وممكنا
يرجح وجوده على عدمه بلا مرجح لحدوث فعل الحيوان وتارة يضيفون الحادث الى البعض
اسبابه دون سائر اسبابه كاضافة المتولدات الى فعل المباشر دون غيره وتارة ينكرون
الاسباب كانكارهم ما في الاجسام من القوة الطبيعية غير الارادية والاسباب الثابتة وهي حادثة
باحداث الله تعالى وهي مفتقرة الى اسباب اخر ولها موانع وهؤلاء ينفون بعضها ويجعلون
بعضها حادثا بغير احداث الله تعالى ويجعلون ذلك المحدث مستقلا لا يفتقر الى مشارك
قال شيخ الاسلام قدس الله روحه وقول هؤلاء القدرية شر من قول الجبرية من بعض
الوجوه فان قول الجبرية كما يأتي يتضمن ترجيح احد المتماثلين بلا مرجح وحدوث الحوادث بلا
سبب اصلا وقول القدرية يتضمن ذلك ويزيد عليه بانه يتضمن حدوث جميع الحوادث
بلا محدث اصلا ويتضمن اضافتهم الحوادث الى ما لا يعلم ثبوته بل يعلم انتفاؤه من الاسباب ويضمن
انهم يجعلون السبب مستقلا بالاحداث مع افتقاره الى شريك يعاونه ومانع يعارضه
وافتقاره الى محدث يحدثه فلا يثبتون لا محدثا ولا شريكا ولا مانعا بل يضيفون الى السبب
المحدث الذي لا شريك له وموانع وحصول ما اثر به موقوف على فعل الله تعالى فيضيفون البديع هذا
ما هو مخلوق للرب الذي لا شريك له ولا ضد له ولا رب سواه ولهذا كان الحاد هؤلاء ظاهرا
عند اهل الملة بخلاف الملاحدة فانهم معدودون من اهل البدع قال وهذا المقام من اعظم
المقامات التي اضطرب فيها مبتدعة المتكلمين وملاحدة الفلاسفة حتى ان الرجل الواحد
يصنف الكتب المتعددة فينصر قول هؤلاء في كتاب كما يقع في كتب الرازي والآمدي وابي حامد
وغيرهم تنبيهات الاول اول من تكلم في القدر معبد الجهني وكان اولا يجلس الى الحسن البصري
ثم سلك اهل البصرة بعده مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله وقيل بل اول من تكلم فيه معبد
ابن عبد الله بن عويمر قاله السمعاني وبعض علماء الاشاعرة وغيرهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية
رحمه الله في كتابه الرد على الشماخ اول من ابتدع بالعراق رجل من اهل البصرة يقال له سيسويه
من ابناء المجوس وتلقاه عنه معبد الجهني وقال العلامة الطوفي في شرح ثانية شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه كان اول من تكلم في القدر بالبصرة سوسن رجل من ابناء المجوس ثم
معبد الجهني واخذ عنه رجل يدعى معبدا ويقال اول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة

فقال رجل

فقال رجل احترقت بقدر الله تعالى فقال اخر لم يقدر الله هذا ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين
احد ينكر القدر فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رد عليهم من بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وواثلة بن الاسقع رضي الله عنهم وكان اكثره بالبصرة والشام وقليل منه
بالحجاز فاكثر كلام السلف في ذم هؤلاء القدرية ولهذا قال وكيع ابن الجراح القدرية السلف صح
يقولون الامر مستقبل واذا الله لم يقدر الخطايا والاعمال والرجئة يقولون القول يجزي عن
العمل والجهمية يقولون المعرفة تجزي عن القول والعمل قال وكيع هو كله كفر قال شيخ الاسلام
ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من اهل النظر والعبادة صار جمهور القدرية
يقرون بتقدم العلم وانما ينكرون عموم المشيئة والخلق وعن عمرو بن عبيد انكار الكتاب
المتقدم والسعادة رواية الثاني القدرية فرقتان الاولى تنكر ما ذكرنا من سبق العلم
بالاشياء قبل وجودها وتزعم ان الله لم يقدر الامور ازلا ولم يتقدم علمه بها وانما
يتنفها علما حال وقوعها وكانوا يقولون ان الله امر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يطيعه
ممن يعصيه ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك فعلمه بعد ما فعلوه وهذا
قالوا الامر انف اي مستانف يقال روضة انف اذا كانت وافية لم ترع قبل ذلك يعني
انه مستانف العمل السعيد والشقي ويبتدئ ذلك من غير ان يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب
فلا يكون العمل على ما قدر فيحتاج ان يبتدئ الحدث والتقدير بل هو امر مستانف مستأنف والواحد
من الناس اذا اراد ان يعمل عملا قدر في نفسه ما يريد عمله ثم يوقعه كما قدر في نفسه وزعموا
اظهر ما قدروه في الخارج بصورته ويسمى هذا التقدير الذي في النفس خلقا ومنه قول الشاعر
ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري يقول اذا قدرت امرا
امضيته وانفذته بخلاف غيرك فانه عاجز عن امضاء ما يقدره والرب تعالى قال الله تعالى
انا كل شيء خلقناه بقدر وهو سبحانه يعلم قبل ان يخلق لما شاء كلما سيكون وهو يخلق بمشيئته
هو يعلم ويريد وارادته لها قائمة بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله لها لا ملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقال ولو لا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى
وقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وقال ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فانهم فيه
مختلفون وهو سبحانه كتب ما يقدره وفيما يقدره فيه كما قال تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى

خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال العلم كل كتابا فكانا كتابا ثم انزل تصديق ذلك في هذه الاية
وفي الاية الاخرى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك
على الله يسير قال العلما والمنكرون لهذا انقرضوا وهم الذين كفرهم عليه الامام مالك والامام الشافعي
والامام احمد وغيرهم من الائمة رضي الله عنهم وهم الذين قال فيهم الشافعي انما سلم القدرية العلم خصموا
يعني يقال لهم ايجوز ان يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم فان منعوا وافقوا اهل السنة وان
اجازوا لزمهم نسبة الجهل الى الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وقد قال الامام احمد رضي الله عنه
في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم الاية هذه حجة على القدرية قال الامام
المحقق ابن القيم في البدايع اراد القدرية المنكرة للعلم بالاشيا قبل كونها وهم غلاتهم الذين
كفرهم السلف والا فلا تعرض فيها لمسئلة خلق الافعال انتهى قال المرتضى قد انقرض هذا
المذهب فلا تعرف احد ينتسب اليوم من المتاخرين الثانية من فرقتي القدرية المقرون بالعلم
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري القدرية اليوم مطبقون على ان الله عالم بافعال العباد قبل
وقوعها وانما خالفوا السلف في زعمهم بان افعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال
وهو مع كونه مذهبا باطلا اخف من المذهب الاول قال والمتاخرون منهم انكروا تعلق الارادة
بافعال العباد فرارا من تعلق القديم بالمحدث قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه
واما هؤلاء يعني الفرقة الثانية فانهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا من نزلة اولئك قال وفي
هؤلاء خلق كثير من العلما والعباد كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم لكن من كان
داعية لم يخرج حوالة وهذا مذهب فقهاء الحديث كالامام احمد وغيره ومن كان داعية الى البدعة
فانه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس وان كان في الباطن مجتهدا فاقل عقوبته ان يهجر فلا
يكون له مرتبة في الدين فلا يؤخذ عنه العلم ولا يستفتى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك ولهذا
لم يخرج اصحاب الصحيح لمن كان داعية ولكن روى لهم وسائر اهل العلم عد كثير مما كان
يرى في الباطن راي القدرية والمرجئة والخوارج والشيعة وقال الامام احمد رضي الله عنه لو تركنا
الرواية عن القدرية لتركنا اكثر اهل البصرة قال شيخ الاسلام روح الله روحه وبرد مضجعه
هذا الان مسئلة خلق افعال العباد وارادة الكائنات مسئلة مشكلة ولهذا القدرية من المعتزلة
وغيرهم اخطوا فيها وقد اخطا ايضا كثير ممن رد عليهم لانهم سلكوا في ردهم عليهم مسلكا جروهم من صفو الايمان
واتباعه فنفوا حكمة الله في خلقه وامره ونفوا رحمته بعباده وتوفيقه ما جعله الله سبحانه من الاسباب
خلقا وامرا وغير ذلك وهؤلاء القدرية وطوائف التعريف بحيث انهم نفوا ان يكون الله تعالى خالقا

لافعال

لافعال عباده فاثبتوا خالقا غيره مستقلا بالخلق والامر دون الله تعالى عما يشركون وبالله التوفيق

الثالث في بعض ما ورد في ذم القدرية من الاثار والاخبار وما ردوه عليهم من الصحابة والاخيار
والائمة الابرار روى مسلم والنسائي وابو داود والترمذي عن يحيى بن يعمر قال كان اول من قال
في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت انا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين او معتمرين
فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما داخلا المسجد فاكتنفته انا وصاحبي احدنا عن يمينه والاخر عن شماله
فظننت ان صاحبي سيكل الكلام الي فقلت يا ابا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن
ويتقفرون العلم وذكر من شانهم وانهم يزعمون ان لا قدر وان الامر انف فقال اذا لقيت اولئك
فاخبرهم اني بريء منهم وانهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل احد
ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم ساق حديث جبريل عليه السلام وفيه وتؤمن
بالقدر خيره وشره وزاد في رواية وحلوه ومره الحديث وفي رواية ابي داود عن يحيى بن يعمر
وحميد بن عبد الرحمن قال لقينا ابن عمر فذكرنا القدر وما يقولون فيه فذكر نحوه وزاد قال وساله
رجل منهم فقال يا رسول الله فيما نعمل في شيء خلا ومضى او شيء مستانف قال
في شيء خلا ومضى فقال الرجل او بعض القوم ففيم العمل قال اهل الجنة ميسر وبعمل اهل الجنة
وان اهل النار ميسر وبعمل اهل النار وعند ابي داود ايضا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه واصله
في الصحيحين وفيه قال يا محمد اخبرني عن الايمان قال ان تؤمن بالله والملائكة والكتاب والنبيين
وتؤمن بالقدر قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال صدقت واخرج
الترمذي من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن
باربع يشهد ان لا اله الا الله وانني محمد رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد
الموت ويؤمن بالقدر وفي صحيح مسلم عن ابي الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس
اليوم ويكدحون فيه شيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به
نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال فقال فلا يكون ظلما قال ففزعت
من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك الله فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال يرحمك الله
اني لم ارد بما سالتك الا لاحرز عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون
مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال كل بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في

كتاب الله تعالى وفسروها فالهم فجورها وتقواها وفي اوسط الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
مرفوعا القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى وآخره
ابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا القدر سر الله وفي الجامع الكبير عن كاريث
قال جاء رجل الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر
قال طريق مظلم لا تسلكه قال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر قال بحر عميق لا تلجه قال يا امير المؤمنين
اخبرني عن القدر قال سر الله خفي عليك فلا تفتشه قال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر وساق
الكلام في جواب السائل الى ان قال لها السائل تقول لا حول ولا قوة الا بالله قال الا بالله العلي العظيم
قال افتعلم ما في تفسيرها قال تعلمني جعلت فداك يا امير المؤمنين قال ان تفسيرها لا يقدر
على طاعة الله ولا تكون له قوة في معصية الله في الامرين جميعا الا بالله ايها السائل الكريم الله
مشيئة او فوق الله مشيئة او دون الله مشيئة فان قلت ان لك دون الله مشيئة اكتفيت
بها عن مشيئة الله وان زعمت ان لك فوق الله مشيئة فقد ادعيت ان قوتك ومشيئتك
غالبتا على قوة الله ومشيئته وان زعمت ان لك مع الله مشيئة فقد ادعيت مع الله شركا
في مشيئته الاثر المروي بطوله ولما اخبار والآثار في هذا الباب كثيرة جدا واما ذم القدرية
فقد اخرج ابو داود في سننه والحاكم في مستدركه عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القدرية مجوس هذه الامة ورواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم
قال الحافظ بن حجر ورجاله من رجال الصحيحين لكن ذكر الحافظ المنذري ان في سنده انقطاعا
وقد اجاب عنه بانه ابو الحسن بن القطان الفاسي الحافظ صحح سنده وقال انه اباحازم عاصر
ابن عمر وكان معه بالمدينة ومسلم يكتفي في الاتصال بالمعاصرة فهو صحيح على شرط مسلم قلت
وقد اخرج الحديث الامام الحافظ ابن الجوزي في كتابه الموضوعات من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ولفظه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة القدرية فلا تعودوهم اذا مرضوا
ولا تصلوا عليهم اذا ماتوا ورواه ابن عدي وحكم عليه بالوضع وتعقبه السيوطي بان جعفر بن الحارث
الذي اعله به قد وثقه ابن عدي فقال الحمد لله احاديثه حديثا منكرا رجو انه لا باس به وقال البخاري
حفظه شيء يكتب حديثه والحديث وان كان بهذا اللفظ من حديث حذيفة اخرجه ابو داود وجابر
ابن عبد الله اخرجه ابن ماجه وعبد الله بن عمر اخرجه الامام احمد والبخاري في تاريخه والطبراني في
الاوسط واللالكائي في السنة باسانيد بعضها على شرط الصحيح وسهل بن عبد الله اخرجه
الطبراني في الاوسط واللالكائي ايضا وانس اخرجه الطبراني وابن عباس اخرجه اللالكائي وورد
عن عمر موقوفا اخرجه اللالكائي وآخرون وذكر الطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه

والحاكم

والحاكم وقال صحيح الاسناد قال الحافظ المنذري ولا اعرف له علة غير ام المؤمنين عائشة الصديقة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة لعنتهم ولعنهم كل نبي مجاب الزائد في كتاب الله
عز وجل والمكذب بقدر الله والمتسلط على امتي بالجبروت ليذل من اعز الله ويعز من اذل الله
والمستحل حرمة الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك للسنة وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
مرفوعا تكون في امتي قدرية ثم تكون فيهم زنادقة ثم تكون فيهم مجوسا وان الكرامة مجوس امتي المكذبة
بالقدر فان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم ولا تتبعوا لهم جنازة قال الخطابي
انما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين وهما النور والظلمة زعموا
ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فضارا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله
والشر الى غيره والله تعالى خالق الامرين معا وكذا قال ابن الاثير في جامع الاصول والقدرية
في اجماع اهل السنة والجماعة هم الذين يقولون الخير من الله والشر من الانسان وان الله لا يريد افعال
العصاة وسموا بذلك لانهم اثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى
ونفوا ان تكون الاشياء بقدر الله وقضائه قال وهؤلاء مع ضلالتهم يضيفون الاسم الى
مخالفهم من اهل الهدى فيقولون انتم القدرية حين تجعلون الاشياء جارية بقدر من الله كما
وانكم اولى بهذا الاسم منا ولانكم تثبتون القدر وتخترعونه ومثبته احق بالنسبة اليه من نافيه
فانتم الداخلون تحت وعيد الحديث دوننا فاجابهم المثبتون بانكم اولى بذلك لانكم تثبتون القدر
لانفسكم وتخترعونه وتنفونه عن انفسنا ومثبت الشيء لنفسه اولى بالنسبة اليه ممن نفاه عن نفسه وايضا
هذا الحديث يبطل ما قالوه فانه قال صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة ومعنى ذلك انهم
لما بهتهم المجوس في مذهبهم وقولهم بالاصلين وهما النور والظلمة وتقدم كلام شيخ الاسلام
فلا تهمل وبالله التوفيق واما المفرطون في الجبرية وهم الذين يزعمون ان لا فعل للعبد اصلا وان
حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة له عليها ولا قصد ولا اختيار فاثبتوا ان الله تعالى خالق
كل شيء وربه ومليكه وهذا جيد لكن نفوا تاثير الاسباب والحكم في الجماد والحيوان وانكروا ان
يكون للعبد فعل ان من الانسان او غيره فعل يفعله بقدرته وحقيقة قول هؤلاء ترجيح باحد
المماثلين بلا مرجح وحدوث الحوادث بلا سبب اصلا قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه
قابل القدرية قوم من العلماء والعباد واهل الكلام والتصوف فاثبتوا القدر وآمنوا بان الله
خالق كل شيء وربه ومليكه وانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن وهذا حسن لكنهم قصروا في
الامر والنهي والوعد والوعيد وافرطوا حتى غلا بهم الامر الى الالحاد فصار وامن جنس المشركين الذين
قالوا لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء قال فاولئك القدرية وان كانوا

الكتاب ملين

يشبهون المجوس من حيث انهم اثبتوا فاعلا ما اعتقدوه شرعا غير الله سبحانه فهؤلاء شابهوا المشركين
الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء فالمشركون شر من المجوس واما المجوس
يقرون بالجزية باتفاق المسلمين حتى ذهب بعض العلماء الى حل نسائهم وطعامهم واما المشركون فاتفقت
الائمة على تحريم نكاح نسائهم ومذهب الامام احمد في المشهور عنه والشافعي وغيرهما انهم لا يقرون
بالجزية فجمهور العلماء ان مشركي العرب لا يقرون بالجزية والمقصود انه من اثبت القدر واحتج به على ابطال
الامر والنهي فهو شر ممن اثبت الامر والنهي ولم يثبت القدر قال شيخ الاسلام وهذا متفق عليه بين
المسلمين وغيرهم من اهل الملل بل بين جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد بالربوبية العامة
لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المامور والمحظور والمؤمن والكافر واهل الطاعة واهل المعصية
لم يؤمن باحد من الرسل ولا بشيء من الكتب وكان عنده آدم وابليس سواء ونوح وقومه سواء وموسى
وفرعون سواء والسابقون الاولون وكفار مكة سواء وهذا الضلال قد كثر في كثير من اهل التصوف
والزهد والعبادة ولا سيما اذا قرنوا به توحيد اهل الكلام المثبتين للقدر والمشيئة من غير اثبات
المحبة والبغض والرضا والسخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد الربوبية واما الالهية
فهي عندهم القدرة على الاختراع وعندهم مجرد الاقرار بانه الله رب كل شيء كاف لا يدعون التحقيق
والفناء في التوحيد ويقولون ان هذا نهاية المعرفة وان صاحب هذا المقام لا يستحسن حسنة
ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة وهذا الموضع وقع فيه من
الشيوخ الكبار من شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله وغاية توحيد هؤلاء توحيد المشركين
الذين كانوا يعبدون الاصنام الذين قال الله فيهم قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون
لله قل افلا تذكرون الايات ونحوها فان هؤلاء المشركين كانوا مقرين بان الله خالق كل شيء والسموات
والارض وبيده ملكوت كل شيء وكانوا مقرين بالقدر وهو معروف عنهم في النظم والنثر ومع هذا
فلم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له بل عبد واغيره كانوا مشركين شر من اليهود والنصارى
فمن كان غاية توحيده ومنتهى تحقيقه هذا التوحيد كان توحيده من توحيد المشركين
قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا المقام مقام واد عقام زلت فيه اقدام
وضلت فيه افهام وبدل فيه دين الاسلام والتبس فيه اهل التوحيد باهل الشرك والالحاد
على من يدعي نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله انه المعتزلة والشيعة والقدرية المثبتين للامر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوي
بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق والمتنبي الكاذب واولياء الله واعدائه
بل هم احق من المعتزلة بالذم كما قال الامام ابو محمد الخلال في كتاب السنة عن المروذي قال قلت
لابي عبد الله يعني الامام احمد رضي الله عنه رجل يقول ان الله اجبر العباد على المعاصي فقال هكذا

لا تقول

لعله من الحبوب غير الله

لا تقول وانكر ذلك وقال يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وانكر سفيان الثوري ايضا على
من قال جبر وقال ان الله تعالى اجبل العباد وقال المروذي اراد قول النبي صلى الله عليه وسلم
لاشج عبد القيس يعني قوله ان فيك لخلقين يحبهما الله تعالى الحلم والاناءة فقال اخلقين
تخلقت بهما ام خلقين جبلت عليهما فقال بل خلقين جبلت عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني
على خلقين يحبهما وذكر عن ابي اسحق الفزاري قال قال لي الاوزاعي اتاني رجلان فسالاني
عن القدر فاجبت ان آتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبهما فقلت رحمك الله انت اولى بالجواب
قال فاتاني الاوزاعي ومعه الرجلان فقال تكلما فقالا اقدم علينا ناس من اهل الشرك فنازعونا
في القدر ونازعناهم حتى بلغ بنا وبهم الجواب الى ان قلنا ان الله تعالى جبرنا على ما نحن عليه
وحال بيننا وبين ما امرنا به ونزقنا ما حرم علينا فقلت يا هؤلاء ان الذين انوكم بما
انوكم به قد ابتدعوا ابتدعة واحدثوا احداثا واني اراكم قد خرجتم من البدعة الى مثل ما خرجوا
اليه فقال يعني لما وزاعي اصبت واحسنت يا ابا اسحق وذكر الخلال عن بقية بن الوليد
قال سالت الاوزاعي ومعاوية بن يحيى عن الجبر فقال الزبيدي امر الله اعظم وقدرته اعظم من ان يجبر او
يعضل ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجعل عبده على ما احب وقال الاوزاعي ما اعرف للجبر اصلا
من القرآن ولا السنة فاهاب ان اقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجعل فهذا هو
يعرف في القرآن والحديث قال شيخ الاسلام ادخل الخلال وغيره من علماء الاسلام القائلين
بالجبر في مسمى القدرية وان كانوا لا يحتجون بالقدر على المعاصي فكيف لمن يحتج به على المعاصي
ويدخل في ذم اهل العلم من يحتج بالقدر على اسقاط الامر والنهي اعظم ممن يدخل فيه المنكر فان
ضلال هذا اعظم قال شيخ الاسلام ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف
وروي في ذلك حديث مرفوع قلت وهو ما روي من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا
ان الله لعن اربعة على لسان سبعين نبيا قالوا من هم يا رسول الله قال القدرية والجهمية
والمرجئة والرافضة الحديث وفيه قلنا يا رسول الله ما المرجئة قال الذين يقولون الايمان قول
بلا عمل ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ومن حديث انس رضي الله عنه مرفوعا المرجئة والقدرية
والروافض والخوارج سلب منهم ربع التوحيد فيلقون الله كفارا خالدين مخلدين في النار اخرجه
ابن حبان وقال فيه محمد بن يحيى بن مرزبن دجال يضع الحديث وذكره ابن الجوزي في الموضوعات كلا
كلا من هاتين البدعتين تفسد الامر والنهي والوعد والوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد

وهو ترك الفرائض والمحارم والقدري يعني الجبري اذا احتج بالقدر كان عاصيا للمرجي واذا كذب بدعاي بالقدر
كان هو والمرجي متفقا بل هذا ابلغ في التشاديد حتى يجعل العبد لا يستعين بالله على فعل
ما امر به وترك ما نهي عنه وهؤلاء القدرية حقيقة وهذا يعني المرجي يبالغ في الناحية الاخرى
ومن المعلوم ان الله تعالى ارسل الرسل وانزل الكتب ليصدق الرسل فيما اخبروا وتطاع فيما امروا
كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
والايمان بالقدر من تمام ذكر فاذا اثبت القدر وجعل ذكره معارضا للامر فقد اذهب الاصل
قال شيخ الاسلام ومعلوم انه من اسقط الامر والنهي الذي بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق
المسلمين واليهود والنصارى بل هؤلاء قولهم متناقض لا يمكن احدهم ان يعيش به ولا تقوم
به مصلحة احد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر وان كان حجة فهو حجة لكل احد والافليس
هو حجة لاحد فاذا ظلم انسان ظالم او شتمه شاتم او اخذ ماله او افسد عياله فمتى لام احدا او ذمه
او طلب عقوبته ابطل الاحتجاج بالقدر قال ومدعي ان العارف اذا شهد القدر سقط عنه الامر
كان هذا من الكفر الذي لا يرضاه احد بل ذكر ممتنع في العقل محال في الشرع وقال تلميذه المحقق
ابن القيم في كتابه شرح منازل السائرين مشهد اصحاب الجبر وهم الذين يشهدون انهم مجبورون على
افعالهم والهاوافقة بغير قدرتهم واختيارهم بل لا يشهدون انها افعالهم البتة ويقولون
ان احدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر وان الفاعل فيه غيره والمحرك له سواه وانه آلة محضة
وحركاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات الاشجار وهؤلاء اذا انكرت عليهم افعالهم احتجوا بالقدر
وحملوا ذنوبهم عليه وقد يغلون في ذلك حتى يرون افعالهم كلها طاعات خيرها وشرها لموافقتها
المشيئة والقدر ويقولون كما ان موافقة الامر طاعة فموافقة المشيئة طاعة كما حكى الله عن المشركين
انهم جعلوا مشيئة الله لافعالهم دليلا على امره بها ورضاه بها قال وهؤلاء شر من
القدرية النفاة واشد عداوة لله ومناقضة لكتبه ورسله ودينه حتى ان منهم من يعتقد
عن ابليس لعنه الله ويتوجع له ويقيم عذره بجهده وينسبون ربه الى الظلم بلسان الحال والمقال
ويقول اما ذنبه وقد صانه وجهه عن السجود لغير خالقه وقد وافق حكمه ومشيئته فيه وارادته
منه ثم كيف يمكنه السجود وهو الذي منعه منه وحال بينه وبينه وهل كان ذلك في ترك سجوده
لغيره محسنا ولكن اذا كان المحق قليل الحظ فما حسنات الاذنوب قال ابن القيم رحمه الله تعالى
وهؤلاء اعداء الله حقا واولياء ابليس واحباؤه واخوانه واذا تأملت منهم ناتج على ابليس رأيت
من البكاء والحنين امرا عجيبا ورأيت من تظلم الاقدار والهائم الجبار ما يبدأ على قلبات السنتهم

وصفحات

وصفحات وجوههم وتسمع من احدهم من التظلم والتوجع ما تسمعه من الخصم المغلوب العاجز عن خصمه
قال فهؤلاء الذين قال فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية في تأيينه وتدعى خصوم الله يوم معادهم
الى النار طرا فرقة القدرية يعني الجبرية وتقدم ان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه
قال ابتدعت القدرية النفاة كانت في اواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم قال واما بدعة هؤلاء المحتجين
بالقدر فلم يعرفها امام ولم تعرف في طائفة من طوائف المسلمين معروفة قال وانما تكلم في المتأخرين
وسموا هذا حقيقة وجعلوا الحقيقة تعارض الشريعة ولم يميزوا بين الحقيقة الشرعية التي تتضمن
تحقيق احوال القلوب كالاخلاص والصبر وبين الحقيقة الكونية القدرية التي تؤمن بها ولا يحتج
بها على المعاصي وفيهم من يقول ان العارف اذا فني في شهود توحيد الربوبية لم يستحسن حسنة
ولم يستقبح سيئة ويقول بعضهم ما شهد للارادة سقط عنه الامر والنهي ويقول بعضهم ان
الخضر عليه السلام انما سقط عنه التكليف لانه شهد الارادة الى غير ذلك من كلامهم والحاصل
ان هذه المقالة من اشنع المقالات واقبح البدع المحدثات والمحتج بقدر الله تعالى على معاصي الله تعالى
زنديق وخارج عما سوا الله سبيل وعادم التحقيق ومارق من الدين ومباين التوفيق والباري
جل شأنه قد ارسل الرسل فاطبة بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وفي الاحتجاج
على المعاصي بالقدر انعكاس ما جاءت به الرسل من تعظيم النهي والامر وبالله التوفيق واما
المتوسطون من اهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة ولم يفرطوا افراط الجبرية
المحتجين بالقدر على معاصي الله تعالى وهؤلاء على مذهبين مذهب الاشعري ومن وافقه من الخلف
ومذهب سلف الامة وائمة السنة ومذهب اهل السنة كافة ان جميع انواع الطاعات والمعاصي
والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره وما خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها
وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير مجبور على افعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق
اهل السنة ثم ان الاشعري ومن وافقه منهم اثبت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله وان
كانت قدرته لا تاثير لها في ذلك كما مر قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا
قول الاشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من اهل السنة من اصحاب
مالك والشافعي واحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبايع ويقولون ان الله تعالى
فعل عندها لا بها ويقولون ان قدرة العبد لا تاثير لها في الفعل ويقول الاشعري ان الله
فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول
من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تاثير القدرة التي للعبد التي تكون بها
الفعل ويقول انه لا اثر لقدرة العبد اصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة

واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا قدرة للعبد في ايجاد المقدور وهو مقام
دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي اثبته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور
العقلاء ان اثنين اشيا لا حقيقة لها طرفة النظام واحوال ابي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم
ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فانه فعل العبد
يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تاثير لمجرد الاقتران
فلا فرق بين هذه القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة
في صفة الفعل الذي اصله كما يقوله القاضي ابو بكر الباقلاني من ائمة متكلمة الاشعرية ومن
وافقه فانه اثبت تاثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان
جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في
هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن جهم ابن صفوان وغلاة اتباعه
انهم سلبوا العبد قدرته واختياره حتى قال بعضهم ان حركة حركة المرتعش بالرياح كما تقدم
قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول بالتوحيد والجبر فالتوحيد ان حركة العبد اضافية الى فعله وكان يثبت مشيئة
الله تعالى وينكر ان يكون لله حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل او قدرة مؤثرة قال وقد حكي عنه
انه كان يخرج الى الجذماء ويقول ارحم الراحمين يفعل هذا بخلقه ثم انكر ان يكون له تعالى رحمة يتصف بها
سبحانه زعما منه ان لفظ الرحمة محضة لا اختصاص لها بخلقه بل يرجع احد المثالين
بلا مرجح ومذهب سلف الامة وائمتها وجمهور اهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف
يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون
تاثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل مما ان الله تعالى خلق السحاب
بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبايع الموجودة
في المخلوقات لا تاثير لها بل يقرون بانه ليس لها تاثير لفظا ومعنى لكن يقولون انه هذا التاثير
هو تاثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خلق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلا بد
للسبب من سبب آخر يشاركه ولا بد له من معارض يمانعه فلا يتم اثره الا مع خلق الله له
بان يخلق الله السبب الآخر وينزل الموانع وقال شيخ الاسلام في مواضع اخر الاعمال والاقوال
والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى انها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو
المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد
وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة
قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض
بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف

الى خالقها

الى خالقها باعتبار والى اسبابها باعتبار كما قال تعالى هذا من عمل الشيطان وقال وما انسانيه الا الشيطان
مع قوله قل كل من عند الله واخبر ان العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون
ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان ائمة اهل السنة يقولون
ان الله خلق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء وانه تعالى خلق الاشياء باسبابها
خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد
بقدرته وارادته كقولهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلايل اليقينية على
ان كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء
الله كان وان لم يشا لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجمهور المسلمين وجمهور
طوايفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان واتباعه
الجبرية فمن قال ان اشيا الحوادث افعال الملايكة والجن والانس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب
والسنة واجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الادميين و
افعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل
ان مذهب السلف ومحققي اهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد وارادته وفعله وان العبد
فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى وما تشاؤن
الا ان يشاء الله رب العالمين فاثبت مشيئة واخبر انها لا تكون الا بمشيئة الله وهذا صريح
قول اهل السنة في اثبات مشيئة العبد وانها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن
تيمية قدس الله روحه وهذا قول اهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من اصحاب الاشعري
كابي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة و
اختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبايع والاسباب كما دل على ذلك الشرع
والعقل قال تعالى فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات وقال فاحيينا به الارض بعد موتها
وقال نهدي به كثيرا وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب
وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبايع للحيوان وغيره كما قال تعالى فاتقوا الله
ما استطعتم وقال هو اشد منهم قوة وقال في الجمادات واخرجت الارض اثقالها وقال
اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج وقال تدمر كل شيء بامر ربها وقال وارسلنا الرياح
لواقح وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
من خشية الله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على
الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين وقال تعالى زرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى
على سوقه وهذا في القرآن كثير جدا وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما
نقل الخلاف ملخصا ما نصه ثم المشهور ومذهب اكثر المحققين ان فعل العبد واقع بقدرته وارادته ايجابا تاما هو رأي الحكما مع قول الامام في الارشاد انتفى

ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها احدثت
بقدرة الله من غير فرق بين ما تعلق قدرة العبد وبين ما لا يتعلق قال العلامة ابراهيم الكوراني
في شرح منظومة شيخه الشيخ محمد المقدسي القشاشي ما نصه مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد
به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان اصل فعل العبد واقع منه بتاثير قدرته بارادته
قال وهو مذكور في عقد الارشاد وهو آخر قوليه كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد
وبقية كتبه التي وصلت الى البقشازاني وغيره كما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه
في هذا الفن الرجوع عنها في هذه المسالة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه قاضي
قوليه هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب شفاء
العليل في مسائل القضا والقدر والحكمة والتعليل للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب
السابع عشر منه ولفظه اضطرب آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت
عبارتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله ابو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح
الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان امام
الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال
صاحب كتاب شفاء العليل في اخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور قلت الذي قاله
الامام في النظامية اقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تبعهما ونحن نذكر كلامه
بلفظه قال يعني امام الحرمين قد تقرر عند كل حافظ يعقله متورع عن مراتب التقليد وقواعد
التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده باعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها
وتبين بالنصوص التي لا تتعرض للتاويلات انه اقدرهم على الوفاء بما طالبهم ومكنهم من
التوصل الى امتثال الامر والانكفاف عما مواقع الزجر ولو ذهبت التاويلات المتضمنة لهذه المعاني
لطال المرام ولا حاجة الى ذكرها مع قطع اللبيب المنصف بها ومن نظر الى كليات الشرايع وما
فيها من المستحثات والزواجر عن المعاصي الموبقات ومانيط ببعضها من الحدود والعقوبات
ثم التفت الى الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانبا وقول الله لهم لم
تعد يتيم وعصيم وابيتم وقد رخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وارسلت الرسل واوضحت
الحجة لئلا يكون للناس على الله حجة واحاط بذلك كله ثم استراب في ان افعال العباد واقعة
على حسب اختيارهم واختيارهم واقدارهم فهو مصاب في عقله او مستمر على تقليده
مصمم على جهله ففي المصير الى انه لا اثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرايع و
التكذيب بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا اثر لقدرة العبد
في مقدوره اصلا واذا طولب بتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب

مولاه

طولا وعرضا وقال الله يفعل ما يشا ولا يتعرض للاعتراض عليه المتعرضون لما يسال عما يفعل وهم
يسالون قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق اريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشا ويحكم
ما يريد ولكنه يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول
انه عز قدرته طالب عباده بما اخبرانهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة والوسع
في مدلول الشرع ومن زعم انه لا اثر للقدرة الحادثة في مقدورها كما لا اثر للعلم في معلوم
فوجه مطالبة العبد في افعاله عنده كوجه مطالبته بان يثبت في نفسه الوانا وادراكات
وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه ابطال الشرايع وورد ما جاء
به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول بان العبد خالق اعماله فالذي
الخروج عما درج عليه السلف والائمة واقتحام ورطات الضلال ولا سبيل الى الوقوع في ان
فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين
اذ الواحد لا ينقسم فاذا وقع بقدرة الله تعالى استقل بها ويسقط اثر القدرة الحادثة
ويستحيل ان يقع بعضه بقدرة الله فان الفعل الواحد لا بعض له وهذه مهواة لا يسلم
من وقع فيها الا مرشد موفق اذ المرا بين ان يدعي للاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه
مطالبا بالشرايع وفيه ابطال دعوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد
الفعل الواحد وهذه الاقسام بجملتها باطلة ولا ينجي من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب
مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان العبد قائل لو قال ان العبد يكتسب وان قدرته
الاكتساب والرب تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له قيل له الكسب وما معناه وادرت
الاقسام المذكورة على هذا القائل فلا يحد عنه مهربا ثم قال يعني امام الحرمين فثبت ان
قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة
واقع بها قطعا ولكنه يضاف الى الرب سبحانه وتعالى تقديرا وخلقا فانه وقع بقدرة الله
وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له
فاذا كان وقوع الفعل خلقا لله فالواقع به مضافا خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك
الله تعالى العبد اختيارا يعرف بالقدرة فاذا وقع بالقدرة شيا الى الواقع الى حكم الله من
حيث انه وقع بفعل الله ولو اهتدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف
ولكنهم ادعوا استبدادا بالاختراع وانفرادا بالخلق والابتداع وضلوا واضلوا قال
ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فانا لما اضفنا فعل العبد الى تقدير الله قلنا
احدث الله القدرة في العبد على اقدار احاط بها علما وهيا اسباب الفعل وسلب العبد العلم
بالتفاصيل واراد من العبد ان يفعل فاحدث فيه دواعي مستحسنة وخيرة وارادة

وعلم ان الافعال تنتفع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم واراد
فاختاروهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة
وعلما وقضاء وخلقا وفعلا من حيث انه نتيجة ما تفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يرد وقوع
مقدورها لما اقدر عليه ولما هيأ اسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المبين
فالعبد فاعل مختار وطالب مامور منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي قال وبخن
نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا علك ان يتصرف في مال سيده
ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ بتصرفه فاذا اذن له في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق
معزو الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم يقصر فضولي على العبد ينفذ التصرف
ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه
ولا مرافيه لمن وعاه حق وعاءه واما الفرقة الضالة فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق
ثم صاروا اذا انه عصى فقد انفرد بخلقه فعله والرب كاره فكانه العبد على هذا الراي
الفاسد مزاحم الرب في التدبير موقعا ما اراد ايقاعه شاء الرب او كره الى هنا كلام امام
الحرمين بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة
ابراهيم اللقاني الاشعري في شرح منظومة شيخه القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه
تصريحه في غير موضع بان العبد له تاثير في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا
في ايقاع افعاله بمجرد مشيئته والم يوافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله
ذلك وممكنه منه وهو المعبر عنه بالاذن قال اللقاني اختار هذا شيخنا والفقيه سابقا
رسالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد
عليها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل
لابن القيم المنقول فيه كلام امام الحرمين في النظامية فانجحه ذلك وامر بالحاقه باخر اختصار
الانتصار لعلم الواقف عليه انه النقل عنه بالتاثير بالاذن صحيح خلافا لمن انكر ثبوته عنه
من المناخرين قال اللقاني وقال الخفاجي في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان المراد بالاية سلب فعل النبي صلى الله
عليه وسلم عنه واضافته الى الله وجعلهم ذلك اصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد
فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتاييده بدلايل الكتاب والسنة
الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الاشعري رحمه الله
وابن الباقلاني بالقدرة الحادثة هو كونه الفعل كسبا وهو كونه موجودا او محدثا فكونه
كسبا وصفا للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تاثير لقدرة العبد
يعني عند الاشعري في مقدوره كما لا تاثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد انها
مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الاشعري بهذا ميل عن التوسط
الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر

هو القول

هو القول بان لقدرة العبد تاثيرا في مقدوره ولكن باذن الله لا على الاستقلال فالذي ابان بتفسير
كلام الاشعري مما ينتزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتاويل لانه ليس نصا في عدم التاثير
فانه اولم يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التاثير نعم آخر كلامه يعطي
ان لا تاثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الاشعري نص في عامة كتبه
على ما يدل على التاثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان
الكسب عند الاشعري تحصيل العبد بقدرته المؤثرة باذن الله تعالى ما تعلقت به مشيئة الله موافقة
لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قاله امام الحرمين من التوسط الذي
يتحصل به مؤدى الامر والنهي من المكلف بلا تكليف قال الكوراني ثم رايت نصوص
الاشعري رحمه الله تعالى في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه كما ذكره الامام ابن الاسلام
ابن تيمية وهو اي كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ
ابن عساكر ما يدل على ان راي الاشعري انما نفى الاستقلال لا اصل التاثير باذن الله وعليه
وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة قال الكوراني
وهذا قول ابي اسحق الاسفرايني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول ابي اسحق
الاسفرايني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء
ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القراني في باب الحجة لا قدوس ولا قدرة ولا علم الا
للواحد الحق وانما الغيره القدرة التي اعطاه الخ وقال في الاحياء وما هو قادر عليه يعني
الانسان من نفسه او غيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق
قدرته واسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات
لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة
بتمكين الله لا استقلالا وهذا التمكين هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله انتهى ملخصا وانما ذكرت ذلك اقاويل هؤلاء مع ان المعتمد عندنا الغير
للنتقد في مذهبنا مذهب السلف ولم اعضا عما نقله الخلف وبالله التوفيق ثم اشار في النظم
الى مسئلة عظيمة مبنية على ان افعال الباري تعالى لا تعلل فقال وجاز للمولى جل وعلا
قال في النهاية المولى يقع على جماعة كثيرة منها الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق و
الناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم
عليه واكثرها قد جاءت في احاديث فيضاف كل واحد الى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه
والمراد به هنا رب العالمين وانما اختير هنا المولى دون غيره من الاسماء المناسبة المقام
يعذب الورى كفتى الخلق والمراد به هنا ذو والعقول الحيوان من كل جسم نام متحرك بالارادة
او على عمومه وارادة الاول اولى بدليل قوله من غير ما زائدة لمزيد تاكيد النفي اي من غير ذنب

ای اثم ولا جرم وهو بمعنى ما قبله قال في النهاية الجرم الذنب وقد جرم واجترم وتجرم انتهى
وفي القاموس الجرم بالضم الذنب كالجريمة والجمع اجرام وجروم وانما حسن عطفه عليه في هذا
المحل لقصد البيان والايضاح والتعريف لشبهه بالخطاب جرى من العبد ولا صدر عنه ولا
تمادى عليه فيجوز عليه تعالى عقلا ان يثيب العاصي وان يعاقب الطايع لولا ما اخبر به من انابة
المطيع فلا يجب عليه واحد من الامرين فكل ما اي شيء منه تعالى من اثابة وعقوبة وخلق خير
وشر يجمل اي يحسن قال في القاموس الجمال الحسن في الخلق والخلق تعالى جمل كلهم فهو جميل كامير وغراب
ورمان وفي النهاية الجمال يقع على الصور والمعاني ومنه ان الله تعالى جميل يحب الجمال اي حسن الافعال
كامل الاوصاف فكل ما يصدر عن الباري جل شانه من الامر والخلق بالنسبة اليه حسن جميل حتى
اثابة العاصي وعقوبة المطيع لانه تعالى فعله الذي يصدر عنه لا يسئل كما قال تعالى لا
يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاثابته عباده المطيعين والثواب اجزاء ومنه حديث ابن التيهان
اثيوا اخاكم اي جازوه على صنيعه يقال اثابه ويثيبه اثابة والاسم الثواب ويكون في الخير
والشر الا انه بالخير اخص واكثر استعمالا وهو المراد هنا فانه اي اثابته بالخير والجزاء الحسن
من فضله تعالى الزايد وكرمه الجزيل لانه اتقى الناس واعبدهم لا تعادل عبادته وتقواه نعمة
ايجاده من العدم الى الوجود فضلا على سايز نعمه تعالى على عبده من السمع والبصر وغيرهما
والفضل العطاء على اختيار لا على ايجاب كما تزعم الحكما ولا على وجوب كما تقوله المعتزلة
وان يعذب عباده ولو المطيعين منهم فيمحضهم اي خالص عذابه تعالى والمحض الجاء المهملة
والضاد المعجمة في اللغة اللبن الخالص غير المشوب بشيء ومنه الحديث تارك الصلاة في محضها
ومخضها اي الخالص والممخوض يعني انه لو عذبهم لعذبهم بعدله الخالص من مشائبة الظلم
لانه تعالى تصرف في ملكه والعدل وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل على الظلم
الذي هو وضع الشيء في غير محله مع الاعتراض على الفاعل فطاعات العبيد وان كثرت لا تفي بشكر
بعض ما انعم الله به عليه بل ولا بنعمة الاقدار على الطاعة والتوفيق لها فكيف تتصور استحقاقه
عوضا عليها واستدل لهذا بقولهم ان تعذبهم فانهم عبادك يعني لم تتصرف في غير ملكك
بل انما عذبت عبيدك في ملكك وبقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وبقول النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته
خيرا لهم من اعمالهم وبقوله صلى الله عليه وسلم في دعاء الهم والحزن اللهم اني عبدك ابن عبدك
ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك ويروى عن ابن معاوية قال
ما ناظرت احدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تاخذ ما ليس لك وان
تتصرف فيما ليس لك قلت فلله كل شيء وتقدم هذا في شرح قوله لكنه لا يخلق لخلق سدى
فليراجع فانه الامام المحقق ابن القيم لشيخه شيخ الاسلام وجمع لم ير تضوا لجذا ونغبق عليه

وبرهنوا

وبرهنوا واثبتوا الحكمة والعلة في افعاله تعالى على الوجه الذي شرحناه فيما تقدم ومذهب الاشاعرة
ان افعال الباري تعالى ليست معللة بالاغراض والمصالح والغرض ما لاجله يصدر الفعل عن الفاعل
ويقولون ان الله تعالى يفعل هذه الحوادث عند الاسباب المقارنة لها وان ذكر عادة محضة و
يجعلون اللام في افعاله لام العاقبة لا لام التعليل كما هو مقرر ومحرر ومذهب الماتريدية امتناع
خلو فعله عن المصلحة قال السعد والحق تعليل بعض الافعال لا سيما الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح
ظاهر ومذهب السلف الا يمة على ما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح الاصفهانية وانه القول الوسط
الجامع للحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول وعليه اشهر الطوايف انتسابا الى السنة
هم منتسبة القدر الذين يقرون بما اتفق عليه سلف الامة وايمتها من ان الله تعالى خالق كل شيء وربه
ومليكه وانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن وانه خالق كل شيء بقدرته ومشيئته ويثبتون لله تعالى
حكمة يفعل لاجلها قايمة به تعالى لا منفصلة عنه ويثبتون له رحمة ومحبة ورضا وسخطا ويثبتون
للحوادث اسبابا تقتضي التخصيص ويثبتون ما خلق الله من الاسباب والموانع قال وهذا هو
الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول وهو الذي يجمع ما في الاقوال المختلفة من الصواب
ويجتنب ما فيها من الخطا قال فهذه طريقة سلف الامة وايمة الدين وهي التي يدل عليها الكتاب
والسنة واجماع السلف فان الله تعالى بين في كتابه الحق والدلة عليه وضرب فيه من الامثال وسنه من
البراهين العقلية انتهى قال بعض متكلمي الاشاعرة ان الاشاعرة يقولون بالحكمة والمصلحة
في نفس الامر لانهم ينفون العبث في افعاله تعالى كما ينفون الغرض ولذلك كان النفي عندهم في الاحكام
ما لا يطلع على حكمته لا ما لا حكمة له على ان بعضهم نفى عن الاشاعرة انهم انما ينفون وجوب
التعليل لانهم يحيلونه كما صرح به الامام ابن عقيل الحنبلي واستغربه بعض الاشاعرة وبالله
التوفيق فاذا علمت ذلك وفهمته فلم يجب عليه سبحانه وتعالى فعل الاصلح اي الانفع ولا يجب عليه ايضا
فعل الصلاح لعباده خلافا للمعتزلة فمعتزلة البصرة قالوا بوجوب الاصلح في الدين
وقالوا تركه يخل وسفه يجب تنزيه الباري عنهم ومنهم الجبايي وذهب المعتزلة ببغداد
الى وجوب الاصلح في الدين والدنيا معا لكن بمعنى الاوفق في الحكمة والتدبير وهذه المسئلة
متفرعة في كتب القوم لمسئلة وجوب الصلاح والاصلح وحاصلها ان المعتزلة قالوا بوجوب ما
هو الاصلح للعباد عليه تعالى وتفصيل ذلك انهم اتفقوا بعد القول بوجوب الاصلح عليه تعالى وعلى
وجوب الاقدار للعباد والتمكين واقصى ما يمكن في معلوم الله تعالى مما يؤمن عنده الكافر
ويطيع العاصي وانه تعالى فعل كل احد غاية مقدوره من الاصلح قالوا وليس في مقدوره تعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا لطف لو فعل بالكفار لاسلموا جميعا والا لكان تركه بخلا وسفها
ثم اختلفوا فيما يجب مراعاة الاصلح بالنسبة اليه كما نبهنا عليه من جهة الدين والدنيا او الدين فقط

للعباد ص

فعل ما منه تعالى يجمل
لانه عن فعله لا يسئل
فان يثب فانه من فضله
وان يعذب فبمحض عدل له

ولا الصلاح ويجب من ايضا عليه فعل الاصلح

على ما مر ثم اختلفوا في تفسير الاصلح هل هو الموفق في الحكمة والتدبير او الانفع كما تقدم انفا
ثم اختلفت معتزلة البصرة فمنهم من اعتبر الانفع في علم الله تعالى فاوجب ما علم الله نفعيته ومن
هؤلاء ابو علي الجبائي ومنهم من لم يعتبر ذلك فزعم ان ما علم الله عند الكفر على تقدير تكليفه اياه يجب
تعريضه للثواب بان يبقيه الى ان يبلغ عاقلا قادرا على اكتساب الخيرات والبعد عن الشرور وان لم
يلزم هم فيما شيء لكن الالزام عليهم في تخليد الفساق في النار اشد قبحا وشناعة وتمسكوا على
ذلك بعمومهم نحو قطع بان الحكيم اذا امر بطاعة احد وقدر على ان يعطي المامور ما يصل به الى الطاعة
من غير تضرر بذلك ثم لم يفعل كان معدودا عند العقلاء معدودا في زمرة البخلاء وكذلك من دعى عدوه
الى الموالاة والرجوع الى الطاعة والمصافاة لا يجوز الا يعامله من الغلظ واللين الا ما هو انجع
في حصول المراد وادعى الى ترك العناد قالوا وايضا من اتخذ ضيافة لرجل واستدعاه الى الحضور
وعلم انه لو تلقاه ببشر وطلاقة وجه لدخل واكل والا لم يدخل فالواجب عليه عند العقلاء البشر
والطلاقة والملاطفة لا اضدادها واجلبوا واجنبوا من هذا التمويه الذي لا يصدر الا عن
ضال سفيه وبهذا قال وبح هذه كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها وهي منصوبة
على المصدر وقد ترفع وتضاف كما هنا وضدها ويل فانها تقال للحزبان والهلاك والمشقة من
العذاب وكل من وقع في هلكة دعي بالويل وقيل وي كلمة مفردة ولامه مفردة وهي كلمة تفجع وتعجب
فان قلت كان المناسب هنا الاتيان بكلمة ويل لاقتضاء المقام قلت لام نسب كلمة ويح لانه
يتوجع ويترحم لاخوانه من الملة الاسلامية كيف يسترهم الشيطان وتلاعبهم تلاعب الصبيان
بالكرة والصولجان مع ظهور ادلة القرآن والسنة لمذهب اهل السنة فعلى عقولهم الدمار وعلى
فهومهم البوار من اي شخص بالغ عاقل لم يفز بملتبعة الحق وموافقة الشرعة
ورفض الباطل ومجانبة البدعة والفلاح من الكلمات الجوامع وهو عبارة عن اربعة اشياء
بقاء بلا فناء وغنا بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل قالوا فلا كلمة في اللغة اجمع للخيرات منها
ولمذهب المعتزلة لوازم فاسدة تدل على فساد ها منها ان القرآن هو النوافل صلاح فلو
كان الصلاح واجبا وجبت وجوب الفرائض ومنها ان خلود اهل النار في النار يجب ان يكون
صلاحا لهم دونه ان يردوا فيعتبروا فيتوبوا اليه ولا ينفعكم اعتذاركم عما هذا بانهم
لو ردوا لعادوا فانا نعلم هذا حق ولكن لو اماتهم واعدامهم فقطع عنا يهم كان اصلح لهم ولو غفرهم
واخرجهم من النار كان اصلح لهم من اماتتهم واعدامهم ولم يتضرر سبحانه بذلك ومنها ان عدم
خلق ابليس وجنوده اصلح للخلق وانفع وقد خلقه الباري جل شانه وارضا انظاره وزينه
وتعلمين جنوده وجريانهم من الآدمي مجرى الدم من اشعارهم بنبذ من مذهبهم فكان يلزم ان لا يكون
شيء من ذلك والواقع خلافه ومنها ان الزوم الامام ابو الحسن الاشعري للجبائي وقد سئله
عن ثلاثة اخوة اماتهم الله احدهم صغيرا واحيى الآخرين فاختار احدهم الامانة ولم اختار الكفر

فرفع الله

فرفع الله درجة المؤمن البالغ على اخيه الصغير في الجنة بعمله فقال اخوه الصغير يا رب لم لا
بلغتني منزلة اخي فقال انه عاش وعمل اعمالا استحق بها هذه المنزلة فقال يا رب فهل لا احييتني
حتى اعمل مثل عمله وابلغ منزلته فقال كان الاصلح في حقك ان توفيتك صغيرا لاني علمت انك
ان بلغت اخترت الكفر فكان الاصلح في حقك ان امتك صغيرا قال الاشعري فان قال الثاني
يا رب لم لا امتني صغيرا لئلا اعصيك فلا ادخل النار ماذا يقول الرب فبهت الجبائي وكان
الاشعري على مذهب ابي علي الجبائي فترك مذهبه قال ابن خلكان كان ابو الحسن الاشعري
اولا معتزليا ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن فقام في المسجد الجامع بالبصرة يوم
الجمعة فرقى كرسيا ونادى باعلا صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي انا
فلان ابن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله تعالى لا يرى بالابصار وان افعال الشر انا
افعلها وانا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم قال ابن خلكان
مولد الاشعري سنة سبعين وقيل ستين ومايتين بالبصرة وتوفي سنة ثنتين وثلاثين
وثلاثمائة ودفن بين الكرخ وباب البصرة انتهى قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة
فاذا علم الله سبحانه انه لو اخر موت العبد قبل البلوغ وكمال العقل كان ناجيا ولو امهله وسهل عليه
النظر لعند وكفر وجحد فكيف يقال ان الاصلح في حقه ابقاؤه حتى يبلغ قال والمقصود عندكم
يعني المعتزلة القائلين بالاصلح بالتكليف الاستصلاح والتعويض باسنى الدرجات التي لا
تنال الا بالاعمال وايضا قال القائلون بوجوب الاصلح رب تعالى قادر على الفضل بمثل الثواب
ابتداء بلا واسطة عمل فاي غرض له في تعريض العباد للبلوى والمشاق وكونه تعالى قادرا على ذلك
حق ثم كذبوا وافتروا فقالوا الغرض في التكليف ان استيفاء المستحق حقه اهنى والذ من قبول التفضل
واحتمال المنة وهذا كلام اجهل الخلق بالرب تعالى وبحقه وعظمته ومساواته بينه وبين آحاد الناس
وهو من اقبح التشبيه واخبثه تعالى عما ضلالهم وافكهم علوا كبيرا وايضا يلزم القائلين
بوجوب الاصلح ان يوجبوا على الله عز وجل ان يميت كل من علم من الاطفال انه لو بلغ كفر وعاند
فان اختراعه هو الاصلح لهذا الرب وان يحمدوا على ما سيكونون قال كونه الموجد لسلفهم
الخبيث الذين اتفق سلف الامة على تكفيرهم ولا اخلاصهم عن احد هذين الالزامين الا بالتزام
مذهب اهل السنة والجماعة من ان افعال الله تعالى لا تدخل تحت شرائع عقولهم القاصرة ولا تقاس
بافعالهم الخاسرة بل افعاله تعالى لا تشبه افعال خلقه ولا صفاته صفاتهم ولا ذاته ذواتهم اذ ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير وايضا يلزمهم ان من علم الله تعالى اذا بلغ من الاطفال انه يختار
الايمان والعمل الصالح ان لا يميته طفلا فان الاصلح في حقه ان يحييه حتى يبلغ ويؤمن ويعمل صالحا
فينال بذلك الدرجات العالية وهذا مما لا جواب لهم عنه وايضا يلزمهم ان يقولوا ليس في مقدور الله

التفضل

لطف لو فعله تعالى بالكفار لآمنوا وقد التزمه المعتزلة القدرية وبنوه على اصلهم الفاسد انه يجب
على الله تعالى ان يفعل في حق كل عبد ما هو الاصلح له فلو كان في مقدوره ما يؤمن العبد عنده لوجب عليه
ان يفعله به والقرآن من اوله الى آخره يرد هذا القول ويكذبه ويخبر سبحانه وتعالى انه لو شاء
لهدى الناس جميعا ولو شاء لآمن من في الارض كلهم جميعا وايضا يلزم عليهم ووقد التزموه ان
لطفه تعالى ونعمته وتوفيقه بالمؤمن كلطفه بالكافر وانه نعمته عليهما سواء لم يخص المؤمن
بفضل عن الكافر وكفى بالوحي وصريح المعقول وفطرة الله والعباد اعتبار الصحيح واجماع الامة
رد هذا القول وتكذيبه وايضا فما من اصلح الا وفوقه ما هو اصلح منه ولا اقتضاء على ربه
واحدة كالاقتضاء على الصلاح فلا معنى لقولكم يجب عليه تعالى اصلح اذ لا نهاية له فلا يكون
في الفعل رعايته الى غير ذلك مما يلزم القائلين بالصلاح والاصلح فانه تعالى خلق الكافر الفقير
المعذب في الدنيا بالفقر وفي الاخرة بعذاب الكفر المخلد المستمر ولا سيما المبتلى في الدنيا بالاسقام
والآلام والمحن والآفات مع الكفر والهفوات وكيف يتهيأ لهذا دليل وخلود الكفار في النار
ليس باصلح لهم وغير تفصيل **تنبيه** مذهب المقول بالصلاح والاصلح مبني فيما قاله متكلموا الاشاعرة
وغيرهم على قاعدتين احدهما تحسين العقل وتقبيحه في الاحكام الشرعية الثانية التزام
اللام للارادة فانا قلت قد اسلفت ان اسلافكم مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم
وغيرهما الميل والاستدلال باثبات التعليل والحكمة في الخلق والامر وذكرت من اصول القول بالصلاح
والاصلح ثم هنا ابطلت هذا القول وذكرت ما لوازمه والاجواب عنه فما تصنع في هذه اللوازم
التي الزمت بها المعتزلة وما الجواب عنها اذا وجهت اليكم قلت لا ريب انما يثبت الله
الحجة لنفسه وشهدت به الفطرة والعقول من الحكمة في خلقه وامره فكل ما خلقه وامر به
فله فيه حكمة بالغة وآية باهرة لاجلها خلقه وامر به ولكني نقول ان الله في خلقه وامره كله
حكمة ليست مماثلة للمخلوق ولا مشابهة له بل الفرق بين الحكمتين كالفرق بين الفعلين وكالفرق
بين الوصفين والذاتين فليس مماثلة شيء في وصفه ولا فعله ولا في حكمة مطلوبة له من فعله
بل الفرق بين الخالق والمخلوق في ذلك كله اعظم فرق وابينه واوضحه عند العقول والفطر وعلى هذا
فجميع ما الزمت به الفرقة القائلة بالصلاح والاصلح واضعافها ذكرته من الالزامات لله فيه حكمة
تخصها لا يشاركه فيها غيره ولاجله حسن منه ذلك وقبح من المخلوقين لانتفاء تلك الحكمة في حقهم
وهذا كالحسن منه تعالى مدح نفسه والثناء عليها وانه قبح من اكثر خلقه ذلك ويليق بجلاله الكبرياء
والعظمة ويقبح من خلقه تعالى طيهما كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه حكى عن الله تعالى انه قال الكبرياء
ازاري والعظمة ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته وكالحسن منه امامة خلقه وابتلاؤهم
وامتحانهم بانواع المحن ويقبح ذلك من خلقه وهذا اكثر من ان نذكر امثلته فليس بين الله وبين خلقه

جامع

جامع يوجب ان يحسن منه ويقبح منه ما يحسن منهم ويقبح منهم وانما توجيه تلك الالزامات
على من قاس افعال الله تعالى بافعال عباده وهو ممن انتفت له حكمة يختص بها لانتسابه الى المخلوقين
من الحكمة فهو عن تلك الالزامات بمعزل ومنزله منها البعد منزل وثالثة الفرق ان بطلان الصلاح
والاصلح لا يستلزم بطلان الحكمة والتعليل كما ان التعليل الذي نسبته غير الذي نسبته المعتزلة
كما مر فان المعتزلة اثبتوا لله شريعة عقلية واوجبوا عليه فيها وحرموا ما يقتضي عقولهم فالمعتزلة
يوجبون على الله ويحرمون بالقياس على عباده وكما رأيت ان هذا من افسد القياس وابطله كما
نبه عليه وابطله الامام المحقق ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة واما المعتزلة استلزام
الامر للارادة فباطل لا يعول عليه وبالله التوفيق **فكل** من اي آدمي من خلقه شاء اي اراد تعالى
هداه المراد بالهدى هنا التوفيق والالهام وهذه الهداية هي المستلزمة للهدى فلا يتخلف
عنها وهي المذكورة في قوله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وفي قوله تعالى انك لا تهدي
فان الله لا يهدي من يضل وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا
هادي له وفي قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فنفى عنه هذه الهداية
واثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم والمشيئة ترادف
الارادة فكل من شاء الله هدايته من جميع خلقه تهتد الهداية المطلوبة في قوله تعالى اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم واعلم ان انواع الهداية اربعة احدها الهداية
العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي اعطى كل شيء
صورته التي لائقة به فيها بغيره واعطى كل عضو شكله وهيأته واعطى كل موجود خلقه
المختص به ثم هداه الى ما خلقه له من الاعمال وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بارادته الى جلب
ما ينفعه ودفع ما يضره وهداية الجماد المسخر لما خلق له فله هداية تليق به كما ان لكل نوع من
الحيوان هداية تليق به وان اختلفت انواعها واوضاعها وكذلك لكل عضو هداية تليق به فالرجلان
للمشي واليدان للبطش والعمل واللسان للكلام والاذن للاستماع والعين للكشف المرئيات وكل عضو
لما خلق له وهدى الزوجين من كل حيوان للازدواج والتناسل وتربية الولد وهدى الولد الى
التقام الثدي عند وضعه وطلبه ومرتب هذه الهداية سبحانه لا يحصيها الا هو فتبارك الله رب العالمين
وقد هدى النحل ان تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومن الابنية ثم تسلك سبل ربها مذللة لها
لا تستعصي عليها ثم تأوي الى بيوتها وهداها الى طاعة يعسوب ثم هداها الى بناء البيوت
العجيبة الصفة المحكمة البناء ومن تأمل بعض هذه الهداية المبثوثة في العالم شهد له بانه الله الذي لا اله الا
الا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم **النوع الثاني** هداية البيان والدلالة والتعريف للنجدين
الخير والشر وطريقي الضلال والنجاة وهذه لا تستلزم الهدى التام فانها سبب وشرط لا موجب

فكل من شاء هديه اي هدى
و الصاد في النسخ والصديق والسهيد
ع

ولهذا ينتفي الهدى معها كقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اي بيناها لهم وارشدناهم
ودللناهم فلم يهتدوا ومنها قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم الثالث هداية التوفيق والالهام
المستلزمة للاهتداء التي ذكرناها انفا الرابع غاية هذه الهداية وهي الهداية الى الجنة والنار اذا
سيق اهلها اليهما قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار
في جنات النعيم وقال اهل الجنة في الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال تعالى عن اهل النار احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وتفاصيل
انواع الهداية واسبابها ومتعلقاتها كثيرة جدا ذكرها الامام المحقق ابن القيم في كتابه
بدايع الفوائد وقد لخصت لك منه هذه العلة يحصل به اصل المقصود والله اعلم تنبيه
المشهور عند المعتزلة ومن مذهبهم ان الهداية هي الدلالة الموصلة الى المطلوب فما لم تكن
موصلة الى المطلوب فليست هداية عندهم وعند اهل الحق ان الهداية مجرد الدلالة على طريق
يوصل الى المطلوب سواء حصل الوصول وبالهداية ولم يحصل كما ذكرنا ذلك في النوع الثاني
من انواع الهداية وقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وبالله التوفيق
والله يريد سبحانه وتعالى ضلال عبد ما خلقه بترك المامور وارتكاب المحظور يعتد
بارتكاب ذكر وانتهاك المحارم واقتحام المهالك والضلال ضد الهدى يقال عدى عدو وانا و
عدو وامحكة وتعدى واعدى احضر وعدى عليه عدوانا بالضم ظلمه كعدى واعتدى قال
الامام ابن القيم في شرح منازل السائرين ان العدوان ان يتعدى ما ابيح منه الى المقدر المحرم
كالاعتداء في اخذ الحق ممن هو عليه اما ان يعتدي على ماله او بدنه او عرضه فاذا اتلف انسان عليه
شيئا اتلف اضعافه واذا قال فيه كلمة قال فيه اضعافها فهذا كله عدوان وتعد للعدل قال
وهو نوعان عدوان في حق الله تعالى وعدوان في حق العبد فالذي في حق الله كما اذا تعدى ما اباح
له من الوطي الحلال في الازواج والمملوكات الى ما حرم عليه من سواهما كما قال تعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وكذلك تعدي ما ابيح له من زوجته وامته الى ما حرم عليه منها كوطئها في حيضها او نفاسها
او في احرام احدهما او صيامه الواجب وكذا كل ما ابيح له منه قدر معين فتعداه الى اكثر منه
فهو من العدوان وكذلك العدوان في حق العباد وتجاوز المقدر الذي ابيح له منه فمتى تجاوز القدر
المحدود كان متعديا وباغيا وظالما فارتكاب الاثم والعدوان والفحشاء والمنكر والخطايا
والذنوب والضلال ومن اعظمها بل اعظمها القول على الله بلا علم فهو اشد المحرمات تحريما واعظمها
اثما ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من مراتب المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والاديان ولا تباح
بحال بل لا تكون الا محرمة وهي المذكورة في قوله تعالى انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم

والاثم والبغي بغير الحق والاشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا والقول على الله ما لا تعلمون
وفي قوله تعالى قال تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا الايات والحاصل ان الله تعالى اذا شاء
هداية عبده تهدى واذا اراد اضلاله واهلاكه يعتدي فهو سبحانه الموفق لمن اراد السعادة
والخاذل لمن شاء ابعاده فالتوفيق والخذلان امكر الامام ابن القيم قال الامام ابن القيم في
شرح منازل السائرين قد اجمع العارفون بالله ان التوفيق ان لا يكلك الى نفسك والخذلان ان
يخلي بينك وبينها فالعباد متقلبون بين توفيقه وخذلانه بل العبد في الساعة الواحدة
ينال تصيبه من هذا ومن هذا فمن اطاعه ورضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه ثم يعصيه ويخالفه
ويسخطه ويغفل عنه بخذلانه له فهو دائر بين توفيقه وخذلانه وفقه فيفضله
ورحمته وان خذله فبعدله وحكمته وهو تعالى المحمود في هذا وهذا له الحمد والحكمة ولم يمنع
العبد شيئا هو له وانما منعه ما هو مجرد فضله وعطاياه وهو اعلم حيث يضعه وان يجعله
فاذا علم العبد هذا المقام وشهده واعطاه حقه علم ضرورته وفاقته الى التوفيق
والهداية في كل نفس ولحظة وطرفة عين وعلم ان توحيده وايمانه ممسك بيد غيره لو تخلى عنه طرفة
عين لتقطع عرشه ولخر من سماء ايمانه على الارض وان الله يمسكه ان تزول السماء ان تقع على
الارض الا باذنه فاذا تدبر هذا المشاهد لهذا المقام انه يقول بقلبه ولسانه يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي الى طاعتك يا حي يا قيوم يا بديع السموات و
الارض يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا انت برحمتك استغيث اصلح لي شاني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة
عين ولا الى احد من خلقك ثم قال والتوفيق ارادة الله من نفسه ان يفعل بعبده ما
يصلح به العبد بان يجعله قادرا على فعل ما يرضيه مريدا له محبا له موثرا له على غيره ويبغض
اليه ما يسخطه ويكرهه وهذا مجرد فعله والعبد محل له قال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله
ونعمة والله عليم حكيم فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له حكيم يضعه في
مواضعه وعند اهله فلا يتعداهم ولا يضعه عند غيرهم ولم يرد بقضاء التوفيق
بانه خلق الطاعة والخذلان خلق المعصية لان ذلك مبني على مذهب الجبرية وانكار الاسباب
والحكم وقابلهم القدرية ففسروا التوفيق بالبيان العام والهدى العام والتمكين من الطاعة
والاقتدار عليها وتهيئة اسبابها وهذا حاصل لكل احد كافر ومشرك وباغ فرد ومنكر
من الايمان فالتمكين عندهم امر مشترك بين الكفار والمؤمنين اذ الاقدار والتمكين والدلالة
والبيان قد عم به الفريقين ولو اراد المؤمنين عندهم توفيق وقع به الايمان منهم والكفار
بخذلان امتنع به الايمان منهم لحكاية ذلك عندهم محالا وظلما والتزموا لهذا الاصل اللازم

قامت بها عليهم سوق الشناعة من العقلاء ولم يجدوا بدا من التزامها فظهر فساد مذهبهم وتناقض
لمن احاط به علما وتصورة حق تصوره وعلم منه انه من اردى مذهب في الدنيا وابطله وهدى
الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فاثبتوا
القضاء والقدر وعموم مشيئة الله للكائنات واثبتوا للاسباب والحكم والغايات والمصالح
كما مر ونزهوا الله عز وجل ان يكون في ملكه ما لا يشاء او ان تقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته
ومشيئته وان يكون شيء من افعالهم واقعا بغير اختياره وبدون مشيئته ومن قال
ذلك فلم يعرف ربه ولم يثبت له كمال الربوبية والتوفيق في اللغة التاليف وجعل الاشياء
متوافقة ونقل السعد التفتازاني عن امام الحرمين ان العصمة هي التوفيق بعينه فان
عمت كانت توفيقا عاما وان خصت كانت توفيقا خاصا واما اللطف هو التوفيق ايضا وان
الموفق لا يعصي اذ لا قدرة له على المعصية كما ان المخذول لا يطيع والحاصل ان مذهب السلف
على ما قرره الامام المحقق ان الهداية والتوفيق ارادة الله من نفسه ان يفعل بعبده ما يصلح
العبد كما تقدم ومن اسمائه تعالى الهادي وهو الذي يبصر عباده ويدلهم طريق معرفته حتى
اقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق الى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده وبالله التوفيق

تنبيه فهم من النظم ان الباري جل وعلا يريد من العبد ما لا يحبه ويرضاه فان الارادة
والمشيئة مترادفتان وهي لا تستلزم الامر والرضا والمحبة كما تقدم في بحثهما وقالت المعتزلة
يمتنع عليه تعالى ارادة المعاصي والقبائح وقالوا نريد ما لا يقع ويقع ما يريد فزعموا
انه تعالى اراد من الكافر الايمان وان لم يقع لان الكفر وان وقع وكذا اراد من الفاسق الطاعة لا
الفسق حتى زعموا ان اكثر ما يقع من عباده على خلاف مراده تعالى عما ذكروا وزعموا ان الارادة
القبيح قبيحة والله تعالى منزه عن القبائح ورد بانه تعالى لا يخفى منه شيء وان خفي علينا وجه حسنه
وتقدم هذا في قوله وكل ما يفعله العباد من طاعة او ضدها مراد الايات المارة آنفا
والحاصل ان الامر والرضا والمحبة لا تكون الا في الخير والارادة تكون في الخير وقد تكون في غيره فهي
تتعلق بكل ممكن كما تقدم قال الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان الله امرنا بالفحشاء فان قلت
قد قال الله تعالى يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
ففسقوا فيها فالجواب ان الارادة التي نعنيها هي لمراد الكونية واما الارادة الدينية
فهي لمرادف الرضا والمحبة وكذا الامر الذي نفسه ونتكلم عليه الامر الديني واما الامر الكوني
فهو يرادف الارادة كما في عدة ايات قرآنية على انه اظهر تفاسير قوله تعالى امرنا مترفيها امرناهم
بطاعتنا والانقياد لامرنا على السنة رسلنا فيسقوا انحى القرية رسلنا ومما يحكى ان القاضي
عبد الجبار الهمداني المعتزلي دخل على الصاحب بن عباد وكان معتزليا ايضا وكان عنده الاستاذ

ابو اسحق

ابو اسحق الاسفرائيني من ائمة اهل السنة ومحققي الاشاعرة فقال عبد الجبار على الفور سبحان من تنزه
عن الفحشاء فقال ابو اسحق فوراً سبحان من لا يقع في ملكه الا ما شاء فقال له عبد الجبار وفهم انه
قد عرف مراده اير يد ربنا ان يعصى فقال ابو اسحق اتعصى ربنا قهرا فقال له عبد الجبار ارايت ان
منعني الهدى وقضى علي بالردى احسن الي ام اساء فقال له الاستاذ ابو اسحق ان منعك ما هو لك
فقد اساء وان كان منعك ما هو له فخص برحمته من يشاء فانصرف الحاضرون وهم يقولون والله
ليس عن هذا جواب وقد قدمنا ما لعله يشفي ويكفي والله الموفق فان قيل كيف يريد
سبحانه امر الا يرضاه ولا يحبه وكيف يشاء ما يكرهه وكيف يجتمع ارادته له وبغضه وكراهته
فالجواب اعلم ان هذا السؤال اصل الافتراق والاضلال الواقع بين طوائف المسلمين وفرق
الموحدين واعلم ان المراد نوعان مراد لنفسه ومراد لغيره فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته
وما فيه من الخير فهو مراد ارادة الغايات والمقاصد والمراد لغيره قد لا يكون في نفسه مقصودا
للمريد ولا فيه مصلحة له بالنظر الى ذاته وان كان وسيلة الى مقصوده ومراده فهو مكروه له من حيث
نفسه وذاته مراد له من حيث افضائه وايصاله الى مراده فيجتمع فيه الامران بغضه وارادته
من غير تناف لاختلاف متعلقهما كالدواء المتناهي في المرارة اذا علم متناوله ان فيه شفاء وقطع
العضو المتاكل اذا علم ان فيه قطع بقاء جسده وقطع المسافة الشاقة جدا اذا علم انها
توصل المراد ومحبوبه بل العاقل يكتفي في ايثار هذا المكروه وارادته بالظن الغالب وان
خفيت عنه عاقبته وطويت عنه مغبته فكيف عن ان تخفى عليه العواقب فهو سبحانه يكره الشيء
ويبغضه في ذاته ولا ينافي ذلك ارادته لغيره وكونه سببا لامر هو احب اليه من فوته من ذلك خلق
ابليس الذي هو مادة لفساد الاديان والاعمال والمعتقدات والارادات وهو سبب شقاء العبيد
وعلمه بما يغضب الرب المريد وهو الساعي في وقوعه مساخط الله ومناهيه بكل طريق وحيلة
فهو مسخوط للباري ومبغوض قد لعنه وابعده وغضب عليه وطرده ومع هذا فهو وسيلة الى المحاب
كثيرة للباري جل وعلا وعلى ترتب وجودها على خلقه وايجاده ووجودها احب الى الله من عدمها
لحكمة جرت منه في عباده على وفق مراده منها اظهار القدرة على خلق المتضادات ان المتقابلان
لخلق هذه الذات التي هي اخبث الذوات وشرها وهي سبب كل شر في مقابلة ذات جبريل التي
هي من اشرف الذوات واطهرها وازكاها وهي مادة كل خير فتبارك الله خالق الاضداد
وكما ظهرت قدرته التامة في خلق الليل والنهار والضياء والظلام والداء والدواء والحياة والموت
والحر والبرد والحسن والقبيح والارض والسماء والماء والنار والخير والشر وكل ذلك ونظائره من دلائل
كمال قدرته وعزته فانه خالق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض وسلط بعضها على بعض
وجعل لها محال تصرف وتدبير ملكه وحكمته تحلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطل الحكمة وكمال
تصرفه وتدبير مملكته ومن مظاهر آثار اسمائه القهرية كالقهار والمنتقم والعدل والضار

ونحوها وظهور آثار اسمائه المقتضية لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه
لمن شاء من عبيده فلو لا خلق ما يكره من الاسباب المفضية الى ظهور هذه الاسماء لتعطلت
هذه الحكم والفوائد وفي الحديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون
فيغفر لهم ومنها ظهور آثار اسماء الحكمة والخبرة فانه الحكيم الخبير الذي يضع الاشياء مواضعها
وينزلها منازلها اللائقة بها فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها
كمال علمه وحكمته وخبرته من المنع والعطاء والثواب والعقاب والخفض والرفع والعز والذل
ونحوها ومنها حصول العبودية المتنوعة التي لو لا خلق ابليس لما حصلت ولكان
الحاصل بعضها لا كلها فعبودية الجهاد سببها الكفر والعناد الناشئ عن ابليس وعبوديته
التوبة المحبوبة الى الله تعالى وعبودية مخالفة اعدائه ومراغمتهم ومنها عبودية الاستعاذة من
الشيطان الرجيم ونفس اتخاذ ابليس عدوا من اكبر انواع العبودية واجلها الى غير ذلك من الحكم والفوائد
التي ابداها الامام المحقق ابن القيم في شرح منازل السائرين فلم يخص منها ما يدل اللفظ
على ما لا يدخل تحت اللفظ حصافة وجودها مترتب على وجود ابليس ترتب وجود المسبب على سببه
والملزوم على لازمه ثم قال فان قلت فاذا كانت هذه الاسباب مرادة لما تقتضيه من الحكم فهل
تكون مرضية من هذا الوجه ام تختلط من جميع الوجوه فاجاب بانه هذا السؤال يرد على
وجهين احدهما من جهة الرب سبحانه وهل يكون محبا لها من جهة اقتضائها المحبوب به وان كان يبغضها
لذواتها والثاني من جهة العبد وهي انه هل يشرع له الرضا بها اضافة فاعلم
ان الشر كله يرجع الى العدم اعني عدم الخير واسبابه المفضية اليه وهو من هذه الجهة شر وامر
جهة وجوده المحض فلا شر فيه مثاله ان النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة
وانما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها فانها خلقت في الاصل متحركة لا تسكن فان اعينت بالعلم
والهام الخير تحركت به وان تركت تحركت بطبعها الى خلافه وحركتها من حيث هي حركة خير وانما تكون
شرا بالاضافة لام حيث هي حركة والشر كله ظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه فلو وضع في موضعه
لم يكن شرا فظلم ان جهة الشر فيه نسبة اضافية ولهذا كانت العقوبات الموضوعة في محالها
خيرا في نفسها وان كانت شرا بالنسبة الى المحل الذي حلت به لما احدثت فيه من الالم الذي كانت
الطبيعة قابلة لضده من اللذة مستعدة له فصار ذلك الالم شرا بالنسبة اليها وهو خير
بالنسبة الى الفاعل حيث وضعه موضعه فان الله سبحانه لا يخلق شرا محضا من جميع الوجوه و
الاعتبارات فان حكمته تابى ذلك بل قد يكون المخلوق شرا ومفسدة ببعض الاعتبارات ويخلقه
مصلحا لحكم باعتبارات اخر ارجح من اعتبارات مفاسده بل الواقع منحصر في ذلك فلا يمكن في
جناب الكون جل جلاله ان يريد شيئا لا يكون لفساد ما كل وجه وبكل اعتبار لا مصلحة في خلقه

لعله ص

بوجه قا هذا من ابين المحال فانه سبحانه بيده الخير والشر ليس اليه بكل ما اليه فخير والشر انما حصل لعدم
هذه الاضافة والنسبة اليه فلو كان الله لم يكن شرا قط اصلا فانقطاع نسبته اليه هو الذي صيره
شرا فانه قلت لم تنقطع نسبته اليه خلقا ومشيئة قلت هو من هذه الجهة ليس بشر والشر الذي
فيه من عدم امداده بالخير واسبابه والعدم ليس بشيء حتى ينسب الى من بيده الخير فاذا اردت
مزيدا يضاح في ذلك فاعلم ان اسباب الخير ثلاثة الايجاد والاعداد والامداد فهذه هي الخيرات
واسبابها فايجاد هذا السبب خير وهو الى الله واعداده خير وهو اليه ايضا وامداده خير
وهو اليه ايضا فاذا لم يحدث فيه اعداد ولا امداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس
الى الفاعل واغا اليه ضده فان قلت فهل الحكمة اذا اوجده قلت ما اقتضت الحكمة
ايجاده وامداده فانه سبحانه يوجده ويمده وما اقتضت الحكمة ايجاده هو يوجد امداده
اوجده بحكمته ولم يمده بحكمته فايجاده خير والشر وقع من عدم امداده فان قلت

الموجودات ع

فهل لا مد الموجودات كلها فالجواب هذا سؤال فاسد يظن مورده ان الموجدات البالغ في الحكمة
وهذا عين الجهل بل الحكمة كل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الواقع بينها وليس في خلق كل نوع منها
تفاوت فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت والتفاوت انما وقع بامور عدمية لم يتعلق بها
الخلق والا فليس في المخلوق من تفاوت قال رحمه الله تعالى فاذا عرضت ذلك عليك ولم تغفله حق الفهم
فراجع قول القائل اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع وسر المسئلة ان الرضا
بالله يستلزم الرضا بصفاته وافعاله واسمائه واحكامه ولا يستلزم الرضا بالمفعولات كلها
بل حقيقة العبودية ان يوافقه في رضاه ويسخطه فيرضى منها بما يرضى به ويسخط منها ما يسخطه
فان قيل هو سبحانه يرضى عقوبة من يستحق العقوبة فكيف يمكن العبد ان يرضى بعقوبة الله
فالجواب انا لو وافقناه في عقوبته لانقلبت لذة وسرورا ولكن لا يقع منه ذلك فانا لم نوافقه
في محبة طاعته التي هي سرور النفس وقرة العين وحياة القلب فلا فكيف يوافقه في محبة العقوبة
التي هي اكره شيء اليه واشق شيء عليه بل متى كان كارها لما يحبه من طاعته ولو حيده فانه يكون راضيا
بما يختاره من عقوبته ولو ارتفعت عنه العقوبة وبقي لها ثمرة في الرضا بالرضا ان شاء الله تعالى

فصل

في الكلام على الرزق وهو اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان فيأكله قال في القاموس
الرزق بالكسر ما ينتفع به كل مرتزق والجمع ارزاق وبالفتح المصدر وقد اشار الناظم الى ذكره بقوله
والرزق ما ينفع المرتزق اي ينتفع المرتزق بحصوله له سواء كان ذلك المنتفع به من حلال وهو ما خلق
عنه التبعات وهو ضد الحرام وهذا قال او ضده اي ضد الحلال وهو الحرام وهو ما منع منه شرعا
اما لصفة في ذاته ظاهرة كالسم والخمر او خفية كالربا ومذكى المجوس ونحوهم لانه في حكم الميتة واما
لخلل في تحصيله كالربا والغصب ونحو ذلك فكل ذلك رزق لان الله يسوقه للحيوان فيتناوله

عبده ص

فلا يرضاه ع

والرزق ما ينتفع به من حلال او ضده في محل الرزق من حلال

ويتغذى به وخالف المعتزلة في ذلك فقالوا الحرام ليس برزق وفسروه تارة بما لم يملك يأكله
المالك وتارة بما لا يمنع عن الانتفاع به وذلك لا يكون الا حلالا فيلزمهم على التفسير الاول
ان ما يأكله الدواب ليس برزق مع ظاهر قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فيكون
مصادما للقرآن لانه تقتضي ان يكون كل دابة مرزوقة ولا ينفعهم زعمهم ان تسمية ما يأكله الدواب
رزقا مبني على تشبيهه بما هو مملوك الانسان فيأكله فيكون لفظ الرزق مجازا عما يأكله
الدواب فلا يلزم ان يكون كل دابة مرزوقة حقيقة لانا نقول هذا تاويل مخالف لظاهر القرآن خلاف صح
وهو المتعارف في اللغة فلا يصار اليه بدون ضرورة ثم ان تفسيرهم الرزق بذلك ليس مطردا فيه
ولا منعكسا لدخول ملك الله تعالى وخروج رزق الدواب والعبيد والاماء وتلزمهم اعتراضات على الوجهين
ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا وهو خلاف الاجماع الحاصل من الامة قبل ظهور
المعتزلة انه لا رازق الا الله وانه استحق العبد الذم واللوم على اكل الحرام والاضافة الى الله تعالى
معتبرة في مفهوم الرزق وكل احد مستوف رزقه نفسه حلالا كان او حراما ولا يتصور ان لا يأكل
انسان رزقه او يأكل غير رزقه لانعدام قدرة الله تعالى غذا الشخص يجب ان يأكله ويتمتع به ولهذا
قال فحل ايمزل وارجع عن المحال وجه كونه محالا انه لا يبقى احد بلا رزق ولا يمكن الا ان يأكل
المعتزلة ضرب من المحال ولهذا اوضح كونه كذلك محالا بقوله لانه سبحانه وتعالى رازق كل الخلق
كما في الادلة اليقينية والاحاديث النبوية مما لا يحصى الا بكلفة كقوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وكلوا من رزقه ان الله هو الرزاق وليس يوجد مخلوق قام من سائر الحيوانات
ويبقى بغير رزق فظهر فساد مذهب المعتزلة وحقيقة مذهب اهل الحق فان الله تعالى قسم
بين الخلق معايشهم في الحياة الدنيا ومعلوم ان الحرام معيشة لبعض الانام والله الفعال
لما يريد ومن ثمت من سائر الحيوانات بقتله من سائر انواع القتل من البشر محرمة لما فساده
ذكرا كان او انثى واحدا او جمعا وقد يجمع ويثنى اشارا وقدمه للاعتناء به والاهتمام باحواله
ولانه المقصود بالذكر وانما قال او غيره من سائر الحيوانات لدفع توهم انما قتل منها ليس كذلك
مؤنثة بالقضاء اي بقضاء الله تعالى وهو لغة الحكم وعرفا ارادة الله تعالى الازلية المتعلقة
بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال والقدر بتحريك الدال وتسكن مصدر قدرت الشيء بتقدير
الدال مخففة اذا احطت بمقداره والمراد هنا القضاء عرفا وفي القضاء عرفا مضاف اليه اي بتقدير
الله تعالى لذلك وهو عند الماتريدية بحديده تعالى اما كل مخلوق بحده الذي يوجد به من حسن
وقبح ونفع وضر وما يحويه من زمان ومكان وما يترتب عليه من طاعة وعصيان وثواب
وعقاب وغفران وعند الاشاعرة ايجاد الله تعالى الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين
في ذواتها واحوالها طبق ما سبق به العلم وجرى به القلم قال الخطابي رحمه الله تعالى قد
يحسب كثير من الناس ان معنى القدر من الله تعالى والقضاء معنى الاجبار والقهر للعبد

على ما

ولا يرزق الا الله كل الخلق
وليس يخلق قانعا من البشر
او غيره فالقضاء والقدر

على ما قضاه وقدره وتوهم ان قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى مما هذا الوجه وليس كذلك
وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها
عن تقدير منه تعالى وخلقه لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر
كالهدم والنشر والقبض اسما لما صدر عن فعل الهادم والناشر والقابض يقال قدرت الشيء
وقدرت خفيفة وثقيلة بمعنى واحد قال والقضا معناه في هذا الخلق كقوله تعالى فقضاهن
سبع سموات في يومين اي خلقهن واذا كان الامر كذلك فقد قضى عليهم من وراء علم الله تعالى فيهم
افعالهم واكسابهم ومباشرتهم تلك الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقدم ارادة
واختيار والحجة تلزمهم بها والملامة تلحقهم عليها قال وجماع القول في هذا انما هو امران لا ينفك
احدهما عن الاخر فاحدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البناء فلو رام الفصل بينهما فقد
رام هدم البناء ونقضه وانما كان موضع الحجة لآدم على موسى عليهما السلام ان الله سبحانه وتعالى
قد كان علم من آدم انه يتناول من الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله
بعد ذلك وبيان هذا في قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فاخبر
قبل كون آدم انما خلقه للارض وانه لا يترك في الجنة حتى ينقله عنها اليها وانما كان تناوله
سببا للوقوع الى الارض التي خلق لها ليكون فيها خليفة وآليا على ما فيها فانما ادلى آدم
بالحجة على موسى بهذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال ألمتلومني على امر قدره
الله علي من قبل ان يخلقني قال فقول موسى وان كان في النفوس منه شبهة وفي ظاهره تعلق
لمحتاج بالسبب الذي جعل امارة لخروجه من الجنة فقول آدم في تعلقه بالسبب الذي هو
بمنزلة الاصل اذ حج واقوى والفلج قد يقع مع المعارضة بالترجيح كما يقع البرهان
الذي لا يتعارضه انتهى والحديث الذي احتج فيه آدم على موسى رواه البخاري ومسلم وغيرهما
من حديث ابي هريرة وروى الضياء باسناد جيد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال احتج آدم وموسى وفي لفظ ان موسى قال يا رب ارنا آدم الذي اخرجنا من الجنة تخطئته
فقال له موسى يا آدم انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك الملائكة
لم اذ اخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم انت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه
وكتب لك التوراة بيده فبكم تجد فيها مكتوبا وعصى آدم ربه فغوى قبل ان اخلق قال
باربعين سنة قال فحج آدم موسى قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه ظن طوائف
في هذا الحديث ان آدم احتج بالقدر على الذنب وانه حج موسى بذلك وطائفة من هؤلاء
يدعون التحقيق والعرفان يحتجون بالقدر على الذنوب مستدلين بهذا الحديث وطائفة
يقولون الاحتجاج به سائغ في الاخرة لا في الدنيا وطائفة يقولون هو خصيصة للخاصة الماهدين
للقدر دون العامة وطائفة كذبت به كالجبائي وغيره وطائفة تاولته تاويلات فاسدة

مثل قول بعضهم انما حجه لانه كان قد تاب وقول آخر كان اباه وقول آخر كان
الذنب في شريعته واللوم في اخرى قال وهذا كله تعريج عن مقصود الحديث وظاهر ما يؤخذ
من كلام شيخ الاسلام ومن مفهوم الحديث ان آدم انما حج موسى عليهما السلام لكونه قد تاب
عن الذنب الصوري واستسلم للمصيبة التي لحقت الذرية بسبب اكله المقدر عليه فالحديث
تضمن التسليم للقدر عند المصائب لا عند الذنوب وللعايب فيصبر على المصايب ويستغفر
من الذنوب كما قالتها فاصبرا وعد الله حق واستغفر لذنبك وقالتها اصاب من مصيبة
الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قالت طائفة من السلف كان ابن مسعود رضي الله عنه
يقول هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم فالايمان بالقدر والرضا
بما قدره الله من المصايب والتسليم لذلك هو من حقيقة الايمان واما الذنوب فليس لاحد
ان يحتج على فعلها بقدر الله تعالى عليه لانه لا يفعلها واذا فعلها فعليه ان يتوب منها كما فعل
آدم عليه السلام وقال العلامة ابن مفلح في الآداب قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه
موسى قال لم ذا اخرجتنا ونفسك من الجنة فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله الاجل
كونها ذنبا ولهذا احتج عليه آدم عليه السلام بالقدر واما كونه لاجل الذنب كما يظنه طوائف
من الناس فليس مرادا بالحديث فان آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا
ذنب له ولا يحتج يوم القيامة التائب باتفاق الناس قال ولان آدم عليه السلام احتج بالقدر وليس
لاحد ان يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر اهل الملل وسائر العقلاء قال
شيخ الاسلام ايضا في كتابه الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان وهذا الحديث
قد ضلت به طائفتان طائفة كذبت به لما ظنوا انه يقتضي رفع الذم والعقاب
عمن عصى الامر وجعل الاحتجاج بالقدر وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة لاهل الحقيقة
الذين شهدوه او الذين لا يرون ان لهم فعلا وذكر نحو ما قدمناه من قول الطوائف ثم قال
وهذا كله باطل ولكن وجه الحديث ان موسى عليه السلام لم يلم اباه الا لاجل المصيبة التي
لحقتهم من اجل اكلة الشجرة فقال لم ذا اخرجتنا ونفسك من الجنة لم يقل ربنا ظلمنا انفسنا
وتاب عنه فان موسى عليه السلام يعتقد رفع الملام عنه لاجل القدر لم يقل ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والمسلم مامور عند المصايب ان يصبر ويسلم
وعند الذنوب يستغفر ويتوب والله اعلم اذا علمت هذا مع ما قدمناه تحت قوله وكل ما
يفعله العباد البينين والتنبيهات التي ذكرناها هناك وذلك علمت ان القدر عند السلف
ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن الى الابد وان عز وجل قدر مقادير الخلايق وما يكون
من الاشياء قبل ان يكون في الازل وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في اوقات معلومة عنده بهم
وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها قال شيخ الاسلام ابن تيمية اغد قال الله تعالى

على ضريحه

على ضريحه ان علم الله السابق محيط بالاشياء على ما هي عليه ولا محو فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا
نقص فانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون كما تقدم قال واما
ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ فهل يقع فيه محو واثبات على قولين للعلماء قال واما الصحف
التي بايدي الملايكة فيحصل فيها المحو والاثبات انتهى وتقدم اذا علمت هذا فقوله ومن ثم قتله الخ
ان المراد المقتول ميت باجله اي الوقت المقدر لموته كما زعم بعض المعتزلة من ان الله تعالى قد
قطع عليه الاجل والحق عند اهل الحق ان المقتول ميت في الوقت الذي قدره الله تعالى وعلم ان يموت
فيه لا كما زعمت المعتزلة انه قد قطع عليه الاجل يعني لم يصله اليه وانه لو لم يقتل لعاش الى الوقت الذي علم الله تعالى موته فيه لولا القتل فهم يقطعون بامتداد العمر لولا القتل وحاصل النزاع ان
المراد بالاجل المضاف زعما تبطل فيه الحياة قطعا من غير تقدم ولا تاخر فهل يتحقق ذلك في
المقتول ام المعلوم في حقه انه ان قتل مات وان لم يقتل فيعيش الى وقت هو اجله الذي علم الله تعالى
موته فيه لولا القتل وزعم ابو الهذيل منهم انه لو لم يقتل لمات في ذلك الوقت البته
وقول غيره لو لم يقتل لجاز ان يموت في ذلك الوقت وان لا يموت وهو مذهب اهل السنة
يعني الى اجله الذي اذا جاء لا يتاخر عنه ولا يتقدم كما قالته اذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون واذى ابو الحسن ومن تابعه من المعتزلة بان المسئلة بديهية
يعني موت المقتول من فعل القاتل وبقاءه لولا القتل ضرورية يدرك بغير استدلال البتة
البديهة والجمهور منهم كانوا يقولون ان المسئلة استدلالية وقال الكعبي منهم ان المقتول
تبطل حياته باجل القتل وليس المقتول بميت فيخرج الموت بما لا يكون به على وجه القتل على ما اشعر به
قولهم افراد مات الامر لكن المعنى مات حتف انفه فمجرد بطلان الحياة موت والحاصل
ان المقتول مات باجله الذي اجله الله تعالى الذي لا يتقدم موته عليه لحظة ولا يتاخر عنه لحظة
فانه عز وجل حكم باجال العباد على علم من غير تردد فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون عنه ساعة
ولا يستقدمون واما الاحاديث التي فيها ان بعض الطاعات تزيد في العمر مثل صلة الرحم
وغير ذلك مما جاء انه يعصر العمر فهذا في الصحف التي يقع فيها المحو والاثبات وعلم الله تعالى
لا يقع فيه تغيير ولا زيادة ولا انقصان كما مر آنفا والحق ان الاجل واحد لا كما زعم الكعبي
ان للمقتول اجلين القتل والموت وانه لو لم يقتل لعاش الى اجله الذي هو الموت ولا كما زعمت
الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا قيل لموته الانسان انه يبلغ مائة وعشرين وعوته
عندهم بتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين واجل آخر غير الطبيعي اختراما يجب
الافات والامراض ولو رد هذه المذاهب الباطلة والعقايد الفاسدة العاطلة
الا يشير بقوله ولم يقف على المقتول ولا غيره من زرقه المقسوم له في علم الملك الحي القيوم سبحانه

وتعالى

قل واجل ولا فاتة ايضا من الأجل المحتوم شيء ولا لحظة واحدة فدع اي اترك وجانب اهل الضلال من طوائف المعتزلة فانهم ضلوا الطريق القويم واضلوا عن الصراط المستقيم ودع اهل الخطل وهو بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة الخفة والرعونة والكلام الفاسد الكثير وهذا مناسب لحال الفلاسفة لرعونة كلامهم وتمزيقه وخفته وتزويقه مع ما فيه من الاضطراب وكثرة الخطا وقلة الصواب والتناقض والتحكم بالمعقول والخوض فيما لا يعلم حقيقته الا بالتلقي عن الرسول فكم لهم من هفوة باردة ومقالة فاسدة ودع نحاتة افكارهم ونخالة اراهم وابتكارهم واكرع من المنهل العذب الزلال الصافي وتضلع من الغذا الهني المري الشافي الذي جاء به الرسول عن جبريل عن رب العالمين لا ما قذفته الافكار من الوساوس ووحي الشياطين تتمة في ذكر بعض ما ورد في هذا الفصل من الاخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار روى ابن حبان في صحيحه من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان تستبطئوا الرزق فانه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له فاجملوا في الطلب اخذ الحلال وترك الحرام وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اتقوا الله واجملوا في الطلب فان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم رواه ابن ماجه والمقدسي والحاكم وقال على شرط مسلم واخرج الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من عمل يقرب الى الجنة الا قد امرتكم به ولا عمل يقرب من النار الا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطئن احدكم رزقه فان جبريل القى في روعي ان احدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله يا ايها الناس واجملوا في الطلب فان استبطا احدكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله تعالى فان الله لا ينال فضله بمعصية وفي حديث حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا رسول رب العالمين جبريل عليه السلام نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها رواه البزار وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روى عن محمد بن يزيد الاسفاطي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم ففلت يا رسول الله حديث ابن مسعود الذي حدث عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا اله الا هو حدثته به انا بيقوطها ثلاثا ثم قال غفر الله للاعمش كما حدث به وغفر الله لمن حدث به قبل الاعمش ولمن حدث به بعده وفي الصحيحين من حديث انس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا يقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقا قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك في بطن امه وفي مسلم من حديث

حذيفة

حذيفة ابن اسيد رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ويكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص وقد روي انه يكتب على جبهته او بطن كفه او ورقة تعلق في عنقه وفي رواية ابن عيينة قال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين النووية وبكل حال فهذه الكتابة التي تكتب للجنين في بطن امه غير كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها كما في صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة كما تقدم قال علماء الحديث فيكتب رزقه قليلا كان او كثيرا وصفته حلالا كان او حراما او مكروها وكم يكتب اجله طويلا كان او قصيرا وبالله التوفيق

الباب الثالث

الثالث في الاحكام والكلام على الجماد ومتعلقات ذلك

اعلم وفقني الله واياك وسائر المسلمين لمرضاته ان طرق الناس قد اختلفت في علة التكليف وحكمته مع كون الله سبحانه وتعالى لا ينتفع بطاعة ولا تضره معصية فسلكت الجبرية ومن وافقهم مسلكهم المعروف وان ذلك صادر عن محض المشيئة وصرف الارادة وانه لا علة ولا حكمة له ولا ما يحث عليه سوى محض الارادة وسلكت القدرية مسلكها المعروف وهو ان ذلك استحقاق منه لعبيده لما الوا جرهم بالعمل فيكون الذنب اقتضاهم الثواب بل عمل الما فيه من تكديح بر المنة والمسلكان فاسدان كما ترى وتقدم ذكر وحسبك ما دل عليه العقل الصريح والنقل الصحيح من بطلان هذين المذهبين وفسادهما وليس عند الناس غير هذين المسلكين الا مسلك من هو خارج عن الديانات واتباع الرسل مما يروى ان الشرايع وضعت نواميس تقوم عليها مصلحة الناس ومعايشهم وان فائدتها تكميل قوة النفس العلمية وارتياضها للخروج عن شبه الانعام فقصير مستعدة لان تكون محلا لقبول الفلسفة العليا والحكمة وهذا مسلك خارج عن مناهج الانبياء واممهم وامتا اتباع الرسل الذين هم اهل الصفا ونجحة الله عز وجل فانهم لما كلفهم ما كلفهم به اعظم واجل عندهم مما يخطر بالبال او اعرب به المقال فيشهدون له سبحانه في ذلك الحكم الباهرة والاسرار العظيمة اكثر مما يشهدونه في مخلوقاته وما تضمنته من الاسرار والحكم ويعلمون مع ذلك انها نسبة لما اطلعهم سبحانه عليه من ذلك الى ما طوى علمه عنهم واستاثر به دونهم وان حكمته في امره ونهيه لا ترجع الى حاجة منه الى عباده وانما هي رحمة منه لهم وجود وبر بهم وانه لا يعبده من عباده الا من اعانه على عبادته ولا يعصيه الا من خذله ولم يعنه ولا يهتدي الا من هداه ولا يضل الا من اضله ولا يشقى الا من اشقاه ولا يسعد الا من اسعده وانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وانه لا يجب عليه شيء من ذلك بل ذلك كله منه سبحانه تفضل وجود وبر وانه لو عذب اهل سماواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم ولو نعم اهل طاعته ولم يعذبهم لكان ذلك محض جوده وبره وانه لا يجب عليه شيء البتة وانه لا يجب عليه ان يفعل لاجل الحكمة والمصلحة بل ما يفعله لذلك فهو تفضل منه وجود وبر وانه لا يجب عليه ان يفعل لاجل الحكمة والمصلحة بل ما يفعله لذلك فهو تفضل منه وجود وبر

بالعباده كما فيها ما يقضي تناول المنافع واجتناب المضار وقاده الله تعالى فطر خلقه على محبته
والاقبال عليه وابتغاء الوسيلة اليه وانه لاشيء على الاطلاق احب الى العباد منه ولا اشدت فطر
اكثر الخلق عما اطر اعليها بما اقتطعها واجتالها عما خلق فيها كما قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها بين سبحانه ان اقامة الوجه وهو اخلاص القصد ونذل الوسع
لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفا مقبلا عليه معرضا عما سواه هو فطرته التي فطر عليها عباده
فلو خلوا ودواعي فطرهم لما مالوا عن ذلك ولا اختاروا سواه ولكن غيرت الفطرة واشدت
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى يكون انتم تجدعونها ثم يقول ابو هريرة رضي الله عنه
اقرؤا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
منيبين اليه ومنيبين نصب على الحال من المفعول اي فطرهم منيبين اليه والانابة اليه تتضمن
الاقبال عليه بمحبته وحده والاعراض عما سواه وفي صحيح مسلم من حديث عياض ابن حمار يقول
الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانه اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم
وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا وحرمت عليهم ما احللت لهم فاخبر سبحانه انه انما
خلق عباده على الحنيفية المتضمنة لكمال حبه والخضوع له والذل له وكمال طاعته وحده دون
غيره وهذا من الحق الذي خلقت له وبه قامت السموات والارض وما بينهما وعليه قام العالم
ولاجله خلقت الجنة والنار ولاجله ارسل رسله وانزل كتبه ولاجله اهلك القرون التي خلت
عنه واثرت غيره فكونه سبحانه اهلا ان يعبد ويحب ويثنى عليه امر ثابت له لذاته وهو
سبحانه الاله الحق المبين والاله الذي يستحق ان يوله محبة وتعظيما وخشية وخضوعا
وتذللا وعبادة وهو الاله الحق ولو لم يخلق خلقه وهو الاله الحق ولو لم يعبدوه وهو المعبود
حقا الاله الحمود خلقا ولو قدر ان خلقه لم يعبدوه ولم يحمدوه ولم يأتهوه لم يستحق
تعالى بخلقه لهم ولا بامره اياهم استحقاق الالهية والحمد بل الالهية وحمده ومجده وغناه
اوصاف ذاتية له سبحانه وتعالى يستحيل مفارقتها لحياته ووجوده وقدرته وعلمه وسائر
صفات كماله وقد جاءت الرسل وانزلت الكتب بتقدير ما استودع سبحانه في الفطر
والعقول من ذكره وتحميله وتفضيله وزيادته حسنا الى حسنه فانقضت شريعته وفطرته
فظا نقا ونوقا فعبدوه عبادة واصوه ومجدوه بداعي الشرع وداعي الفطرة و
العقل فاجتمعت لهم الدواعي فاجتمعت دواعيهم الى قلبهم والهمم وفاطرهم فاقبلوا اليه
بقلوب سليمة لم يعارض خبره عندها شبهة توجب ريبا واشكالا ولا امر يشوش توجب
رغبتها عنه والتبار ما سواه وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له تفعل هذا

وقد غفر الله

وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وافتقر صلى الله عليه وسلم من حولهم
على ما تدركه عقولهم وتناله افهامهم والا فمن المعلوم ان اباءته على ذلك اكثر من ان يحل عن الوصف
ولا يحيط به العبارة ولا ذهان فاين هذا الشهود من شهود طائفتي القدرية والجبرية ومن علم
انه لا يكن احد مما خلقه قط ان يعبده تعالى حق عبادته ولا يوفيه حقه من المحبة والخوف وهذا
كما خلقه وافضلهم واعرفهم به واحبهم اليه واطوعهم له لا احصي ثناء عليه واخبر
صلى الله عليه وسلم ان عمله لا يستقل بالنجاة فقال لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل وفي الحديث المشهور المرفوع انه ما من الملائكة
من هو ساجد لا يرفع راسه منذ خلق ومنهم راكع لا يرفع راسه من الركوع منذ خلق ومنهم قائم
واهم يقولون يوم القيمة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وما كانت عبادة سبحانه وتعالى
تابعة لمحبته واجلاله وكانت المحبة نوعين محبة تنشأ عن لمة انعام ولما احسان فوجب شكرا و
عبودية بحسب كمالها وفضلها ومحبة تنشأ عن جمال المحبوب وكماله فوجب عبودية و
طاعة امر واجتناب نهي اكمل من الاولى وكان الباعث على الطاعة والعبودية الا يخرج
عن هذين النوعين قال الناظم عاطفا امتثال المامور والانتهاء عما عنه الزجر ويفعلوا يعني العباد
الفعل الذي به امر سبحانه وتعالى الفعل الذي امر به فان كان على سبيل الحتم والتاكيد
فعلوه على الوجوب وان كان على سبيل الندب والارشاد ولهذا قال حتما اي لازما مصدر
حتم حتما يعني انهم يفعلونه ما امر الله به امرا على سبيل الحتم واللزوم واما اذا كان
الامر لا على سبيل الحتم ففعله غير لازم لهم بل هو مندوب ومرغب فيه ومستحق قال في النهاية
الحتم اللازم الواجب الذي لا بد من فعله وان يتركوا الذي عنه زجر ولا يخفى ان
الزجر يفيد التحريم لان معنى الزجر المنع قال في القاموس زجره منعه كما زجره فانزجر
وازدجر فان لم يكن على سبيل الزجر والتحريم فعلوه للكراهة وخلافا للاولى وتركه على
سبيل الندب والاستحباب فعلوه الطاعة تارة تنفع عن محبة وشوق واخرى عن خوف
مقرون بحب واما من اتى بصورة الطاعة خوفا مجردا عن الحب فليس بمطيع ولا عابد وانما
هو كالمكره او كاجير السوء الذي ان اعطي عمل وان لم يعط كفر وابق فالعبادة والطاعة الناشئة
عن محبة الكمال وللجلال اعظم من الطاعة الناشئة عن رؤية المنعام ولما افضال ولما احسان
فان الذوق السليم يدرك الفرق بين ما تعلق بالحي القيوم الذي لا يموت وبين ما تعلق
بالمخلوق من رغبة في جنة او خوف من نار وان شمل النوعين اسم المحبة لانه من يحبك لذاتك
واوصافك وحمالك دائم واكمل واعظم ممن يحبك لغرضك ودينارك واسماء الله الحسنى
والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية والامر اقتضاء ها لآثارها من الخلق

ونهاه عنه

ويفعلوا الفعل الذي به امر
حتما ويتركوا الذي عنه زجر

تكونوا

ما ح

ويتركوا

والتكوين فامره سبحانه ونهيه هو موجب اسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها من غير
ان يتاتى منه تعالى طاعته ولا يشاء بمعصيته وتامل قوله تعالى في الحديث القدسي يا عبادي انكم لن
تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني في الحديث فبين سبحانه ما امرهم به من الطاعات
وما نهاهم عنه من السيئات لا ليتضمن استجلاب نفعهم ولا اندفاع ضرهم كامر السيد عبده والوالد
ولده والحاكم رعيته بما ينفع الامر والمامور به ونهيهم عما يضر المنهي والناهي بل هو سبحانه
المنزه عن لحوق نفعهم وضرهم به في احسانه اليهم بما يتفضله او بما يامرهم به من ازاحة الدواعي
وغير ذلك من الزلات وتفريج الكربات فليس شيء من ذلك لاستجلاب منفعة ولا لدفع مضرة فانه الغني
الحميد ولكن له سبحانه في تكليف عباده وامرهم ونهيهم من الحكم البالغة ما يقتضيه ملكه التام
وحمده وحكمته ولو لم يكن من ذلك الا انه يستوجب من عباده شكر نعمه التي لا تحصى ومنه
التي لا تستقصى بحسب قواهم وطاقتهم لا بحسب ما ينبغي له فانه اعظم واجل من ان يقدر
خلقه عليه لكان كافيا فلا شيء احسن في العقول والفطر من شكر المتنعم ولا انفع للعبد منه
فهذا له مسلكان اخران في حكمة التكليف والامر والنهي احدهما يتعلق بذاته تعالى وصفاته
وانه اهل الذكر والثاني يتعلق باحسانه وانعامه ولا سيما مع غناه عن عباده وانه
انما يحسن اليهم رحمة منه وجودا واكراما لا لمعاوضة ولا لاستجلاب منفعة ولا لدفع مضرة
فاي المسلكين سلكه العبد اوقعه على محبته وبذل الجهد في مرضاته ذكر ذلك في مفتاح دار
السعادة واطال جدا فلخص منه هذا وبالله التوفيق قال ابن حمدان في نهاية المبتدين
يجب امتثال امره تعالى واجتناب نهيه لجاز مني ويستحب في غيرهما ويلزم به الطاعة والخضوع
وتمامه اخلاص في الكل قال والامر بالشيء نهي عن ضده معنى والنهي عنه امر بضده معنى
ان كان ضده واحدا او احدهما ان كانت اكثر من واحد والامر والنهي المطلقان للفور والتكرار
الممكن شرعا كما هو مذكور في محاله من اصول الفقه **فصل** في الكلام على القضاء
والقدر غير ما تقدم قال وكلما اي كل شيء قدره الله سبحانه وتعالى او قضاه من سائر الاشيا
وتقدم تعريف القضاء والقدر قريبا فهو واقع حتما لا زما كما قضاه اي كما حكم به وقدره
حسبما سبق في علمه وجرى به القلم في الكتاب الذي كتبه قبل ان يخلق السموات والارض و
الخلائق بخمسين الف عام المذكور في قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبرأها قال في النهاية قد تكرر في الحديث ذكر القدر وهو عبارة عما
قضاه الله وحكم به من الامور وقال في القضاء انه الفصل والحكم وقال وقد تكرر في
الحديث ذكر القضاء واصله القطع والفصل يقال قضى يقضي قضاء فهو قاض اذا حكم
وفصل وقضى الشيء احكامه وامضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق وقال الازهري

القضا

القضاء اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما احكم عملا او اتم او ختم او ادي
او وجب او علم او انفذ او امضى قال وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الاحاديث
ومنه المقضي المقرون بالقدر فالقضاء والقدر امران متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر
لان احدهما بمنزلة الاساس وهو القدر والاخر بمنزلة البنا وهو القضاء فمتى رام الفصل بينهما
فقد رام هدم البنا ونقضه وتقدم وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في اول
تفسير سورة الاسرا ان اسماعيل ابن احمد النيسابوري قد استوعب الاوجه في القضا
في كتابه الوجوه والنظائر فقال لفظة قضى في الكتاب العزيز جاءت على خمسة عشر وجها
الفراغ فاذا قضيتم مناسككم والامر اذا قضى امرا والاجل فلما قضى موسى الاجل والفصل لقضي
الامر بينهم وبينكم والمضي ليقضى الله امرا كان مفعولا والهلاك لقضي اليهم اجلهم والوجوب لما
قضى الامر والابرام في نفس يعقوب وقضينا الى بني اسرائيل والوصية
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه والموت فوكزه موسى فقضى عليه والنزول فلما قضينا عليه
الموت والخلق فقضاهن سبع سموات والفعل كلا لما يقض ما امره يعني حتما لم يفعل
ما امره والعهد واذ قضينا الى موسى الامر وذكر غير القدر المكتوب في اللوح المحفوظ كقوله تعالى
وكان امرا مقضيا والفعل فاقض ما انت قاض اي اوجبهم العذاب والوفا بغاية العبادة
والكفاية ولي تقضي عن احد بعدك وبعض هذه الوجوه متداخل ويرد القضاء بمعنى المنتهى
فلما قضى زيد منها وطرا بمعنى الاتمام ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده وبمعنى كنت اذا قضى
امرا وبمعنى الاداء وهو ما ذكره بمعنى الفراغ ومنه قضى دينه وتفسير قضى ربك بمعنى
وصى منقول من مصحف ابي ابن كعب اخرجه الطبري واخرجه ايضا من طريق قتادة قال
هي في مصحف ابن مسعود ووصى ومن طريق مجاهد في قوله تعالى وقضى قال اوصى
ومن طريق الضحاك انه قرا ووصى وقال لصفت الواو بالصاد فصارت قاف فقرينه وقضى
كذا قال واستنكروه منه انتهى ملخصا ففوله في النظم فواقع حتما كما قضاه اشارة الى ما
قدمناه ذكره من ان الله تعالى قدر الاشياء في الازل وعلم سبحانه انها ستقع في اوقات
معلومة عنده على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها وقضاها من غير زيادة
ولا نقص وقصد بذلك الرد على المعتزلة القدرية المنكرة لسبق العلم بالاشيا قبل وجودها
وزعمهم ان الله لم يقدر الامور ازلا ولم يكتبها ولم يتقدم له علم بها وانما يتنافها علما
حال وقوعها وهؤلاء انقرضوا كما مر وامّا القدرية المثبتة لسبق العلم بالاشيا انما خالفوا
السلف في زعمهم ان افعال العباد مقدورة لهم واقعة منهم على جهة الاستقلال لا ازدا
ولا صنع للبارئ في ذلك كما مر الكلام على ذلك بما فيه غنية فراجعه ان شئت وليس واجب
على العبد المكلف الرضا وهو سكون القلب واطمانينته الى قدم اختيار الله للعبد الذي

ان ص
بهم ص
فواقع حتما كما قضاه او قضاه
وليس واجبا على العبد الرضا
بلغ

اختار له الافضل فيرضى به وقال الجنيد قدس الله سره الرضا صخرة العالم الواصل الى القلب فاذا باشر القلب
حقيقة العلم ادّاه الى الرضا وليس الرضا والمحبة كالرجا والخوف فانّ الرضا والمحبة حالان او معنى
احوال اهل الجنة لا يفارقانه في الدنيا ولا في الاخرة ولا في البرزخ بخلاف الخوف والرجا فانهما
يفارقان اهل الجنة بحصول ما كانوا يرجون وامنهم مما كانوا يخافون وان كان رجاؤهم
لما ينالونه من ربهم دائما لكنه ليس رجاء مشوبا بشك بل رجاء واثق بوعد صادق
من حبيب قادر فهذا نوع ورجاؤهم في الدنيا نوع وقد قيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى متى
يبلغ العبد الى مقام الرضا فقال اذا اقام نفسه على اربعة اصول فيما يعامل به ربه فيقول
انك اعطيتني قبل ان اسألك فاعطني بعد ان سألتك وان تركتني عبدت وان دعوتني اجبت قال
الامام المحقق ابن القيم في كتابه شرح منازل السائرين الرضا بالله اعلم الرضا بما من الله
قال وليس من شرط الرضا ان لا يحس بالالم والمكاره بل ان لا يتعرض على الحكم وتسخطه و
لهذا اشكل على بعض الناس الرضا بالمكروه وطعنوا فيه وقالوا هذا ممتنع على الطبيعة
وانما هو الصبر والاكليف يجتمع الرضا والكراهة وهما ضدان والصواب انه لا تناقض بينهما
وان وجود التالم وكراهة النفس له لا ينافي الرضا كرضا المريض بشرب الدواء الكريه ورضا
الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من الم الظمأ والجوع ورضا المجاهد في سبيل الله بما
يحصل له من الم الجراح وغيرها وقال جمع العلماء على ان الرضا مستحب مؤكد استحبابه و
اختلفوا في وجوبه على قولين قال وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه
يحكيهما قولين لاصحاب الامام احمد رضي الله عنه وكان يعني شيخ الاسلام يذهب الى القول
باستحبابه قال ولم يجئ الامر به كما جاء بالصبر وانما جاء الثناء على اصحابه ومدحهم
قال واما ما يروى من انه من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي
فهذا من اسرائيليات ليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم ولا سيما عند من يروى ان الرضا
من جملة الاحوال التي ليست مكتسبة وانه موهبة محضة فليف يؤمر به وليس مقدورا وهذه
مسئلة اختلف فيها ارباب السلوك على ثلاثة طرق فاخر اسلكوه قالوا الرضا مقام جملة المقامات
وهو نهاية التوكل فعلى هذا يمكن ان يتوصل العبد بالكتساب والعزيمة قالوا وهو من
جملة الاحوال وليس كسبا للعبد بل نازلة تحل بالقلب كسائر الاحوال وحكمت طائفة ثالثة
بين الطائفتين منهم القشيري فقالوا بداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من جملة المقامات و
نهايته من جملة الاحوال فاوله مقام ونهايته حال والفرق بين المقامات والاحوال ان
المقامات عندهم من المكاسب والاحوال مواهب قال المحقق ابن القيم هنا ثلاثة امور
الرضا بالله والرضا عن الله والرضا بقضاء الله فالرضا بالله فرض والرضا عنه واجب كما دل
اجل الامور واشرف انواع العبودية فلم يطالبه الله بالعزم لعجزهم عنه ومشقته عليهم واوجبه

طائفة

طائفة كما اوجبوا الرضا به واما الرضا بقضاء الله فهو المشار اليه بقوله لا يجب الرضا بكل مقضي
بل حكم المقضي لا بد فيه من التفصيل لانه اما ان يكون مقضيا دينا شرعيا فالواجب على العبد ان لا
يختار في هذا النوع غير ما اختاره له ربه وسيده كما قال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا
قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم فاختيار العبد خلاف ذلك منافٍ لايمانه و
تسليمه ورضاه بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا واما ان يكون مقضيا كونيا قدريا وهذا
منه تعالى لا يسخطه الله كالمصائب الذي يبتلي عبده بها فهذا لا يضره فراره منها الى القدر
الذي يرفعها عنه ويكشفها وليس في ذلك منازعة للربوبية وان كان فيه منازعة القدر
بالقدر فهذا تارة يكون واجبا وتارة يكون مستحبا وتارة يكون مباحا مستوي الطرفين
وتارة يكون حراما وتارة يكون مكروها فالمقضي الذي لا يحبه الرب ولا يرضاه مثل المعايب
والذنوب فالعبد مامور بتسخطه ومنهي عن الرضا به وهذا هو التفصيل الواجب بالرضا
في القضا المشار اليه بقوله ولكن يجب الرضا بالقضا فان لفظ الرضا بالقضا محمود مامور به
وهو من مقامات الصديقين فصار له حرمة اوجبت لطائفة قبوله من غير تفصيل و
ظنوا ان كل ما كان مقضيا للرب تعالى مخلوقا له ينبغي الرضا به ثم انقسموا فرقتين فقالت
فرقة اذا كان القضا والرضا متلازمين فيعلوم انا مامورون بتغيير المعاصي والكفر والظلم
فلا تكون مقضية مقدرة وهم القدرية وقالت فرقة قد دل العقل والشرع على انها واقعة
بقضاء الله وقدره فنحن نرضى بها كالمرجئة والجبرية وكل من الفريقين على سبيل ضلال و
انحراف عن نهج الحق وطريق الصواب والحق في ذلك التفصيل فنرضى بقضاء الله الذي هو خلقه
الذي امرنا انه نرضى به ولا نرضى مما ذكرنا بالمقضي مما نهانا عن الرضا به فنرضى بالقضا ونسخط
من المقضي لانه يحبه الله تعالى ويرضاه وهذا قال لا اني اي القضاء فعله اي من فعل الله سبحانه تعالى
وهذا احد الوجوه في الرضا بالقضا فنرضى بفعله تعالى دون المعصية الصادرة من العبد
وهذا ونحوه لا يتمشى على اصول من لا يجعل محبة الرب ورضاه ومشيئته واحدة فانه ما قال
كل ما شاءه تعالى وقضاه فقد احبه ورضيه لا يحسن عنه ولا عنده هذا التفصيل كما لا يخفى
وايضا هذا انما يصح عند من جعل القضا غير المقضي والفعل غير المفعول وهو مذهب السلف
وامامة لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا عنده قال الامام المحقق ابن القيم رحمه الله في شرح
منازل السائرين انما نشأ الاشكال من جعلهم المشيئة نفس المحبة ثم زادهم جعلهم الفعل
نفس المفعول والقضا عين المقضي فنشأ من ذلك الزامهم بكونه تعالى راضيا محبا الذنب والتزام
رضاهم به والذي يكشف عن هذه الغمة سوء يفهم من هذه الورطة التفريق بين ما فرق الله بينه
وهو المشيئة والمحبة فليسا واحدا ولا هما متلازمان بل قد يشاء ما لا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه
فالاول كمشيئة وجود ابليس وجنوده ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه
والثاني كمحبة ايمان الكفار وطاعات الفجار وعدل الظالمين وتوبة الفاسقين ولو شاء

ماصح

لانه من فعله تعالى

بكل مقضي ولكن بالقضا

هو صح

ذلك لوجد كله فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فاذا تقرر هذا فالاصل ان الفعل غير المفعول
والقضاء غير المقضي وان الله جل شانه لم يأمر عباده بالرضا بكل ما خلقه وشاءه وقدره التي هي السيئات
وانخلق لها كالآلام اذا عرف هذا فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب وهو اساس الاسلام
وقاعدة الايمان فيجب على العبد ان يكون راضيا بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض
قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما فاقسم تعالى انهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ويرتفع الحرج من نفوسهم من
حكمه ويسلموا لحكمه وهذا حقيقة الرضا بحكمه في التحكيم في مقام الاسلام وانتفاء الحرج في مقام
الايمان والتسليم في مقام الاحسان ومتى خالطت القلب بشاشة الايمان واكتحلت ببصيرته
بحقيقة اليقين وجرى بروح الوحي وتمهدت طبيعته وانقلبت النفس امارة مطمئنة راضية
وادعة وتلقى الاسلام بصدر منشرح فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله
وذاك اي المقضي المبغوض لله ورسوله من المعاصي والظلم والعدوان ونحوها لا يرضى به العبد
لانه من فعل الشخص الذي تعالى لا تقاعل ما قدمناه كرهه ورفضه وابغضه اي من فعل الذي اتى
بما يبغضه الله باتيانه به وملابسته له وفعله الذي فعله من المظالم والمعاصي والاشياء المبغوضة
للباري سبحانه وتعالى فانى بما يوجب بغضته ويكرهه الله غاية الكراهة فهذا لا يسوغ الرضا به
وسر المسئلة ان الذي الى الرب منها غير مكروه وانما المكروه والمسخوط منها للعبد فيها قال الحافظ
ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى القضاء يراد به ثلاثة اشياء احدها الامر والنهي فهذا الرضا به
واجب والثاني الكفر والمعاصي فهذا الرضا به ليس بواجب والثالث المصائب التي تصيب
العبد فهل الرضا بها واجب او مستحب قال ثم يقال القضاء الذي هو صفة الله الرضا به واجب
واما المقضي وهو الكفر والمعاصي التي هي افعال العباد فالرضا به ليس بواجب انتهى ومقصوده
ولا اجانب وفي تائية شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه

وقال فريق ترتضي بقضائه ... ولا ترتضي المقضي لا قبح خلقه
وقال فريق ترتضي باضافة ... اليه وما فينا فنلقى بسخطة
فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ... ونسخطه من وجه اكتسابه بحيلة

قال المطوع في شرح التائية المذكورة الثالث قولهم قال نرضى بالقضاء الذي هو تقديره ولا
نرضى بالمقضي الذي هو افعالنا القبيحة قال وهذا احد بعض اهل السنة للمعتزلة وهو
قولهم لو كانت الكفر بقضاء الله لوجب الرضا به لان الرضا بالقضاء واجب لكن الرضا بالكفر
فلا يكون بقضاء الله تعالى فاجابهم بالفرق بين القضاء والمقضي قال الرابع قولهم قال نرضى بالمقضي
من حيث كونه خلق الله ومراده ونسخطه من حيث هو مكتسب لنا وهذا من باب اختلاف الجهتين
كما قال الفقهاء في الموضوء من آنية الذهب والفضة ونحو ذلك والله اعلم قال قلت ليس للعبد شيء

منها

وذاك من فعل الذي تعالى لا

انتهى

وينفسق المذنب بالكبيرة

استخار الله عز وجل
ومن سعادة ابن آدم
رضاه صح

١٢١

ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله صح

منها قلنا هذا هو الجبر الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق والمدري
اقرب الى التخلص منه من الجبري واهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية هم اسعد بالتخلص
منه من الفريقين والرضا بالقضاء السعادة كما في مسند الامام احمد وسنن الترمذي من حديث
سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن آدم استخارته
الله وقضاء الله له ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله فالرضا بالقضاء من اسباب السعادة
والسخط على القضاء من اسباب الشقاوة وروى ابن ابي الدنيا بسنده عن عمر ابن ذر قال
بلغنا ان ام الدرداء رضي الله عنها كانت تقول ان الراضين بقضاء الله الذين رضي الله لهم
رضوا به لهم في الجنة منازل يغبطهم فيها الشهداء يوم القيمة وقال سيدنا الامام علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه لعدي بن حاتم وقد رآه كئيبا حزينا لقتل ابنيه وفقئ عينه يا عدي
من رضي بقضاء الله كان له اجر ومن لم يرض بقضاء الله حبط عمله رواه ابن ابي الدنيا والله اعلم

فصل في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها

اعلم وفقك الله تعالى ان فرقة المعتزلة من اول فرقة اسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرى عليه السلف الصالح من الائمة بعد
الصحابة والتابعين لهم باحسان رضي الله عنهم في باب العقائد وذلك ان رئيسهم واصل ابن عطا
اعتزل مجلس الحسن البصري يقرر امر تلك الكبيرة ليس هو مؤمنا ولا كافرا وبيت المنزلة بين
المنزلتين فقال الحسن البصري اعتزلنا فسموا المعتزلة وهم سموا انفسهم اصحاب
العدل والتوحيد لقولهم بوجوب الصلاح والاصلح وثواب المطيع وعقاب العاصي على الله
ونفي الصفات القديمة عنه كما تقدم ذلك قال الحافظ العلامة شمس الدين محمد عبد الهادي
الحنبلي من بني قدامة في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه اول خلاف حدث
في الملة في الفاسق هل هو كافر او مؤمن فقالت الخوارج انه كافر وقالت الجماعة انه مؤمن وقالت
طائفة المعتزلة هو لا مؤمن ولا كافر منزلة بين المنزلتين وخلدوه في النار واعتزلوا حلقة
الحسن البصري واصحابه فسموا معتزلة واما اهل السنة فلم يخرجوه من الاسلام ولم يحكموا عليه
بالخلود في النار وانما هو فاسق بكبيرته مؤمن بايمانه وهو تحت مشيئة الله تعالى ولهذا قال العلامة
والفسق للمسلم المكلف المذنب باتيانه للمعصية الكبيرة اصل الفسوق الخروج عن الاستقامة
والجور وبه سمي العاصي فاسقا وفي الحديث خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والغراب
الابقع والفارة والكلب العقور والحداة وسميت فواسق لخروجها بالايذاء والافساد عن
طريق معظم الدواب وسمي الرجل الفاسق لخروجه عن امر الله والمذنب هو المقترف للذنب
وهو الاثم كما في القاموس والجمع ذنوب وجمع الجمع ذنوبات قال تعالى وتعاونوا على البر
والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان قال في شرح منازل السائرين الاثم والعدوان
كل منهما اذا افرد تضمن الآخر فكل اثم عدوان اذ هو فعل ما نهى الله عنه او ترك ما امر الله به فهو عدوان

الميت

على امره ونهيه وكل اثم عد وا ان فانه يأثم به صاحبه لكن عند اقتران النهي فيها شيئا بحسب متعلقهما
ووصفهما فالاثم ما كان محرم الجنس كالكذب والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك والعدوان ما كان
محرم القدر والزيادة بان يتعدى ما ابيح منه الى القدر المحرم كالاعتداء في اخذ الحق مما هو عليه
بان يتعدى على ماله او بدنه او عرضه والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا او وعيد في الاخرة
وزاد شيخ الاسلام او ورد فيها وعيد بنفي ايمان او لعن ونحوهما وقيل ما الحق صاحبها وعيد
شديد بنص كتاب او سنة قال ابن عبد السلام الشافعي لم اقف للكبيرة على ضابط سالم
من الاعتراض وعد امام الحرمين عما تعريفها الى حد السالب للعدالة فقال كل جريمة تؤذن
بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلة للعدالة وكل جريمة لا تؤذن بذلك
بل يبقى حسن الظن بصاحبها لا تبطل العدالة وقد ذهب بعض العلماء الى ان كل محرم كبيرة
منهم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني والقاضي ابو بكر الباقلاني وامام الحرمين الجويني بناء على
ابن فورك عن الاشاعرة والصواب تقسيم الذنوب الى كبيرة وصغيرة ويقال انه
لا خلاف بين الفريقين في المعنى بل في التسمية والاطلاق لاتفاق الجميع على ان من المعاصي
ما يقدح في العدالة ومنها ما لا يقدح والحامل لمن اطلق على الجميع اسم الكبيرة تعظيم
الحضرة الالهية من ان يكون العاصي لها متلبسا الا بمعصية كبيرة فبالنظر للمعصية
فمنها الكبائر ومنها الصغائر وبالنظر الى المعصي فالجميع كبائر وفي شرح البخاري للبدر
العيني عن سعيد بن جبير رحمه الله قال قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما الكبائر سبع
فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الى السبعمائة اقرب منها الى السبع غير انه لا كبيرة مع استغفار
ولا صغيرة مع اصرار وقد اوصلها علما وانا الى نيف وسبعين كبيرة كما في الاقناع وغيره
وقوله كذا اي مثل اتيانه الكبيرة اذ الاصرار على الجريمة الصغيرة يقال اصر يصر اصرارا
اذ الزمه وداوم عليه وثبت عليه واكثر ما يستعمل في الشر والذنوب وامامن اتبع الذنب الصغير
بالاستغفار فليس بمصر عليه وان تكرر منه وفي الحديث ما اصر من استغفر وفيه ايضا ويل للمصرين
الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون فمن اصر فانه يفسق حتى الجريمة الصغيرة لان
الاصرار يصير الصغيرة في حكم الكبيرة قال بعض العلماء تصير الصغيرة كبيرة بخمسة اشياء
الاصرار عليها والتهاون بها والفرح بها والافتخار بها وصدورها عن عالم فيقتدى به فيها
ثم ذكر ما عليه اهل السنة من انه اتيان الجريمة وان كانت كبيرة لا يخرج بها الشخص المؤمن
عن الايمان بقوله لا يخرج المرء هو بتثليث الميم الانسان او الرجل ولا يجمع من لفظه

اوسع

اوسع مرو وذكر قال في القاموس وهي نها ويقال مرة والامراة وفي امرئ مع الف الوصل لغات
فتح الراء دائما وضمها دائما واعرابها دائما وتقول هذا امرؤ ومررت بامرإ ورايت امرأ وهذا امرئ ومررت
بامرئ من مكانين كلهم من القاموس من الايمان الآتي تعريفه فيما بعد بموبقات الذنب
متعلق بقوله لا يخرج والموبقات بموحدة وقاف المهلكات جمع موبقة سميت الجريمة الكبيرة
بذلك لانها سبب اهلاك مرتكبها بما يترتب عليها من العقاب وفي الاخرة من العذاب قال الحافظ
ابن حجر والمراد بالموبقة الكبيرة وفي الصحيحين وسنن ابي داود والنسائي وغيرهم من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله
الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات
وثبت في حديث ابي هريرة رضي الله عنه انضم وحبه آخر الكبائر الاشراك بالله الحديث واخرج
الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له الكبائر سبع قال هي الى سبعمائة اقرب منها
هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة كما تقدم يعني باعتبار اصناف افرادها والكلمة
في الاقتصار على السبع المذكورة في الحديث مع ورود ما يزيد على السبعين في احاديث
متفرقة ان هذه موصوفة بصفة زائدة على مجرد الكبيرة وهي الموبقة اي المهلكة فان قيل
قد ورد في عدة احاديث الكبائر سبع ففي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه عند الامام احمد
في المسند وصحيح البخاري والترمذي والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وقذف المحصنة و
الفرار من الزحف واكل الربا واكل مال اليتيم والرجوع الى الاعراب بعد الهجرة فعد في هذا
الحديث ثمانية في بادي الراي وكانه عد الاكل للربا ولمال اليتيم واحدة وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنهما مرفوعا عند البزار باسناد حسن الكبائر الشرك بالله والاياس من روح الله
والقنوط من رحمة الله وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البيهقي باسناد صحيح مرفوعا الكبائر
الاشراك بالله وقذف المحصنة وقتل النفس المؤمنة والفرار يوم الزحف واكل مال اليتيم
وعقوق الوالدين المسلمين والحاد بالبيت قبلتكم احياء واموانا الى غير ذلك من الاحاديث
التي وصف فيها الذنوب بالكبر مما يزيد على السبعين اجوبة الاول ان هذا مما يؤيد ان العدد
لا مفهوم له او انه صلى الله عليه وسلم علم اولا بالسبع المذكورة ثم علم بعد ما زاد فيحمل الاخذ بالزائد
او انه الاقتصار على السبع وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل او ما وقعت له واقعة وبما قوى
ان التنصيص على السبع في كل حديث الزيادة عظمها ومن الكبائر الزنا وبجلالة الكبائر اشد

في الدنيا ج

وسبع ص

لكن الاصر بالصغيرة

لا ينافي ما من الايمان

وبالمحارم اشد واشد فانه للجريمة الصغيرة قد تنقلب كبيرة بقرينة الضم اليها وتنقلب الكبيرة فاحشة
فانه قتل النفس بغير حق كبيرة فانه قتل اصلاله اوفرعا او ذا رحم او بالحرم او في الاشهر الحرم او
في رمضان فهو فاحشة وكذا الزنا وتفاصيل ذلك كثيرة جدا والمراد ان الانسان لا يخرج من
الايمان بملابسة اتيانه موبقات الذنوب التي هي اكبر الكبائر والمراد بالذنوب المجتنب او الاستغراق
فيشمل كل الذنوب والمعصيان دون الشرك بالله تعالى والكفر بباقي انواع المكفرات فانه ذنب
يخرجه من الدين بيقين والعصيان ضد الطاعة وهو يرادف الذنب والاثم والجرم وكذا البغي
والعدوان والظلم ولكن قد يفهم من هذه تجاوز الحد المباح الى ما حوله وكذا الفحشاء والمنكر
فالفحشاء صفة لموصوف قد حذف تجريدا لقصد الصفة وهي الفعلة الفحشاء والخصلة الفحشاء
وهي ما ظهر قبحها لكل احد واستحسنه كل ذي عقل سليم ولهذا فسر بالزنا واللواط وقد سماه الله فاحشة
لتناهي قبحه وكذلك القبيح من القول يسمى فحشا وهو ما ظهر قبحه جدا من السب القبيح والقذف
ونحوه وكذا المنكر صفة لموصوف محذوف اي الفعل المنكر وهو ما انكرته العقول السليمة
والفطر المستقيمة والحاصل ان الشخص المؤمن لا يخرج من الايمان بملابسة كبائر الذنوب والمعصيان
وقد اختلف الناس في هذه المسئلة على طرق فطريق الخوارج ان من ارتكب كبيرة من
الذنوب بل والصغيرة لانه عندهم كل ذنب كبيرة نظرا لعظمة من عصي وكل كبيرة كفر يخرج
من الايمان اولا يدخل في الكفر فهو في منزلة بين الكفر والايمان ومن اصول المعتزلة اثبات
المنزلة بين المنزلتين كما مر ومع ذلك هو خالد مخلد في النار مع قولهم ان مرتكبي الكبائر ليسوا
بالكفار بل هم فساق مخلدون في النار هذا كله عند الطائفتين اذا لم يتوبوا قبل معاينة الموت
والحق هذا هو الحق من اهل السنة ان مرتكبي الكبيرة في مشيئة الله تعالى وعفوه لان اصل
الايمان هو التصديق بالله والمعرفة والاذعان لوجوده ونصوص الكتاب والسنة تدل الاعلى
هذا كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الاية وفي ذلك يقول فمن
عفي له من اخيه شيء فسماه اخا وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وقوله
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم الاية
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال وحوله
عصابة من اصحابه بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم
ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فاجره
على الله ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله

فهو

ويدخل الكفر وجملة في النار قالوا لانه لا يخلد في النار الا الكفار وطريق
المعتزلة انه يكون من الايمان

فهو الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه قال فبايعناه على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن
ربه تبارك وتعالى ابن آدم لو لقيتني بقراب الارض خطايا ثم اتيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها
مغفرة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
وابو عوانة في مسنده من حديث ابي ذر ورواه ايضا الامام احمد في مسنده من حديث ابي ذر ايضا
واخرجه مسلم في صحيحه عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني
بقراب الارض خطيئة لا يشرك بي شيا لقيته بقرابها مغفرة واخرجه الامام احمد من رواية
خشف السدوسي قال دخلت على انس رضي الله عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي
نفسي بيده لو اخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم وقال
صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة وقال من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة وقال ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله وفي حديث الشفاعة
اخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان وفيه يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله فالتوحيد اعظم بل اعظم اسباب المغفرة فهو السبب
الاعظم في ففده ففقد المغفرة وما جاء به ففقد اني باعظم اسباب المغفرة قال الله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الاية مع حديث انس رضي الله عنه ان من جاء
مع التوحيد بملء الارض خطايا لقيه الله بملأها مغفرة مع مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وان
شاء واخذه بذنوبه ثم كان عاقبته ان لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة قال بعض
المحققين الموحد لا يبقى في النار كما لا يبقى الكفار ولا يبقى فيها لما يبقى الكفار والنصوص على قول اهل الحق
والادلة له كثيرة جدا فدل الكتاب والسنة واتفاق الفرقة الناجية انه لا يخلد في النار احد من
اهل التوحيد واما اية النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فلها نظائر امثالها من نصوص الوعيد
كقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقوله ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وكذلك ما ورد من السنة كقوله
صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها خالدا مخلدا في نار جهنم ونظائره
كثيرة فقالت فرقة في حق المستحل لها لانه كافر واما من فعلها غير مستحل لها لم يلحقه وعيد الخلود وان
لحقه وعيد الدخول وقد انكر الامام احمد رضي الله عنه هذا القول وقال لو استحل ذلك
ولم يفعله كان كافرا والنبي صلى الله عليه وسلم انما قال من فعل كذا وكذا وقالت فرقة اخرى

الاستدلال بنصوص الوعيد على هذه مبني على ثبوت العموم قالوا وليس في اللغة الفاظ عامة و
قصدهم تعطيل هذه الادلة عند استدلال المعتزلة والخوارج بها لكن ذلك يستلزم تعطيل
جملة الشرع فهو رد واباطيل ابطلته وبدعة بافتح منها فكانوا كمن رام ان يبني قصرا فهدم
مصرا وقالت فرقة اخرى في الكلام اضمار فمنهم من قال باضمار الشرط والتقدير فجزاؤه كذا
ان كان جزاؤه هو ان شاء ومنهم من قال باضمار الاستثناء والتقدير فجزاؤه كذا الا ان
يعفو وقالت فرقة اخرى هذا وعيد واخلاف الوعيد لا يذم بل يتمدح فيجوز على الله تعالى اخلاف
الوعيد لا اخلاف الوعد والفرق بينهما ان الوعيد حقه فاخلاف عفو وهبة واسقاط ذلك
موجب كرمه وجوده واحسانه والوعد اوجبه على نفسه بوعده والله لا يخلف الميعاد
ولهذا مدح به كعب بن زهير رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال

نبئت ان رسول الله اوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

وتناظر في هذه المسئلة ابو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد المعتزلي صاحب واصل بن عطا فقال
عمرو بن عبيد يا ابا عمرو لا يخلف الله وعده وقد قال تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه فقال ابو عمرو ويحك يا عمرو ما العجمة أتيت ان العرب لا تعد اخلاف
الوعيد ذما بل جود اوكرما اما سمعت قول الشاعر والا هو ابن لكم صولتي ... ولا يختشى من صولة المتهدد
واني ان اوعدته او وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وعلى كل حال فقد قام
الدليل على ذكر الموانع عند انفاذ الوعيد بعضها بالاجماع وبعضها بالنص فالتوبة مانعة
بالاجماع والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها والحسنات العظيمة الماحية
مانعة والمصائب الكفرة مانعة واقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص فلا تعطل هذه النصوص واضعاف اضعافها
فلا بد من اعمال النصوص من الجانبين ومن ثم قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات
اعتبارا بالمقتضي العقاب ومانعه اعمالا لادلتهما وعلى هذا بنى اهل مصالح الدارين ومفاسدها
وبنا الاحكام الشرعية والاحكام القدرية وهو مقتضى السارية في الوجود وبه ارتباط
الاسباب ومسبباتها خلقا وامرا وقد جعل الله تعالى لكل ضد ضد يدفعه ومانعا يمنعه ويكون
الحكم للاغلب منهما والحاصل والله اعلم كون المذنب المليء ان كثرت ذنوبه وعظمت خطاياه
في مشيئة مولاه ان شاء عذبه وان شاء عافاه وعلى كل حال خلود اهل التوحيد في النار
من المحال في الصواب اجتنابه وعدم الالتفات اليه والتعويل على مذهب اهل الحق والركون اليه
وبالله التوفيق ولما كان من متعلقات الذنوب التوبة وكانت واجبة على كل من تلبس بذنب

ذكر ذلك

ذكر ذلك بقوله وواجب وجوب لزوم لا بد له منه وواجب عليه اي المذنب ان تو با بالف
الاطلاق للوزن اي ان يرجع فالتوبة اصل كل مقام ومفتاح كل حال ومن لا توبة له لا مقام
له ولا حال وهو لغة الرجوع من شيء الى اخر وقال الامام النووي اصل التوبة لغة الرجوع يقال
تاب وثاب بالمثلثة وآب واناب رجع والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الذنب انتهى فهي الرجوع
عن الذنب بان يقلع عنه ويندم عليه ويعزم على ان لا يعود اليه ويرضي الادمي عن ظلامته ان
تعلقت به وقال بعضهم التوبة الواجبة الرجوع عما كان مذموما في الشرع من ترك واجب
او فعل محرم الى ما هو محمود في الشرع قال النووي اركانها ثلاثة الاقلاع والندم على فعل تلك
المعصية والعزم على ان لا يعود اليها ابدا وان لا يغتر انتهى فان كانت المعصية لادمي فلها
ركن رابع وهو التحلل من صاحب الحق واصلها الندم وهو ركنها الاعظم وقد فسرت الصحابة رضي الله عنهم
كما يروي المؤمن عمر وعلي وابن مسعود التوبة بالندم ومنهم من فسرها بالعزم على ان لا يعود وقد
روي ذكره مرفوعا عن عمر وعلي وابن مسعود التوبة بالندم ومنهم من فسرها بالعزم على ان لا يعود وقد
روي ذكره مرفوعا عن عمر وعلي وابن مسعود التوبة بالندم ومنهم من فسرها بالعزم على ان لا يعود وقد
بعدهم كعمر بن عبد العزيز والحسن وغيرهما وفي قوله عن كل ما اي شيء او الذي جرى قاد وجد به
عليه اي المذنب حوبا اي اثما وفي القاموس الحوب الاثم يقال حاب بكذا اثم حوبا ويضم
والحوب الحزن والوحشة ويضم فيهما وفي القاموس ايضا الحوب بالضم الهلاك والبلاء والحوب
التوجع وترك الحوب كالتائم ومراد الناظم من ذكر كل ما جر عليه الهلاك والبلاء اشعار
بوجوب التوبة من كل ذنب صغير او كبير وهذا مما اتفق عليه العلماء فانهم اتفقوا على ان التوبة
من كل معصية واجبة على الفور لا يجوز تاخيرها سواء كانت صغيرة او كبيرة وانها من
مهمات الاسلام وقواعد الدين المتاكدة ووجوبها عند اهل السنة بالشرع وعند المعتزلة
بالعقل وظاهر النصوص القرانية والاحاديث النبوية والاثار السلفية على ان من تاب لله توبة
نصوحا واجتمعت شروط التوبة في حقه انه يقطع بقبول توبته كرما منه وفضلا وعرفنا
قبولها بالشرع والاجماع خلافا للمعتزلة اما انه حتم قبول توبة الكافر بالاسلام فبالاجماع
كما نقله غير واحد قال النووي في شرح مسلم وغيره توبة الكافر من كفره قبولها مقطوع به وفي
كلام ابن عقيل من ائمة علمائنا ما يخالف ذلك فانه قال انه لا يجب ويجوز رد ها انتهى واما
قبول توبة المذنب النصوح بشروطها فقول الجمهور وكلام الامام ابن عبد البر يدل على انه اجماع
ومن الناس من قال لا يقطع بقبول التوبة بل يرجى وصاحبها تحت المشيئة منهم امام الحرمين
قال القرطبي من استقرا الشريعة علم ان الله يقبل توبة الصادقين قطعا نقله في الفتح

عن كل ما جر عليه حوبا يتوبا

واقره والى قبول التوبة فضلا وكرما اشار بقوله ويقبل المولى الذي هو رب العالمين وخالق
الخلق وباسط الرزق ذو الكرم الواسع والفضل العظيم بمحض اي خالص الفضل والكرم من غير وجوب
عليه ولا الزام من كل عبد مذنب تاب الى الله توبة نصوحا بشرط المذكورة من الندم و
الاقلاع والعزم ان لا يعود وان يرد ما امكن من المظالم من حقوق الادميين او يستحلهم مما
امكن فاذا اجتمعت الشروط قبلت التوبة فضلا من الله تعالى ولا بد ان تكون من شخص مسلم
غير عبد كافر بالله ورسوله منفصل عن الدين اما بردة او كان كافرا اصلا فلا تقبل توبته
من الذنوب عالم بتب اي يرجع من كفره فيسلم ويقر بتوبته بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
بالرسالة ويقر ويذعن بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن بالكتاب وبما جاء به الكتاب
فيتصف من بعد رجوعه عن الكفر بضده من الاسلام فان كان مرتدا بانكار ما علم من الدين بالضرورة
ايجابا او تحريما فيرجع عن انكاره ذلك ويقر ويذعن حسبما جاء به النبي الكريم وكلام الله القديم
وان كان مشركا او معتقدا ان لله شريكا يستقل بالنفع والضر وعلم الغيب مما استأثر الله بعلمه
فلا يقبل منه حالم يرجع عن شركه الذي كان متصفا به وصدره اي عراه عن الدين واتباع
سيد المرسلين العالمين باليقين ويقاد لشريعة خير العباد مسلما خاضعا منقادا بقلبه وقالبه
خالعا ما كان عليه من تره ته ومطالبه فهذا يقبل اسلامه اجماعا واما المذنب فزعم بعض
الناس انه لا يقطع بقبول توبته مع استيفاء الشروط متعللا بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فجعل كل الذنوب تحت المشيئة وربما تعلقوا بمثل قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم وبقوله
وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون وبقوله فاما من تاب وامن وعمل صالحا
فعسى ان يكون من المفلحين وبقوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
عسى الله ان يتوب عليهم والظاهر ان هذا في حق التائب لان الاعتراف يقتضي الندم وفي
حديث عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله
عليه والصحيح قول الجمهور وهذه الايات لا تدل على عدم القطع فان الكريم اذا
اطمع لم يقطع من رجائه المطمع ومن هنا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان عسى من الله واجبة
نقله عنه علي ابن طلحة وقد ورد جزاء الايمان والعمل الصالح بلفظ عسى ايضا فلم يدل ذلك
على ان غير مقطوع به كما في قوله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة
وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين واما قوله تعالى ويغفر

من غير عبد كافر بالله ورسوله منفصل عن الدين اما بردة او كان كافرا اصلا فلا تقبل توبته

ما دون ذلك لمن يشاء فانه التائب ممن شاء ان يغفر له كما اخبر بذلك في مواضع كثيرة من كتابه

تنبيهات

الاول اختلف الناس هل تكفر الاعمال الصالحة الكبائر والصغائر ام لا تكفر سوى
الصغائر فروي عن عطا وغيره من السلف في الوضوء انه يكفر الصغائر وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه
الوضوء يكفر الخراجات الصغائر والمشي الى المساجد يكفر اكبر من ذلك والصلاة تكفر اكبر من ذلك
خرجه محمد بن نصر المروزي واما الكبائر فلا بد لها من التوبة لان الله تعالى امر العباد بها وجعل من لم
يتب ظالما فقال ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون واتفقت الامة على ان التوبة فرض والفرائض
لا تؤدى الا بنية وقصد ولو وقعت الكبائر مكفرة بالوضوء والصلاة او اداء بقية اركان الاسلام
لم يحتج الى التوبة وهذا باطل بالاجماع وايضا فلو كفرت الكبائر بفعل الفرائض لم يبق لاحد ذنب
يدخل به النار اذا اتى بالفرائض قال الحافظ ابن رجب وهذا يشبه قول المرجئة وهو باطل
وكما ذكره ابن عبد البر في التمهيد وحكى اجماع المسلمين على ذلك واستدل له باحاديث منها قوله
صلى الله عليه وسلم الجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر متفق عليه
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقد حكى ابن عطية في تفسيره قولين في معنى هذا الحديث
احدهما عند جمهور اهل السنة ان اجتناب الكبائر شرط لتكفير هذه الفرائض للصغائر فاذا لم
يجتنب لم تكفر هذه الفرائض شيئا بالكلية والثاني انها تكفر الصغائر مطلقا ولا تكفر الكبائر
الا وجدت لكن بشرط عدم الاصرار عليها مراده انه اذا اصر عليها صارت كبيرة فلم تكفرها
الاعمال وفي صحيح مسلم من حديث عثمان ابن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما
من امرئ مسلم يحضر صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها والركوع عليها الا كانت كفارة لما قبلها من
الذنوب حالم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله وفي هذا المعنى احاديث كثيرة قال الحافظ ابن رجب
وقد ذهب قوم من اهل الحديث الى ان هذه الاعمال تكفر الكبائر منهم الامام ابو محمد علي بن حزم الظاهري
واياه عنى الامام ابن عبد البر في كتاب التمهيد بالرد عليه وقال لقد كنت ارغب بنفسي عن الكلام
في هذا الباب لولا اقوام من المقابلين وخشيت ان يغتر به جاهل فينهمك في الموبقات اتكالا على
انها تكفرها الفرائض من الصلوات ونحوها دون الندم والاستغفار والتوبة واسأله تعالى نسئله
العصمة والتوفيق قال الحافظ ابن رجب وقد وقع مثل هذا في كلام طائفة من اهل الحديث
في الوضوء ونحوه ووقع مثله في كلام ابن المنذر في قيام ليلة القدر قال ثم رجوت لما قاموها
ان يغفر لهم جميع ذنوبهم صغيرها وكبيرها قال فانه كان سرد هم ان من اتى بفرائض الاسلام وهو
مصر على الكبائر انها تغفر قطعا هذا باطل معلوم بالضرورة من الدين بطلانه وقد

الصلوات الخمس

وقد قال صلى الله عليه وسلم من اسا في الاسلام اخذ في الاول والاخر يعني بعمله في الجاهلية والاسلام قال
وهذا اظهر من ان يحتاج الى بيان قال واما ارادة القائل الا من ترك الاصرار على الكبائر وحافظ
على الفرائض من غير توبة ولا ندم على ما سلف عنه كفرت ذنوبه كلها بذلك واستدل بظاهر
قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم تشمل الكبائر والصغائر فكما ان
الصغائر تكفر باجتناب الكبائر من غير قصد ولا نية فكذلك الكبائر وقد يستدل لذلك
بان الله وعد المؤمنين والمتقين بالمغفرة وتكفير السيئات وهذا مذكور في غير موضع من القرآن
وقد صار مثل هذا من المؤمنين المتقين فانه فعل الفرائض واجتنب الكبائر واجتناب الكبائر
لا يحتاج الى نية وقصد فهذا القول يمكن ان يقال في الجملة والصحيح قول الجمهور ان الكبائر
لا تكفر بدون التوبة لانها فرض لازم على العباد واما النصوص المتضمنة مغفرة الذنوب وتكفير
السيئات للمتقين فانه سبحانه لم يبين في الايات خصال التقوى ولا العمل الصالح فكان من جملة
ذلك التوبة النصوح واما من لم يتب فهو ظالم غير متق ومما يبين ان الكبائر لا تكفر بدون
التوبة منها والعقوبة عليها حديث عبادة بن الصامت المار وهو في الصحيحين فمن وفى
فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله
عليه فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وفي لفظ لمسلم من اتى منكم حدا فاقيم عليه فهو كفارته
قال الحافظ ابن رجب قوله فعوقب به يعم العقوبات الشرعية وهي الحدود المقدرة وغير
المقدرة كالتعزيرات ويشمل العقوبات القدرية كالمصايب والاسقام والآلام فانه صح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصيب المسلم نصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها
من خطاياه وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحد كفارة لمن اقيم عليه وذكر
ابن جرير الطبري في هذه المسئلة اختلافا بين الناس ورجح ان اقامة الحد بمجرده كفارة وهي
القول بخلافه جدا قال الحافظ ابن رجب وقد روي عن سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم
ان اقامة الحد ليس بكفارة ولا بد معه من التوبة ورجحه طائفة من المتاخرين منهم البغوي وابو عبد الله
ابن تيمية في تفسيرهما وهو قول محمد بن حزم والاول قول مجاهد وزيد بن اسلم والثوري والامام
احمد واما حديث ابي هريرة المرفوع لا ادري الحدود طهارة لاهلها ام لا فقد خرجه الحاكم و
غيره وعلله البخاري وقال لا يثبت وانما هو من مراسيل الزهري وهي ضعيفة وغلط عبد الرزاق
فوصله وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحد كفارة واما قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال اصبت
حدا فاقمه علي فتركه حتى صلى ثم قال ان الله قد غفر لك حدك فليس صريحا في ان المراد بالحد هنا

لانه حدود الله محارمه كما قال تعالى تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فكل من
اصاب شيئا من محارم الله فقد اصاب حدودا من تعداها واراد تركبها وعلى فرض كونه كبيرة فهذا
الرجل جاء نادما تائبا واسلم نفسه الى اقامة الحد عليه والندم توبة والتوبة تكفر الكبائر
بغير تردد ثم قال الحافظ ابن رجب والاظهر والله اعلم في هذه المسئلة يعني مسئلة تكفير
الكبائر بالاعمال انه ان اريد ان الكبائر تمحى بمجرد الاتيان بالفرائض وتقع مكفرة بذلك كالصغائر
باجتناب الكبائر فهذا باطل وان اريد انه قد يوازن يوم القيمة بين الكبيرة وبين بعض الاعمال
فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل ويسقط العمل فلا يبقى له ثواب فهذا قد يقع وفي صحيح مسلم
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا ضرب عبده فاعتقه وقال ليس لي فيه من الاجر مثل هذا واخذ عودا
من الارض الى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لطم مملوكه او ضربه فان كفارته ان يعتقه
فجعل ابن عمر رضي الله عنهما ان عتقه كفارة لذنبه وليس له فيه من الاجر شيء حيث كان كفارة لذنبه
ولم يكن ذنبه من الكبائر فكيف بما كان من الاعمال مكفرا للكبائر وقد قال قوم من السلف ان السيئة
تمحى وتسقط نظيرها حسنة من الحسنات التي هي ثواب العمل فاذا كان هذا في الصغائر فكيف
بالكبائر فان بعض الكبائر قد تحبط من الاعمال المنافية لها كما يبطل المن الصدقة وتبطل المعاملة
بالربا ثواب الجهاد كما قالت عائشة رضي الله عنها لام ولد زيد بن ارقم انه قد ابطل جهاده مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ان يتوب وقال حذيفة رضي الله عنه قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة وروي
عنه مرفوعا خرجه البزار وكما يبطل ترك صلاة العصر العمل فلا يستنكر ان يبطل ثواب العمل الذي
يكفر الكبائر وقد خرجه البزار في مسنده والحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بحسنات العبد يوم القيمة وسيئاته فيقص او يقضى بعضها
من بعض فان بقيت له حسنة وسع له بها الجنة وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره كان المسلمون يرون انهم لا يوجرون على الحسنة القليل
اذا اعطوه فيستقلون ان يعطوا المسكين تمرة او كسرة او جوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون
ما هذا بشيء انما نوجر على ما نعطي ونحن نحبه وكانوا يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير
كالكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك يقولون انما وعد الله النار على الكبائر وغيرهم الله في
القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك ان يكبر
فنزلت والذر اصغر النمل خيرا يره يعني في كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة
سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيمة ضاعف الله حسنات المؤمن

ايضا بكل واحدة عشرا فيمحى عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال
ذرة دخل الجنة فظاهر هذا انه تقع المقاصة بين الحسنات والسيئات ثم تسقط الحسنات
المقابلة للسيئات وينظر الى ما يفضل منها بعد المقاصة وهذا لو اقتصر قال بادام رجحت
حسنة على سيئاته اثيب بتلك الحسنة خاصة وتسقط باقي حسناته في مقابلة سيئاته
خلافا لمن قال يثاب بالجميع وتسقط سيئاته كما لم تكن وهذا في الكبائر واما الصغائر
فانها قد تمحى بالاعمال الصالحة مع بقاء ثوابها كما قال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا
ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة
بعد الصلاة فاثبت صلى الله عليه وسلم لهذه الاعمال تكفير الخطايا ورفع الدرجات وكذلك قوله
صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء
قدير مائة مرة كتب الله له بها مائة حسنة ومحي عنه مائة سيئة وكانت له عدل عشر رقاب
فهذا يدل على ان الذكر يمحو السيئات ويبقى ثوابه لعامله مضاعفا وكذلك سيئات التائب توبة
نصوحا تكفر عنه وتبقى له حسناته كما قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة الى قوله
الى من المسلمين قال تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب
الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون وفي هذا المعنى اخبار كثيرة والحاصل ان يوجد في
بعض الاعمال كفارة للذنوب ورفع درجات وفي كلام بعض السلف التمحي بازاء السيئة
الواحدة ضعف واحد من اضعاف ثواب الحسنة ويبقى له تسع حسنات قال الحافظ ابن رجب
والظاهر انه هذا مختص بالصغائر واما في الاخرة فيوازن بين الحسنات والسيئات وينقص بعضها
من بعض فمن رجحت حسناته على سيئاته فقد نجا ودخل الجنة قال وسواء في هذا الصغائر و
الكبائر ومن كان له حسنات وعليه مظالم فاستوفى المظلومون حقوقهم من حسناته وبقي
له حسنة دخل بها الجنة قال ابن مسعود رضي الله عنه اذا كان ولي الله فضل له مثقال ذرة
صناعها الله حتى يدخل الجنة وان كان شقيا قال الملك رب فنيت حسناته ويبقى له طابوق كثير
قال خذوا من سيئاتهم فضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار اخرجه ابن ابي حاتم وغيره
قال الحافظ ابن رجب والمراد التفضيل من مثقال الذرة من الحسنات انما هو بفضل الله عز وجل
لمضاعفة الحسنات للمؤمن وبركته فيها وهكذا حال من كانت له حسنات وسيئات واراد الله رحمته
وفضل له من حسناته ما يدخله به الجنة وكل من فضل الله ورحمته فانه لا يدخل احد الجنة الا
بفضل الله ورحمته واخرج ابو نعيم باسناده عن علي رضي الله عنه مرفوعا اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل

قل لاهل

قل لاهل طاعتي امتكل لا تتكلوا على اعمالكم فاني لا اقاصص عبدا الحسنات يوم القيمة اشاء ان اعذبه
الا عذبته وقل لاهل معصيتي من امتكل لا تقنطوا بايديهم فاني اغفر الذنب العظيم ولا ابالي ومصداقه
قول نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح مما نوقش الحساب عذب وفي رواية هلك ثم
روى الامام احمد رضي الله عنه في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه
ان يغرق بني ادم والملائكة تستأذن ان تعاجله وتهلكه والرب تعالى يقول دعوا عبدي فانا
اعلم به اذ انشأته من الارض اذ كان عبدكم فتانكم به واذ كان عبدي فمتى الي عبدي وعزتي
وجلالي اذ اتاني ليلا قبلته واذ اتاني نهارا قبلته واذ تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا
واذ تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذ مشى الي هرولت اليه واذ استغفرني غفرت له واذ
استقالني اقلته واذ تاب الي تبت عليه فمن اعظم مني جودا وكرما وانا الجواد الكريم عبيدي
يبيتون يبارزونني بالعظائم وانا اكلؤهم في مضاجعهم واحيرهم على فرشهم من اجل
التي تلفيته من بعيد ومن ترك لاجلي عطيته فوق المزيد ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا
وقولي للشيء كن فيكون ومن ادام قرعي اوشك ان افتح له ومن اتاني ماشيا اتيته هرولة
اكديد ومن اراد مرادي اردت ما يريد اذكروني اذكركم واهل مجالستي واهل شكري اهل زيادتي
واهل طاعتي اهل كرامتي واهل معصيتي لا اقنطهم من رحمتي وفي لفظ لا اوئسهم من رحمتي
ان تابوا فانا حبيبهم فاني احب التوابين واحب المتطهرين وان لم يتوبوا فانا طبيبهم
ابتليهم بالمصائب لاطهرهم من المعايب والله الموفق **التنبيه الثاني** تقدم
ان الصحيح المعتمد وجوب التوبة حتى من الصغائر كالكبائر وقيل لا تجب من الصغائر
توبة لانها تقع مكفرة باجتناب الكبائر لقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما قال الحافظ ابن رجب او جب اصحابنا وغيرهم من الفقهاء
والمتكلمين وغيرهم التوبة من الصغائر كالكبائر وقدم الله سبحانه عقيب ذكر الصغائر و
الكبائر بالتوبة في قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن الى قوله وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم
تفلحون وامر بالتوبة من الصغائر بخصوصها بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
الى قوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون قال الحافظ ومن الناس من لا يوجب التوبة من الصغائر
وحكي عن طائفة من المعتزلة ومن المناقرين من اوجب احدهما من اما التوبة منها او الاتيان
ببعض المكفرات للذنوب من الحسنات وحكى ابن عطية في تفسيره ان تكفير الصغائر باجتناب
الفرائض واجتناب الكبائر قولان احدهما وحكاه عن جماعة من الفقهاء واهل الحديث انه يقطع

تفاصيل هذه الحديث

بلغ

كذا ص

منها وان كان ذكر نوع تصرف فيها لكنه لاجل اخلافها وقد قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم الاية
فهذه في حق التائبين واما آية النساء وهي قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء فلا يجوز ان تكون في حق التائبين كما يقوله من يقوله من المعتزلة فان التائب
من الشرك يغفر له الشرك ايضا بنصوص القرآن واتفاق المسلمين وقد خص الله تعالى في هذه
الآية الشرك بانه لا يغفره وما عداه لم يجزم بغفرته بل علقه بالمشيئة فقال ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وفي هذه الآية رد على الخوارج والمعتزلة كما انه فيها رد على الجبرية والمرجئة لانه
سبحانه علق المغفرة بالمشيئة فلو كان يغفر لكل احد بطل قوله لمن يشاء ولو كان لا يغفر لاحد
بطل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدلت الاية على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك لكنها
لبعض الناس ورجح من غفر له لا يعذب ومن لم يغفر له عذب وهذا مذهب الصحابة وسلف الامة
وسائر الائمة وهو القطع بان من عصاة الامة من يدخل النار ومنهم من يغفر له والمقصود
ان الآية الاولى فيها النهي عن القنوط من رحمة الله وان عظمت الذنوب وكثرت فليس لاحد ان يقنط
من رحمة الله وان كثرت ذنوبه وعظمت ولا ان يقنط الناس من رحمة الله قال بعض السلف ويروى
عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله
ولا يجرئهم على معاصي الله والقنوط هو ان يعتقد ان الله لا يغفر له اما لكونه اذا تاب لا يقبل الله توبته
ولا يغفر له ذنوبه واما ان نفسه لا تطاوعه على التوبة بل هو مغلوب ونفسه والشيطان قد
استحوذ عليه فيياس من توبة نفسه وان علم انه اذا تاب غفر له وهذا يعتري كثيرا من الناس
والقنوط يحصل تارة وهذا تارة فالاول كالراهب الذي افتى قاتل تسع وتسعين نفسا
ان الله لا يغفر له فقتله وكمل به المائة ثم دل على عالم فسئله فافتاه بان الله يقبل توبته والحديث في
الصحيحين والثاني كالذي يرى للتوبة شروطا كثيرة او يقال له ان للتوبة شروطا كثيرة يتعذر
عليك فعلها والاتيان بها فييأس من ان يتوب وقد نهى الله عباده عن ذلك واخبر انه يغفر الذنوب جميعا
والمراد ان الله يغفر جميع الذنوب ولم يخبر سبحانه انه يغفر لكل مذنب بل اخبر تعالى انه لا يغفر لمن
مات كافرا فقال انه الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم وقال
في حق المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وليس في الوجود ذنب
لا يغفره الرب بحال بل ما من ذنب الا والله يغفره في الجملة وهذه الآية عظيمة جامعة

نتكفيرها بذلك قطعا لظاهر الآية والحديث وحكاه عن الاصوليين انه لا يقطع بتكفيرها
بل يحمل على غلبة الظن وقوة الرجاء وهو في مشيئة الله تعالى اذ لو قطع بتكفيرها لكانت الصغائر
في حكم المباح الذي لا تبعة فيه وذلك نقض لغرض الشريعة قال الحافظ لا يقطع بتكفيرها
لان احاديث التكفير المطلقة بالاعمال جاءت مقيدة بتحسين العمل كما ورد ذلك في الوضوء
والصلاة وحينئذ فلا يتحقق وجود حسن العمل الذي يوجب التكفير وعلى هذا الاختلاف
ينبني في وجوب التوبة من الصغائر وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا صغيرة
مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي مرفوعا من وجوه ضعيفة واذا صارت
الصغائر كبائر بالمداومة عليها فلا بد للمحسنين من اجتناب المداومة على الصغائر حتى يكونوا
مجتنبين لكبائر الاثم والفواحش وقد قال الله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما
رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى
واصلح فاجره على الله فهذه الايات تضمنت وصف المؤمنين بقيامهم بما اوجب الله عليهم
من الايمان والتوكل واقام الصلاة والانفاق مما رزقهم الله والاستجابة لله في جميع طاعاته
ومع هذا هم مجتنبون كبائر الاثم والفواحش فهذا تحقيق التقوى ووصفهم في معاملتهم للخلق
بالمغفرة عند الغضب وبذلهم الى العفو لما صلاحهم واما قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي
هم ينتصرون فليس منافيا للعفو فان الانتصار يكون باظهار القدرة على الانتقام ثم يتبع العفو
بعد ذلك فيكون اتم واكمل قال النخعي في هذه الاية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا
عفوا وقال مجاهد كانوا يكرهون للمؤمن ان يذل نفسه فيجترئ عليه الفساق فالمؤمن
اذا بغي عليه يظهر القدرة على الانتقام ثم يعفو بعد ذلك وبالله التوفيق **الثالث**
تنازع الناس في العبد هل يصير الى حال يمتنع عليه فيه قبول التوبة اذا اراد ها ويمكن ان الله
يغفر له قال وهذا الذي عليه اهل السنة والجمهور وقد فرض بعض الناس انه من توسط ارضا
مغصوبة ومن توسط حرجي فكيف ما تحرك قتل بعضهم فقيل هذا لا طريق له الى التوبة قال
والصحيح ان هذا وغيره اذا تاب قبل الله توبته فان خروجه من توسط ارضا مغصوبة
بنية تخلية المكان وتسليمه الى مستحقه ليس منهيا عنه ولا محرما بل الفقهاء متفقون على
انه من غصب دارا وترك فيها متاعه وماله اذا امر بتسليمها الى مستحقها فانه يؤمر بالخروج

منها

من اعظم الايات نفعا وفيها رد على طوائف كما سنوضحه فيما يأتي ان شاء الله تعالى **الرابع** تصح التوبة في المعتمد من ذنب مع الاصرار على آخر عند السلف والخلف وقالت طائفة من متكلمي المعتزلة كابي هاشم ابن ابي علي الجبائي لا تصح التوبة الا من الجميع وحكى القاضي وابن عقيل رواية عن الامام احمد رضي الله عنه تدل على مثل هذا والمعروف من مذهبه هو الاول وما روي عنه محمول على انها ليست توبة تجعله تائبا مطلقا فاندفع الذي ذكره المروذي عنه انه سئل عمن تاب عن الفاحشة ولم يتب عن النظر فقال اي توبة له وهذا لا يعطي ما قالوه عنه وانما اراد انها ليست توبة عامة فاندفع نصوصه المتواترة عنه خلاف ذلك فيحمل كلامه على ما يوافقه اولى لا سيما اذا كان هو القول الاخر متبدعا لا يعرف له سلف كما قاله شيخ الاسلام في فتاويه قال والامام احمد رضي الله عنه من اشد الناس توصية بالسنة والاتباع وتوصية باتباع السلف وترك الابتداع قال شيخ الاسلام ومن تاب من بعض ذنوبه فالتوبة تقتضي مغفرة ما تاب منه فقط قال وما علمت فيه نزاعا الا في الكافر اذا اسلم فانه اسلامه يغفر له الكفر وهل يغفر الذنوب التي فعلها في حال كفره ولم يتب منها في الاسلام على قولين معروفين الصحيح انه اذا لم يتب من الذنوب بقي على حكمه ولا يغفر له الا بمشيئة الله تعالى كغيره من المسلمين الذين عملوا في الاسلام انتهى واذا تاب الانسان توبة عامة فهي تتناول كل ما رآه ذنبا لانه التوبة العامة تتضمن عزما عاما لفعل المامور وترك المحظور وكذلك تتضمن ندما عاما على كل محظور والندم سواء قيل انه من باب الاعتقادات او من باب الارادات او من باب الآلام التي تلحق النفس بسبب ما يضرها فاذا استشعر القلب انه فعل ما يضره حصلت له معرفة بالذي فعله كان من السيئات وهذا من باب الاعتقادات او كراهة لما كان فعله وهو من جنس الارادات وحصل له اذى وغم لما كان فعله وهذا من باب الآلام كالغموم والاحزان وعلى كل فمن تاب توبة عامة كانت مقتضية لغفران الذنوب كلها وان لم يستحضر اعيان الذنوب الا ان يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه لقوة ارادته له او لاعتقاده انه حسن فلا يدخل في التوبة وقال الامام النووي رحمه الله تعالى فاذا تصح من ذلك الذنب عند اهل الحق وهو الذي ذكره القرطبي انه خلاف قول المعتزلة يعني صحة التوبة من بعض الذنوب دون بعض قال العلامة ابن مفلح في الآداب اما صحة التوبة من بعض الذنوب فهي اصل السنة وانما منع صحتها المعتزلة القائلون بالاحباط وانه لا تنفع طاعة مع معصية فاما من صحح الطاعة مع المعاصي صحح التوبة من بعض المعاصي وقال ابن عقيل في الفنون قال بعض الاصوليين لا تصح التوبة من ذنب مع الاصرار على غيره فانه الانسان لو قتل انسانا ولدا واحرق له بيدا ثم اعتذر عن احراق البيدر دون قتل الولد لم يعد اعتذارا وهذا احد الروايتين عن الامام احمد رحمه الله تعالى

والمعتمد

والمعتمد الصحة وبالله التوفيق **الخامس** من اغتاب انسانا او قذفه ونحوه هل يشترط لصحة توبته اعلامه بذلك واستحلاله من ذلك او المال وما يجوز ان يعتاض عنه بمثله او قيمته فلا بد من الرد ان قدر قال في الهداية مظالم العباد تصح التوبة منها على الصحيح من المذهب وهو قول ابن عباس ومجاهد ناد ما على هذا كان الله عز وجل المجازي للمظلوم عنه حيث لم يقدر على رد المظلمة وفي الخبر لا يدخل النار تائب من ذنوبه وفي الرعاية يرد ما اتلفه به وتاب بسببه بدله الى مستحقه او ينوي ذلك اذا امكنه او تعذر رده في الحال فالمشهور عند الجمهور لا يجب الاعلام ولا الاستحلال قال شيخ الاسلام ابن تيمية انه قول الاكثرين وانه اذا تاب من قذف انسان او غيبته قبل علمه به لا يشترط لتوبته اعلامه والتحلل منه واختاره القاضي لما روى ابو محمد الخلال باسناده عن انس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا من اغتاب رجلا ثم استغفر له بعد غفر له غيبته وباسناده ايضا عن انس مرفوعا كفارة من اغتبته ان تستغفر له ولا في اعلامه ادخال غم عليه قال الشيخ عبد القادر قدس الله سره في الغنية ان كفارة الاغتياب ما روى انس رضي الله عنه وذكره وخبر انس المذكور ذكره الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وفيه عنبسة بن عبد الرحمن متروك وذكر مثله من حديث سهل ابن سعد وفيه سلمان بن عمرو كذاب ومن حديث جابر وفيه حفص بن عمر الايلي متروك وذكر ابن الجوزي ايضا حديث انس في كتابه الحدائق وقال انه لا يذكر فيه الا الحديث الصحيح قلت وقد ذكرت في مختصر الموضوعات ان حديث انس ذكره البيهقي في الدعوات وقال في هذا الاسناد ضعف وله شاهد عن الامام عبد الله ابن المبارك من قوله اخرجه البيهقي في الشعب واورد له شاهد احديث حذيفة كان في لساني ذرب على اهلي فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اين انت من الاستغفار ثم اوله على ان الامر بالاستغفار رجاء ان يرضى عنه خصمه يوم القيمة بركة استغفاره وذكر الامام ابن القيم في كتابه الكلم الطيب والعمل الصالح ما لفظه يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته وتقول اللهم اغفر لنا وله وذكره البيهقي في الدعوات الكبير وقال ابن عبد البر في كتابه بهجة المجالس قال حذيفة رضي الله عنه كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال عبد الله ابن المبارك لسفيان بن عيينة التوبة من الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته قال سفيان بل تستغفره مما قلت فيه فقال ابن المبارك لا تؤذه مرتين ومثل قول ابن المبارك اختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن الصلاح الشافعي قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره وحيث قد ذكرنا الروايتين في المسألة فكل مظلمة في العرض من اغتياب صادق وبهت كاذب فهو في معنى القذف فاذا القذف

قد يكون صادقا فيكون غيبة وقد يكون كاذبا فيكون بهتا قال واختار اصحابنا انه لا يعلمه بل يدعو له دعاء يكون احسانا اليه في مقابلة مظلمته فان ضرر الانسان بما علمه من شتمه ابلغ من ضرره بما لا يعلم ثم قد يكون الاعلام سبب العدوان على الظالم اولا اذ النفوس لا تقف غالبا عند العدل والانصاف وايضا فقد يزال ما كان بينهما من الالفة والمحبة او يتجدد القطيعة والبغضة والله تعالى امر بالجماعة ونهى عن الفرقة فعلى هذا الوسائل المقذوف او المسبوب فاذا فعله هل فعل ذكر ام لا لم يجب عليه الاعتراف على الصحيح من الروايتين اذ توبته صحت في حق الله تعالى بالندم وفي حق العبد بالاحسان اليه بالاستغفار ونحوه وهل يجوز الاعتراف او يستحب او يكره او يحرم الاشبه ان ذلك يختلف باختلاف الاحوال وعلى هذا لو استحلف على ذلك جاز له ان يحلف ويعرض لانه مظلوم بالاستحلاف فاذا كان تاب وصحت توبته لم يبق لذكره عليه حق فلا يجب اليمين عليه قال شيخ الاسلام ابن تيمية طيب الله ثراه قد سئلت عن نظير هذه المسئلة وهو رجل تعرض لامرأة غيره فزنا بها ثم تاب من ذلك وسالة زوجها عن ذلك فانكره فطلب استحلافه فاذا حلف على نفي الفعل كانت يمينه غموسا واذا لم يحلف قويت التهمة واذا اقر جرى عليه وعليها من الشر امر عظيم فاقتضت ان يضم الى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الاحسان الى الزوج بالدعاء والاستغفار والصدقة عنه ونحو ذلك مما يكون جزاء ايذائه له في اهله فان الزنا بها يتعلق به حق الله تعالى وحق زوجها من جنس حقه في عرضه وليس هو مما يجبر بالمثل كالدماء والاموال بل هو من جنس القذف الذي جزاؤه من غير جنسه فتكون توبة هذا كتوبة القاذف وتعريضه كتعريضه وحلفه على التعريض كحلفه واما الوظلمة في دم او مال فلا بد من ايفاء الحق فانه لا بد لا وقد نص الامام احمد رحمه الله تعالى على الفرق بين توبة القاتل وتوبة القاذف قال العلامة ابن مفلح وفي هذا خلاص عظيم وتفريج كربات النفوس من اثار المعاصي والمظالم فانه الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله عز وجل ولا يجرئهم على معاصيه وجميع النفوس لا بد لا تذنب فتعريف النفوس ما يخلصها من الذنوب من التوبة والحسنات الماحيات كالكفارات والعقوبات من اعظم فوائد الشريعة وبالله التوفيق ومن اي امر اخذ بكيت اي يدركه الموت وهو مصر على ذنوبه وفي همك في شهواته ولم يتب من الخطا الذي ارتكبه والاثم الذي اكتسبه لم نحكم عليه بالكفر كما زعمت الخوارج ولم نقل انه خرج من الاسلام بارتكابه كبائر الاثام ولم يدخل في الكفر بل هو عندنا بين منزلتي الكفر والاسلام كما زعمت المعتزلة ولا نحكم عليه بالخلود في النار بل لا يدخلها بل نقول فيمن مات مصرا على كبائر الذنوب والخطايا فامره الذي يؤول اليه عفو ان شاء الله تعالى او موكول الى مردود لذي اي صاحب العطا

الواسع والكرم والجود والنعم والعطايا يقصر عن نوال وفي الاسماء الحسنى المعطي اي يعطي من يريد ما يريد ومن ثم قال فان شاء سبحانه وتعالى يعفو اي يتجاوز عن مؤاخذة موبقات ذنوبه ولم يتب منها والعفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه واصله المحو وذهاب الاثر وفي الاسماء الحسنى العفو هو فعول من العفو الذي هو التجاوز وان شاء انتقم منه فان عامله بالفضل عفى وانعم وان عامله بالعدل انتقم والم والانتقام ابلغ في العقوبة من حدها وفي الاسماء الحسنى المنتقم وهو المبالغ في العقوبة لمن شاء وهو مفتعل من نقم ينقم اذا بلغ به الكراهة حد السخط وان شاء اعطى النوال السهل واجزل اي اكثر واعظم لهم النعم بكسر النون المشددة وفتح العين المهملة جمع نعمة بكسر النون وسكون العين المهملة والاسم بالفتح قال في القاموس النعمة بالكسر الحبرة واليد البيضاء الصالحة كالنعماء بالضم والنعماء بالفتح والجمع انعم ونعم ونعمات بكسرتين وبفتح العين ونعيم الله عطيته قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الجواب الاسلامية النعمة نعمتان نعمة مطلقة ونعمة مقيدة فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الابد وهي نعمة الاسلام وهي التي امرنا الله سبحانه وتعالى ان نسأله في صلاتنا ان يهدينا صراط اهلها ومن خصهم بها وجعلهم اهل الرفيق الاعلى حيث يقول ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فهؤلاء الاصناف الاربعة هم اهل النعمة المطلقة وهم المعنيون بقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا واذا قيل ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو صحيح والنعمة الثانية هي النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى وعافية الجسد وبسط الجاه وكثرة الولد والزوجة الحسنة وامثال ذلك فهذه مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر واذا قيل انه على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق فلا يصح اطلاق السلب والايجاب الا على وجه واحد وهو ان النعم المقيدة لما كانت استدراجا للكافر ومآلها الى العذاب والشقاء فكانها لم تكن نعمة وانما كانت بلية كما سماها الله تعالى في كتابه كذلك فقال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه الاية وبهذا قال كلا اي ليس كل من اكرمته في الدنيا ونعمته فيها فقد انعمت عليه وانما ذلك ابتلاء مني واختبار ولا كل من قدرت عليه رزقه فجعلته بقدر حاجته من غير فضله اكون قد اهنته بل ابتلي عبدي بالنعم كما ابتليه بالمصايب والحاصل ان مذهب اهل الحق من اهل السنة والجماعة ان من مات مذنبا ولو مصرا على كبائر الذنوب ولم يتب منها لعلام الغيوب لم نقطع له بخروج من الدين بل ثبت ان من المؤمنين ولم نقطع له بدخول النار بل نفوض امره الى العزيز الغفار فان شاء عذبه غير انه لا يخلده في النار وان شاء عفى عنه ابتداء

فان يشا يعف وان يشا انتقم
وان يشا اعطى واجزل النعم
وفامره منوط لذي العطا

اما بشفاعة مقبولة او بدعوة صالح او بمصيبة تتبع بعد الموت او غيرة من مصائب
البرزخ والصدقة عنه بعد الموت والاعمال الصالحة التي تهدى له غيره او برحمة ارحم الراحمين
ونحو ذلك وان شاء رفع عنه العذاب واجزل الثواب ورفع له الدرجات وبدل الله سيئاته حسنات

تنبيهات هذه المسئلة يتوهمها بعض القوم مسئلة وعيد الفساق وبعضهم مسئلة
عقوبة العصاة وبعضهم مسئلة انقطاع عذاب اهل الكبائر وضابطها ان يموت المؤمن
كبيرة غير مكفرة بلا استحلال وبموت بلا توبة وقد اختلف الناس في حكمه كما تقدم فاهل
السنة لا يقطعون له بالعقوبة ولا بالعفو بل هو في مشيئة الله تعالى وانما يقطعون بعدم
الخلود في النار بمقتضى ما سبق من وعده ويثبت بالدليل خلافا للمعتزلة في قولهم يقطع له
بالعذاب الدائم والبقاء والمخلد في النار لكنه عندهم يعذب عذاب الفساق لا عذاب الكفار
واما الخوارج فعندهم انه يعذب عذاب الكفار الكفرة عندهم والدليل لمذهب اهل الحق الايات
والاحاديث الدالة على ان المؤمنين يدخلون الجنة فانه كان بعد العذاب ودخول النار في
مسئلة انقطاع العذاب وان كان قبل ذلك ففي مسئلة العفو التام قال تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة وقال من مات لا يشرك
بالله شيئا دخل الجنة وان زنى وان سرق وكقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار اقوام بعدما
امتحشوا وصاروا حمما وتحما فيفرقون على انهار الجنة ويرش عليهم من مائها فينبتون كما تنبت
الحبة في حميل السيل فيجيئون ويعودون لحالهم الاولى واحسن وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من
النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وسيأتي تمام هذا بعد ان شاء الله تعالى الثاني ذكر
بعض المحققين انعقاد الاجماع على انه لا بد سمعا من نفوذ الوعيد في طائفة من العصاة او
طائفة في كل صنف منهم كالزناة وشربة الخمر وقتلة الانفس واكلة الربا واهل السرقة
والغصوب اذ اماتوا على غير توبة فلا بد من نفوذ الوعيد في كل طائفة من كل صنف لا فرد معين
لجواز العفو واقل ما يصدق عليه نفوذ الوعيد واحد من كل صنف والادلة قاضية بقصر
العصاة على عصاة الموحدين وقد ربت بعض الناس على ذكر امتناع سؤال العفو لجميع
المسلمين لما فاته لذكره وهذا ساقط الا اذا قصد العفو ابتداء لكل فرد من افراد المسلمين
على ان العفو يصدق على ما بعد العذاب والتعذيب فمن قال بمنع المنع فهو المصيب والله الموفق

فصل في ذكر من قيل بعدم قبول اسلامه من طوائف اهل العناد والزندقة والالحاد

اعلم

وقيل في الدروز والزنادقة

اعلم وفقني الله واياك ان العلماء ذكروا انه تحتم قتل جماعة من الزنادقة واهل الالحاد لعدم
قبول اسلامهم بحسب الظاهر كالزنديق ومن تكررت ردته او كفر بسحر او سب الله او رسوله
او تنقصه واما حكمهم في الاخرة فاه صدقوا قبلوا بلا خلاف وعن الامام احمد رضي الله عنه روايتان
احداهما تقبل كغيرهم وهذا الذي يختاره ولهذا قال وقيل وهو مذهب فقهائنا في طوائف الدروز
من الحمزاوية اتباع حمزة المدعو عندهم بهادي المستجيبين والبرزعي والدرزي وغيرهم من الحاكميين القائلين
بالهية الحاكم العبيدي وكان اخصهم بالحاكم واعجبهم اليه حمزة المدعو بهادي المستجيبين وهو حمزة
اللباد وكان اعجميا من الزوزن فاظهر الدعاء الى عبادة الحاكم وزعم ان الالهية حلت فيه واجتمع اليه جماعة
من غلاة الاسماعيلية وكثر جمعه ومن دخل في دعوته وشاع ذكره وظهر وكان الحاكم اذا ركب الى تلك
الجهة التي هو بها فانه كان مقيما في المسجد الذي عند سقاية زيدان بظاهر باب النصر من مصر
خرج اليه من المسجد واقترب منه ويقف الحاكم له راكبا فيحادثه ويفاوضه وان تفع شأن هذا الملعون
واتخذ لنفسه خواصا لقبهم بالقاب منهم رجل لقبه بسفير القدرة وجعله رسولا فكان يرسلهم
لاخذ البيعة على ما يعتقده الحاكم ثم نبغ شاب من موالي الاتراك اسمه ابو شتكين البخاري ويعرف بالدرزي
فسلك طريق الزوزني فكثر تبعه والمنتابون اليه والية تنسب طائفة الدروز وكان ايضا يقف الحاكم
ويخلو به ويقرر معه ما يفعله وسمى نفسه سيد الهادين وحياة المستجيبين وهؤلاء وانباعهم
ومن نحا نحوهم هم الطائفة الموسومة بالاسماعيلية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله
وصح الاسماعيلية كانوا ملوك مصر القاهرة وكانوا ينعمون انهم خلفاء علويون فاطميون وهم عند
اهل العلم من ذرية عبيد الله القداح وقال فيه الامام ابو حامد الغزالي في كتابه الذي صنفه عليهم
ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وقد جزم شيخ الاسلام بكفر الاسماعيلية في محلات متعددة
من مصنفاته وانهم من القرامطة النصيرية وانهم اشد كفرا من الغالية الذين يقولون بالهية امير المؤمنين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونبوته وعبيد الله هو الملقب بالمهدي اول العبيديين والمحققون
ينكرون دعواه في نسبته لآل البيت ويقولون ان اسمه سعيد ولقبه عبيد الله وزوج امه
لحسين بن احمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح وسمي قداحا لانه كان كحالا يقدح العين التي ينزل
فيها الماء وسموا بالاسماعيلية نسبة الى عبيد الله بن محمد بن اسمعيل بن جعفر وهو ابو طاهر المنصور ابن القائم
ابن المهدي صاحب افريقية وهم اصل هذه البدعة ويقال ان جدهم كان يهوديا ولا مزيد على ما هم عليه
من الكفر والالحاد والزندقة والعناد وقد فشت نحلتهم وانتشرت بدعتهم وكثرت وعظم ضررها
واستفحل كفرها وشرها ولا سيما في سوق ابن معن ونواحي كسروان وفي الكرم ونواحي عكا وتلك

البلدان والله المستعان والزنادقة جمع زنديق قال في المطلع الزنديق فارسي معرب وجمعه
زنادقة قال سيبويه الهاء في زنادقة بدل من زنادیق قال الجوهري وقد تزندق والاسم الزندقة
قال ثعلب ليس زنديق ولا زرنيق من كلام العرب انما يقولون زندق وزندقي اذا كان شديد البخل
وفي القاموس الزنديق بالكسر المثنوية او القائل بالنور والظلمة او من لا يؤمن بالاخرة او بالربوبية
او من يبطن الكفر ويظهر الاسلام او معرب زندين اي دين المرأة قال والجمع زناديق او زنادقة انتهى
قال الامام الموفق في المغني الزنديق هو الذي يظهر الاسلام ويخفي الكفر كان يسمى منافقا وسمي
اليوم زنديقا ومنهم قال وسائر اي بقية الطوائف جمع طائفة وهي القطعة من الواحد فصاعدا
او الى الالف او اقلها رجلان او رجل فكوكبة بمعنى النفس كلها من القاموس وقال في النهاية الجماعة من الناس
ويقع على الواحد كانه اراد نفسا طائفة قال وسئل اسحق بن راهويه عنه فقال الطائفة دون الالف
المنافقة من النفاق وهو ابطان الكفر واظهار الايمان قال في النهاية وقد تكرر في الاحاديث ذكر النفاق
وما تصرف منه اسما وفعلا قال وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستتر
كفره ويظهر ايمانه وان كان اصله في اللغة معروفا فانه يقال نافق ينافق منافقة ونفاقا وهو ماخوذ
من النافقاء احدى جحرة اليربوع اذا طلبه من واحد هرب الى الآخر وخرج منه وقيل هو من النفق وهو
السرب الذي يستتر فيه لستره كفره قال الامام ابو حامد الغزالي في كتابه التفرقة بين الايمان والزندقة
فاما ما يتعلق بهذا الجنس يعني التاويلات البعيدة باصول العقائد المهمة قال واصول الايمان ثلاثة
الايمان بالله وبرسوله وباليوم الاخر وما عدا هذه الثلاثة فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان
قاطع كالذي ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية في الاخرة بطنوا واوهام واستبعادات
من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعا ويجب تكفير من قال منهم ان الله تعالى لا يعلم الا نفسه او لا يعلم
الا الكليات فاما الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم
قطعا وليس مما قبيل الدرجات التي يسوغ فيها التاويل اذ دلالة القرآن والاخبار على تفهيم
حشر الاجساد وتفهيم علم الله تعالى لكل ما يجري على الانسان مجاوزة حد لا يقبل التاويل وهم معترفون
بان هذا ليس من التاويل قالوا ولما كان صلاح الخلق في ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور
عقولهم عن فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في ان يعتقدوا ان الله عالم بما يجري عليهم ورقيب عليهم
ليوقع ذكر غيبة ورهبة في قلوبهم جاز للرسول صلى الله عليه وسلم ان يفهمهم ذلك قالوا وليس بكاذب
من اصلح غيره فقال ما قصد صلاحه وان لم يكن كما قاله قال الغزالي وهذا القول باطل قطعا
لانه تصريح بالتكذيب ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق واصلاح الخلق

مندوحة

مندوحة عن الكذب قال وهذه اول درجات الزندقة وهي دنية بين الاعتزال وبين الزندقة
المطلقة فان المعتزلة تقرب منا بمجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو ان المعتزلي لا يجوز
الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم بمثل هذا بل يؤول الظاهر مهما ظهر له البرهان خلافه والفلسفي
لا يقتصر مجاوزته للظواهر على ما يقبل التاويل على قرب او بعد قال واما الزندقة المطلقة فهي ان
ينكر اصل المعاد عقليا او حسيا وينكر الصانع للعالم اصلا ورأسا قال واما اثبات المعاد بنوع عقلي
مع نفي الآلام واللذات الحسية واثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل الامور فهو زندقة مقيدة
بنوع اعتراف بصدق الانبياء وظاهر ظني قال والعلم عند الله تعالى اما هؤلاء المرادون بقوله
صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة قال وهذا
لفظ الحديث في بعض الروايات قال وظاهر الحديث يدل على انه اراد الزنادقة من هذه الامة اذ قال ستفترق
امتي ومن لم يعترف بنبوته فليس من امته والذين ينكرون اصل المعاد واصل الصانع فليسوا
معترفين بنبوته اذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم لم يزل كذلك موجود النفس من غير
صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة
فاذا لا معنى لزندقة هذه الامة الا ما ذكرناه انتهى قلت اما هذا الحديث الذي ذكره فلا اصل له
وتقدم الكلام عليه في صدر الكتاب وقول شيخ الاسلام ابن تيمية طيب الله ثراه بانه موضوع باتفاق
اهل العلم بالحديث ولم يروه احد من اهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الحديث الذي في كتب السنن
والمسانيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه انه قال ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة
في الجنة واثنتان وسبعون في النار وروي عنه انه قال هي الجماعة وفي حديث اخر هي من كان على مثل
ما انا عليه اليوم واصحابي وتقدم الحديث والكلام عليه مستوفى عند قوله بان ذا الامة سوف تفترق
بضعا وسبعين اعتقادا والمحق الابيات قال شيخ الاسلام ابن تيمية وايضا لفظ الزنديق لا يوجد
في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وهو لفظ اعجمي معرب من كلام الفرس بعد ظهور الاسلام
وقد تكلم به السلف والائمة في توبة الزنديق ونحو ذلك قال والذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في
الظاهر المراد به عندهم المنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام وان كان مع ذلك يصلي ويصوم
ويحج ويقر القرآن وسواء كان في باطنه يهوديا او نصرانيا او مشركا او وثنيا وسواء كان معطلا
للصانع والنبوة او للنبوة فقط او النبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فقط فهذا زنديق وهو منافق
وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا باجماع المسلمين وقد قال تعالى ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم

انه قد اتى بكبرة فزعمت انك تبت واراك قد عدت فقتله ولانه تكرار الردة منه يدل على فساد عقيدته
وقلة مبالاته في الدين والسبب في عدم قبول توبة نحو المنافق لانه لم يبد للعيان ظاهرا من ايمانه
الذي زعم انه اتى به ودخل به الاسلام والدين القويم الا الذي اذاع اي اظهر ونشر قبل توبته
من لسانه مع عدم اعتقاده للاسلام فلم يزد على ما كان يقوله ويأتي به ويذيعه في حال كفره وكتمانه
للعقيدة الفاسدة والنحلة الباطلة والكفر المستقر بها وقد قال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
وهؤلاء لا يظهر منهم على ما يتبين به رجوعهم فلا يظهر منهم بالتوبة خلاف ما كانوا عليه فانهم كانوا
ينفون عنهم الكفر قبل ذلك وقلوبهم لا يطلع عليها فلا يكون لما قالوه حكم لان الظاهر من حال هؤلاء انهم انما
يسندون عنهم القتل باظهار التوبة اذ لا امن منهم ما يؤخذ ويأتي به كما لا يقبل ايمان الملحد ما خوذ
من الالحاد وهو الميل والعدول عن الشيء ومنه حديث ظهمة لا يلطط في الزكاة ولا يلحد في الحياة
اي لا يجري في حكم ميل عن الحق ما دام حيا قال في النهاية ورواه الهيثمي لا تلطط ولا تلحد على النبي
للواحد قال ولا وجه له لانه خطاب للجماعة وذكره الزمخشري لا تلطط ولا تلحد بالنون قال
والوجه بالتحتية مبنيا للمالم يسم فاعله واللطط المنع وفي حديث انشاوة تلطها اي تمنعها حقها و
في كلام الاعشى لحرمازي في شان امراته اخلفت الوعد ولطت بالذنبة اراد صغة بضعها من
لطت الناقة بذنبها اذا اسدت فرجها به اذا اراد بها الفحل قال في كنز الاسرار الملاحدة والزنادقة
هم الذين يسبون الله عز وجل او واحدا من انبيائه وكذلك من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او
الحق به نقصانا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او شبهه بشيء على طريق الاستهزاء به
او الازدراء عليه او التصغير لشانه قال في الفروع ويقتل من سب الله او رسوله نقل حنبل عن الامام
احمد رضي الله عنه او تنقصه ولو تعريضا وقال من عرض بشيء من ذكر الرب فعليه القتل مسلما كان او كافرا
قال وهو مذهب اهل المدينة وساله ابن منصور ما الشتمة التي يقتل بها قال نحن نرى في التعريض الحد
وفي فصول ابن عقيل عن الاصحاب لا تقبل توبته ان سب النبي صلى الله عليه وسلم لانه حق آدمي فلم يعلم اسقاطه
واما ان الله تقبل توبته لانه يقبل التوبة في خالص حقه وكساحره وساحره ممن يكفر بسحره من
ذكر او انثى لما روى جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حد الساحر ضربه
بالسيف قال رواه الترمذي والدارقطني وعن بجالة ابن عبيدة قال كنت كاتبا لجزء بن معاوية عم
الاحنف ابن قيس فاتانا كتاب عمر قبل موته بسنة اقتلوا كل ساحر وساحره وفرقوا بين كل ذي رحم محرم
من المجوس وانهوهم عن الزمزمة ففتلنا ثلاث سواحر وجعلنا نفرق بين الرجل وحريمه رواه الامام
احمد وابو داود والبخاري منه التفريق بين ذي المحارم وروى الامام مالك في الموطا عن محمد بن عبد الرحمن

لانه ليس من ايمانه الا الذي اذاع من لسانه

لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما قال ومثل هؤلاء المنافقين الكفار
في الباطن بانفاق المسلمين وانما كانوا مظهرين للشهادتين والاقرار بما جاء به الرسول ومؤدين للواجبات
الظاهرة فانه ذلك لا ينفعهم في الآخرة اذ لم يكونوا مؤمنين بقلوبهم بانفاق المسلمين قال شيخ الاسلام
وبهذا يظهر ضعف ما ذكره الغزالي من انه لا معنى لتزندق هذه الامة الا ما ذكره من الزندقة المفيدة
للعرض مذهب الفلاسفة المشائين فانا الزندقة في هذه الامة وغيرها بانفاق ائمة المسلمين اعم من هذا
كما ذكره الفقهاء كلهم في باب توبة الزنديق وسائر احكامه وانما لم يكن لفظ الزنديق وارد في الكتاب
والسنة بل معناه عندهم المنافق وجميع من بلغته دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة اصناف
مؤمن وكافر ومنافق والمنافق كافر في الباطن مسلم في الظاهر وقد انزل الله نعتا وصفة الاصناف
الثلاثة في اول سورة البقرة فانزل اربع ايات في المؤمنين واثنتين في الكافرين وبضع عشرة اية
في المنافقين قال شيخ الاسلام قدس الله روحه وعامة ما يوجد النفاق في اهل البدع فانه
الذي ابتدع الرفض كان منافقا زنديقا وكذلك يقال عن الذي ابتدع التجهم وكذلك رؤس القرامطة
واما نفاقهم لاريب انهم من اعظم المنافقين وهؤلاء لا يتنازع المسلمون في كفرهم ولهذا قال
وكل داع لانتحال البدع مكفر من بدع الضلال ذكر القاضي واصحابه من علماء المذهب رواية عن الامام
احمد رضي الله عنه لا تقبل توبته داعية الى بدعته مضلة واختارها ابو اسحق بن شاقلا وفي الرعاية
من كفر ببدعة قبلت توبته على الاصح وقيل ان اعترف بها وقيل لا تقبل من داعية والمذهب
تقبل توبة من كفر ببدعة ولو داعية خلافا لابن حمدان والبلباني في عقيدتيهما قال شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه وقد بين الله تعالى انه يتوب على ائمة الكفر الذين هم اعظم من ائمة البدع
قال شيخ مشايخنا بدر الدين البلباني في مختصر عقيدة ابن حمدان ولا تقبل يعني التوبة ظاهرا
من داعية الى بدعته المضلة ولا من ساحر وزنديق وهو المنافق ولا ممن تكررت ردته ولذا
قال يقتل الداعية لبدعته المضلة لعدم قبول توبته ظاهرا كالدرزي والزنديق وسائر طوائف
المنافقين لمن اي لكن تكرر نكثه اي نقضه للاسلام بان تكررت ردته وانجه العلامة
الشيخ مرعي في غايته ان اقل التكرار ثلاث قال في النهاية النكث نقض العهد والاسم النكث
بالكسر لا يقبل منه بعد تكرر ردته منه الاسلام على ظاهر المذهب لظاهر قوله تعالى ان الذين امنوا
ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا وقوله ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم والازدياد يقتضي كفرا متجددا ولا بد من تقديم ايمان عليه
ولما روى الائرم باسناده عن ظبيان بن عمارة ان ابن مسعود رضي الله عنه اتي برجل فقال له

ابن سعد بن زرارة انه بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وكانت قد دبرتها
فامرت بها فقتلت وكل من قلنا ان اسلامه لا يقبل بل حكمه ان يقتل يعني بحسب الظاهر في الدنيا وهم يعني
الزنادقة والدروز والمنافقة ونحوهم يبقون على بنائهم في الدار الآخرة فمن صدق منهم في توبته
قبلت باطنا ونفعه ذلك بلا خلاف كما ذكره الامام ابن عقيل وموفق الدين بن قدامة وغيرهما وقيل
يقبل الاسلام والتوبة من كل ما ذكر حتى من الدين قال الامام ابن عقيل التوبة من سائر الذنوب
مقبولة خلافا لاحد الروايتين عن الامام احمد رضي الله عنه لا تقبل توبة الزنديق قال ابن عقيل
اذا اظهر لنا الزنديق التوبة والرجوع عن زندقته يجب ان نحكم بايمانه ظاهرا وانه جائز ان لا يكون
عند الله عز وجل كافرا قال ولان الزندقة نوع كفر فجاز ان يحبط بالتوبة كسائر الكفر من
الشرك والتعطيل والتهود والتنصر اذ ليس علينا معرفة الباطن جملة وانما المأخوذ علينا حكم الظاهر
فاذا بان لنا في الظاهر حسن طريقته وتوبته وجب علينا قبولها ولم يجز ردها لما بينا وان
جميع الاحكام تتعلق بما قال ولم اجد لهم يعني القائلين بعدم القبول شبهة اوردها
الا انهم حكوا عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قتل زنديقا ولا امتنع من ذلك وان
الامام اذا رأى قتله لانه ساع في الارض بالفساد ساغ له ذلك واما ان تكون توبته لا تقبل
بدلالة ان قطاع الطريق لا يسقط الحد عنهم بعد القدرة ويحكم بصحتها عند الله عز وجل
في غير اسقاط الحد عنهم فليس من حيث لا يسقط القتل لا تصح التوبة ولعل الامام احمد رضي الله عنه
عنى بقوله لا تقبل في اسقاط القتل فيكون ما قبله هو مذهبه رواية واحدة قال وكذلك
قال لا تقبل توبة المبتدع فانا لا نمنع ان يكون مطالبا بمظالم الآدميين ولكن لا يمنع هذا صحة
التوبة كالتوبة من السرقة وقتل النفس وغصب الاموال صحيحة مقبولة والاموال والحقوق
للآدمي لا تسقط ويكون الوعيد راجعا الى ذلك ويكون نفي القبول عائدا الى القبول الكامل وقال
شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله اراد قول من قال الداعية الى البدعة لا يغفر له ولا تقبل توبته
قال ويحتج بحديث الاسرائيلي وفيه انه قيل له فكيف لمن اضللت وهذا القول طائفة
ممن تنسب الى السنة والحديث وليس من العلم بذلك كما بي على الاهوازي وامثاله ممن لا يميز
بين الاحاديث الصحيحة والموضوعة وما يحتج به وما لا يحتج به بل يروي كل ما في الباب
محتجا به وقد حكى هذا طائفة قولا في مذهب الامام احمد ورواية عنه وظاهر مذهبه
مع سائر مذاهب المسلمين انه تقبل توبته كما تقبل توبة الداعية الى الكفر وتوبة من فتن الناس عن
دينهم وقد تاب عامة الاحزاب مثل ابي سفيان بن حرب والحارث ابن هشام وسهيل بن عمرو

وصفوان

وصفوان وعكرمة ابن ابي جهل وغيرهم بعد ان قتل على الكفر بدعائهم اليه وحضهم عليه من قتل
وكان امام احس الناس اسلاما وغفر الله لهم كما قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف وكذلك عمرو بن العاص كان من اعظم الدعاة الى الكفر والاذى للمسلمين وقد قال النبي صلى الله عليه
لما اسلم يا عمرو اما علمت ان الاسلام يجب ما قبله فالداعي الى الكفر والبدعة واذا كان اصل غيره فذلك الغير
يعاقب على ذنبه لكونه قبل من هذا او تبعه وبهذا عليه وزره ووزر من تبعه الى يوم القيمة مع بقاء
اوزار اولئك عليهم فاذا تاب هذا من ذنبه غفر له ذنبه فلم يبق عليه وزره ولا وزر من تبعه ولا ما حمله
هو لاجل اضلالهم واما هم فسواء تاب من اضلهم او لم يتب حالهم واحد ولكن توبته قبل هذا تحتاج الى
ضد ما كان هو عليه من الضلال الى الهدى كما تاب كثير من الكفار واهل البدع وصاروا دعاة الى الاسلام
والسنة وسحرة فرعون كانوا ائمة في الكفر وتعليم السحر وتعلموا ثم اسلموا وختم لهم بخير وكذا قاتل النفس
والجمهور على ان توبته مقبولة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقبل وعن الامام احمد في ذلك
روايتان وحديث قاتل المائة في الصحيحين يرد ذلك فهو دليل على قبول توبته وآية ان الله
يغفر الذنوب جميعا تدل على ذلك وآية النساء فيها وعيد قاتل النفس اذا لم يتب كسائر الوعيد
القرآن قال وكل وعيد في القرآن فهو مشروط بعدم التوبة باتفاق المسلمين فباي وجه يكون وعيد
القاتل لاحقا به واذا تاب هذا في غاية الضعف ولكن قد يقال لا تقبل توبته بمعنى لا تسقط حق المظلوم
بالقتل وانما التوبة تسقط حق الله والمقتول له مطالبة بحقه فهذا صحيح في جميع حقوق
الآدميين حتى الدين وفي الصحيحين الشهيد يغفر له كل شيء الا الدين وهو الآدمي يعطاه من حسنات
من ظلمه فمن تمام التوبة ان يستكثر العبد من الحسنات ليوفي غرماءه وتقول بعضهم يدخل بها الجنة
قال ولعل ابن عباس رضي الله عنهما رأى ان القتل اعظم الذنوب بعد الكفر فلا يكون لصاحبه حسنات
تفي بحق المقتول فلا بد ان يبقى له سيئات تعذب بها وهذا الذي رآه يقع من بعض الناس فيبقى
الكلام فيمن تاب واصلح وعجز عن حسنات تعادل حق المظلوم هل يحمل عليه من سيئات المظلوم
ما يعذب به هذا موضع دقيق على مثله يحمل حديث ابن عباس لكن هذا كله لا ينافي موجب قوله تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الآيات
فهي تدل على ان الله تعالى يغفر كل ذنب من الشرك وغيره من حيث الجملة وهي عامة في الافعال مطلقة
في الاشخاص مخصصة بالثنا بين بدليل قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا
تنصرون فاخبر ان تعالى يغفر جميع الذنوب ولم يخبر انه يغفر لكل مذنب بل اخبر في غير موضع انه لا يغفر
لمن مات كافرا فمن تاب من الكفر حيث كانت التوبة قبل مجيء العذاب وقبل المعاينة وبالله التوفيق

والحاصل ان شيخ الاسلام ومن نحى منحاه لم يمنع قبول توبة تائب من منافق وزنديق وساحر وداعية
بدعة ضلالة وقاتل نفس ولو تكررت ردته فانه قال في قوله تعالى ثم ازدادوا كفرا اي ثبتوا عليه
حتى ماتوا وذلك لان التائب راجع عن الكفر وغيره ومن لم يتب فانه مستمر يزداد كفرا بعد كفر
فقوله ثم ازدادوا كفرا اي ازداد كفرهم فهؤلاء لا تقبل توبتهم يعني عند الموت واما من تاب قبل
حضور الموت فانه تائب من قريب ورجع عن كفره فلم يزدد كفرا بل نقض مخالفا للمصر على الكفر والعاصي
الى حين المعاينة فانه ازداد من ذنب ولكنه لم يزل محتفظ لبعض كفره فضلا عما هو دونه والله اعلم
وقد سئل سيدنا الامام احمد رحمه الله تعالى عما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل احتجر
التوبة عن كل صاحب بدعة وحجر التوبة اي شيء معناه فقال لا يوفق ولا يدبر صاحب بدعة لتوبة
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هم اهل البدع والاهواء ليست لهم توبة قال شيخ الاسلام بن تيمية روح الله روحه لان
اعتقاد المبتدع الفاسد يدعوه الى ان لا ينظر نظرا تاما الى الدليل خلافه فلا يعرف الحق وله هذا
قال السلف البدعة احب الى ابليس من المعصية وقال ابو ايوب السختياني وغيره ان المبتدع
لا يرجع وقال شيخ الاسلام ايضا التوبة من الاعتقاد الذي كفر ملازمة صاحبه له ومعرفته
بحجة تحتاج الى ما يقابل ذلك من المعرفة والعلم والادلة ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوا
شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم قال الامام احمد وغيره لان الشيخ قد عسى في الكفر فاسلامه
بعيد بخلاف الشاب فانه قلبه لين وهو قريب الى الاسلام والله اعلم والحاصل ان الشيخ وغيره
من المحققين بل وجمهور الامة واكثر الائمة جزموا بقبول توبة كل زنديق ومنافق وملحد ومحارق
ظاهرا وكل اسرته الى الله تعالى والمشهور فيها عدم قبول توبتهم كما مر وقد بسطت في المسئلة
ما اشير اليه بقوله قلت والادلة من الشخص التائب والمسلم الآيب دلائل الهدى وقرائن
الاحوال كما جرى للرجل الصالح الفاضل حسن العيلبوني نسبة الى بلدة عيلبون وهي بليدة
ما بين قرية حطين وديرحنا كانت لطائفة من الدروز ومسكنا لهم من اعمال صفد وكان هو
درزيا من جملتهم فتاب ورجع عن كفره وزندقته والحادة وحسن حاله وصلحت اعماله واقبل
بقلبه وقالبه على دين الاسلام ورفض ما كان عليه من الكفر والضلال والاهواء فظهرت منه
قرائن الاحوال واتباع الهدى ورفض الضلال والاضلال فجرى لهذا الرجل الصالح فقد اهتدى
وانقذه الله من الضلال والردى فانه اي العيلبوني اذاع اي نشر واظهر من اسرارهم اي اسرار
طائفة الدروز وما هم عليه من الكفر الذي لا مزيد عليه وانتحالهم ما لا يجوز عند احد من سائر الملل

من الموقوة

من الوقوع على المحارم من البنات والاخوات واكلهم الخنزير وبغضهم العبادات وانكارهم الشرائع
وارتكاب الضلالات سعى في شيء كثير اكان فيه اي في ذلك المذاع الهتك اي الكشف والظهور والابانة عن
استارهم التي كانوا يكتمونها ويستترون بها باظهارهم الاسلام تقية مع عكوفهم على الكفر الصراح و
اعتقادهم انه كمل ما رفعته الشريعة فهو مباح وكم من الاصطلاحات التي يريدون بها معاني فيما بينهم
غير ظواهرها مما هو معروف عند كل من اطلع على عقائدهم واظهره العيلبوني من مقاصدهم فيحلونه
الصلاة معرفة اسرارهم ويريدون بالصوم كتمان اسرارهم وبالحج قصدهم عقالهم ومن نحى هذا الهذيان
ما يخالفون به جميع الاديان من ظهرت قرائن اسلامه ودلائل صدقه والتزامه فانه يقبل منه الاسلام
عند الخاص والعام وكان العيلبوني ومن نحى منحاه للدين القويم والهدى المستقيم ناصرا باتباعه
والعكوف عليه وذم من خالفه وكشف فضائحهم واظهار قبائحهم فصار منا معشر المسلمين اهل
السنة والجماعة والفرقة الناجية من اهل الايمان والطاعة باطنا اي في الباطن وظاهرا فهو مسلم
مقبول الاسلام في الظاهر والباطن وكان حسن العيلبوني شاعرا اديبا فائقا وكان حسن المطارحة
طيب العشرة ارتحل الى مصر واخذ نصاعة الشمس البابلي والشيخ سلطان والنور الشبراملسي وغيرهم
ودخل دمشق الشام وجاور بها في الخانقاة السميساطية وله شعر كثير منه القصيدة النونية التي
هجى بها الدروز وهي طويلة تبلغ ثلاثمائة بيت يذكر فيها مذاهبهم الفاسدة وضلالاتهم البادية
ولغير ذلك قال محمد المحبي في تاريخه خلاصة الاثر في اعيان المائة الحادية عشر قال واجود ما ظفرت
به من شعره قوله حكى دخانا علا ما فوق وجنته ... من مص غليونه اذ هزه الطرب
غيم على بدر تم قد تقطع من ... اديه النسيم فولى وهو منسحب
فقلت والنار في كبدي لها لهب ... يقد حكيت ولكن فاتك الشنب

قال المحبي في التاريخ المذكور ثم ارتحل العيلبوني الى عكا فاقام بها مدة وبها توفي سنة خمس وثمانين
والف رحمه الله وعفى عنه فالذي نختاره وندين الله به ما اشرنا اليه بقولنا فكل زنديق لا يقبل بدين
وكل مارق من اهل البدع والضلالات وانتحال الاهواء وارتكاب المحالات وكل جاحد من درزي
ودهري وفيلسوفي وبرهمي ومعطل وعابد وثن وشمس ونار وغيرها وكل ملحد في ايات الله
ومنكر لشرائع الله وكافر برسول الله وهو مع ذلك منافق اي ذي نفاق يبطن الكفر الذي ينطوي عليه
ويظهر الاسلام الذي لاركون له اليه اذا تاب مما هو عليه من الكفر والالحاد والضلال والعناد و
استبان اي امتحن حاله وطلب بيانه فظهر صحة ايمانه ونصحه للدين القويم وصدق ايقانه
فانه اي هذا التائب الناصح والراجع الصالح يقبل منه ذلك الرجوع عن تلك الترهات وهو مقبول

هذا كان فيه الهتك عن اسراره
وكان للدين القويم ناصرا
فصار منا باطنا وظاهرا
فكل زنديق وملحد ومارق
واذا استبان نصحه للدين
فانه يقبل عن يقين

لدى من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات عن يقين وهو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع
وانما كان كذلك لقوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم الآية تنبيه
دخل في عموم ما ذكرنا الحلولية والاباحية ومن يفضل متنبوءه على النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء وما
يزعم انه اذا حصلت له المعرفة والتحقيق سقط عنه الامر والنهي ومن يزعم ان العارف المحقق يجوز
له التدين بدين اليهود والنصارى وباي دين شاء وانه لا يجب عليه الاعتصام بالكتاب والسنة
وامثال هؤلاء الطوائف المارقين فمن صدقت توبته وصلحت سريرته وحملت سيرته ودلت
قرائن الاحوال على رجوعه عما كان متلبسا به من الكفر والضلال فمقبول عند ذي المنة والافضال
الامدي

فصل في الكلام على الايمان والاسلام واختلاف الناس فيه وتحقيق مذهب السلف

في ذلك اعلم وفقك الله تعالى ان الناس اختلفوا في التصديق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به عن ربه وهذا
القدر متفق عليه ثم وقع لهم اختلاف هل يشترط مع ذلك مزيد امر من جملة ابدا هذا التصديق باللسان
المعبر عما في القلب اذ التصديق من افعال القلوب او من جملة العمل بما صدق به من ذلك كفعل المامورات
وترك المحظورات وهذا هو الذي اشتهر من مذهب السلف ولذا قال ايماننا معشر الاثرية من السلف
ما ياتي ذكره وهو فيما قيل مشتق من الامن وهي نظر ليتبادر معدلولي الامن والتصديق الا ان لوحظ
معنى مجازي فيقال آمنه اذا صدق اي امنه التكذيب وفي الاية الكريمة وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق
لنا وقد اعترض على ذلك جماعة فقالوا بل الايمان في اللغة الاقرار وعند محققي السلف ان الايمان
وان قلنا هو التصديق الا انه تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها وهذا ليس نقلا للفظ
عن اصل اللغة ولا تغييرا له فان الله تعالى لما امرنا بالايمان مطلق بايمان خاص وصفه وبينه وهو
تصديق قام بالقلب مستلزم لما وجب من الاعمال القلبية واعمال الجوارح فان هذه لوازم
الايمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ولهذا قال قولا باللسان فمن لم يقر ويصدق
بلسانه مع القدرة لا يسمى مصدقا فليس بمؤمن كما اتفق على ذلك سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم
باحسان وقصد اي عقد بالجنان فمن تكلم بكلمة التوحيد غير معتقد لها بقلبه فهو منافق
وليس بمؤمن خلافا للكرامية الزاعمين بان الايمان هو القول الظاهر واذا كان مصدقا بقلبه وليس
ناطقا بلسانه مع القدرة فليس بمؤمن عند سلف الامة خلافا للجهمية ومن وافقهم من المتكلمة قال الله تعالى
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين فنفى الايمان عن المنافقين وهذا
يرد مذهب الكرامية فان المنافق ليس بمؤمن وقد فضل من سماه مؤمنا وكذلك من قام بقلبه علم وتصديق
وهو بجحد الرسول وما جاء به وبعاديه كاليهود وغيرهم ممن سماه الله كافرا فلم يسمهم مؤمنين قط

ولا دخلوا

ايمانا قول وقصد وعمل

ولا دخلوا في شيء من احكام الايمان فهم كفار خلافا للجهمية في زعمهم انهم اذا كان العلم في قلوبهم فهم
مؤمنون كاملو الايمان صحيحو الايمان كايمان النبيين والصديقين وفي الآيات
القرانية مما يرد هذا ما لا يحصى الا بكلفة كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
الآية الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم والى جاءهم ما عرفوا كفروا به وعمل بالاركان
وهذا هو اللفظ الوارد عن السلف قال البخاري في صحيحه الايمان قول وعمل قال الحافظ ابن حجر
في شرح البخاري وهو اللفظ الوارد عن السلف الذين اطلقوا ذلك وقد روي مرفوعا باسناد ضعيف
قال والمراد بالقول النطق بالشهادتين واما العمل فالمراد به ما هو اعم من عمل القلب والجوارح ليدخل
الاعتقادات والعبادات ومما يرد ما ادخل ذلك في تعريف الايمان ومن نفاه انما هو بالنظر الى ما عند الله
فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالاركان واراد وا بذلك ان الاعمال شرط
في كماله ومن هنا نشا لهم القول بزيادة الايمان ونقصه كما سياتي والمرجئة قالوا هو اعتقاد
ونطق فقط والكرامية قالوا هو نطق فقط والمعتزلة قالوا هو العمل والنطق والاعتقاد
والفرق بينهم وبين السلف انهم جعلوا الاعمال شرطا في صحته والسلف جعلوها شرطا في
كماله وهذا بالنظر الى ما عند الله تعالى اما بالنظر الى ما عندنا فالايمان هو الاقرار فقط فمن اقر
اجريت عليه احكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر الا اذا اقترن باقراره فعل يدل على كفره كالسجود
للصنم فان كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق ممن اطلق عليه الايمان فبالنظر الى اقراره ومن نفى
عنه الايمان فبالنظر الى كماله ومن اطلق عليه الكفر فبالنظر الى ان فعل فعل الكافر ومن نفاه عنه
فبالنظر الى حقيقته واثبت المعتزلة الواسطة كما مر فقالوا الفاسق لا مؤمن ولا كافر وانتهى
قال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين وغيره المشهور عن السلف واهل الحديث ان الايمان
قول وعمل ونية وان الاعمال كلها داخلة في مسمى الايمان وحكى الشافعي رضي الله عنه اجماع الصحابة
والتابعين فمن بعدهم ممن ادركهم على ذلك قال الحافظ ابن رجب انكر السلف على من اخرج الايمان
عن الاعمال انكارا شديدا ومما انكروه ذلك على قائله وجعله قولا لمحدثا سعيد بن جبير وميمون
ابن مهران وقتادة وايوب السختياني والنخعي والزهري ويحيى بن ابي كثير وغيرهم وقال الثوري
هو راي محدث ادركنا الناس على غيره وقال الاوزاعي كان من مضى من السلف لا يفرقون بين الايمان
والعمل في استكمالها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ذكره الامام البخاري
في صحيحه وقد دل على دخول الاعمال في الايمان قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون

اولئك هم المؤمنون حقا وفي الصحاحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لوفد عبد القيس آمركم باربع الايمان بالله وهل تدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله
واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغانم الخمس وفي الصحاحين
ايضا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة او
بضع وستون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء
شعبة من الايمان ولفظه لمسلم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره في كتابه الايمان
والاسلام قال ابو القاسم الانصاري شيخ الشهرستاني في شرح الارشاد لابي المعالي بعد ان ذكر قول
اصحابه الاشاعرة من انه مجرد التصديق وذهب اهل الاثر الى ان الايمان جميع الطاعات فرضها
ونفلها وعبروا عنه بانه امتثال ما امر الله به فرضا ونفلا وانتهاء عما نهى عنه تحريما وادبا قال
وهذا كما يقول ابو علي الثقفي من متقدمي اصحابنا وابو العباس القلانسي قال وقد ذهب الى
هذا المذهب ابو عبد الله بن مجاهد وهذا قول مالك بن انس امام دار الهجرة ومعظم ائمة السلف
رضوان الله عليهم اجمعين فكانوا يقولون الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وبعض
السلف من اهل السنة زادوا اتباع السنة لان الذكر لا يكون محمودا الا باتباع السنة ومنهم
من اقتصر على انه قول وعمل واراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومن زاد الاعتقاد اي
المعرفة والتصديق يرى ان لفظ القول لا يفهم منه الا القول الظاهر او خافه ذكر فزاد الاعتقاد
بالقلب ومن قال منهم انه قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان واما العمل فقد لا
تفهم منه النية فزاد ذكرها ومن قال منهم انه قول وعمل مع السنة كل قول وعمل اغا اراد ما كان مشروعا فان الاقوال
والاعمال قال شيخ الاسلام كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط فقالوا
بل هو قول وعمل والذين جعلوه اربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الايمان ما هو
فقال قول وعمل ونية وسنة لان الايمان ان كان قولا بلا عمل فهو كفر وان كان قولا وعملا بلا نية فهو
نفاق واذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه
الايمان الذي اصله في القلب لا بد فيه من شيئين تصديق القلب واقراره ومعرفته ويقال لهذا قول
القلب قال الجنيد بن محمد رحمه الله التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب فلا بد فيه من عمل القلب
وقوله ثم قول البدن وعمله لا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وخبته مما يحبه الله ورسوله
واخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من اعمال القلوب التي اوجبها الله
ورسوله وجعلها من الايمان ثم القلب هو الاصل فاذا كان فيه معرفة وارادة سرى ذلك الى البدن بالضرورة

لا يمكن

لا يمكن ان تتخلف البدن عما يريده القلب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الاوان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وقال ابو هريرة رضي الله عنه
القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبثت الملك خبثت جنوده قال
شيخ الاسلام قول ابي هريرة رضي الله عنه تقريب وقول النبي صلى الله عليه وسلم احسن بيانا فان الملك وان
كان صالحا فانه يخذلهم احيانا وقد يعصونه به ملكهم وبالعكس قد يكون فيهم فساد مع صلاحه
او صلاح مع فساده بخلاف القلب فان الجسد تابع له ولا يخرج عن ارادته قط فاذا صلح القلب
من حيث هو ولا بد ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله اي من المشركين وفي الاية قولان قيل يحبونهم كحب المؤمنين لله و
الذين امنوا اشد حبا منهم لاوثانهم وقيل يحبونهم كما يحبون الله والذين امنوا اشد حبا لله منهم وهذا
هو الصواب فان المشركين لا يحبون الانداد مثل محبة المؤمنين لله والمحبة تستلزم ارادة والارادة
التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع ان يكون الانسان يحب الله ورسوله مريدا لما يحبه الله ورسوله
ارادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فاذا لم يتكلم بالايمان مع قدرته دل على انه ليس في قلبه
الايمان الواجب الذي فرضه الله عليه ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا ان
الايمان مجرد تصديق القلب وعمله ثم جعلوا ايمان القلب من الايمان وظنوا انه قد يكون الانسان مؤمنا
كاملا لايمانه بقلبه وهو مع ذلك يسب الله ورسوله ويعادي اولياء الله ويتولى اعداء الله ويقتل الانبياء
ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار ويهين المؤمنين قالوا وهذه كلها معاصي لا تنافي
الايمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن قالوا وانما ثبت له في الدنيا احكام الكافر
لان هذه الاقوال والافعال امارة على الكفر فيحكم به في الظاهر كما يحكم بالاقرار والشهود وان كان الباطن
قد يكون بخلاف ما اقر به وبخلاف ما شهد الشهود به فاذا اورد عليهم الكتاب والسنة والاجماع على
ان الواحد من هؤلاء كافر في نفس الامر معذب في الاخرة قالوا فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم
من قلبه والكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل والايمان شيء واحد وهو العلم او تكذيب القلب وتصديقه فانهم
متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم او هو هو قال شيخ الاسلام وهذا القول مع انه فاسد
قول قيل في الايمان فقد ذهب اليه كثير من اهل الكلام وقد ذكر السلف كوكيع بن الجراح والامام احمد
وابي عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول وقالوا فابليس كافر بنص القرآن وانما كفره باستكباره وامتناعه
من السجود لآدم لا لكونه كذب بخبر او كذب فرعون وقومه قال الله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا
سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وكذلك قال موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض

بصائرو اني لاظنك يا فرعون مثبورا والموسى هو الصادق المصدوق يقول لقد علمت ما انزل هؤلاء
يعني الايات البينات الا رب السموات والارض بصائر فقد علم ان فرعون كان عالما بان الله انزل هذه
الايات وهو من اكثر خلق الله عنادا او بغيا لفساد ارادته وقصده لا لعدم علمه وقال في اهل الكتاب
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله تعالى فانهم
فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وقال شيخ الاسلام فهؤلاء غلطوا في اصلين
احدهما ظنوا ان الايمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه علم وحال وحركة وارادة ومحبة وخشية
في القلب وهذا من اعظم غلط المرجئة مطلقا فان اعمال القلوب التي يسميها بعض الصوفية احوالا ومقامات
ومنازل السائرين الى الله تعالى او مقامات العارفين او غير ذلك كلها فيها ما فرضه الله ورسوله فهو
من الايمان الواجب وكل ما فيها مما احبه الله ولم يفرضه فهو من الايمان المستحب فالاول لابد لكل مؤمن منه
ومن اقتصر عليه فهو من الابرار اصحاب اليمين والثاني للمقربين السابقين والاصل الثاني الذي غلطوا
فيه ظنهم ان كل من حكم الشارع بانه كافر مخلد في النار فانما ذاك لانه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق
وهذا امر خالفوا فيه الحس والعقل والشرع وما اجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير
النظار فان الانسان قد يعرف الحق مع غيره ومع ذلك يحجد ذلك لحسده اياه او لطلب علوه عليه
او هوى النفس ويحمله ذلك الهوى على ان يعتدي عليه ويرد ما يقول كل طريق وهو في قلبه يعلم انه الحق
معه وعامة من كذب الرسل علموا ان الحق معهم وانهم صادقون لكن الحسد وارادة العلو والرياسة
وحبهم لما هم عليه والفهم لما ارتكبوا اوجب لهم التكذيب والمعاداة لهم وجميع من كذب الرسل لها يات بينة
صحيحة يقدح في صدقهم وانما يعتمدون على مخالفة اهوائهم لكفرهم لنوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك
الارذلون وقولهم لفرعون انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقول لموسى الم نربك فينا
وليدا الايتين وقول مشركي العرب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
قال الله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء بل ابو طالب وغيره كانوا مع محبتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبتهم لعلو كلمته مع عدم حسدهم له وعلمهم بصدقه وحملهم القوم لدين قومهم وكراهتهم
لمفارقته وذم قريش لهم على عدم اتباعه على دينه القويم وهديه المستقيم فلم يتركوا الايمان لعدم العلم
بل لهوى الانفس فكيف يقال مع هذا ان كل كافر انما كفر لعدم علمه فان قيل اذا كان الايمان المطلق
يتناول جميع ما امر الله به ورسوله فمتى ذهب بعضه ذهب كله فيلزم تكفير اهل الذنوب كما تقوله الخوارج او
تخليدهم في النار وسلبهم الايمان كما تقوله المعتزلة وكلا هذين القولين شر من قول المرجئة فالامر
جماعة من العباد والعلماء المذكورين عند الامة بخير واما الخوارج والمعتزلة فاهل السنة والجماعة

من جميع الطوائف مطبقون على ذمهم فالجواب اولا مما ينبغي ان يعرف ان القول الذي يوافق الخوارج
والمعتزلة عليه احد من اهل السنة هو القول بتخليد اهل الكبائر في النار فان هذا القول من البدع المشهورة
وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر ائمة المسلمين على انه لا يخلد في النار احد ممن في قلبه مثقال
ذرة من ايمان واتفقوا ايضا على ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه
من اهل الكبائر وامته كما يأتي في ذكر الشفاعة ان شاء الله تعالى ومن بدع الخوارج الخارجة تكفيرهم
للمسلم بالذنب وسلب المعتزلة له اسم الايمان فهو عندهم ليس مسلم ولا كافر كما تقدم وكل هذه بدع قبيحة
مخالفة للصحابة والتابعين ولائمة السلف من اهل السنة والجماعة والحق ما عند اهل الحق انه مؤمن
ناقص الايمان وليس مطلق الاسم وما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان القاتل لا توبة له وانه مخلد
في النار فغلط فانه لم ينقل احد من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لاهل الكبائر ولا قال انهم مخلدون
في النار ولكن ابن عباس في احد الروايتين عنه قال ان القاتل لا توبة له والنزاع في التوبة غير النزاع
في التخليد لما يتعلق بالقتل من حق الآدمي وتقدم الجواب عنه في الفصل الذي قبل هذا واما
قول القائل ان الايمان اذا ذهب بعضه ذهب كله فممنوع وهذا هو الاصل التي تفرعت عنه البدع في الايمان
فانهم ظنوا انه متى ذهب بعضه ذهب كله ثم قالت الخوارج والمعتزلة الايمان هو مجموع ما امر الله به
ورسوله وهو الايمان المطلق كما قال اهل الحديث قالوا فاذا ذهب شيء منه لم يبق معه صاحبه من الايمان
شيء فيخلد في النار وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم كما يأتي لا يذهب من الايمان بالكبائر وترك الواجبات
الظاهرة شيء منه اذ لو ذهب منه شيء فيكون شيئا واحدا يستوي فيه البر والفاجر وهذا مذهب اهل الحق
من السلف ومن وافقهم ان الايمان يتفاضل فيزيد وينقص ولهذا قال تزيد اي الايمان المطلق
عند الاثرية من السلف التقوى هي لغة الحاجز بين الشيئين والتاء فيه مبدلة من الواو لان اصلها من
الوقاية واصطلاحا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتثال امره واجتناب نهيه وقولهم هل هل
التقوى اي اهل ان يتقى وينقص الايمان بارتكاب الزلل وتعاطيه بفتح الزاي المشددة واللام
من زللت تزل زلا وزليلا ومزلة بكسر الزاي وزلولا وازله غيره واستزله والمزلة موضعه والاسم
الزلة وهي الخطيئة والسقطة والحاصل ان الايمان عند السلف ومن وافقهم من ائمة اهل السنة
والعرفان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه
في كتابه الايمان وهذا مذهب اهل السنة والحديث على ان الايمان يتفاضل وجمهورهم يقولون يزيد
وينقص ومنهم من يقول يتفاضل كما روي عن الامام
منهم من يقول يتفاضل كالامام عبد الله بن المبارك قال شيخ الاسلام وقد ثبت لفظ الزيادة

المطلوب من الايمان فاسق بالاجماع

فيه وانفصاله عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف منهم فروى الناس منه وجوه كثيرة مشهورة عن حماد بن سلمة
عن ابي جعفر عن اجدة عمير بن حبيب الخطمي وهو من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الايمان يزيد وينقص
قيل له وما زيادته ونقصانه قال اذا ذكرنا الله ووحدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا
فذاك نقصانه وروى اسمعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد عن ابي الدرداء رضي الله عنه
قال الايمان يزيد وينقص وقال الامام احمد رضي الله عنه حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان
قال سمعت اشياخنا وبعض اشياخنا ان ابا الدرداء اقال من فقه العبد ان يتعاهد ايمانه وما
نقص منه وما فقه العبد ان يعلم اين زاد ايمانه ام ينقص وان من فقه الرجل ان يعلم نزغات
الشيطان اني ياتيه وروى اسمعيل بن عياش عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول لاصحابه هلموا نزداد ايمانا فيذكرون الله عز وجل قال ابو عبيد في الغريب
في حديث علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمظة في القلب كلما ازداد ايمانا ازدادت اللمظة قال
الاصمعي اللمظة مثل النكتة ونحوها وفي نهاية ابن الاثير في حديث علي الايمان ليبدو في القلوب
لمظة اللمظة بالضم مثل النكتة من البياض ومنه فرس لمظا اذا كان بجحفلته بياض يسير والجحفلة
بتقديم الجيم على الحاء منزلة الشفة للخيل والبغال والحمير وروى الامام احمد رضي الله عنه عن
عبد الله بن عكيم قال سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم زدنا ايمانا ويقينا وفقها
وصح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه انه قال ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان انصاف من نفسه
والانفاق من الاقتار وبذل السلام للعالم ذكره البخاري في صحيحه وقال جندب بن عبد الله
وابن عمر وغيرهما تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا وقال شيخ الاسلام والآثار
في هذا كثيرة جدا رواها المصنفون في هذا الباب لآثار الصحابة والتابعين في كتب كثيرة و
الزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وقال شيخ الاسلام وهذا امر مجدده
المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان حتى كانه لم يسمع
الآية الاحينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر ما لم يكن فيزداد علما بالله
ومحبة لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو
ولم يكن عند آية تزلت فازدادوا يقينا وتوكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدا بانه لا يخافوا
المخلوق بل يخافون الخالق وحده وقال تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه

ايمانا

هذه ايمانا وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بانه الله انزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فانها كانت
امرا بالجهاد او غيره ازداد وا رغبة فيه وان كانت نهيا عن شيء انتهوا عنه فكرهوه ولهذا قال وهم
يستبشرون والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا
يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله
بهذا مثلا قال وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية واصحابه فجعل السكينة
موجبة لزيادة الايمان والسكينة هي طمانينة في القلب وقوله تعالى ليهد قلوبهم لقلبه هداه لقلبه زيادة
في ايمانه كما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وقال اللهم فتنة امنوا بنورهم وزدناهم
هدى قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي امر الله به والذي يكون مع
عباده المؤمنين من وجوه احدها الاجمال والتفصيل فيما امر الله به فانه وان وجب على
جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل امة التزام ما امر به رسلهم مجملا فعلوم
انه لا يجب في اول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل ما
بذلك عالما لعدم علمه وعدم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل ان يعرف الواجب
الذي مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف
الواجب الرابع فامن بها وعمل بها بل ايمان هذا اكمل وجوبا ووقوعا فانما وجب عليه من الايمان اكمل
وما وقع منه اكمل وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم اي في التشريع بالامر والنهي لان كل واحد من الامة
وجب عليه ما يجب على سائر الامة وان فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان اعظم تفاضل

الثاني الاجمال والتفصيل فيما وقع منه في طلب علم التفصيل وعمل به فايمانه اكمل مما عرف ما
يجب عليه والتزمه واقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقر المقصر في العمل اذا اعترف بذنبه وكان خائفا
من عقوبة ربه على ترك العمل اكمل ايمانا ممن لم يعرف ولم يطلب معرفة ما امر به الرسول مع انه مقر بنبوته
باطنا وظاهرا فكل ما عمله القلب بما اخبر به الرسول فصدقه وما امر به فالتزمه كان ذلك زيادة
في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والتزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها
فامن بها كان ايمانه اكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل امن بها ايمانا مجملا وعرف بعضها وكلما ازداد
الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه اكمل الوجه الثالث ان العلم والتصديق
يكون بعضه اقوى من بعض واثبت وابعد عن الشك والريب وهذا امر يشهده كل احد من نفسه
كما ان العلم الظاهر بالشيء مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم يكون رؤيته اتم

الواحد ص

الرسول ص

ولا عمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن
تفصيل ما جاء به
وصاحبه اكمل من الايمان المفصل ص

من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة من الطعام وذوق النوع الواحد من الطعام
فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل اعظم من ذلك من وجوه متعددة المعاني التي يؤمن بها
من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها اعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها
الرابع ان التصديق المستلزم لعمل القلب كله من التصديق الذي لا يستلزم عملا فالعلم الذي يعمل به
صاحبه كالعلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق
والنار حق وهذا اوجب له عمل محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والاخر
عمله لم يوجب له ذلك فعلم الاول اكمل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه
الامور عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم
يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاين
فان موسى عليه السلام لما اخبره ربه ان قومه عبدوا العجل لم يلق الالواح فلما رآهم عبدوه القاها
وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن المخبر اذا جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور المخبر به
في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور المخبر به وان كان مصدقا به و
معلوم ان عند المعاينة يحصل من تصور المخبر به ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق الكامل من ذلك التصديق
الخامس ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشيته له تعالى ورجاءه ونحو ذلك هي كلها من
الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلا ظاهرا
السادس ان الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي ايضا من الايمان والناس يتفاضلون فيها السابع
ان ذكر الانسان بقلبه ما امر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلا عنه اكمل مما صدق به وغفل عنه فان
الغفلة تنقصه وكمال العلم والتصديق والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين ولهذا قال
عمر بن حبيب رضي الله عنه اذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا
وضيعنا فتلك نقصانه الثامن قد يكون الانسان مكذبا او منكرا لامور لا يعلم ان الرسول
صلى الله عليه وسلم اخبر بها ولو علم ذلك لم يكن مكذبا بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يامر الا بحق
ثم يسمع الاية والحديث او يتبين له ذلك او يفسر له معناه او يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق
بما كان مكذبا به ويعرف ما كان منكرا له وهذا تصديق جديد وايمان جديد زاد به ايمانه
ولم يكن قبل ذلك كافرا بل جاهلا وهذا واشباهه المجمل والمفصل لكن صاحب المجمل قد يكون
قلبه سليما عن تكذيب وتصديق لشيء من التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه
التفصيل بعد الاجمال على قلب سليم فيقبله واما كثير من الناس بل من اهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم

من التفصيل

من التفصيل امور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا عرفوا
رجعوا واما كثير من الناس بل جماهير العلم وكل من ابتدع في الدين قولا اخطأ فيه او عملا اخطأ فيه
وهو مؤمن بالرسول او عرف ما قاله وآمن به لم يعد خارجا عنه وهو من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة
الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به الرسول وعمل به اكمل ممن اخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ
وعمل به فهو اكمل ممن لم يكن كذلك اذا علمت هذا فاعلم ان مذهب سلف الامة وجل الائمة ان الايمان قول
وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد اجمع اهل الفقه
والحديث على ان الايمان قول وعمل والاعمال الدينية قال ولم يزل الايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
والطاعات كلها عندهم ايمان الا ما ذكر عن ابي حنيفة واصحابه فانهم ذهبوا الى ان الطاعات لا تسمى
ايمانا قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى ان قال واما
سائر الفقهاء من اهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن انس والليث بن سعد
وسفيان الثوري والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابو عبيد القاسم بن سلام
وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول باللسان وهو الاقرار واعتقاد
بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة وقالوا كل ما اطاع الله به من فريضة ونافلة فهو
من الايمان قالوا والايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي قال واهل الذنوب عندهم مؤمنون غير
مستكملي الايمان من اجل ذنوبهم واغا صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر الا ترى الى قوله
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن الحديث يريد مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع
الايمان عنه فاعلم ذلك بدليل الاجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة
وانتحلوا دعوة المسلمين من قرابتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال ثم قال وعلى ان الايمان
يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة اهل الاثار وفقهاء اهل الفتيا في الامصار
وهذا مذهب الجماعة من اهل الحديث والحديث ثم رد على المرجئة وعلى الخوارج والمعتزلة بالموازنة
وبحديث عبادة ابن الصامت من اصاب شيئا من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وقال الايمان
مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الايمان كاملة قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الى قوله حقا اولئك هم المؤمنون حقا
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عدة احاديث اكمل المؤمنين ايمانا ومعلوم ان هذا لا يكون اكمل حتى
يكون غيره انقص وفعله او ثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقوله لا ايمان لمن لا امانة له يدل على ان
بعض الايمان اوثق واكمل من بعض وكذلك ذكر ابو عمر الطلمنكي اجماع اهل السنة على ان الايمان

قول وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي مناقب
الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كما تقول
الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن لقيه استشكل
الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان اعتقد في قلبه شبهة اهل البدع في الايمان من المعتزلة
والخوارج والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهو ان الشيء المركب اذا زال بعض اجزائه لزم زواله كله
لكن هؤلاء يذكرون الاظهر شبههم قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكروه سهل فانه يسلم ان الهيئة
الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت لكن لم يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كيد زيد الانسان
اذا ذهبت منه اصبع او يد او رجل او نحوه لم يخرج عما كونه انسانا بالاتفاق وانما يقال له انسان
ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال الايمان
ولهذا نفى الشارع الايمان عما هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم فكذلك المجموع الذي
هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما اصله واما اكثره واما غير ذلك
فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنزه لفظ النقص اعظم من نفورها
من لفظ الزيادة لانه اذا انتفى لزم ذهابه كله عندهم انه كان مستعدا متعددا عندهم يقول بذلك
وكهم لخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيتساوون واحد لا حقيقة
له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانيته صفاته عندهم اثبتها منهم قال شيخ الاسلام
روح الله روحه ومن العجب ان الاصل الذي اوقعهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض
الايمان وبعض الكفر او ما هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك
ابو الحسن الاشعري وغيره ولاجل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا فيما هو مخالف للاجماع الحقيقي
اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الائمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال بقولهم في
الايمان ولهذا تظاهرت متعددة بقول الانسان قولا مخالفا للاجماع القديم حقيقة ومعتقدا يكون ناصبا
انه متمسك بالنص والاجماع وهذا ان كان مبلغ علمه واجتهاده فالله يتيب على ما اطاع الله فيه من اجتهاده
ويغفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن قال شيخ الاسلام وقد قال لي بعضهم مرة الايمان
من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من حيث كذا وكذا من حيث هو انسان ومن
حيث هو حيوان ومن حيث هو موجود فنفت بهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود
والصفات وهذا لا حقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدر في الاذهان

لا في

لا في الاعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عما كل قيد بل ما ثم ايمان في الخارج الا
المؤمنين كما ما ثم انسانية في الخارج الا ما اتصف به الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل
مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي هي والاشتراك انما هو في امر كلي
مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو
فايمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ومن نفى التفاضل انما يتصور
في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا ووجودا مطلقا عن جميع الصفات المعينة له
ثم يظن ان هذا الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد
اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء
واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علمائهم علما وعبادة الى ان الوجود
كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في انفسهم فظنوه في الخارج
كما هو في انفسهم ثم ظنوا ان الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا جعل واجب العالمين هو هذا الوجود
الذي لا يوجد قط الا في نفس متصورة لا يكون في الخارج ابدا وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا
اعدادا مجردة وحقايق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية وزعانا تجرد اعما الحركة والمتحرك وبعدا
مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهؤلاء كلهم اشتبه عليهم ما في الاذهان
بما في الاعيان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري
ذهب السلف الى ان الايمان يزيد وينقص وانكر ذلك اكثر المتكلمين قال الامام النووي والاظهر المختار
ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولهذا كان ايمان الصديق اقوى من ايمان غيره
بحيث لا تعتريه الشبهة وقال ويزيده ان كل واحد يعلم انه ما في قلبه تفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان
اعظم يقينا واخلاصا وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها
وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك
ابن انس والاوزاعي وابن جريج ومعمر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الامصار في عصرهم وكذا نقله ابو القاسم
اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابي عبيد وغيرهم من الائمة
ويروى بسند صحيح عن البخاري قال لقيت اكثر من الف رجل من العلماء بالامصار فما رايت ان احدا منهم
يختلف ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص واطنب ابن ابي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد
عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الائمة وحكاه فضيل ابن عياض
ووكيع عن اهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي حدثنا ابو العباس الاصم انا الربيع

هو صح

جعلوا صح

قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص واخرجه ابو نعيم في ترجمة الشافعي
من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلى ويزداد الذين امنوا
ايمانا الآية انتهى وقد روى الامام احمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا
الايمان يزيد وينقص واخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي هريرة مرفوعا ايضا
والاثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة الدين من اهل السنة والجماعة المعتبرين وائمة
اهل الحديث واعلام علماء الصوفية اكثر من ان تذكر وهو ان الايمان قول باللسان وعقد بالجنان
وعمل بالاركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان وقد ذكرنا من ذكر العلة بحصل به المقصود

تنبيهات الاول قال جمهور الاشاعرة والماتريدية الايمان هو التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم
وبكل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة اي الاذعان والقبول مع الرضا والتسليم وطمانينة النفس
لذلك تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا قالوا ولا يخط الايمان الاجمالي عن الايمان
التفصيلي من حيث الخروج عن عهدة التكليف به وان كان التفصيلي اكمل من الاجمالي وهذا
قاله بعض متاخري الاشاعرة والا فقد قال القاضي ابو بكر الباقلاني في كتاب التمهيد الايمان هو التصديق
بالله وهو العلم والتصديق بوجد بالقلب قال فان قيل فما الدليل على ما قلتم قلنا اجماع
اهل اللغة قاطبة على ان الايمان قبل نزول القرآن وبعث النبي صلى الله عليه وسلم هو التصديق لا يعرفون
في اللغة ايمانا غير ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا فوجب ان الايمان
في الشريعة هو الايمان في اللغة لان الله انما خاطبنا باللسان ولا قلب له وتقدم انه نوقش فيما قاله قال
شيخ الاسلام ابن تيمية وهذا حقيقة قول جهم في مسمى الايمان وقد نصر ابو الحسن الاشعري هذا
القول مع انه نص المشهور عن السلف انه يستثنى في الايمان وكذلك مشى على هذا اكثر اصحابه
واما ابو العباس القلانسي وابو علي الثقفي وابو عبد الله بن مجاهد شيخ القاضي ابي بكر الباقلاني
صاحب ابي الحسن فانهم نصروا مذهب السلف وقال عبد الله بن سعيد بن كلاب نفسه وهو متاخر في
زمن محنة الامام احمد رضي الله عنه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون هو التصديق
والقول جميعا موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد بن ابي سليمان ومن اتبعه وقد انكر على
ابن كلاب من وافقه على السنة وعلى البدعة جميعا وبدعوه فكيف بمن قال بالتصديق بقلبه
ولم يتكلم بلسانه فانه لا يعلق به شيء من احكام الايمان لا في الدنيا ولا في الاخرة ولا يدخل في
خطاب الله لعباده بقوله يا ايها الذين امنوا والحاصل ان الايمان عند المرجئة التصديق و
القول وعند الجهمية مجرد التصديق وعند الكرامية انه مجرد قول اللسان فقط وهم يقولون

المنافق

المنافق مؤمن وهو مخلد في النار لانه آمن ظاهرا لا باطنا وانما يدخل الجنة من آمن ظاهرا وباطنا
قالوا والدليل على شمول الايمان له انه يدخل في الاحكام الدنيوية المعلقة باسم الايمان وهذا القول
وان كان من اقبح البدع واوضعها ولم يسبقهم اليه احد فقول الجهمية ابطل منه وابعد من الاستدلال
باللغة والقرآن والعقل والكرامية توافق المرجئة والجهمية في ايمان الناس كلهم ولا يستثنون في الايمان سواء ص
بل يقولون هو مؤمن حقا اذا اظهر الايمان واذا كان منافقا فهو مخلد في النار عندهم فانه لا يدخل
الجنة الا من آمن باطنا وظاهرا ومن حكى عنهم انهم يقولون المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم
بل يقولون المنافق مؤمن لان الايمان هو القول الظاهر عندهم كما سيمر عنهم مسلما اذ الاسلام ثم قال ص
هو الاستسلام الظاهر كما حكاه شيخ الاسلام ولا ريب ان قول الجهمية افسد من قولهم من وجوه
متعددة شرعا ولغة وعقلا واذا قيل قول الكرامية قول خارج عن اجماع المسلمين قيل له بل السلف
كفروا من يقول بقولهم في الايمان وقد احتج الناس على فساد قول الكرامية بحجج صحيحة وبحجج
حسنة على فساد قول الجهمية اكثر في القرآن والسنة من نفي الايمان عمن لم يات بالعمل مواضع كثيرة
كما مضى فيها من نفي الايمان عن المنافقين واما الايمان بقلبه مع المعاداة والمخالفة الظاهرة
فهذا لم يسم قط مؤمنا وعند الجهمية اذا كان العلم في قلبه فهو مؤمن كامل الايمان ايمانه كايمان الصديقين
ولا تصور عندهم ان ينتفي عنه الايمان الا اذا زال ذلك العلم من قلبه واما المرجئة المتكلمون منهم لانهاص
والفقهاء يقولون ان الاعمال قد تسمى ايمانا مجازا لان العمل ثمرة الايمان ومقتضاه ودليل عليه ويقولون
قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وستون او بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق مجاز قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الايمان والاسلام المرجئة
ثلاثة اصناف الذين يقولون الايمان مجرد ما في القلب ثم منهم من يدخل فيه اعمال القلوب وهم
اكثر فرق المرجئة كما ذكر ابو الحسن الاشعري اقوالهم في كتابه وذكر فرقا كثيرة طويل ذكرهم لكن ذكر ثم جمل
اقوالهم ومنهم من لا يدخلها كالجهم بن صفوان ومن اتبعه كالصالحي وهذا الذي نصره هو واكثر
اصحابه الثاني من يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لاحد قبل الكرامية الثالث تصديق القلب
وقول اللسان وهذا هو المشهور عن اهل الفقه والعبادة منهم قال شيخ الاسلام وهؤلاء غلطوا
من وجوه احدها ظنهم ان الايمان الذي فرضه الله على العباد مماثل في حق العباد وان عما وجب
على شخص يجب مثله على كل شخص وليس الامر كذلك بل ذلك يتفاوت ويتفاضل اشد تفاوت وتفاضل
كما نبهنا على ذلك فيما مر قال الايمان الواجب متنوع ليس شيئا واحدا في حق جميع الناس الثاني من غلط المرجئة
ظنهم ان ما في القلب من الايمان ليس الا التصديق فقط دون اعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة

الثالث ظنهم ان الايمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الاعمال ولهذا يجعلون الاعمال ثمرة الايمان
ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة لها والتحقيق ان القلب التام الايمان
يستلزم العمل الظاهر بحسبه لامحالة وتمتنع ان يقوم بالقلب ايمان تام بدون عمل ظاهر قال شيخ الاسلام
ابن تيمية ولهذا صار وا يقدرون اشياء يمتنع وقوعها لعدم تحقق الارتباط الذي بين البدن
والقلب مثل قولهم رجل في قلبه من الايمان مثل ما في قلب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وهو لا يسجد لله سجدة
ولا يصوم رمضان ويزني بامه واخته ويشرب الخمر نهار رمضان يقولون هذا مؤمن تام الايمان
فيبقى سائر المؤمنين ينكرون ذلك غاية الانكار قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه حدثنا خلف
ابن حيان حدثنا معقل بن عبيد الله العبسي قال قدم سالم الافطس بالارجاء فقرنه اصحابنا نفورا
شديدا منهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك فانه عاهد الله ان لا يؤويه واياه سقف بيت
الا المسجد قال معقل فجئت فدخلت على عطاء ابن ابي رباح في نفر من اصحابي وهو يقرأ حتى اذا استيأس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قلت ان لنا حاجة فاخل لنا فقعد فاخبره بالارجاء وان الناس اتوا به
وان الصلاة والزكاة ليستا من الدين فقال اوليس الله تعالى يقول وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فالصلاة والزكاة من الدين
وذكر من اقوالهم وزعموا انهم نخلوك فتبرأ منهم وكذلك نافع تبرأ منهم وكذلك الزهري فقال
سبحان الله قد اخذ الناس في هذه الخصومات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو
مؤمن والجميع تبرؤا منهم وقالوا ليس اسم الايمان لمن اطاع الله كايمان معصاة قال شيخ الاسلام و
المرجئة كلهم يقولون الصلاة والزكاة ليستا من الايمان واما من الدين فحكى عن بعضهم انه يقول
ليستا من الدين ولا نفرق بين الايمان والدين قال شيخ الاسلام هذا المعروف من اقوالهم ولم ار في كتاب
احد منهم انه قال الاعمال ليست من الدين بل يقولون ليست من الايمان وكذلك حكى ابو عبيد عن ناظرة
منهم فانه اباعبيد وغيره يحتجون بان الاعمال من الدين فذكر قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم انما نزلت
في حجة الوداع قال ابو عبيد فاخبر تعالى انه اكمل الدين في اخر الاسلام في حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال
وزعم هؤلاء انه كان كاملا قبل ذلك بعشرين سنة من اول ما نزل عليه الوحي بمكة حين دعى الناس الى
الاقرار قال حتى لقد اضطر بعضهم حين ادخلت عليه الحجة الى ان قال ان الايمان ليس بجميع الدين ولكن
الدين ثلاثة اجزاء الايمان جزء والفرائض جزء والنوافل جزء وقال شيخ الاسلام قدس الله روحه
هذا الذي قاله هو مذهب القوم قال ابو عبيد وهذا غير ناظر به الكتاب الا تسمع الى قوله تعالى
ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه رضيت لكم الاسلام دينا

فاخبر

فاخبر ان الاسلام هو الدين برمته وهؤلاء يزعمون ان ثلث الدين وسيأتي تحرير ذلك ان شاء الله تعالى ولما
كان الامام احمد وكذا ابو ثور وغيرهما من الائمة قد عرفوا قول المرجئة وهو ان الايمان لا يتبعض
ويبقى بعضه فلا يكون ذا عدد اثنين او ثلاثة فانه اذا كان له عدد امكن ذهاب بعضه وبقاء
بعضه بل لا يكون الا شيأ واحدا قال طهمان الامام احمد من زعم ان الايمان الاقرار فما يقول في المعرفة
هل يحتاج الى المعرفة مع الاقرار وهل يحتاج ان يكون مصدقا بما عرف فان زعم انه يحتاج الى
المعرفة مع الاقرار فقد زعم انه في شيئين وان زعم انه يحتاج ان يكون مقرا ومصدقا بما عرف
فهو من ثلاثة اشياء وان جحد وقال لا يحتاج الى المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما قال ولا
احسب احدا يدفع المعرفة والتصديق وكذلك العمل مع هذه الاشياء انتهى قال شيخ الاسلام
قالت الجهمية الايمان شيء واحد في القلب وقالت الكرامية هو شيء واحد على اللسان كذلك
فرارا مما تبعض الايمان وتعدده فاجمع ابو ثور عليهم بما اجمع عليه فقهاء المرجئة من ان
تصديق وعمل ولم يكن بلغه قول متكلميهم وجهميهم اولم يعد خلافهم خلافا ولهذا دخل
في ارجاء الفقهاء جماعة هم عند الائمة اهل علم ودين ولم يكفر احد في السلف احدا من مرجئة
الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الاقوال والافعال لا من بدع العقائد فان كثيرا في النزاع فيها
لفظي نعم اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لاحد ان يقول بخلافه ولا سيما
وقد صار ذلك ذريعة الى بدع المتكلمين اهل الكلام من اهل الارجاء وغيرهم الى ظهور الفسوق
فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببا لخطأ عظيم في العقائد والاعمال فلهذا عظم القول
في ذم الارجاء حتى قال ابراهيم النخعي لفتنتهم يعني المرجئة اخوف على هذه الامة من فتنة
الازارقة يعني الخوارج وقال الزهري ما ابتدع في الاسلام بدعة اضر على اهله من الارجاء وقال
الاوزاعي كان يحيى ابن ابي كثير وقتادة يقولان ليس شيء من الاهواء اخوف عندهم على الامة من الارجاء
وقال شريك القاضي المرجئة اخبث قوم حسبك بالرافضة خبثا ولكن المرجئة يكذبون على الله
وقال سفيان الثوري تركت المرجئة الاسلام اروع من ثوب سابوري وقال وكيع المرجئة الذين
يقولون الاقرار يجزيء عن العمل ومن قال هذا فقد هلك ومن قال النية تجزيء عن العمل فهو كافر وهو
قول جهم وكذا قال الامام احمد رضي الله عنه انه كفر وقال قتادة ما احدث الارجاء بعد فرقة ابن الاشعث
وقال ابو ايوب السختياني اول من تكلم في الارجاء رجل من اهل المدينة من بني هاشم يقال له الحسن
وقال ازاذان مر بنا الحسن بن محمد فقلنا ما هذا الكتاب الذي وضعت وكانه هو الذي اخرج كتاب المرجئة
فقال لي يا ابا عمرو لو وددت اني حبست قبل ان اخرج هذا الكتاب او اضع هذا الكتاب فالخطا

في الدرك الاسفل من النار وهو في الباطن ينفي عنه الاسلام والايمان وفي الظاهر يثبتان له ظاهرا ويدخل
فيه الذين اسلموا ولم تدخل حقيقة الايمان في قلوبهم لكن معهم جزء من اسلام ثم يتابون عليه
ثم قد يكونون مفرطين فيما فوض عليهم وليس معهم من الكبائر ما يعاقبون على ترك الفروضات و
هؤلاء كالاعراب المذكورين في الآية وغيرهم فانهم قالوا آمنا من غير قيام منهم بما امروا به باطنا
وظاهرا فلم تدخل حقيقة الايمان الى قلوبهم ولا جاهدوا وقد كانت دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم
الى الجهاد وقد يكونون من اهل الكبائر وهؤلاء لا يخرجون من الاسلام بل هم مسلمون ولكن بين
السلف فيهم نزاع لفظي هل يقال انهم مؤمنون قال الشافعي سألت الامام احمد عن الايمان والاسلام
فقال الايمان قول وعمل والاسلام اقرار وبه قال ابو خيثمة وقال ابن ابي شيبة لا يكون اسلام الا
بايمان ولا ايمان الا باسلام قال شيخ الاسلام قدس الله روحه الامام احمد رضي الله عنه لم يرد عنه
قط انه سلب اسما يقال انه مسلم يعني من زنا وسرق وشرب الخمر ونحوهم جميع الايمان فلم يبق معه شيء
كما تقوله الخوارج والمعتزلة فان الامام احمد قد صرح في غير موضع بان اهل الكبائر معهم ايمان
يخرجون به من النار واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان
وليس هذا يعني سلبهم اسم الايمان جميعه قوله والاقول احد من ائمة السنة بل كلهم متفقون على
ان الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الايمان يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين
الكفار المنافقين لكن اذا كان معه بعض الايمان لم يلزم انه يدخل في الاسلام المطلق الممدوح
وصاحب الشرع قد نفى الاسم عن هؤلاء فقال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والمعتزلة ينفون
عنه اسم الايمان والاسلام بالكلية ويقولون يخلد في النار لا يخرج منها الاستفاعة ولا غيرها وهذا
هو الذي انكر عليهم وكل اهل السنة متفقة انه قد سلب كمال الايمان الواجب قال بعض ايمانه الواجب
وانما نازع في ذلك من يقول ان الايمان لا يتبعض كالجهمية والمرجئة فيقولون عن مثل هذا
انه كامل الايمان لكنه من اهل الوعيد قال شيخ الاسلام وحقيقة الفرق بين الاسلام والايمان
والدين ان الاسلام دين والدين مصدر دان يدين دينا اذا خضع وذل ودين الاسلام الذي
ارتضاه وبعث به رسوله هو الاستسلام لله وحده فاصله في القلب وهو الخضوع لله وحده
بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه الها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبده بل استكبر
عن عبادته لم يكن مسلما والاسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال
رحمه الله وعزاه لاهل اللغة فالاسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح واما الايمان فاصله
تصديق واقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والاصل في التصديق والعمل تابع له

في الدرك

في اسم الايمان ليس كالخطاء اسم محدث ولا الخطاء في غيره من الاسماء اذ كانت احكام الدنيا والاخرة
متعلقة باسم الايمان والاسلام والكفر والنفاق وحاصل قول غلاة المرجئة انه كما لا
ينفع مع الكفر طاعة لا يضر مع الايمان معصية وهذا شر قول قيل في الاسلام والله تعالى الموفق
وحاصل ذكر قوله الناس في الايمان اقوال خمسة منها ثلاثة بسيطة واثنان مركبان
فاما البسيطي فالتصديق وحده او القول وحده او العمل وحده الاول مذهب جهم ومن وافقه
من الاشاعرة وغيرهم والثاني قول الكرامية والثالث عزاه الكرماني في شرح البخاري للمعتزلة
ولعله لبعضهم واما المركب فقسمان ثنائي وهو قول الحنفية ومن وافقهم فانهم قالوا انه
مركب من التصديق والقول وثلاثي التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان
وهذا مذهب سلف الامة **فصل** في الكلام على الايمان والاسلام هل هما شيء واحد
او شيئان قد ثبت في القرآن اسلام بلا ايمان في قولهم تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وثبت في الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص
رضي الله عنه قال اعطى النبي صلى الله عليه وسلم رهطا وفي رواية قسم قسما وترك فيهم فلم يعطه
وهو اعجبهم اليه فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله اني لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
او مسلما فقولها ثلاثا فيردها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثم قال اني لاعطي الرجل
وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار فهذا الاسلام الذي نفى الله عن اهله دخول الايمان
في قلوبهم هو اسلام يتابون عليه ام من جنس اسلام المنافقين فيه قولان مشهوران للسلف
والخلف احدهما ان اسلام يتابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا يروى عن الحسن
البصري وابن سيرين وابراهيم النخعي وابي جعفر الباقر وهو قول حماد بن زيد والامام احمد ابن حنبل
وسهل بن عبد الله التستري وابي طالب المكي وكثير من اهل الحديث والسنن والحقائق الثاني
ان هذا الاسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل اسلام المنافقين قالوا وهؤلاء
كفار فان الايمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الايمان في قلبه فهو كافر وحقيقة الامر انه من لم يكن
من المؤمنين يقال فيه انه مسلم ومعه ايمان يمنعه من الخلود في النار وهذا متفق عليه بين اهل
السنة لكن يطلق عليه اسم الايمان وهذا هو الذي تنازعوا فيه فقيل يقال انه مسلم ولا يقال
مؤمن وقيل بل يقال مؤمن قال والتحقيق ان يقال مؤمن ناقص الايمان مؤمن بايمانه فاسق
بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم قال وعلى هذا فالخطاب بالايمان
يدخل فيه ثلاث طوائف المؤمن حقا والمنافق في احكامه الظاهرة وان كان المنافق في الاخرة

بلغ

هل صح

ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بايمان مخصوص وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
وفسر الاسلام باسلام مخصوص وهو المباني الخمس وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم قال
شيخ الاسلام قدس الله روحه ومما يسأل عنه انه اذا كان مما اوجبه الله من الاعمال الظاهرة
اكثر من هذه الخمس فلم قال الاسلام هذه الخمس وقد اجاب بعض الناس بان هذه اظهر المباني
الاسلام واعظمها وبقيامه بها يتم استسلام العبد لربه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده قال والتحقيق
ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقا الذي يجب به عبادة محضة
على الاعيان فيجب على كل من كان قادرا عليها ليعبد الله بها مخلصا له الدين وهذه هي الخمس وما سوى ذلك
فانما يجب باسباب المصالح قد يعم وجوبها جميع الناس بل اما ان تكون فرضا على الكفاية كالجهاد
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتبع ذلك من امارة وحكم وفتيا واقراء وتحديث وغير ذلك واما
ان يجب بسبب حق للآدميين يختص به من وجب له وعليه وقد يسقط باسقاطه وكذلك ما يجب من صلة
الارحام وحقوق الزوجة والاولاد والجيران والشركاء والفقراء وكذا قضاء الديون ورد الغصوب و
العواري والودائع والانصاف من المظالم من الدماء والاموال والاعراض فانها حقوق الآدميين واذا
ابرؤا منها سقطت ويجب على كل شخص في حال دون حال لم يجب عبادة لله تعالى محضة على
كل عبد قادر ولهذا يشترك في اكثرها المسلمون واليهود والنصارى بخلاف الخمسة والزكاة و
ان كانا حقا ماليا فهي واجبة لله والاصناف الثمانية مصارفها ولهذا وجب فيها النية ولم تطلب
من الكفار ولم يجز ان يفعلها الغير عنه بلا اذنه وحقوق العباد لا يشترط لها نية ولو اداها عنه غيره ولو
بغير اذنه برئت ذمته ويطلب بها الكفار وفي كتاب الايمان والاسلام للامام شيخ الاسلام ابن تيمية
قال ابو طالب المكي مثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احداهما من الاخرى في المعنى والحكم
فشهادة الرسول غير شهادة الوحدانية فهما شيئان في الاعيان واحداهما مرتبطة في المعنى والحكم
كشيء واحد كذلك الايمان والاسلام احدهما مرتبط بالاخر فهما كشيء واحد فلا ايمان لمن لا اسلام له
ولا اسلام لمن لا ايمان له اذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ولا يخلو المؤمن من اسلام به
يحقق ايمانه ثم قال وقد اجمع اهل القبلة على ان كل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن بالله وكتبه
وقال الحافظ بن رجب اذا افرد كل من الاسلام والايمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ وان قرن بين
الاسمين كان بينهما فرق والتحقيق في الفرق بينهما ان الايمان هو تصديق القلب واقراره ومعرفته
والاسلام هو الاستسلام لله والخضوع والانقياد له وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمى الله تعالى

في كتابه

في كتابه الاسلام دينا وفي حديث جبريل سمى النبي صلى الله عليه وسلم الايمان والاسلام والاحسان دينا فالايمان
والاسلام كاسم الفقير والمسكين اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا فاذا افرد احدهما دخل
فيه الاخر واذا قرن بينهما احتاج كل واحد منهما الى تعريف يخصه فاذا قرن بين الايمان والاسلام
فالمراد بالايمان جنس تصديق القلب وبالاسلام جنس العمل واعلم ان مسائل الاسلام والايمان
والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدا فان الله تعالى علق لهذه الاسماء السعادة والشقاوة و
استحقاق الجنة والنار والاختلاف في مسمياتها اول اختلاف وقع في هذه الامة وهو خلاف الخوارج
للصحابة حيث اخرجوا عصاة الموحدين من الاسلام بالكلية وادخلوهم في دائرة الكفر وعاملوهم
معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين واموالهم ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة و
قولهم بالمنزلة بين المنزلتين ثم حدث خلاف المرجئة وهو قولهم ان الفاسق مؤمن كامل الايمان
وقد اكثر الائمة من التصنيف في هذا الباب وحاصل ذلك ان الدين واهله كما اخبر خاتم النبيين
وامام المرسلين ثلاث طبقات اولها الاسلام واوسطها الايمان واعلاها الاحسان فمن
وصل الى العليا فقد وصل الى التي تليها فالمحسن مؤمن والمؤمن مسلم والمسلم فلا يجب ان يكون مسلما
وهكذا جاء في القرآن فجعل الامة على هذه الاصناف الثلاثة قال الله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك
هو الفضل الكبير فالمسلم الذي لم يقم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه والمقتصد الذي ادى
الواجب وترك المحرم هو المؤمن المطلق والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كانه يراه وقد
ذكر الله تقسيم الناس في المعاد الى هذه الثلاثة في سورة الواقعة والمطففين وبالله التوفيق

الثالث هل قول الايمان للزيادة والنقص مختص بقول السلف ومن تبعهم من ان الاعمال الايمان تدخل فيه الاعمال وذهب اليه جماعة من محققي الاشاعرة كالقلانسي وغيره وهو مذهب الفقهاء والمحدثين
ونقل الشافعي على ذلك الاجماع وقال البخاري لقيت اكثر من الف رجل من العلماء بالامصار فما
رايت احدا منهم يختلف في ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص كما تقدم وقد قام الاحتجاج
لذلك من العقل والنقل بما لعله يشفي ويكفي لمن لم تتحكم به علة التقليد ونزع من عنقه ربقة التقليد
اذ لو لم تتفاوت حقيقة الايمان وتتفاضل لكان احاد الامة المنهمكين في الفسق والمعاصي
مساويا لايمان الانبياء والصديقين والملائكة المقربين وتصور هذا المذهب ولوازمه يغني
عن اقامة البرهان على رده مع ما في الايات الصريحة والاحاديث الصحيحة من التناقض والتفاوت
فدع عنك هذا التمادي والتهافت او نعم القول بان الايمان التصديق ايضا الحق كما قاله

امامه

ايمان صح

الامام النووي وجماعة محققون من علماء الكلام ان الزيادة والنقصان تدخل الايمان ولو قلنا
انه التصديق والاذعان لان التصديق القلبي يزيد وينقص ايضا بكثرة النظر ووضوح الادلة
وعدم ذلك كما تقدم في كلام شيخ الاسلام وما اعترض عليه به من انه متى قبل ذلك كان شاكا
فمدفوع بان مراتب اليقين متفاوتة الى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين مع انها لا تشكك معها
وفي القرآن العظيم ما حكى عن ابراهيم الخليل عليه السلام بقوله ولكن ليطمئن قلبي وتقدمت قصة
موسى لما رأى قومه عاكفين على عبادة العجل مع ما كان اخبر الله تعالى بذلك اولا وقال الامام
ابو حنيفة واصحابه ومن تبعهم من المتكلمين الايمان لا يزيد ولا ينقص محتجين بانه اسم للتصديق
البالغ حد الجزم والاذعان والمعلوم من النقل والعقل خلافه وبالله التوفيق ونحن معشر الاثرية
ومن وافقنا من الاشعرية وغيرهم في ايماننا الذي تقدم تعريفه نستثني فنقول احدنا انا مؤمن
ان شاء الله من غير شك منا في ذلك والشك التردد بين طرفين لامزية لاحدهما على الآخر والمراد هنا
ما يعم الظن وكل ما ليس بجزم موافقة للسلف الصالح في ذلك فاستمع اي اطلب سماع ذلك مني واستقباله
واستبن اي اطلب بيانه واظهاره بادلته النقلية والعقلية تظهر لك الحقيقة واعلم ان الناس
في ذلك على ثلاثة اقوال منهم من يوجبه ومنهم من يحرمه ومنهم من يجوز الامرين باعتبارين وهذا الاخير
اصح الاقوال فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ومن وافقهم ممن يجعل الايمان شيئا واحدا يعلمه
الانسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه فيقول احدهم انا اعلم اني مؤمن كما اعلم اني
تكلمت بالشهادتين وكما اعلم اني قرأت الفاتحة وكما اعلم اني احب رسول الله صلى الله عليه وسلم واني ابغض
اليهود والنصارى فقولي انا مؤمن كقولي انا مسلم ونحو ذلك من الامور الحاضرة التي انا اعلمها او اقطع
بها وكما انه لا يجوز ان اقول قرأت الفاتحة ان شاء الله كذلك لا يقول انا مؤمن ان شاء الله لكن اذا كان
لا شك في ذلك فيقول فعلته ان شاء الله قالوا فمن استثنى في ايمانه فهو شاك فيه وسموه الشاكة
والذين اوجبوا الاستثناء لهم ماخذان احدهما ان الايمان كما مات عليه الانسان والانسان انما يكون
عند الله مؤمنا وكافرا باعتبار الوفاة وما سبق في علم الله انه يكون عليه وما قبل ذلك لا عبرة به
قالوا والايمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرا ليس بايمان كالصلاة التي يفسدها
صاحبها قبل الكمال والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب فصاحبه هذا هو عند الله الكافر
بعلمه بما يموت عليه وكذلك قالوا في الكفر وهذا الماخذ لكثير من المتاخرين من الكلابية وغيرهم
ممن يريد ان ينصر اهل الحديث في قولهم انا مؤمن ان شاء الله ويريد مع ذلك ان يجعل الايمان لا
يتفاضل والانسان لا يشك في الموجود منه وانما يشك في المستقبل ولهذا قال كثير من المتكلمين

ومن اتباع

ان يقال في ايماننا نستثني من غير شك فاستمع واستبن

ومن اتباع المذاهب من الحنابلة والشافعية والمالكية وغيرهم قالوا يجب ان ازله ما كان كافرا اذا علم انه
يموت مؤمنا ما زالوا محجوبين لله وان كانوا قد عبدوا الاصنام مدة من الدهر وابليس ما زال يبغضه
وان كان لم يكفر بعد يعني ما زال الله يريد ان يثيبه هؤلاء بعد ايمانهم ويعاقب ابليس بعد كفره
وهذا معنى صحيح فان الله يريد ان يخلق كل ما علم انه سيخلقه وعند هؤلاء لا يرضى عن احد بعد
ان كان ساخطا عليه فمن علم انه يموت كافرا لم يزل مريدا لعقوبته والايمان الذي كان معه باطل
لا فائدة فيه بل وجوده كعدمه واذا علم انه يموت مؤمنا مسلما لم يزل مريدا لاثابته والكفر الذي
فعله وجوده كعدمه فلم يكن هذا كافرا عندهم اصلا فهؤلاء يستثنون في الايمان بناء على الماخذ
وكذلك بعض محققيهم يستثنون في الكفر مثل ابي منصور الماتريدي كما نقله عنه شيخ الاسلام نعم
جماهير الائمة لا يستثنى في الكفر والاستثناء فيه لم يعرف عن احد من السلف ولكن هؤلاء لازم
لهم والذين فرقوا من هؤلاء قالوا يستثنى في الايمان رغبة الى الله في ان يثبتنا عليه الى الموت والكفر لا
يرغب فيه احد قال شيخ الاسلام وعند هؤلاء لا يعلم احد احدا مؤمنا الا اذا علم انه يموت عليه
وهذا القول قاله كثير من اهل الكلام ووافقهم على ذلك كثير من اتباع الائمة قال لكن ليس هذا
قول احد من السلف لا الائمة الاربعة ولا غيرهم ولا كان احد من السلف الذين يستثنون في الايمان
يعللون بهذا لا الامام احمد ولا غيره كما قبله قال وماخذ هذا القول طريقة مما كانوا في
الاصل يستثنون في الايمان اتباعا للسلف وكانوا قد اخذوا الاستثناء عن السلف وكان
اهل الشام شديدين على المرجئة وكان محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري مرابطا
بعسقلان لما كانت عامرة وكانت من خيار ثغور المسلمين وكانوا يستثنون اتباعا للسلف
واستثنوا ايضا في الاعمال الصالحة كقول الرجل صليت ان شاء الله ونحو ذلك يعني القبول
لما في ذلك من الاثار عن السلف ثم صار كثير مما هؤلاء يستثنون في كل شيء فيقول هذا
ثوبي ان شاء الله وهذا جبل ان شاء الله فاذا قيل لاحدهم هذا لا شك فيه قال نعم لا شك فيه لكن اذا
شاء الله يغيره غيره فيريد بقوله ان شاء الله جواز تغيره في المستقبل وان كان في
الحال لا شك فيه كان الحقيقة عندهم التي لا يستثنى فيها ما لم تتبدل كما يقوله اولئك في الايمان
ان الايمان ما علم الله انه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه قال وهذا القول قاله قوم من
اهل العلم والدين باجتهاد ونظر وهؤلاء الذين يستثنون في كل شيء تلقوا ذلك عن بعض
اتباع شيخهم وشيخهم الذي ينسبون اليه يقال له ابو عمرو بن حماد بن مرزوق لم اكن ممن يرى
هذا الاستثناء بل كان في الاستثناء على طريقة من قبله ولكن اخذت ذلك عن بعض اصحابه وكان

وكان شيخهم منتسبا الى الامام احمد رضي الله عنه وهو من اتباع عبد الوهاب ابن الشيخ ابي الفرج
المقدسي وابو الفرج من اتباع القاضي ابي يعلى قلت وهو الذي نشر مذهب احمد في نواحي نابلس
وهو الامام ابو الفرج الشيرازي قدس الله سره اسمه عبد الوهاب الفقيه الزاهد الانصاري السعدي
العبادي الخزرجي شيخ الاسلام في وقته وهذا البيت يعرف ببيت الحنبلي وكان ابو الفرج اماما
عالما بالفقه والاصول شديدا في السنة عارفا بالزهد متاله اذا اصول وكرامات
ظاهرة وكان قد صحب القاضي ابا يعلى من سنة ثنتين واربعين واربعمائة وتردد الى مجلسه
سنين عديدة وعلق عنه اشياء في الاصول والفروع ثم قدم الشام وحصل له الاتباع و
التلاميذ والعلماء وكان ناصر المذهب بمجرد النصرة وله تصانيف في الفقه والوعظ و
الاصول توفي يوم الاحد ثامن عشري ذي الحجة سنة ثمان وثمانين واربعمائة بدمشق
ودفن بمقبرة باب الصغير والى جنبه الحافظ ابن رجب وقد زرتهما كثيرا رحمه الله ورضي عنه
وهؤلاء الذين يستثنون في كل شيء كلهم وان كانوا منتسبين الى الامام احمد رضي الله عنه فهم يوافقون
ابن كلاب على اصله الذي كان الامام احمد ينكره عليه وعلى سائر اتباعه الكلابية وامر نهج الامام الحارث
المحاسبي صاحب الرعاية من اجله كما يوافقه على اصله طائفة من اصحاب الامامين مالك والشافعي
رضي الله عنهما بل واصحاب الامام ابي حنيفة كابي المعالي الجويني الشافعي وابي الوليد الباجي المالكي
وابي منصور الماتريدي الحنفي وغيرهم وهذه الطائفة المتأخرة تنكر ان يقال قطعا في شيء من
الاشياء مع غلوهم في الاستثناء حتى صار هذا اللفظ يعني قطعا منكرا عندهم وان جرموا بالمعنى
فيجرمون بان محمدا رسول الله نبيهم وان الله ربهم ولا يقولون قطعا قال شيخ الاسلام ابن تيمية
قدس الله روحه في كتابه الايمان وهي للاسلام وقد اجتمع في طائفة منهم فانكرت عليهم ذلك وامتنعت
من فعل مطلوبهم حتى يقولوا قطعا واحضروا لي كتابا فيه احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى
ان يقول الرجل قطعا وهي احاديث موضوعة مختلقة قد افتراها بعض المتأخرين وهؤلاء
واتباعهم ظنوا ان معناها هو قول السلف وليس كذلك مع ان هذا لم يقله احد من السلف وانما
حكاه هؤلاء عنهم بحسب ظنهم والذين قالوا بالموافاة بعد الثبات على الايمان الى العاقبة
والموافاة في المآل شرط في الايمان شرعا لغة وعقلا حتى ان الامام محمد بن اسحق بن خزيمة كان
يغلو في هذا ويقول من قال انا مؤمن حقا فهو مبتدع قال شيخ الاسلام ومذهب اصحاب الحديث
كابن مسعود واصحابه والثوري وابن عيينة واكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما
يرويه عن علماء البصرة والامام احمد بن حنبل وغيره من ائمة السنة كانوا يستثنون في الايمان وهذا

متواتر

ح
تلامذة
الشام ح

متواتر عنهم لكن ليس في هؤلاء من قال انما استثنى لاجل الموافاة وان الايمان انما هو اسم لما يوافى به
بل صرح ائمة هؤلاء بان الاستثناء انما هو لان الايمان يتضمن فعل جميع الواجبات فلا يشهد لاحد
لانفسهم بذلك كما لا يشهد لها بالبر والتقوى فانه ذكر مما لا يعلمونه وهو تزكية لانفسهم
بلا علم قال شيخ الاسلام واما الموافاة فلا علمت احدا من السلف علل بها الاستثناء نعم
كثير من المتأخرين يعللونها فمن اصحاب الحديث من اصحاب الامام احمد والشافعي ومالك وغيرهم
رضي الله عنهم قال شيخ الاسلام واكثر الناس يقولون بل هو اذا كان كافرا فهو عدو الله
ثم اذا آمن وافى صار وليا لله فما خذ سلف الامة في الاستثناء الايمان المطلق فعل جميع
المامورات وترك جميع المحظورات فاذا قال الرجل انا مؤمن هذا الاعتبار فقد شهد لنفسه
انه من الابرار المتقين القائمين بفعل جميع ما امر وابه وترك كل ما نهوا عنه فيكون من اولياء الله
وهذا تزكية الانسان لنفسه وشهادته لها بما لا يعلم ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لساغ
ان يشهد لنفسه بالجنة اذا مات على هذه الحال ولا احد يسوغ له ذلك فهذا ما اخذ عامة
السلف الذين كانوا يستثنون وانهوا عن ترك الاستثناء قال الخلال في كتابه السنة حدثنا
سليمان بن الاشعث يعني الامام الحافظ ابا داود صاحب السنن قال سمعت ابا عبد الله يعني
الامام احمد رضي الله عنه قال هذا كلام الارجا قال له رجل قيل لي مؤمن انت قلت نعم هل علي
في ذلك شيء اهل الناس الا مؤمنا او كافرا فغضب الامام احمد رضي الله عنه وقال هذا كلام الارجا
قال تعالى وآخرون مرجون لامر الله فهؤلاء من هؤلاء ثم قال الامام احمد ليس الايمان قولا وعملا قال الرجل
بلى قال فحدثنا بالقول قال نعم قال فحدثنا بالعمل قال لا قال فكيف تعيب ان يقول انا مؤمن ان شاء الله
ويستثني قال ابو داود واخبرني احمد بن شريح ان الامام احمد رضي الله عنه كتب اليه في
هذه المسئلة ان الايمان قول وعمل فحدثنا بالقول ولم يحج بالعمل ونحن نستثني في العمل
وكان سليمان بن حرب يحمل هذا على التقبل يقول نحن نعمل ولا ندري يقبل امر لا قال
شيخ الاسلام ابن تيمية والقبول متعلق بفعله كما امر فمن فعل كما امر فقد تقبل منه لكن
هو لا يجزم بالقبول لعدم جزمه بكمال الفعل كما قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة قالت عائشة يا رسول الله هو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف قال لا ابنت
الصديق بل هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ان لا يتقبل منه وقال الامام احمد
اذهبا الى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الايمان لانه الايمان قول وعمل والقول الفعل
فقد حدثنا بالقول ونحن نرجو ان يكون وفاء بالعمل فيعجبني ان يستثني في الايمان فيقول

انا مؤمن ان شاء الله وقال في رواية الميموني اقول مؤمن ان شاء الله ومؤمن ارجو لا انه لا يدري كيف
البواء لله تعالى على ما افترض عليه ام لا ومثل هذا كثير في كلام الامام احمد رضي الله عنه وهو في كلام ائمة
من ائمة السلف وهذا مطابق لما تقدم من ان المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة اذا مات
على ذلك وان المفرط بترك المامور او فعل المحظور لا يطلق عليه انه مؤمن مطلقا وان المؤمن المطلق
هو البر التقي ولي الله فاذا قال انا مؤمن قطعا كما لو كمله انا بر تقي ولي لله قطعا وقد كان
الامام احمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره انت مؤمن انا هل ويكرهون الجواب
لان هذه بدعة احدثها المرجئة ولهذا كان الصحيح انه يجوز ان يقول انا مؤمن بلا استثنا
اذا اراد ذلك لكن ينبغي ان يقيد كلامه بما يبين انه لم يرد الايمان المطلق الكامل ولهذا كان
الامام احمد رضي الله عنه يكره ان يجيب عن المطلق بلا استثنا تقدم وقال المروزي قيل لابي عبد الله
نقول نحن المؤمنون فقال نقول نحن المسلمون ومع هذا فلم يكن ينكر على من ترك الاستثنا اذا لم
يكن قصده فعل المرجئة ان الايمان مجرد القول بل يتركه لما يعلم ان في قلبه ايمانا وان كان لا يجزم
بكمال ايمانه وقال الخلال اخبرني احمد بن اصرم المزني ان ابا عبد الله قيل له اذا سالني الرجل امؤمن
انت قال قل له سؤالك اياي بدعة ولا اشك في ايماني او قال لا اشك في ايماننا قال المزني وحفظي
ان ابا عبد الله قال اقول كما قال طاوس امنت بالله وملائكته ورسله فقد اخبر الامام احمد انه
قال لا اشك في ايماننا وان السائل لا يشك في ايمانه المسؤول وهذا ابلغ وهو انما يجزم بانه متصف
بما جاء به الرسول لانه قائم بالواجب فعلم ان الامام احمد ومن السلف كانوا يجزمون ولا
يشكون في وجود ما في القلوب من الايمان في هذه الحال ويجعلون الاستثنا عائدا الى الايمان المطلق
المتضمن فعل المامور ويحكمون بجواز الاستثنا فيما لا شك فيه وهذا مأخذ ثان وان كنا
لا نشك فيما في قلوبنا من الايمان فالاستثنا فيما يعلم وجوده مما قد جاءت به السنة مما فيه
من الجملة قال الله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه انا لاحقون
ان شاء الله وقال في الميت وعليه يبعث ان شاء الله وقال صلى الله عليه وسلم لما وقف على
المقابر وانا ان شاء الله بكم للاحقون وقوله اني لارجو ان شاء الله من الابشر
بالله شيئا وهذا كثير في الصحيحين ان سليمان بن داود عليه السلام قال لاطوفن الليلة على
مائة امرأة كل منهن تاتي بفارس يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل
فلم تحمل منهن الا امرأة انت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فاذا قال ان شاء الله لم يشك في طلبه وارادته بل التحقيق انه

وغيره صح

ذكر انه

ذلك لان الامور لا تحصل الا بمشيئة الله فاذا اتى العبد على المامور به من غير تعليق بمشيئة لم يحصل المراد
فانه متى علق على الله يكذب ولهذا يروى لا لمت لمعد وراما وقيل لبعضهم بم عرفت ربك قال
بفسخ العزائم ونقض الهمم وقد قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وفي
شرح مختصر التحرير يجوز الاستثنا في الايمان بان يقول انا مؤمن ان شاء الله نص على ذلك الامام احمد
والامام الشافعي وحكي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وقال ابن عقيل يستحب ولا يقطع لنفسه
ومنع ذلك الامام ابو حنيفة واصحابه ولم اكثروا والله اعلم

تتمة هل الاسلام مثل الايمان

تدخله الزيادة والنقصان ويدخله الاستثنا ام لا فيه خلاف مشهور قال في شرح مختصر التحرير
واما الاسلام فلا يجوز الاستثنا فيه بان يقول انا مسلم ان شاء الله بل يجزم به قاله ابن حمدان
في نهاية المبتدين وقيل يجوز ان شرطنا في العمل انتهى واعلم ان الناس في الاسلام والايمان
على ثلاثة اقوال فالمرجئة يقولون الاسلام افضل من الايمان قالوا فان ذلك يدخل فيه الايمان و
آخرون يقولون الايمان والاسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من اهل الحديث و
السنة بل حكاه محمد بن نصر عن جمهورهم والقول الثالث ان الايمان اكمل وافضل وهذا هو
الذي دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع وهو المأثور عن الصحابة والتابعين لهم باحسان
كما في شرح الايمان والاسلام لشيخ الاسلام وقال الصحيح ان الاسلام هو الاعمال الظاهرة
كلها قال والامام احمد رضي الله عنه انما منع الاستثنا على قول الزهري هو الكلمة هكذا نقل
الاثرم والميموني وغيرهما عنه واما على جوابه الآخر الذي لم يختر فيه قول من قال الاسلام الكلمة
فيستثنى في الاسلام كما يستثنى في الايمان فان الانسان لا يجزم بانه قد فعل كل ما امر به مما
الاسلام ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه وبنى الاسلام على
خمس فجزم بانه فعل الخمس بلا نقص كما مر يجزم به بايمانه فقد قال تعالى ادخلوا في السلم كافة اي
في الاسلام كافة اي في جميع شرائع الاسلام قال شيخ الاسلام قدس الله روحه وتعليل الامام
احمد وغيره من السلف في اسم الايمان يجري في اسم الاسلام فاذا اريد بالاسلام الكلمة فالاستثنا
فيه كما نص عليه الامام احمد وغيره واذا اريد به فعل الواجبات الظاهرة فالاستثنا فيه كالاستثنا
في الايمان قال شيخ الاسلام ولما كان كل من اتى بالشهادتين صار مسلما ممتازا عن اليهود و
النصارى تجري عليه احكام الاسلام التي تجري على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا استثنا فيه
قلت والزيادة والنقصان يتوبيانه على ذلك وبالله التوفيق وقد علم مما علله السلف واعمة
الدين وهو اعتقاد الطائفة الاثرية من اهل الفرقة الناجية بلا مين ولهذا قال تتابع في اعتقادنا

تتابع الاخبار من اهل الاثر

الجازم وسيرنا الحازم الاخيار من الصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة اهل الاثر على نهج سيد ولد
عدنان على مقتضى حكم القرآن وتقفي اي تتبع يقال قفوته فقوته وتقفيته كتثقفيته كما في القاموس وفي النهاية
يقال قفوته وقفيته واقتفيته اذا تتبعته واقتديت به الآثار المأثورة عن الكتاب المنزل والنبي المرسل
والصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة الدين من اهل التحقيق والعرفان بالنقل الصحيح والمعنى
الصريح فهم اهل الدراية والرواية واحق الناس بالاصابة والهداية فنهتدي بنورهم ونقتبس من زهرهم
لا يكون الا مادونا ما سلكوه من التحقيق والتنقير لا نتابع ونقتدي ونحن في سيرنا اهل الاثر
بفتح الهمزة وسكون الثاء المعجمة فراء الفرح والمرح من كل متحذلق ومتشدق ومتعمق ومتودق
من فروخ الجاهلية وشيوخ المرجئة واتباع الكرامية فهم في طرف ونحن في طرف بيننا وبينهم من البعد
كما بين الحركة والسكون ولما انتهى الكلام على الايمان وما يتعلق به وذكر خلاف الناس في حقيقته
وما يترتب عليه من الزيادة والنقصان ولم استثنا ختم الكلام عليه بذكر مسئلة عظيمة فقال
ولا نقول ايمانا الاثريين من الحنابلة ومن وافقهم ايماننا الذي هو قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان
مخلوق لدخول الاعمال فيه التي من جملتها الصلاة المشتملة على فاتحة الكتاب القديم ولدخول الاقوال
التي من جملتها لا اله الا الله كلمة الاخلاص التي هي من كلام الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ولا نقول ايمانا الاثريين
ايماننا قديم هكذا مطلق عن القيود لدخول افعالنا فيه من الركوع والسجود والقيام والقعود
واعمال القلوب ونحو ذلك فانه اي الايمان لا يشمل للصلاة المشروعة فرضا كانت او نفلا ويشمل نحوها
اي نحو الصلاة من سائر اوامر بقية الطاعات التي تتقرب العبد بها الى ربه وسائر العبادات التي
يأتي بها لغفران ذنبه وانارة قلبه والطاعات جمع طاعة مأخوذة من طاع يطوع اذا انقاد وهي
في اصطلاح الفقها عبادة غير واجبة والمراد هنا كل عبادة والعبادة ما امر به شرعا من غير اطراد
عرفي ولا اقتضاء عقلي وحينئذ يجب التفصيل وهو ما اشير اليه بقوله ففعلنا معتزلي الخلق نحو
الركوع والسجود في الصلاة من القيام والقعود وسائر افعال الخلق محدث لانه مسند اليه
ومنسوب ومضاف الى فعله والله خالق افعال العباد وللعبد فعل ينسب اليه كما تقدم وكل ما كان
من قرآن فهو قديم فابحثوا الى به لتتمة البيت والبحث التفتيش والطلب والتنقيب والتقصي
لمعاني دقائق المعاني فكل من ادخل الاعمال في الايمان فلا يسوغ له اطلاق اسم الحدوث ولا العدم على
الايمان بل لا بد من هذا التفصيل واما مسالم يدخل الاعمال فيه كالاشاعرة فيقولون الايمان عندهم
مخلوق وهذا الايتمشى على اصولنا قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه من قال الايمان مخلوق كفر
ومن قال غير مخلوق ابتدع فقيل يا لوقف مطلقا وقيل قوله قديم وافعاله مخلوقة قال ابن حمدان

في نهاية

في نهاية المبتدين وهو واضح ونقله عن ابن ابي موسى وغيره ونقل الامام الحافظ ابن رجب في طبقات الحنابلة
في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي قدس الله سره ما لفظه قال روي عن امامنا احمد رضي الله عنه انه
قال من قال الايمان مخلوق فهو كافر ومن قال قديم فهو مبتدع قال الحافظ عبد الغني والمراد كفر من قال بخلقه
لان الصلاة من الايمان وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر لله عز وجل ومن قال بخلق ذلك كفر وتشتمل
على قيام وقعود وحركة وسكون ومن قال بقدم ذلك ابتدع انتهى بحروفه والله تعالى الموفق تتمة
الحق علما وثنا في آخر هذا الباب ذكر الملكين الموكلين بالعبد يكتبان افعاله وكانهم نظروا المناسبة
ذكر للاحكام وكونه مما يجب الايمان به والاقرار به الانسب ذكره ذلك في الباب الآتي في السمعيات لانه منها
فلهذا قال ووكل الله سبحانه وتعالى من الملائكة الكرام وصفهم بالكرام لما جاء في الكتاب والسنة
كما سيأتي والحق ان الملائكة عليهم السلام ذوات قائمة بانفسها قادرة على التشكل بالقدرة الالهية
كما ثبت في الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدين وتغير
صور الملائكة والجن والشياطين الى الله تعالى اليهم وقد حكى غير واحد من محققي العلما الاتفاق
على ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ولا يسبحون الليل والنهار لا يفترون والاثنين مفعول
وكلا حافظين للانام كسحاب وبالمد والانيم كالامير الخلق من الجن والانس وجميع ما على وجه الارض
والمراد هنا من الانس فيلتمسان يعني الملكين كل افعال الورى كفى الخلق كما اتى في النص القرآني
كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال تعالى عن اليمين وعن الشمال
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد من غير امتراء اي من غير شك وهو مشتق من الممارات
والمرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مماراة ومراء وامترى فيه وتمارى شك كما في
القاموس وامتراه جحده حقه وفي نهاية ابن الاثير في الحديث لا تماروا في القرآن فان مراء فيه كفر قال المراجدال
والتماري والممارات المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة ممارات لان كل واحد منهما يستخرج
ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع قال ابو عبيد في توجيه الحديث المذكور ليس
وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التاويل ولكنه على الاختلاف في اللفظ وهو ان يقول الرجل على حرف
فيقول الرجل ليس هو كذا ولكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء فيهما فاذا جحد كل منهما قراءة صاحبه
لم يؤمن ان يكون ذلك يخرجه الى الكفر لانه تعرض قرآنا انزله الله على نبيه والتنكير في المرا في الحديث ايذانا
بان شيأ منه كفر فضلا عما اذا دعليه وقيل انما الاداء الجدال والمرا في الايات التي فيها ذكر القدر ونحوه
من المعاني على مذهب اهل الكلام واصحاب الاهوا والاراء دون ما تضمنته من الاحكام والواجب
الحلال والحرام فان ذلك قد جرى بين الصحابة فمن بعدهم من العلما وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه

ظهور الحق ليتبع دوي الغلبة والتجبر والله اعلم قال علما وانا ومنهم ابن حمدان في نهاية المبتدئين الرقيب والعتيد ملكان موكلان بالعبد يحصيان ما فرط منه ويصدق بانهما يكتبان افعاله كما قال تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون والا يفارقان العبد بحال وقيل بل عند الخلاء وقال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان على حالين عند غائطه وعند جماعه ومفارقتهم للمكلف حينئذ لا تمنع من كتبهما ما يصدر منه في تلك الحال كما لا عتقاد القلبي بجعل الله لهما امارة على ذلك قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه للعبد ملائكة يحفظونه بامر الله تعالى يشير الى قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قال العلامة الشيخ عبد الرحمن العليمي العمري الحنبلي في تفسيره المقراء العظيم المسمى بفتح الرحمن في تفسير القرآن التعقيب العود بعد المضي وانما ذكر بلفظ الثانية لان المراد الجماعات التي يعقب بعضها بعضا وقوله يحفظونه من امر الله اي من بأسه متى اذنب بالاهمال وفي الاستغفار او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقال في قوله معقبات التاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احد القافين كأشاعث وفي صحيح البخاري معقبات ملائكة حفظة تعقب الاولى منها الاخرى ومنه قيل للعقب اي عقيب في اثره قال ابو عبيدة اي ملائكة تعقب بعد ملائكة حفظة بالليل تعقب بعد حفظة النهار وحفظة النهار تعقب بعد حفظة الليل وروى الطبري باسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى معقبات من بين يديه ومن خلفه قال ملائكة يحفظون من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدره خلوا عنه واخرج من طريق ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله من امر الله يعني باذن الله فالمعقبات هي من امر الله وهي الملائكة ومن طريق سعيد بن جبير عنه قال حفظهم اياه بامر الله ومن طريق ابراهيم النخعي قال يحفظونه من الجن ومن طريق لعب الاحبار قال لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم واخرج الطبري من طريق كنانة العدوي ان عثمان سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملائكة الموكلة بالآدمي فقال لكل آدمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه وآخر عن شماله واثنان من بين يديه ومن خلفه واثنان عن جنبه وآخر قابض على ناصيته فانه تواضع رفعه وان تكبر وضعه واثنان على شفتيه ليس يحفظان الا على الصلاة على محمد والعاشر بحرسه من الحية ان تدخل فاه يعني اذا نام قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وجاء في تأويل ذلك قول آخر

ذكره

وصله ابن جرير فاخرج باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى له معقبات قال ذكر ملكا من ملوك الدنيا له حرس ومن دونه حرس ومن طارق عكوبة في قوله له معقبات قال الكواكب وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وفي بعض التفاسير في قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه مالم يقدر عليه البصر من ذلك سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وذكر في كنز الاسرار من حديث ابي امامة رضي الله عنه مرفوعا قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته واما الملائكة الكاتبون ففيل اربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وقيل خمسة واحد لا يفارق في ليل ولا نهار انتهى والمشهور انهما اثنان لكل واحد قال الضحاك مجلس الملكين تحت الشعر على الخد ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه ان يظف عنفقته وعنه عليه السلام مقعد ملكيك على شفتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك ولا تستحي من الله ولا منهما وعنه عليه الصلاة والسلام كاتب الحسنات عن يمين الرجل يعني الشخص وكاتب السيئات عن يساره وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل الشخص حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر ونقل الحافظ ابن حجر في شرح الاربعين النووية عن شيخ الاسلام العدوي وكان من قدماء التابعين ان صاحب اليمين امير او قال امين على صاحب الشمال فاذا عمل ابن آدم سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين لا تعجل لعله يعمل حسنة فان عمل حسنة ألقى واحدة بواحدة وكتب له تسع حسنات فيقول الشيطان يا ويله من يدرك تضعيف ابن آدم وقال غير واحد وهو المشهور ان احد الملكين على عاتق الانسان الايمن وهو كاتب الحسنات والاخر على عاتقه الايسر وانه كاتب الحسنات له امارة على كاتب السيئات فلا يكتبها من غير توبة الا بعد مضي ست ساعات من غير توبة من المكلف او استغفار او فعل ملكفر لها مع مبادرته بكتب الحسنات فورا والذي رواه البغوي من حديث ابي امامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات وفيه دعه سبع ساعات لعله يسبح الله او يستغفر فوائد الاولى اختلف فيما يكتبه الملكان فقال عكرمة لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر فيه انتهى وظاهر النص انهما يكتبان افعال العباد من خير او شر او غيرهما قولا كانت او عملا او اعتقادا هما كانت او عزما او تقريرا فلا يهملان من افعال العباد شيئا في كل حال وعلى كل حال ولهذا قال مجاهد يكتبان عليه حتى انينه في مرضه فقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اي عنده رقيب اي حافظ يرقب اعماله

ويحفظها عتيد اي حاضر معه ابن ماكولا قال الامام مالك يكتب اثم على العبد كل شيء حتى انينه فوض
لقول مجاهد محتجا بقوله تعالى ما يلفظ من قول فافادة العموم بطريق وقوع النكرة في سياق النفي
وحينئذ يدخل فيه العبد الكافر لانه تضبط اعماله عليه وانفاسه قال الامام النووي الصواب
الذي عليه المحققون بل نقل فيه بعضهم الاجماع ان الكافر اذا فعل افعالا جميلة كالصدقة وصلة
الرحم ثم اسلم ومات على الاسلام ان ثواب ذلك يكتب له ودعوى كونه مخالفا للقواعد غير مسلم انتهى
قال بعضهم وضابط ذلك الطاعات التي لا تتوقف صحتها على نية وقد سلم ذلك له ابن حجر وابن المنير
وابن بطال وغيرهم ومما نص على ان للكافر حفظة بعض المالكية قال بعضهم وهو الذي لا يصح غيره
وهو الجاري على القول بتكليفهم بفروع الشريعة وهو معتمد الثلاثة خلافا لابي حنيفة والصحيح
من مذهبنا كالمالكية كتب حسنات الصبي قال علماؤنا لا يكتب له ولا يكتب عليه فليكن عليه حفظة
بخلاف المجنون لانه لا يكتب له ولا يكتب عليه والصحيح كتبهم الصغائر دون المغفورة وان غفرت
باجتناب الكبائر قال الحافظ ابن رجب رحمه الله لا تمحى الذنوب من صحائف الاعمال بتوبة ولا غيرها
بل لا بد ان يوقف عليها صاحبها ويقر بها يوم القيمة واستدل بقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين
مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا ية
وبقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد ذكر بعض المفسرين
ان هذا القول هو الصحيح عند المحققين وقد روي هذا القول عن الحسن البصري وبلال بن سعد
الدمشقي قال الحسن في العبد يذنب ثم يتوب ويستغفر يغفر له ولكن لا يمحاه من كتابه دون ان يقف
عليه ثم يسأله عنه ثم يبكي الحسن بكاء شديدا وقال لو لم ترنبك الا للحياء من ذلك المقام لكان ينبغي لنا ان
نبكي وقال بلال بن سعد ان الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحاه من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيمة
وان تاب الثانية جاء في حديث ابي هريرة وانس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من حافظين
يرفعان الى الله تعالى ما حفظا فيرى الله تعالى في اول الصحيفة خيرا وفي اخرها خيرا الا قال الملائكة اشهدوا
اني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة خرجه الطبراني وغيره قال الحافظ ابن رجب وهو موجود
في بعض نسخ كتاب الترمذي وفي حديث اخر مرفوع ابن آدم اذكرني في اول النهار ساعة اغفر لك ما
بين ذلك الا الكبائر او توبوا منها وقال ابن المبارك فختم نهاره بذكر الله كتب نهاره كله ذكرا يشير
الى ان الاعمال بالخواتيم قال الحافظ ابن رجب فاذا كانت البداية والختام ذكرا فهو اولى ان يكون حكم
الذكر شاملا للجميع انتهى الثالثة قوله في الخبر حتى انينه في مرضه ربما اشعر بانه مما يكتبه كاتب السيئات
لانه يكتب كلما اهمله كاتب الحسنات ويدل له قول علمائنا يكره الانين قال في المجموع على الاصح قالوا لانه

يترجم

يترجم عن الشكوى ما لم يغلبه مع انه جاء في حديث المريض انينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه
صدقة ونومه عبادة وتقلبه من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله لكن قال الحافظ ابن حجر انه ليس
بثابت وقد روى الامام احمد في الزهد عن طاوس انه قال انين المريض شكوى قال ابن حجر في شرح
البخاري وقد جزم ابو الطيب ابن الصباغ وجماعة من الشافعية انه انين المريض وتاوهه مكروه
وتعقبه الامام النووي فقال هذا ضعيف او باطل فانه المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت
فيه ذلك ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر اولى انتهى
الرابعة جاء في الاحاديث ان الحافظين يقيمان على قبر المؤمن يسبحان الله تعالى ويهللانه ويكبرانه
ويكتب ثوابه للميت الى يوم القيمة وانهما يلعنان الكافر ففي حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعا
اذا قبض العبد المؤمن صعد ملكاه الى السماء فقال الله لهما وهو اعلم ما جاء بكما فيقولان يا رب
قبضت عبدك فيقول لهما ارجعا الى قبره فسبحاني واحمداني وهللاني الى يوم القيمة فاني
قد جعلت مثل اجر تسبيحكما وتحميدكما وتهليلكما له ثوابا الى يوم القيمة ثم قال في الكافر
كافرا فاذا صعد ملكاه الى السماء فيقول الله ما جاء بكما فيقولان يا رب قبضت عبدك وجئناك
فيقول لهما ارجعا الى قبره فالعناه الى يوم القيمة فانه كذبني وجحدني وابى حملت لعنتكما
عذابا اعذبه يوم القيمة وروى ايضا حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا وفيه
فاذا دنا ان تسكن السماء فيقول سمائي مملوءة من خلقي يسبحوني فيقول الله يا ذا لنا ان نسكن
الارض فيقول ارضي مملوءة من خلقي يسبحوني ولكن قوما على قبور فسبحاني واحمداني وهللاني
واكتباه لعبدي الى يوم القيمة وروى ايضا حديث انس بن مالك رضي الله عنه بلفظ حديث
ابي سعيد وقد اورده الحافظ ابن الجوزي في كتابه الموضوعات بطرقه الثلاثة وحكم عليه بالوضع
وتعقبه جلال الدين السيوطي بما حاصله ان الحديث قد اخرجه البيهقي في كتابه شعب الايمان
وقال فيه ابن مطرد بسند ضعيف ثم انه لم ينفرد به فقد تابعه عن ثابت البناني حماد واخرجه ايضا
البيهقي والهيثم بن حماد واخرجه ابن ابي الدنيا في ذكر الموت قال الحافظ البيهقي وله شاهد آخر
عن انس ثم روى باسناد ضعيف عنه مرفوعا نحوه وقال الشيخ ولي الدين العراقي في فتاويه المكية
في حديث ابي سعيد فيه عطية العوفي ضعيف لكن ليس بكذاب وقد رواه عنه مسعر وهو امام جليل
فاذن وحديثه شاهد قوي انتهى فها انت ترى له شواهد عدة انتهى وقد ذكرت ما فيه في مختصر الموضوعات
وبالله التوفيق الباب الرابع في ذكر بقية السعيد قبل ذكر البرزخ

بلغ

والقبور واشراط الساعة والحشر والنشور اعلم ان المراد بالسمعيات ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب والسنة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال ويقابله ما يثبت بالعقل وافقه النقل فان كان طريق العلم به العقل يسمى العقليات والنظريات ولهذا يقال العلم هذه المسألة نظري وقد اشار الى المذكور المقصود من ذلك بقوله وكلما اي حكم من الاحكام او خبر عن خبر الانام صلى الله عليه وسلم ولهذا قال صح من الاخبار اي ثبت من الاخبار النبوية وقدمه لمزيد الاهتمام به ولئلا يتوهم ان ما لم يثبت في المتن يليس عليه مزيد يعول او جاء في التنزيل اي القرآن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكلما صح في الآثار السلفية عن الصحابة الكرام مما ليس للعقل فيه مرام فانه يشعر انهم انما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة القبر الامتحان ولهذا اختبار قال في القاموس الفتنة بالكسر الخبرة والفتانان الدرهم والدينار ومنكر ونكير والفتان الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين وفتان من ابنية المبالغة من الفتنة وفي حديث الكسوف وانكم تفتنون في القبور بريد مسألة منكر ونكير وقد كثرت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم باستعاذته من فتنة القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وغير ذلك وفي قوله صلى الله عليه وسلم فيما تفتنون به وعني تسئلون اي تمتحنون في قبوركم ويتعرف اعيانكم بنبوش البرزخ قال في القاموس البرزخ الحاجز بين الشيئين مما وقت الموت الى القيامة من مات دخله وفي النهاية البرزخ ما بين كل شيئين مما حاجز ومنه حديث عبد الله وسئل عن الرجل يجد الوسوسة فقال تلك برازخ الايمان يريد ما بين اوله واخره فاوله الايمان بالله ورسوله واوساطها اماطة الاذى عن الطريق وقيل اراد ما بين اليقين والشك والبرازخ جمع برزخ وفي الآية الكريمة بينهما برزخ لا يبغيان اي حاجز يمنعهما من ان يختلط احدهما بالاخر ووجه تسمية ما هنا برزخا لكون البرزخ يحجز بين الدنيا والآخرة وفتنة القبور جمع قبر وهو من عطف الخاص على العام لان احوال البرزخ تشتمل على ذلك فالقبور جمع قبر كثرة وجمع اقبر في القلة ويقال لمدفن الموتى مقبر قال الشاعر

لكل اناس مقبر بفنائهم ... فهم ينقصون والقبور تزيد

والمقبرة موضع دفن الموتى وتضم باوليها وتفتح قال القرطبي اختلف في اول من سن القبر فقيل الغراب لما قتل قابيل هابيل وقيل ان قابيل كان يعلم الدفن ولكن ترك اخاه استخفافا به فبعث الله الغراب ليبحث في الارض يعني التراب على هابيل لئلا فعنه كذا في التذكرة فقال عند ذلك يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين حيث رئي كرامة الله لهابيل بان قيض الله الغراب حتى واراه ولم يكن ذلك ندم توبة وقيل كان ندمه على عدم معرفة الدفن

ولذا

وكلما صح من الاخبار او جاء في التنزيل من الاثار

من فتنة البرزخ والقبور

ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما لو كان ندمه على قتله لكان ندمه توبة وقيل انه لما قتله قعد يبكي على راسه فاقبل غرابان فاقتتلا فقتل احدهما الاخر ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل قابيل باخيه كذلك فكان ندمه لعدم هدايته ان يفعل كما فعل الغراب فصار الدفن سنة في بني آدم وفي التنزيل ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا يواري فيه اكراما له ولم يجعل مما يلقى على وجه الارض تاكله الطير والعوافي وقوله وحيا اي وفي الذي او الاشياء اي والهول الذي ياتي عن الصادق المصدوق في ذا اسم اشارة يرجع الى ما تقدم من فتنة البرزخ والقبور من الامور المهولة العجيبة والمآثار الصعبة الغريبة فانه حق لا يرد منها سؤال الملكين منكر ونكير فالايمان بذلك واجب شرعا لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة اخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء واخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت نزلت في عذاب القبر اذ سئل يقال له من ربك فيقول الله ربي ونبي محمد فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وفي رواية للبخاري اذا قعد المؤمن في قبره اتي ثم شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الآية وفي الطبراني عن البراء نحوه وزاد فيقال للكافر ما دينك فيقول لا ادري فيقول لا دريت فيضرب بمرزبة لو ضرب بها جبل لصار ترابا الحديث وعند ابي داود والنسائي ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي منادٍ من السماء ان صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة والبسوه من الجنة ويفسح له في مد بصره وقال في الكافر فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري الى ان قال فينادي منادٍ من السماء ان كذب عبدي فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه وفي الصحيحين من حديث انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار وقد ابدلك الله مقعدا من الجنة قال

فيراهما جميعا يعني المقعدين قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره واما المنافق والكافر فيقال
ماكنت تقول في هذا الرجل فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت و
يضرب بمطرقة من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين زاد ابو داود ثم
المؤمن يقال له ماكنت تعبد فاه هذا الله تعالى قال كنت اعبد الله فيقال ما كنت تقول في هذا
الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله قال فما يسئل عن شيء غير هذا وزاد ايضا فيقول دعوني حتى ابشر
اهلي فيقال له اسكن وذكر الكافر انه يسئل عما كان يعبد ثم عن هذا الرجل وفي الصحيحين ايضا عن
اسماء بنت الصديق رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم كسفت الشمس ولقد
اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريب من فتنة الدجال يؤتى احدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل
فاما المؤمن او الموقن فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فاجبنا وآمنا واتبعنا
فيقال له نم صالحا فقد علمنا انك كنت لموقنا واما المنافق او المرتاب فيقول لا ادري سمعت الناس
يقولون شيئا فقلته واخرجه الامام احمد بلفظ ولقد اوحي اليكم تفتنون في قبوركم يسأل الرجل
ما كنت تقول وما كنت تعبد نحو ما سبق وقد روي ايضا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه اخرجه
الترمذي وابن حبان في صحيحه واخرجه ايضا الامام احمد وابن ماجه واخرجه الطبراني ايضا وفيه
اتاه منكر ونكير اعينهما مثل قدور النحاس وانيابهما مثل صياصي البقر اي قرونها واصواتهما
مثل الرعد القاصف وروي ايضا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما اخرجه الامام احمد
ومن حديث ابي سعيد رضي الله عنه اخرجه الامام احمد ايضا ومن حديث امير المؤمنين عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه اخرجه ابو بكر الخلال في كتاب السنة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له كيف انت
يا عمر اذا كنت في الارض في اربعة اذرع في ذراعين وليت منكرا ونكيرا قلت يا رسول الله ومن منكر و
نكير قال فتانا القبر يجتاه الارض بانيابهما ويطآنه في اشعارهما اصواتهما كالرعد القاصف و
ابصارهما كالبرق الخاطف ومعهما مرزبة لو اجتمع عليها اهل منى لم يطيقوا رفعها هي ايسر عليهما
من عصاي هذه قلت يا رسول الله وانا على حالي هذه قال نعم فقلت اذا اكفيكهما وفي رواية
فامتحناك فاه التويت ضربا كل منها ضربة صرت رمادا واخرجه الاسماعيلي من وجه آخر وروي
ايضا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما اخرجه الامام احمد وابن حبان في صحيحه
وفيه قال عمر اترد علينا عقولنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم نعم كهيئتكم اليوم فقال عمر
رضي الله عنه بفيه الحجر وفي حديث ابي موسى رضي الله عنه رواه الامام احمد وغيره هؤلاء وروي عن مجاهد

انه الموتى

انه الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام وقد ذكرنا في كتابنا
البحور الزاخرة في علوم الآخرة ما لعله يشفي ويكفي **تنبيهات** الاول جاء في رواية سؤال
الملكين وفي اخرى سؤال احدهما قال القرطبي لا تعارض بل ذكر بالنسبة الى الاشخاص فربما يخص
باتيه اثنان معا فيسئلانه معا عند انصراف الناس ليكون هو في حقه واشد بحسب ما قد تطرف
من الآثام وآخر باتيه قبل انصراف الناس عنه تخفيفا عليه لحصول الانس لهم وآخر باتيه ملك واحد
فيكون اخف عليه واقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح قال ويحتمل ان باتي اثنان ويكون
السائل احدهما واذا اشتركا في الاتيان فتحمل رواية الواحد على هذا وصوبه الحافظ السيوطي في
شرح الصدور فاذا ذكر الملكين هو الموجود في غالب الاحاديث وقد ذكر بعض العلماء ان الملائكة
الذين ينزلون على الميت في قبره اربعة منكر ونكير وناكور وروماه وقد اشار الجلال السيوطي
الى هذا في ارجوزته التي نبه عليها بقوله وقد اتى في مرسل مضعف ان السؤال من ثلاثة نفي
او اربع اولئك الاثنان والحق انا كور مع روماه وقد اشار الجلال السيوطي الى ان الخبر به
علته الارسال والضعف الثاني الملكان اسمهما منكر ونكير نص على ذلك الامام احمد رضي الله عنه
قال الحكيم الترمذي وانما سميا فتانا القبر لانهما في سؤالهما انتهارا وفي خلقهما صعوبة قال وسميا
منكرا ونكيرا لانهما خلقا مما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا
خلق الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما انس للناظرين اليهما جعلهما الله تعالى فتنة
للمؤمن لتشتد نقمته وتبصره وهتكا لستر المنافق في البرزخ من قبل ان يبعث قال الجلال السيوطي
وهذا يدل على ان الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به في القاموس قلت وكذا في نهاية ابن الاثير
قال ومنكر ونكير اسما الملكين مفعل وفعيل وذكر ابن يونس من الشافعية ان اسم ملكي المؤمن مبشر
وبشير قلت وهذا يحتاج الى دليل ماثور وانى به فاه الا احاديث ليس فيها سوى منكر و
نكير وقد اشار الى ذلك السيوطي في ارجوزته بقوله وضبط منكر بفتح الكاف قلت اورد شيخنا
وذكر ابن يونس من صحبنا ان اللذين باتياه المؤمنا اسمهما البشير والمبشر ولم اقف في ذا على اثر
قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح قال كثير من المعتزلة لا يجوز تسمية ملائكة الله منكر
ونكير وانما المنكر ما يبدو من تلجلجه اذا سئل والنكير تفريع الملكين له وقال الامام احمد رضي الله عنه
نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وزوجع في منكر ونكير فقال هكذا يعني انهما منكر ونكير **الثالث**
قال القرطبي اختلفت الاحاديث في كيفية السؤال والجواب عن ذلك انه يختلف باختلاف الاشخاص
فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل عنها كلها ويحتمل ان يكون الاقتصار على بعضها

من بعض الرواة واتى به غيره تاما وصوبه السيوطي لاتفاق اكثر الاحاديث عليه تعم فوخذ
منها خصوصا من رواية ابي داود عن انس المارة فما يسئل عن شيء بعدها وعند ابن مردويه فما يسئل
عن شيء غيرها انه لا يسئل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرح به في رواية
البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة قال الشهادة يسئلون عنها في قبورهم بعد موتهم قيل لعكرمة ما هو قال
يسئلون عن الاقرار بالتوحيد وقد ذكر الجلال السيوطي انه ورد في رواية عن انس رضي الله عنه
ان الميت يسئل في المجلس الواحد ثلاث مرات وباقي الروايات ساكتة عن ذلك فتحمل على ذلك وتختلف
الحال بالنسبة الى الاشخاص وعند طاوس ان الموتى يسئلون سبعة ايام قلت وتقدم عن مجاهد
ان الموتى يفتنون في قبورهم سبعا والهم كانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام روى الامام
احمد في الزهد وكذا ابو نعيم في الحلية باسناد صحيح الا انه مرسل وروي موصولا وعلله
الرفع لانه ليس للرأي فيه مجال وقد روي كذلك الامام الحافظ ابن رجب في كتابه احوال القبور
وذكر عن مجاهد ايضا ان الارواح تمكث في قبورها سبعة ايام وقد روي عن عبد الله ابن عمير
فيما اخرجه عنه ابن جرير ان المؤمن يفتن سبعة ايام والمنافق يفتن اربعين يوما **الرابع** من لم
يدفن من مصلوب ونحوه بنالة نصيبه من فتنة السؤال وضغطة القبر قال المحقق في كتابه الروح
مما ينبغي ان يعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب نالة نصيبه منه
قبر ام لم يقبر فلو اكلته السباع او حرق حتى صار رمادا او نسف في الهوى او صلب او غرق
في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصله من المقبور **الخامس** قال ابن عبد البر
لا يكون السؤال الا للمؤمن او منافق كان منسوبا الى دين الاسلام بظاهر الشهادة بخلاف
الكافر لذا قال وخالفه في ذلك الجمهور وقال الامام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح القرآن
والسنة تدل على خلاف هذا القول بل السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما انها نزلت في عذاب القبر كما تقدم فالله
في الاحاديث الكافر والفاجر واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعا ومنه
قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ونحو هذا في كتاب الحافظة للحافظ عبد الحق الاشبيلي
وصوبه القرطبي في التذكرة وانتصر الجلال السيوطي لابن عبد البر وفيما قاله نظر ومثل هذا
ما اختاره المحقق ابن القيم والحافظ عبد الحق الاشبيلي وغيرهما من ان سؤال القبر ليس بخاص بهذه
الامة بل غيرها تساويها في ذلك وجزم به ابو عمر القرطبي في التذكرة وقال الحكيم الترمذي انه خاص

هذه

بهذه الامة وتوقف ابن عبد البر وانتصر السيوطي في هذا الحكيم الترمذي قال الامام المحقق ابن القيم
بعد ذكره الاقوال الثلاثة والظاهر والله اعلم انه كل نبي مع امته كذلك يعني يسئل عنه كنبينا
صلى الله عليه وسلم مع امته والهم يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجة عليهم كما يعذبون
في الآخرة بعد السؤال واقامة الحجة واستدل الحكيم الترمذي على عدم السؤال ان الامم قبل
هذه الامة كانت الرسل تاتيهم بالرسالة فاذا ابوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب
قال فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة امسك عنهم العذاب واعطى السيف حتى يدخل
في الاسلام من دخل بالهابة السيف ثم يوسع الايمان في قلبه فمن هنا ظهر النفاق فكانوا يسرون
الكفر ويعلنون الايمان وكانوا بين المؤمنين في ستر فلما انقضى الله لهم فتاني القبر ليستخرج
امرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب وفيما قاله مقال من عدة اوجه نبهت على بعضها في
البحور الزاخرة منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه الجواب الصحيح
لمن بدل دين المسيح ان المعروف عند اهل العلم انه بعد نزول التوراة لم يهلك الله تعالى قرنا بعذاب
سماوي يعمهم كما اهلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم بل امر المؤمنين بجهاد الكفار كما
امر بني اسرائيل على لسان موسى بقتال الجبابرة وقال وضع للكفار مشهور وكذا داود وسليمان
وغيرهم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين **السادس** ذكر الحافظ جلال الدين
السيوطي انه وقع في فتاوى شيخه علم الدين البلقيني ان الميت يجب سؤاله باللغة السريانية قال ولم
اقف لذلك على مستند انتهى قال في التذكرة ان قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الاماكن
المتباعدة في الوقت الواحد فالجواب ان عظم خلقهما تقتضي ذلك فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة
الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يحمل الكلام المخاطبين انه المخاطب دون ما سواه
ويمنعه من سماع جواب بقية الموتى وقال السيوطي ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كما في الحفظة
ونحوهم وقاله الحليمي من الشافعية والله اعلم وبالله التوفيق **تتمة** ورد في صحيح
الاخبار ان بعض الناس من الموتى لا تنالهم فتنة القبر ولا يأتيهم الفتانان وذلك على ثلاثة انحاء مضاف
الى العمل ومضاف الى الحال ابتلاء نزل بالميت ومضاف الى زمانه كالشهداء ومن لقي العدو وصبر
حتى يقتل او يغلب والمرابط في سبيل الله والمراد انه من مات مرابطا لم يفتن في قبره وروي ان
سورة تبارك من قرأها كل ليلة عصم من فتنة القبر ومن مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة وقي فتنة
القبر واخرج ابو نعيم في الحلية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ هو الله احد في مرضه الذي مات فيه
لم يفتن في قبره وامن ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيمة بأكفها حتى تجيزه الصراط الى الجنة

وقد اشار اليه يقول
ومن عجيب ما ترى العينان
ان سؤال القبر بالسريانية
افتى بهذا شيخنا البلقيني
ولم اره لغيره بعيني اه

ومما لا يسئل الملائكة ولا الانبياء عليهم الصلاة والسلام واما الجن فالادلة تعم فيسئلون لما انهم مكلفون
في جملة كما نص عليه علماؤنا وغيرهم وبالله التوفيق ومنها اي الامور التي يجب الايمان بها وانها حق
الايرد عذاب القبر قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه شرح الصدور في احوال الموتى والقبور
قد ذكر الله تعالى عذاب القبر في القرآن في عدة اماكن كما بينته في الاكليل في اسرار التنزيل انتهى قال
الحافظ ابن رجب في كتابه اهوال القبور في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم الى قوله ان هذا
لهو حق اليقين عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى قال تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايات قال اذا كان
عند الموت قيل له هذا فان كان من اصحاب اليمين احب لقاء الله واحب الله لقاءه وان كان
من اصحاب الشمال كره لقاء الله وكره الله لقاءه واخرج الامام احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فاكب القوم يبكون قال
ما يبكيكم قالوا انا نكره الموت قال ليس ذلك ولكنه اذا حضر فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك احب لقاء الله والله للقائه احب واما ان كان من المكذبين
فنزل من حميم وتصلية جحيم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقائه اكره وقال الامام
المحقق ابن القيم في كتابه الروح قول السائل ما الحكمة في ان عذاب القبر لم يذكر بعيني صريحا
في القرآن مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذر ويتقى فاجاب عن ذلك من وجهين
مجمل ومفصل اما المجمل فان الله تعالى انزل على رسوله وحيين فاوجب على عباده الايمان
بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وقال
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الى قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة والحكمة هي السنة باتفاق السلف وما اخبر به الرسول
عن الله فهو في وجوب تصديقه والايمان به كما اخبر به الرسول على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
فهذا اصل متفق عليه بين اهل الاسلام ولا ينكره الا من ليس منهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
اني اوتيت الكتاب ومثله معه قال المحقق واما الجواب المفصل فهو ان نعيم الروح وعذابه
مذكور في القرآن في مواضع منها قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا
ايديهم الآية وهذا خطاب لهم عند الموت قطعا وقد اخبرت الملائكة وهم الصادقون
انهم حينئذ يجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون
ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون وقوله تعالى
فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب الى قوله يعرضون عليها غدوا

وعشيا

وعشيا الاية فذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره ومنها قوله تعالى فذرهم حتى يلاقوا يومهم
الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون انتهى كلامه واخرج البخاري من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر
واخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه انه قال ما زلنا في شك من عذاب القبر حتى نزلت الهاكم التكاثر
حتى زرتم المقابر وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا مات الكافر اجلس في قبره فيقال له من ربك
وما دينك فيقول لا ادري فيضيق عليه قبره ثم قرأ ابن مسعود فان له معيشة ضنكا قال
المعيشة الضنك هي عذاب القبر وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما في قوله تعالى ولنذيقنهم من
العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وكذا قال قتادة والربيع ابن انس في قوله تعالى ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وكذا قال قتادة والربيع ابن انس في قوله تعالى سنعذبهم
مرتين احداهما في الدنيا والاخرى في عذاب القبر قال الحافظ ابن رجب وقد تواترت الاحاديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر ففي الصحيحين عن ام المؤمنين عائشة الصديقة بنت
الصديق رضي الله عنهما انها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر قال نعم عذاب
القبر حق وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعلمهم هذا
الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر
واعوذ بك من فتنة المحيا والممات واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واخرج مسلم ايضا وابن ابي شيبة
عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن
معه اذ حادت به فكادت ان تلقيه واذا اقبر ستة او خمسة او اربعة فقال من يعرف اصحاب
هذه الاقبر فقال رجل انا فقال متى مات هؤلاء فقال ماتوا في الاشراك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر
الذي اسمع منه ثم اقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار فقالوا نعوذ بالله من عذاب
النار فقالوا تعوذوا بالله من عذاب القبر فقالوا نعوذ بالله من عذاب القبر الحديث وفي الصحيحين
عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه اهل القبور يعذبون في قبورهم عذابا
تسمعه البهائم وفي الباب عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه الامام احمد وابو يعلى و
الاجري وعن ابي هريرة رضي الله عنه رواه ابو يعلى والاجري وابن منده وعن انس رضي الله عنه
رواه مسلم وعن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه رواه الشيخان وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اخرجاه وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه رواه ابن ماجه وفيه ايضا عن ابن عمر وعبد الرحمن بن حسنة

وابي امامة وميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلى بن سيابة ويعلى بن مرة وام بشر وابن مسعود
وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين **الامر الثالث** ما ورد في ضغطة القبر وضمته لكل احد اخرجه
الامام احمد في المسند والحكيم الترمذي في نوادر الاصول والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن حذيفة
رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شفيره
فجعل يردد بصره فيه ثم قال يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منه حمايله قال في النهاية
الحمايل هنا عروق الاتيين قال ويحتمل ان يراد موضع حمايل السيف اي عواتقه وصدره و
اضلاعه واخرج الامام احمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
للقبر ضغطة لو كان احد منها ناجيا نجى منها سعد بن معاذ رضي الله عنه واخرج الامام احمد
والحكيم الترمذي والطبراني والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما دفن سعد بن معاذ
رضي الله عنه سبح النبي صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه طويلا ثم كبر وكبر الناس ثم قالوا يا رسول الله
لم سبحت قال لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره قال لو نجا من ضغطة القبر
احد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضم ضمة ثم رخي عنه رواه سعيد بن منصور والحكيم الترمذي
والطبراني والبيهقي واخرج النسائي والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له ابواب السماء وشهده سبعون الفا من الملائكة لقد
ضم ضمة ثم فرج عنه يعني سعد بن معاذ قال الحسن البصري تحرك له العرش فرحا بروحه اخرجه
البيهقي في الدلائل واخرج الحكيم الترمذي والبيهقي من طريق ابن اسحق حدثني ابن ابي نجيح وابن عبد الله
ان رسال بعض اهل سعد ما ينعكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا فقالوا ذكر لنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر في بعض الطهور من البول والاحاديث في هذا
كثيرة شهيرة قال ابن ابي مليكة ما اجير من ضغطة القبر احد ولا سعد بن معاذ الذي مندميل
من مناديل الجنة خير من الدنيا وما فيها وقال مجاهد اشد حديث سمعناه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قوله في سعد بن معاذ وقوله في امر القبر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما عوفي احد من ضغطة
القبر الا فاطمة بنت اسد فقيل يا رسول الله ولا القاسم ابنك قال ولا ابراهيم وكان اصغرهما قال
ابو القاسم السعدي في كتابه الروح له لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح والمراد غير من استثناه
النبي صلى الله عليه وسلم وهو فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف ام علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وذكر انها ضمت المصطفى ولما ماتت سكب عليها الماء الذي فيه الكافور والبسها قميصه واضطجع

في قبرها

في قبرها وقال الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اللهم اغفر لامي فاطمة بنت اسد ولقنها حجتها
ووسع عليها مدخلها وكانت وفاتها بالمدينة ودفنت شمال قبة عثمان في موضع يقال له الحمام و
عليها قبة صغيرة كما في زبدة الاعمال مختصر تاريخ الازرقي قال ابو القاسم السعدي والفرق بين
المسلم والكافر في ضمة القبر دوامها للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في اول نزوله القبر ثم يعود
الانفساح له فيه قال والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت قال الحكيم الترمذي سبب
هذه الضغطة انه ما من احد الا وقد الم بخطيئة ما وان كان صالحا فجعلت هذه الضغطة جزاء
لها ثم تذكر الرحمة ولذلك ضغط سعد بن معاذ رضي الله عنه قال واما الانبياء فلا تعلم ان لهم في القبور
ضمة ولا سؤال لانهم هم اي لان السؤال عن الانبياء وما جاؤا به فكيف يسئلون عن انفسهم
وقد ذكر الامام الحافظ ابن الجوزي في مناقب سيدنا الامام احمد رضي الله عنه انه رآه المروذي رحمه الله
بعد موته في منامه فقال له ما فعل الله بك فذكر ان الملكين سألاه وقالا له ما ربك فقال سبحان الله
او مثلي يسئل عن ربه فقالا لا انا اخذنا بذا الامر ثم انصرفا فكيف بانبياء الله وهم الحجر وبه عند الدارقطني
على المجتهد وبه في انفاذ عباده من عقابه وغضبه الى رضائه باذنه قال محمد التميمي ضمة
القبر انما اصلها ان الارض امهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا اليها وهم
اولادها ضمتهم ضمة الوالدة اذا غاب عنها ولدها ثم قدم فمن كان مطيعا ضمته برأفة ورفق
ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا لربها عليه وقد اخرج البيهقي وابن منده والديلمي
وابن النجار عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله انك منذ حدثتني بصوت منكر
ونكير وضغطة القبر ليس يفقهني شيء قال يا عائشة ان اصوات منكر ونكير في اسماع المؤمنين
كالمدة في العين وان ضغطة القبر على المؤمن كالام الشفيه يشكو اليها ابنها الصغير
فتغمز له غمزا رفيقا ولكن يا عائشة ويل للمشاكين في الله كيف يضغطون في هوارهم
كضغطة الصخرة على البيضة **فوائد الاولى** ذكر الديلمي في الفردوس عما علي رضي الله عنه
رفعه اول عدل الاخرة القبور فلا يعرف شريف من وضيع وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان
الله ارحم ما يكون للعبد اذا دخل قبره وتفرق عنه الناس واهله واخرج الديلمي عن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم ما يكون الله بالعبد اذا وضع في حفرته واخرج ابن ابي الدنيا
عن ابي عاصم الحبطي بن رفعه ان اول ما يتحف به المؤمن في قبره يقال له ابشر فقد غفر لمن اتبع
جنازتك واخرج البزار وعبد في مسنده هما والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما يجازى به المؤمن بعد موته ان يغفر لجميع من تبعه

وفي الباب عن جابر بن عبد الله اخرجه ابن ابي الدنيا وسلمان الفارسي اخرجه ابو الشيخ في الثواب وابي هريرة
اخرجه الحاكم في التاريخ والبيهقي في الشعب والديلمي وانس اخرجه لحكيم الترمذي **الثانية** قال
بعضهم من فعل سيئة فانه عقوبة تدفع عنه باحد عشرة اما سباب ان يتوب فيتاب عليه
او يستغفر فيغفر له او يعمل حسنات فتمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات او يبتلى في الدنيا
بمصايب فيكفر عنه او في البرزخ بالضغطة والفتنة فيكفر عنه او يبتلى في عرصات القيمة
باهوال تكفر عنه او تدركه شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم او رحمة ربه تبارك وتعالى وتقدم في التوبة
طرف صالح من هذا وبالله التوفيق **الثالثة** الاسباب التي يعذب بها اصحاب القبور على قسمين
مجمل ومفصل اما المجمل فانهم يعذبون على جهلهم بالله واضاعتهم لامره وارتكابهم معاصيه
فلا يعذب الله روحا عرفته واحبته وامتثلت امره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه ابدا
فان عذاب القبر وعذاب الاخرة الوعضب الله وسخطه على عبده فمن اغضب الله واسخطه في هذه
الدار بارتكاب مناهيه ولم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله
وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب واما المفصل فقد اخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الرجلين اللذين راهما يعذبان في قبورهما ان احدهما كان يمشي بالنميمة
بين الناس والاخر كان لا يستبرئ من البول والحديث في الصحيحين وغيرهما ولفظه لمر النبي
صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان لا يستبرئ
من البول واما الاخر فكان يمشي بالنميمة ثم اخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين ثم غرز على كل
قبر منهما واحدة قالوا لم فعلت هذا يا رسول الله قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا قال
الحافظ ابن رجب في كتابه اهوال القبور وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى
من وجوه متعددة من ابي بكر وعائشة وابي هريرة وانس وابن عمر وابي امامة وغيرهم من
الصحابة رضي الله عنهم اجمعين قال المحقق ابن القيم في الروح فهذا ترك الطهارة الواجبة
وذاك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وان كان صادقا وفيه تنبيه
على ان الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان اعظم عذابا كما ان في ترك الاستبراء
من البول تنبيها على ان من ترك الصلاة التي لم يستبرئ البول بعض شروطها اشد عذابا
وفي حديث سمعة اما احدهما فكان يأكل لحوم الناس فهذا مغتاب وذاك نمام وفي
صحيح البخاري في تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الافاق وفي حديث ابن عباس في الذي ضرب
في قبره سوطا امتلأ القبر عليه نارا لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومر على فطلوم فلم ينصره

وتعذيب

وتعذيب من قرأ القرآن ثم نام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار وتعذيب الزناة والزواني و
تعذيب اكلة الربا كما شاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ وحديث ابي هريرة وفيه وضخ
رؤس اقوام بالصخر لتثاقل رؤسهم عن الصلاة والذين يأكلون الرقوم والضريع لتركهم الزكاة
والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم والذين تقرض شفاههم عقاريض من حديد لقيامهم في
الفتن بالحلام والخطب ومن الذين يعذبون في قبورهم واخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم الجبارون والمتكبرون
والمرؤون والهمازون واللمازون والطعانون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين
فيسئلونهم ويصدقونهم واعوان الظلمة الذين باعوا اخرتهم بدنياهم غيرهم ونحو هؤلاء ومنهم يشتغل
بذنوب الناس عن ذنبه ويعيبهم عن عيبه فكل هؤلاء وامثالهم يعذبون في قبورهم بحسب
جرائمهم بحسب كثرتها وقلتها وصغرها وكبرها وما كان اكثر الناس كذلك كان اصحاب القبور
معذبين والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب فنسئل الله العافية
والرحمة والعفو والغفران وبالله الاعانة والعون **الرابعة** الاسباب المنجية من عذاب القبر على
قسمين ايضا مجمل ومفصل اما المجمل فهو بحسب ترك تلك الاسباب التي تقتضي العذاب ومن انفعها
ان يجلس عند نومه يريد النوم ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ثم يجدد توبة
نصوحا بينه وبين الله تعالى فينام على تلك التوبة ويعزم على ان لا يعود الى الذنب اذا استيقظ
ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وان استيقظ استيقظ مستقبلا للعمل
مسرورا بتاخير الاجل وليس للعبد انفع من هذه التوبة ولا سيما اذا عقب ذلك بذكر الله تعالى واستعمال
السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم فمن اراد الله به خيرا
وفقه لذلك ولا قوة الا بالله واما المفصل فمنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمان
الفارسي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر
وقيامه وان مات اجري عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتان وفي سنن
الترمذي من حديث فضالة ابن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم
على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه يجري عليه عمله الى يوم القيمة ويامن من فتنة القبر
قال الترمذي حديث حسن صحيح وتقدم ذكر الشهداء والذي يقرا تبارك الملك فعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال ضرب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب
انه قبر فاذا فيه انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت
خبائي على قبر وانا لا احسب انه قبر فاذا فيه انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر قال الترمذي حديث حسن غريب قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه
الروح وروينا في مسند عبد بن حميد عن ابراهيم ابن الحكم عن ابيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال لرجل الا احفدك بحديث تفرح به قال الرجل بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك احفظها واعلمها
اهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل او تخاصم يوم القيمة عند
ربها القارئ لها وتطلب له الى ربها ان ينجيه من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها
في قلب كل انسان من امتي قال ابو عمر بن عبد البر وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان سورة ثلاثين اية
شفعت في صاحبها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك **تنبيهات الاول** انكرت الملاحدة
والمزنادقة عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وانكروا
جلوس الميت في قبره قالوا وقد وضعوا على صدر الميت زبقا فلم يستغيثوا عنه فوجدوه بحاله
ولم يجدوا فيه ملائكة يضربونه بالمرازب الحديد ولا وجدوا حياة ولا عقارب ولا نيرانا
واجتنبوا واجلبوا من مثل هذه الوساوس والترهات وقال اخوانهم من اهل البدع والضلال كل حديث
يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطية ناقله قالوا ونحن نرى المصلوب على الخشبة المدة الطويلة
لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارا قالوا ومن افترسته السباع وهشمته الطير وتفرقت
اجزاؤه في حواصل الطيور واجواف السباع وبطون الحيتان ومدارج الرياح كيف يسأل وكيف يصير
القبر على مثل هذا روضة من رياض الجنة او يضيق واكثروا من هذا الهذيان واجاب
عن ذلك ائمة الحق من علماء السنة وامناء الامة بما يقمع المفترين ويقلع عن الشاكين منهم الامام
المحقق في كتاب الروح فانه اجاب عن ذلك بعدة اجوبة منها ان الرسل عليهم الصلاة والسلام
لم تخبر بما تحيله العقول بل اخبارهم قسمان احدهما ما تشهد العقول والفطرة السليمة به
والثاني ما لا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي اخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم
الاخر والثواب والعقاب فلا تكون اخبارهم محالا لان العقول اصلا والحاصل ان الانبياء لا تاتي
بمحالات العقول بل بما تحار فيها فكل خبر يظن انه العقل يحيله فلا يخلو من احد امرين اما
خطأ في النقل او فساد في العقل فكم من شبهة خيالية ظن صاحبها انها امر عقلي صريح والحال انه
خيال وهمي غير صحيح قال تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق واما الذين
في قلوبهم زيغ فلا يزداد ون الا رجسا على رجسهم ومنها ان يضم الى خبر الرسول صلى الله عليه وسلم
مراده ما غير غلوا ولا تقصيرا ولا يحمل كلامه على ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وعما قصده
من الهدى والبيان وباهمال ذلك حصل ما حصل من الضلال والعدول عن نهج الصواب ومنها

ان الله سبحانه

ان الله سبحانه جعل الدور ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار احكاما تختص بها
وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل احكام الدنيا على الابدان والارواح تبع لها ولهذا جعل
احكام الشريعة مرتبة على ما يظهر من حركات الانسان والجوارح وان اضمرت النفوس خلافه فالعقوبات
الدنيوية تقع على البدن الظاهر وتنال الروح بالتبعية وجعل احكام البرزخ على الارواح والابدان
تبع لها فكما تبعت الارواح الابدان في احكام الدنيا فنالت بالنعيم والتذت براحتها ولذاتها وكانت
هي المباشرة اسباب النعيم والعذاب فكذلك تبعت الابدان الارواح في نعيمها وعذابها وكان العذاب
والنعيم على الروح ولها بالاصالة والبدن تابع للروح في ذلك عكس دار الدنيا فاذا كان يوم حشر
الاجساد وقيام الناس من قبورهم لدار القرار والمعاد صار الحكم من النعيم والعذاب وغيرهما على
الارواح والاجساد بادي ظاهر اصلا وما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر ونعيمه
من هذا القبيل فاذا ظهر للذوق السليم طابق العقل المستقيم ومنها ان الله تعالى جعل امر الاخرة
وما كان متصلا به غيبا وحجبها عن ادراك العقول في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز
الذين آمنوا بالغيب من غيرهم فاول ذلك ان الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه وينالها هم
عيانا ويتحدثون عنده ومعه وربما كلمهم وردوا عليهم وتكون معهم الكفاءة والخوط اما من
الجنة واما من النار ويؤمن على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم
السلام تارة بلفظه وتارة باشارة وتارة بقلبه اذ لم يتمكن من النطق والاشارة وقد
سمع بعض المحتضرين يقول اهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه ومن ذلك حكايات كثيرة وقد
شاهدنا من ذلك ما لم يخطر بالبال ولا يتصوره الخيال ومنها ان النار التي في القبر ليست
من نار الدنيا فيشاهدها من شاء نار الدنيا واما هي من نار الاخرة وهي وان كانت اشد من نار الدنيا
الا انها شدت بالمعلى من هي له وعليه دونه ومن مستريحا من اهل الدنيا بل يمادفي الرجل الذي قبر فيكون
احدهما في روضة ونعيم والاخر في حفرة وعذاب اليم وقدرة الرب اعظم واعجب من ذلك ولكن
الحاذق لا يستعبد ومنها ان الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو اعجب من ذلك فهذا
جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويتمثل له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى
جانبه كالنبي صلى الله عليه وسلم لا يراه وكذلك غيره من الانبياء وكانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط
وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه وتعالى
يحدث من آدم عن كثير مما يحدثه الله في الارض وهو بينهم هذا جبريل كان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن والصحابة حضور لا يسمعونه وكيف يستنكر مما عرف الله وافق بقدرته ان يحدث حوادث

يصرف عنها ابصار خلقه واسماعهم حكمة منه ورحمة بهم لانهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد اضعف
بصرا وسمعا من ان يثبت لمشاهدة عذاب القبر وكثير ممن اشهده الله ذلك ضعف وغشي
عليه ولم ينتفع بالعيش زمنا وبعضهم كشف قناع قلبه فمات وسر المسئلة ان توسعة القبر
وضيقه واضاءته وخضرته ونارته ليس من جنس المعهود في هذا العالم والله سبحانه انما اشهد
عباده هذه الدار وما كان فيها ومنها واما ما كان من امر الآخرة فقد اسبل عليه الغطاء ليكون الاقرار
به والايمان به سبب السعادة لهم ولو كشف عنه الغطاء لكان مشاهدا عيانا وفاتت نتيجة الايمان
بالغيب وما يترتب على ذلك من الثواب قلت وحاصل ذلك ان ما اخبر به الصادق المصدوق
وجب الايمان به وقد تواتر عنه ذلك كما قدمناه ولم تحله العقول وحيث كان ممكنا فمعارضة
صحيح الاخبار الحاد وهو كما انه مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين اهل السنة قال المروذي
قال ابو عبد الله الامام احمد رضي الله عنه عذاب القبر حق لا ينكره الا ضال مضل وقال حنبل قلت
لابي عبد الله عذاب القبر فقال هذه احاديث صحاح نرويها ونؤمن بها ونقر بها كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم
اسناده جيدا قررنا به اذا لم نقر بما جاء به الرسول ورددناه رددنا على الله امره قال الله تعالى وما
اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قلت وعذاب القبر حق قال حق يعذبون في القبور
قال وسمعت ابا عبد الله يقول نؤمن بعذاب القبر ونكير ومنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر فقال سبحان الله
نعم نقر بذلك قلت هذه اللفظة تقول منكر ونكير هكذا او نقول ملكان قال منكر ونكير قلت
يقولون ليس في حديث منكر ونكير قال هو هكذا يعني انهما منكر ونكير قال الامام ابن القيم في كتاب
الروح واما ائمة اهل البدع والضلال فقال ابو الهذيل العلاف وبشر المريسي مما خرج عن سمة الايمان
فانه يعذب بين النفختين قالا والمسئلة في القبر انما تقع في ذلك الوقت قال ابن القيم ان الجبائي
وابنه والبلخي يقرون بعذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين وانفوه لاصحاب التخليد من الكفار
والفساق على اصولهم وبالله التوفيق التنبيه الثاني اتفق عند اهل السنة ان عذاب القبر
على النفس والبدن قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه العذاب والنعيم على النفس و
البدن جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب
متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون العذاب والنعيم عليهما في هذه الحالة مجتمعين كما يكون
على الروح منفردة عن البدن وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح فيه قولان مشهوران
لاهل الحديث والسنة واهل الكلام قال شيخ الاسلام وفي المسئلة اقوال شاذة ليست من اقوال
اهل السنة والحديث احدها قول من يقول ان النعيم والعذاب لا يكون الا على الروح وان البدن

لا ينعم ولا يعذب قال وهذا قول الفلاسفة المنكرين لمعاد الابدان وهؤلاء كفار باجماع المسلمين
ويقابله كثير من اهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون
ذلك فقط ويقولون ان الارواح هي المنعمة والمعذبة في البرزخ فاذا كان يوم القيمة عذبت الروح
والبدن معا قال وهذا قالت طوائف من المبتدعة من اهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم
وابن عقيل قال وهذا ليس من الاقوال الشاذة بل هو مضاف الى قول من يقر بعذاب القبر ويقر بالقيامة
ويثبت معاد الابدان والارواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة اقوال على الروح فقط عليها
وعلى البدن بواسطتها على البدن فقط وهل يضم الى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر
ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الفساد قول منكر عذاب الابدان مطلقا وقول من ينكر عذاب الروح مطلقا
فاذا جعلت الاقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثاني الشاذ قول من يقول ان الروح بمفردها
لا تنعم ولا تعذب وانما الروح هي الحياة وهذا يقوله طوائف من اهل الكلام من المعتزلة والاشعرية
كالقاضي ابي بكر ابن الباقلاني وغيره وينكرون ان الروح تبقى بعد فراق البدن وهو قول باطل وقد
خالفه اصحابه ابو المعالي الجويني وغيره بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الامة ان الروح تبقى
بعد فراق البدن اما منعمة او معذبة قال والفلاسفة الالهيون يقرون بذلك لكن ينكرون
معاد الابدان وهؤلاء يقرون بمعاد الابدان لكن ينكرون معاد الارواح وتنعيمها وعذابها بدون
الابدان وكلا القولين خطأ وضلال نعم قول الفلاسفة ابعد عن اقوال اهل الاسلام وان وافقهم
عليه من يعتقد انه يتمسك بدين الاسلام بل يظن انه من اهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام
القول الثالث الشاذ قول من يقول ان البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل لا يكون ذلك حتى تقوم
الساعة الكبرى كما يقول ذلك بعض المعتزلة وغيرهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الروح
لا تبقى بعد فراق البدن وان البدن لا ينعم ولا يعذب فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في امر البرزخ
الا انهم خير من الفلاسفة لانهم مقرون بالقيمة الكبرى انتهى فاذا علمت هذه الاقوال وعرفت
بطلانها فاعلم ان مذهب سلف الامة وائمتها ان الانسان اذا مات يكون في نعيم او عذاب وان
ذلك يحصل لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة او معذبة وانها تتصل بالبدن
احيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم اذا كان يوم القيمة الكبرى اعيدت الارواح الى الاجساد
وقاموا من قبورهم لرب العباد قال ابن القيم والذين قالوا ان عذاب القبر يجري على الميت من غير
رد الروح الى الاجساد وان الميت يجوز ان يألم ويحس باللم ويعلم بالروح هم جماعة من
الكرامية ومن وافقهم وقالت جماعة من المعتزلة ان الله تعالى يعذب الموتى في قبورهم ويحيي فيهم الالم

وهم لا يشعرون فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام واحسوا بها قالوا وسبيل المعذبين من الموتى سبيل السكران والمغمى عليه لو ضربوهم لم يجدوا الآلام فاذا عاد اليهم العقل احسوا بالم الضرب و الكل جماعة منهم عذاب القبر راسا مثل بن عمر ويحيى بن كامل وهو قول المريسي فهذه اقوال اهل الحيرة والضلال وقد علمت مذهب سلف الامة واعيان الائمة والله اعلم الثالث تقدم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب نال نصيبه منه قبر او لم يقبر وفي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في ذكر منام النبي صلى الله عليه وسلم الطويل وروايته المعذبين وكيف يعذبون فانه نص في عذاب البرزخ ورؤيا الانبياء وحي وطابق لما في نفس الامر وبالله التوفيق الرابع زعم ابو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل ان من ظن الميت يحيى في قبره قبل يوم القيمة فقد اخطا قال لان الايات تمنع من ذلك يعني قوله تعالى ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم قال ولو كان الميت يحيى في قبره لكان الله تعالى قد اماتنا ثلاثا واحيانا ثلاثا قال وهذا باطل وخلاف القرآن الامر احياه الله تعالى لنبيه من الانبياء والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وخضه نصر وكذلك قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى قال فصح بنص القرآن ان ارواح سائر من ذكرنا لا ترجع الى اجسادها الا الى اجل مسمى وهو يوم القيمة وذكر في مثل هذا تخيلات وهي ايات محكمات حملها على غير محاملها ثم قال ولم يات قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان ارواح الموتى ترد الى اجسادهم عند المسئلة ولو صح ذكر عنه لقلنا به قال وانما تفرد بهذه الزيادة من رد الارواح الى الاجساد في القبور المنهال بن عمرو وليس بالقوي تركه سعيد وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو احد الائمة ما جازت للمنهال بن عمرو شهادة في الاسلام على ما قد نقل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك قال وهذا الذي قلناه هو الذي صح ايضا عن الصحابة وذكر اثارا راين عنهم لها تدل على ما قال قال الامام المحقق ابن القيم ان ايراد ابن حزم بقوله من ظن ان الميت يحيى في قبره فقد اخطا الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتدبره ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطاء كما قال والحس والعقل يكذب به كما يكذب به النص وان اراد به حياة اخرى غير هذه الحياة بل يعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا البسال ويحيى في قبره فهذا حق ونفيه خطا وقد دل عليه النص الصريح الصحيح وهو قوله فتعاد روحه في جسده في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما

قال كنا

قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله كان على رؤسنا الطير وهو يلحد فقال اعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في اقبال من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة كان وجوههم الشمس فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فياخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها الحديث وفيه فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فتعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما علمك فيقول قرات كتاب الله فامنت به وصدقت الحديث وكذلك في حق الكافر وفيه فتعاد روحه في جسده ويانيه ملكان فيجلسانه الحديث رواه الامام احمد وابو داود وروى النسائي وابن ماجه اوله ورواه ابو عوانة الاسفرائيني قال ابن القيم ان قوله ثم تعاد روحه في جسده لا يدل على حياة مستقرة وانما يدل على اعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وان بلي وتمزق وسر ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق متغايرة الاحكام احدها تعلقها به في بطن الام جنينا الثاني تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض الثالث تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه الرابع تعلقها به في البرزخ فانها وان فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها اليه التفات البتة وقد دل من الاحاديث ما يدل على رد ها اليه وكذلك ثبت انها ترد اليه عند سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيمة الخامس تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو اكمل تعلقا بها بالبدن ولا نسبة لما قبله من انواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا افسادا وقول ابن حزم في المنهال ما قال يحامل منه بارد فالمنهال ابن عمرو احد الثقاة العدول قال الامام يحيى بن معين ثقة وقال العجلي كوفي ثقة واعظم ما قيل فيه انه سمع من بيته صوتا وهذا لا يوجب القدح في روايته وتضعيف ابن حزم له غير معتبر فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله فتعاد روحه في جسده وقد استدرك عليه زعمه تفرد بها الامام المحقق ابن القيم وبين انه لم ينفرد لها بل رواها غيره وقد روي ما هو ابلغ منها

ونظيرها كقوله فترد اليه روحه وقوله فيستوي جالسا وقوله فيجلس في قبره
وكلها احاديث صحاح لا مغمز فيها والاحاديث الصحيحة صريحة بخلاف ما زعم ابن حزم واطال
ابن القيم في ذلك بما يشفي ويكفي وبالله التوفيق **فصل** في ذكر الروح والكلام عليها
وقد اشار الى قطرة من بحر لجي من متعلقاتها فقال ومما ينبغي العلم به ان ارواح بني آدم جمع روح
وقد اختلف في حقيقتها وهل هي النفس او غيرها وهل هي جزء من البدن او عرض من اعراضه او جسم
مساكن له مودع فيه او جوهر مجرد قد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف واضطربت
فيها اقوالهم وكثر فيها خطأوهم ومن الناس من امسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي الآية وهدى الله اتباع الرسول وسلف الامة واهل السنة لما اختلفوا
فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قال الامام ابن القيم بعد ما ساق اقوال الناس
في حقيقة الروح على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم وذكر عدة مذاهب وزيفها ثم قال والصحيح
ان الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسد المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي
متحرك ينفذ في جواهر الاعضاء وتسري فيها سريان الماء الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار
في الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسد اللطيف بقي هذا
الجسم اللطيف متشبثا بها بهذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار وافاد هذه الآثار من الحس والحركة و
الارادة واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك
الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح قال وهذا القول هو الصواب في المسئلة وهو الذي
لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل و
الفطرة وذكر له مائة دليل وخمسة عشر دليلا واجاد وافاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وامثالهما
ونحوهما فائدة ذكر بعض المتكلمين ان محل الروح القلب واستدل لذلك بحديث ابن عساكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اما النفس ففي القلب والقلب بالنياط والنياط يسقي العروق فاذا هلك القلب
انقطع العرق وهذا حديث مرسل وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة فيه غريب كثير واسانيده ضعيفة
جدا والله اعلم واما اختلاف الناس في الروح هل هي النفس او غيرها فمن الناس من قال انهما اسمان لمسمى
واحد وهذا قول الجمهور وقيل بل هما متغايران قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح النفس
تطلق على امور احدها الروح قال الجوهري النفس الروح يقال خرجت نفسه قال ابو خراش

الشاعر

الشاعر نبئت ابا بني تميم ادخلوا انيابهم تامور نفس المنذر والتامور الدم والنفس العين يقال اصابت
فلانا نفس اي عين قال ابن القيم ليس كما قال فان النفس ها هنا الروح ونسبة الاصابة الى العين
توسع لانها تكون بواسطة النظر والذي اصابه انما هو نفس العاين وتطلق النفس على الذات كقوله تعالى
فاقتلوا انفسكم ولا تقتلوا انفسكم وقوله تعالى كل نفس تجادل عن نفسها كل نفس بما كسبت رهينة
وتطلق النفس على الروح وحدها كقوله تعالى ايتها النفس المطمئنة واخرجوا انفسكم ونهى النفس عن الهوى
وقوله ان النفس لامارة بالسوء ولا اقسم بالنفس اللوامة واما الروح فلا تطلق على البدن الا بانفراده ولا
مع النفس وتطلق الروح على القرآن كقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وعلى الوحي كقوله تعالى
يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق وقال ينزل الملائكة بالروح من امره
على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وانما سمي ذلك روحا لما يحصل به من الحياة
النافعة فان الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان البهيم خير منها واسلم عاقبة
وسميت الروح روحا لان بها حياة البدن وكذلك سميت الريح ريحا لما يحصل بها من الحياة
وهي مذكرة وات الواو ولهذا يجمع على ارواح قال الشاعر اذا هبت الارواح من نحو ارضكم وجدت بردها
على كبدي بردا ومنها الروح والريحان والاستراحة فسميت النفس روحا لحصول الحياة بها
وسميت نفسا لما في التنفيس لنفاستها وشرفها ولما فيها من تنفس الشيء اذا خرج فللنفس خروجا
ودخولا في البدن سميت نفسا ومنه التنفس بالتحريك فان العبد كلما نام خرجت منه فاذا استيقظ
رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث رجعت
اليه قال ابن القيم فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمي الدم نفسا لان
خروجه الذي يكون معه الموت يلازم خروج النفس وان الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس فلهذا قال
السموءل تسيل على حد الظباة نفوسنا وليست على غير الظباة تسيل ويقال فاضت نفسه وخرجت
نفسه وفارقت نفسه كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع بكثرة وسرعة يقال
افاض اذا دفع باختيار واراده وفاض اذا دفع قهرا وقسرا فالله سبحانه هو الذي يفيض نفوسا عند
الموت فتفيض هي وقالت فرقة من اهل الحديث والفقه والتصوف الروح غير النفس قال ابن سريج
للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل
تخرج كجمل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فهو تتقلب
وتتنفس فاذا حركت رجعت اليه اسرع من طرفة عين فاذا اراد الله تعالى ابقاءها في المنام امسكت تلك
النفس التي خرجت وقال ايضا اذا نام خرجت نفسه فصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت

فاخبرت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح ويعلم انه قد رئ كيت وكيت وقال ابو عبد الله بن منده
من اصحابنا ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس ظلمانية نارية والروح نورية روحانية
وزعم بعضهم ان الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وان الخلق بها ابتلي وقال طائفة من اهل الاثر
ان الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة
والبلا معجون فيها ولاعدو اعدى لابن آدم منها فان النفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها والروح تدعو
الى الآخرة وتؤثرها وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى وجعل الملك مع
العقل والروح والله سبحانه وتعالى يعديهما بالهامه وتوفيقه وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى حقيقتها
وعلمها عن الخلق وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياة من حياة الله وقالت طائفة للمؤمن
ثلاثة ارواح وللكافر والمنافق روح واحدة وقال بعضهم للانبياء والصديقين خمسة ارواح و
قال بعضهم الارواح خلقت من الملكوت فاذا صفت رجعت الى الملكوت ذكر هذا كله الامام ابن القيم
في كتاب الروح ثم قال قلت الروح التي تتوفى وتقبض روح واحدة وهي النفس واما ما يؤيد الله
به اولياءه من الروح وفي روح اخرى غير هذه الروح كما قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم
بروح منه وكذا التي ايد بها عيسى ابن مريم عليه السلام في قوله اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ
ايدتك بروح القدس وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده هي غير الروح التي في البدن وان
اطلق عليها ارواحا كما يقال الروح الباصرة والروح السامعة والشامة فهي قوى مودعة في الابدان
لموت بموت الابدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى البدن قلت وتطلق
الروح على اخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله تعالى والانابة اليه ومحبته والتنعم بذكره
وارادته ونسبة هذه الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن
اذا فقد روحه وهي الروح التي يؤيد بها اهل ولايته ولهذا يقال فلان فيه روح وقلان ما فيه روح
وهو بيت وهو قصبة فارغة ونحو ذلك فللعلم روح وللاجساد روح وللاخلاص روح وللمحبة
روح وللانابة روح وللتوكل والصدق روح والناس متفاوتون في هذه الارواح اعظم تفاوت
فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها او اكثرها فيصير ارضيا
نعوذ بالله المستعان وقوله الورى محل الجر بالاضافة الى الارواح اي ارواح الورى قال
في القاموس والورى كغنى الخلق والمراد بنو آدم ومثلهم الجن فيما يظهر لان التكليف والمعاد والحساب
يشملهم لم تعدم بموت الابدان التي كانت فيها ولا تموت هي ولا تفنى وزعمت طائفة انها تموت
وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت قالوا ودلت الآية على انه لا يبقى الا الله وحده

كما قال تعالى

كما قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال تعالى كل شيء هالك الا وجهه
قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية اولى والدليل على عدمها قدمها ولهذا قال الصواب
عدمها مع كونها اي الارواح مخلوقة لله ومحدثة ومربوبة اوجدها بعد ان لم تكن فاستفهم
اي اطلب علم ذلك من مظانه واستكشفه من مكامنه يقال فهم لفرح فهما وفهامة فهو فهم
علم الشيء وعرفه بالقلب وهو فهم كفرح سريع الفهم واستفهمني طلب مني فهم المطلوب فافهمته و
فهمته فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لاكتساب الآراء والذكاء جودة تلك القوة والذهن قيل
يرادف الفهم وقدمنه في القاموس فقال الذهن بالكسر الفهم والعقل وحفظ القلب والفطنة وقال غيره
الذهن هو نفس القوة والفهم استعمالها واما حث على طلب الفهم في ذلك وامعان التدقيق لادراك المدارك
لاختلاف عقالات الناس في هذا المقام ولانه مزلة اقدام ومظنة اوهام وحاصل ذلك انه ذكر مسئلتين
عظيمتين الاولى ان الروح مخلوقة محدثة والثانية ان العدم لا يدركها والفنا لا يلحقها ولنذكر ادلة
كل مسئلة وحكمها وما فيها من الخطا والصواب على حدتها ولنقدم اولا ما اخره في النظم نظر الواقع
فنقول اعلم رحمك الله ان هذه المسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف من بني آدم وهدى الله
اتباع رسله فيها للحق المبين والصواب المستبين فاجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على ان روح
الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة عبدة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله
وسلامه عليهم كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع وان الله تعالى وحده
الخالق وكل ما سواه مخلوق له وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك
من غير اختلاف بينهم في حدوثها وانها مخلوقة حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم
انها قديمة غير مخلوقة واحتج لذلك بانها من امر الله وامر الله غير مخلوق وباضافة الله اضافها اليه كما اضاف اليه
علمه وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده ووقف آخرون فقالوا لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة
وقد سئل عن ذلك حافظ اصبهان ابو عبد الله بن منده من اعيان علمائنا فقال اما بعد فانك سألت
يسئل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام انفس الخلق وابدانهم وذكروا قولا ما تكلموا في الروح وزعموا انها
غير مخلوقة وخص بعضهم منها ارواح القدس والهمام ذات الله قال وانا اذكر اقاويل متقدميهم وابين
ما يخالف اقاويلهم من الكتاب والاثر واقاويل الصحابة والتابعين واهل العلم واوضح به خطا المتكلم
في الروح بغير علم وانه كلام لم يوافق قول جهم بن صفوان واصحابه قد ذكر ان الناس اختلفوا في معرفة
الارواح ومحلها من النفس فقال بعضهم الارواح كلها مخلوقة قال وهذا مذهب اهل الكتاب والاثر واحتج
بقول النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رواه احمد

ومسلم وابو داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ورواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ورواه الطبراني
من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وروي ايضا من حديث سلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وامير المؤمنين
علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عنبسة رضي الله عنهم اجمعين والجذوذ الجذاذة لا تكون الا مخلوقة
وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتج بقوله تعالى قل الروح من امر ربي
وقال بعضهم الارواح نور من الله تعالى وحياة من حياته واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه
من ظلمة ثم القى عليهم من نوره وتمام الحديث في اصابه من ذلك النور يوم منذ اهتدى ومن اخطأه ضل
رواه الامام احمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقال محمد بن نصر المروزي
في كتابه تاولت صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح بني آدم ما تاولته النصارى في روح عيسى
وما تاولته قوم من ان الروح انفصل من ذات الله تعالى وتقدست اسماؤه فصارت في المؤمن فعبد صنف
من النصارى عيسى ومريم جميعا لان عيسى عندهم روح من الله فصارت في مريم وهو غير مخلوق عندهم
وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح آدم عليه السلام مثل ذكر انه غير مخلوق وتاولوا
قوله ونفخت فيه من روحي وقوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه فزعموا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تاول
من قال ان النور من الرب غير مخلوق قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ثم هو في كل نبي ووصي
الى ان صار في علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم في ابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما ثم في كل وصي وامام
فيه يعلم الامام كل شيء لا يحتاج ان يتعلم من احد قال ولا اختلاف بين المسلمين ان الارواح في آدم
وبني عيسى وسواه من بني آدم كلها مخلوقة لله خلقها وانشاها وكونها واخبر عنها ثم اضافها
الى نفسه كما اضاف اليه سائر خلقه قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه قال
شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق الائمة وايمانها وسائر
اهل السنة وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من ائمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي
الامام المشهور الذي هو من اعلم الناس بالاجماع والاختلاف وكذلك ابو محمد بن قتيبة وقال الامام
ابو اسحق بن شاقلا من ائمة علمائنا وهذا يعني كون الروح مخلوقة مما لا شك فيه عند من وفق للصواب
ان الروح من الاشياء المخلوقة قال الامام المحقق في كتاب الروح قد تكلم في هذه المسئلة طوائف من
اكابر العلماء والمشائخ ورد واعلى من زعم انها غير مخلوقة وصنف الحافظ ابو عبد الله بن منده في
ذلك كتابا كبيرا وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره واسحق ابو سعيد الخزاز وابو يعقوب الهرجوري
والقاضي ابو يعلى وقد نص على ذلك الائمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم
عليها السلام فكيف بروح غيره كما ذكره الامام احمد رضي الله عنه فيما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة

والجهمية

والجهمية قال ثم ان الجهمي ادعى امرا فقال انا احد آية في كتاب الله حماد ليدل على ان القرآن مخلوق قول الله تعالى انما
المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وعيسى مخلوق قلنا لا ان الله منعك
الفهم للقرآن ان عيسى تجري عليه الفاظ لا تجري على القرآن لانا نسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما
ياكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهي تجري عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح وذرية
ابراهيم فلا يحل لنا ان نقول في القرآن ما نقول في عيسى الا ما قال والكلمة التي القاها الى مريم حين قال له
كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكن من الله قول وليس بمخلوق وكذبت النصارى
والجهمية على الله في امر عيسى وذكان الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا ان كلمته مخلوقة وقالت النصارى
عيسى روح الله وكلمته فالكلمة من ذاته كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب قلنا نحن ان عيسى بالكلمة
كان وليس هو الكلمة وانما الكلمة قول الله وقوله تعالى وروح منه يقول من امره كما ان الروح فيه كقوله
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يقول من امره وتفسير روح الله انما معناها بالكلمة الله
خلقها كما يقال عبد الله وسماؤه وارض الله فقد صح بان روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح
وقد اضاف الله اليه الروح الذي ارسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق
فقال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما
انا رسول ربك فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله ومما ينبغي ان يعلم ان المضاف الى الله سبحانه
نوعان صفات لا تقوم بانفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر وهذه اضافة صفة
الى الموصوف بها فالعلم والقدرة الخ صفات لله تعالى غير مخلوقة وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخبرية
والذاتية وكذلك الفعلية من التكوين والمحبة والرضا ونحوها في مذهب السلف كما مر والثاني اضافة
اعيان منفصلة كبيت الله وناقة الله وعبد الله ورسول الله وكذلك روح الله فهذه اضافة مخلوق
الى خالقه ومصنوع الى صانعه لكنها تقتضي تخصيصا وتشريفا يتميز بها المضاف اليه عن غيره كبيت الله
وان كانت كل البيوت لله ملكا له وكذلك ناقة الله والنوق كلها لله ملكا له وخلقه ولكن هذه اضافة الى الالهية
تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وايجاده فالاضافة
العامة تقتضي الخلق والايجاد والخاصة تقتضي الاختيار والاصطناع، ويختار فاضافة الروح اليه
تعالى هذه الاضافة الخاصة لائق العامة ولائق باضافة الصفات فتامل هذا الموضع فانه نفيس
يخلص من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس كما اوضحه وبرهن عليه وبينه الامام المحقق
في كتاب الروح وقال ان الروح يوصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا شانه المحدث المريب
واطال في الاحتجاج ودفع مقالات اهل البدع واللجاج وثمرة ذكر كونه الروح مخلوقة بالاجماع

والله تعالى الموفق المسئلة الثانية مما ذكرنا في اصل العقيدة بقاء الارواح وانه لا يلحقها عدم ولا فناء ولا اضمحلال لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان وقد دلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد مفارقتها الابدان الى ان يرجعها الله تعالى اليها ولو ماتت الارواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم مع القطع بان ارواحهم قد فارقت اجسادهم وقد ذاقت الموت قال المحققون من اهل السنة الصواب ان موت النفوس هو مفارقتها الاجساد وخروجها منها فانه اريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان اريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فانها لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم او عذاب وقد نظم احمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف فقال

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم ... الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء في العطب

والشجب بالشين المعجمة والجيم فموحدة محركا الحزن والعطش يصيبه مرض او قتال كذا في القاموس قال فان قيل فبعد النفخة في الصور هل تبقى الارواح حية كما هي او تموت ثم تحيى فالجواب قد قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فقد استثنى الله تعالى بعض من في السموات ومن في الارض من هذا الصعق فقيل هم الشهداء وهذا قول ابي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وسعيد بن جبير رحمه الله وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهو قول مقاتل وغيره وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من اهل العذاب وخزنتها قال الامام ابو اسحق بن شاقلا من اصحابنا وقد نص امامنا الامام احمد رضي الله عنه على ان الحور العين والولدان لا يموتون عند النفخ في الصور وقد اخبرنا سبحانه ان اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وهذا نص على انهم لا يموتون بغير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان واما قول اهل النار ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فتفسر هذه الاية التي في سورة البقرة وهو قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكانوا امواتا وهم نطف في اصلاب ابائهم وفي ارحام امهاتهم ثم احياهم بعد ذلك ثم اماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك اماتة ارواحهم قبل يوم القيامة والا كانت ثلاث موتات وصعق الارواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها ففي الحديث الصحيح ان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون اول من يفيق فاذا موسى اخذ بقائمة العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة

يوم الطور

يوم الطور فهذا صعق في موقف القيامة اذا جاء الله لفصل القضاء واشرقت الارض بنوره فحينئذ يصعق الخلائق كلهم قال تعالى فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ولو كان هذا الصعق موتا لكان موتة اخرى قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال ابو عبد الله القرطبي ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عند نفخ الصور قال وقد قال شيخنا احمد بن عمر وظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ان هذه الصعقة انما هي بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضي ان ذلك الاستثناء انما هو بعد نفخة الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل ان يكون موسى عليه السلام ممن لم يمت من الانبياء وهذا باطل وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بهذه صعقة فزع المشار اليها بعد النشور حين تنشق السموات والارض قال فتنشق الاحاديث والآثار ورد عليه القرطبي فقال يرد هذا قوله في الحديث الصحيح انه حين يخرج من قبره يلقى موسى اخذا بقائمة العرش قال وهذا انما هو عند نفخة الفزع قال ابو عبد الله القرطبي قال شيخنا احمد بن عمر والذي يزيح هذا الاشكال ان الله تعالى انما اخبر ان الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد موتهم وقتلهم احياء عند ربهم يرزقون فرحين وهذه صفة الاحياء في الدنيا واذا كان هذا في حال الشهداء كان الانبياء بذلك احق واولى مع انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وانه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصا بموسى عليهم السلام وقد اخبر نبينا صلى الله عليه وسلم انه مر على موسى يصلي عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام الى غير ذلك مما يحصل من مجموعه القطع بان موت الانبياء انما هو راجع الى انهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وانه كانوا موجودين احياء وذلك كالحال في الملائكة فانهم احياء موجودون ولا نراهم واذا تقرر لهذا احيا فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات والارض الا من شاء الله فاذا صعق غير الانبياء مات واما صعق الانبياء فالاظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور نفخة البعث قام حي وممن غشي عليه افاق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته فاكون اول من يفيق فابصر موسى اول من يخرج من قبره قبل جميع الناس لانه حصل له تردد هل بعث قبله من غشية او بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق فيفيق لان هذا حسب بصعقة يوم الطور وهذه فضيلة عظيمة لموسى عليه السلام ولا يلزم من فضيلة واحدة فضيلة موسى عليه السلام على نبينا مطلقا لانه الشيء الجزئي لا يوجب امرا كليا انتهى قال ابو عبد الله القرطبي انا حمل الحديث على صعقة الخلق

يوم القيمة فلا اشكال وانما حمل على صعقة الموت عند النفخة في الصور فيكون ما ذكر يوم القيمة مراد به اوائله
فالمعنى اذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت اول من يرفع راسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش
فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور قال المحقق ابن القيم وحمل الحديث على هذا لا يصح
لانه صلى الله عليه وسلم ترددهل افاق موسى قبله اولم يصعق بل جوزي بصعقة الطور فالمعنى لا ادري
اصعق ام لم يصعق وقد قال في الحديث فاكون اول من يفيق وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم يصعق
فمن يصعق ولو كانت المرادبه الصعقة الاولى وهي صعقة الموت لكان قد جزم بموته وترددهل
مات موسى اولم يمت وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم انها صعقة فزع لا صعقة موت وحينئذ فلا
تدل الاية على ان الارواح تموت عند النفخة الاولى بعد تدل على موت الخلايق عند النفخة الاولى وكل
عاقل يذوق الموت قبلها فانه يذوقه حينئذ واما من ذاق الموت اولم يكتب عليه الموت فلا تدل الاية على
انه يموت موتة ثانية والله اعلم **تتمة** في مسائل مما نحن بصدده من امر الروح الاولى اختلف في
خلق الارواح هل كان قبل الاجساد او تاخر عنها للناس فيه قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام
ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم وغيرهما وممن ذهب الى تقدم خلق الارواح على الاجساد محمد بن نصر
المروزي وابو محمد بن حزم بل حكاه بن حزم اجماعا واصحها ما قال بذلك نجم منها قوله تعالى ولقد خلقناكم
ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية الكريمة
ان خلقنا مقدم على امر الملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعا انه ابدانا حادثة بعد ذلك
فعلم ان الارواح قالوا ويدل عليه قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى وهذا الاستنطاق والاشهاد انما كان للارواح اذ لم تكن الابدان
حينئذ موجودة ففي موطا الامام مالك ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه
الآية واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل عنها
فقال خلق الله ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون
وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة
واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار قال
الحاكم هذا حديث على شرط مسلم وروى الحاكم من حديث ابي هريرة مرفوعا لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط
من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبيصا من نور

ثم عرضهم

ثم عرضهم على ادم فقال من هؤلاء يا رب قال هؤلاء ذريتك فرئي رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال
يا رب من هذا فقال ابنك داود فكتب له في اخر الامم قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة قال يا رب زده
من عمري اربعين سنة فقال له اذا كنت فيختم فلا يبدل فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال اولم
يبق من عمري اربعون سنة قال اولم تجعلها لابنك داود فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته وخطئ
فخطئت ذريته قال الحاكم هذا على شرط مسلم ورواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه الامام
احمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت اية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من جحد
آدم عليه السلام وزاد بن سعد ثم اكمل الله لآدم الف سنة ولداود مائة سنة وفي صحيح الحاكم ايضا
عن ابي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الاية قال جمعهم له يومئذ
جميعا ما هو كائن الى يوم القيمة فجعلهم ارواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا واخذ عليهم
العهد والميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا
عن هذا غافلين قال فاني اشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع واشهد عليكم ابا كم ادم
ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيأ فاني ارسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي
وميثاقي وانزل عليكم كتبي فقالوا نشهد انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ورفع لهم ادم فرئي فيهم
الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك فقال اني احببت ان اشكر
ورئي فيهم الانبياء مثل السرج وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وهو قوله فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله وهو قوله هذا نذير من النذر الاولى وقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وانه وجدنا
اكثرهم لفاسقين قال وكان روح عيسى من تلك الارواح التي اخذ عليها الميثاق فارسل ذلك الروح الى
مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فدخل منفتحها وهذا اسناد صحيح واخرجه اسحق بن راهويه
ورواه محمد بن نصر المروزي من حديث عبد الله بن سلام وقد روي ذلك من وجوه متعددة عن جماعة
من الصحابة متعددة وفيها انه اخرجهم مثل الذر ومثل اللؤلؤ بياضا وروى اسحق حدثنا روح
ابن عبادة ثنا موسى بن عبيدة الزبيدي قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في هذه الاية واوله
بالايمان والمعرفة الارواح قبل ان تخلق اجسادها وحدثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن عطاء
في هذه الاية قال اخرج ما في صلب ادم حين اخذ الميثاق ثم رد ما في صلبه واخرج عن الضحاك قال
ان الله اخرج من ظهر ادم يوم خلقه ما يكون الى يوم القيمة فاخرجهم مثل الذر فقال الست بربكم قالوا
بلى قالت الملائكة شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ثم قبض قبضة بيمينه

قال صح

فقال هؤلاء في الجنة وقبض اخرى وقال هؤلاء في النار واحتجوا ايضا بما اخرجه الامام عبد الله بن احمد في مسنده من
حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه مرفوعا ان الله خلق ارواح العباد قبل العباد بالنوعام فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال الآخرون بل خلقت الاجساد قبل الارواح واحتجوا بنحو منها
قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن فدل ان
جملته مخلوقة بعد خلق الابوين واصرح منه قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني
بعد خلق اصله وايضا فخلق ابي البشر واصلهم كان هكذا افاده الله ارسل جبريل فقبض قبضة من الارض
ثم خمرها حتى صارت طينا ثم صوره ثم نفخ فيه الروح بعد ان صوره فلما دخلنا الروح فيه صار الحما
ودما حيا ناطقا ففي تفسير ابي حاتم وابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود
رضي الله عنه وعن ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما احب استوى على العرش
فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم
خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره وقال ما اعطاني الله هذا الا لمزية لي
وفي لفظ الا لمزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك اللعين في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله تعالى
للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وذكر الاثر الى ان قال فبعث جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها
فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع ولم يأخذ وقال رب انها عاذت بك فاعذتها
فبعث ميكائيل فاستعاذت منه فاعاذها فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وانا اعوذ بالله
ان ارجع ولم انفذ امره فاخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد فاخذ تربة حمراء و
بيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل الرب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو
الذي يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فخلقه بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول تتكبر عما خلقت بيدي ولم اتكبر انا
عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من اربعين سنة فمر به الملائكة فزعوا منه لما رأوه وكان
اشدهم فزعا منه ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة
فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لامر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره فقال
للملائكة لا تروعوا من هذا فانه ربكم صمد وهذا اجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين
الذي يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه الروح فاسجدوا له
فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله

يرحمك

يرحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل ان يبلغ الروح
رجليه فنهض عجلانا الى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى خلق الانسان من عجل وذكر ما في الحديث في القرآن
والحديث والآثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدث فيه الروح
ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة ارواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولا تعجب من خلق
النار في حديث ابن زيد ان الله لما خلق النار ذعر منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه
النار ولاي شيء خلقتها قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن مما خلق يومئذ الا الملائكة والارض ليس فيها خلق
انما خلق آدم بعد ذلك الحديث فلو كانت الارواح مخلوقة يومئذ لما تعجبت الملائكة من خلق النار وقالت
لاي شيء خلقتها وهي ترى ارواح بني آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث ولان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان خلق بني آدم
يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك
فينفخ فيه الروح فالملك وحده يرسل اليه فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولهذا
يقال يرسل اليه الملك بالروح فيدخلها في بدنه وانما ارسل اليه الملك فاحدث فيه الروح بنفخة فيه لا انه
تعالى ارسل اليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك مع الملك فرق بين ان يرسل اليه ملكا ينفخ فيه الروح
وبين ان يرسل اليه روحا مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك وتامل ما دل عليه النص قال ابن القيم في كتابه
الروح واختار ان خلق الجسد مقدم على خلق الروح وزيف كلام ابن حزم وغيره بما يطول ذكره وحاصل
ما ذكره الذي استدل به من اخذ الله الميثاق على ذرية آدم والعهد والاشهاد لا يدل على تقدم
خلق الارواح قبل الاجساد خلقا مستقرا وانما غاية ما فيها ان تدل على اخراج صورهم وامثالهم في
صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم الى اصلهم ان صح الخبر بذلك والذي صح انما هو القدر السابق وتقسيمهم
الى شقي وسعيد واما استدلال ابي محمد بن حزم بقوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فلا يتم هذا الاستدلال بظاهره لان ترتيب الامر بالسجود لادم على خلقنا وتصويرنا
والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك مما اخبر عنه خلق آدم عليه السلام ولهذا قال ابن عباس
رضي الله عنهما ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وقال مجاهد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم
في ظهر آدم وانما قال خلقناكم بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما يقال ضربناكم وانما ضربت سيدهم قال
واما حديث خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام فلا يصح اسناده قال فيه عتبة بن السكن قال
الدارقطني متروك وفيه ايضا ارطاة بن المنذر وبعض احاديثه غلط والحاصل ان الذي ذهب اليه
ابن القيم تبعا لشيخه وجموع ان خلق الاجساد مقدم على خلق الارواح وذهب محمد بن نصر المروزي

وابو محمد بن حزم والامام اسحق بن راهويه الى تقدم خلق الارواح وبالله التوفيق فادلتان
الاولى روى الامام احمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخذ الله
عز وجل الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه
كالذر ثم كلمهم قبلا قال الست بربكم قالوا بلى شهدنا قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه منير
العزم الساكن الى اشرف الاماكن هذا الحديث يدل على ان ذلك المكان اول وطن والنفس ابدا تنازع
الى الوطن الاول الثانية ذكر الامام ابو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى في الكتاب المذكور ان الله عز وجل
لما اخذ الميثاق كتب كتابا على الذرية فالقمه هذا الحجر يعني الحجر الاسود وهو يشهد للمؤمن
بالوفاء وعلى الكافر بالجحود قال وهذا مروي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقال
العلماء ولهذه العلة يقول لامسه ايمانا بك ووفاء بعهدك انتهى المسئلة الثانية من مسائل
متعلقات الروح اين مستقر الارواح ما بين الموت الى القيمة هل هو في السماء ام في الارض
وهل هي في الجنة والنار ام لا وهل تودع في اجسادها تكون مجردة فهذه من المسائل العظام
قد تكلم فيها الناس واختلفوا في ذلك وهي انما تتلقى من السمع فقط ومع ذلك فقد اختلفت
فيها اقوال العلماء وتباينت في محالها اراء الفضلاء فقال قوم ارواح المؤمنين عند الله في الجنة
شهداء كانوا او غير شهداء اذا لم تحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم زمرهم بالقبول والرحمة
لهم وهذا مذهب ابي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ومن نحا نحوهم وقالت طائفة هم
بفناء الجنة على بابها يأتيهم مدد روحها ونعيمها ورزقها وقالت طائفة الارواح على افنية
قبورها وقال الامام مالك بلغني ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت وقال الامام احمد
في رواية ابنه عبد الله ارواح الكفار في النار وارواح المؤمنين في الجنة وقال ابو عبد الله بن منده
قالت طائفة من الصحابة والتابعين ارواح المؤمنين عند الله عز وجل ولهم بين يدي على ذلك
قال ويروى عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجابية وارواح الكفار ببرهوت
بحضرموت وقال صفوان بن عمر وسألت عامر بن عبد الله ابا اليمان اين هل الانفس المؤمنين مجتمع
فقال ان الارض التي يقول الله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون قال هي الارض التي تجمع اليها ارواح المؤمنين حين يكون البعث وقالوا هي
الارض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا وقال كعب ارواح المؤمنين في عليين في السماء
السابعة وارواح الكفار في سجين في الارض السابعة تحت جند ابليس وقالت طائفة
ارواح المؤمنين ببئر زمزم وارواح الكفار ببئر برهوت وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه

ارواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وهو مثل قول الامام مالك بل هو مستند له
وقالت طائفة ارواح المؤمنين عند يمين آدم وارواح الكفار عن شماله وقال ابن حزم وهو
واقفة مستقرها حيث كانت قبل خلق اجسادها بناء على مذهبه الذي اختاره وهو ان
الارواح مخلوقة قبل الاجساد وتقدم ما فيه قال الامام المحقق ابن القيم جمهور الناس على ان
الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل
من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك والحاصل ان مدار الحجج
على اخبار غير صحيحة او نصوص صحيحة ولكن دلالتها على ما زعموه غير صريحة وقول الا مستقرها
بعد مفارقة ابدانها في البرزخ الذي كانت فيه قبل خلق اجسادها مبني على ما ذكر من اعتقاده
ان ارواح السعداء من بني آدم عليه السلام وارواح الاشقياء من سائر ذرية ادم منقطع العناصر
منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه اقوال اهل الاسلام والاحاديث
الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة وادلة القرآن تدل على ذلك وقد وافق
ابن حزم الجمهور على ان ارواح الشهداء في الجنة ومعلوم ان الصديقين افضل منهم فكيف تكون
روح ابي بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وابي الدرداء وحذيفة بن اليمان واشباههم عند
منقطع العناصر وذلك تحت هذا العالم الادنى تحت السماء الدنيا وتكون ارواح شهداء زماننا
فوق العناصر وفوق السموات واما زعم ابي محمد بن حزم ان الامام اسحق بن راهويه ذكر ما
قاله وذهب اليه بعينه وقال وعلى هذا جميع اهل الاسلام باطل فان اسحق لم يقل الا مستقر
الارواح عند انقطاع العناصر وانما قال محمد بن نصر المروزي في كتابه الرد على ابن قتيبة في تفسير
قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم الاية
فذكر الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية ادم من صلبه ثم اخذ الميثاق عليهم وردهم
في صلبه والى ارحامهم مثل الذر وانه قسمهم اذ ذاك الى شقي وسعيد وكتب اجالهم وارزاقهم
واعمالهم وما يصيبهم من خير وشر ثم قال اسحق اجمع اهل العلم على ان الارواح قبل الاجساد
استنطقهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم الاية ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين
او تقولوا انما اشرك ابآؤنا من قبل وهذا نص كلامه وهو كما ترى لا يدل على ان مستقر الارواح
ما ذكره ابن حزم حيث منقطع العناصر بوجه من الوجوه بل ولا يدل على ان الارواح كانت قبل الاجساد
بل انما يدل على انه سبحانه اخرجها حينئذ من اصلابهم ثم ردها الى صلب ادم وهذا وان كان قد
قاله جماعة من السلف والخلف كما مر فالذي صححه ابن القيم والجمهور خلافه ولو سلم ان خلق الارواح

قبل الاجساد لم يكن فيه دليل على انه مستقر الارواح حيث منقطع العناصر ولا انه ذلك الموضع
كان مستقرها اولا وقالت طائفة مستقر الارواح بعد مفارقة ابدانها العدم المحض وهذا
ايضا باطل لا يلتفت اليه فان صاحب هذا القول يزعم ان الروح عرض من اعراض البدن وهو الحياة
وبه قال ابن الباقلاني ومن وافقه وكذا قال ابو الهذيل العلاف المعتزلي النفس عرض من الاعراض
ولم يعنه انه الحياة كما عينه ابن الباقلاني بل قال الروح عرض كسائر اعراضه الجسم وهؤلاء
عندهم ان الجسم اذا مات عدمت روحه فلا تعذب ولا تنعم وانما يعذب وينعم الجسد اذا شاء الله
تعذيبه وتنعيمه رد اليه الحياة في وقت يريد تنعيمه وتعذيبه والا فلا روح هناك قائمة
بنفسها البتة وقال بعض اصحاب هذا القول ترد الحياة الى العجب الذنب قال الامام ابن القيم
وهذا قول يرده الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقول والنظر قال وهو قول
من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره والله اعلم وقالت طائفة اخرى مستقر الارواح بعد البلى
ابدان اخر غير هذه الابدان فهذا فيه حق وباطل فجملة ما اخبر به الصادق المصدوق عن
ارواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تاوي الى قناديل معلقة بالعرش وهي تاكل من الاوكار الطائر
وقد صرح بذلك في قوله جعل ارواحهم في اجواف طير خضر واما قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن
طائر يعلق في شجر الجنة يحتمل ان يكون هذا الطائر مركبا للروح كالبدن لها ويكون ذلك لبعض
المؤمنين والشهداء ويحتمل ان تكون الروح صورة طائر وهذا اختيار ابن حزم وابن عبد البر
قال ابن حزم معنى ذلك ان نسمة المؤمن طائر يعلق يعني انها كطير في الجنة لا انها تمسخ
في صورة الطير قال ابن حزم واما الزيادة التي فيها انها في حواصل طير خضر فانها صفة
تلك القناديل التي تاوي اليها قال والحديثان معا حديث واحد قال المحقق ابن القيم
وهذا الذي قاله في غاية الفساد لفظا ومعنى فان حديث نسمة المؤمن طائر يعلق في
شجر الجنة غير حديث ارواح الشهداء في حواصل طير خضر والذي ذكره محتمل في الاول واما الثاني
فلا يحتمله بوجه فانه صلى الله عليه وسلم اخبر ان ارواحهم في حواصل طير وفي لفظ اخر في اجواف طير خضر
وفي لفظ ابيض وانه تلك الطير تسرح في الجنة فتاكل من ثمارها وتشرب من انهارها ثم تاوي الى
قناديل تحت العرش وهي لها كالاوكار للطائر وقوله ان حواصل تلك الطير هي صفة تلك القناديل التي
تاوي اليها خطأ قطعا بل تلك القناديل ما وى لتلك الطير فهنا ثلاثة امور صرح بها الحديث ارواح
وطير هي في اجوافها وقناديل ما وى لتلك الطير والقناديل مستقرة تحت العرش لا تسرح
والطير تسرح وتذهب وتجيء وانما ارواح في اجوافها فانه قيل يحتمل ان يجعل نفسها في صورة طير

لا انها

لا انها تركب بدن طير كما قال تعالى في اي صورة ما شاء ركبك ويدل عليه قوله في اللفظ الاخر ارواحهم
كطير خضر كما رواه ابن ابي شيبة قال ابو عمر بن عبد البر الاشبه عندي والله اعلم ان يكون القول
قول من قال كطير او صورة طير لمطابقة الحديث نسمة المؤمن وقد اجاب المحقق بانه هذا
الحديث قد روي بهذين اللفظين والذي في صحيح مسلم من حديث الاعمش عن مسروق ارواحهم في جوف
طير خضر وقد رواه ابن عباس وكعب بن مالك فلم يختلف حديثهما في الفاظ اجواف طير خضر قال
المحقق ولا محذور في هذا ولا يبطل قاعدة من قواعد الشرع ولا يخالف نصا من كتاب الله ولا سنة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هذا من تمام اكرام الله للشهداء اذا اعاضهم من ابدانهم التي مزقوها في الله تعالى
ابدانا اخر خيرا منها تكون مركبا لارواحهم ليحصل لها كمال تنعمهم فاذا كان يوم القيمة رد ارواحهم
الى تلك الابدان التي كانت فيها في الدنيا فانه قيل هذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح
في ابدان غير ابدانها التي كانت فيها فالجواب ان هذا المعنى دلت عليه السنة الصحيحة الصريحة
حق يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المنجم له تناسخا كتظيره مما دل عليه النقل ولم يحله العقل
من صفات الله تعالى وحقايق اسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيبا وتجسيما
قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه لا نرد على الله تعالى صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين
فانه هذا شان اهل البدع يلقبون اهل السنة واقوالهم بالالقاب التي ينفرون بها عنها كالجهال
ويسمونها حشوية وتركيبا وتجسيما ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزا وجهة ليتوصلوا
بذلك الى نفي استوائه وعلوه على خلقه وكما تسمي الرافضة موالات اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصبا وامثال ذلك والمقصود انه ما دلت عليه السنة الصريحة
من جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر تناسخا لا يبطل هذا المعنى واما ما اشتمل عليه من الباطل
فالتناسخ الباطل الذي يقوله اعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد ويزعمون
ان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى اجناس الحيوان والحشرات والطيور التي كانت تناسبها
وتشاكلها فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى ابدان تلك الحيوانات فتنعم فيها وتعذب ثم تفارقها
وتحل في ابدان اخر تناسب اعمالها واخلاقها وهلم جرا فهذا معادها عندهم وتنعيمها وعذابها
لا معاد لها عندهم غير ذلك فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفق عليه الرسل والانبياء اولهم
الى آخرهم وهو كفر بالله وباليوم الآخر فهذه الطائفة تقول ان مستقر الارواح بعد مفارقة
ابدانها الاصلية ابدان الحيوانات التي تناسبها وهو باطل قول واخبثه وليليه قول من زعم ان
الارواح تعدم جملة بالموت ولا يبقى هناك روح تنعم ولا تعذب بل النعيم يقع على اجزاء الجسد

او على جزء منه اما عجب الذنب او غيره فيخلق الله فيه الالم واللذة اما بواسطة رد الحياة كما قاله بعض ارباب هذا القول او بدون رد الحياة كما قاله اخرون منهم فهؤلاء عندهم لا عذاب في البرزخ الا على الاجساد وبقابلة ما يقول ان الروح لا تعاد الى الجسد بوجه ولا تتصل به والعذاب والنعيم على الروح فقط والصحيح خلاف هؤلاء وهؤلاء فالسنة الصحيحة المتواترة تبين ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومتفرقين واما قول من قال ان ارواح المؤمنين تجتمع ببيت زمزم فلا دليل على هذا من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صحابي يجب الوقوف به واما قول من قال ان ارواح المؤمنين بالجابية وارواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت فقال ابن حزم هذا من قول الرافضة قال الامام المحقق وليس كما قال بل قاله جماعة من اهل السنة قال الحافظ ابو عبد الله بن منده روى عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجابية ثم روى بسنده عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو انه قال ارواح المؤمنين تجتمع بالجابية وان ارواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت ثم روى بسنده عن شهر بن حوشب ان كعبا اتى عبد الله بن عمرو وقد تحالب الناس عليه يسئلونه فقال له رجل سلد اين ارواح الكفار فسأله فقال ارواح المؤمنين بالجابية وارواح الكفار ببرهوت قال ابن منده ورواه ابو داود وغيره ثم ساق بسنده عن ابي الطفيل عن علي قال خير بئر في الارض زمزم وشر بئر في الارض برهوت بئر بحضرموت وهي واد في الارض وادي مكة والوادي الذي اهبط فيه آدم في الهند منه طيبكم وشر وادي في الارض الاحقاف وهو في حضرموت ترده ارواح الكفار وروى عن ابن عباس عن علي رضي الله عنهم قال ان بضعة في الارض وادي بحضرموت يقال له برهوت فيه ارواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنهار اسود كانه قير تاوي اليه الهوام ثم ساق ابن منده من طريق بن اسحق القاضي حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا ابان بن ثعلب قال قال رجل بت فيه يعني وادي برهوت فكانما حشرت فيه اصوات الناس وهم يقولون يا دومة يا دومة قال ابان فحدثني رجل من اهل الكتاب ان دومة هو الملك الذي على ارواح الكفار قال سفيان وسألنا الخضرميين فقالوا لا يستطيع احد ان يبيت فيه بالليل قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح فهذه جملة ما علمته في هذا القول فان اراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه والفناء تجتمع في مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هوائه فهذا قريب وان اراد نفس الجابية دون سائر الارض فهذا لا يعلم الا بالتوقيف ولعله مما تلقاه عن بعض اهل الكتاب وبالله التوفيق واما قول من قال انها تجتمع في الارض التي قال الله فيها ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون

فهذا

فهذا ان قاله تفسير للآية فليس هو تفسيرا لها وقد اختلف الناس في الارض المذكورة في الآية الكريمة فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما هي ارض الجنة وهذا قول اكثر المفسرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قول آخر انها الدنيا التي فتحها الله على امة محمد صلى الله عليه وسلم قال المحقق وهذا القول هو الصحيح ونظيره قوله تعالى في سورة النور وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك في الآية ارض بيت المقدس وهي من الارض التي اورثها عباده الصالحين وليست الآية مختصة بها واما قول سلمان الفارسي رضي الله عنه ومن وافقه ان ارواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت فالبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكان سلمان اراد انها في ارض بين الدنيا والآخرة مرسلة هناك حيث شاءت قال المحقق وهذا قول قوي فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هي في برزخ بينهما وهي في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم واما ارواح الكفار ففي برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال الله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون واما من قال ان ارواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وارواح الكفار في سجين في الارض السابعة فهذا وقد قاله جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته اللهم الرفيق الاعلى وحاصل هذا ان ارواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم وارواح الكفار في سجين بحسب منازلهم وما قول من قال ان ارواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام وارواح الكفار عن يساره قال المحقق ابن القيم هذا قول تؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسراء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث فاذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قلت لجبريل ما هذا قال آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار قال القسطلاني في المواهب اسودة بوزن ازمنة هي الاشخاص والنسم بالنون والسين المهملتين المعنى حتى جمع نسمة وهي الروح قال القاضي عياض جاء ان ارواح الكفار في سجين وان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا فاجاب بانه يحتمل انها تقرض على آدم احيانا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على كون ارواح الكفار في النار اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض بانه ارواح الكفار لا تفتح لهم ابواب السماء كما هو نص القرآن والجواب ما ابداه احتمالا انه الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله فكانه يكشف له عنهما ولا يلزم

من رؤية ادم لها وهو في السماء ان تفتح لها ابواب السماء ولا تلجها قال وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عند البزار فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر
عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن قال الحافظ ابن حجر وهذا الوصف لكان المصير اليه اولى مما
جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف انتهى وقال الامام المحقق ابن القيم في الروح لا تدل رؤية
النبي صلى الله عليه وسلم لهم كذلك على تعادلهم في اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة
وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن وقال ابن حزم ان ذلك البرزخ الذي رآها في رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به عند سماء الدنيا ذلك عند منقطع العناصر قال وهذا دليل على انها عنده تحت
السماء حيث تنقطع العناصر وهي الماء والهوى والتراب والنار قال ابن القيم وهو يعني ابن حزم
دائما يشنع على من قال قولا لا دليل عليه فاي دليل على هذا القول من كتاب او سنة قال المحقق
اذا كانت ارواح اهل السعادة عن يمين ادم في سماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء
في ظل العرش فوق السماء السابعة فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب
عن ذلك بوجوه احدها انه لا يمتنع كونها عن يمينه في جهة العلو كما ان ارواح الاشقياء
عن يساره في جهة السفل الثاني انه غير ممتنع ان تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان
كان مستقرها فوق ذلك الثالث انه لم يخبر انه رئي ارواح السعداء جميعها هناك بل قال فاذا
عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة ومعلوم قطعا ان روح ابن ابهيم وعيسى فوق ذلك
في السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى ارواحهم فوق ذلك وارواح السعداء
بعضهم اعلا من بعض بحسب منازلهم كما ان ارواح الاشقياء بعضهم اسفل من بعض بحسب منازلهم
والله اعلم قال الامام المحقق ابن القيم فان قيل قد ذكرتم اقوال الناس في مستقر الارواح وملخذهم
فما هو الراجح من هذه الاقوال حتى يعتقد اجاب رحمه الله تعالى بان الارواح متفاوتة في مستقرها
في البرزخ اعظم تفاوت فمنها ارواح في عليين في الملأ الاعلى وهي ارواح الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ومنها ارواح
في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهم ارواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء
من تحبس روحه عند دخول الجنة لدين عليه او غيره كما في مسند الامام احمد عن محمد بن عبد الله بن جحش
ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اين ابي قتل في سبيل الله قال الجنة فلما ولى قال
الا الدين سارني به جبريل آنفا ومنهم من يكون محبوسا على باب الجنة كما في حديث اخر رايت صاحبكم
محبوسا على باب الجنة ومنهم من يكون محبوسا في قبره لحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد

فقال الناس

فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي غلها
لتشتعل عليه نارا في قبره ومنهم من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الشهداء
على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية رواه الامام احمد
وهذا بخلاف جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه حيث ابدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة
حيث شاء ومنهم من يكون محبوسا في الارض لم تعل روحه الى الملأ الاعلى فانها كانت روحا سفلية
ارضية فانها لا تفلت الى الارضية لا تجامع السماوية كما لا تجامعها في الدنيا والنفس التي لم تكتسب
في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والانس به والتقرب اليه يلهى ارضية سفلية لا تكون بعد
المفارقة لبد لها الا هناك كما ان النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله تعالى
وذكره والتقرب اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها
فالمرء مع من احب في البرزخ ويوم القيمة والله تعالى يجمع روح النفوس بعضها ببعض في البرزخ
ويوم المعاد كما في حديث ويجعل روحه يعني المؤمن مع النسم الطيب اي لما رواح الطيبة
المشاكلة لروحه فالروح بعد المفارقة تلحق باشكالها واخدانها واصحاب عملها تكون معهم
هناك ومنها ارواح تكون في تنور الزناة والزواني وارواح في نهر الدم وتلقم الحجارة فليس
للارواح شقيها وسعيدها مستقر واحد بل روح في اعلا عليين وروح ارضية سفلية
لا تصعد من الارض ومن تامل السنن والاثار في هذا الباب وكان له فضل اعتناء في صحة
ذلك فكل الاثار الصحيحة حق وصدق يصدق بعضها بعضا لكن الشان في فهمها وفهم المقصود
منها ومعرفة النفس واحكامها وانواعها شانا غير شان البدن وانواعها مع كونها في الجنة فهي في السماء
وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهي اسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا وتتصف
بالصفات المرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم والم
وعذاب اعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير فهنالك الحسر والالم والعذاب والمرض
والحسرة وهنالك اللذة والراحة والنعيم والانطلاق ثم قال المحقق ابن القيم وما اشبه حالها
بهذا البدن بحال البدن في بطن امه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى
هذه الدار فلهذه الانفس اربعة دور كل دار اعظم من التي قبلها الدار الاولى بطن امه و
ذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث الدار الثانية هذه الدار التي نشأت فيها والفتها
واكتسبت الخير والشر واسباب السعادة والشقاوة فيها الثالثة دار البرزخ وهي اوسع
من هذه الدار واعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى كدار الرابعة دار القرار

وهي الجنة او النار فلا دار بعدها والله تعالى ينقل الروح في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها
الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل
اليها ولها في كل دار من هذه الدور شان غير شان الدار الاخرى فتبارك الله فاطرها ومنشئها
ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها وبالله التوفيق

المسئلة الثالثة من المسائل
المتعلقة بالروح هل تتلاقى ارواح الموتى وتتزاور وتتذاكر وتتلاقى ارواح الاحياء والاموات
ايضا وهذا يعلم مما مر حيث الجملة ان الارواح قسمان معذبة ومنعمة فالمعذبة في
شغل شاغل لها بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي واما الارواح المنعمة المرسلة غير
المحبوسة فهذه تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من اهل الدنيا فتكون
كل روح مع رفيقها الذي على مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى قال تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وحسن اولئك رفيقا قال الامام ابن القيم وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار
البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من احب في هذه الدور الثلاثة وقد تواترت المرائي بتلاقي
الارواح بعضها مع بعض قال الامام عبد الله ابن المبارك رايت سفيان الثوري في المنام فقلت
ما فعل الله بك قال لقيت محمدا واحمد وقد جاء سنة صحيحة بتلاقي الارواح وتعارفها
فروى ابن ابي الدنيا قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه ام بشر وجدا شديدا فقالت يا
رسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل يتعارف الموتى فارسل الى بشر بالسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم والذي نفسي بيده يا ام بشر انهم ليتعارفون كما يتعارف الطير في رؤس الشجر
فكان لا يهلك هالك من بني سلمة الا جاءته ام بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك
فتقول اقرأ على بشر السلام وذكر ابن ابي الدنيا ايضا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن
عبيد بن عمير قال اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول
صالح ما فعل فلان يقول صالح ما فعل فلان فيقول الم يأتكم اما قدم عليكم فيقولون لا فيقول
انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وقال عبيد بن عمير ايضا اذا مات الميت تلقته
ارواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب ما فعل فلان ما فعل فلان فاذا قال توفي ولم يأتهم
قالوا ذهب به الى امه الهاوية وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل
الغائب وقال عبد بن عمير لوددت ان اسير في لقاء من مات من اهلي الا لقاني قدمت لمدا وذكر معاوية
ابن يحيى عن عبد الله ابن سلمة ان ابا رهم السمعي حدثه ان ابا ايوب الانصاري رضي الله عنه حدثه

ان رسول الله

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما تلقى البشير
في الدنيا فيقول انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسالونه ماذا فعل فلان وماذا
فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلي قالوا انا لله
وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية فبئست الام وبئست المربية ورواه ابن ابي الدنيا والطبراني
في الاوسط وقال ان اعمالكم ترد على اقاربكم وعشائركم من اهل الاخرة فان كان خيرا فرحوا
واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فاتم نعمتك عليه واعنه عليها ويعرض على اهلهم
عمل المسيء فيقولون اللهم الهمه عملا صالحا ترضى به وتقربه اليك واخرج ابن ماجه عن محمد المنكدر
قال دخلت على جابر بن عبد الله وهو موعوك ففلت اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام واخرج
الامام احمد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ارواح المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم وما رأى احدهما صاحبه قط و
اخرج ابن ابي الدنيا في كتاب القبور قال حدثنا محمد بن الحسين ثنى يحيى بن بسطام ثنى مسمع ثنى
رجل من العاصم الجحدري قال رايت عاصما الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت
اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي
نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى ابي بكر بن عبد الله المزني فتلقى اخباركم قال فقلت اجسامكم
ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح والمرائي والا لم تصح بجردها
لاثبات احكام فضلا عن اثبات اعتقاد ولكنها على كثرتها والفها لا يحصيها الا الله تعالى
وتواطيها مما يستانس بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطأت على انها في ليلة
القدر في العشر الاخير فلما تواطأت رؤيا المؤمنين على تلاقي الارواح وتعارفها كان ذلك مما
يستانس به ويصلح للاستشهاد به على انا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرنا من الاخبار
عن النبي المختار من تلاقي ارواح الموتى بعضهم لبعض وتلاقي ارواح الاحياء الارواح الموتى
ايضا من الحس والواقع بعد المشهود وقد قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
روى ابن عبد الله بن منده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية قال يلتقي
الارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى ويرسل
ارواح الاحياء الى اجسادها وكذا اخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال يتوفاها في منامها
فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان قال فترجع روح الحي الى جسده في الدنيا

الى بقية اجلها او تؤيد روح الميت ان ترجع الى جسده فتحيى وهذا احد القولين في تفسير الآية
وهو ان الممسكة هي التي قضيت وفاة الموت اولا والمرسلة هي التي توفيت وفاة النوم والمعنى
على هذا انه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها قبل يوم القيمة ويتوفى نفس النائم ثم
يرسلها الى جسدها الى بقية اجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى والقول الثاني في الآية ان الممسكة
والمرسلة كلاهما تتوفى وفاة النوم فمن استكملت اجلها امسكها عنده فلا يردها الى جسدها
ومن لم تستكمل اجلها ردها الى جسدها لتستكمله وهذا الذي اختاره شيخ الاسلام بن تيمية
وقال تلميذه المحقق الحافظ ابن القيم ترجيح القول الاول ثم قال والتحقيق ان الآية تتناول النوعين فانه تعالى
ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ومعلوم ان الله تعالى
يمسك نفس كل ميت سواء مات في النوم او في اليقظة ويرسل نفس من لم تمت وقد قال سعيد
ابن المسيب التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي رضي الله عنهما فقال احدهما للآخر ايهما قبلي
فالقني فاخبرني ما العهد من ربك وان انا مت قبلك لقيتك فاخبرتك فقال الآخر يلتقي الاموات
والاحياء قال نعم ارواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت قال فمات قلان فلقيه في المنام فقال له
توكل والبشر فلم ار مثل التوكل قط وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه كنت اشتهي ان ارى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المنام فما رايته الا عند قريب الحول فرايته يسح العرق عن جبينه
وهو يقول هذا او انا فزعني او كاد عرسي ليهد لولا اني لقيت رؤفا رحيما وما حضرت
شارح بن عابد اليماني الوفاة دخل عليه عصيف بن الحارث وهو يجود بنفسه فقال له يا ابا الحجاج
ان وجدت على ان اتاتيني بعد الموت فتخبرني بما تلقى فافعل قال وكانت كلمته مقبولة في اهل العقه
فمكث زمانا لا يراه ثم رآه في منامه فقال له اليس قد مت قال بلى قال فكيف حالك قال تجاوز ربنا
عنا الذنوب فلم يهلك منا الا خواص قلت وما الخواص قال الذين يشار اليهم بالاصابع وقال
قبيصة بن عقبة رايت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال نظرت
الي وانا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى
بعبرة محزون وقلب عميد فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني فيك غير بعيد
وهذا باب طويل جدا فانه لم تسمح نفس بتصديقه وقلت هذه مناامات وهي غير معصومة
فتامل مراي صاحبنا او رويا او غيره فاخبره بامر لا يعلمه الا صاحب الرؤيا او اخبره بحال لا فيه
هو او غيره او حذره من امر لم يقع او بشره بامر لا يعلمه الا صاحبها فوجد فوقع كما قال او
اخبره انه يموت هو او بعض اهله الى كذا وكذا فيقع كما اخبره او اخبره بخصب او جدب او عدو

اونازلة اومرض له فوقع كما اخبر والواقع من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى والناس مشتركون فيه
وقد رايتا نحن وغيرنا من ذلك عجايب وبه نعلم بطلان قول من زعم ان هذه كلها علوم وعقايد
في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم فهذا عين الباطل والمحال
فان النفس لم تكن فيما قط معرفة هذه الامور التي يخبر بها الميت ولا خطرت بباله ولا عندها
علامة عليها ولا امارة بوجه ما كما قاله الامام المحقق ابن القيم في الروح قال ونحن لا ننكر
ان الامر قد يقع كذلك وان من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصور الاعتقاد بل اكثر مرائي
الناس انما هي من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق فان الرؤيا على ثلاثة انواع رؤيا
من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث النفس والرؤيا الصالحة اقسام منها الهام
يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت
رضي الله عنه وغيره ومنها مثل يضرب له ملك الرؤيا الموكل بها ومنها التقاء روح النائم
بارواح الموتى من اهله واقاربه واصحابه وغيرهم كما ذكرنا ومنها عروج روحه الى الله
سبحانه وتعالى وخطابها له ومنها دخول روحه الجنة ومشاهدتها وغير ذلك فالتقاء الارواح
الاحياء بارواح الموتى نوع من انواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات
وهذا موضع اضطربت فيه الناس فمن قائل ان العلوم كلها كامنة في النفس وانما استغالها
بعالم الحس تحجب عنها مطالعتها فاذا تجردت بالنوم رأت منها بحسب استعدادها ولما كان
تجردها بالموت اكمل كانت علومها ومعارفها هناك اكمل قال المحقق ابن القيم في كتاب الروح
وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله ولا يقبل كله فان تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل
بدون التجرد لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذي بعث فيه رسوله ولا على تفاصيل ما
اخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل المعاد واشراط الساعة وتفاصيل الامر والنهي
والاسماء والصفات والافعال وغيرها مما لا يعلم الا بالوحي ولكن مجرد النفس عونا لها على معرفة
ذلك وتلقيه من معدنه اسهل واقرب واكثر مما يحصل للنفس المنغمسة في الشواغل البدنيه ومن قال
من الناس ان هذه المرائي علوم يخلقها الله تعالى في النفس ابتداء بلا سبب فعلى نهج قول منكري الاسباب والحكم
والقوى قال المحقق وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة ومن قال الرؤيا امثال مضروبة
يضربها الله للعبد بحسب استعداده والفه على يد ملك الرؤيا فمرة تكون مثلا مضروبا وهو مرة تكون نفس
ما رآه الرائي فيطابق الواقع مطابقة لعلومه وهذا اقرب من القولين قبله ولكن الرؤيا ليست
مقصورة عليه بل لها اسباب اخر كما تقدم من ملاقاة الارواح واخبار بعضها بعضا ومن القاء الملك

الذي في القلب والروع ومعاودة الروح للاشياء محاققة بلا واسطة وقد ذكر الحافظ ابو عبد الله بن منده
في كتابه النفس والروح بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقي عمر بن الخطاب علي بن ابي طالب رضي الله عنهما
فقال له يا ابا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث اسئلك عنهن فهل عندك
منهن علم فقال علي بن ابي طالب وما هن قال الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا والرجل يبغض الرجل
ولم ير منه شرا فقال علي نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة
تتلاقى في الهوى فتشام منها ما تعارف وما تناكر منها اختلف فقال عمر واحدة قال عمر
والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فينساه وما نسيه اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما في القلوب قلب الاولة بحابة كسحابة القمر بينا القمر يضيء اذ تحللته سحابة فاظلم
اذا تجلت فاضاء وبينا القلب يحدث اذ تحللته سحابة فنسي اذا تجلت عنه فيذكر قال عمر افتنا
قال والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد ينام يتملي نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش
فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي التي تكذب فقال عمر رضي الله عنه ثلاث
كنت بطلبهن فالحمد لله الذي اصبتهن قبل الموت وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عجبت
لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطر على بال فيكون كاخذ الشيء فلا يكون شيئا فقال علي رضي الله عنه
يا امير المؤمنين يقول الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي
قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى قال والارواح يعرج بها في منامها فما رات وهي
في السماء فهو الحق فاذا ردت الى الاجساد تلقتها الشياطين في الهوى فكذبتها فما رات من
ذلك فهو الباطل قال فجعل عمر رضي الله عنه يتعجب من قول علي رضي الله عنه قال الحافظ ابن منده
خبر مشهور عن اصبغ ابن عمر وغيره وروى عن ابي الدرداء وروى ابن منده عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال ان الارواح جنود مجندة تتلاقى تتشام كما تتشام الخيل فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف قال الامام ابن القيم ولم تزل الناس قديما وحديثا يعرفون هذا
ويشاهدونه قال جميل بن معمر العذري اظل نهاري حسرتها واتلفي مع الليل روحي في المنام وروحها
فان قيل فالنائم يرى غيره من الاصحاب يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة
ويكون الرجل يقظان وروحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحهما فالجواب عن هذا اما ان
يكون مثاله معروضا به ملك الرؤيا للنائم او يكون حديث نفس من الرائي بمجرد له في منامه كما قال
جميل ابن اوس سقيا لطيف مزورا تاني به حديث نفسك عنه وهو مشغول

والمقصود

في النوم كما تتلاقى ارواح الاحياء والاموات قال بعض السلف ان الارواح تتلاقى في صحيح

١٧٣

والمقصود ان ارواح الاحياء تتلاقى في الهوى فتتعارف وتتذاكر فيما بينها ما لكل رؤيا بما هو لاقيها
من خير او شر قال وقد وكل الله تعالى بالرؤيا الصادقة ملكا علمه وفهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها
ومنقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها فيأتيه
نسخة من علم غيب الله من ام الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير او شر في دينه ودنياه
ويضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عادته فتارة يبشره بخير قدمه او يقدمه وينذره
من معصية ارتكبها او هم بها ويحذره من مكروه انعقدت اسبابه ليعارض تلك الاسباب
باسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله تعالى في الرؤيا نعمة منه ورحمة واحسانا
وتذكيرا وتعريفا وجعل احد طرفي ذلك تلاقي الارواح وتذاكرها وتعارفها وكم مما كانت
تتوبه وصلاحه وزهده واقباله على الاخرة عن منام رآه او روي له وكم مما استغنى واصاب
كنزا او دفينا عن منام وهذا عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم دل في المنام على زمزم
واصاب الكنز الذي كان هناك وفي مثل ذلك حكايات كثيرة وبالله التوفيق فكل ما اي الشيء
او الذي عن سيد الخلق ورسول الحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال في المطلع السيد الذي يفوق
في الخير قومه قال الزجاج وقيل التقي وقيل الحليم وقيل الذي لا تغلبه غضبه وجميع ذلك في نبينا
صلى الله عليه وسلم وفي القاموس سيد القوم اجلهم وهو صلى الله عليه وسلم اجل خلق الله واعظم خلق الله
واكرم خلق الله واكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم قال الامام المحقق في كتابه بدائع الفوائد
اختلف الناس في جواز اطلاق السيد على البشر فمنعه قوم وروي ذلك عن الامام مالك واحتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا سيدنا قال انما السيد الله وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم
للانصار قوموا الى سيدكم وهذا اصح من الحديث الاول قلت وكذا حديث انا ابني هذا يعني
الحسن سيد وحديث انا سيد ولد ادم ولا فخر وغير ذلك مما لا يحصى الا بكلفة قال
في البدايع السيد احد ما يضاف اليه فلا يقال لتميمي انه سيد كندة ولا يقال لمالك انه سيد البشر
قيل وعلى هذا لا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم قال في البدايع وفي هذا نظر فانه السيد
اذا اطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق وورد
بالاسانيد المقبولة ودونها اهل العلم في الكتب المشهورة من امر اي من امور هذا
الباب الذي مناط السمع من الكتاب والسنة واجماع السلف فكل ذلك حق يجب اعتقاده و
الايمان به لانه صحيح بالمنقول ولم ترده العقول وانما تحيرت العقول عن ادراكه فانه الا نبيا
عليهم الصلاة والسلام تاتي بمجاراة العقول لا بمحالاتها والفرق بينهما بين لا يخفى على ذي بصر

لا يرد مما ذكر شيء لثبوته عن المعصوم وصحته عن رسول الحي القيوم فمن تصدى لرد شيء من هذا الباب فقد
اخطأ الصواب وضل وخاب وكان من اهل البدع والارتياب فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
جعلهم الله وسايط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم
ومعادهم وبعثوا جميعهم بالدعوة الى الله وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه
فالاصل الاول اثبات التوحيد والصفات والقدر وذكر ايام الله في اوليائه واعدائه وهي القصص
التي قصها الله تعالى على عباده والامثال التي ضربها لهم والاصل الثاني يتضمن تفصيل الشرايع والامر
والنهي والاباحة وبيان ما يحبه ويكرهه والاصل الثالث يتضمن الايمان باليوم الاخر والجنة والنار
والثواب والعقاب قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قاعدة له في وجوب الاعتصام بالرسالة على هذه
الاصول الثلاثة مدار الخلق والامر والسعادة والفلاح موقوف عليها ولا سبيل الى معرفتها الا من جهة
الرسل فان العقل لا يهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقايقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من
حيث الجملة كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة الى الطبيب ومن يداويه ولا يهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل
الدواء عليه وحاجة العبد الى الرسالة اعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فانه آخر ما يعذب بعدم
الطبيب موت الابد واما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه
ابدا وشقاوة لا سعادة معها ابدا فلا فلاح الا باتباع الرسول والايمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن جملة ما
ورد عن سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق لا بد من اشراط الساعة وعلاماتها ولهذا قال

فلاهم

فصل في اشراط الساعة

وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها قال الله تعالى اقتربت
الساعة وقال فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فهذا جاء اشراطها اي امارتها وعلاماتها
واحد اشراط قال الامام البغوي وكانه بنيانها صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة وقال تعالى وما يدريك
لعل الساعة قريب وقال فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون والايات في ذلك كثيرة
واما الاحاديث فلا تكاد تحصى فان قيل كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه الف سنة
ومايتين وتيف وسبعون عاما فالجواب ان الاجل اذا مضى اكثره وبقي اقله حسن ان يقال فيه
اقترب الاجل ولا ريب ان اجل الدنيا قد مضى اكثره وبقي اقله ولقرب قيام الساعة عنده تعالى
جعلها كالغد الذي بعد يومك فقال ولتنظر نفس ما قدمت لغد وقال تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه
قريبا وروى الترمذي وصححه من حديث انس مرفوعا بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة
والوسطى فافضل احداهما على الاخرى وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام بعثت والساعة كهاتين

وفي الصحيحين

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا انما اجلكم فيما مضى قبلكم من الامم من صلاة العصر الى مغرب
الشمس وفي لفظ انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس ولما كان امر
الساعة شديدا وهولها مزيدا وامرها بعيدا كان الاهتمام بشانها اكثر من غيرها ولهذا
اكثر النبي صلى الله عليه وسلم من بيان اشراطها وامارتها واخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ونبه
امته وحذرهم لينتاهبوا لتلك العقبة الكئود ثم اعلم انا وقت مجيء الساعة مما انفرد الله بعلمه
وانما اخفاه الله تعالى لانه اصلح للعباد لئلا يتباطؤا عن الناهب والاستعداد كما انه اخفا وقت الموت
اصلح لهم وانفع وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين وقتها وزمن كونها ومجيئها واستدلوا باحاديث
غير صحيحة وما صح منها فدلالتها غير صحيحة صريحة وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في جزء له سماه
الكشف وذكر هو تقريبا انها تقوم على راس الخمسماية بعد الالف او ازيد قال الشيخ العلامة
مرعي في نحجة الناظرين وهذا ايضا مردود لان كل من تكلم بشيء فذكر فهو ظن وحسبان لا يقوم
عليه برهان ثم اعلم ان اشراط الساعة واماراتها تنقسم الى ثلاثة اقسام قسم ظهر وانقضى وهي
الامارات البعيدة وقسم ظهر ولم ينقض بل الامر فيه ازدياد حتى اذا بلغ الغاية ظهر القسم
الثالث وهي الامارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وانها تتابع كنظام خرز انقطع
سلكها فالاولى اعني التي ظهرت ومضت وانقضت منها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وموته وفتح بيت
المقدس ومنها قتل امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال حذيفة اول الفتن قتل عثمان
ومنها وقعة الجمل ومنها وقعة صفين فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة
حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة ومنها وقعة النهروان
فاخرج ابن جرير عن محنف بن سليم قال اتينا ابا ايوب الانصاري رضي الله عنه فقلنا يا ابا ايوب
قاتلنا المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين فقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرنا بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين
وانا مقاتل ان شاء الله المارقين وفي رواية عنه عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقاتل مع علي الناكثين
فقد قاتلناهم يعني في وقعة الجمل وذلك لان طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا بيعة علي رضي الله عنه وعهد
الينا ان نقاتل معه القاسطين يعني الظالمين واراد بهم اصحاب معاوية لانهم ظلموا عليا ونازعوه امرا
هو احق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق الى الباطل وعهد الينا ان نقاتل
معه المارقين واراد بهم الخوارج فانهم مرقوا من الدين وفي الخوارج احاديث كثيرة جدا في الصحيحين وغيرهما
ومنها نزول امير المؤمنين وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا الامام

ابي محمد الحسن بن علي واخي الحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابني
هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين الحديث شهد جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم انهم سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ملك بني امية وما جرى على اهل البيت
في ايامهم من الاذية لقتل الحسين بعد ما سم الحسن ووقعة الحرة وما جرى فيها من النهب وقتل
ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق وما جرى في ذلك مما لا يحسن ولا يليق ومنها
ملك بني العباس وما جرى في ايامهم من المحن والبلاس ومنها نار الحجاز التي اضاءت منها
اعناق الابل ببصرى ومنها ظهور الروافض واستبداد الرافضة بالملك واظهارهم
الطعن واللعن على السلف الصالح من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقد اخرج الامام
احمد وابو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا يكون في اخر الزمان قوم يسمون
الرافضة يرفضون الاسلام فاذا رايتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون ولفظ الطبراني باسناد
حسن عنه كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون من امتي قوم
ينتحلون حب اهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة فاقتلوهم فانهم مشركون ومنها خروج
كذابين دجالين كل منهم يدعي انه نبي ومنها زوال العرب رواه الترمذي ومنها
كثرة المال رواه الشيخان وغيرهما ومنها كثرة الزلازل والمسخ والقذف وغير ذلك مما
اخبر عنه صلى الله عليه وسلم انه من امارات الساعة فظهر ومضى الثانية الامارات المتوسطة
وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزايد وتكاثر وهي كثيرة جدا منها قوله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا اللكع ابن اللكع رواه الامام احمد والترمذي
والضياء المقدسي في حديث حذيفة رضي الله عنه واللكع العبد واللئيم والمعنى لا
تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس ومن الامارات قوله صلى الله عليه وسلم
ياتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر رواه الترمذي عن انس وقوله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد رواه الامام احمد وابو داود وابن ماجه وابن حبان
عن انس رضي الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم يكون في اخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة وفي لفظ
فساق رواه ابو نعيم والحاكم عن انس ومنها ان يرى الهلال ساعة يطلع فيقال الليلتين
لانتفاخ الاهلة بانخا العجمة اي عظمها وروي بالجيم ومنها اتخاذ المساجد طرقا ومنها
ما اخرجه ابو نعيم في الحلية عن انس رضي الله عنه مرفوعا من اقتراب الساعة اثناء وسبعون خصلة
اذا رايتم الناس اماتوا الصلاة واضاعوا الامانة واكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفوا بالدما

واستعلوا

واستعلوا السفاء على الاتقياء بالدنيا وتقطعت الارحام ويكون الحكم ضعفا والكذب صدقا
والحرير لباسا وظهر الجور وكثر الطلاق وعمت الفجاءة واتمن الخائن وخون الامين وصدق الكاذب
وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيظا والولد غيظا وفاض اللئام فيضا وغاض الكرام
غيظا وكان الامراء والوزراء الامناء خونة والعرفاء ظلمة والقراء فسقة اذا لبسوا مسوك الضان من
قلوبهم انتن من الجيفة وامر من الصبر يغشاهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة
وتظهر الصفراء وتطلب البيضاء يعني الذهب والفضة وكثر الخطبا وقل الامر بالمعروف وطلي
المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر وخربت القلوب وشربت الخمور وعطلت الحدود
وولدت الامة ربتها وترى الحفاة العراة صاروا ملوكا وشاركت المراة زوجها في التجارة وتشبه
الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحلف بغير الله وشهد المرء غير ان يستشهد ويسلم للمعرفة
وتفقه لغير الله وطلبت الدنيا بعمل الاخرة واتخذ المغنم دولا وهو بضم الدال المهملة وفتح الواو
ما يتداول من المال ومعناه اذا اختص الاغنيا وارباب المناصب باموال الفيء ومنعوها مستحقيها
كما في النهاية والامانة مغنما والزكاة مغرما وكان زعيم القوم ارذلهم وعق الرجل امه وجفى ابه
وبر صديقه واطاع امراته وعلت اصوات الفسقة في المساجد واتخذت القينات والمعازف
وشربت الخمور في الطرق واتخذ الظلم فخرا وبيع الحكم وكثرت الشرط واتخذ القراء مزامير وجلود
السباع صفافا اي بانا تجعل على السروج كما يفعله امراء زماننا ولعن اخر هذه الامة اولها
فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا وايات ومنها ما رواه الامام
احمد وعبد بن حميد وابن ابي حاتم عن سلمان موقوفا والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعا اذا
ظهر القول وخزنت العمل وائتلفت الالسن واختلفت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك
لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ومنها ما اخرجه الامام احمد ايضا والحاكم وابن ماجه عن انس رضي الله عنه
مرفوعا اذا كانت الفاحشة في كباركم والملك في صغاركم والعلم في ارذالكم والمذهنة في خياركم يعني فقرب
اقامة الساعة واخبارهم هذا كثيرة جدا ذكرت منها طرفا صالحا في كتابي النجوم الزاهرة في علوم الاخرة
ومنها ما في صحيح البخاري وغيره من حديث انس رضي الله عنه انه قال لا احدثكم الا حديثا سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به احد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع
العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امراة القيم
الواحد وفي الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث
القوم جاء اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره

ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة فقال ها انا يا رسول الله
قال فاذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر
الساعة واعلم للاشراط والامارات الثالثة العلامات العظام والاشراط الجسام التي تعقبها
الساعة وهي المقصودة في النظم والتي تكلم عليها اهل العلم واليها الاشارة بقوله وماي ومما ورد
عن سيد الخلق وهو حق يجب اعتقاده ولا يسوغ رده الذي اي ورد وجاء في النص القرآني
او الحديث النبوي اشراط الساعة باقسامها الثلاثة مما ذكرنا ومما لم نذكر والمراد بالساعة
يوم القيمة وسميت الساعة لقربها او لانها تاتي بغتة في ساعة او لان بعث الموتى منها فيورهم
يكون في اسرع من اللمحة او لان فصل القضاء في ذلك اليوم في قدر ساعة ويروى عن علي رضي الله عنه انه
سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة وتقدم
ان الاشراط جمع شرط وانها امارتها وعلاماتها فكلها اي الذي اتى في النص من اشراط الساعة وفي
نسخة كلها اي لاشراط حق واقع ويقين ليس مدافع بلا اشتطاط كسحاب وكتاب اي من غير طول
وبعد يقال رجل شاط بين الشطاط والشطاطة والشطاط بالكسر وهو البعيد ما بين الطرفين وقريء
ولا تشطط ولا تشاطط اي لا تبعد عن الحق والمعنى ان الذي جاء في النص من اشراط الساعة حق كله
لا بعد فيه ولا عقل ينافيه ثم آخذ في تعداد تلك الاشراط فقال منها اي من اشراط الساعة التي وردت
بها الاخبار وتواترت في مضمونها الماثار اي من العلامات العظمى وهي اولها ان يظهر المهدي المقتدى
باقواله وافعاله الخاتم للائمة فلا امام بعده كما ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الخاتم للنبوة والرسالة
فلا نبي ولا رسول بعده الفصيح اللسان لانه من صميم العرب اهل الفصاحة والبلاغة والفصاحة
في اصطلاح اهل المعاني والبيان خلوص الكلام من ضعف التاليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع
فصاحة مفرداته والفصاحة في المفرد خلوصه عن تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس والفصاحة
في المتكلم ملكة تقتدر معها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح والبلاغة في الكلام مطابقته
لمقتضى الحال مع فصاحته وفي المتكلم ملكة تقتدر بها على تاليف كلام بليغ وقوله محمد المهدي
هذا اسمه واشهر اوصافه فاما اسمه فمجرد جاء ذكره في عدة اخبار وفي بعضها ان اسمه احمد واسم ابيه عبد الله
فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يواطي اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي رواه ابو نعيم من حديث ابي هريرة
ولفظه ان صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من اهل بيتي
يواطي اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملاها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وروى نحوه الترمذي وابو داود
والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود ايضا لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من اهل بيتي

يواطي اسمه

وما الق في النص من اشراط فكله حق بلا اشتطاط

منها الامام الخاتم للنصيح المهدي والمسيح

١٧٦

يواطي اسمه اسمي يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما اخرجه الطبراني في معجمه الصغير واخرجه
الترمذي ولفظه حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي وقال حديث حسن صحيح وكذا اخرجه ابو داود
في سننه وروى بن مسعود ايضا رفعه اسم المهدي محمد وفي مرفوع حذيفة محمد بن عبد الله وكنيته ابا عبد الله
ومن اسمائه ايضا احمد بن عبد الله كما في بعض الروايات وانما زعم الشيعة ان اسمه محمد بن الحسن وانه محمد
ابن الحسن العسكري فهذا زياد فان محمد بن الحسن هذا مات واخذ عمه جعفر ميراث ابيه الحسن قلت بل هو ابو القاسم
محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر
ابن زين العابدين علي الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم والعسكري هذا اثاني الائمة
الاثني عشر على اعتقاد الامامية ويعرف بالحجة وهو الذي تزعم الشيعة ان المنتظر والقائم والمهدي و
صاحب السرداب عندهم واقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في اخر الزمان من السرداب بسر من رأى
كانت ولادته في منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين والشيعة تزعم انه دخل السرداب
في دار ابيه وامه تنظر اليه فلم يعد يخرج اليهما وذلك سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع
سنين وقيل غير ذلك وكل ذلك ضرب من الجنون والهذيان واما ذاك فقد مات رضوان الله عليه
وعلى ابائه واما تسميته ووصفه بالمهدي فقد ثبت له هذه الصفة في عدة اخبار وعن كعب
الاحبار قال انما سمي المهدي لانه يهدي الى امر خفي وسيخرج في التوراة والانجيل فان يقال لهما
انطاكيا خرجه ابو نعيم في كتاب الفتن وفي بعض رواياته عن كعب قال انما سمي مهديا لانه يهدي
الى اسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعوا اليها اليهود فيسلم على ذلك الكف جماعة كثيرة
وذكر الامام ابو عمرو الداني قال انما سمي المهدي لانه يهدي الى جبل من جبال الشام يستخرج منها
اسفار التوراة اي يحاج بها اليهود فيسلم على يديه جماعة منهم واما لقبه فالجابر لانه يجبر
قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه يجبر اي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم واما كنيته
فابو عبد الله واما نسبه فانه من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الروايات الكثيرة والاحاديث
الغزيرة ناطقة انه من ولد فاطمة البتول ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعن اولادها الطاهرين
وجاء في بعض الاحاديث انه من ولد العباس والاول اصح قال ابن حجر في كتابه المختصر واما ما روى
ان المهدي من ولد العباس عمي فقال الدارقطني حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم قال
ولا ينافيه خبر الرافعي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا الا ابشرك يا عم ان منه زرتك الاصفيا
ومنه عمرتك الخلفا ومنك المهدي في اخر الزمان به ينشر الله الهدى ويطفي نيران الضلالة ان الله
فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وخبر هشيم بن كليب وابن عساكر عن ابن عباس ورجاله ثقات

اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثا يا عم اما علمت ان المهدي من ولدك موفقا راضيا وخبر
ابي نعيم في الحلية عن ابي هريرة رضي الله عنه الا ابشرك يا ابا الفضل ان الله عز وجل افتتح بي هذا الامر
وبذريتك يختم وخبر الديلمي عن ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لن تزال الخلافة في ولدي وصنوابي حتى يسلموها الى الدجال وخبر الخطيب عن ابن عباس
عن ام الفضل رضي الله عنهم يا عباس انت عمي وصنوابي وخير من اخلف بعدي من اهلي فاذا كانت خمس
وثلاثين ومائة وفي لكد ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي وخبر الخطيب وابن عساكر
عن علي رضي الله عنه ان صلى الله عليه وسلم قال للعباس يا عم الا اخبرك ان الله افتتح هذا الامر بي وبختمه بولدك
فهذه اخبار كلها لا تنافي ان المهدي من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة الزهراء لان الاحاديث
التي ان المهدي من ولدها اكثر واصح بل قال بعض حفاظ الامة واعيانه الائمة ان كون المهدي من ذرية
صلى الله عليه وسلم مما تواتر عنه ذكره فلا يسوغ العدول ولا التفات الى غيره وقال ابن حجر يمكن الجمع
بانه يكون من ذرية صلى الله عليه وسلم وللعباس فيه ولادة من جهة انه من امهاته عباسية ولكن اصل انه
للحسن في المهدي الولادة العظمى لان احاديث كونه من ذرية اكثر وللحسين فيه ولادة ايضا وللعباس
فيه ولادة ايضا ولا مانع من اجتماع ولادات متعددات في شخص واحد من جهات مختلفة وبالله التوفيق

فوائد منها في حليته وصفته قال ابن عباس رضي الله عنهما المهدي اسمه محمد بن عبد الله وهو
رجل ربعة مشرب بحمرة نور الله به عن هذه الامة كل كرب ويصرف بعدله كل جور وعن
حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب
الدري اللون اليمن عربي في الجسم جسم اسرائيلي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا يرضى في خلافته اهل
الارض واهل السماء والطير في الجو يملك عشرين سنة اخرجه ابو نعيم في مناقب المهدي والطبراني
في معجمه واخرج ابو داود والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المهدي مني اجلى الجبهة اقنى الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين
واخرج ابو نعيم من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعثن الله
في عترتي رجلا فرق الثنايا اجلى الجبهة يملأ الارض عدلا وفيضا المال فيضا وفي مرفوعا
عمران بن حصين رضي الله عنه انه حين ذكر عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله كيف لنا بهذا
حتى نعرفه قال هو رجل من ولدي كانه من رجال بني اسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان كان في وجهه
الكوكب الدري في اللون في خده الايمن خال اسود ابن اربعين سنة اخرجه الامام ابو عمرو الداني
في سننه واخرج ابو نعيم من حديث ابي امامة رضي الله عنه مرفوعا المهدي من ولدي ابن اربعين سنة كان

وجهه

وجهه كوكب دري في خده الايمن خال اسود عليه عباءتان قطوانيتان كانه من رجال بني اسرائيل يستخرج
الكنوز ويفتح مدائن الترك وفي حديث ابي وائل عن علي رضي الله عنه قال نظر الى الحسن فقال ان ابني هذا
سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يخرج على حين غفلة من الناس
واماتة الحق واظهار الجور يفرح بخروجه اهل السماء وسكانها وهو رجل اجلى الجبين اقنى الانف
ضخم البطن ازيل الفخذين بفخذه الايمن شامة افلج الثنايا يملأ الارض عدلا كما ملئت ظلما وجورا
وعن ابي جعفر محمد الباقر قدس الله سره قال سئل امير المؤمنين علي رضي الله عنه عن صفة المهدي
قال هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه
وفي رواية اخرى عن علي رضي الله عنه ان المهدي كث اللحية اكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال
اقنى اجلى في كتفه علامة النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات المهدي ازج ابلج اعين يجيء من
الحجاز حتى يستوي على مسجد دمشق اخرجه ابو نعيم وفي رواية لابي نعيم بكفه اليمنى خال وفي
حديث علي مرفوعا انه كث اللحية اكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال وفي كفه علامة وقال كعب
الاحبار اني لاجد المهدي مكتوبا في اسفار الانبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب اخرجه ابو عمرو المقري في سننه
ونعيم ابن حماد واخرج ابو نعيم عن طاوس قال علامة المهدي انه يكون شديدا على العمال جوادا
بالمال رحيما بالمساكين ولا يتهي قد وصفته في كتابي البحور الزاخرة بانه ادم اي اسمر ربعة من الرجال
اي خفيف اللحم ممشوق مستدق ربعة اي لا بالطويل ولا بالقصير اجلى الجبهة اي خفيف شعر النزعتين
من الصدغين وهو الذي انحسر الشعر عن جبهته اقنى الانف اي طويله مع دقة ارنبته اشم اي رفيع
العرنين ازج اي حاجبه فيه تقوس مع طول في طرفه وامتداده ابلج اعين اي اكحل العينين واسع
العين واللكحل يفخمهن سواد في اجفانه العين خلقة من غير اكتحال براق الثنايا اي لثناياه بريق
ولمعان افرق اي ليست متلاصقة ازيل الفخذين اي منفرج الفخذين متباعدهما وفي رواية في لسانه
ثقل واذا ابطا عليه ضرب فخذه الايمن بيده اليمنى ابن اربعين سنة وفي رواية ما بين ثلاثين الى اربعين
خاشع له خشوع النسر بجناحيه عليه عباءتان قطوانيتان قال في النهاية هي عباءة بيضاء قصيرة
الخمل والنوء زائده **الفائدة الثانية** في سيرته قال اهل العلم يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم لا يوقظ
نائما ويقاتل على السنة لا يترك سنة الا اقامها ولا بدعة الا رفعها يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به
النبي صلى الله عليه وسلم اوله يملك الدنيا كلها كما ملكها ذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام يكسر الصليب
ويقتل الخنزير ويرد الى المساكين الفقير وتغنهم يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا
يحثو المال حثوا ولا يعده عدا يقسم المال صحاحا بالسوية يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض

والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر علاً قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم غنى حتى يأمر منادياً ينادي
الا من له حاجة في المال فلا يأتيه الا رجل واحد فيقول انا فيقول ائت السادن اي الخازن فقل له
المهدي يأمرك ان تعطيني مالاً فيقول له احث حتى اذا جعله في حجره وابرزه ندم فيقول
كنت اجشع امتي او احرص امة محمد صلى الله عليه وسلم اعجز عني ما وسعهم قال فيرده فلا يقبل منه فيقال
له انا لا نأخذ شيئاً اعطيناه تنعم الامة برها وفاجرها في زمانه تنعماً لم يسمعوا بمثلها قط وو
ترسل السماء عليهم مدراراً لا تدخر شيئاً من قطرها وتوالي الارض اكلها لا تدخر عنهم شيئاً من بذرها
تجري على يديه الملاحم يستخرج الكنوز ويفتح المدائن ما بين الخافقين يؤتى الى ملوك الهند
مغللين ويحمل خزائنهم لبيت المقدس حلياً يأوي اليه الناس كما يأوي النحل الى يعسوب حتى
يكون الناس على مثل امرهم الاول تحمده الله بثلاثة الاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفيه
وادبارهم جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته ترعى الشاة والذيب في زمانه في مكان واحد
وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئاً ويزرع الانسان مداً فيخرج له سبعمائة مد
ويرفع الربا والزنا وشرب الخمر وتطول الاعمار وتؤدى الامانة وتهلك الاشرار ولا يبقى من يبغض
آل محمد صلى الله عليه وسلم محجوب يعني المهدي في الخلائق يطفي الله به الفتنة العمياء وتأمن الارض حتى
ان المرأة تحج في خمر نسوة ما معهن رجل ولا يخفرن شيئاً الا الله ملكوني في شعاير الانبياء ما في حكمه ظلم
ولا عيب الثالثة في علامات ظهوره قال العلامة الشيخ مرعي في كتابه فوائد الفكر في المهدي
المنتظر اعلم ان لظهور المهدي علامات جاءت بها الآثار ودلت عليها الاحاديث والاخبار
فمن علامات ظهوره على ما ورد كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والظلمة وسماع الصوت برمضان
وتحارب القبائل بذي القعدة وظهور الخسف والفتن ومعه قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه
والآية ما مر طامحة معلمة سوداء فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج
المهدي مكتوب على راسها البيعة لله كذا في الاشاعة للعلامة السيد البرزنجي المدني ويغرس
قضيباً يابساً في ارض يابسة فيخضر ويورق ويطلب منه آية فيومي الى طير فيطير الهوى بيده فيسقطها
على يده وينادي منادٍ من السماء ايها الناس ان الله قطع عنكم الجبارين والمنافقين واياكم
وولاكم خيرة محمد صلى الله عليه وسلم فالحقوه بمكة فانه المهدي واسمه محمد بن عبد الله وتخرج الارض
افلاذ كبدها امثال الاسطوانات من الذهب فيخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله
رواه ابو نعيم عن علي رضي الله عنه ويستخرج تابوت السكينة من غار انطاكية او من بحيرة طبرية
فيخرج حتى يحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس فاذا نظر اليه اليهود اسلموا الا قليلاً منهم

وثانيه

وثانية الزايات السود من خراسان فيرسلون اليه بيعتهم وتشتق الغرات فيخرج عما جبل من ذهب وذكروا
انه ينكسف القمر اول ليلة من رمضان وفي النصف منه ونظر في هذا الشيخ مرعي بان العادة انكساف
القمر ليالي الابدار والشمس ايام الاسرار ولكن من الممكن ان يكون ذلك آية لظهوره وفيها خرق للعادة
وروى ابو نعيم في الفتن قال شريك يعني ان القمر قبل خروجه ينكسف مرتين برمضان وذكر الكسائي
عن كعب الاحبار ان القمر ينكسف ثلاث ليال متواليات وروي عن كعب الاحبار يطلع نجم بالمشرق
ولذنب يضيء كما يضيء القمر ينعطف حتى يلتقي طرفاه او يكاد وفي الديلمي مرفوعاً يكون بهدة وفي رمضان
توقظ النائم وتفزع اليقظان ومن وجه آخر يكون بصوت في رمضان في نصف الشهر يصعق منه
سبعون الفاً ويحيي مثلها ويخسر مثلها ويصم مثلها وينفق من الابكار مثلها ومن علامات المهدي
ايضاً خسف قرية ببلاد الشام يقال لها حرستا كما في الاشاعة وغيرها الرابعة في الاشاعة
الى بعض الفتن الواقعة قبل خروج المهدي وخروج خوارج قبل ذكر منها ما ذكره في الاشاعة انه
يحيى الغرات عن جبل من ذهب كما تقدم فاذا سمع الناس سارو اليه واجتمع عليه ثلاثة كلهم ان خليفة
يقتتلون عنده ثم لا يصير الى احد منهم فيقول كل واحد والله لئن تركت الناس يأخذون منه
ليذهبن بكله فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون وفي رواية فيقتل تسعة اعشارهم
وفي رواية من كل تسعة سبعة فيقول كل رجل لعلي انا انجو وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من حضر
فلا يأخذ منه شيئاً وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى يخرج المهدي من ولدي ولا يخرج المهدي حتى يخرج سبعون كذاباً كلهم يقول انا نبي وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين
كلهم يزعم انه رسول الله رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري بمعناه وتمام الحديث في مسلم وحتى
يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن وتكثر الهرج وهو القتل الحديث وروى
في صحيح البخاري الا انه قوله وتكثر الزلازل في البخاري دون مسلم وفي مسلم عن جابر بن سمرة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه بين يدي الساعة كذابين زاد في
طريق اخرى قال جابر فاحذروهم وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر لا يظهر المهدي الا على خوف
شديد من الناس وزلزال وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب
واختلاف شديد في الناس وتشتت في دينهم وتغيير في حالهم حتى يتمنى المتمنى الموت صباحاً
ومساء من عظيم ما يرى من كلب الناس واكل بعضهم بعضاً فحينئذ يخرج فيا طوبى لمن ادركه
وكان من انصاره والويل كل الويل لمن خالفه وخالف امره وقال محمد بن الصامت قلت للحسين

بلغ

سمرة ح

ابن علي رضي الله عنهما امام عدالة بين يدي هذا الامر يعني ظهور المهدي قال بلى قلت وما هي قال هلاك بني العباس وخروج السفياني والخسف بالبيداء قلت جعلت فداك اخاف ان يطول لهذا الامر فقال انما هو كنظام الخرز يتبع بعضه بعضا وعن امير المؤمنين علي رضي الله عنه قال تكون بالشام رجفة يهلك فيها اكثر من مائة الف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذابا على المنافقين فاذا كان كذلك فانظروا الى اصحاب البراذين الشهب والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجوع الاكبر والموت الاحمر فاذا كان ذلك فانظروا خسفا قريبا من قرى دمشق يقال لها حرستا فاذا كان ذلك خرج ابن آكلة الاكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق فاذا كان كذلك فانظروا خروج المهدي ومن اقوى علاماته خروج المهدي خروج من يتقدمه من الخوارج السفياني والابقع ولماصهب والاعرج والكندي اما السفياني فاسمه عروة واسم ابيه محمد وكنيته ابو عتبة قال العلامة الشيخ مرعي في فوائد الفكر وفي عقد الدرر انه السفياني من ولد خالد ابن يزيد بن ابي سفيان ملعون في السماء والارض وهو اكثر خلق الله ظلما قال علي رضي الله عنه السفياني من ولد خالد بن يزيد بن ابي سفيان رجل ضخم الهامة يوجد في جبهته اثر جدري بعينه نكتة بياض يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يقر بطون النساء ويقتل الصبيان ويخرج اليه رجل من اهل بيتي في الحرم فيبلغ السفياني فيبعث اليه جندا من جنده فيهزمهم فيسير اليه السفياني بمن معه حتى اذا جاز بيداء من الارض خسف بهم فلا ينجو الا المخبر عنهم اخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه والابقع يخرج من مصر والاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج الجرهمي من الشام قال كعب الاحبار اول من يخرج ويغلب على البلاد الاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام ويخرج القحطاني من بلاد اليمن قال كعب فبينما هؤلاء الثلاثة قد تغلبوا على مواضعهم واذا قد خرج السفياني من دمشق من وادي يقال له وادي اليابس في ثياب صوف فيقال له قم فاخرج فيقوم فلا يجد احدا ثم يؤتى الثانية ثم الثالثة ويقال له فيها فانظر الى باب دارك فينحدر في الثالثة الى باب داره فاذا بسبعة افذاذ او تسعة معهم لواء فيقولون اخرج اصحابك ومع رجل منهم لواء معقود لا يرى كذلك اللواء احد الا انهزم فيخرج اليه صاحب دمشق ليقاتله فاذا نظر الى راية اللهزم فيدخل دمشق الشام في ثلاثمائة وستين راكبا وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون الفا منهم كلب وهم اخواله وعلامة خروجه خسف بقرية حرستا وتسقط جانب مسجدها الغربي ثم يخرج الابقع والماصهب فيخرج السفياني من الشام والابقع من مصر والاصهب من جزيرة العرب ويخرج الاعرج الكندي بالمغرب

ويدوم

ويدوم القتال بينهم سنة ثم يغلب السفياني على الابقع ولماصهب ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة فيبلغ السفياني فيظهر السفياني عليه ويحوز ما جمعوا من الاموال ويظهر على الرايات المكلث ثم يقاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد في الارض ويدخل الروم فيقتل منهم ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له المنصور يمكن لآل محمد واجب على كل مؤمن نصره وهذا الرجل يحتمل ان يكون هو الهاشمي الآتي ذكره ويلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر ويحتمل ان يكون غيره ويثور اهل خراسان بعساكر السفياني فتكون بينهم وقعات فاذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلا من بني هاشم بلغه اليمن خال سهل الله امره وطريقه هو اخو المهدي من ابيه وامه وابن عمه وهو يومئذ باخر المشرق باهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار وهي غير رايات بني العباس على مقدمته رجل من بني تميم الموالي ربعة اصفر قليل اللحية كوسج واسم شعيب ابن صالح التميمي يخرج اليه في ستة الاف فاذا بلغه خروجه صيره على مقدمته ولو استقبلته الجبال الرواسي لهدها ليمهد الارض للمهدي فيلتقي الهاشمي بخيل السفياني فيقتل منهم مقتلة عظيمة ببيضاء اصطخر حتى تطأ الخيل الدما الى ارساغها ثم تأتيه جنود من قبل سجستان على رجل من بني عدي فيظهر الله انصاره وجنوده ثم يجتمع مع المهدي ويبايعه وبالله التوفيق الخامسة في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك اخرج نعيم بن حماد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال المهدي مولده بالمدينة من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس وفي مرفوع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند ابي نعيم وابي بكر بن المقري في معجمه يخرج المهدي من قرية يقال لها كرمة واما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء واذا هاجر المهدي من المدينة الى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتصير مأوى للوحوش وقد ورد ان بيت المقدس خراب يثرب وفي حديث قتادة يخرج المهدي من المدينة الى مكة وفي حديث ابن عباس يخرجونه من بطن مكة من دار عند الصفا وفي خبر ابي جعفر يظهر المهدي بمكة عند العشاء وفي لخبر يبعث السفياني جيشا الى مكة فيأمر بقتل من كان فيها من بني هاشم فيقتلون ويتفرق من هناك بين الى البرارى والجبال حتى يظهر المهدي بمكة فاذا ظهر اجتمع كل من شذ منهم اليه بمكة وياتي سبعة علماء من افاق شتى على غير ميعاد قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض ما جاء بكم فيقولون جئنا نطلب هذا الرجل الذي ينبغي ان تهدى على يديه الفتن وتفتح له القسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم ابيه وامه ولم نقف على اسمه للمهدي بعد الفحص والتتبع ولعلهم يعرفون اسمه بالكشف كما ذكره في الاشاعة فيقف السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون

انت فلانة فيقول بل انا رجل من الانصار فينقلب منهم فيصفونه لاهل الخبرة والمعرفة به فيقولون
هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم الى مكة وهكذا ثلاث مرات
فيصيبونه بمكة في الثالثة عند الركن فيقولون انا عليك ودعاؤنا في عنقك ان لم تمد يدك نبايعك
وقد اقبل عسكر السفياني في طلبنا فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع فيلقى الله محبته في
قلوب الخلق فيصير مع قوم اسد بالنهار ورهبان بالليل اخرجه نعيم ابن حماد عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه واخرج الضياء ابن عساكر رضي الله عنهما قال يبعث المهدي بعد اياس حتى يقول الناس لا مهدي
وانصاره من اهل الشام عدتهم ثلثمائة وخمسة عشر رجلا عدد اصحاب بدر بسير ويد اليمن الشام
حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا فيبايعونه كرها فيصلي بهم ركعتين عند المقام
واخرج عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائما ولا يهريق
دما والله اعلم وقد تكاثرت الروايات والاثار بامر المهدي وقد ذكر العلماء ان اول ظهوره يكون شابا
ثم يخاف على نفسه من القتل فيفر الى مكة مختفيا ثم يرجع الى مكة فيرونه بالمطاف عند الركن
فيقهرونه على المبايعة بالامامة ثم يتوجه الى المدينة ومعه المؤمنون ثم يسير الى جهة الكوفة ثم يعود
منهزما من جيش السفياني فيخرج الله على السفياني من اهل المشرق وزير المهدي فيهزم السفياني الى
الشام فيقصده المهدي فيذبحه عند عتبة بيت المقدس كما تذبح الشاة ويغنم ومن معه من اموال
الذين هم جنده من بني كلب ولا اكثر من تلك الغنيمة وفي رواية انه يخرج رجل من كلب يقال له كنانة بعينه
كوكب في رهط من قومه حتى ياتي الصخرة يعني السفياني فيبعث اليه المهدي سرية واعظم راية في زمانه
ما ئة رجل فيضع كلب خيلها ورجلها وابلها وغنمها فاذا اسامتنا الخيل ولت كل ادبارها فيقتلونهم
ويسبونهم حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم ويوخذ الصخرة فيوتى بها اسيرا الى المهدي فيذبح
على الصخرة المعترضة على وجه الارض عند الكنيسة التي ببطن الوادي على درج طور دنيا المقطوعة
التي على الوادي كما تذبح الشاة وفي رواية ثم يوخذ عروة السفياني على اعلا شجرة على بحيرة طبرية
قال صلى الله عليه وسلم والكايب يومئذ من خاب من قتال كلب ولو بكلمة او تكبيرة او بصيحة والخائب من خاب
يومئذ من غنيمة كلب ولو بعقال فقال حذيفة يا رسول الله كيف يحل قتالهم وتغنم اموالهم وهم مسلمون
فقال صلى الله عليه وسلم يكفرون به باستحلالهم الخمر والزنا وفي الحديث لا تخرب امتي حتى يخرج المهدي بوديه
الله بثلاثة الاف من الملائكة ويخرج اليه الابدال من الشام والنجباء من مصر وعصائب اهل العراق حتى
ياتوا مكة فيبايعوا له بين الركن والمقام ثم يتوجه الى الشام ويجيء جبريل على مقدمته وميكائيل عن يساره
ومعه اهل الكهف اعوانا له فيخرج به اهل السماء والارض والطير والوحش والحيتان في البحر وتزيد المياه

في دولته

في دولته وتمتد الانهار وتضعف الارض اكلها فيقدم الى الشام فياخذ السفياني فيذبح تحت
الشجرة التي اعضائها الى بحيرة طبريه والذي يظهر في الجمع بين روايات ذبح السفياني انه يذبح تحت
الشجرة تارة ووزيره والذي يذبح على العتبة هو نفسه اذا كان المذبوح تحت الشجرة وزيره او وزيره
اذا كان هو المذبوح ثم يمهد الارض للمهدي ويدخل في طاعته ملوك الارض كلهم ويبعث بعثا
الى الهند فيفتح ويوتى بملوك الهند اليه مقفلين وتنقل خزائنها الى بيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس
ويمكث في ذلك سنين وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي ففي بعضها يملك خمسا
او سبعا او ستا بالترديد وفي بعضها ثلاثا وفي بعضها اربعين منها تسع سنين يهادنه الروم
فيها ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بان ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الاكثر باعتبار جميع
مدة الملك منذ البيعة والاقل على غاية الظهور والاوسط على الاوسط قال في الاشاعة وهذا
الذي تقتضيه بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالمهدي وانه الله يعوضهم عن الظلم والجور قسطا وعدلا
والذي يكرم الله تعالى تكون مدته ذلك بقدر ما يسوء فيها الظلم والجور والفتن والسبع و
التسع اقل من ذلك مع انه في مدته تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع
الافاق كما في بعض الروايات ويبني المساجد والبلدان ويجدد بيت المقدس وهذا يقتضي مدة
طويلة مع ما ورد ان الاعمار تطول في زمانه فطولها مستلزم لطول مدته والتسع ونحوها
ليست من الطول في شيء ولا سيما مع دنئة الروم تسع سنين ثم فتح القسطنطينيه ورومية
المدائن وغيرها وهذا يقتضي طول مدته وبالله التوفيق **تنبيه** قد كثرت الاقوال
في المهدي حتى قيل لا مهدي الا عيسى والصواب الذي عليه اهل الحق ان المهدي غير عيسى وانه
يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنى
وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم وقد روى الامام الحافظ ابن الاسكاف باسناد
مرضي الى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالدجال فقد كفر ومن
كذب بالمهدي فقد كفر وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يا حذيفة لو لم يبق
من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من اهل بيتي تجري الملاحم على يديه ويظهر
الاسلام ولا يخلف الله وعده وهو سريع الحساب اخرجه الحافظ ابو نعيم الاصفهاني واخرج نحوه
ابو عمرو الداني في حديث ابي هريرة مرفوعا ومن حديث قيس بن جابر عن ابيه عن جده مرفوعا
وفيه ثم يخرج المهدي من اهل بيتي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا رواه ابو نعيم في فوايده
واخرجه الطبراني في معجمه ومن حديث ابي سعيد الخدري اخرجه ابو نعيم ومن حديث ابن عباس اخرجه ابن الجوزي

في تاريخه ومن حديث علي اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي في سننهم وقد روى عما ذكر من الصحابة
وغير ما ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين ومن بعدهم ما يقبل منه ويحتج به العلم القطعي
فالايمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند اهل العلم ومدون في عقايد اهل السنة والجماعة
وكذا عند الشيعة ايضا لكنهم زعموا ان محمد بن الحسن العسكري كما تقدم وزعمت الكيسانية ان
المهدي هو محمد بن الحنفية وانه حي مقيم بجبل رضوى وانه بين اسد بن يحفظانه وعنده عينان نضاختان
يجريان ماء وعسل فزعموا انه دخل السرب ومعه اربعون من اصحابه ولم يوقف لهم على خبر قالوا ولم احيا
يرزقون ويقولون انه يعود بعد الغيبة ويملأ الارض عدلا كما ملئت جورا قالوا وانما عوقب
لهذا الحبس لخروجه على الملك بن مروان وقتل الوليد بن يزيد بن معاوية والى هذا الاعتقاد اشار كثير عزة
بقوله وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء مغيب لا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل
الا قل للامام فدتك نفسي اطلت بذلك الجبل المقاما وجبل رضوى بفتح الراء وبعدها
ضاد معجمة وبعد الواو الف لكنتي وهو جبل جهينة بعمل الينبع بينهما مسيرة يوم واحد
وبهو من المدينة على سبع مراحل وميامنه طريق المدينة وميسرة طريق البحر لمن كان مصعدا الى مكة
وهو على ليلتين الى البحر وكان المختار ابن ابي عبيد الثقفي كتب الى المشهور بدعوته الى امامة محمد بن الحنفية
رضي الله عنه وعن ابيه علي بن ابي طالب وكان المختار يزعم ان محمدا هذا هو المهدي قال الجوهري في الصحاح
كيسان لقب المختار المذكور واقتصر عليه في القاموس ايضا وقال غيرهما كيسان مولى علي رضي الله عنه
وقيل ان كيسان تلميذ علي وهؤلاء الكيسانية احد فرق الضلال كما مر في تعداد الفرق وفعلى عقولهم
الدمار وعلى اديانهم البوار ما اضل عقولهم وابلد فهومهم وبالله التوفيق تنبيه جاء عن ابن سيرين
ان المهدي خير من ابي بكر وعمر وقد كان لا يفضل الانبياء وجاء عنه ايضا لا يفضل عليه ابو بكر وعمر وهو وان
كان احفظ من الاول فليس بصحيح فان الامة مجمعة على افضليتهما عليه بل وعلى جميع الصحابة خلافا
للروافض خذلهم الله كما سيأتي بيانه وذلك بل غيره هما من الصحابة افضل من المهدي ثم يستمر سيدنا المهدي
حتى يسلم الامر لروح الله عيسى ابن مريم عليه السلام ويصلي المهدي بعيسى عليه السلام قبل تسليمه الامر اليه
ثم يموت المهدي ويصلي عليه روح الله عيسى ويدفنه في بيت المقدس وتقتضي حكمة الله تعالى علمه قدر سنة لانه
يخرج ويبايع له وهو ابن اربعين او خمسة وثلاثين سنة وتقدم الخلاف في مدة حكمه والله تعالى اعلم
خاتمة اخرج نعيم عن الوليد بن مسلم قال سمعت رجلا يحدث قوما فقال المهدي ثلاثة محمدي
الخير عمر بن عبد العزيز ومهدي الدم وهو الذي يسكن على يديه الدماء ومهدي الدين عيسى ابن مريم عليه السلام

واخرج ايضا

واخرج ايضا عن كعب مهدي الخير بعد السفياني واخرج ايضا عن ارطاة قال بلغني ان المهدي يعيش
اربعين عاما ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الاذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشر سنة
ثم يموت قتلا بالسلاح ثم يخرج رجل من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مهدي حسن السيرة يغزو مدينة
قيصر وهو آخر امير من امة محمد صلى الله عليه وسلم يخرج في زمانه الدجال وينزل عيسى بن مريم ونقل العلامة
السخاوي مرعي في كتابه فوائد الفكر عن ابي الحسن محمد بن الحسين انه قال قد تواترت الاحاديث واستفاضت
بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي وانه من اهل بيته صلى الله عليه وسلم وانه يملك سبع سنين
وانه يملأ الارض عدلا وانه يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال بباب لد بارض فلسطين وانه
يؤم هذه الامة وعيسى يصلي خلفه صلاة واحدة وهي النجم كما مر وبالله التوفيق العلامة
الثانية خروج الدجال وما يتعلق به وما ادراك ما الدجال منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن
والاوجال قد انذرت به الانبياء قومها وحذرت منه امتها ونعتته بالنعوت الظاهرة و
وصفته بالاوصاف الباهرة وحذر منه المصطفى وانذر ونعته لامته نعوتا لا تخفى على ذي بصر
وقد قيل انه صاف بن صياد او صايد وانه مولده المدينة كما في الحديث الوارد وقيل بل هو
شيطان موثق في بعض الجزاير او انه من اولاد شق الكاهن او هو شق نفسه وانه امه كانت جنية
عشقت اباه فولدها اياه وكانت الشياطين تعمل له العجايب فحبسه سليمان بن داود عليهما
السلام وهذا القول ليس بصايب وقال كعب الاحبار الدجال تلده امه بقوص من ارض مصر وبين
مولده وخروجه اربعون سنة وفي الترمذي انه يخرج من خراسان وفي صحيح مسلم عن انس رضي الله عنه
مرفوعا يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر
رضي الله عنهما مرفوعا يخرج الدجال من يهودية اصبهان ثم يخلق له عين والاخرى كانها كوكب ممزوجة
بدم يشوي في الشمس سمكا وتبنا ويأول الطير من يحوله ثلاث صيحات يسمعها اهل المشرق والمغرب
ومن حليته انه شاب وفي رواية شيخ وسندهما صحيح جسيم احمر وفي رواية ابيض امهق وفي
رواية ادم قال الحافظ ابن حجر في شرحه للبخاري يمكن ان تكون ادمته صافية وقد يوصف ذلك بالحمرة
لان كثيرا من الادم قد تحمر وجنتاه حمرة قط واعور العين اليمنى كانها عنبة طافية وفي رواية
اعور العين اليسرى وجاء في رواية انه اعور العين ممسوحة وليست جحرا وهذا معنى طافية
مهموزة قال في فتح الباري نقلا عن القاضي عياض الذي رويناه عن الاكثر وصححه الجمهور وجزم به
الاخفش طافية بغير همز ومعناه انها ناتية تنتفخ العنبة قال وضبطه بعض الشيوخ بالهمز وانكره
بعضهم قال ولا وجه للانكار ثم جمع القاضي بين الروايات بان عنبة اليمنى طافية بغير همز ومحسوحة

اى ذهب ضوءها وهو معنى حديث ابى داود مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء ليست بعالية ولا عميقة
كما فى الرواية الاخرى عنه وهى الجاحظة التى كانها كوكب وكانها نخاعة فى حائط وهى الخضراء كما جاء ذلك
فى الاحاديث قال وعلى هذا فهو اعور العينين معا فكل واحدة من عينيه عوراء وذلك ان العور العيب للاعور
من كل شئ العيب وكل عينى الدجال معيبة احداهما بذهاب نورها والاخرى بنتوئها وخضرتها
قال الامام النووى وهذا فى غاية الحسن انتهى وقد ورد انه على عينيه ظفرة غليظة وهى لحمة
تنبت عند المآق وقيل لحمة تخرج فى العين فى الجانب الذى يلى الانف وهما متقاربان قال الحافظ ابن حجر
فى فتح البارى وقد ورد فى كلتا عينيه انه على احداهما ظفرة وفى بعض الروايات عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه
عند الامام احمد جاحظة لا تخفى كانها نخاعة فى حائط مجصص وعينه اليسرى كانها كوكب درى وفى
حديث ابى رضى الله عنه عند الامام احمد ايضا والطبرانى احدى عينيه كانها زجاجة خضراء قال والذى
يتحصل من مجموع الاخبار ان الصواب فى طافية بغير همز وصرح فى حديث عبد الله بن معقل وسمرة وابى بكرة
رضى الله عنهم بان عينه اليسرى ممسوحة والطافية غير الممسوحة واما الظفرة فيجائز ان يكون فى كل من عينيه
لانه لا ينافى الطمس ولا النتوء وتكون التى ذهب ضوءها هى الممسوحة يعنى اليسرى والمعيبة مع بقاء حدقتها
هى البارزة انتهى ومن اوصاف الدجال انه قصير افحج كما فى سنن ابى داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المسيح الدجال
قصير افحج جعد اعور مطموس العين اى مستأصل ما بين الساقين وقيل هو التداني ما بين صدور القدمين
مع تباعد هما وقيل هو الذى فى رجليه اعوجاج جعال الشعر بضم الجيم وتخفيف الفاء اى كثيره جمالا
بكسر اوله وتخفيف الجيم ابيض اقمر اى شديد البياض ضخم قيلمانى بفتح الفاء وسكون التحتية اى عظيم اللحية
قال ابن الاثير فى نهايته فى صفة الدجال اقمر قيلم وفى رواية قيلمان تثنية القيلم العظيم الكتد والقيلم الاسم
العظيم والياء زائدة والقيلمانى منسوب اليه بزيادة الالف والنون للمبالغة انتهى كان راسه اغصان
شجرة اى شعر راسه كثير متفرق قائم وفى رواية انه راسه مزوبرة حمكاء اى شعر متكسر مجتمع كالماء
الساكن والرمل اذا هبت عليه الريح قال فى النهاية وهذا معنى قوله عام اثر جعد قطط مكتوب بين عينيه
ك ف ر حروفا مقطعة يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرؤها الكافر ولا ولد الزنا ولا يدخل
المدينة ولا مكة تتبعه اقوام كان وجوههم المجان المطرقة وسبعون الفا من اصبهان عليهم التيجان
وكلهم ذو سيف محلى ومن صفاته ايضا انه ينام عيناه ولا ينام قلبه وانبوة طوال ضرب اللحم
كان انفه منقار وامه امراة قرضاخية اى كثيرة اللحم طويلة الشفتين وقال فى النهاية وفى حديث
الدجال وان امه كانت قرضاخية اى ضخمة عظيمة الثديين يقال رجل قرضاخ وامراة قرضاخة
والبا للمبالغة انه اى الدجال حمار اهلب وهو الشعر الغليظ يعنى كثير الشعر ما بين اذنيه اربعون ذراعا

يصنع خطوة

يضع خطوه عند منتهى طرفه وقال ابو الطفيل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم يخرج الدجال على حمار
رجس رواه ابن ابى شيبة وقال على رضى الله عنه يخرج الدجال ومعه سبعون الفا من اليهود عليهم السلاح
بعضهم ان الحاكة اسم موضع على مقدمته رجل اشعر اى كثير الشعر يقول بدو بدو وهذا اللفظ
فارسى معناه اسرع اسرع وفى مسند ابى بكر ابن ابى شيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الدجال
عريض المنخرين فواى اخنا وفى صحيح مسلم من حديث هشام بن عامر رضى الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال
وفى رواية امر اكبر من الدجال واعلم ان العلماء قد اختلفوا فى الدجال فقيل انه ليس بانسان
وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة فى بعض جزائر البحر لا يعلم من اوثقه الا سليمان
ابن داود عليهما السلام او غيره فاذا اراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة واذا ابرز الله
اتانا عرض ما بين اذنيه اربعون ذراعا فيضع على ظهرها سنوام نحاس فيقعد عليه وتتبعه
قبائل الجن يخرجون اليه من خزائن الارض واول خروجه يدعى الايمان والصلاح ويدعو الى الدين
فيتبع ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعدل به فيتبع ويحج على ذلك ثم يدعى الالهية
فيقول انا الله فتغشى عينه وتقطع اذناه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم فيفارقه كل
احد من الخلق فى قلبه مثقال ذرة من الايمان هكذا رواه الطبرانى وقال كعب الاحبار يتوجه الدجال
فينزل عند باب دمشق الشرقى فى ابداء قبل خروجه ثم يلتمس فلا يقدر عليه ثم يرى عند المياه التى عند
نهر الكسوة فيطلب فلا يدرى اين توجه ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة ثم يظهر السحر ثم يدعى النبوة
فينصرف الناس عنه يعنى المسلمين فياتى النهر فيامره ان يسيل فيسيل ثم يامره ان يرجع فيرجع
ثم يامره ان يبس فيبس الحديث رواه نعيم بن حماد ويبعث الله شياطين فيقولون له استعن
بنا على ما تريد فيقول لهم نعم اذهبوا للناس فقولوا انا ربهم فيبثهم فى الافاق ويدعى الالهية ويخرج
فى ارض المشرق من نواحى خراسان ومعه اليهود من اصبهان وغيرها وقيل انه يخرج من يهودية
اصبهان كما تقدم وقيل من كوثى بالكوفة واكثر من يتبعه اليهود والنساء والاعراب وفى الزوائد
انه يخرج من خراسان وفى صحيح مسلم عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال
من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة وفى الطبرانى يخرج الدجال من قبل اصبهان من المشرق
معه قومه وجوههم كالمجان فيفتتن الناس به فتنة عظيمة ففى الحديث ما كانت ولا تكون فتنة
حتى تقوم الساعة اعظم من فتنة الدجال وما من نبى الا وحذر قومه الدجال الحديث رواه الحاكم عن
جابر رضى الله عنه مرفوعا وفى الحديث انه قيل اخر وجه بثلاث سنين اول سنة تمسك السماء ثلث قطرها

والارض ثلث نباتها والسنة الثانية تسعة اثلاثها وقطرها والارض ثلثي نباتها والسنة الثالثة تمسك السماء فيها
ويهلك كل ذي ضرس وظلف ويسير ومعه جبلان احدهما فيه انهار واثمار وماء والاخر فيه دخان فينقض
هذه الجنة وهذه النار رواه الحاكم عن ابن عمر وفي حديث حذيفة ان معه جنة ونارا ورجالا يقتلهم ثم
ثم يحييهم ومعه جبل يديد ونهر ماء ونحوه في صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدجال اعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانا اعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان احدهما رأي العين ماء ابيض
والآخر رأي العين نار تاجج فاما ان ادرك ذلك احد منكم فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض ثم ليطأطئ
راسه فيشرب فانه ماء بارد وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر
يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الدجال ان معه ماء
ونارا فناره ماء بارد وماؤه نار فلا تهلكوا قال ابن مسعود رضي الله عنه وانا سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل هذه الروايات في صحيح مسلم واتفق البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم على هذه الرواية وهي قوله ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فاما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق
واما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا فانه ماء عذب
طيب قال ابن مسعود وانا قد سمعته تصديقا لحذيفة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم عن الدجال حديثا ما حدث نبي قومه انه اعور وانه يجيء معه
بمثل الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني انذركم به كما انذر نوح قومه واخرج مسلم
من حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة
فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم قلنا يا رسول الله
ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننا انه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم
ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم
انه شاب قطط عينه طافية كاني اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة
الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله فما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم
كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا
فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته
الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت

فتروح

فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم
فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول
اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه
جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح
ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على
اجنحة ملكين اذا طاطأ راسه قطر وان رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد
ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه الحديث وقد ذكر غير واحد من العلماء ان الذي معه
من صورة الجنة والنار ونحوهما على طريق التخييل لا الحقيقة منهم ابن حبان في صحيحه واستدل بحديث
المغيرة بن شعبة في الصحيحين وغيرهما انه قال كنت اكثر من سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آية
الدجال فقال لي وما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز قال هو اهون من ذلك فقال فعناه
انا نهون على الله من ان يكون معه ذلك حقيقة بل يرى ذلك وليس بحقيقة ويدل له ايضا الرواية
السابقة احدهما في رأي العين ابيض الحديث وقال جماعة منهم ابن العربي بل هي على ظاهرها
امتحانا من الله تعالى لعباده وحملوا قوله هو اهون علي من ان يخاف منه او ان يفضل الله به من يجيده قال
في الاشاعة كالعلاقة السبع مرعي والتحقيق الاول ويدل له ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في ادرك
ذلك منكم فليقع بالذي يراه انها نارا فانه عذب بارد وبما في رواية فالنار روضة خضراء وفي
الصحيحين من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال يأتي وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينتهي
الى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس او من خير الناس فيقول له
اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال ارايتم ان قتلت هذا
ثم احييته اتشكون في الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول الرجل حين يحييه والله ما
كنت فيك قط اشد بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه واخرج مسلم
عنه ايضا في هذا الحديث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من
المؤمنين فيلقاه المسالح مسالح الدجال اي وهم جمع مسلحة قوم معهم سلاح والمسلحة كالثغر
والمرقب وهو الذي يكون فيه قوم يرقبون العدو لئلا يهجم عليهم فيقولون له اين تعمد فيقول
اعمد الى هذا الرجل الذي خرج قال فيقولون له اوما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون
اقتلوه فيقول بعضهم لبعض اليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا احدا دونه قال فينطلقون به

الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال يا ايها الناس هذا الدجال الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال فيقوم به
الدجال فيشيح فيقول لحذوه واشيحوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال فيقول اما تومن بي قال فيقول
انت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيوشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال
بين القطعتين ثم يقول لهم قوم فيستوي قائما وفي رواية قم حيا باذني فيعود حيا قال فيقول له المؤمن
بي فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول يا ايها الناس انه لا يفعل بعدي باحد من الناس
قال فياخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا قال
فياخذ بيديه ورجليه فيقذفه فيحسب الناس انه قذفه الى النار وانما القي في الجنة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا اعظم الناس شهادة عند رب العالمين قال القرطبي في تذكرته يقال ان
هذا الخضر عليه السلام قال العلامة السخاوي في بهجته ثبت ان الدجال لا يسلط على احد بالقتل
الا على رجل واحد يخرج اليه وهو شاب حسن فيقول الدجال اتومن بي وبالوهيتي فيقول له انك اللعين
الكذاب او الدجال فيقتله ويشقه نصفين ويمشي الدجال بحماره بين الشقتين ويقول له قم حيا
باذني فيعود حيا ثم يقول له بعد ذلك اتومن بي فيقول ما ازددت فيك الا يقينا انك اللعين
قال ابراهيم بن محمد بن سفيان يقال ان هذا الرجل هو الخضر عليه السلام وقد توهم القرطبي فزعم ان الفائل
ذلك ابراهيم ابو اسحاق السبيعي وليس كذلك وقال بعضهم انه الرجل المذكور من اصحاب الكهف وقد مر انهم
يكونون مع اصحاب المهدي فانه قلت كيف يقال انه لا يسلط الا على واحد مع ما ورد عن حذيفة
رضي الله عنه انه مع الدجال رجالا يقتلهم ثم يحييهم فالجواب انما هؤلاء الرجال انما هم شياطين وقتله
اياهم واحياؤه لهم انما هو في راي العين لا على الحقيقة واما قتل ذلك الرجل فعلى الحقيقة فائدة
ورد انه لم يقع الناس بلا فتنة من الدجال الا اثني عشر الف رجل وسبعة الاف امراة والله المستعان
واخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج الدجال في امتي فيمكث اربعين لا ادري اربعين يوما او اربعين شهرا او اربعين عاما
فيبعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام كانه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه الحديث ومنها
اي من علامات الساعة العظمى العلامة الثالثة انه ينزل من السماء السيد المسيح
عيسى ابن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما الكتاب فقوله
والا من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند
نزوله من السماء اخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة ابيهم حنيفا مسلما ونوزع في الاستدلال
لهذه الاية الكريمة وان الضمير في قوله قبل موته ليهود وتؤيده قراءة ابي رضي الله عنه
قبل موتهم

قبل موتهم واما السنة ففي الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع
الجزية الحديث وفي مسلم عنه والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب بنحوه واخرج مسلم
ايضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي يقاتلون
على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى ابن مريم فيقول اميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان
بعضكم على بعض امراء تكرمة الله هذه الامة واما الاجماع فقد اجمعت الامة على نزوله ولم يخالف
في احد من اهل الشريعة وانما انكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه وقد انعقد
اجماع الامة على انه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس بنزوله بشريعة مستقلة عند نزوله
من السماء وانه كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها وتسلم الامر من المهدي ويكون المهدي من
اصحابه واتباعه كسائر اصحاب المهدي كما مر وتقدم ان عيسى عليه السلام يصلي وراء المهدي
صلاة الفجر ولا يقدح ذلك في نبوته وكذلك يسلم اليه بابوت بني اسرائيل وكل ما معه من آلات الامر
فوائد في متعلقات السيد المسيح عليه السلام الاولى في حليته وسيرته اما حليته
فعند البخاري في حديث عقيل بن خالد الله احمر جعد عريض الصدر وفي رواية ادم كاحسن ما انت راء
من ادم الرجال سبط يتطف بكسر الطاء المهملة اي يقطر زاد في رواية له لمته اي بكسر اللام وتشديد
الميم احسن ما انت راء من اللمم قد رجلها بتشديد الجيم اي سرحها وفي رواية لمته بين منكبيه رجل
الشعر يقطر راسه ماء وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ورايت عيسى ابن مريم عليه السلام مربوع
الخلق الى الحمرة والبياض سبط الراس زاد في حديث ابي هريرة رضي الله عنه بنحوه كانما خرج من ديماس
يعني الحمام ولا منافاة بين الحمرة والادمة لجواز ان تكون ادمته صافية كما مر لا يحدر ريح نفسه كافر
الا مات واما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم ويقتل القرد ويضع الجزية ولا
يقبل الا الاسلام ويتحد الدين فلا يعبد الا الله ويترك الصدقة اي الزكاة لعدم من يقبلها وتظهر
الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال وترفع الشحناء والتناغض وينزع الله سم كل ذي سم
حتى يلعب الولدان بالحيات والعقارب فلا تضرهم ويرعى الذيب مع الشاة فلا يضرها ويملا الارض
سلما ويعدم القتال وتنبت الارض بنيها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم
وكذا الرمانة وترخص الخيل لعدم القتال وتغلو التجارة لان الارض تحرث كلها ويكون مقر الشريعة
بنينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه رسول لهذه الامة كما مر ويكون قد علم احكام هذه الشريعة بالهام الله تعالى وهو

في السماء قبل الا ينزل وزعم بعض العلماء ان بنزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام يرفع التكليف وهذا
مردود للاخبار الواردة انه يكون مقررا لاحكام هذه الشريعة ومجددا لها اذ هي آخر الشرايع ونبينا
محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والدنيا لا تبقى بلا تكليف فانه بقاء الدنيا انما يكون لمقتضى التكليف الى ان لا يقال
في الارض الله الله ذكره القرطبي في تذكرته وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم وتسلب قريش ملكها
قال الحافظ السخاوي في كتابه القناعة وابن حجر في القول المختصر معنى ذلك لا يبقى لقريش اختصاص
بشيء دون مراجعة فلا يعارض ذلك خبر لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان قال
البرزنجي في الاشاعة ويدل لهذا حديث جابر عند مسلم فيقول اميرهم تعال صل لنا فيقول لا
ان بعضكم على بعض امرا تكرمة الله هذه الامة وعلى هذا فلا منافاة ان يكون المهدي اميرا حتى
في زمن عيسى عليه السلام ويكون مراجعته في الامور لعيسى عليه السلام للتبرك والتيمن به قال قلت
كيف يصح خبر لا يزال هذا الامر في قريش مع مشاهدتنا انفصال قريش من الملك منذ ازمان
فالجواب استحقاقها لهذا الامر وان ظلمها ظالم واما عيسى فيظهر كمال العدل فلا يأخذ حقهم وهم
ان يكون بقاء الامر في قريش ولو مراجعة ولا شك ان قريشا يراجعون في ملوك زماننا يزعمون انهم
انما يملكون بالنيابة عن قريش ويعلمون صورة نيابة عن نقيب السادة الاشراف على ان لبني هاشم
استقلالا بالامر في محلات كالحجاز واليمن والمغرب وغيرها ثم انه لا يخفى انه لا يقال ان الامر
في ايام عيسى يكون للمهدي مع كون عيسى رسولا من اولي العزم معصوما والمهدي رجل مجتهد
نعم يكون المهدي من خواص اسيد عيسى بل وزيره والمقرب لديه يراجعه في الامور وتصدر عنه الشورى
وبالله التوفيق الفائدة الثانية في وقت نزوله من السماء ومحله وما يجري على يديه من الملاحم
اما محل نزوله فعند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعا كفيه على اجنحة ملكين ففي
صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ان الله صلى الله عليه وسلم قال فبينما هو يرى
الدجال كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق
بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه
جمان كاللؤلؤ فلا يحل للكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه قوله مهرودتين
قال في جامع الاصول روينا هذه اللفظة بالمهملة والمعجمة يقال للثوب اذا صبغ بالورس
ثم بالزعفران جاء لونه مثل زهرة الحوذان فذلك الثوب مهرود وقيل الاداء المهرود الثوب
المصبوغ بالهرد وهو صبغ اصفر قيل انه الكركم وقيل الاداء في شقتين من الهرد وهو القطع انتهى

وقال

وقال في النهاية في حديث عيسى عليه السلام انه ينزل بين مهرودتين اي في شقتين او ملحفتين وقيل
الثوب المهرود الثوب الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجيء لونه مثل زهرة الحوذانة قال الهروي
هو خطأ من النقلة وانما هو مهروتين اي صفراوين يقال هريت العمامة اذا لبستها صفراء وكان
فعلت منه هروت فانه كان محفوظا بالدال وهو من الهرد الشق وخطى ابن قتيبة في استدراكه
واستشفاقه قال ابن الانباري المعول عندنا في الحديث بين مهرودتين يروى بالدال والذال اي بين
ممصرتين على ما جاء في الحديث ولم نسمعه الا فيه وكذلك شيا لم تسمع الا في الحديث والممصرة من
الثياب التي فيها صفرة خفيفة وقيل المهرود الثوب الذي يصبغ بالعروق والعروق يقال لها
الهرد وفي حديث ذات جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهردية جاء تفسيره في الحديث انها
العدسة انتهى والجمان حب الفضة ويكون نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام لست ساعات
مضت من النهار حتى يأتي مسجد دمشق فيقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى
واليهود كلهم يرجونه حتى لو القي شيء لم يصب الارض انسانا من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين
وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج الا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن
مؤذنهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه
من اهل دمشق في طلب الدجال كما سيأتي بيانه ذلك الفائدة الثالثة في مقدار مدته ووفاته
اما مدته ووفاته فقد ورد في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني وابن عساكر انه صلى الله
عليه وسلم قال ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس اربعين سنة وعند الامام احمد وابن ابي شيبة
وابي داود وابن جرير وابن حبان عنه انه يمكث اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه
عند بيتنا محمد صلى الله عليه وسلم واخرج الامام احمد وابن ابي شيبة وابن عساكر وابو يعلى عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى
في الارض اربعين سنة اماما عادلا وحكما مقسطا واخرج الامام احمد ايضا عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال يلبث عيسى ابن مريم اربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسلا لسالت وفي المنتظم
للامام الحافظ ابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيتزوج
ويولد له ذكر بعضهم ولدين احدهما يسمى موسى والآخر محمدا وانهما لغير اليزد قال ويمكث خمسا و
اربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم انا وعيسى من قبر واحد بين ابي بكر وعمر وعلى هذا
روايات اربعين ورويت بالغاء الكسر ووردت في رواية انه يمكث سبع سنين وجمع بعضهم انه سيدنا
عيسى حين رفع كان عمره ثلاث وثلاثين سنة وينزل سبعا فهذه اربعون سنة وبهذا والله اعلم ليس شيء

لما مر من حديث عائشة عند الامام احمد وغيره فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الارض اربعين سنة
وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي كنت افتيت بانه ابن مريم يمكث في الارض بعد نزوله
سبع سنين قال واستمريت على ذلك مدة من الزمان حتى رايت للامام الحافظ البيهقي اعتمد
انه مكثه في الارض اربعين سنة معتمدا لما افاده الامام احمد في روايته بلفظ ثم يمكث
ابن مريم في الارض بعد قتل الدجال اربعين سنة وبهذا هو المرجع لانه زيادة الثقة يحتج
بها ولانهم ياخذون برواية الاكثر ويقدمونها على رواية الاقل لما معها من زيادة العلم
ولانه اثبت والمثبت مقدم انتهى والى قتل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام للدجال اشار بقوله
واذاي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يقتل بامر الله تعالى ومعونته وتاييده للدجال اي الكذاب
وهو اسم لهذا الشخص المشار اليه في الشرائع وقيل انما سمي دجالا لانه يقطع الارض ويسير في
اكثرنواحيها يقال دجل الرجل اذا فعل ذلك وقيل سمي به لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال
دجل اذا لبس وموه وقيل ماخوذ من الدجل وهو طلي الجرب بالقطران وتغطيته فكانه الرجل
يغطي الحق ويستره تنبيه انما سمي الدجال مسيحا لانه احد عينيه ممسوحة لا يبصر بها والمامور
يسمى مسيحا كما في جامع الاصول واما تسمية سيدنا عيسى بن مريم مسيحا فقيل المسح زكريا
عليه السلام اياه وقيل لانه كان لا يمسح ذا عاهة فيبرا وقيل لانه كان يمسح الارض اي يقطعها
في سياحته وقيل المسيح الصديق فسيدنا عيسى مسيح الهدى واما الدجال فهو الضلالة
وضبط فيهما بفتح الميم وكسر السين مخففة وبالحاء المهملة وسمع مسيح بالتشديد على وزن
فعيل قاله الازهري فرقا بينه وبين عيسى فيشدد في الدجال ويخفف في سيدنا عيسى قال
الغنيمي في رسالته الاجوبة المفيدة على الاسئلة العديدة ما لفظه قال ابن دحية عن شيخه
ابي القاسم عن ابي عمران موسى بن عبد الرحمن قال سمعت الحافظ ابا عمر بن عبد البر يقول ومنهم من قال
ذكره بالخاء المعجمة وذلك عند اهل العلم خطا ولذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نطق به بالحاء
المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الراجز اذا المسيح قتل المسيحا يعني عيسى عليه السلام
يقتل الدجال انتهى وقال في المطلع المسيح اثنان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام والدجال
ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على ما هو في القرآن وانما اختلف في معناه فقيل سمي مسيحا
لمسحه الارض اي قطعه بمعنى فاعل وذكر نحو ما تقدم وزاد وانما سمي مسيحا لانه كان ممسوح القدمين
لا اخمص له وقيل لانه كان يمسح ذا العاهة فيبرا وقيل لانه كان يمسح الارض اي يقطعها
وقيل لانه خرج ممسوحا بالدهن قال واما الدجال فهو ممسوح العين عيسى اللفظ عند عامة اهل المعرفة

والرواية

وانه يقتل الدجال

والرواية وهما عن الجمهور وابن سراج وغيره كسر الميم وتشديد السين وانكره الهروي وجعله تصحيفا و
قال بعضهم كسرت الميم للتفرقة بينه وبين عيسى عليه السلام وقال الخزرجي بعضهم يكسرها في الدجال ويفتحها
في عيسى وكلاهما قال ابو الهيثم والمسيح بالحاء المهملة ضد المسيح بالخاء المعجمة مسحه الله اذ خلقه خلقا
حسنا ومسخ الدجال اذ خلقه ملعونا وقال ابو عبيد المسيح الممسوح العين وبه سمي الدجال وقيل
المسيح للاعور وبه سمي الدجال وقيل اصله مشيح فيهما معرب وبهذا اللفظ ينطق العبرانيون انتهى
وذكر نحوه في النهاية ثم قال في الدجال وقيل انه الذي مسخ خلقه اي شوه وليس بشيء انتهى تقدم
ان سيدنا عيسى عليه السلام يصلي بالمسلمين صلاة العصر بمسجد دمشق ثم يخرج في معه من اهلها
في طلب الدجال ويمشي وعليه السكينة والارض تفيض له وما ادرك نفسه من كافر الا وقتله ويدرك
حيث ما ادرك بصره حتى يدرك بصره حصونهم وقريا تهم الى ان ياتي بيت المقدس فيجده مغلقا
قد حصره الدجال فيصادف ذلك صلاة الصبح وفي رواية عند الامام احمد من حديث جابر مرفوعا فيفر
المسلمون يعني من الدجال الى جبل الدخان بالشام فياتيهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا
ثم ان الناس يشكون في امر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانيا كما تقدم ويبادر الى بيت المقدس
فاذا صعد عقبة فيق رفع ظلة على المسلمين فيوتوه وانفسهم لقتاله فاقواهم من يرى حتى
اذا طال الحصار قال رجل الى متى هذا الحصار اخرجوا الى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا اما بالشهادة
واما الفتح فهذا انتم الابين احدى الحسنيين فيتبايعون على القتال بيعة يعلم الله انها الصدق من
انفسهم وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد والا قوت المؤمن
التهليل والتسبيح والتحميد ثم تاخذهم ظلمة لا يبصر احدهم كفه فينزل ابن مريم عليه السلام فيحسر عن
ابصارهم وبين اظهرهم رجل عليه لامة فيقولون له من انت فيقول انا عبد الله وكلمته عيسى اختارنا
احدى ثلاث اما ان يبعث الله على الدجال وجنوده عذابا جسيما او يخسف بهم الارض او يرسل عليهم سلاحكم
وبكف سلاحهم فيقولون هذا يا رسول الله اشفى لصدورنا فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل
الاكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعب فينزلون اليهم فيسلطون عليهم هكذا في هذه الرواية
وفي رواية اخرى فبينما امامهم اي المهدي قد تقدم يصلي بهم الصبح اذ نزل عليهم عيسى بن مريم
عليه السلام للصبح فيرجع المهدي القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام ليصلي بالناس ويقال له
يا روح الله تقدم اي يقول ذلك بعض من لم يحضر الصلاة اذا فيقول عليه السلام لتقدم اماما لكم
فيصلي لكم فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفي المهدي فيقول له تقدم فانها لك اقيمت فيصلي
بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى افتح فيفتح وورائه اي وراء الباب الدجال معه سبعون الف يهودي

يحرم

كلهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا فيقول عليه السلام
ان لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب لد وكذا قال بباب متعلق بيقتل الدجال اي يقتله
بباب لد بضم اللام فدال مهملة بوزن قد بلد بشمه مورخة بينها وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ الى
جهة الشمال متصل بحجرها بشجرها فيقتله هناك وفي رواية ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي في السحر
فيقول يا ايها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى الكذاب الخبيث وسيعوذ النداء كرات الغوث فيقولون هذا
كلام رجل شبعان وتشرق الارض بنورها وينزل عيسى ابن مريم فيقول يا معشر المسلمين احدوا ربكم
وسبحوه اي فادوا التحميد والتسبيح قوتهم كما مر فيفعلون ويريد اصحاب الدجال الفرار فيضيق الله عليهم
الارض فاذا اتوا باب لد في نصف ساعة يوافقون عيسى فاذا نظر الدجال عيسى يقول اقيموا الصلاة
حتوفا منه اي تحيسى ويقول يا نبي الله قد اقيمت الصلاة فيقول عيسى يا عدو الله نرعت انكر في العالمين
فلمن يصلي فيضربه بمقرعته وفي رواية بحربته التي ينزل بها من السماء وفي رواية يذبحه بالسكين
ولا منافاة في ذلك اذ كل ذلك سلاح لسيدنا عيسى عليه السلام فيقتله رواه الامام احمد عن جابر
رضي الله عنه مرفوعا ولفظه ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر ايها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى
هذا الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل جني فينطلقون فاذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة
فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم فاذا صلوا صلاة الصبح خرجوا اليه
فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي اليه فيقتله حتى ان الشجر والحجر ينادي يا روح الله
هذا يهودي فلا يترك ممن كان تبعه احدا الا قتله وحاصل وجه الجمع بين الروايات ان سيدنا
عيسى عليه السلام ينزل اولا بدمشق ثم على المنارة البيضا لست ساعات من النهار ثم يأتي الى
بيت المقدس غوثا للمسلمين وليحقهم في صلاة الصبح وقد احرم المهدي والناس كلهم او بعضهم لم يحرم
بعد فيخرج اليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي للمهدي في الصلاة فيقهقر ويقال لعيسى كقدام اي يتقدم
له ذلك ممن لم يحرم من المسلمين لما رأى المهدي تقهقر فيضع عيسى يديه على كتف المهدي ان لا تقدم
ويقول للقائل اقم لكم فيجيئ المهدي بالفعل والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله
ثم اذا اصبحوا اشرف اصحاب الدجال فضيق عليهم الارض فيدركهم بباب لد فيصادفون ذلك صلاة
الظهر فيحمل الدجال الى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة فلما رأى فعدم التخلص ذاب خوفا منه كما يذوب
الملح بالماء فادركه فقتله واذا الدجال ينتهي صلاة في غزوقتها وهو دال على ضلالته وجهالته
بالله كما في الاشاعة ثم قال وهنا وجه آخر وهو اقرب الى التحقيق وهو ان الصلاة في الايام القصار
التي هي ايام الدجال تقدر فيحتمل انه نصيا وفالتقدير ذلك الوقت وعلى هذا فلا اشكال

بين كونه

باب لا دخل عن جدال

بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار وبين كونه يصلي بالناس صلاة العصر ولي
على هذا الجمع استشكال ذكرته في البحور الزاخرة وحاصله ان الروايات ثابتة ان نزول عيسى عليه السلام
مع الفجر على منارة دمشق الشرقية ويكون المهدي قد جمع الناس لقتال الدجال فتقدم ضبابة
من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى عليه السلام قد نزل ويكون نزوله على المنارة البيضا
والناس يريدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتعوذ الدجال وقد فرغنا كالصريح ان
عيسى ينزل على منارة دمشق الصبح فكيف يقال لست ساعات مضت من النهار وفيه ايضا
ان الناس لم يكونوا احرموا بالفجر بعد بل يريدون ذلك وايضا المعروف عند اهل العلم ان
عيسى عليه السلام انما يصلي وراء المهدي صلاة الصبح لا العصر فاول صلاة عيسى بالناس
الظهر وربما يجاب عن هذا بان يكون قد جمع بين صلاتي الظهر والعصر تاخير الاشتغاله في
طلب الدجال فالاولى التسليم لما ورد على ما ورد ولما ذعاه للاخبار الثابتة فلا تقابل
بالمعارضة والرد ولهذا قال خل اي اترك وتنح وتفرغ عن جدال في ذلك فانه امر سمعي
اخبر به المعصوم والعقل لا يحيله فوجب اعتقاده والتسليم ولما انقاد ولما ذعا لما اخبر به
خير العباد ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم والجدال لغة اللدد في الخصومة والقدرة
عليها يقال جادل يجادل فهو جدل كشف ومجدل كمنبر ومجدال كمحراب وجدلت اكجبل
اجدله جدلا مثل قتلته قتلا اي فتلته فتلا محكما والجدالة الارض يقال طعنه فجدله اي رماه
على الارض ومنه حديث كنت بنبيا وادم منجدل في طينته والجدال في اصطلاح النظار
والفقها قتل الخصم عن قصده لابطال صحة قوله وابطال قول غيره وهو والاكاد مامورون به
على وجه لما نضاف واظهار الحق لانه لا يستغني عنه كما به تتبين صحة الدليل من فساده
تحريرا وتقريرا وتنضح لما سئلة الواردة من المردودة اجمالا وتفصيلا الا ان الغالب فيه
انما يكون على وجه الغلبة والخصومة والغضب والمراء وهو يعني المراء استخراج غضب المجادل
عن طريق الحق والميل عنه يصرف النهي عن قيل وقال قال ابن حجاري من علمائنا واسمه الحسن بن علي
في كتابه شرح السنة ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الامثال ولا يتبع فيها الا هوا بل هي التصديق
بالآثار والرسول صلى الله عليه وسلم بلا كيف فلا يقال لم ولا كيف قال والكلام والخصومة والجدال والمرا
محدث يقدح في القلب وانه اصاب صاحبه السنة والحق انتهى مختصرا وروى الامام احمد والترمذي
وصححه عن ابي امامة مرفوعا ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا ما ضربوه لك
الا جدلا وللامام احمد عما ملخص عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ان من العبد لما يأتيه كله

يحدث

حتى يترك المراء وان كان محقا وللترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا انا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وعند
حسن عن ابي امامة رضي الله عنه مرفوعا انا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وعند
ابن ماجه والترمذي وحسنه عن انس مرفوعا من ترك المراء وهو محق بني له بيت في وسط الجنة وروى ابو داود
والترمذي واللفظ له وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن عن ابي امامة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجدال وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق
بني له بيت في وسطها ومن حسن خلقه بني له في اعلاها والله الموفق تنبيهات الاول اذا قتل
سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الدجال الاكبر مسيح الضلالة الذين هم اليهود ومن معهم فلا يبقى شيء مما خلق الله
يتوارى به يهودي الا انطقه الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة الا الغرقد فانه من شجر اليهود لا ينطق فيما يحمي مسلم عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود
فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر او الشجر يا مسلم هذا يهودي
خلفي فاقتله الا الغرقد فانه شجر اليهود وفي صحيح البخاري نحوه الثاني في قدر لبثه في الارض
وكيفية النجاة منه اما قدر لبثه في الارض فتقدم في حديث النواس بن سمعان عند مسلم والترمذي
انه يمكث اربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم وفي رواية عند
الامام احمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا يخرج الدجال في امتي فيمكث اربعين فيبعث الله
عيسى بن مريم عليه السلام كانه عروة بن مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه وفي حديث ابي امامة
رضي الله عنه عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء انه ايامه اربعون سنة اسنة كنصف السنة
والسنة كالشهر والسنة كالجمعة واخر ايامه كالشررة يصبح احدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها
الاخر حتى يمسي وقد اختلف العلماء تاويل هذا الحديث فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال
الناس بانفسهم من الفتن حتى لا يدرون كيف يمضي النهار فيكون مضي النهار عندهم كمضي الساعة والشهر
كاليوم والسنة كالشهر ومنهم من قال بل هو على ظاهره فقد ورد من حديث انس رضي الله عنه عند
الامام احمد والترمذي في اشراط الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر
كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار وذكر بعض
العلماء ان الصلاة تقدر في هذه الايام ايضا على قياس علمه واختلف الجواب عن اخذ فرائض الجمعة
فمنهم من مال الى الترجيح فعلى هذا حديث النواس بن سمعان رواه الامام احمد في المسند ومسلم في صحيحه
والترمذي في سننه فهو اقوى لانه اصح وان كان الثاني ايضا صحيحا فيقدم عليه ومنهم من قال

الى الجمع

الى الجمع وطريقه ان ايامه اربعون سنة وتسمى سنين اياما مجازا كما يقال ايام ابن الزبير وايام امير
المؤمنين عمر بن الخطاب وايام بني امية ثم ان اول ايام السنة الاولى كسنة وثانيها كشهر وثالثها
كجمعة وباقي ايامه كايامنا ثم ثنا فضل ايام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة وهكذا الى ان
تكون السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم حتى يكون آخر ايامه بحيث يصبح احدهم على باب المدينة فلا
يبلغ بابها الآخر حتى يمسي فتكون السنة الاولى مشتملة على مقدار ستين من سنينا وسنوه الاخيرة
مقدار سنة من سنينا ويقرب هذا الجمع رواية الحاكم ونعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا
انه يقول يعني الدجال انا رب العالمين وهذه الشمس تجري باذني افتريدون ان احبسها فيحبس
الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر والشهر كالجمعة ويقول لهم اتريدون ان اسيرها فيجعل اليوم
كالساعة الحديث واما كيفية النجاة منه فمعلوم انه مخلوق ياكل الطعام ويشرب الشراب
ثم انه لحسته وعجزه اعور وهو جسم مرئي وهذه كلها لا تجوز على الباري وقد صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف عصم من الدجال وفي رواية من اخر الكهف
رواه مسلم في صحيحه عن ابي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا وورد عن ابي امامة مرفوعا لفظه منكم
فليشفل فيه وجهه رواه الطبراني وروى الترمذي في حديث ابي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا
من حفظ ثلاث ايات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال قال الترمذي حديث حسن صحيح ومما
ينبغي للمؤمن ان يكثر من ذكر الله تعالى من التهليل والتسبيح والتكبير فانه قوية الثالث مما ينبغي لكل عالم
ان يبث احاديث الدجال بين الاولاد والنساء والرجال وقد قال ابن ماجه سمعت الطنافسي يقول
سمعت المحاربي يقول ينبغي ان يرفع هذا الحديث يعني حديث الدجال الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان
في الكتاب وقد ورد ان من علامات خروجه نسيانه ذكره على المنابر وقد اخرج الامام احمد
وابن خزيمة وابو يعلى والحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا يخرج الدجال في خفة من الدين و
ادبار من العلم فينبغي لكل عالم ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن وكثرت فيه المحن
واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدعة والبدعة شرع متبع ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم الرابع اختلف الناس الصحابة فمن بعدهم قديما وحديثا في الدجال
هل هو صافي بن صياد او غيره قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري مما يدل على ان
ابن صياد هو الدجال ما اخرجه مسلم في صحيحه عن محمد بن المنكدر قال رايت جابر بن عبد الله يحلف
بالله ان ابن صياد الدجال فقلت له تحلف على ذلك قال اني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه
فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم واخرجه ابو داود في سننه وفي تذكرة القرطبي عن نافع قال

كانه ابن عمر رضي الله عنهما يقول والله ما اشك انه المسيح الدجال ابن صياد اخرجه ابو داود واسناده صحيح
وفي ذلك عدة احاديث واثار صحيحة لا التفات لمن صرح بها ولا انصاف لمن نفى ان ابن صياد هو الدجال وقد
اخرج الامام احمد بسند صحيح عن انس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا يخرج الدجال من يهودية اصبهان
قال ابو نعيم كانت اليهودية من جملة قرى اصبهان وانما سميت اليهودية لانها كانت تختص بسكنى
اليهود ولم تزل كذلك الى زمن ايوب ابن زياد امير مصر في زمن المهدي بن المنصور العباسي فسكنها
المسلمون وبقيت لليهود منها قطعة وحاصل كلام الحافظ ابن حجر ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد
ووافقه في الاشاعة وان وافقه ابن صياد في كونه اعور وفي اليهود وانه سكن في يهودية اصبهان
ففي خبر ابن عمر رضي الله عنهما قال لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة الاولى ثم قال لقيته اخرى وقد
نفرت عينه قال ففقدت متى فقدت عينك ما ارى قال لا ادري قال قلت لا تدري وهي في راسك قال
ان شاء الله خلقها في عصاك هذه قال فنخر كاشد نخر حمار سمعت فزعم بعض اصحابي اني ضربته
بعصي كانت معي حتى تكسرت واما انا فوالله ما شعرت قال وجاء ابن عمر ودخل على ام المؤمنين
حفصة رضي الله عنها فحدثها فقالت ما تريد اليه اما انه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
ما يبعث على الناس غضب يغضبه وقد كان امير المؤمنين عمر الخطاب رضي الله عنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذرني يا رسول الله اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم ان يكنه فلن تسلط عليه وان لم
يكن هو فلا خير لك في قتله ذكره في التذكرة وغيرها واخرج ابو نعيم في تاريخ اصبهان عن حسان
ابن عبد الرحمن عن ابيه قال لما افتتحنا اصبهان كان بيننا وبين عسكر اليهودية فرسخ فكنا
نأتيها ونمتار منها فاتيناها يوما فاذا اليهود يضطربون فسألت صديقا لي منهم فقال ملكنا
الذي كنا نستفتح به على العرب يدخل فنبت عنده على سطح فصليت فلما طلعت الشمس اذا الوهج
من قبل العسكر فنظرت فاذا هو ابن صياد فدخل المدينة يعني اليهودية فلم يعد حتى الساعة
قال الحافظ ابن حجر وحسان بن عبد الرحمن عارف فقيه وباقي سنده ثقاة وقد اخرج ابو داود
عن جابر رضي الله عنه قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة واخرجه الترمذي من حديث ابي بكرة رضي الله عنه
مرفوعا يعيث ابو الدجال وامه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما اعور اضر شيء واقله
منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه قال ابو بكرة ثم نبغ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوه فقال
ابوه طوال ضرب اللحم كان انفه منقار وامه امراة طويلة اليدين قال ابو بكرة فسمعنا بمولود
في اليهود بالمدينة فذهبت انا والزبير ابن العوام حتى دخلنا على ابويه فاذا نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا لا ملكنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام اعور

اضر شيء

اضر شيء واقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه قال فخرجنا عنهما فاذا هو مخدج اليد في
قطيفة وله حميمة فكشفنا عن راسه فقال ما قلنا فقلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيني
ولا ينام قلبي قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة وخرجه
ابو داود الطيالسي والحاصل ان كونه الدجال هو ابن صياد بعيد بل ضعيف وحديث
ابي داود الذي رواه عما جابر انه ابن صياد فقد يوم الحرة صحيح السند ورواه غيره بسند حسن
وهو يضعف خبر انه مات بالمدينة والله صلوا عليه كما اسلم وانهم كشفوا عن وجهه وما يثبت ايضا
مع خبر حسان بن عبد الرحمن المار انه فتح اصبهان كما في خلافة عمر كما اخرجه ابو نعيم في تاريخها
وبين شهادة سيدنا عمر رضي الله عنه ووقعة الحرة نحو اربعين سنة وحاصل كلام الحافظ ابن حجر
في فتح الباري وكلام غيره ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد كما تقدم ويؤيده ما اخرجه نعيم بن حماد
من طريق جبير بن نفير وشريح بن عبيد وعمرو الاسود وكثير بن مرة قالوا جميعا الدجال الذي يلي امر
وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن كما تقدم قال الحافظ ابن حجر وهذا
لا يمكن مع كونه الدجال هو ابن صياد واما ما اخرجه ابو داود في حديث الجساسة من حديث ابي سلمة
ابن عبد الرحمن قال شهد جابر ان الدجال هو ابن صياد قلت فانه قد مات قال وان مات قلت فانه
قد اسلم قال وان اسلم قلت فانه قد دخل المدينة قال وان دخل المدينة فاصح ذلك فهي شهادة على
حسب ظنه وما وقع في صدره من اعتقاده انه ابن صياد واما ما ذكره سيف بن عمر في كتاب الفتوح
والردة من انه لما نزل المسلمون على سوس واحاطوا بها وناشبوها القتال اشرف عليهم يوما
الرهبان والقسيسون فقالوا يا معشر العرب انا مما عهد الينا علما وأنا واولينا وأنا انه لا يفتح السوس
الا الدجال او قوم فيهم الدجال قال كان الدجال فيكم فتفتحونها وان لا فلا تقدرون ابدا حصار قال
وصافى بن صياد يومئذ مع النعمان بن بشير رضي الله عنه في جنده فاتى صافى بن صياد باب السوس
عضبانا فدفقه برجله وقال انفتح فتقطعت السلاسل وتكسرت الاغلاق وتفتحت لهم ابواب ودخل
المسلمون فالصحيح خلافه قال الحافظ ابن حجر وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وخبر
الجساسة وبين احاديث كونه الدجال هو ابن صياد ان الدجال هو الذي رآه تميم موثقا بعينه
وانه ابن صياد شيطانه ظهر في صورة الدجال تلك المدة التي قدر الله خروجه فيها ثم ذهب وهذا
ممكن والله اعلم

الخامس في ذكر قصة تميم الداري

وحديثه الذي رواه عنه النبي صلى الله عليه وسلم
وهو حديث صحيح رواه ابو هريرة اخرجه الامام احمد وابو داود وابن ماجه وابو يعلى وعائشة
رضي الله عنها وهو في حديث فاطمة بنت قيس عند الشعبي قال الشعبي ثم لقيت القاسم بن محمد فقال

اشهد على عائشة حدثتني كما حدثت فاطمة بنت قيس وروى ايضا من حديث جابر اخرجه ابو داود باسناد
صحيح واما حديث فاطمة الذي هو عمدة الباب واشهر ما اشتهر من هذا الحديث فاخرجه مسلم
في صحيحه وابو داود بمعناه والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظ رواية مسلم
قالت فاطمة رضي الله عنها سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد
فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك
فقال ليلزم كل انسان مصلاه ثم قال اتدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اني والله ما جمعتكم
لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لان تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع واسلم وانه حدثني
حديثا وافق الذي كنت احدثكم عن المسيح الدجال حدثني انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا
من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم ارفئوا بفتح الهمزة وسكون الراء فمهملة مضمومة
اي الجؤا الى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في اقرب السفينة وهي بضم الراء جمع قارب
بفتح الراء وكسرها سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة معدة لقضاء قال فدخلوا الجزيرة فلقيتهم
دابة اهلب اي كثيرة الشعر غليظة وعند ابي داود فاذا انا بامرأة تجر شعرها وفي رواية مسلم دابة
اهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما انت قالت انا الجساسة
قالوا وما الجساسة وهي بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الاولى سميت بذلك لانها تجس الاخبار
وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه هذه هي دابة الارض التي تخرج اخر الزمان
فتكلم الناس كما شاء الله قالت ايها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق
قال فلما سمت لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه
اعظم انسان رأيناه قط خلقا واشده وثاقا مجموعة يداه الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد
قلنا ويلك ما انت قال قد قدرتم على خبري فاخبروني من انتم قالوا نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة
بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم اي هاج واضطربت امواجه فلعب بنا الموج شهرا ثم ارفئنا الى
جزيرتك هذه فجلسنا في اقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة اهلب كثيرة الشعر لا ندري ما قبله
من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما انت فقالت انا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا
الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق فاقبلنا اليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن ان تكون
شيطانة قال فاخبروني عن نخل بيسان وهي بفتح الباء الموحدة قرية بالشام جنوبي طبرية وايضا
ناحية باليمامة ولعلها المرادة في الحديث بدليل ذكر النخل هل يثمر قلنا نعم قال اما انها يوشك ان لا
تثمر ولفظ مسلم اخبروني عن نخل بيسان قلنا عن اي شانها تستخبر قال اسئلكم عن نخلها

هل يثمر

هل يثمر قلنا نعم قال اما انها يوشك ان لا تثمر قال اخبروني عن بحيرة طبرية قلنا عن اي شانها تستخبر
قال هل فيها ماء قالوا هي كثيرة الماء قال اما انه يوشك ماءها ان يذهب قال اخبروني عن عين زغر
اي بضم الزاي وفتح الغين المعجمة على وزن صرد بلدة من الجانب القبلي من الشام بينها وبين بيت المقدس
ثلاث فراسخ على طرق البحيرة وزغر اسم ابنة لوط عليه السلام قال في القاموس وزغر قرية بالشام
سميت بذلك لان ابنة لوط نزلت بها قال وبها عين غور مائها علامة خروج الدجال قالوا عن اي
شانها تستخبر قال هل في العين ماء وهل يزرع اهلها بماء العين قلنا نعم هي كثيرة الماء واهلها
يزرعون من مائها قال اخبروني عن نبي الاميين ما فعل قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال قاتله
العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب واطاعوه قال اما انه ذلك
خير لهم ان يطيعوه واني مخبركم عني انا المسيح واني اوشك ان يؤذن لي في الخروج فاخرج فاسير
في الارض فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان علي كلتاهما
اردت ان ادخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وان على كل نقب منها
ملائكة يحرسونها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة
هذه طيبة يعني المدينة الا هل كنت حدثتكم فقال الناس نعم قال فانه اعجبني حديث تميم انه وافق
الذي كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة الا انه في بحر الشام او بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو
من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو واومى بيده الى المشرق قالت فاطمة
بنت قيس رضي الله عنها فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه مسلم من علة اوجه واخرجه
غيره ايضا قال القاضي عياض في قوله صلى الله عليه وسلم ما هو من قبل المشرق لفظة ما زائدة صلة الكلام
ليست نافية والمراد اثبات اذن من قبل المشرق وفي بعض طرق الحديث عند البيهقي انه شيخ وسنده صحيح
قال البيهقي فيه ان الدجال الاكبر الذي يخرج في اخر الزمان غير ابن صياد وانه كان ابن صياد احد
الدجالين الكذابين الذين اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخروجهم **السادس** اسم الدجال عند اليهود المسيح
ابن داود قالوا يخرج اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه الانهار قالوا وهو اية من
ايات الله قالوا ويرد الملك الينا وقد كذبوا في زعمهم بل هو مسيح الضلالة الدجال الكذاب واما
مسيح الهدى فعيسى ابن مريم عليه السلام والله اعلم **السابع** اعلم ان سيدنا المسيح عيسى
ابن مريم عليه السلام بعد قتله للدجال يذهب الى المدينة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويحج البيت الحرام
ويتوفى بالمدينة فقد فر هناك فقد اخرج الامام احمد وابن خزيمة وابن عساكر من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب ويجمع الصلاة

ويُعطى الملاحق لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحا فيحج منها او يعتمر او يجمعهما وعند مسلم في صحيحه
وابن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه ايضا ليهلن عيسى ابن مريم بفج الروحا بالحج او العمرة او ليثنيهما
جميعا قوله بفج اي طريق والروحا مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة قال ابن قرقول
في المطالع الروحا محل الفرع على نحو من اربعين ميلا من المدينة توفي مسلم ستة وثلاثين وابن ابي شيبة
على ثلاثين واخرج الحاكم وصححه وابن عساكر من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ليهبطن ابن مريم حكما
عدلا واماما مقسطا وليسلكن فجا حاجا او معتمرا او ليأتين قبري حتى يسلم علي ولاردن عليه
قال ابو هريرة رضي الله عنه اي بني اخي اذا رايتموه فقولوا ابو هريرة يقرئكم السلام واخرج الحاكم عن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادرك عيسى منكم فليقرئه مني السلام واخرج
البخاري في تاريخه والطبراني بدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما فيلوذ
قبره رابعا وفي المواهب اللدنية للقسطلاني رحمه الله بقي من البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى ابن مريم
عليه السلام ويكون قبره الرابع ومن حديث ابن عمر عند ابن الجوزي في المنتظم قال العلامة الشيخ
مرعي في بهجته قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور هنا في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المار معي
في قبري فانه صلى الله عليه وسلم عبر بذلك لشدة القرب اذ هو لم يدفن كانه معه او بتقدير مضاف اي
في جانب قبري ليتطبق الكلام وينتسق قد لخص مجموع ما ذكرناه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام
يموت بالمدينة المنورة قال بعضهم ولعل موته عند محمد وزيارته النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان الكلام
على المهدي والدجال وعيسى ابن مريم عليه السلام طويل شهيرا فردت في ذلك الكتب المبسوطة والمختصرة
وذكرنا في كتابنا البحور الزواخر من ذلك طرفا صالحا يغني من احصاه علما عن مراجعة اكثر الكتب
في هذا الباب والله اعلم بالصواب **العلامة الرابعة** خروج يأجوج ومأجوج والبحث
الاشارة بقوله وامر يأجوج ومأجوج بهمزة ولا همز لغتان وقرئ بهما فمن همزهما جعلها
من اججت النار وهو ضوؤها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم وقيل من الاجاج وهو الماء
الشديد الملوحة وقيل هما اسمان اعجميان غير مشتقين قال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح
عليه السلام وقال الضحاك هم من الترك وقال كعب احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فاسف
فخلق من ذلك وفيه نظر لان الانبياء لا يحتلمون على ان اعتناء النائم لا يتوقف على الحلم الذي تقتضي
ان يكون ناشئا عن منامه ما يكون سببا لانزاله كما لا يخفى وقد روى الطبراني من حديث حذيفة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يأجوج امة لها اربعمائة امير وكذلك مأجوج ولا يموت
احدهم حتى ينظر الى الف فارس من ولده قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام

ويافث

ويأجوج ومأجوج ليسا

ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك و لدسم
الصقالبة ويأجوج ومأجوج وقال الكسائي في العرائس ان يافث سار الى المشرق فولد هناك
جوهر ونبوش واشار واسقويل وميانج وهي اسماء اعجمية فمن جوهر جميع الصقالبة والروم
واجناسهم ومن ميانج جميع اصناف العجم ومن اشار يأجوج ومأجوج واجناسهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما هم عشرة اجزاء ولد آدم كلهم جزء لانهم لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه
يحملون السلاح تسعة منهم من طوله مائة وعشرون ذراعا او خمسون ومنهم من طوله وعرضه كذلك
ومنهم من يلتحف باحدى اذنيه ويفترش الاخرى وقال علي رضي الله عنه منهم من طوله شبر
ومنهم من هو مفرط في الطول لا يخالط في موضع الاطفار من ايديهم وانيابهم واضراسهم كاضراس
السباع ولهم شعر في اجسادهم والمراد بامرهم خروجهم وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة
فلهذا قال **ثبت** اي معتقد ثبوته اما الكتاب فقوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج
وهم من كل حدب ينسلون واما السنة ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يوحي الى عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال
اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج
وهم من كل حدب ينسلون فيمر اولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون
لقد كان بهذه ماء ويحصر نبي الله عيسى واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار
الحديث وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان
والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات وناران تخرج من قعر عدن ابين
الحديث رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بن اسيد قلت وهو في مسلم من حديث ابي الطفيل عن
حذيفة بن اسيد الغفاري ولفظه قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون
قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة
وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوفات
خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس
الى محشرهم ورواه من وجه آخر وكنى حذيفة بابي سريحة وقال فيه ونار تخرج من قعر عدن ترحل
الناس وفي حديث حذيفة عند الطبراني ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس وفي خبر
علي رضي الله عنه لهم مخالب وانياب السباع وتدعى الحمام وتساقد البهائم وعوى الذئاب وبشعون
تقيهم الحر والبرد واذا اعظام احداهما وبرة يشتوي فيها والاخرى جلده يصيف فيها

سئل الامام النووي رحمه الله تعالى يا جوج وماجوج من ولد حوى وكم بلغت انه يعيش كل واحد منهم
فاجاب هم من ولد آدم وحوى عليها السلام عند اكثر العلماء وقيل انهم من آدم دون حوى
قال النووي كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر عند جماهير العلماء قال النووي فيكونون اخوة ناما من
الاب قال الحافظ ابن حجر لم ير د هذا عن احد من السلف الا ما كعب الاحبار ويرده الحديث
المرفوع انهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حوى وقطعوا الافاين كانوا حيث الطوفان ولم يثبت في
قدر اعمارهم شئ انتهى وقد ذكر الامام ابن عبد البر الاجماع على انهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام
وان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يا جوج وماجوج هل بلغتهم دعوتك فقال حزت ليلة اسري بي
فدعوتهم فلم يجيبوا فالمنصر القرآن والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم مما ذكرنا ومما لم نذكر
قال فافهم اي امر يا جوج وماجوج يعني خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت لورود ه في الذكر
وثبوته عن سيد البشر ولم يحله عقل فوجب اعتقاده فقد روى الجماعة الا ابا داود من حديث زينب
بنت جحش رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل
للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يا جوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام
والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث اشار بذلك
الى ان الذي فتحوا م السد قليلا وهم مع ذلك لم يلههم الله تعالى ان يقولوا عند نفيه وحفره غدا
نفتحه ان شاء الله فاذا قالوها خرجوا وقد روى عبد الرزاق عن ابي قتادة قال يا جوج وماجوج
ثنتان وعشرون قبيلة بنو ذو القرنين السد على احدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو
وهم الترك فيقولون السد واخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق السدي من اثر قوي ان الترك
سرية من سرايا يا جوج وماجوج خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجا عنه وسئل
علي رضوان الله عليه عن الترك فقال هم سيارة ليس لهم اصل مرة يا جوج وماجوج خرجوا يغيرون
على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الارض رواه ابن المنذر
واخرج الامام احمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعا انكم لتقولون لا
عدو وانكم لا تزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يا جوج وماجوج عراض الوجوه صغار العيون
صهب الشعور من كل حدب ينسلون كان وجوههم المجان المطرقة قوله صهب الشعور اي شعرهم
بين الحمرة والصفرة والسواد وقال الزهري يا جوج وماجوج ثلاث امم فسك وتاويل وتارنس
واخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما ان يا جوج وماجوج
من ذرية آدم وورائهم ثلاث امم تاويل وتارنس ومنسك واخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن

عبد

فائدة حول اسم خالصة

عبد الله بن سلام نحوه وفي حديث حذيفة لا يمرون بفيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير الا اكلوه
ومرماث منهم اكلوه وذكر بعضهم في صفتهم انه فيهم من له قرون وذنب وانياب بارزة يأكلون اللحوم
نيئة واخرج ابن جرير في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه انه يأجوج وماجوج اقل ما يترك احدهم
من صلبه الفا فما فوقها الذرية وعند النسائي من رواية عمر بن اوس عن ابيه رضي الله عنه رفعه انه يأجوج و
ماجوج يجامعون ما شاؤا والا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته الفا فصاعدا واخرج ابن ابي حاتم
وابن مردويه انه يأجوج وماجوج لهم نساء يجامعون ما شاؤا واخرج ابن ابي حاتم عن عبد الله بن عمرو
انه قال الجن والانس عشرة اجزاء فتسعة اجزاء يأجوج وماجوج وجزء سائر الناس وقال مكحول
الارض مسيرة مائة عام ثمانون منها يأجوج وماجوج وهي امتان كل امة اربعمائة الف امة لا تشبه
امة الاخرى وعند ابي الشيخ عن ابي امامة الدنيا سبعة اقاليم فيأجوج وماجوج ستة والباقي اقليم
واحد وقال خالد الاشيخ ابن بني آدم وبني ابليس ثلاثة اثلاث فثلثاه بنو ابليس وثلث هم بنو آدم
وبنو آدم ثلاثة اثلاث ثلثاه يأجوج وماجوج وثلث سائر الناس والناس بعد ذلك ثلاثة اثلاث
ثلث الاندلس وثلث الحبشة وثلث سائر الناس العرب والعجم وعند الحاكم وعبد الرزاق قول ابن عمر رضي الله عنهما
ان الله تعالى جزء الملائكة والجن والانس عشرة اجزاء تسعة منهم الكروبيون والذين يسبحون الليل
والنهار لا يفترون واجزاء الانس والجن عشرة اجزاء فتسعة منهم الجن لا يولد من الانس ولد الا ولد من الجن
تسعة وجزء الانس عشرة اجزاء فتسعة منهم يأجوج وماجوج الحديث **تتمة** في سبب
خروجهم وافسادهم وهلاكهم اعلم اولا ان الاسكندر بنى الردم الذي سد به على يأجوج و
ماجوج كما ذكر الله ذلك في محكم الذكر في قوله سبحانه وتعالى قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج وماجوج
مفسدون في الارض بالقتل والتخريب واتلاف الزرع وفعل الخبيث فهل نجعل لك خرجا
اي جعلا نخرجه لك من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي وخلف خراجا بفتح الراء والف بعدها وهو المال
المضروب على الارض ويؤدى في كل عام على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي حاجزا فلا يصلوا الينا قال
ذو القرنين ما مكني فيه ربي من القوة والعلم وطلب ثوابه والمال ونفوذ المقال خير اي افضل مما
تعطونني انتم فاعينوني بقوة اي آلة اتقوى بها وفعل منكم اجعل بينكم وبينهم ردما هو
اكبر واعظم من السد فجاؤه بذلك فحفر ما بين الصدفين يعني الناحيتين من الجبلين لانهما
يتصادفان اي يتقابلان حتى بلغ الماء ثم قال ائتوني زبر الحديد اي القطع التي اعدها لذلك
فجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبناء من زبر الحديد بعضها فوق بعض وجعل
بينها الحطب والفحم حتى اذا ساوى الصدفين قال انفخوا فنفخوا النار حتى اذا جعله اي الحديد نارا اي كالنار

قال أتوني فرغ عليه قطرا اي اصب عليه نحاسا مذابا فجعلت النار تاكل الحطب وتصير النحاس مكانه الحطب
حتى لم ير الحديد النحاس وكان طوله مائة فرسخ وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع و
طول الجبلين اللذين بنى بينهما مائة فرسخ فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه من فوقه لملاسته ورفعته
وما استطاعوا له نقبا اي خرقا لصلابته وسمكه ثم قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله
دكاء وكان وعد ربي حقا وقد روى البزار من حديث يوسف بن مريم الخفي قال بينا انا قاعد
مع ابي بكرة رضي الله عنه اذ جاء رجل فسلم عليه فقال اما تعرفني فقال له ابو بكرة انت هو قال نعم
فقال اجلس حدثنا فقال انطلقت الى ارض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت بيتا فاستلقيت
على ظهري وجعلت رجلي على جدار فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتا لم اسمع مثله وغيب
فقال لي رب البيت لا تذعر فانه هذا لا يضرك هذا صوت قوم ينصرفون هذه من عند هذا السد
افيسرك ان تراه قلت نعم قال فغدوت فاذا البنة من حديد كل واحدة مثل الصخرة واذا كانه البرد
المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل قد اتى الردم فلينظر الى هذا قال ابو بكرة
صدقت وذكر اهل التاريخ ان الاسكندر وجد هناك معدنين فاستخرج منهما ما كفاه من الحديد
والنحاس وكان مكان السد جبلا متقابلا املسا كالحائط ليس لوقع عليهما كل شئ الا ترقى فيهما
لعلوهما وملاستهما فامر الاسكندر الصناع فضربوا بين الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف وسمكها
شبر وقد ذكر سلام الترجمان قال بعثني الواثق العباسي الى السد وضم اليه خمسين رجلا و
اعطانا ما لا فمازلنا ننتقل في البلاد وتبعث الملوك معنا الادلة الى ان صرنا الى ارض سوداء
منتنة الريح فسرنا فيها عشرة ايام ثم صرنا الى معدن خراب فسرنا فيه سبعا وعشرين يوما وهي
التي كانت ياجوج ومأجوج يطرقونها ثم صرنا الى حصون بالقرب من السد وفيها قوم يتكلمون
بالعربية والفارسية مسلمون يقرؤون القرآن فسألونا ممن انتم قلنا نحن رسل امير المؤمنين
قالوا ما سمعنا بهذا فقام صرنا الى جبل املس وفيه السد وهناك باب حديد مصراعان
مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين في نحو خمسة اذرع وقائمتاها
في دوارة على الباب قفل طوله سبعة اذرع في غلظ ذراعين وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون
ذراعا وفوق القفل بقدر خمسة اذرع غلق طوله اكثر من طول القفل وقفين وعلى الغلق
مفتاح معلق في سلسلة طولها ثمانية اذرع في استدارة اربعة اشبار وعتبة الباب عشرة اذرع
ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة حديد فيضربون
القفل بتلك المرزبات مرات ليسمعوا الصوت فيعلم ان هناك حفظة وقد خرج الامام احمد

والترمذي

والترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وصححاه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انه يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الذي عليهم ارجعوا
فتحفرونه غدا فيعيده الله اشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذي
عليهم ارجعوا فتحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه
فيحفرونه فيخرجون على الناس قال الحافظ ابن حجر اخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد
وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح قال ابن العربي في هذا الحديث ثلاث آيات
الاولى ان الله تعالى منعهم ان يولوا الى الخلق ليلا ونهارا الثانية منعهم ان يحتالوا للترقي على السد بنحو السلم
والآلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم اياه مع انه ورد انه لهم اشجارا وزروعا الثالثة ان صدهم ان يقولوا
ان شاء الله حتى يجيء الوقت المحدود قلت واخل بالآية الرابعة وهي اعظمها وهي عود السد بعد
الحفر حتى اذا كادوا ان يروا شعاع الشمس الى السد ما كاد الى ان يبلغ الكتاب اجله وقد يقال
انه فهم من يعرف الله تعالى وبقدرته ومشيئته ويحتمل ان تكون كلمة المشيئة جرت على لسانه ذلك الولي
من غير ان يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها ويدل لهذا ما روى عبد بن حميد من طريق
كعب الاحبار نحو حديث ابي هريرة وفيه فاذا جاء الامر القى الله على بعض السنتهم نأتي غدا ان شاء الله
فتفرغ منه وروى ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث ابي هريرة وفيه يعيدونه فيخرجون عليه
فيفتح الحديث وسنده ضعيف والحاصل انه يحتمل ان تلقى كلمة المشيئة على لسان احدهم وهو اقوى
ويحتمل ان يسلم واحد منهم بالهام من الله تعالى فيقول ان شاء الله وفي صحيح مسلم من حديث النواس
ابن سمعان رضي الله عنه مرفوعا بعد ذكر الدجال وقتل عيسى عليه السلام له قال ثم يأتي يعني عيسى قوم
وقد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك اذ اوحى الله
الى عيسى اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج
ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون الحديث وفي رواية لمسلم ثم يسير ونحتى ينتهوا الى جبل الخمر
وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون
بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه
الى الله فيرسل الله تعالى عليهم النغف بفتح النون والغين المعجمة ففاء وفي رواية دودا كالنغف
في اعناقهم فيهلكون به فتوفى الابل والغنم الواحدة نغفة عن الاصمعي وعن ابي عبيدة هو الدود
الابيض يكون في النوى وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر
يقطع الحوت في بطن الارض فيصبحون موتى كموت نفس واحدة معناه قتلى لا يسمع لهم حس فيقول

المسلمون الا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو فيتجرد رجل منهم محتسبا نفسه قد وطنها
على انه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ابشروا فان الله
عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعي
الا لحومهم فتشكر منه بفتح الكاف اي فتسمن احسن ما شكرت من شيء وحتى ان دواب البحر تسمن
وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم ويهبط نبي الله عيسى عليه السلام واصحابه الى الارض فلا يجدون
في الارض موضع شبر الا ملاه زهمهم ونتنهم اي ريحهم من الجيف فيرغبون الناس بنتنهم اشد من حياتهم
فيستغيثون بالله فيبعث الله طيرا بختية غبرا فتصير على الناس غما ودخانا ويقع عليهم الزلمة و
يكشف ما بهم بعد ثلاثة ايام وقد قذفت الارض جيفهم في البحر ولفظ صحيح مسلم فيرغب نبي الله عيسى و
اصحابه الى الله فيرسل الله تعالى طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن
منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك
فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل يعني اللبن حتى ان اللقحة من
الابل لتكفي الفئام من الناس اي الجماعة منهم واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم
لتكفي الفخذ من الناس الحديث وفي رواية فيرسل طيرا كاعناق البخت فتحملهم فترميهم في البحر وفي رواية
في النار ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم واتراسهم سبع سنين قوله
في الحديث كالزلفة يروى بالفاء وبالقاف قال القاضي عياض في مشارق الانوار ضبطناه بالوجهين
عن متقني شيوخنا وبهما ذكره اهل اللغة وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالمرآة وقال ثعلب
وابن يزيد وقال بعضهم هو بالفاء الاجانة الخضراء وقيل الصحفة وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما
اظهر وبالله التوفيق قال النواس بن سمعان رضي الله عنه كما في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبينما هم يعني عيسى بن مريم واصحابه كذلك اي في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم اذ بعث الله
ريحا طيبة فتاخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون
فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة والله اعلم **العلامة الخامسة** من العلامات العظمى
هدم الكعبة المشرفة والقبلة المعظمة واليها اشار بقوله كما ان امر يأجوج ومأجوج حق ثابت
يجب اعتقاده ووقوعه فكذا يجب اعتقاد وقوع **هدم الكعبة** المعظمة والقبلة المكرمة وسلب حليها
واخراج كنزها لما اخرج البخاري ومسلم والنسائي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وفي لفظ ذو السويقتين من الحبشة يخرب
بيت الله واخرج الامام احمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه وزاد ويسلبها حليها ويجردها

ذكوة

من كسوتها فكاني انظر اليه اصيلع افيدع يضرب عليها بمسحاته او معوله واخرج الازرقي عنه يجيش البحر
عرفة من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهي الى الكعبة فيخربونها والذي نفسي بيده اني لكاني
انظر الى صفته في كتاب الله تعالى افيحج اصيلع افيدع قائما يهدمها بمسحاته او معوله وفي الصحاح ان
كانه يسوء الحبشة يهدمها حجرا حجرا اي وتيدا وليها اصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر كما ورد في حديث
حذيفة مرفوعا كاني انظر الى رجل اجش اهم الساقين ازرق العينين افطس الانف كبير البطن وقد صف قدميه
على الكعبة هو واصحابه لا ينفضونها حجرا حجرا وتيدا وليها حتى يطرحوها في البحر الحديث قوله ذو السويقتين
اي صاحبهما وهو تصغير ساقين اي دقيق الساقين وقوله اصيلع تصغير الاصلع وهو من ذهب
شعر مقدم راسه والافيدع تصغير افدع وهو من في يده اعوجاج وفي القاموس الفدع محركة اعوجاج
الرسغ من اليد او الرجل حتى ينقلب الكف او القدم او هو المشي على ظهر القدم او ارتفاع اخص القدم حتى لو
وطئ الافدع عصفورا اماته او هو عوج في المفاصل كانها قد زالت عن موضعها واكثر ما يكون في الارساغ
خلقة وجاء في بعض روايات الحديث اصعل اي صغير الراس وفي بعضها اصمع اي صغير الاذنين
وقيل كبير الاذن والاول يصح تصغير اجح في المتباعد الفخذين واخرج الامام احمد من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
مرفوعا يبايع الرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت الا اهله فاذا استحلوه فلا تسل عن
هلكة العرب ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده ابدا وهم الذين يستخرجون كنزه ورواه بهذا
اللفظ ايضا الازرقي في تاريخ مكة والحاكم وصححه فان قلت قد ورد وتقدم ان المهدي هو الذي
يخرج كنز الكعبة وفي هذا الحديث ان ذو السويقتين هو الذي يخرج كنزها ولعمري انه لسؤال وارد
واستشكال صادر ولم ار من تفطن فيما نقف عنه هذا السؤال وفيه خاض ولا اجاب هذا
السؤال ولا من تعرض لهذا الاعتراض ولعل الجواب ان المهدي يستخرج الكنز المذكور ثم بعد
ذلك يجتمع في خزانة الكعبة في مدة المهدي ومدة سيدنا عيسى الى ان يخرجها ذو السويقتين مال كثير
سيما مع كثرة المال وانكباب اهل ذلك الوقت على انواع القربات مع كثرة الحجاج وهذا ممكن او يكون
المهدي كشفه وظهر عليه واخذ منه عونه وترك باقيه والله اعلم فان قلت تسلط هذا العدو
الخبيث على هدم بيت الله المعظم بنا في قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وجعل كيدهم في تضليل
الآية ومن يرد فيه بالحاد بظلم الآية وقد حماه سبحانه من اصحاب الفيل وجيوشه حينئذ كفار مشركون
فكيف يسلط عليه الحبشة وهم قلة المسلمين وهم جيوشه فاجوا ب ما ذكره الحافظ ابن حجر
في فتح الباري وهو ان يقال قد اشار النبي صلى الله عليه وسلم للجواب في الحديث بقوله
البيت الا اهله فتبين من الفيل ما كانوا قد استحلوه فمنعه منهم واما الحبشة فلا يهدمونه الا بعد استحلال

اهله لم يراوقلا استحل جيش يزيد بن معاوية بامره ثم الحجاج بن عبد الملك بن مروان بامره فسلط الله عليه
القرامطة فقتلوا من المسلمين في الطواف ما لا يحصى وقلعوا الحجر ونقلوه لبلادهم فلما وقع استحلال اهل
مراد ما مكن غيرهم من ذلك عقوبة لهم على انه ليس في الاية استمرار الامن المذكور فيها نعم ملخصا قلت والذي
يظهر لي ان هذا العالم مشعر بالاضمحلال وكما ورد الشرع بالامن ورد باضمحلال هذا العالم ودماره
فاشعار الامن مغيا الى غاية اشار الشارع اليها فوجب تصديق الامرين كل واحد منهما بحسبه وهو مقتضى
الشرع وبالله التوفيق فائدة قلت هدم الكعبة من ذي السويقتين المذكور من سيدنا المسيح بن مريم
عليه السلام او بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى احد في الارض يقول الله فالجواب ان هذا مما
اختلف فيه العلماء فمن كعب الاحبار انه من عيسى عليه السلام وقيل من غيره وبعد هلاك يأجوج و
مأجوج فيحج الناس ويعتمرون كما ثبت ذلك وان عيسى عليه السلام يحج او يعتمر او يجمع بينهما كما تقدم
فالظاهر ان هدم البيت بعد موت سيدنا المسيح وهبوب الريح التي يموت بها من في قلبه ذرة من ايمان
وذكر الحافظ انه وجد في كتاب التيجان لابن هشام ان عمر بن عامر كان ملكا متوجا وكان كاهنا معمرا
وانه قال لاخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة ان بلادكم ستخرب وان الله تعالى في اهل اليمن
سخطتين ورحمتين فالسخطة الاولى هدم سد مأرب وخراب البلاد بسببه والثانية غلبة الحبشة
على اليمن والرحمة الاولى بعثة نبينا من تهامة اسمه محمد يرسل بالرحمة ويغلب اهل الشرك والثانية اذا خرب
بيت الله يبعث الله رجلا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه ويخرجهم حتى لا يكون بالدنيا ايمان
الا بارض اليمن قال الحافظ ابن حجر ان ثبت هذا علم منه اسم المحطاني وسيرته وزمانه واغرضه
البرزخي في الاشاعة بانه ليس فيما ذكرها يقتضي انه ذكر هو المحطاني ولم لا يجوز ان يكون شعيب بن صالح
هو التميمي القادم بالرايات السود الى المهدي وانه يرسل عيسى عليه السلام اليه حين يأتيه الصريخ
ويؤيد كونه لقبه المنصور وبتقدير انه يكون هو اياه فجائز ان يكون بعد خلافته ويكون فيمن ارسله
عيسى عليه السلام اميرا عليهم فانه ورد ان الصريخ يأتي عيسى بذلك فيبعث اليه طائفة ما بين الثمانية
الى التسعة فيكون هو اميرهم وليس في كونه رحمة لاهل اليمن ما يقتضي انه منهم ويكفي من كونه رحمة لهم
انه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى ايمان الا في ارض اليمن ثم ان الحجاز من اليمن ولذا يقال للكعبة يمانية
ولعل وجه اختصاص اليمن ببقاء الايمان بعد قبض المسيح وهبوب الريح ولا ينافي ما ذكر حديث اخر مانوجد
الايمان في المدينة لانضمام اليمن والله اعلم وقيل ان هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الايات
كلها وقرب قيام الساعة حين ينقطع الحاج ولا يبقى في الارض من يقول الله ويؤيد هذا ان زمن عيسى عليه السلام
كله زمن علم وبركة واعانه وخير وهذا اليق بكرم الله والذي تقتضيه الحكمة فانه البيت قبلة الاسلام

والحج اليه

والحج اليه دام الدين وبانيه فالحكمة تقتضي بقاءه ببقاء الدين فاذا جاءت الريح الباردة الطيبة
وقبضت المؤمنين فبعد ذلك يهدم البيت ويرتفع القرآن قال العلامة الشيخ فرحي في نهجته
جاء عن الثقاة الحفاظ يمكث الناس ما شاء الله في الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع
الشمس وخروج الدابة قال ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة
ثم لا تعمر بعدها ابدا وهم الذين يستخرجون كنوز مصر قال ثم تجتمع بقايا المسلمين فيقاتلونهم
ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعباءة فبين ان هدم الكعبة بعد الايات كلها وان كان لا يخلو من تأمل والله اعلم

فوائد احداها تقدم ان عمر ابيت المقدس خراب يثرب رواه ابو داود من حديث معاذ مرفوعا
وروى الطبراني ان صلى الله عليه وسلم قال سيبلغ البناء سلعا ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض اقطارها
فيقول قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعفو الاثر واخرج الامام احمد بنحوه باسناد حسن
وفي الصحيحين لتتركن المدينة على خير ما كانت مذ لذة ثمارها لا يغشاها الا العوافي الطير والسباع
الحديث وسبب خرابها والله اعلم ان خيارها هم يخرجون مع المهدي الى الجهاد ثم ترجف بعد ذلك فتفقد
وتوميهم الى الدجال ولم يبق الا المؤمنون المخاصون فيها جروه الى بيت المقدس عند امامهم وقد
ورد ستكون هجرة وخيار الناس يومئذ الزمهم مهاجر ابراهيم ويبقى منهم تفيض وجوه الريح الطيبة
وقد روى المرجاني في اخبار المدينة عن جابر مرفوعا لا يعود هذا الامر الى المدينة كما بدا منها حتى لا يكون
ايمان الا بها واخرج النسائي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا اخربة من خربات الاسلام خراب المدينة
ورواه الترمذي بنحوه وقال حسن غريب ورواه ابن حبان بلفظ اخربة من خربات الاسلام خرابا
المدينة وصح ان الدين ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها فظاهر هذه الاخبار التعارض و
وجه الجمع ان الفتن تعم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدي ويبقى اهل المدينة مع المهدي فيأرز
الدين اي ينحاز ويدخل المدينة حينئذ لانهم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق ثم انها
تنفي خبثها زمن الدجال ويبقى فيها الايمان الخالص بخلافه غيرها من بيت المقدس وغيرهم البلدان
فيبقى فيهم اهل ذمة ومنافقون لانهم ايمانهم منوط بعد نزول عيسى عليه السلام وكذلك مكة تنفذ
بمنافقيها الى الدجال ايضا وقد قيل ان الريح الطيبة تأتي الشام فيكون اهل الشام يقبض قبل
ان تصل المدينة او مع اليمن فكذلك او من كليهما كما جمع به والاول ظاهر فصدق ان اخر من يقبض
من المؤمنين اهل المدينة وهذا مما يحط حديث ابي هريرة فيحمل دعوتهم تخرب المدينة لانه ليس فيها
سوى المؤمنين بخلاف غيرها فانها تبقى عامرة زمن اراز الناس كما اشار اليه في الاشاعة وبالله حسن
التوفيق الثانية ذكر خروج القحطاني والجهجاه والمهتم والمعتمد وهو لاء

بعد موت المهدي اخرج ابو الشيخ من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام
فيقتل الدجال ويموت فيستخلفونه يعني بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام بامره رجلا من بني تميم
يقال له المقعد فاذا مات المقعد حريات على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال
ويبدأ النقص ليوافق ما اتى من بقاء الدين مدة مديدة بعد سيدنا عيسى عليه السلام والظاهر
والله اعلم ان هذا التميمي الملقب بالمقعد هو شعيب بن صالح احد الامراء الوزراء المهدي بل هو
احد المهدين والظاهر انه يبقى اميرا في نواحي الشرق ثم يستدعيه عيسى عليه السلام بعد وفاة
المهدي عند خروج ذي السويقتين على مكة ونواحيها فيقتلهم ويسبيهم حتى يبايع الحبشي
بالعباءة ثم عند وفاة سيدنا المسيح يوصي له بالامر لما يرى فيه من الكفاية لتذكره والقيام باعباء
الدين ولم ار هذا التحرير لغيري فانه لم يكن هو شعيب بن صالح والا فهو احد الامراء الذين كان
يلقى عليهم اعباء الامر والذي يلي امارة الشرق من بعد شعيب ان كان هو قد مات ويكون هذا
يلقب بالمقعد واخرج مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لا تذهب الايام
والليالي حتى يملك الناس رجل يقال له الجهجاه واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عنه مرفوعا
لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه واخرج الطبراني في معجمه الكبير
وابن مندة وابو نعيم وابن عساكر عن قيس بن جابر عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يكون من بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء امراء ومن بعد الامراء ملوك جبابرة ثم يخرج من اهل بيتي
المهدي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ثم يوم التحطاني فهو الذي يعتني بالحق ما هو دونه
واخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال بلغني ان المهدي يملك اربع عشرة سنة بيت
المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور يعني التحطاني يملك
بيت المقدس احدى وعشرين سنة قلت وهذا لا ينافي انه يكون هو شعيب بن صالح
التميمي لان بني تميم ليسوا من اليمن ولا من قحطان وان وافقه في تاقيسه بالمنصور ثم يقتل هذا
التحطاني ثم يملك المولى يعني الجهجاه ويملك ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده الهيثم المهدي
ثلاث سنين واربعة اشهر وعشرة ايام وهذا المهدي غير الاول وكانه لقب بذلك لحسن سيرته
وصفاء سريرته والحاصل ان الواجب اعتقاده من ذكر ما دل عليه الاخبار الصحيحة والآثار
الصريحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وسيدنا عيسى بن مريم في زمنه
ويصلي عيسى عليه السلام خلفه صلاة الفجر وهو المراد حيث اطلق المهدي واما المذكور وما قبله
فلم يصح فيهم شيء والذين من بعده فاقرأ صاحبه بكونه ليس امامه ومؤخرهم في الوجود وامامهم وخيرهم

وافضلهم

وافضلهم في الحقيقة والمراد غير سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام فانه رسول كريم من اولي العزم وهو آية
وعلامة وحده فيجب الايمان بنزوله ويجب الايمان ايضا بخروج الدجال اللعين وان سيدنا عيسى
عليه السلام يقتله بباب لد عند بئر الزيبق ويجب الايمان ايضا بخروج يأجوج ومأجوج وبان
الكعبة يهدمها ذو السويقتين في آخر زمان والله تعالى المستعان الثالثة جاء في الحديث الشريف
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حجوا قبل ان لا تحجوا فالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليوشكن هذا البيت من بين
اظهركم حتى لا يدري احدكم اين مكانه بالامس وقد روى الحاكم والبيهقي من حديث علي رضي الله عنه
مرفوعا حجوا قبل ان لا تحجوا فكاني انظر الى حبشي اصمع افدع بيده معول يهدمها حجرا حجرا قوله
افدع هو فداء ودال مهملة بوزن افعل يشير على ظهور قدميه وتقدم ان الاصمع بالصاد المهملة صغير
الاذن واخرج البيهقي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا حجوا قبل ان لا تحجوا فعد اعرابيا
على اذنا ب او ذئبا فلا يصل الى الحج احد وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استمتعوا
بهذا البيت فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة رواه البزار والطبراني في الكبير وابن خزيمة وابن حبان
في صحيحيهما والحاكم وقال صحيح الاسناد قال ابن خزيمة قوله يرفع في الثالثة يريد بعد الثالثة
وروى ابو القاسم الاصبهاني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ليحجن البيت بعد خروج يأجوج ومأجوج
احدكم لا يدري ما يعرض له والله تعالى اعلم العلامة السادسة من علامات الساعة و
اشراطها العظمى ما اشار اليه بقوله وآية منها اي من اشراط الساعة التي ورد النص عليها والتاقيت
لما يأتي به آية اي علامة واصلها اوية بفتح الواو وموضع العين واو والنسبة اليه اووي و
قيل اصلها فاعلة فذهبت منها اللام والعين تخفيفا ولو جاءت تامة لكانت ايية ومعنى
الآية في كتاب الله تعالى جماعة حروف وكلمات من قولهم خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم
شيئا واما في غيره فهي العلامة اي من اشراط الساعة علامة الدخان كما مر وغاب بغنا و
والجمع ادخنة ودواخن ودواخين قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة اما الكتاب
فقوله سبحانه وتعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم
والحسن وزيد بن علي رحمهم الله هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في اسماع الكفار والمنافقين
ويعتري المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ولم يات بعد وهات
واما السنة فاخرج مسلم من حديث حذيفة بن اسيد رضي الله عنه قال طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا الساعة يا رسول الله قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
فذكر منها الدخان ورواه الترمذي وابن ماجة وانه يمكث في الارض اربعين يوما وفي حديث

وان منها آية الدخان

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اول اشراط الساعة دخان يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الارض
اربعين يوما فاما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام واما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج
الدخان من فيه ومنخريه وعينيه واذنيه ودبره رواه الطبراني ورواه البغوي ولفظه
قال حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول الايات الدخان
ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا
قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلى هذه الاية يوم تاتي السماء بدخان مبين يملأ ما
بين المشرق والمغرب الحديث وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة او خاصة احدكم
او امر العامة وفي رواية وامر العامة وخويصة احدكم وقيل ان الدخان مر وانه الجوع الذي
كان حال بين ابصار قريش وبين السماء فمن الصحيحين والترمذي عن مسروق قال كنا جلوسا
عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان قاصا عندنا يقص
كنده يقص ويزعم ان اية الدخان تجي فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ المؤمن منها كهيئة الزكام
فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا ايها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئا فليقل بما يعلم ومن لا يعلم
فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فان الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما
اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم
سبع كسبع يوسف وفي رواية لما دعى قريشا كذبوه واستعصوا عليه فقال اللهم اعني عليهم
بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شيء حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر الى
السماء احدهم فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان فقال يا محمد انك جئت تامر بطاعة الله
وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله عز وجل لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تاتي السماء
بدخان مبين الى قوله انكم عائدون قال عبد الله افيكشف عذاب الاخرة يوم نبطش البطشة الكبرى
انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية قال قال عبد الله انما كان هذا لان هذا قريشا لما استعصوا
على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل
الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع فانزل الله عز وجل فارتقب
يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم قال فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل
يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت قال لمضر انك لجري استسق لهم فسقوا فنزلت انكم عائدون
فلما اصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين اصابتهم الرفاهية فانزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى

انا منتقمون يعني يوم بدر وفي رواية فقيل له انا ان كشفنا عنهم عادوا فدعى ربه فكشف عنهم فعادوا
فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون
وفي رواية الترمذي كقوله ربنا اكشف عنا العذاب فهل يكشف عذاب الاخرة قد مضى البطشة واللزام
والدخان واللزام يوم بدر وفي البخاري ومسلم قال عبيدة يعني ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضين
الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر قال في النهاية في حديث اشراط الساعة ذكر اللزام وفسر
بانه يوم بدر انتهى وكذا البطشة يوم بدر والروم اشارة الى قوله الم غلبت الروم والقمر اشارة الى
قوله اقتربت الساعة وانشق القمر قال العلامة الشيخ مرعي في نهجته كغيره كلام ابن مسعود
رضي الله عنه موافق لظاهر الاية فلا دليل فيها لمذاهب الجمهور وانما دليلهم السنة وكان ذلك لم يبلغ
ابن مسعود رضي الله عنه حين انكر ذلك مع انه ورد عنه ايضا انه كان يقول هما دخانان مضى واحد
والذي يبقى يملأ ما بين السماء والارض ولا يجد المؤمن منه الا كالزكمة واما الكافر فينفذ مسامعه
فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ويبقى شرار الناس والذي انكره
ابن مسعود قد جاء عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاخرج عبد الرزاق وابن ابي حاتم من طريق الحارث
عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال اية الدخان لم تمض بعد ياخذ المؤمن منها كهيئة
الزكام وينفخ الكافر حتى ينقد ومن قد اخرج الطبراني من حديث ابي مالك الاشعري رضي الله عنه ان ربكم
انذركم ثلاثا الدخان ياخذ المؤمن كالزكمة الحديث وورد ذلك من عدة طرق عن جماعة من الصحابة
مرفوعا وموقوفا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتظافر هذه الاحاديث يدل على ان لذلك اصلا
وقد قيل ان القائل الذي انكر على ابن مسعود هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهذا ليس بشيء
فلا ينظر اليه ولا يعول عليه وبالله التوفيق العلامة السابعة من علامات الساعة واشراطها
رفع القرآن العظيم والذكر الحكيم من الصدور ومن السطور والية الاشارة بقوله وانا اي الشان
والامر لنذهبن بضم التحتية مبنيا لما لم يسم فاعله اي يذهب الله تعالى بالقرآن العظيم وكلام الله
المنزل على النبي الكريم من المصاحف والصدور وهي من اشد معضلات الامور فاخرج الديلمي
من حديث ابي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما مرفوعا ليسرين على كتاب الله ليلا فيصبح الناس وليس منه
اية ولا حرف تنبيه جوف الانسخت قال في البهجة قرر الائمة انه يرفع اولا من المصاحف وذلك انهم
يبيتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لا محالة ما حتى لا يكون
شيء منه محفوظا حتى يقول الحافظ للاخر وقد سالته الاخر كنت احفظ اشيا نسيته لا ادري ما هو
وفي الحديث اكثروا من الطواف بالبيت قبل ان يرفع وينسى الناس كما نسوا كثيرا من تلاوة القرآن

وانه يذهب بالقرآن

من قبل ان يرفع قيل وكيف يرفع ماهي صدور الرجال قال يسرى عليهم ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون
قول لا اله الا الله وعند الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث
جاء له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الله عز وجل مالك فيقول منك خرجت واليك اعود اتلى فلا
يعمل بي وقد مر في مسئلة الكلام على الكلام ما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره وجماعة
عن السلف من ان القرآن العظيم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود وان معنى واليه يعود
ما جاء في الآثار ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية واخرج
ابن ماجه من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا يدرس الاسلام حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة
ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية الحديث واخرج
السجزي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يرفع الذكر والقرآن واخرج ابن ماجه
بسند قوي والحاكم والبيهقي والضياء عن حذيفة رضي الله عنه قال يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب
حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في
الارض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ والعجوز يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله
فنحن نقولها والله اعلم **العلامة الثامنة** من علامات الساعة واشراطها طلوع الشمس من
مغربها واشار اليها بقوله ومنها طلوع شمس الافق قال الله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وقال وجعل
الشمس سراجا واخرج الطبراني في الاوسط وابو الشيخ وابن مردويه عن انس رضي الله عنه قال حدثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش واخرج ابو الشيخ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه
قال خلق الله الشمس من نور عرشه وكتب في وجهها اني انا الله لا اله الا انا رضائي كلام وغضبي كلام ورحمتي
كلام وعذابي كلام وخلق القمر من نور حجابه الذي يليه وكتب في وجهه اني انا الله لا اله الا انا اصنعت
القمر وخلقت الظلمات والنور فالظلمة ضلالة والنور هدى اي اضل من شئت واهدي من شئت وكتب
في بطنه اني انا الله لا اله الا انا خلقت الخير والشر بقدرتي وعزتي ابتلي بهما من شئت من خلقي وقد اخرج
ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن عكرمة قال الشمس قدر الدنيا وزيادة ثلث والقمر على قدر الدنيا واخرج من
وجه آخر بلفظ سعة الارض بدل قدر الدنيا والموضعين وزعم اهل الهندسة ان الشمس
اضعاف الارض مائة وستون مرة او مائتين والافق بالضم وبضمتين الناحية والجمع افاق
والافق ايضا ما ظهر من نواحي الفلك وهو المراد هنا وقوله من دبور بفتح الدال المهملة وضم الموحدة مخففة
فراء بعد الواو وجهة المغرب لانها تدبر باب الكعبة وتسمى الريح التي مهبها من جهة المغرب دبورا
قال النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور رواه الامام احمد والشيخان من حديث ابن عباس

رضي الله

رضي الله عنهما وفي القاموس الريح تحولت دبورا وهي ريح تقابل الصبا قال الامام النووي الصبا بفتح الصاد
المهملة مقصورا هي الريح الشرقية قال العلماء رحمهم الله تعالى طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة
والاخبار الصريحة تلوا بالكتاب المنزل على النبي المرسل قال تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا الآية اجمع المفسرون او جمهورهم على انها طلوع الشمس
من مغربها وقد خبط بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة وليط ولم تهتد لمقصودها الذي عليه
المحط وحاصل ذلك المقصود من الآية الكريمة انه من لم يكن ايمانه متحققا اذا طلعت الشمس
من مغربها لم ينفعه تجديد الايمان ولم ينفعه فعل بعض جميع الاعمال لانه فقد الايمان الذي هو
الاساس لما عداه من تلك الاعمال فلا ينفعه ايمانه الحادث حينئذ ولا ما صدر منه قبل ذلك من
الاحسان وعمل البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من مكارم
الاخلاق لانها على غير اساس قال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب الآية وقال الايمان الحادث
في ذلك الوقت ليس مقبولا حتى يكون من باب اسلم على ما سلف من الخير فهؤلاء لا ينفعهم ايمانهم الا فعال
اللاحقة ولا بانضمام اعمالهم السابقة لفقد الاساس الذي هو الايمان واما من تحقق اتصافه بالايمان
الشرعي من قبل ذلك الوقت واستمر ايمانه الى طلوع الشمس من مغربها فهؤلاء لا يخلوا اما ان يكون مؤمنا متقيا
على المعاصي لم يكتسب في ايمانه خيرا او مؤمنا مخلطا او مؤمنا تائبا عن المعاصي كما سيأتي ايمانه خيرا اما
استطاع فالاول ينفعه الايمان السابق المجرد عن الاعمال لاصل النجاة فلا يخلد في النار وان دخلها بذنوبه
فالايمان السابق ينفعه وينفعه الايمان يومئذ ايضا لانه نور على نور ولكن لا تنفعه التوبة عن
المعاصي ولا تقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك والثاني ينفعه ايمانه السابق لاصل النجاة وينفعه
ما قدمه من الحسنات لدرجاته وينفعه ايمانه يومئذ ايضا لما مر ولكن لا تنفعه توبته حينئذ
من التخليط والحسنة يعملها بعد ذلك عالم يكن عملها من قبل واستمر على عملها من صلاة وقراءة وذكر كان
يعمله والثالث ينفعه ايمانه السابق لاصل نجاته وتنفعه اعماله السابقة الصالحة لدرجاته وينفعه
ايمانه ذلك اليوم ايضا وينفعه ما يعمله بعد ذلك من الحسنات التي سبق منه امثالها وهذا
التفصيل تعاضدت عليه الآية الكريمة وبينته الاحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى يوم يأتي بعض
آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا من ذلك ما اخرج الشيخان
وغيرهما من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع
الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها الآية
واخرج ابن مردويه وابن ابي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

عشرة من العشيات فقال يا عباد الله توبوا الى الله مرات فانكم توشكون ان ترو الشمس من المغرب فاذا
فعلت ذلك حبست التوبة وطوي العمل وختم الايمان الحديث واخرج ابن ابي حاتم عن السدي في قوله
او كسبت في ايمانها خيرا يقول كسبت في تصديقها عملا هو لاء اهل القبلة وان كانت مصدقة
لم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد ان رأت الاية لم يقبل منها وان عملت قبل الاية خيرا قبل منها ومن ذلك
ما اخرجه الامام احمد وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق مالك بن يخامر السكسكي عن عبد الرحمن
ابني عوف ومعاوية بن ابي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الهجرة خصلتان احداهما ان تهجر السيات والاخرى ان تهاجر الى الله ورسوله ولا تنقطع الهجرة
ما تقبل التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا اطلعت طبع على كل قلب
بما فيه وكفى الناس العمل واخرج الامام احمد وعبد الرحمن بن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال
والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم وامر العامة قال قتادة خويصة احدكم الموت وامر العامة
الساعة واخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا خلق الله بابا للتوبة وفيه
فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربها الحديث
قال فاذا اغلق باب التوبة لم يقبل العبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كانت
قبل ذلك فانه تجري لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجري لهم قبل ذلك فذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض ايات
ربك الى قوله خيرا الحديث بطوله وهذا الحديث وان كان سنده واهيا كما قاله بعض الحفاظ لكن
لشواهده من الاحاديث الصحاح ويوضحه ما نقله العلامة المدقق ابن هشام اي مغني اللبيب عن ابن عطية
وابن الحاجب ان الاية من حذف المعطوف اي لا ينفع نفسا ايمانها وكسبها لم تكن آمنت من قبل او كسبت
في ايمانها خيرا والاية من اللف والنشر والمعنى ان هذا اذا كانت كسبت ينفعها كسبها المماثل
للسابق وهو المطلوب فيلخص من مجموع الاحاديث المذكورة وما في معناها مما هو مسطور في الدر
المنثور للحافظ جلال الدين السيوطي ان الشمس اذا طلعت من مغربها لا ينفع الايمان المحدث
في ذلك اليوم لمن كان كافرا او مشركا ولا التوبة المحدثة فيه لمن كان مخلطا ولا اعمال البر المحدثة فيه
لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم واما من كان قبل ذلك اليوم مؤمنا فان الايمان المجرد عن الاعمال
الصالحة السابقة على ذلك اليوم ينفع صاحبه لاجل نجاته وايمانه المحدد يومئذ ينفعه ايضا
لانه نور على نور وان لم تقبل توبته عن سيئاته وان الايمان السابق مع التخليط ينفعه مع ما تقدم له من
الاعمال الصالحة التي كان يعملها وانما الممنوع قبول توبته عن تخليطه وقبول ما لم يكن

متصفا به من الايمان واعمال البر قبل ذلك اليوم والضابط ان كل بر محدث يكون السبب في احداثه رؤية
الاية ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع سواء كان من الاصول او الفروع وكل بر ليس كذلك لكون
صاحبه كان عاملا به قبل رؤية الاية ينفع وبهذا التحقيق يندفع على مثله الاعتراض المحقق العلامة
ابن مفلح في الآداب الكبرى قال في قوله صلى الله عليه وسلم اذا طلعت الشمس من مغربها طبع الله عز وجل
على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل ليس المراد بهذا الخبر ترك ما كان يعمله من الفرايض اي وكذا النوافل
قبل طلوع الشمس من مغربها فيجب الاتيان بما كان يعمله من الفرايض قبل ذلك وينفعه ما ياتي به من
الايمان الذي كان ياتي به قبل ذلك وقوله وكفى الناس العمل اي عملا لم يكونوا يفعلونه قال وقد
ذكر ابن حامد ان المذهب لا ينقطع التكليف خلافا للمعتزلة وحكى ابن الجوزي عن الضحاك ان من ادرك
بعض الايات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الاية قال ابن مفلح فالعمل الصالح
الذي سبب ظهور الاية لا ينفع لان الاية اضطرته اليه واما ما كان يعمله فظهور الاية لا تاثير
لها فيه فبقي الحاكم كما قبل الاية وبنحو على مثله السيد محمد البرزنجي في كتابه الاشاعة في اشراط الساعة
وشيخ مشايخنا العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة الشيخ محمد المقدسي الفشاشي
واشار اليه سابقا الحافظ ابن حجر في فتح الباري والحافظ السيوطي في الدر المنثور وغيرهم من
المحققين فهو المعول عليه دون ما زعمه بعض المتحذلقين وبالله التوفيق اذا عرفت ذلك
فاعلم انه قد ورد في طلوع الشمس من مغربها عدة احاديث منها ما اخرجه مسلم في صحيحه
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اول الايات خروجا
طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على
اثرها قريبا منها وفيه ايضا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس
من مغربها فاذا اطلعت من مغربها آمن الناس كلهم اجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ورواه البخاري ايضا وفيه حتى تطلع الشمس من مغربها
فاذا رآها الناس آمن من عليها الحديث واخرج مسلم من حديث ابي ذر الغفاري رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم
قال انها تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها
ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي
الى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة
من مغربها فقال عليه السلام اتدرون متى ذلكم حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل الاية

واخرج للامام احمد وعبد بن حميد وعبد الرزاق والستة غير الترمذي وابن المنذر وابو الشيخ وابن مردويه
والبيهقي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس امنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها
ثم قرا الاية وتقدم قريبا واخرج ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اية طلوع الشمس من مغربها قال تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين
وهو وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قدر ثلاث ليال وعند البيهقي من حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا قدر ليلتين او ثلاث فيستيقظ الذين يحشون
بهم فيصلون ويعلمون كما كانوا ولا يرون الا قد قامت النجوم مكانها لم يرقدوا ثم يقومون
ثم يقضون صلاتهم والليل كانه لم ينقص فيضطجعون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه
حتى يتباطا عليهم الليل فاذا راوا ذلك خافوا انه يكون ذلك بين يدي امر عظيم فيفزع الناس وهاج بعضهم
في بعض فقالوا اما هذا فيفزعون الى المساجد فاذا اصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما هم
ينظرون طلوعها من المشرق اذا هي طالعة عليهم من مغربها فيضج الناس ضجة واحدة حتى اذا
صارت في وسط السماء وجعت وطلعت من مطلعها واخرج ابن مردويه وغيره من حديث
انس رضي الله عنه مرفوعا صيحة تطلع الشمس من مغربها يصيح في هذه لامة قردة وخنازير
تطوى الدواوين وتجف الاقلام لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وعند البيهقي فيذهب الناس فيتصدقون
بالذهب لا حمر فلا يقبل منهم ويقال لو كان بالامس واخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
مرفوعا لا تزال الشمس تجري من مشرقها الى مغربها حتى يات الوقت الذي جعل الله لتوبة عباده
فتستاذنه الشمس ان تطلع وتستاذنه القمر ان يطلع فلا يؤذن لها فيحبسان مقدار ثلاث
ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما الا قليل من الناس وهم بقية اهل الارض وحملة
القراٰن يقرا الرجل وورده في تلك الليلة حتى اذا فرغ منه نظر فاذا الليلة على حالها فلا يعرف ذلك
الا حملة القراٰن فينادي بعضهم بعضا فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكا والصراخ بقية
تلك الليلة ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال ثم يرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول الله لكما
تبارك وتعالى ايما مركما ان ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه فانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكي
الشمس والقمر خوف يوم القيمة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فتطلعان من مغربهما
فبينما الناس كذلك يتضرعون الى الله تعالى وهم غافلون في غفلاتهم اذ نادى منادٍ الا ان باب التوبة قد

اغلق

اغلق والشمس والقمر طلعا من مغاربهما فنظر الناس فاذا بهما اسودان كالعكمين لا ضوء لهما ولا نور
فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر قوله كالعكمين تثنية عكم بالكسر وهو الغرارة اي كالغرارتين
العظيمتين ومنه يقال لما شد الغرارة على الجمل العكام وفي حديث ام زرع علكوني بها رداح يعني
غرائرها التي تكون فيها الامتعة وغيرها فيرتفعان اي الشمس والقمر مثل البعيرين المقرونين
ينازع كل منهما صاحبه استباقا وتصايح اهل الدنيا وتذهل الامهات عن اولادها وتضع كل ذات
حمل حملها فاما الصالحون والابرار فيشفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عباده واما الفاسقون
والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر سرة السماء وهو
منتصفها جاءهما جبريل فاخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فلا يغرب فيهما في مغاربهما اي مغارب
طلوعهما ذلك اليوم وهي جهة المشرق ولكن يغرب فيهما في مغاربهما اللذين في باب التوبة فاما الله يعلم
خلق باب التوبة فهو من ابواب الجنة له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع
الى المصراع مسيرة اربعين عاما للراكب المسرع فذلك الباب المفتوح منذ خلق الله خلقه
الى صيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا
من لدن آدم الى ذلك اليوم الا اوجبت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله فيغربهما جبريل في ذلك
ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما ويصيران كانهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل فاذا اغلق
باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة ولم ينفع حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كان يجري لها
قبل ذلك فذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك الاية فقال ابي بن كعب يا رسول الله فكيف
بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا قال ان الشمس والقمر يكسيانه بعد ذلك ضوء النور
ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك واما الناس فانهم حيث راوا اما راوا من تلك الاية
وعظمها يلجون على الدنيا فيعمرونها ويجرونها فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها
البنيان واما الدنيا فلو انبخ رجل مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها
الى ان ينفخ في الصور وقد ذكر نحو ذلك القرطبي في تذكرته عن الثعلبي وغيره من المفسرين عن ابي هريرة
رضي الله عنه **تنبيهات الاول** قد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما مكث الناس بعد طلوع الشمس
من مغربها عشرين ومائة سنة وروى عبد بن حميد عنه بقي شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها
عشرين ومائة سنة واخرج ابو نعيم بن عمرو لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد اباؤها
عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى بن مريم وبعد الدجال وروى عبد بن حميد من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران

فيقول احدهما للآخر متى ولدت فيقول زمان طلعت الشمس من مغربها واخرج ابن ابي شيبة وابن المنذر
عن ابي هريرة رضي الله عنه الايات كلها في ثمانية اشهر وعن ابي العالية في ستة اشهر ومر لواء رجلا
نتج مهر الحمر بكرة حتى ينفخ في الصور وجمع الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتبعه السخاوي في القناعة
والبرزنجي في الاشاعة بما حاصله ان المدة حملت الروايات الاولى عشرون ومائة سنة لكنها
تنكسر جميعا تكسرا سريعا لمقدار عشرين ومائة شهر كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعا لا تقوم الساعة
حتى تكون السنة كالشهر الحديث وفيه اليوم كالساعة وعلى هذا تكون تقارب الزمان وتقاصر الايام
مرتين مرة زمن الدجال ثم ترجع بركة الارض وطول الايام الى حالها ثم تتناقص بعد موت سيدنا
عيسى عليه السلام الى ان تصير في اخر الزمان الى ما ذكر قلت واحسن من هذا ما ذكره القرطبي ان
الايات على قسمين قسم يدل على قرب الساعة وقسم يدل على حصولها وابتدأ من اول الدجال
ونزول عيسى عليه السلام وخروج ياجوج وماجوج والخسوف وما التالي الدخان وطلوع الشمس
من مغربها وخروج الدابة والنار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس فيكون المراد بالمدة الطويلة
باعتبار الاول والقصيرة باعتبار الثاني لكن يعكر عليه بان الخبر ناطق بان العشرين ومائة سنة
بعد طلوع الشمس من مغربها ولهذا مال الكوراني الى الاول وان خبر عشرين ومائة سنة
غير صحيح واستدل لعدم صحته ذكر مع ما مر يقول السخاوي ثبت ان الايات العظام مثل
السلك اذا انقطع تتابع الخرز بسرعة وفي مرسل ابي العالية ان بين اول الايات واخرها ستة اشهر
بينا بعين كتتابع الخرزات في النظام وتقدم قريبا ويشهد لتواليها خرزات منظومات في سلك
اذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا وفي رواية بين يدي الساعة عشر ايات كالنظم في الخيط
اذا سقط منها واحدة تتالت الثاني في حديث مسلم ان اول الايات طلوع الشمس من مغربها
وقد استشكل بانه لو كان كذلك لم ينفع الكفار ايمانهم بعد نزول عيسى عليه السلام ولا الفساق
توبتهم لانغلاق باب التوبة وقد جاء النص بانه ينفعهم ذكر جزما والا لما صار الدين واحدا
ولا كان في نزوله كبير فائدة وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك
والجمع بين الاحاديث وحاصل ذكر انه اجيب بجوابين احدهما للحافظ البيهقي قال ان
كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس سابق احتمل ان يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوع
الشمس من مغربها فاذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم الى الكفر عاد تكليف الايمان بالغيب
قال وان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس بعد نزول عيسى يعني وخروج المهدي قال العلامة
مرعي عن الاخير هو المعتمد لما مر مرفوعا ان باب التوبة يغلق ستة اشهر من طلوع الشمس من مغربها

الى

الى يوم القيمة الجواب الثاني ان خروج الدجال اول الايات العظام المؤذنة بتغير انتظام الاحوال العامة
في معظم الارض وينتهي ذكره بموت سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها اول
الايات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم العلوي وينتهي ذكره بقيام الساعة واما خروج الدابة
فانه يقع في ذكر اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب قال الحاكم ابو عبد الله الذي يظهر ان طلوع الشمس
يسبق خروج الدابة في ذكر اليوم والذي يقرب منه والحكمة في ذكر ان عند طلوع الشمس من المغرب
يغلق باب التوبة فتخرج الدابة لتميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من اغلاق باب التوبة
قال العلامة الشيخ مرعي وهذا كلام في غاية التحقيق قال بعضهم والحكمة في طلوع الشمس
من مغربها ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما قال للنمرود ان الله ياتي بالشمس من
المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وان السحرة والمنجمين عند اخرهم ينكرون ذلك
ويقولون هو غير كائن اطلعها الله يوما من المغرب ليري المنكرين عظيم قدرته وباهر حكمته
وان الشمس في ملكه ان شاء اطلعها من المشرق او المغرب اولا وقال الحليمي من الشافعية
اول الايات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها قلت والذي يظهر
والله اعلم ان اول الايات خروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج ياجوج وماجوج
ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس ويحتمل ان طلوع الشمس متقدم على
رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يوم واحد قريبا منها وهذا هو النسق
الذي مشينا عليه واخترناه والله اعلم واما خروج السفياني فانه وان كان قبل خروج المهدي
الا انه لم يعد خروجه آية وانما هو علامة لخروج المهدي والله اعلم التنبيه الثالث قد ورد من
حديث انس رضي الله عنه عند ابن مردويه وغيره ان الدواوين تطوى والاقلام تجف ولا يزاد في حسنة
ولا ينقص من سيئة وفي كلام بعضهم ولا يكتب عمل بعد ذلك وانهم اذا عملوا عملا فاجسامهم تشهد
عليهم كما ورد عن عائشة رضي الله عنها اذا خرجت اول الايات تعني طلوع الشمس من المغرب طرحت
الاقلام وطويت الصحف وخلصت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وروى عبد بن حميد
والطبراني بسند صحيح وعند نعيم بن حماد عن ابن عمر فينادي بهم منادٍ يا ايها الذين امنوا قد قبل منكم
ويا ايها الذين كفروا قد اغلق عنكم باب التوبة وجفت الاقلام وطويت الصحف وروى من طريق
يزيد بن شريح وكثير بن مرة اذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترفع الحفظة
وتقوم الملائكة انا لا يكتبوا عملا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الاية التي تختم الاعمال بها
طلوع الشمس من مغربها فهذه آثار يشد بعضها بعضا متفقة على انه اذا طلعت الشمس من المغرب اغلق

باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ولا يختص ذلك بيوم طلوعها بل يمتد الى يوم القيمة خلافا لمن زعم من العلما
انه انما يمتنع قبول الايمان والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب اي في تلك الحالة قالوا واما من تاب
بعد ذلك واسلم قبل منه ذلك قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما ملخصه الذي دلت عليه الاحاديث
الثابتة الصحاح والحسان ان قبول التوبة مغيا بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها انها بعد
ذلك لا تقبل بل قد جاء في بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الامام احمد والطبراني
والطبراني عن مالك بن يخامر ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو رفعوه لا تزال
التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا اطلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل
وقد مر من الاخبار والآثار ما يفيد ذلك افادة صريحة لا تحتمل التاويل وقد يؤيد ذلك ما في قصة ابليس
يخر ساجدا اول ما تطلع الشمس من مغربها فاذا رآه الناس تابوا اجمعون فلا يبقى يومئذ كافر الا آمن
ولا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولا يبقى مؤمن الا اتى
توبة نصوحا وقد طويت الصحف وجف القلم فعند ذلك لا يقبل من نفس توبة ولا يرفع لاحد عمل
ولا يفتح لاحد باب توبة ولا يختم على احد عمل ولا يقبض لاحد روح ولا يقبل من كافر فداء
ولا من باغ عدل ولا من قاطع طريق صرف ولا من مرتد توبة ولا من مؤمن عمل الا ما كان
عمله قبل ذلك او كسب في ايمانه خيرا ولا يقبل من احد شيء الا ما كان قبل ذلك او كسب في
ايمانه خيرا ولا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولا يبقى
مؤمن الا اتى توبة نصوحا وقد طويت الصحف وجف القلم فعند ذلك لا يقبل من نفس توبة ولا يرفع
لاحد عمل ولا يفتح لاحد باب توبة ولا يختم على احد عمل ولا يقبض لاحد روح ولا يقبل من كافر فداء
ولا من باغ عدل ولا من قاطع طريق صرف ولا من مرتد توبة ولا من مؤمن عمل الا ما كان
عمله قبل ذلك او كسب في ايمانه خيرا ولا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في
ايمانه خيرا ولا يبقى

لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب اذا علمت ذلك فخروج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة
اما الكتاب فقوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا
بآياتنا لا يوقنون واما السنة فكثيرة منها ما في حديث حذيفة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا تخرج دابة الارض ثلاثة خروج من اجياد فيبلغ صدرها الركن اليماني
ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم وفي حديث حذيفة يرفعه اول ما يبدو منها
راسها معلمة ذات وبر وريش وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه تخرج ثلاثة
ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا راسها فيبلغ عنان السماء و
تبلغ السحاب وقال ابو هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وقال
وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير وقال ابن جرير راسها راس الثور وعينها
عين خنزير واذنها اذن فيل وقرناها قرنا ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد
ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب تيس وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين
اثنى عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال كعب صوتها صوت حمار واخرج الامام احمد
والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصى وتخطم انف الكافر
بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر واخرج
الامام احمد ايضا من حديث ابي امامة رضي الله عنه تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرون
فيكم ثم يشترى الرجل الدابة فيقول ممن اشتريت فيقول من الرجل المخطوم وقال ابن عباس رضي الله
عنهما ان لها عنقا مشرفا اي طويلا يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب ولها وجه كوجه
الانسان ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها ذات زغب
وريش فيها من الوان الدواب كلها وفيها من كل امة سيمة وسيماها من هذه الامة انها تكلم
الناس بلسانها عربي مبين وتكلمهم بكلامهم قوله ذات زغب اي عليها زغب وهو صغار الريش
اول ما يطلع كما في النهاية والايل بفتح الهمزة وكسر التحتية مشددة وبضم وفتح الواو على فتح العين
وهو تيس الجبل والسيمة العلامة وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قيل له ان
ناسا يزعمون انك دابة الارض فقال ويلكم والله لدابة الارض ريشا وزغبا ومالي ريش ولا
زغب وانه لها حافوا وانها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثاها وفي الميزان للحافظ

الذهبي

الذهبي عن جابر الجعفي انه كان يقول دابة الارض علي بن ابي طالب قال الذهبي وكان جابر الجعفي شيعيا
يرى الرجعة اي ان عليا يرجع الى الدنيا قال الامام ابو حنيفة ما لقيت احدا اكذب من جابر الجعفي
ولا افضل من عطاء بن ابي رباح وقال الشافعي اخبرني سفيان بن عيينة قال كنا في منزل جابر الجعفي
فتكلم بشيء فنزلنا خوفا ان يقع علينا السقف ومع ذلك روى له ابو داود والترمذي وابن ماجه
ومات سنة ست وستين ومائة عفى الله عنه وقال ابن الاثير في جامع الاصول جابر بن يزيد
الجعفي ويقال ابو محمد من اهل الكوفة مشهور وكان من اصحاب عبد الله بن سبا وكان يقول ان عليا
يرجع الى الدنيا وذكر ما قاله ابو حنيفة رضي الله عنه فيه قال ومات سنة ثمان وعشرين ومائة وقال
الحافظ المنذري في اخر كتاب الترغيب والترهيب جابر بن يزيد الجعفي الكوفي في عالم الشيعة ترك
يحيى القطان حديثه وقال النسائي وغيره متروك ووثقه شعبة وسفيان الثوري وقال وكيع ما
شككتم في شيء فلا تشكوا ان جابرا الجعفي ثقة والله اعلم قال العلماء رحمهم الله تعالى كما في الاحاديث
ان مع الدابة عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام وتنادي باعلا صوتها ان الناس كانوا بآياتنا
لا يوقنون وتسم الناس المؤمن والكافر فاما المؤمن فيرى وجهه كانه كوكب دري ويكتب بين
عينيه مؤمن واما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر فلا يبقى مؤمن
الا انكتت في مسجده بعصى موسى نكتة بيضاء فتغشى تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا
يبقى كافر الا انكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتغشى تلك النكتة حتى يسود لها وجهه
وفي رواية فتلقى المؤمن فتسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه وتسم الكافر نكتة يسود
لها وجهه وفي اخرى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان
ليجتمعون فيقولون لهذا يا مؤمن ولهذا يا كافر ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة فتأتيه
من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس
في الاموال ويصطحبون في الامصار يعرف المؤمن من الكافر وبالعكس حتى ان المؤمن ليقول للكافر يا كافر
اقض حقي والكافر يقول للمؤمن يا مؤمن اقض حقي وتستقبل المشرق فتصرخ صرخة تسمع ما
بين المغرب واليمن كذلك واخرج نعيم بن حماد في الفتن والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال لا يلبثون يعني الناس بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها وجفت الاقلام
وطويت الصحف ولا يقبل احد توبة ولا يخرج ابليس ساجدا ينادي الى ربي فيم اسجد لما شئت
ويجتمع اليه الشياطين تقول يا سيدنا الى من نفر فيقول انما سألت ربي ان ينظرني الى يوم البعث
فانظر في اليوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم وتصير

الشياطين ظاهرة في الارض حتى يقول الرجل هذا قريني الذي كان يعويني فالحديث الذي اخرناه ومات ابليس
ساجدا باكيا حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد قال العلماء في سؤال ابليس انه ينظر الى يوم البعث
مكرا منه وخداع وجهل برب العالمين فانه اخطأ ان لا يذوق الموت لانه يوم البعث ليس بيوم موت
وانما هو يوم بعث ونشور واحياء وبعثرة لما في القبور فاذا كان الامر كذلك فكيف تقضي اذ ذاك
ابليس او غيره وانما ذلك يوم الجزاء فاجابه العليم الحكيم بانه منظر الى يوم الوقت المعلوم وهذا اصح
من قول كعب لما اخبر بانه ابليس انما يذوق الموت يوم الحشر كما ذكره الكسائي في العرائس وبالله التوفيق
فائدة روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان الدابة هي الجساسة المذكورة في قصة تميم
الداري رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها الثعبان الذي كان في بئر الكعبة فاختطفته
العقاب حين ارادت قريش بناء البيت الحرام وان الطائر حين اختطفها القاها بالجودي وفي
التمهيد لابن عبد البر عن عمرو بن دينار انه رمى بها في اجياد فالتقمتها الارض وهي الدابة التي تخرج
تكلم الناس وتخرج عند الصفا وفي حياة الحيوان جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
انها اي الجساسة دابة الارض المذكورة في القرآن قال وهي بجزيرة ببحر الفلزم والله اعلم

العلامة العاشرة خروج النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم وايها
اشار بقوله وآخر الآيات العظام والعلامات الجسام حشر النار للناس من المشرق الى المغرب
ومن اليمن الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو ارض الشام كما اتى ذلك مصرحا به في محكم الاخبار
وصحيح الآثار كما ستقف على جملة من ذلك فان قلت في اي آخر الآيات مصادمة الحديث
الصحيح والخبر الثابت الصريح عن سيد البشر وخلاصة العالم واصدق من اخبر وصفوة
بني آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اخرج الامام احمد في مسنده والبخاري في صحيحه والنسائي
في سننه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة
فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب الحديث قلت تقدم في حديث حذيفة بن اسيد الغفاري
ان صلى الله عليه وسلم قال لها تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة
وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث
خسوفات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب قال وآخر ذلك نار
تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وفي لفظ الى الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات فعدها
وفي آخرها نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس قال شعبة واحسبه قال تنزل معهم اذا نزلوا و
تقيل معهم حيث قالوا رواه مسلم في صحيحه بعدة طرق ورواه الامام احمد واصحاب السنن الاربعة

وقد

وقد جمع بعض العلماء بينهما بانه اخر آية خروج النار باعتبار ما ذكر معها من الآيات واوليتها باعتبار
اول الآيات التي لا شيء بعدها من امور الدنيا اصلا يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها
فانه يبقى بعد كل آية منها اشياء من امور الدنيا ذكره الحافظ السخاوي وذكر غيره من العلماء بانه النار نارا
احداهما تحشر الناس من المشرق الى المغرب والثانية تخرج من اليمن فتطرد الناس الى المحشر الذي هو ارض
الشام فلعل احدى النارين هي اول الآيات والاخرى في آخرها وحينئذ فلا حاجة الى الجمع الذي ذكره
السخاوي وان لم يكن في علم الله الا نار واحدة فجمع السخاوي موجه وعليه فالجمع بين حديثي نار تخرج
قبل يوم القيمة من حضرموت فتسوق الناس وفي لفظ تخرج من قعر عدن ترحل الناس الى المحشر وحديث
نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب فيقال ان الشام الذي هو المحشر مغرب بالنسبة الى المشرق
فيكون ابتداء خروجها قعر عدن من اليمن فاذا خرجت انتشرت الى المشرق فتحشر اهله الى المغرب الذي هو
الشام وهو المحشر ولفظة ابين بوزن احمر اسم الملك الذي بناها وفي نهاية ابن الاثير عدن ابين مدينة
معروفة باليمن اضيفت الى ابين بوزن ابيض وهو رجل من حمير عدن بها اي اقام انتهى وفي القاموس
عدن ابين محركة جوفاء بوزن باليمن اقام بها وعدن لاعة قرية بقرب واخرج الامام احمد عن
ابن عمر رضي الله عنهما ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزموا مهاجر ابراهيم عليه السلام ويبقى
في الارض اشرارا هلها تلفظهم ارضوهم وتقذرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير
تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا وتاكل من تخلف رواه ابو داود والحاكم وابو نعيم وقوله
تقذرهم نفس الله هو من المتشابه والله يأتيه به واجب كما اخبر لا كما يتوهمه البشر واخرج الامام
احمد ايضا والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر ايضا رضي الله عنهما مرفوعا تخرج نار
من حضرموت او من بحضرموت قبل يوم القيمة تحشر الناس قالوا يا رسول الله فما تامرنا قال عليكم
بالشام يعني وهو المراد بمهاجر ابراهيم واخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه مرفوعا لتقصدن نار هي اليوم خامدة في وادي يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب
اليم تاكل الانفس والاموال تدوم الدنيا كلها ثمانية ايام تطير طير الزمج والسحاب حولها بالليل
اشد من حرها بالنهار ولها بين السماء والارض دوي كدوي الرعد القاصف يهدم رؤس الجبال قيل
فما العرش قيل يا رسول الله اسلمية يومئذ على المؤمنين والمؤمنات قال وابن المؤمنة والمؤمنات
يومئذ شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه واخرج البغوي و
البارودي وابن قانع وابن حبان بسند صحيح ان نارا تخرج من حبس سبل تسير سير بطيئة الاول فالاول
بالنهار وتقيم بالليل تغدو اول مرة يقال غدت النار فيها الناس فاغدوا قالت ايها الناس فقيلوا

راحت ايها الناس فروحوا ما ادركتم اكلته فاذا قيل ما وجه الجمع بين كونها تخرج من قعر عدن وتسوق الناس وبين حبس سيل فالجواب انها تخرج اولا من برهوت ويقال له وادي النار وهو في قعر عدن وعدن على ساحل البحر فالعبارات مآلها واحد وتمر بحبس سيل ايضا والخطاب لاهل المدينة وحبس سيل قريب من المدينة فوصول النار اليه يكون قبل وصولها الى المدينة فصح ان يقال لهم تخرج نار من حبس سيل فان قيل ما وجه الجمع بين كونها تطير طير الريح والسحاب وتدور الدنيا كلها في ثمانية ايام وبين كونها تسير سير بطيئة الابل فالجواب انها حالات فتارة هكذا وتارة هكذا وانما ثبت تعدد النار لان الاصل الاستشكال والله اعلم تتمة ثبت بالسنة الصحيحة ان اهل الارض يكفرون ويعبدون الاوثان وانه لا تقوم الساعة الا على شرار الناس فقد اخرج الامام احمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء بعد موت عيسى ريح باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض احد في قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته حتى لو ان احدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير واحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول الا تستجيبون فيقولون ما تامرنا فيامرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فان قلت ليس قد ذكرت ان الدابة تقتل ابليس فالجواب انه ليس في الحديث ان الذي يظهر لهم ابليس بل يجوز ان يكون شيطانا آخر غير ابليس من ذريته واخرج الامام احمد ومسلم ايضا والترمذي من حديث النواس بن سمعان فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها رجوان الحمر فعليهم تقوم الساعة وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا عند الحاكم انه الله يبعث ريحا من اليمن الين من الحرير فلا تدع احدا في قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته وقد جاءت رواية بان الريح تاتي من قبل الشام وهنا انها من قبل اليمن والجواب انهما ريحان شامية ويمانية واخرج الامام احمد بسند قوي عن انس رضي الله عنه مرفوعا لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض لا اله الا الله ورواه مسلم بلفظ حتى لا يقال في الارض الله الله فان قيل كيف هذا مع ما صح عنه من قوله لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق الى يوم القيمة حتى ياتي امر الله فالجواب هذا غير مصادم للحديث لان معناه انهم لا يزالون على الحق حتى تاتيهم هذه الريح اللينة قرب القيمة وعند تظاهر اشراطها فاطلق فيه بقاؤهم ارادة قيام الساعة مريدا اشراطها ودنوها المتناهي في القرب ومثله قول بعضهم امر الله هو هبوب هذه الريح الآتي بعد وقوع الآيات العظام التي تعقبها قيام الساعة ولا تتخلف عنها

تلك صح

الاشياء يسيرا وليس فيهم يعني من يبقى بعد هبوب الريح من هو عليهم تقوم الساعة وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك الريح كما في القناعة للحافظ السخاوي وفي المستدرك بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى وبعث الله ريحا طيبة فتتوفى من كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير فيبقى من لا خير فيه فيرجعون على دين آبائهم وفي مرفوع ابن عمر رضي الله عنهما لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحا لا تدع احدا في قلبه مثقال ذرة خيرا الا قبضته ويلحق كل قوم بما كانوا يعبدون آباؤهم في الجاهلية ويبقى عجاج من الناس لا يامرون بمعروف ولا ينهون عن منكر يتناكحون في الطرق فاذا كان ذلك اشتد غضب الله على اهل الارض فاقام الساعة وفي مستدرك الحاكم من مرفوع ابي هريرة وحتى تؤخذ المرأة جمارا تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك احد وفي لفظ حتى ينكح احدكم امه فيكون امثلهم يومئذ الذي يقول لو نحيتما عن الطريق قليلا فذكرتما فيهم مثل ابي بكر وعمر فينكرون قال القرطبي يذكرونه عند بعض العلماء اذا اراد الله انقراض الدنيا وتمام ليالها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم وتقيل حتى يجمع الخلق بالمحشر الانس والجن والدواب والوحوش والسباع والطير والهوام وخشاش الارض وكل ذي روح ثم ذكر النفخة فكلها اي اشراط الساعة المذكورة وعلاماتها المسطورة صحت بها الاخبار عن النبي المختار وآله واصحابه الابرار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار وكلها سطرت اي كتبت واصل السطر الصف من الشيء والكتابة والشجر وغيره والجمع اسطر وسطور واسطار وجمع الجمع اساطير ويطلق السطر ايضا على الخط والكتابة ويحرك في الكل كما في القاموس آثارها مفعول سطرت اي الآثار الدالة عليها والمتضمنة لاثباتها ومجيئها او وقائها وعلاماتها المشيرة الى اقترابها الاخيار فاعل سطرت وانما انث الفعل لان الجمع مؤنث في المعنى اذ معناه الجماعة وهو جمع خير وخيرة كالميس والمؤنثة خيرة ويجمع خير ايضا على خيار من غير الف قبل الخاء المعجمة وقيل انه المخففة مخصصه بما في الجمال والميسم والمشددة في الدين والصلاح والخير ضد الشر والاخيار ضد الاشرار والمراد بهم هنا علماء الامة من الملتحقين بالصحابة والتابعين وائمة السلف ومقلدهم وقد روى ابو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابي هريرة رضي الله عنه والقضاعي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال خيار امتي علماؤها وخيار علمائها رحماؤها الا وان الله تعالى يغفر للعالم اربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا الا وان العالم الرحيم يجيء يوم القيمة والانوار قد اضاءت له ما بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدري واسناده ضعيف وقد مر انا كلما لم

فكلها اصحت بها الاخيار وسطرت آثارها الاخيار

لفوائده وكل حديث لنا قله غالبا ليخرج من بعثته وليعلم من انعم النظر وامعن الفكر فيما حررته
انه زبدة ما محضه المتقدمون وثمرة ما غرسه المحررون وبالله التوفيق **تنبيهات الاول**
ذكر القرطبي في تذكرته ان الحشر اربع حشران في الدنيا وحشران في الاخرة فالذان في الدنيا المذكور
في سورة الحشر وهو حشر اليهود الى الشام قال لهذا النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين
قال الى ارض المحشر ثم اجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جزيرة العرب والحشر الثاني
المذكور في اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب كما في حديث انس وعبد الله بن سلام
وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهم عند الحاكم مرفوعا تبعث على اهل المشرق نار فتحشرهم الى المغرب
تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتكون لها ما سقط منهم وتخلف وتسوقهم سوقا
الجمل قال الحافظ ابن حجر وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق الى المغرب لانها
ابتدا خروجها من عدن فاذا خرجت انتشرت في الارض كلها والمراد تعميم الحشر لاخصوص المشرق
والمغرب او الفها بعد الانتشار اول امرها تحشر اهل المشرق قال القرطبي واما اللذان في الاخرة
فحشر الاموات من قبورهم بعد البعث جميعا قال تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وحشرهم
الى الجنة والنار قال الحافظ ابن حجر عد الاول المذكور في سورة الحشر ليس بحشر مستقلا
لانه انما وقع لفرقة مستقلة مخصوصة وهذا وقع كثيرا كما وقع لبني امية حين اخرجهم
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما من المدينة الى جهة الشام والجواب عن ذلك بانه المراد ما سمي حشرا
على لسان الشارع وقد سمى الله ذلك حشرا **الثاني** اختلف العلماء في حشر النار من المشرق الى
المغرب هل هو يوم القيامة او قبله فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض انه هذا الحشر
يكون قبل يوم القيامة واما الحشر من القبور فهو على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا كما في
الصحيحين وغيرهما انكم تحشرون حفاة عراة غرلا وقال الحكيم الترمذي وابو حامد الغزالي
هو يوم القيامة ويدل له حديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما مرفوعا يحشر الناس على
ثلاث طرائق راغبين راهبين اثنان على بعير وثلاثة وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار
تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا
قال الحافظ ابن حجر هذا القول انه هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة قال الحافظ ابن حجر
ويؤيده حديث ابي ذر عند الامام احمد والنسائي والبيهقي حدثني الصادق المصدوق ان
الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة افواج فوج يحشر وباطاعمين كاسين راكبين وفوج
تسحبهم الملائكة الحديث وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما يأتي حديث ابي ذر والجمع ان الحشر

يعبر به

يعبر به عن النشر ايضا لاتصاله به وهو اي النشر اخراج الناس من قبورهم كما يأتي فيخرجون حفاة عراة
يساقون ويحبسون الى الموقف للحساب ثم يحشر المتقون ركبانا على الابل والمجرمون على وجوههم
وقال بعضهم يخرجون من القبور على ما في حديث ابي هريرة وان الحشر اذا اطلق يراد به شرعا الحشر
من القبور ما لم يخصه دليل وايضا التقسيم المذكور في الخبر لا يستقيم في الحشر الذي في ارض الشام لان
المهاجر لا بد ان يكون راغبا او راهبا او جامعا بين الصفتين وايضا حشر بقية الناس والجاءة
النار لهم الى تلك الجهة وملازمتها حتى لا تفارقهم قول لم يرد به التوقيف وليس لنا ان نحكم
بتسليط النار في الدنيا على اهل الشقوة من غير توقيف وايضا الحديث يفسر بعضه بعضا وقد وقع
الحديث في طريق لابي هريرة بلفظ ثلثا على الدواب وثلثا يسلون على اقدامهم وثلثا على وجوههم
قال ونرى هذا التقسيم نظير التقسيم الذي في سورة الواقعة وكنتم ازواجا ثلاثة فقوله
في الحديث راغبين راهبين يريد عموم المؤمنين المخلطين عملا صالحا واخر سيئا وهم اصحاب الميمنة
وقوله اثنان على بعير الخ يريد السابقين وهم افاضل المؤمنين ركبانا وقوله وتحشر بقيتهم
النار يريد اصحاب المشئمة ويحتمل ان البعير يحمل العشرة دفعة واحدة لان ذلك يكون من بديع
قدرة الله تعالى فيقوى على ما يقوى عليه عشرة البعير ثم من بعد الدنيا ويحتمل ان يتعاقبوه انتهى ملخصا
وانتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي بان حديث ابي هريرة تقيل معهم وتبيت معهم وتصبح
وتمسي يريد ان الحشر في الدنيا الى الشام لان هذه الاوصاف مختصة بالدنيا وقوله اثنان على بعير
الى عشرة يريد انهم يتعاقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشي بعض وذلك لقلة الظهر كما في بعض
الاحاديث انتهى ملخصا ورجح هذا الطيبي وتعقب ذلك البعض واجاب عما استدل به بما
يطول ثم قال الطيبي بعد ما انتصر للخطابي والقرطبي وزيف كلام ذلك البعض بما حاصله
ثم رايت في صحيح البخاري في باب الحشر يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق فعلمت من ذلك
ان الذي ذهب اليه الثوري ومن تبعه من ان ذلك في الاخرة هو الحق الذي لا محيد عنه انتهى قال الحافظ
ابن حجر في فتح الباري بعد نقله ما تقدم عن الطيبي قلت لم اقف في شيء من طرق الحديث الذي اخرجه
البخاري على لفظ يوم القيامة في صحيح ولا في غيره وكذا هو عند مسلم والاسماعيلي وغيرهما ليس فيه
يوم القيامة ثم اختار هو انه يتعين كونه ذلك في الدنيا لما وقع في هذا الظهر يقل لما يلقى عليه من
الآفة وان الرجل يشتري الشارف الواحد بالحديقة العجيبة فان ذلك ظاهر جدا في انه من احوال
الدنيا قال في الاشاعة فثبت ان الحق ان النار قبل يوم القيامة قلت وهو كما قال وبالله التوفيق

فصل في امر المعاد اعلم ان المعاد الجسماني حق واقع وصدق صادع دل عليه

النقل الصحيح ولم ينفعه العقل فوجب الايمان به والتصديق بوجوبه لانه جاء به السماع الصحيح
المنقول ودل عليه عند الجمهور صريح المعقول وهو ان يبعث الله تعالى الموتى من القبور بان يجمع
اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها لقوله تعالى يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل
خلق عليم الى غير ذلك من النصوص القرآنية القطعية والاحاديث الساطعة النبوية وقد انكرته
الطبايعيون والدهرية والملحدة وفيه تكذيب للنقل الصريح والعقل الصحيح على ما قرره
المحققون من اهل الملة وانكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع اعادة المعدوم
بعينه ووافق المعتزلة اهل الحق على المعاد الجسماني بناء منهم على ان المعدوم عندهم شئ فلهم
يقولوا بامكانه لان المعدوم قبل الوجود عندهم قابل للوجود فكذلك اذا انعدم بعد الوجود
وعند اهل السنة المعدوم نفي محض وهم مع ذلك قائلون بجواز اعادته وللمتكلمين في جواز اعادة
الاعراض قولان الجواز اعادتها وهو الحق لانه تعالى على كل شئ قدير والثاني قول الفلاسفة ومن وافقهم
من المعتزلة كابي الحسين البصري والخوارزمي والكرامية واجزم جزم ايقان واذعان واعتقاد وعرفان
بامر البعث بعد الموت والنشور من القبور والحشر لاجل الجزاء وفصل القضاء جزما مصدر مؤكد لقوله
واجزم وذلك كله واقع بعد نفخ الصور المراد نفخة البعث وحاصل ما ذكر في هذا البيت اربعة اشياء
البعث والنشور والحشر والنفخ في الصور اما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فانه المتبادر عند الاطلاق
اذ هو الذي يجب اعتقاده ويكفر منكره قال المحقق الامام ابن القيم في كتاب الروح كشيخه وغيرهما معاد
الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى وقال الجلال الدواني هو باجماع اهل الملل
وبشهادة نصوص القرآن بحيث لا يقبل التاويل كقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا
هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم وقد اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن حاتم والاسماعيلي
في معجمه والحافظ الضياء في المختارة وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال جاء العاص بن وايل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حايل ففته بيده فقال يا محمد يحيي الله هذا
بعد ما ارم قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الايات من اخر يس
اولم ير الانسان الى اخر السورة وهذا نص صريح في الحشر الجسماني يقلع عرق التاويل بالكلية
ولهذا قال الامام الرازي الانصاف انه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبين
نفي الحشر الجسماني فانه قد ورد في عدة مواضع من القرآن المجيد التصريح به بحيث لا يقبل التاويل
اصلا انتهى وكذا لا يمكن الجمع بين القول بقدم العالم على ما يقوله الفلاسفة وبين الحشر الجسماني

واجزم بامر البعث والنشور والحشر من ما بعد نفخ الصور

لان النفوس

الابعاد

لان النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية فتستدعي جميعا ابدانا غير متناهية وقد ثبت
تناهي الابدان بالبرهان قواطع فهم والله تعالى اعلم وتم في الحديث نفخ قوله صلى الله عليه وسلم ثم يبعث الله
هذا ثم يميتك للترتيب الاخباري لا للترتيب الحكمي كقولهم بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت
امس عجب اي ثم اخبرك ان ما صنعته امس عجب واما النشور فهو بمرادف البعث في المعنى يقال
نشر الميت ينشر نشورا اذا عاش بعد الموت وانشره الله اي احياه ومنه قولهم يوم البعث والنشور
واما الحشر فهو في اللغة الجمع تقول حشرت الناس اذا جمعتهم والمراد به جمع اجزاء الانسان بعد التفرقة
ثم احياء الابدان بعد موتها واعلم انه يجب الجزم شرعا ان الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد
ايجادهم بجميع اجزائهم الاصلية وهي التي نشاها البقاء اول العمر الى اخره ويسوقهم الى محشرهم لفصل
القضاء فان هذا حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع سلف الامة مع كونه من الممكنات التي اخبر
بها الشارع وكل ما هو كذلك فهو ثابت والاخبار عنه مطابق والاصل فيما الادليل على وجوبه
ولا على امتناعه الامكان كما يقوله الحكما والمتكلمون اما ان كلما وقع سمعا كان من الغرايب قدرة في
حيز الامكان ما لم يرد عنه قايم البرهان فمن زعم عدم اعادة المعدوم الزم بالمثل فان
المعاد مثل المبدا بل هو عينه اواسر كما لا يخفى وتقدم ان الانبيا اتى بما تدركه العقول
او تحير فيه ولا اتى بما تحيله العقول البداهتي كما حازت العقول لا بمحالات العقول وامكان
المعاد لانه اما ايجاد ما لا نعدم او جمع ما تفرق او حي بعد ما اميت وهذه كلها ممكنة لا احالة
في شئ منها ذكل اصلا مع ما تواتر من اخبار الانبيا والكتب السماوية ولا سيما في القرآن العظيم
والذكر الحكيم ما لا مزيد عليه مثل واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى قل بلى
وربي لتبعثن ثم انكم يوم القيمة تبعثون فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي
بنانه يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير كما بدانا اول
خلق نعيده وعدا علينا اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى
ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون والايات في ذلك كثيرة جدا واما الاحاديث
فكثيرة جدا ففي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول انكم ملاقو الله حفاة عراة غرلا زاد في رواية مشاة وفي
رواية فيها قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون
الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الحديث الغرل بضم الغين

المعجمة واسكان الراجع اغزل وهو الاقلف ومثله في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت
فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك وروى نحوه من
حديث ام سلمة اخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح وفيه فقالت ام سلمة رضي الله عنها فقلت يا
رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس قلت ما شغلهم قال نشر الصحائف
فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وروى من حديث ام المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها
ايضا ولفظه يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان قالت فقلت
يبصر بعضنا بعضا فقال شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شانه يغنيه رواه الطبراني ورواته
ثقات **تنبيهات الاول** اختلف الناس هل البعث اعادة بعد تفريق او ايجاد معدوم
قال عكرمة رحمه الله تعالى ان الذين يغرقون في البحر وتقتسم لحومهم الحيتان ولا يبقى منهم شيء الا العظام
تتفلقها الامواج الى الساحل فتمكث حينا ثم تصير نخرة ثم ترمي بها الابل فتاكلها ثم تسير الابل فتبعر
ثم يجيء قوم فينزلون فياخذون ذلك البعر فيوقدون به ثم تحمد تلك النار فتجيء الريح فتلقي ذلك
الرماد على الارض فاذا اجاء وقت النفخة فاذا هم قيام ينظرون يخرج اولئك واهل القبور سواء قال
العلامة الشيخ مرعي رحمه الله قال العلماء الله تعالى يجمع ما تفرق من اجساد الناس من بطون
السباع وحيوانات الماء وبطن الارض وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما البلته
السموم وذرته الرياح فاذا جمعها واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور
فارسلها بنفخة ثم تقب الصور فترجع كل روح الى جسدها فاذا هم قيام ينظرون والحاصل ان
اعادة الاجسام حق يجب الايمان به ثم هذه الاعادة هل هي للمعدم المحض او التفريق المحض
والمشهور انه جمع متفرق والاصح انه ايجاد بعد عدم ونص عليه علماء السنة وكذا المعتزلة
وهو مذهب المحققين وبالله التوفيق **الثاني** اختلف في اعادة الاعراض التي كانت قائمة بالاجسام
في الدنيا فمذهب الاكثرين انها تعاد باشخاصها التي كانت قائمة بالجسم حال الحياة واليه ميل
ابي الحسن الاشعري من غير فرق فيها بين الاعراض التي يطول بقاء نوعها كالبياض وبين غيرها
كالاصوات وسواء كانت مقدور للعبد كالضرب اولا كالعلم والجهل لان نسبتها الى قدرته تعالى
كنسبة الاعيان وقد قام الدليل على اعادتها فكذا اعراضها وما قيل يلزم عليه قيام العرض بعينه
الاعادة بالعرض المعاد وهو محال فباطل لامكان تعلق الممكن بالاعادة بالاعيان اولا وبالذات
وبالاعراض ثانيا وبالعرض هذا كله انما لو قلنا باستحالة قيام العرض بالعرض فليكن فيه نحن
نمنع ذلك وقد شاهدنا قيام العرض بالعرض المحسوس وغيره كسيلان حائك وحركة بطيئة واحمرار

وغير ذلك

وغير ذلك وقيل تمتنع اعادة الاعراض مطلقا كما ذهب اليه بعض الاشاعرة وذهب اكثر المعتزلة الى
امتناع اعادة الاعراض التي لا تبقى كالاصوات والارادات لاختصاصها عندهم بالاوقات وقسموا
الباقية الى ما يكون مقدورا للعبد فمنعوا اعادتها والى ما لا يكون مقدورا للعبد فجوزوا اعادتها
وقد قال ابن العربي في سراج المريدين والقرطبي في تذكرته الذي عند اهل السنة ان تلك الاجساد
الدنيوية تعاد باعيانها واعراضها بلا خلاف بينهم مع ان الخلاف منقول عند متكلمي الاشعرية
كالسعد والبيضاوي وغيرهما قلت وقد نقل الاجماع غير واحد من العلماء آخرهم الشيخ مرعي
وغيره عن اهل السنة ان الاجساد الدنيوية تعاد باعيانها واعراضها والله اعلم **الثالث** النفخ
في الصور فالمراد به نفخة البعث والنشور واعلم ان النفخ في الصور ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع
وهي التي يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه وهي المشار اليها في قوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة
واحدة ما لها من فواق اي من رجوع ومرد وقوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله فسر الزمخشري في كشافه المستثنى في هذه الاية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة
وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وصيحة كل واحد من الملوك وقيل غير ذلك وانما يحصل الفزع لشدة
ما يقع من هول تلك النفخة فقد اخرج ابن جرير في تفسيره والطبراني في المطولات وابو يعلى في
مسنده والبيهقي في البعث وابو موسى المديني في المطولات وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان
وعبد بن حميد وابو الشيخ في كتاب العظمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا
ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت يا رسول الله وما الصور قال القرن قلت فما هو قال عظيم
ان عظم دارة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية
نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيامر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ
نفخة الفزع فينفخ فيفزع اهل السموات والارض الا من شاء الله فيامره فيمدها ويطيلها ولا يفتر
وهي التي يقول الله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتمر مر
السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الامواج
وكالقنديل المعلق بالعرش ترجف الارض والجبال ورجفها ارتجاجها واضطرابها وهي التي يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
فتميل الارض بالناس على ظهرها فذاهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير
الشياطين هاربة من الفزع حتى تاتي الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع
ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين

مالكم من اله غيره فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض فانصدعت من قطر الى قطر فرأوا امرا عظيما
ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاموات يومئذ لا يعلمون بشيء مما ذكر قلت يا رسول الله من استثنى الله تعالى في قوله
الا من شاء الله قال اولئك الشهداء وانما يتصل الفزع الى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم
الله فزع ذلك اليوم وامنهم منه وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه يقول الله يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع
كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فيملكون في
ذلك ما شاء الله الحديث وفي البغوي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قالت ايات قبل يوم القيمة
بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ
وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والمانس الى الجن واختلطت
الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله واذا الوحوش حشرت اختلطت
واذا العشار عطلت اهملت واذا البحار سجرت قال ابن عباس رضي الله عنهما اوقدت فصارت
نارا تضرم قال ابي قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تاجج فبينما هم
كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى وانشقت السماء اشقاقة
واحدة الى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم **النفخة الثانية**
نفخة الصعق وفيها هلاك كل شيء قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله وقد فسر الصعق بالموت وفي الحديث المتقدم الذي رواه ابن جرير وغيره
عطف عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يأمر الله اسرافيل
فينفخ نفخة الصعق فيصعق اهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول ملك الموت قد
مات اهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول الله وهو اعلم من بقي فيقول اي رب بقيت
انت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت انا فيقول
الله لتمت جبريل وميكائيل فيموتا ثم يأتي ملك الموت الجبار فيقول رب قد مات جبريل
وميكائيل فيقول الله لتمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله العرش ان يقبض الصور من اسرافيل
ثم ليقل لبيت اسرافيل فيموت ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش فيقول
وهو اعلم من بقي فيقول بقيت انت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت انا فيقول انت خلوق من خلقي
خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار طوى السماء والارض كطي السجل

للكتب

للكتب وقال انا الجبار لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلم يجبه احد ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار وتبدل
الارض غير الارض والسموات فيبسطها ويسطحها ومدها مد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا امتا
الحديث واخرج ابو الشيخ عن وهب قال هؤلاء الاربعة املاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت
اول ما خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم واول من يحييهم هم المدبرات امرا والمقسمات امرا
قال ابو عبد الله القرطبي والصور قرن من نور يجعل فيه ارواح الخلائق وقال مجاهد كالبوق
ذكره البخاري واخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه قال الترمذي حديث حسن واخرج الترمذي ايضا
وحسنه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف انعم وصاحب الصور
قد التقم القرن واستمع الاذن متى يؤمر بالنفخ فكأن ذلك ثقل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل واخرج الامام عبد الله بن المبارك ومؤمل بن اسمعيل
وعلي بن معبد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديثا مرفوعا فيه ثم يقوم ملك الصور بين السماء
والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى خلق في السموات والارض الا مات الا ما شاء ربك الحديث
واخرج الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي السماء
بيمينه ثم يقول انا الملك اين الملوك واخرج مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطوي الله السموات ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين
بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وسيأتي انه مما لم يخلق للفانين من الجنة
وما فيها من الحور العين والولدان وكذا النار وما فيها من الحيات والعقارب والخزان والله اعلم
النفخة الثالثة نفخة البعث والنشور وقد جاء في الكتاب العزيز ايات تدل عليها واخبار تشير
اليها كقوله تعالى ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وقوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون فاذا انفرج الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير قال الكلبي و
غيره هي نفخة البعث والناقور فاعول من النقر وقوله تعالى واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب
يوم يسمعون الصيحة بالحق الاية قال المفسرون المنادي هو اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور
وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله
يأمرك ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل ينفخ اسرافيل وينادي جبريل والمكان القريب صخرة بيت
المقدس قال جماعة من المفسرين وبين النفختين اربعون عاما قال بعض العلماء اتفقت الروايات
على ذلك وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بين النفختين اربعون قالوا يا ابا هريرة

اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون عاما قال ابيت الحديث وقول
ابي هريرة رضي الله عنه ابيت فيه ثلاث تاويلات اولها امتنعت من بيانه ذكر وقيل ابيت اسئل
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذكره وقيل نسيت وقيل ان سر ذكره لانه لا يعلمه الا الله تعالى لانه من اسرار
الربوبية وفي حديث ابن النفختين اربعين عاما وفي تفسير الثعلبي عن ابي هريرة رضي الله عنه
في تفسير سورة الزمر مرفوعا ان الله يرسل مطرا على الارض فينزل عليها اربعين يوما حتى يكون
فوق قدم اثنى عشر ذراعا فيامر الله تعالى الاجساد ان تنبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت اجسادهم
كما كانت قال الله تعالى ليحيي حملة العرش ليحيي جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يامر الله تعالى اسرافيل
فياخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الارواح فيؤتى بها تتوهج ارواح المؤمنين نورا والاخرى
ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور ثم يامره ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كلها كانها
النحل قد ملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لترجعن كل روح الى جسدها
فتدخل الارواح من المخايشم ثم تمشي مشي السم في اللديغ ثم تشقق الارض عنهم سراعا فاناا اول
من تنشق عنه الارض فتخرج جوا حتى الى ربكم تنسلون واخرج الشيخان من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قيل اربعون يوما قال
ابو هريرة ابيت قال اربعون شهرا قال ابيت قال اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء
فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب
الخلق يوم القيمة وفي رواية لمسلم ان في الانسان عظما لا تاكله الارض ابدا فيه يركب الخلق يوم القيمة
قالوا اي عظم هو يا رسول الله قال عجب الذنب ورواه الامام مالك وابو داود والنسائي باختصار
قال كل ابن آدم تاكله الارض الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب قال الحافظ المنذري كذا غيره عجب
الذنب بفتح العين المهملة واسكان الجيم بعدها باء موحدة او ميم هو العظم الحديد الذي يكون
في اسفل الصلب واصل الذنب من ذوات الاربع وقد روى الامام احمد وابن حبان في صحيحه
من حديث ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل التراب كل شيء من الانسان
الا عجب ذنبه قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه تنبتون وفي الثعلبي في تفسير سورة
الاعراف وتفسير ابن عطية عن ابي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم اذا مات الناس كلهم في
النفخة الاولى يعني نفخة الصعق امطر عليهم اربعين عاما كمني الرجال ماء تحت العرش يدعى
ماء الحيوان فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت اجسادهم
نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا

وهم يجدون

وهم يجدون طعم النوم في اعينهم كما يجد النائم اذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا واخرج مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انا سيد ولد آدم اول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وفي صحيح البخاري
انا اول من يرفع راسه بعد النفخة الاخرة فاذا موسى عليه السلام متعلق بالعرش فلا ادري
اكذلك كان ام بعد النفخة وفي بعض الفاظ البخاري فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش
فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور واخرج الحكيم الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعينه الى ابي بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيمة وفي
الصحيحين من حديث انس رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله قال الله تعالى الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الذي امشاه على
الرجلين في الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وروى
النسائي والترمذي وحسنه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يحشر المتكبرون يوم القيمة امثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون
الى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال
وروى البزار من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا يبعث الله يوم القيمة فاسقا في صور الذر يطؤهم
الناس باقدامهم فيقال ما هؤلاء في صور الذر فيقال هؤلاء المتكبرون وفي الدنيا وروى الامام
احمد في الزهد عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيمة رجال
في صورة الذر تطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضى بين الناس قال ثم يذهب بهم الى النار
الانيار قيل يا رسول الله وما نار الانيار قال عصارة اهل النار وروى عن ابي سعيد رضي الله عنه
انه لما حضرته الموت دعى بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الميت
يبعث في ثيابه التي يموت فيها رواه ابو داود وابن حبان في صحيحه وفي اسناده يحيى بن ايوب وهو
الغافقي المصري احتج به البخاري ومسلم وغيرهما وله مناكير قال ابو حاتم لا يحتج به وقال الامام
احمد سيء الحفظ وقال النسائي ليس بالقوي قال وقد قال كل من وقفت على كلامه من اهل اللغة
ان المراد في ثيابه التي قبض فيها اي في اعماله قال الهروي وهذا الحديث الآخر يبعث العبد على
ما مات عليه قال وليس قول من ذهب الى الاكفان بشيء لان الميت انما يكفن بعد الموت انتهى قال
الحافظ المنذري وفعل ابي سعيد راوي الحديث يدل على اجرائه على ظاهره وان الميت يبعث
في ثيابه التي قبض فيها وفي الصحاح وغيرها ان الناس يبعثون عراة وحمل كثير من العلماء

الحديث على الشهداء الذين امرائهم يدفنوا في ثيابهم التي قتلوا فيها وانه ابا سعيد سمع الحديث في الشهداء
فحمله على العموم قال البيهقي يجمع بانا بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه او يخرجون من قبورهم
بثيابهم التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر وقد روى محمد بن نصر المروزي باسناده
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يحشر الناس يوم القيمة على قدر صنيعهم في الصلاة وفسر بعضهم
بقبض شماله بيمينه والا فانا هكذا وباسناده عن ابي صالح السماك قال يبعث الناس يوم القيمة
هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى نقله الحافظ ابن رجب في كتابه الذل والانكسار والله اعلم
كذا اي كما يجب الجزم بالبعث والنشور والحشر بعد النفخ في الصور يجب الجزم جزما بانا بامر ووقوف
الخلق من الانس والجن والدواب والطير وغيرهم قال تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وقال
ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه وقال يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا اي زمرا زمرا قال
ابو هريرة رضي الله عنه انه الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان وقال ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى واذا الوحوش حشرت يحشر كل شيء حتى الذباب ليحز والحاصل انه الله تعالى يجمع في ذلك
اليوم الاولين والاخرين حتى ليدري الشخص اين يضع قدمه لشدة الزحام وفي تفسير مكي يحشر
الناس يوم القيمة على ارض قد مدها الله تعالى مد الاديم العكاظي فهم في ضيق مقامهم فيها
لضيق سهام اجتمعت في كنانتها فالسعيد يومئذ من يجد لقدمه مقاما قال واكثر الاقدام يومئذ
بعضها على بعض وقد ذكر ابو نعيم الحافظ باسناده عن وهب بن منبه قال اذا قامت الساعة
صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العضاة دما واعلم ان يوم الوقوف هو الاعظيمة
وشدايد جسيمة تذيب الاكباد وتذهل المراضع وتشيب المواليد وهو حق ثابت وردبه
الكتاب والسنة وانعقد عليه الاجماع وهو يوم القيمة وقد اختلف في تسمية ذلك اليوم بيوم
القيمة قيل لكون الناس يقومون من قبورهم قال تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا
وقيل لوجود امور الحشر والوقوف ونحو هما فيه وقيل لقيام الناس لرب العالمين قال تعالى يوم يقوم
احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه قال ابن عمر رضي الله عنهما كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما
مرفوعا يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه قال ابن عمر رضي الله عنهما
يقومون مائة سنة ويروى عن كعب يقومون ثلاثمائة سنة وروى ابو يعلى باسناد صحيح وابن حبان
في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين مقدار
نصف يوم من خمسين الف سنة فهو يدل على الموضع كذا في الشمس المغروب الى ان تغرب وروى
الامام احمد وابو يعلى وابن حبان في صحيحه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال يوما كان مقداره خمسين الف سنة فقيل ما اطول هذا اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة وروى ابن ابي الدنيا
والطبراني من طرق احدها صحيح والحاكم وقال صحيح الاسناد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جمع الله الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة
شاخصة ابصارهم ينتظرون فصل القضاء الحديث وعن ابي هريرة يقومون سبعين سنة
وقيل مقداره الف سنة رواه الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ولفظه
اما مقام الناس بين يدي رب العالمين فالف سنة لا يؤذن لهم فاخرج البيهقي عنه تمكثون الف عام
في الظلمة يوم القيمة لا يتكلمون وقيل انما سمي يوم القيمة لقيام الملائكة صفا والروح فيه صفا قال تعالى
يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال القرطبي للقيامة قيامات صغرى وكبرى فالصغرى
ما تقدم على كل انسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله على عمله والكبرى
هي التي تعم الناس وتاخذ اهذه واحدة والدليل انه كل مرة مات قامت قيامته قول النبي صلى الله
عليه وسلم لقوم من الاعراب سالوه عن الساعة فنظر الى احدث انسان منهم فقال ان يعش هذا
حتى يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم رواه مسلم وغيره وقال الشاعر

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي ... غداة اقل الحاملون جنازتي
وعجل اهلي حفر قبري وصيروا ... خروجي وتعجيلي اليه كرامتي

لطيفة سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن يوم القيامة اهو من الدنيا ام من الاخرة قال صدر ذلك
اليوم من الدنيا واخره من الاخرة وقد اخرج الامام احمد عن محمد بن ابي عمرة وكان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
والطبراني عن عتبة بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا لو ان رجلا يجر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما
في مرضاة الله لحقره يوم القيامة واخرج بن المبارك عن كعب قال لو ان رجلا كان له مثل عمل سبعين
نبيا الحشي ان لا ينجو من ذلك اليوم واخرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يعرق الناس
يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ اذانهم وفي بعض الفاظ الصحيح
سبعين باعا واخرج مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان
يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل او ميلين قال فتصهرهم الشمس فيكونون
في العرق كقدر اعمالهم منهم من ياخذه الى عقبيه ومنهم من ياخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما
وفي رواية له تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم بن عامر ما ادري ما
يعني بالميل مسافة الارض او الميل الذي يكحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق

فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما
واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فيه واخرج الامام احمد والطبراني وابن حبان في صحيحه
والحاكم وصححه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا ونحوه وزاد بعد قوله ومنهم من يلجم
وسط فيه واشار بيده الجمها فاه وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا ومنهم من يغطيه
عرقه وضرب بيده واشار ومر يده فوق راسه من غير ان يصيب الراس دور راحته عينا وشمالا
وقال ابن مسعود رضي الله عنه الارض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها كلوعيها واكوابها
والذي نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى يسيخ في الارض قامة ثم يرتفع حتى يبلغ
انفه وما مسه الحساب قالوا ممن ذاك يا ابا عبد الرحمن قال مما يرى الناس رواه الطبراني باسناد
جيد قوي وروى الطبراني ايضا باسناد جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا ان الرجل ليلجمه العرق
يوم القيمة فيقول يارب ارحني ولو الى النار ورواه ابو يعلى وابن حبان بلفظ ان الكافر ليلجمه العرق
الحديث واخرج الحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه مرفوعا ان العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول
يارب اسلكني الى النار اهون علي مما اجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب **فائدة** قال الحفاظ
قد صح ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فيكون فوت قد سلموا من تلك الاهوال
ومن لوازم ذلك النكال والوبال ففي مسند الامام احمد عن اسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء الا ان اصحاب الجد محبوسون الا ان اهل النار قد امر بهم الى النار الحديث متفق عليه وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء الى الجنة
باربعين خريفا وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل فقراء المؤمنين
الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وحاصل ذلك ان الخلق يقفون المقدار الذي مر ويدنو الشمس
من رؤس الخلايق مقدار ميل ويصيبهم من العرق من شدة الهول وعظم حر الشمس يومئذ امر عظيم
قال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيامة لاحرقت الارض واذابت
الجوامد ونشفت المياه وهذا الوقوف مع ما مر للحساب الثابت بالسنة والكتاب واجماع
اهل الحق بلا ارتياب قال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال في حق اعدائه
اولئك لهم سوء الحساب قالوا يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره قال الثعلبي الحساب تعريف الله عز وجل الخلايق مقادير الجزاء على اعمالهم وتذكيرهم اياها

ما قد نسوه

ما قد نسوه ومن ذلك يدل على هذا قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
وقال بعضهم معنى كونه محاسبا لخلقه انه تعالى يعلمهم مالهم وما عليهم فالحساب مصدر حاسب وحسب
الشيء يحسبه بالضم اذا عده سماعا وهو معنى قولهم ما قال الحساب لغة العد واصطلاحا توقيف الله
عباده قبل الانصراف من المحشر على اعمالهم حتى اكانت او شر انتقصيلا لا بالوزن الا من استثنى منهم
وقد اختلف في محاسبته تعالى عباده على ثلاثة اقوال احدها انه يعلمهم مالهم وعليهم كما تقدم قال
بعض العلماء انه يخلق الله تعالى في قلوبهم علوما ضرورية بمقادير اعمالهم من الثواب والعقاب الثاني ونقل
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويريهم كتب اعمالهم فيها سيئاتهم و
حسناتهم فيقول لهذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها ولهذه حسناتكم وقد اضاعفتها لكم الثالث
ان يكلم الله عباده في مقادير اعمالهم وكيفية حالها من الثواب وما عليها من العقاب وفي هذا
صحيح الاخبار وصريح الاثار ما يقلع شر وسر من في قلبه نوع اختلاج كل شبهة وبدعة
فقد اخرج الترمذي من حديث ابي برزة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول
قدما عبد يوم القيمة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله
من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه
البزار والطبراني باسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ولفظه لن تزول قدما عبد
يوم القيامة حتى يسئل عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله
من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل فيه وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب فقلت اليس يقول الله واما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا فقال انما ذلك العرض ولكن من حوسب
يوم القيمة الا هلك ورواه ابو داود والترمذي وغيرهما ورواه البزار والطبراني في الكبير باسناد
صحيح من حديث ابن الزبير رضي الله عنهما ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب هلك
وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لتؤدن الحقوق يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ورواه الامام احمد ولفظه
يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء وحتى للذرة من الذرة ورواه ايضا الصحيح
الجلحاء والجما التي لا قرن لها واخرج الامام احمد ايضا عن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليختصمن كل شيء يوم القيمة حتى الشاتان فيما انتطحا واسناده حسن ورواه الامام احمد
ايضا وابو يعلى من حديث ابي سعيد وفي حديث عبد الله بن انيس رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه

يقول يحشر الله العباد يوم القيمة او قال الناس عراة غرلا بهما قال قلنا وما بهما قال ليس معهم شئ ثم
ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الديان انا الملك لا ينبغي لاحد من اهل النار
ان يدخل النار ولاحد عند احد من اهل الجنة حق حتى اقتصه منه ولا ينبغي لاحد من اهل الجنة يدخل الجنة
ولاحد من اهل النار عنده حق حتى اقتصه منه حتى اللطمة قال قلنا كيف وانما ناتي عراة غرلا بهما قال
بالحسنات والسيئات رواه الامام احمد باسناد حسن وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة وياتي وقد
شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا
من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في
النار وفي هذا احاديث كثيرة **تنبيهات الاول** انما قدم الحساب بعد الحشر والوقوف على اخذ
الصحف مع انه متاخر عن اخذ الصحف في الوقوع لان الحساب من المقاصد واخذ الصحف من الوسائل
فقدمت المقاصد على الوسائل مع مراعاة قاعدة النظم والله اعلم **الثاني** كيفية الحساب مختلفة
واحواله متباينة فمنه العسير ومنه اليسير ومنه العدل والجهد ومنه التكريم ومنه التوبيخ
والتبكيت ومنه الفضل والصفح ومتولي ذلك اكرم الاكرمين وارحم الراحمين **الثالث** اول
ما يحاسب العلماء والغازون وارباب الاموال والسعة واول ما يحاسب عليه العبد الصلاة كما اخرج
الامام عبد الله بن المبارك وابو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والنسائي وابن ماجة من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة الصلاة يقول الله
لملائكته انظروا الصلاة عبدي اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص
منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال اتموا لعبدي فريضته من تطوعه
ثم تؤخذ الاعمال على ذلك واخرج النسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اول ما يحاسب عليه العبد صلاته واول ما يقضى بين الناس في الدماء فان قيل قد ورد في التنزيل
ان الناس لا يسالون قال تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون وبجواب عن الاية الكريمة بانهم لا يسالون سؤال استعلام
لانه عالم بكل اعمالهم وانما يسئلون سؤال تقرير فيقال لهم فعلتم كذا قال في المنهج كغيره قال
الحسن وقتادة لا يسئلون عن ذنوبهم لان الله تعالى حفظها عليهم وكتبتها الملائكة وقيل يسئلون
في موطن دون موطن رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ونظير هذا قوله تعالى هذا يوم
ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفي الاية الاخرى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فللناس

يوم القيمة

يوم القيمة حالات والايات مفرجة باعتبار تلك الحالات ومن ثم قال الامام احمد في اجوبته القرانية اول
ما يبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون
ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون فذلك قوله تعالى ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا الاية فاذا اذن
لهم في الكلام تكلموا واختصموا فذلك قوله تعالى انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون عند الحساب
واعطاء المظالم ثم يقال لهم بعد ذلك لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد يعني في الدنيا فاذا
العذاب مع هذا القول كاين انتهى **الرابع** اختلف عن المسؤل عنه والمسؤل فقال ابن عباس رضي الله عنهما
لا اله الا الله وقال الضحاك عن خطاياهم وقال القرطبي عن جميع اقوالهم وافعالهم اذ السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال الفخر
الرازي ولا معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر والايمان بل السؤال واقع عنهما
وعن جميع الاعمال لان اللفظ عام فيتناول الكل والضمير في قوله تعالى لنسالنهم عائد على جميع المكلفين
الانبياء وغيرهم ويدل على سؤالهم صريحا قوله تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين
فهذه الاية تدل على انه يحاسب كل عباده لانهم لا يخرجون عن ان يكونوا مرسلين او مرسل اليهم
ويبطل قول من زعم ان الله لا يحاسب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار لانهم والحوا با
ان لا حساب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام على سبيل المناقشة والتفريع قال السفيري في بحر الكلام
الانبياء لا حساب عليهم وكذا اطفال المؤمنين وكذلك العشرة المبشرين بالجنة هذا في حساب المناقشة
وعموم الايات الكريمة مخصوص باحاديث من يدخل الجنة بغير حساب ولهذا قال علماؤنا في عقايدهم
ويحاسب المسلم المكلف الا من شاء الله ان لا يدخله الجنة بغير حساب وكل مكلف مسؤل ويسئل
من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل قال شيخ مشايخنا البدر
البلباني في عقيدته فالكفار لا يحاسبون بمعنى ان صحائف اعمالهم لا توزن وان افعل كافر وقربة مثلا نحو
عتق وصدقة او ظلم مسلم رجونا له ان يخفف عنه العذاب انتهى ولعل مراده غير عذاب الكفر
وقال شيخ الاسلام في عقيدته الواسطية ويحاسب الله تعالى الخلق ويخلو بعبده المؤمن ويقرره
بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة قال واما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته
وسيئاته فانهم لا حسنات لهم ولكن تعد اعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها انتهى وعن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد يخط خطوة الا وسيل عنها ما اراد بها وعن ابي هريرة رضي الله عنه
مرفوعا ان اول ما يسال عنه يوم القيمة ان يقال له الم اصح جسمك واروك من الماء البارد والذي
نفسي بيده من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب وماء بارد اخرجه الترمذي

وابن حبان والحاكم والبغوي واخرج الامام احمد والبيهقي وابو نعيم عن الحسن مرفوعا ثلاث لا يحاسب بهن
العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يواري به عورته واخرج البزار والطبراني عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا انما تقدا كان
حلالا الصائم والمتسحر والمرابط في سبيل الله واخرج البزار ايضا وابو نعيم بسند حسن عن ابن عباس ايضا
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما فوق الازار وحلف الخبز وظل الحايط وجر الماء فضل يحاسب به العبد
يوم القيامة او يسال عنه واخرج الامام احمد بسند جيد عن ابي عسيب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل حايطا لبعض الانصار ومعه ابو بكر وعمر فجاء صاحب الحايط بعذق فوضعه فاكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم دعى بماء بارد فشرب فقال لتسئلن عن هذا يوم القيمة فقيل يا رسول الله
انا لمسئولون عن هذا يوم القيمة قال نعم الا من ثلاث خرقة يكف بها عورته وكسرة يسد بها جوعته
وحجر يدخل فيه من الحر والقر واخرج الطبراني والبزار والحاكم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث محاكى فيه حسابا يسيرا وادخله الجنة برحمته قالوا وما هي قال تعطي
من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك وفي ترغيب الاصبهاني عن انس مرفوعا ان استطعت
ان لا تمسي وتصبح وليس في قلبك غش لاحد فافعل فانه لهو عليك بالحساب واخرج البيهقي عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال قال اعرابي يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة قال الله قال نحن وارب الكعبة
قال وكيف يا اعرابي قال لان الله الكريم اذا قدر عفى وما احسن ما قيل من الحكم المدونة الكريم اذا قدر غفر
واذا زلت معه ستر ومنها ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام **فائدة** ذكر القرطبي
لغيره ان الله تعالى يكلم المسلمين عند الحساب من غير ترجمان اكراما لهم ولا يكلم الكافرين بل يحاسبهم
الملائكة اهانة لهم وتمييزا لاهل الكرامة واخرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل على فضل ماء بالطريق
يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع اماما لا يبايعه الا لدنيا فان اعطاه ما يريد وفى له والا لم يف له
ورجل بايع رجلا بعد العصر فحلف بالله لقد اعطي كذا وكذا فصدقه ولم يعطه بما **الخامس**
ثبت في عدة اخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما كرر الليل والنهار ان طائفة من هذه الامة بلا ارتياب
يدخلون الجنة بغير حساب فيدخلون جنات النعيم قبل وضع الموازين واخذ الصحف بالشمال
واليمين فقد اخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج الينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم فرايت النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه
احد والنبي معه الرهط فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل لي هذه امة موسى وقومه

ثم قيل

ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هذه
امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله هؤلاء
ابناؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم
يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال انا منهم وفي لفظ ادع الله ان اكون منهم يا رسول الله قال نعم
ثم قام اخر فقال انا منهم فقال سبقك بها عكاشة قال الامام المحقق في كتابه الدا والدوا
قوله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة لم يرد ان عكاشة وحده احق بذلك ممن عداه من الصحابه
ولكن لو ادعى له لقام اخر واخر وانفتح الباب وربما قام من لم يستحق ان يكون منهم فكانه الاسكاك
اولى واخرج الترمذي وحسنه عن ابي امامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني
ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات
من حثيات ربي وبروى بصفنات بالفتح وهو الغرف ملا اليدين وقيل الحثية باليد والصفنة باليدين
واخرج الامام احمد والطبراني عن ابي ايوب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم البهم
فقال ان ربي خيرني بين سبعين الفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الحثية عنده لامتي فقال
له بعض اصحابه ايخبأ لنا ربنا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال ان ربي زادني
مع كل الف سبعين الفا والحثية عنده قفيل يا ابا ايوب وما تلك حثية ربي صلى الله عليه وسلم
فاكلة الناس بافواههم فقالوا اما نحن وحثية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو ايوب دعوة اخيكم
او حثية رسول الله صلى الله عليه وسلم اما حثية رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يقول لرجل من شهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه فادخله الجنة الحثية نجاء
معجمة فموحدة وهمزة بوزن خطية واخرج البيهقي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا سالت ربي
فوعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا على صورة القمر ليلة البدر فاستزدته فزادني مع كل الف
سبعين الفا فقلت اي رب اراية ان لم يكن هؤلاء من امتي قال اذا اكملهم لكم من الاعراب واخرج
الطبراني والبيهقي عن عمرو بن حزم الانصاري رضي الله عنه قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا
لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم رجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا
حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا
لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الثلاث ثة ايام المزيد فوجدت ربي ما حد كرما فاعطاني مع كل
واحد من السبعين الفا سبعين الفا قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب

واخرج الامام ابو يعلى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت سبعين الفا
يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي
فزادني مع كل واحد سبعين الفا قال ابو بكر فرايت الاذفدبا تي على اهل القرى ويصيبه خافاة
البوادي واخرج الامام احمد والطبراني عن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان ربي اعطاني سبعين الفا امتي يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر يا رسول الله
فهلا استزدته قال قد استزدته فاعطاني مع كل رجل سبعين الفا قال عمر فهلا استزدته قال
قد استزدته فاعطاني هكذا وفرج بين يديه وبسط باعيه وحثا قال هشام هذا ما لا يدري
ما عدده واخرج البزار عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من امتي
سبعون الفا بغير حساب فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا فقال عمر يا ابا بكر
ان شاء الله ادخلهم الجنة بحفنة واحدة واخرج الامام احمد بسند حسن عن حذيفة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ربي استشارني في امتي ماذا افعل بهم فقلت ما شئت يا رب هم خلقك
وعبادك فقال لا تخزني في امتك واخبرني انه اول من يدخل الجنة من امتي سبعون الفا مع كل الف
سبعون الفا ليس عليهم حساب واخرج هناد عن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجمع الله يوم القيمة الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم
مناد فينادي اين الذين كانوا يحمدون الله على السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب
ثم يعود فينادي اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير
حساب ثم يعود فينادي ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم
قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون ورواه ابن ابي الدنيا وغيره
وذكره الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف فقال قد روي انه المنفردين يدخلون الجنة
بغير حساب وذكر عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين
والاخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق سيعلم الخلايق اليوم من اولى بالكرم
فذكر الحديث قال الحافظ ابن رجب ويروى ايضا عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما
من قوله ويروى نحوه من حديث ابن اسحق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر مرفوعا وموقوفا ويروى
نحوه ايضا عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه وربيعة الجرشي والحسن وكعب من قولهم قال الحافظ
قال بعض السلف قيام الليل يهون طول قيام يوم القيمة قال واذا كان اهله يسيقون الى الجنة
بغير حساب فقد استراح اهله من طول الوقوف للحساب والله اعلم ولما انهينا الكلام على الحساب

بحسب

بحسب ما يليق بهذا الكتاب ثنينا العطف على شرح الصحف والميزان المشار اليهما في قوله كذا وقوف
الخلق لاخذ الصحف جمع صحيفة وهي الكتاب التي كتبتها الملائكة واحصوا ما فعله كل انسان من
سائر اعماله في الدنيا القولية والفعلية وقيل هي صحف تكتبها العباد في قبورها قال تعالى واذا
الصحف نشرت قال الثعلبي التي فيها اعمال بني آدم نشرت للحساب وانما توتى بالصحف الزاما للعباد
ورفعا للجدال والعناد وقال تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا قال العلماء معنى طايره عمله وقال مقاتل والكلبي خيره وشره معه لا يفارقه وهو
بهو معنى القول وقال تعالى واما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وفي الآية الاخرى
فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا والفتيل هو القشر الذي في شق النواة وهذا يضرب
مثلا للشيء الحقير وذكر مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالفتيل الوسخ الذي يظهر بفتل
الانسان اصابعه بسبابته قال العلامة الشيخ مرعي واما خص القراءة بمن اوتي كتابه بيمينه
دون من اوتي بشماله لانه اهل الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة
والقبايح الكاملة فيتولى الخوف والدهش على قلوبهم وتثقل السنتهم فيعجزون عن القراءة الكاملة
بخلاف اصحاب اليمين فانهم اذا طالعوا صحف حسناتهم وجدوها على الكمال فيقرؤن كتابهم
على احسن الاحوال وايسر ثم لم يتتبع احد بقراءة حتى يقول اهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه
كما قاله الفخر وغيره وقال تعالى واما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب
الى اهله مسرورا واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا والحاصل
ان نشر الصحف واخذها باليمين والشمال مما يجب الايمان به وعقد القلب بانه حق لنبوته بالكتاب
والسنة والاجماع فقد اخرج العقيلي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكتب
كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة يبعث الله ريحا فتطويها بالايمان والشمال او احظ فيما
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قاريا في الدنيا
واخرج الديلمي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس
عليه وقال ابن مسعود رضي الله عنه واخرج الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك
تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله ورواه ابن ماجه من حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
ولفظه واما الثالثة فتطاير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله واخرجه البيهقي
من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه واما العرضة الثالثة فتطاير الصحف بالايمان والشمال

قال الحكيم الترمذي لجدال للاعداء يجادلون لانهم لا يعرفونه وهم فيظنون انهم اذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم والمعاذير به يعتذرون الى آدم وال بنيانه ويقيم حجته عندهم على الاعداء ثم يبعث بهم الى النار والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الاكبر يخلو بهم فيعاتبهم ويريد عتابه في تلك الخلوات حتى يذوق وبال الخيانة والمجان ثم يغفرهم ويرضى عنهم واخرج ابن المبارك عن ابي عثمان النهدي قال ان المؤمن ليعطى كتابه بيمينه وستره الله فيقرأ سيئاته فيتغير لونه ثم يقرأ حسناته فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سيئاته قد بدلت حسنات فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤا كتابيه واخرج مكي في تفسيره عن ام المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت يا رسول الله كيف يحاسب حسابا يسيرا قال يؤتى العبد كتابه بيمينه فيقرأ سيئاته ويقرأ الناس حسناته ثم يمحى للصحيفة فيقول الله حسناتك فيقرؤها الناس فيقولون ما كان لهذا العبد من سيئة فهذا تفسير قوله تعالى واما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا اهلهم اهل الجنة كما في البيهقية واخرج الترمذي وحسنه وابن حبان والبيهقي والبزار وابن ابي حاتم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال يدعى الرجل فيؤتى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على راسه تاج من نور فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى ياتيهم فيقول ابشروا فان لكل واحد منكم مثل هذا واما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعا ويجعل على راسه تاج من نار فيرى اصحابه فيقولون اللهم انا نعوذ بك من هذا اللهم لا تاتنا بهذا فياتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول لكل انسان منكم مثل هذا واخرج الامام احمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال اما عند ثلاث فلا عند الميزان حتى يعلم ايثقل ميزانه ام يخف وعند تطاير الكتب فاما ان يعطى بيمينه او بشماله ومن يخرج عنق من النار الحديث **فوائد** الاولى قال سعيد بن المسيب الذي ياخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه وقيل تنزع من صدره الى خلف ظهره وقال مجاهد في قوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره قال يجعل شماله وراء ظهره فياخذ بها كتابه **الثانية** يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره يأتيه تخلع او يدخلها من صدره او تلوى ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من امامه ويعطى المؤمن الطايع كتابه بيمينه من امامه وقد جزم الماوردي بان المنشور الذي يعطاه الفاسق الذي مات على شقته دون توبة ياخذ كتابه بيمينه ثم حكى قولا بالوقف قال ولا قائل بانه ياخذه بشماله وقال يوسف ابن عمر من المالكية اختلف في عصاة الموحدين فقيل ياخذون كتبهم بايمانهم وقيل بشمائلهم وعلى القول

بانهم

بانهم ياخذونها بايمانهم قيل ياخذونها قبل الدخول في النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل ياخذونها بعد الخروج منها والله اعلم **الثالثة** ورد انا اول من ياخذ كتابه بيمينه ابو سلمة بن عبد الاسد واسمه عبد الله وهو اول من يدخل الجنة من هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وهو اول من هاجر من مكة الى المدينة وقال بعض علماء المالكية اول من يعطى كتابه بيمينه وله شعاع كشعاع الشمس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده ابو سلمة انتهى وروي انا اول من ياخذ كتابه بشماله اخو ابي سلمة بن عبد الاسد الماسود روي انه عند يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فياخذه بشماله من وراء ظهره وذلك لانه كان خلع يد ابي سلمة لما اراد ان يهاجر فمنع بنو المغيرة ام سلمة ان تسير مع ابي سلمة ونزعوا خطام البعير من يده فاخذوها منه فغضب رهط ابي سلمة وهم بنو عبد الاسد فاجتذبوا ابن سلمة المذكور من امه حتى اخذها رهطها ولم يدعوها تسير مع ابي سلمة فخلعوا يد الغلام القصة فجوزي الاسود بخلع يده فالجزاء من جنس العمل قال القرطبي في تذكرته اذا وقف الناس على اعمالهم من الصحف التي يؤمر بها بعد البعث حوسبوا فيها واخرج ابن المبارك عن رجل من بني اسد قال قال عمر رضي الله عنه لكعب حدثنا من حديث الآخرة قال نعم يا امير المؤمنين اذا كان يوم القيمة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق احد من الخلائق الا وهو ينظر الى عمله ثم توفى بالصحف التي فيها اعمال العباد فتنشر حول العرش ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه وكذا وقوف الخلق لاجل **الميزان** اعلم ان مراتب المعاد البعث والنشور ثم المحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف واخذها باليمين والشمال ثم السؤال والحساب ثم الميزان **للثواب** اي ثواب الاعمال الصالحة وعن السيئات الفاضحة قال علماؤنا كيفيتهم يؤمن باداء الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق قالوا وله لسان وكفتان توزن به صحايف الاعمال قال ابن عباس رضي الله عنهما توزن الحسنات في احسن صورة والسيئات في اقبح صورة قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته الصحيح ان المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافا لبعضهم وقال القرطبي في تذكرته قال العلماء اذا تقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية والحاصل ان الايمان بالميزان كالايمان بالصحف ثابت بالكتاب والسنة والاجماع فالكتاب ما ذكرنا وقوله تعالى ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم الى غير ذلك من الايات وروي ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه

فلما افاق قال الهي من ذا الذي يقدر يملأ كفته حسنات فقال اذا رضيت عنا عبدي ملاتها تمرة ذكره
الواذي والثعلبي وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه انا ميزان رب العالمين ينصب للجن والانس يستقبل
به العرش احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض في احداهما لوسعتهن
وجبريل اخذ بعموده ينظر الى لسانه قال في البهجة في هذا ان الاعمال الجن توزن كما توزن اعمال الانس
وهو كذلك رضاه الائمة قال القرطبي في تذكرته المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة و
صغائرهم في الكفة الاخرى فلا يجعل الله تلك الصغائر وزنا وتثقل الكفة النيرة حتى لا ترتفع وترتفع
المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية قال واما الكفار فتوضع كفرهم واوزارهم في الكفة المظلمة وان
كانت لهم اعمال برة وضعت في الكفة الاخرى فلا تقاوم اظهارا لفضل المتقين وذل الكافرين والحق
ان الكفار لا يقيم الله لهم وزنا لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ومن قال توزن اعمالهم لوروده
في ظواهر عموم الايات والاحاديث يجيب عن الآية الكريمة بانه تعالى لا يقيم لهم وزنا نافعا كما في قوله
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي كالهبا في عدم نفعه وحصول فائدته والحق
ان مؤمني الجن كالانس في الوزن وكافرهم كافرهم واخرج الحاكم وصححه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوضع الميزان يوم القيمة فلو وزن فيه السموات والارض لوسعتهن
فتقول الملائكة يا رب لمن يزن هذا فيقول لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك
حق عبادتك واخرجه الامام عبد الله بن المبارك في الزهد والاجري في الشريعة عن سلمان
موقوفا واخرج البزار والبيهقي في البعث عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يؤتى بابن آدم يوم القيمة فيوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك
بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه
نادى الملك بصوت يسمع الخلائق اشقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وذكر الثعلبي
وغيره وابن جرير في تفسيره وابن ابي الدنيا عن حذيفة رضي الله عنه انه قال صاحب الميزان
يوم القيمة جبريل عليه السلام وقال الحق هو ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه السلام
واخرج ابو الشيخ بن حيان في تفسيره من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال الميزان له لسان وكفتان فقد دلت الآثار على ان ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان كما قال
ابن عباس والحسن البصري وصرح بذلك علماؤنا والاشعري وغيرهم وقد بلغت احاديثه مبلغ
التواتر وانعقد اجماع الحق من المسلمين عليه واخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال يحاسب الناس يوم القيمة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت

سيئاته

سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار قال وان الميزان ليخف بمثقال حبة ويرجح ومن استوت
حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فيقفون على الصراط واخرج الامام احمد في الزهد من طريق
رباح بن زيد عن ابي الجراح عمن رجل يقال له حازم ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل
يبكي فقال ما هذا قال فلان قال جبريل انا ازن اعمال بني آدم كلها الا اليكا فان الله يطفي بالدمعة
بحورا من نيران جهنم واخرج البيهقي عن مسلم بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اغرورقت
عين بمائها الا حرم الله سائر ذلك الجسد على النار ولا سالت قطرة على خدها فيرهق ذلك وجها قتر
ولا ذلة ولان باكيا يبكي في امة من الامم لرحموا وما من شيء الا له مقدار وميزان الا الدمعة فانها
يطفي بها بحار من النار واخرج الترمذي وحسنه من حديث انس رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيمة فقال انا فاعل ان شاء الله قلت فاين اطلبك قال اول ما تطلبني على
الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم القك عند الميزان قال فاطلبني
عند الحوض فاني لا اخطى هذه الثلاث مواطن ورواه البيهقي في البعث وغيره **تنبيهات**
الاول اختلف في الميزان هل هو واحد او اكثر فالاشهر انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال
كفتاه كاطباق السموات والارض كما مر وقيل ان لكل امة ميزانا وقال الحسن البصري لكل واحد
من المكلفين ميزان قال بعضهم الاظهر اثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى ونضع
الموازين وقوله فمن ثقلت موازينه قال وعلى هذا فلا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان
ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان وردهذا ابن عطية وقال الناس على خلافه
وانما لكل واحد وزن مخصوص به والميزان واحد وقال بعضهم انما جمع الموازين في الآية الكريمة
لكثرة من توزن اعمالهم وهو حسن **الثاني** اختلف في الموزون فقيل يوزن العبد مع عمله وقيل
توزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصور حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي
اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه وتصور الاعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية
ثم تطرح في الكفة المظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخف بعدل الله سبحانه كما جاء به الحديث فاستاع
قلب الحقائق في مقام خرق العادات غير ملتفت اليه كما لا يخفى وقيل ان الله تعالى يخلق اجساما على
هذه تلك الاعمال من غير قلبها الى الحق ما قدمناه ان الموزون صحف الاعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبي
وغيرهما وصوبه الشيخ مرعي في بهجته وذهب اليه جمهور المفسرين وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف ذكره الفخر الرازي وغيره وحكاه ابن عطية عن ابي المعالي
ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة وابن حبان

في صحيحه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم على شرط مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يستخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعة و تسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر او حسنة فيقول لا يا رب فيقول الله بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم وتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء قال العلامة الشيخ مرعي في نهجه ثبت هذا الحديث الصحيح ان الموزون صحائف الاعمال وهو الحق فان قيل قد خرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة فاقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فالجواب ان هذا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للذي يغتر ببعض الاجسام وهو كناية عن عدم اكتراث الله بالاجسام فان الله لا ينظر للصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب فكم من جسم وسيم وهو عند الله من اصحاب الجحيم فهذا يحمل الحديث الصحيح والله اعلم **الثالث** قال النسفي في بحر الكلام ان الايمان لا يوزن لانه ليس له ضد يوضع في كفة الميزان الاخرى لان ضده الكفر والايمان والكفر لا يكونان في الانسان الواحد قلت يرد هذا ويرد بكلمة الاخلاص وهي اس الايمان وانتصر القرطبي للنسفي كالحكيم الترمذي واجاب عن كلمة الاخلاص بانها انما تكون ايمانا اول مرة وبعد ذلك تكون من حسناته قال ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بلى ان لك عندنا حسنة ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سئل صلى الله عليه وسلم عما لا اله الا الله من الحسنات هي فقال من اعظم الحسنات رواه البيهقي وغيره قلت وفيه نظر لا يخفى فان قيل ما الحكمة في الوزن مع ان الله عالم بكل شيء فيعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور اجاب الثعلبي بان الحكمة في ذلك تعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء من خير او شر وقال العلامة الشيخ مرعي بل الحكمة فيه اظهار العدل وبيان الفضل انه يزن مثاقيل الذر من خير او شر وان تك حسنة يضاعفها ويؤتي من لدنه اجرا عظيما **الرابع** ظاهر الاثار واقوال العلماء ان كيفية الوزن في الآخرة خفية وتكلا مثل كيفية في الدنيا ما تثقل نزل الى اسفل ثم يرفع الى عليين وما تخف خف طائش الى اعلى ثم نزل الى سجين وبه صرح جمع منهم القرطبي وقال بعض المتاخرين بل الصفة مختلفة وان عمل المؤمن اذا رجح صعد وسفلت سيئاته والكافر تسفل كفة الحسنات ثم تلى قوله والعمل الصالح يرفعه وذكر بعضهم في صفة الوزن ان يجعل جميع

اعمال العباد في الميزان مرة واحدة الحسنات في كفة النور وهي عن يمين العرش جهة الجنة والسيئات في كفة الظلمة وهي عن يساره جهة النار ويخلق الله لكل انسان علما ضروريا يدرك به خفة اعماله وثقلها وقيل بل علامة الرجحان عمود نور يقوم من كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات لكل احد وبالله التوفيق ولما انهى الكلام على الوقوف والحساب ونظائر الصحف والميزان للثواب اعقب ذلك بذكر الصراط فقال وكذا اجزم بثبوت **الصراط** فانه حق ثابت بلا شطاط وهو في اللغة الطريق الواضح ومنه قول جرير

امير المؤمنين على الصراط ... اذا اعوج الموارد مستقيم

وقول الآخر

فصد عن نهج الصراط الواضح

والصراط بالصاد والسين المهملتين وبالزاي على نزاع في اخلاصها ومضارعتها بين الصاد و الزاي من سرطت الشيء بكسر الراء اذا ابتلعته لانه يبتلع المارة كما ان الطريق كذلك اي يغيبهم وفي الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والاخرون وهو قنطرة حالهم بين الجنة والنار وخلق من خلق جهنم قال القرطبي بعد ذكره اعلم رحمك الله تعالى ان في الاخرة صراطين احدهما مجاز لاهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم الامم دخل الجنة بغير حساب والامم يلتقطه عنق من النار فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذي ذكرناه ولا يخلص عنه الا المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لا يستغرق حسناتهم حبسوا على صراط اخر خاص لهم ولا يرجع الى النار منهم احد ان شاء الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم التي يسقط فيها من اوبقته ذنوبه وزاد على الحسنات جرمه وعيوبه فقد اخرج البخاري والاسماعيلي في مسنديهما والطبراني في مسند حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزلته في الدنيا قال قتادة كانوا يقال ما يشبه بهم الا اهل الجمعة انصرفوا من جمعتهم قال القرطبي هذا في حق من لم يدخل النار من عصاة الموحدين اما من دخلها منهم اخرج فانهم لا يحبسون بل اذا خرجوا بشوا على انهار الجنة وقال الحافظ ابن حجر قوله يخلص المؤمنون من النار اي ينجون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط فيها قال واختلف في القنطرة المذكورة فقيل انها نهاية الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة وقيل انها صراط اخر وبه جزم القرطبي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة في علوم الاخرة والاول يعني انه طرف الصراط الذي يلي الجنة هو المختار الذي دلت عليه احاديث القناطر والحساب على الصراط انتهى قال العلماء الصراط ادق من الشعرة

واحده السيف واحمى من الجمرة فقد اخرج الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة اي مزلقة اي لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه الا من يثبته الله تعالى عليه كلاليب من نار تخطف اهلها فتمسك بعض ادبها ويستبقون عليه باعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذلك الذي لا ينشب ان ينجي ومنهم من شده كالريح ومنهم من شده كالفرس الجواد ومنهم من شده كهرولة الرجل ثم كمشي الرجل ثم كمشي الرجل واخرهم من يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له سل وتمن فاذا فرغ قال لك ما سالت ومثله معه واخرج ابن منيع في مسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الصراط احد السيف دحض مزلة ذو احسك وكلاليب واخرج الامام احمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم جسر ادق من الشعر واحد من السيف عليه كلاليب وحسك تاخذ من شاء الله والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكوب في النار على وجهه واخرج مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بلغني ان الجسر ادق من الشعر واحد من السيف واخرج ابن ماجه عن ابي سعيد ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وضع الصراط بين ظهراني جهنم عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوش به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها واخرج ابن جرير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فمنه الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كاجود الخيل والرابعة كاجود البهائم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم واخرج البيهقي عن انس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف واذا الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات واذا جبريل لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزلل والزلات يومئذ كثير واخرج ابن عساكر عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال بلغنا ان الصراط مسيرة خمسة عشر الف سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف استواء ادق من الشعرة واحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله وفي بعض الآثار ان طول الصراط مسيرة ثلاثة الاف سنة الف منها صعود والف منها هبوط والف منها استواء وفي بعض الروايات ان جبريل عن يمينه وميكائيل في وسطه يسلمان الناس عن يمينهم وفيما قدموه وعن شمائلهم فيما ابلوه وعن علم ماذا عملوا به وفي بعض الآثار انه فيه سبع قناطر يسئل كل عبد عند كل قنطرة قنطرة عن انواع من التكليف قلت وقد ذكر القرطبي في تذكرته عن بعض اهل العلم انه قال الخلق يجوزون الصراط حتى يسئلوا عن سبع قناطر فاما القنطرة الاولى فيسئلون عن الايمان بالله وهي شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا والاخلاص قول وعمل جاز ثم يسئل على القنطرة الثانية عن الصلاة

فان جاء

فان جاء بها تامة جاز ثم سئل في القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء برا تاما جاز ثم يسئل في الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسئل عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز الى السابعة وليس في القناطر اصعب منها فيسئل فيها عن ظلامات الناس وتبعات الخلق وجاء في الحديث الشريف انه اذا صار الناس على طرفي الصراط نادى ملك من تحت العرش يا قطرة الملك اجيزوا واعلى الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم واخرج الحاكم وصححه الطبراني عن ام الدرداء قالت قلت لابي الدرداء الا تبتغي لاضيافك ما تبتغي الرجال لاضيافهم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان امامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون فاحببت ان اتخفف لتلك العقبة قوله كؤود وهي بفتح الكاف وضم الهمزة مضمومة الصعبة واخرج البزار بلفظ ان بين ايديكم عقبة كؤودا لا يجوزها منهم الا الاكل مخف واخرج الطبراني عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بين ايديكم عقبة كؤودا لا يصعدها الا المخفون فقال رجل يا رسول الله امن المخففين انا ام من المثقلين قال عندك طعام يوم قال نعم وطعام غد قال وطعام بعد غد قال لا قال لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين واخرج الامام احمد بسند صحيح عن ابي ذر رضي الله عنه قال ان خليلي صلى الله عليه وسلم عهد الي ان ادون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة وانا ان نأت عليه ونجا منا الاقذار واصطبارا حري ان لا نهوي عليه ونحن معافين

ان ننجو صح

تنبيهات الاول تقدمت الكلمة على اثبات الصراط في الجملة لكن اهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر وانكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي وكثير من اتباعه زعما منهم انه لا يمكن عبوره واذا امكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصحابة القيمة وانما المراد به طريق الجنة المشار اليه بقوله تعالى سيهديهم ويصلح بالهم وطريق النار المشار اليه بقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم ومنهم من حمله على الادلة الواضحة والمباحات والاعمال الردية ليسئل عنها ويواخذ بها وكل هذا باطل وخرافات لوجوب رد النصوص على حقايقها وليس العبور على الصراط باعجب من المشي على الماء والطيران في الهوى او الوقوف فيه وقد اجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال احمق الكافر على وجهه بان القدرة صالحة لذلك وانكر العلامة القرافي كون الصراط ادق من الشعر واحد من السيف وسبقه الى ذلك شيخه العز بن عبد السلام والحق ان الصراط ورد به الاخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره من غير تاويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى الا يكلفه من انه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلايق وهم في جوازه متفاوتون وقال المنكر لكون الصراط ادق من الشعر واحد من السيف هذا الاثبات حمل على غير ظاهره لمنافاته للاحاديث الآخر من قيام الملائكة على جنبتيه وكون الكلاليب والحسك فيه واعطاكل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه قال القرافي والصحيح

انه عريض وقيل طريقان يمنى ويسرى فاهل السعادة يسلكون ذات اليمين واهل الشقاوة يسلكون ذات
الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ الى طبقة من طبقات جهنم وجهنم بين الخلق وبين الجنة والجسر
على ظهرها منصوب فلا يدخل احد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى وان منكم الا واردها
على احد الاقوال ثم قال القرافي تبعا للحافظ البيهقي كون الصراط ادق من الشعر واحد من السيف لم اجده
في الروايات الصحيحة وانما يروى عن بعض الصحابة فيقول بانه امر ادق من الشعر فانه يسر الجواز عليه
وعسر على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك الا الله تعالى وقد جرت العادة بضرب دقة
الشعر مثلا للغامض الخفي وضرب حد السيف لاسراع الملائكة في المضي لامتثال امر الله واجازة الناس
عليه ورد هذا الامام القرطبي وغيره من ائمة الاثار وقد اخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه
عن ابي سعيد بلاغا وليست مما للراي والاجتهاد فيه مجال فهي مرفوعة وقد مر من الاخبار ما يوجب الايمان
بذلك ثم ان القادر على امساك الطير في الهوى قادر على ان يمسك عليه المؤمن ويجريه ويمشيه على انه اخرج
الامام عبد الله بن المبارك وابن ابي الدنيا عن سعيد بن هلال قال بلغنا ان الصراط يوم القيمة يكون على بعض
الناس ادق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع واخرج ابو نعيم عن سهل بن عبد الله التستري قال ما دق
على الدنيا عرضه عليه في الاخرة ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الاخرة **الثالث** تقدم ان الصراط
مخلوق للامر ونقل في كنز الاسرار عن بعض اهل العلم انه يجوز ان يخلقه الله تعالى حين يضرب به على متن جهنم
ويجوز ان يكون خلقه حين خلق جهنم ونحوه في كلام القاضي عياض قال الحليمي من الشافعية لم يثبت
انه يبقى الى خروج عصاة الموحدين من النار فيجوز ان يمشوا عليه الى الجنة ويحتمل انه يزال ثم يعادون اولا
يعادون او تصعد به الملائكة الى السور الذي في الاعراف قال البدر الزركشي ومن الحكمة في الصراط ورفعه
ان يظهر للمؤمنين من عظم فضل الله تعالى النجاة من النار وتصير الجنة اسرع لقلوبهم بعد وليتحسر الكافر
بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور **الثالث** من الخرافات الباردة زعم من زعم ان ما هنا الصراط
شعرة من شعر جفون مالك خازن النار وهو كلام تنبو عنه المسامع ويكذبه كل سامع وانه نقله الحافظ
برهان الدين الحلبي فلا ينبغي ان يلتفت اليه ولا يعول عليه والله تعالى اعلم ثم اعلم ان **حوض النبي المصطفى** نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ثابت باجماع
اهل الحق وقال تعالى انا اعطيناك الكوثر قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه الدر النثير في تذكرة
ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الاربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون
وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين ثم ذكر الاحاديث عنهم واحدا واحدا والله اعلم قال القرطبي ذهب صاحب
المقوت الى ان الحوض بعد الصراط قال والصحيح انه قبله وكذا قال الغزالي ذهب بعض السلف الى ان الحوض

يورد

يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله قال القرطبي والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط فان الناس يخرجون
من قبورهم عطاشا فناسب تقديمه لحاجة الناس اليه قال ابن عباس رضي الله عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء قال اي والذي نفسي بيده انه لماء وانه لاول الياء الله يرد دون
الى حياض الانبياء عليهم السلام ورجح القاضي عياض ان الحوض بعد الصراط وان الشرب منه يقع بعد
الحساب والنجاة من النار وقال ابن حمدان في عقيدته يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد
جواز الصراط انتهى وقال الحافظ ابن حجر ظاهر الاحاديث ان الحوض بجانب الجنة ينصب فيه الماء من النهر
الذي داخلها فلو كان قبل الصراط لحال النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر فيه قال واما ما اورد عليه
من ان جماعة يدفعون عن الحوض بعد ان يرونه ويذهب بهم الى النار فجوابه انهم يقربون من الحوض
بحيث يرونه ويرون فيدفعون في النار قبل ان يتخلصوا من بقية الصراط وقال القرطبي في التذكرة
ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين احدهما الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا و
الكوثر في كلام العرب الخير الكثير قال الجلال السيوطي وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند الحاكم و
غيره بان الحوض بعد الصراط فانه قيل اذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم يحتاجوا الى الشرب منه
فاجاب بانهم يحتاجون الى ذلك لانهم محبوسون هناك لاجل المظالم فكان الشرب في موقف القصاص
ويحتمل الجمع بانه يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتاخيره بعده لاخرين بحسب ما عليهم من الذنوب
والاوزار حتى يهذبوا منها على الصراط ولعل هذا اقوى انتهى قال العلامة الشيخ مرعي في الحجة وهذا
في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق انتهى قال القرطبي في التذكرة ولا يخطر بالك او يذهب
وهمك الى ان هذا الحوض يكون على وجه الارض وانما يكون وجوده على الارض المبدلة على مساقات
هذه الاقطار وفي المواضع التي تكون بدلا من هذه المواضع في هذه الارض وهي ارض بيضاء كالفضة
لم يسفك عليها دم ولم يظلم على ظهرها احد قط اخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو العاص
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه
اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا وفي رواية حوضي مسيرة شهر
زواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وهي عندهما ايضا واخرج الامام احمد بسند صحيح وابن حبان في
صحيحه واللفظ للامام احمد عن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وعدني
ان يدخل من امتي سبعين الفا بغير حساب فقال بريدة بن الاخنس والله يا رسول الله اولئك في امتك
الا كالذباب الاصهب في الذباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعدني سبعين الفا وزادني ثلاث حثيات
قال فاسعة حوضك يا رسول الله قال كما بين عدن الى عمان وهو واسع واوسع يشير بيده قال فيه

لعله الجنة

قال اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقال انه انزل علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد علي امتي يوم القيمة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فاقول يارب انه من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك واخرج الطبراني عنه مرفوعا اعطيت الكوثر قلت يارسول الله وما الكوثر قال نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه احد فيظما ولا يتوضا منه احد فيشعث لا يشرب منه من اخفر ذمتي ولا من قتل اهل بيتي واخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اترد على الحوض اقوام فيختلجون دوني فاقول رب اصحابي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك واخرج ابن ابي عاصم في السنة عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين الحسن بن علي رضوان الله عليهما انه قال لمعاوية انك السباب لعلي اما والله لترودن عليه الحوض وما ادراك ترده فتجده مشمر الازار على ساق يذود عنه لا اباني المنافقون ذود غريبة الابل فقود الصادق المصدوق وقد خاب من افترى واخرج الطبراني وابن حبان والحاكم وصححه عن حباب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيكون امراء من بعدي فلا تصدقوهم بكذبهم ولا تعينوهم على ظلمهم فمن فعل الن يرد علي الحوض و اخرج البخاري ومسلم وغيرهما من طريق ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا فرطكم على الحوض من مر بي شرب ومن شرب لم يظما ابدا وليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم قال ابو حازم فسمع النعمان بن ابي عياش وانا احدث هذا الحديث فقال هكذا سمعت سهلا يقول قلت نعم فقال واشهد على ابي سعيد الخدري سمعته يقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما عملوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي واخرج الامام احمد والطبراني والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظما ابدا ليردن علي الحوض اقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فاقول يارب اصحابي فيقال ما زالوا بعدك مرتدين على اعقابهم واخرج الحكيم في نوادر الاصول عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا عثمان انه لا تزغب عن سنتي فتمرغب عن سنتي ثم مات قبل ان يتوضا ضربت الملائكة وجهه عن الحوض يوم القيمة واخرج الترمذي والحاكم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا وقال انه سيكون بعدي امراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وانا منه وهو وارد علي الحوض واخرج الطبراني

فياهنا لمن يهنا الشفا

عنه يزاد المشتري كما ورد

متجانسه بضم الميم والعين المهملة بينهما مثلثة وآخره موحدة هو مسيل الماء من ذهب وفضة قال فما حوضك يا نبي الله قال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب رائحة من المسك من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا ولم يسود وجهه ابدا ومن ثم قال فياهنا قال في القاموس الهنا والمهنا ما اتاك بلا مشقة وقد هنى وهنا واهناه وهنانى ولي الطعام يهنا ويهني ويهنو هنا وهنا وهناية العافية وهو هني سايغ كانه يقول اليها الشراب السايغ الهني لمن اتاني بلا مشقة اقبل لمن اي على شخص من ذكر او انثى به اي بسبب الشرب منه قال اي اعطي يقال نالني ينولني اذا اعطاه قال في القاموس النول والنيل والنايل العطا ونلته ونلت له وبه انوله وبه وانلته اياه ونولته ونولت عليه ولم اعطيته فمنه متعلق بنال والشفا من ظما ذكر اليوم و الشفا هو الدوا والجمع اشفية وجمع الجمع اشفاء يقال شفاه يشفيه برا ه وطلب له الشفا كاشفاه كما في القاموس ففي حديث ابي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ما الحوض قال والذي نفسي بيده ان شرابه ابيض من اللبن واحلى من العسل وابرد من الثلج واطيب ريحا من المسك وآنيته اكثر عددا من النجوم لا يشرب منه انسان فيظما ابدا ولا يصرف عنه انسان فيروى ابدا رواه ابن ابي عاصم وغيره ففي هذا الحديث انه من لم يشرب من حوضه صلى الله عليه وسلم من امته لا يزال متصفا بداء الظما ابدا وروى نحوه البزار والطبراني من حديث انس مرفوعا وفيه من شرب منه شربة لم يظما ابدا ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا واخرج الطبراني ايضا نحوه في الاوسط من حديث ابي سعيد الخدري مرفوعا وفي ذكر عدة احاديث عنه اي عن حوضه النبي صلى الله عليه وسلم وعن الشرب منه يذاد بضم التحتية وفتح الذال المعجمة فدال مهملة قبلها الف مبني لما لم يسم فاعله اي يطرد ويساق ويدفع دفعا عنيفا قال في القاموس الذود السوق والطرد والدفع كالذياد المفتري نايب الفاعل في الغريبة بكسر الفا الكذب يقال فرا يفرا فريا وافترى يفتري افتراء اذا كذب وهو افتعال منه ومنه والاياتين بهتانا يفترينه بين ايديهن وفي الحديث من افرى الفرا ان يري الرجل عينيه ما لم يريا فالفراجمع فرية وهي الكذبة وافرى افعل منه للتفضيل اي اكذب الكذبات اي يقول رايت في النوم كذا ولم يكن رئي شيا لانه كذب على الله انه هو الذي يرسل ملك الرؤيا اليه المنام والحاصل انه من الذين يذادون عن الحوض جنس المفترين على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم من المحدثين في الدين والروافض والخوارج وسائر اصحاب الاهواء والبدع المضلة وكذا المسرفون من الظلمة المفرطون في الظلم والجور وطمس الحق وكذا المنتهكون في ارتكاب المناهي والمعلنون في اقتراف المعاصي فقد اخرج مسلم في صحيحه عن انس ان مالكا رضي الله عنه

قال اغفى

ومن يحي سبيل السلامة لم يترد

من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليرفعن لي رجال منكم اصحابي اذا رايتهم اختلجوا دوني فاقول اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فهذا معنى قوله **فما ورد** ذلك في الاحاديث النبويه مما ذكرنا ومما لم نذكر وقد اخرج البخاري ومسلم حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك وفيهما من حديث انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي اصحابي فليقالن لي انك لا تدري ما احدثوا فاقول سحقا لمن بدل بعدي وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيمة رهط من اصحابي او قال من امتي فيحلؤون عن الحوض فاقول يارب اصحابي فيقول انك لا تعلم ما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وفي رواية فيجلون يعني منها للمجهول اي يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده اذا كان بالحاء المهملة وصار رواه بالجيم فهو من الجلاء وهو النفي عن الوطن وهو راجع الى الطرد وفي رواية عند البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا قايم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال الهم هلم فقلت الى اين قال الى النار والله فقلت ما شانهم فقال انهم قد ارتدوا على ادبارهم القهقرى ثم اذا زمرة اخرى حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال الهم هلم قلت الى اين قال الى النار والله قلت ما شانهم قال انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى فلا اراه يخلص منهم الا مثل هم النعم وفي رواية لمسلم وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فاقول يارب هؤلاء اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما احدثوا بعدك وعند مسلم ايضا من حديث عايشة رضي الله عنها ان صلى الله عليه وسلم قال فوالله ليقتطعن دوني رجال فلا قولن اي رب مني ومن امتي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك ما زالوا يرجعون على اعقابهم وفي الصحيحين من حديث اسما بنت الصديق رضي الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على الحوض انظر من يرد علي منكم وسيوخذ ناس دوني فاقول يارب مني ومن امتي وفي رواية فاقول اصحابي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك فوالله ما برحوا يرجعون على اعقابهم وفي ذلك احاديث كثيرة جدا قال القرطبي قال علماؤنا كل من ارتد عن دين الله او احدث فيه ما لا يرضاه الله ولم ياذن به فهو من المطرودين عن الحوض واشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم فهؤلاء كلهم مبدلون وكذا الظلمة المسرفون في الجور والظلم والمتمرسون في الحق واذلال اهله والمعلنون بكبائر الذنوب المستخفون بالمعاصي وعامة اهل الزيغ والبدع ثم الطرد قد يكون

في الحوض الاصول اخضر اذا استبطوا واخذ واسبعة وقول فيحلؤن

في حال

ومن يحي سبيل السلامة لم يترد

في حال ويقربوا بعد المغفرة ان كان التبديل في الاعمال ولم يكن في العقايد قال وقد يقال ان اهل الكبايير يردون ويشربون واذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش انتهى فاهل البدع مطرودون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم ومردودون عن الشرب منه ومن اي اي واي شخص من هذه الامة من ذكر وانثى **بخاه** اي قصد يقال بخاه ينحوه وبنحاه قصده كانبخاه بسبل بضم السين المهملة لكنه جمع سبيل وهو الطريق وما وضح منه وجمعه مع ان الطريق واحد باعتبار خصاله وشعبه المتوصل منها اليها **السلامة** من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والاخرة قال في القاموس السلامة البراءة من العيوب يعني ان من نهج منهج الحق وسلك طريق السنة وسلم من البدع وكبايير الذنوب فانه يرد على حوض النبي صلى الله عليه وسلم ويشرب منه **ولم يرد** عن الشرب منه ولم يطرد عن الورود عليه كما يفهم من لام الاية المارة وبالله التوفيق **تنبيهات** الاول اختلفت الروايات في تحديد الحوض وتقديره اختلافا كثيرا ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه مسيرة شهر وزواياه سواء وفي رواية عند الامام احمد انه الحوض كما بين عدن وعمان وفي رواية في الصحيحين ما بين صنعا والمدينة وفي رواية لهما ايضا ما بين المدينة وعمان وفي رواية ما بين ايلة ومكة وعند ابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس وفي رواية ما بين جربا واذرح وفي رواية ما بين ايلة وصنعا اليمن وهو في الصحيحين قال في جامع الاصول عما لكون حوضه صلى الله عليه وسلم ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح رواه البخاري ومسلم وابو داود وقال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال وفي لفظ ثلاثة ايام قال في القاموس وغلط من قال بينهما ثلاثة ايام قال وجربا قرية بجنب اذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة ايام وانما الوهم من رواة الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجربا واذرح انتهى وفي مسلم والترمذي مثل ما بين عدن الى عمان البلقا قال بعض العلما وهذا الاختلاف والاضطراب لا يوجب الضعف لان مرجع اختلاف التقدير والتحديد لا مرجع الاختلاف في الرواية لانه ذكر لم يقع في حديث واحد فيعد اضطرابا وانما جاء في احاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة وقد سمعوه في مواطن متعددة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمثل لكل قوم الحوض بحسب ما يعلم المتكلم وفهم السايل وبحسب ما يسنح له صلى الله عليه وسلم من العبارة وتحديد الحوض بحسب ما يفهم الحاضرون ما الاشارة قال الحافظ ابن حجر هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد تارة على ثلاثين يوما وينقص الى ثلاثة ايام لا يصح ان يكون من ضرب المثل في التقدير لانه انما يكون بما يتقارب ورد عليه بانه رواية ثلاثة ايام اعترف بهو نفسه بانها غلط فلا يوجر الاعتراض بها وقال النووي ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وقال بعضهم يحمل

العصير على العرض والطويل على الطول قلت ويرد هذا زواياه سواء واوضح مما هذا ما في رواية طوله وعرضه
سواء وقال بعضهم بل سبب الاختلاف ملاحظة سرعة السير وعدمها فقد عهد في الناس من يقطع
مسافة عشرة ايام في ثلاثة ايام وعكسه واكثر من ذلك واقل والله اعلم **الثاني** خالفت المعتزلة
فلم تقل باثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة فكل ما خالفنه في اثباته فهو مبتدع
واما ثبوته بالقرآن فاحتمال وليس بصريح واما قوله لها انا اعطيناك الكوثر ففيه اختلاف وهل
هو الحوض او الخير الكثير او النهر الذي في الجنة لكن الحوض ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب فحملوه
زائغ عن الصواب مستحق للطرد والعذاب ويكفيه من الخزي والنكال انه يذاد عنه ويطرد ويمنع من الشرب
منه ويرد وقد اخرج ابو داود عن ابي طالوت قال شهدت ابا برزة رضي الله عنه دخل على عبيد الله بن زياد
فحدثني فلان سماه مسلم وكان في السماط فلما رآه قال ان محمدكم هذا الدحداح ففهمها الشيخ فقال ما
كنت احسب اني ابقى في قوم يعيرونني بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم فقال عبيد الله ان صحبة محمدكم زين غير شين
ثم قال انما بعثت اليك لاسئلك عن الحوض هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئا قال ابو برزة
رضي الله عنه لامرة ولامرتين ولا ثلاثا ولا اربعا ولا خمسا فمن كذب به فلا سقاه الله منه ثم خرج مغضبا
الثالث جاء في الاخبار ان لكل نبي حوضا فاخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وترده امته وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني ارجو ان اكون
اكثرهم واردة وورد في بعض الاخبار ان لكل نبي حوضا الا صالح عليه السلام فانه ناقته ضرع ناقة
والله اعلم فكن ايها الناظر النظامي السامع لكلامي مطيعا لما جاءت به الاخبار وصحت بمقتضاه الآثار
مع صريح المنقول وصحيح المعقول واقف امره عند قوله قفوا انه مسئولون كففته واقفته اي اتبع
في اعتقادك واقصد في تحكيمك وارتيادك **اهل الطاعة** هم فرقة اهل السنة والجماعة فانها الفرقة
الناجية والعصابة التي لكل فوز راجية والطاعة اسم من اطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع
ويطيع فهو طايع اي اذعن وانقاد والاسم الطاعة وقيل طاع اذا انقاد واطاع اذا اتبع الامر ولم
يخالفه فمن اعتقاد اثبات **الحوض** الذي تقدم ذكره بالاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة
وتقدم دعاء الصحابي على من كذب به ان الله لا يسقيه منه ومر في الاحاديث ان من احدث في هذا الدين
لا يسقى منه وكفى بانكار السنة الصحيحة الصريحة حدثا وبدعة **واقف اهل الطاعة** من اهل السنة
والجماعة في اثبات **الكوثر** وهو فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير قال النبي صلى الله عليه وسلم
وقد سئل عن الكوثر ذاك نهر اعطانيه الله عز وجل يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر رضي الله عنه ان هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها

رواه

فمن مطيعا واقف اهل الطاعه في الحوض والكوثر والشفاعه

رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي صحيح البخاري عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي
اعطاك ربك قال فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن
انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكوثر نهر في الجنة وعدنه ربي عز وجل وفي الترمذي عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب
ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج قال الترمذي
هذا حديث حسن صحيح قال الامام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه حادي الارواح الى منازل الافراح
عن مجاهد في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال الخير الكثير قال وقال انس بن مالك رضي الله عنه نهر في الجنة
وقالت عائشة رضي الله عنها نهر في الجنة ليس احد يدخل اصبعيه في اذنيه الا سمع خرير ذلك النهر قال الامام
ابن القيم وهذا معناه والله اعلم ان خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل اصبعيه في اذنيه انتهى
وجاء في التفسير ان الكوثر القرآن والنبوة والكوثر في غير هذا الرجل الكثير العطاء كما في النهاية **واقف**
اهل الطاعة واتبع اهل السنة والجماعة في **الشفاعة** وهي لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير
للغير كذا عرفها بعضهم والحق انها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر فكان الشافع ضم سؤاله
الى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين المهملة شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع بكسر الفا
الذي يقبل الشفاعة والمشفع الذي تقبل شفاعته واعلم ان للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعات الاولى
الشفاعة العظمى التي يشفع فيها لاهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد ان يتدافعها الانبياء اصحاب الشرايع
آدم فمن دونه وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهي المقام المحمود وقد وردت من حديث الصديق
الاعظم وانس وابي هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعقبة بن عامر وابي سعيد الخدري وسلمان
الفارسي هؤلاء وردام الشفاعة في احاديثهم مطولا ومختصرا من حديث ابي ابن كعب وعبادة بن الصامت
وجابر بن عبد الله وعبد الله بن سلام وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين فاخرج الامام احمد والبخاري ومسلم وغيرهم
من حديث انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيمة فيلهمون ذلك
اليوم فيقولون لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا من مقامنا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم انت ابو البشر
خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول
لهم آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذي اصاب فيستحيي ربه من ذلك ويقول ولكن ائتوا نوحا فانه اول رسول
بعثه الله الى الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي
ربه من ذلك ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هناكم ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله

واعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير حق فيستحيي ربه
من ذلك ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست
هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقوم فأمشي بين
سماطين من المؤمنين حتى أستأذن على ربي فإذا رأيته خررت ساجدا فيدعني ما شاء الله
أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمده بتحميد
يعلمنيه ثم أشفع الحديث وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إني لقائم أنتظر متى يجيز الصراط إذ جاءني عيسى فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد سألوك
ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم الحديث يشاء الله المغفرة ما هم فيه فالخلق ملجمون بالعرق فأما
المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع إليك فذهب بني الله صلى الله عليه وسلم
فقام تحت العرش فخلق الله ما لا يعلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد
وقل له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع الحديث وأخرج الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وخطيبهم إذا أنصتوا وقائدهم إذا وفدوا
وشافعهم إذا حبسوا ومبشرهم إذا يئسوا ألوية الكرم بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم
ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر يطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون وروى الإمام أحمد والبزار
وأبو يعلى وابن حبان في صحيح من حديث الصديق الأعظم رضي الله عنه نحو حديث أنس فجمع بين
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال إسحاق بن إبراهيم يعني الإمام ابن راهويه هذا أشرف الحديث وقد
روى هذا الحديث عدة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الأولين
والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم
والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما قد بلغكم ألا تنظرون
إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت
أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة ألا تشفع
لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا
إلى نوح فيجيئون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا
اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله وإنه كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا
إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك
ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
وإني كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى
فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى
إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى
فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد
صبيا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتلت بغير حق فيستحيي ربه
من ذلك ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست
هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقوم فأمشي بين
سماطين من المؤمنين حتى أستأذن على ربي فإذا رأيته خررت ساجدا فيدعني ما شاء الله
أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمده بتحميد
يعلمنيه ثم أشفع الحديث وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إني لقائم أنتظر متى يجيز الصراط إذ جاءني عيسى فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألونك
ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم الحديث يشاء الله المغفرة ما هم فيه فالخلق ملجمون بالعرق فأما
المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع إليك فذهب بني الله صلى الله عليه وسلم
فقام تحت العرش فخلق الله ما لا يعلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد
وقل له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع الحديث وأخرج الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وخطيبهم إذا أنصتوا وقائدهم إذا وفدوا
وشافعهم إذا حبسوا ومبشرهم إذا يئسوا ألوية الكرم بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم
ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر يطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون وروى الإمام أحمد والبزار
وأبو يعلى وابن حبان في صحيح من حديث الصديق الأعظم رضي الله عنه نحو حديث أنس فجمع بين
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال إسحاق بن إبراهيم يعني الإمام ابن راهويه هذا أشرف الحديث وقد
روى هذا الحديث عدة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الأولين
والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم
والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما قد بلغكم ألا تنظرون
إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت
أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة ألا تشفع
لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا
إلى نوح فيجيئون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا
اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله وإني كذبت ثلاث كذبات

وعبادة بن الصامت وابي سعيد الخدري رضي الله عنهم اخرجها الامام احمد وعبد الرحمن بن ابي عقيل رضي الله عنه
اخرجها البزار والبيهقي وحكمة الهام الناس التردد الى غير النبي صلى الله عليه وسلم قبله ولم يلهموا المجيء اليه
من اول وهلة لاظهار فضله وشرفه صلى الله عليه وسلم واما ما ذكره ابو حامد الغزالي في كتابه كشف علوم
الاخرة انه بين اتيان اهل الموقف ادم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا بين كل نبي ونبي فقال الحافظ ابن حجر
في شرح البخاري لم اقف لذلك على اصل قال وقد اكثر في هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصل لها
فلا يغتر بشيء منها انتهى **الثانية** شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم من السمعيات وردت بها الاثار حتى بلغت
مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها اجماع اهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه
الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها احد مما يعول بالخير اذ هي للاراحة من طول الوقوف حين يتمنون
الانصراف من موقفهم ذلك ولو الى النار **الثالثة** سئل القاضي جلال الدين البلقيني عما حكم سجود النبي
صلى الله عليه وسلم من حديث الوضوء فاجاب بانه باق على طهارة غسل الموت ويحتمل وهو الاصح بانا امور الاخرة
ليست كاحكام الدنيا اذ الاخرة ليست بدار تكليف فلا يتوقف السجود فيها على وضوء والله اعلم **فانيها**
اي الشفاعة العظمى وغيرها من سائر الشفاعات الاتي ذكرها **ثابتة** بالنقل الصحيح بل المتواتر
للنبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم كما انها **ثابتة لغيره** اي غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم **من كل ارباب**
اي اصحاب **الوفا** بامتثال الاوامر والانتهاء عن الزواجر ثم اخذ في بيان ما اجمله من ارباب الوفا بقوله
من عالم عامل بعلمه معلم لغيره وهم الربانيون وهؤلاء ورثة الانبياء فهؤلاء كما ينفعون الناس في
الدنيا بالدلالة والتعليم كذلك ينفعونهم بالشفاعة عظيم عند المولى الجواد الكريم فيقبل شفاعتهم
ويعلي درجاتهم **كالرسل** جمع رسول وهو من اوحي اليه بشرع من بني آدم وامر بتبليغه وكذا الانبيا
وهم يعني الرسل والانبياء خواص الخلق من بني آدم **والابرار** جمع بار وهم الاتقياء الاخيار والحاصل
انه يجب ان يعتقد ان غير النبي صلى الله عليه وسلم من سائر الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء
والصديقين والاولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون ويقدر جاههم ووجاهتهم
يشفعون لثبوت الاخبار بذلك وترادف الاثار على ذلك وهو امر جائز غير مستحيل فيجب تصديقه
والقول بموجبه لثبوت الدليل فعند قال صلى الله عليه وسلم انا اول شافع واول مشفع روى هذا اللفظ
ابو هريرة رضي الله عنه اخرجه مسلم وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما اخرجه البيهقي وعبد الله بن سلام
رضي الله عنه اخرجه البيهقي ايضا واما حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البيهقي قال يشفع نبيكم
رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى وعيسى ثم نبيكم لا يشفع احد في اكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم الملائكة
ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء قال البخاري كذا قال ابو الزعراء عن ابن مسعود ولا يتابع عليه

والمشهور

والمشهور انه صلى الله عليه وسلم اول شافع وكذا قال غير البخاري من ائمة الحفاظ والله اعلم واخرج ابن ماجة
والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يشفع يوم القيمة الانبيا ثم العلما
ثم الشهدا واخرجه البزار في اخره ثم المؤذنون واخرج الطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا في النار بقدر ذنوبهم
وشفاعة الشافعين واخرج الامام احمد والبيهقي من حديث حذيفة نحوه واخرج الطبراني في الاوسط
عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الله آدم يوم القيمة من جميع ذريته
في مائة الف الف وعشرة الاف الف واخرج ابن ابي عاصم والاصبهاني عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع
للناس واخرج البيهقي من حديث جابر مثله وزاد في اخره بما احسنت ادبهم واخرج الديلمي من حديث
ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا يقال للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء واخرج
ابو داود وابن حبان عن ابي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهيد يشفع في سبعين
من اهل بيته واخرج الامام احمد والطبراني مثله من حديث عبادة ابن الصامت والترمذي وابن ماجه
مثله من حديث مقدام بن معدي كرب واخرج البزار والبيهقي بسند صحيح عن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليشفع في الرجل والرجلين والثلاثة يوم القيمة واخرج الترمذي
والحاكم وصححاه والبيهقي عن عبد الله بن ابي الجدعا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة
بشفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم قالوا سواك يا رسول الله قال سواي قال الزبير بن بكار الله عثمان
ابن عفان رضي الله عنه واخرج البيهقي عن الحسن مرفوعا ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة
ومضر والحاكم وصححه والبيهقي عن الحارث بن قيس مرفوعا ان من امتي من يدخل الجنة بشفاعة اكثر من
مضر وان من امتي من سيعظم للنار حتى يكون احذر واياها واخرج الامام احمد مثله من حديث ابي بزرة
وهناد مثله من حديث ابي هريرة واخرج الامام احمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن ابي امامة
رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة
ومضر واخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من امتي لرجالا يشفع الرجل منهم في الفئام من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم
للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للرجل واهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته
واخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار
حتى ان ابليس الا ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه واخرج البزار عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاج يشفع في اربعمائة من اهل بيته والحاصل ان للناس شفاعات بقدر اعمالهم
وعلو مراتبهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لاهله والاسلام يشفع لاهله والحجر الاسود يشفع لمستلمه
ولكن لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون فمن ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبابه
التوفيق سوى الشفاعات التي خصت بذي اي بصاحب الانوار نبينا محمد المختار صلى الله عليه وسلم
ما دارت الادوار وتعاقب الليل والنهار فلا يشاركه فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا صديق ولا شهيد
لانها مختصة بجنابه الرفيع وقدره المجيد والشفاعات المختصة به صلى الله عليه وسلم عدة اولها
وهي اعظمها واعمها شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضا بين الورى بعد التردد الى الانبياء وتدافعهما
بين اخيار الملأ الى ان تصل لصاحب الحوض المورود وهي المقام المحمود وقد عم العالم زيادة القلق
وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الاكباد وينسي الاولاد وهذه مجمع عليها لم ينكرها احد
ثانيها شفاعته في ادخال قوم من امته الجنة بغير حساب فانه خاصة به صلى الله عليه وسلم
كما قاله القاضي عياض والامام النووي وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر
قال فانه الاختصاص انما يثبت بالدليل ولا دليل عليه وقد روى حديث هذه الشفاعة مسلم في صحيحه
وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي في انموذج اللبيب ثالثها شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوم استوجبوا
النار باعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضي وابن السبكي بعدم اختصاصها به
صلى الله عليه وسلم وتردد النووي في ذلك قال السبكي لانه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه
وجزم في الانموذج بالمقام خصائص صلى الله عليه وسلم رابعها في رفع درجات ناس في الجنة وهذه لا
تنكرها المعتزلة كالاولى الا ان النووي جوز اختصاصها به عليه الصلاة والسلام وجزم في كتاب
الانتقاد له باختصاصها به قال في الانموذج جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به ووردت
الاحاديث في التي قبل وصرح به القاضي عياض وابن دحية خامسها الشفاعة في اخراج عموم امته
من النار حتى لا يبقى منهم احد ذكره السبكي وبالشفاعة بجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم
في الطاعات ذكره القزويني في العروة الوثقى **تنبيهات** الاول الشفاعة التي تنكرها المعتزلة
ونجحدها هي فيمن استحق النار من المؤمنين ان لا يدخلها وفيمن دخلها منهم ان يخرج منها فكذبت
بها المبتدعة ونفتها مع ثبوت ادلتها وتظافر حججها مما يتعسر احصاؤه ويتعذر استقصاؤه
فاخرج البخاري عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه خطب فقال انه سيكون في هذه الامة
قوم يكذبون بالرجم وبالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة
ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا واخرج سعيد بن منصور والبيهقي وهنا دعن

انس

انس رضي الله عنه قال من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب واخرج
البيهقي عنه انه قيل له ان قوما يكذبون بالشفاعة قال لا نجالسهم اولئك واخرج ايضا عنه قال
يخرج قوم من النار ولا نكذب كما يكذب بها اهل حرور واخرج ايضا عن شبيب بن ابي فضالة المكي
قال ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل يا ابا نجيد انكم لتحدثونا احاديث لم نجدها اصلا
في القرآن فغضب عمران وقال للرجل اقرأت القرآن قال نعم قال فهل وجدت صلاة العشاء اربعا وصلاة
المغرب ثلاثا والغداة ركعتين والظهر اربعا والعصر اربعا قال لا قال فعمن اخذتم هذا السنن
عنا اخذتموه واخذناه عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وفي كل اربعين درهما درهم وفي كل كذا شاة
وفي كل كذا بعيرا وجدتم في القرآن هذا قال لا قال ووجدتم في القرآن وليطوفوا بالبيت العتيق
اوجدتم طوفوا سبعا واركعوا ركعتين خلف المقام اوجدتم هذا في القرآن عنا من اخذتموه السنن
اخذتموه عنا واخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى قال اوجدتم في القرآن لا تجلد ولا تجلب
ولا شغار في الاسلام قالوا لا قال فانه الله تعالى قال في كتابه وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وانا قد اخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم اشياء لم يكن لكم بها علم وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه
مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم فرفع يديه وقال امتي ثم بكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك
واخرج البزار والطبراني في الاوسط وابو نعيم بسند حسن عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشفع لامتي حتى ينادي ربي تبارك وتعالى ارضيت يا محمد فاقول اي رب
رضيت واخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه وابن حبان والبيهقي والطبراني عن عوف بن مالك
الاشجعي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وفي
لفظ بين ان يدخل ثلثي امتي الجنة بغير حساب ولا عذاب وبين الشفاعة لامتي فاخترت الشفاعة
قال وهي لكل مسلم وروى نحوه الامام احمد والطبراني ايضا والبيهقي بسند جيد من حديث معاذ بن جبل
رضي الله عنه وفيه وعلمت انها اوسع لهم وهي لموامات لا يشرك بالله شيئا واخرج الطبراني مثله عن انس
واخرج الامام احمد والطبراني ايضا والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة وبين ان يدخل نصف امتي الجنة فاخترت الشفاعة لانها اعم واكفى
اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين واخرج الامام احمد والبيهقي والطبراني في
الاوسط عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني اشفع يوم القيامة

لاكثر مما على وجه الارض من شجر ومدر واخرجه الطبراني في الاوسط عن انس الانصاري ولفظه اكثر
مما على وجه الارض من حجر ومدر واخرج البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين واخرج
الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يخرج قوما
من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة واخرج ابو داود والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه عن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي واخرج الطبراني عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شفاعتي في امتي المذنبين المثقلين واخرج الطبراني ايضا وابو نعيم
عن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم الرجل انا لشرار امتي قيل كيف يا رسول الله قال
اما شرار امتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي واما خيارهم فيدخلهم الجنة باعمالهم واخرج ايضا عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شفاعتي لاهل الكبائر من امتي قال ابن عباس السابق
بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه واهل الاعراف يدخلون
الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي اوسط الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا اني ادخرت شفاعتي
لاهل الكبائر من امتي وفي الكبير عن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملي ولا تتكلي
فان شفاعتي لمن الكبائر من امتي واخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي قال جابر رضي الله عنه من زادت حسناته على سيئاته فذلك
الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم
يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واغلق ظهره واخرج عن انس رضي الله عنه
قال قلنا يا رسول الله لمن تشفع قال لاهل الكبائر من امتي والعظائم واهل الدماء واخرج عن كعب بن عميرة
رضي الله عنه مرفوعا شفاعتي لاهل الكبائر من امتي واخرج طاوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي
لاهل الكبائر من امتي قال البيهقي هذا مرسل حسن يشهد لكونها هذه اللفظة شايعه واخرج ابن ابي عاصم
عن انس رضي الله عنه مرفوعا ما زلت اشفع الى ربي ويشفعني واشفع ويشفعني حتى اقول اي رب شفعني
فيمن قال لا اله الا الله فيقول هذا ليس لك يا محمد ولا لاحد هذا لي وعزتي وجلالي ورحمتي لاادع في النار
احدا يقول لا اله الا الله **الثاني** في ذكر الاعمال الموجبة لشفاعته صلى الله عليه وسلم اخرج البخاري عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة قال ظننت ان لا
يسئلني عن هذا الحديث احد اول منك لما رايتك من حرصك على الحديث اسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة
من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه واخرج ايضا عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

من قال

من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة واخرج مسلم نحوه من حديث ابن عمرو
وفي حسن سعيد بن منصور من طريق ايوب السختياني عن فقيه من فقهاء الكوفة قال اذا سمع
النداء فيقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة المعترضة اعط محمدا سؤله يوم القيامة الا ادخل الله
له شفاعته واخرج مسلم عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت
احد على لاواء المدينة وجهدها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة واخرجه مسلم من حديث ابي سعيد
الخدري وابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهم والطبراني من حديث زيد بن ثابت وابي ايوب والبزار من حديث
عمر واخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها واخرج الطبراني عن سلمان رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات في احد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيمة من الامنين واخرج
الطبراني بسند جيد عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي حين يصبح
عشرا وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيمة والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه
مرفوعا اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة وابن ابي عاصم في السنة والبزار والطبراني
بسند حسن عن رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على محمد
وقال اللهم انزله المقعد المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي واخرج الامام احمد
بسند صحيح عن زياد بن ابي زياد مولى بني مخزوم عن خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
مما يقول للخادم اذا حاجة حتى كان ذات يوم قال يا رسول الله حاجتي انك تشفع لي يوم القيامة
قال فاعني بكثرة السجود واخرج البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا من زارني بعد موتي وجبت له
شفاعتي واخرجه الطبراني بلفظ من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي
ان اكون له شفيعا يوم القيمة والبيهقي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا من زارني كنت له شفيعا او شهيدا
ومن مات في احد الحرمين بعثه الله من الامنين يوم القيمة **الثالث** فيمن لا تدركهم الشفاعة
ويحرمون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لانصافهم بالبدع وسوء الصناعة فاخرج ابو نعيم عن انس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيمة المرجئة
والقدرية واخرج البيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غش العرب
لم يدخل في شفاعتي قال في النهاية العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء
اقام بالبادية او المدر انثى والمراد بهم هنا بنو اسمعيل واخرج البيهقي والطبراني بسند جيد

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة امام ظلوم غشوم عسوف وآخر غال في دين الله مارق منه واخرجه الطبراني عن ابي الدرداء وغيره من الصحابة رضي الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فانه الممارى لا اشفع له يوم القيامة الرابع مما احتجت المعتزلة لمذهبهم في نفي الشفاعة بقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة وقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ورد عليهم ان من دخل جهنم يخلد فيها لانه اما كافر او صاحب كبيرة مات بلا توبة هذا رايهم ومن وافقهم وهو راي فاسد ومذهب باطل ترده الاخبار الصحيحة والاثار الصريحة واجماع اهل الحق ايدهم الله تعالى واجابوا عن الاية الكريمة ان المراد بقوله تعالى لا تجزي نفس عن نفس شيئا الكفار للآيات الواردة والاخبار الثابتة في الشفاعة قال القاضي البيضاوي تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار ويؤيد هذا ان سياق الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم انتهى وعن قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع المراد بالظالمين الكفار فان الظالم على الاطلاق هو الكافر وقالت المعتزلة في قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته ولا يشفعون الا لمن ارتضى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى ومن اخزاه الله لا يرتضيه ومن ارتضاه لا يخزيه وقال تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم الآية والجواب عن الاية الاولى ما قاله سيدنا انس ابن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى من تدخل النار من تخلد وقال قتادة تدخل مقلوب تخلد ولا تقول كما قالت الحرورية الخوارج وعلى هذا قوله فقد اخزيته على بابه من الهلاك اي اهلكته وابعدته ومقته ولهذا قال سعيد بن المسيب الاية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار دليله قوله في اخر الاية وما للظالمين من انصار اي الكفار واما سلم ان الاية في عصاة الموحدين فالمراد بالخزي الحيا يقال خزي يخزى خزاية اذا استحيا فهو خزيان وامراة خزيا فخزي المؤمنين يومئذ استحياهم من دخول النار ودار البوار مع اهل الشرك والكفار ثم يخرجون بشفاعة النبي الكريم وبرحمة ارحم الراحمين ونفي النصرة لا يستلزم نفي الشفاعة لانها طلب مع خضوع والنصرة ربما تبنى على المدافعة والممانعة والاستطالة على انا نقول لا يسلم لهم زعمهم ان الفاسق غير مرضي مطلقا بل هو مرضي من جهة الايمان والعمل الصالح وان كان مبغوضا من جهة الذنوب والعصيان وارتكاب القبايح بخلاف الكافر

فانه ليس

فانه ليس بمرضي مطلقا لعدم الاساس الذي تبتنى عليه الحسنات والاعتداد بالكمالات وهو الايمان والحاصل ان الايمان بالشفاعة واجب وقد قدمنا من النصوص ما لعله يقلع شروش الاختلاج من خواطر من اذعن لها وخلع من عنقه ربقة تقليد اهل الزيغ والاعوجاج كيف والنصوص متواترة والاثار متظافرة والعقل الصحيح لا يحيل ذلك والنقل الصريح ناطق بما هنالك فدع عنك فلانة وفلانة واعقد قلبك على ما صح عن سيد ولد عدنان واصحابه والتابعين لهم باحسان فانه الحق الذي لا عقل يحيله ولا نقل يزيله والله تعالى الموفق

فصل في الكلام على الجنة والنار

ولما انتهى الكلام على الشفاعة واقسامها وتفصيلها واحكامها بحسب ما يليق بالمقام اعقب ذلك بذكر العظيمتين دار القرار للاخيار ودار البوار للكفار وهما الجنة والنار فقال

وكل انسان من بني آدم فالانس والانسان من البشر والواحد انس وانسي والجمع اناسي والمراة انسانة وبالهاء عامية كما في القاموس وقال سمع في شعر كانه مولد لقد كستني في الهوى ملابس الصب الغزل انسانة فتانة بدر الدجى منها خجل اذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل **وكل جنة** بكسر الجيم وتشديد النون مفتوحة طائفة الجن والجان اسم للجن اي كل واحد من الثقلين اللذين هما الانس والجن لا بد ان يكون **في** احدى الدارين اما في **دار النار** وهي دار البوار وقبر الكفار وهي جسم لطيف محرق يطلب العلو تذكر وتؤنث والفها منقلبة عن واو بدليل تصغيره على نويرة وتجمع جمع قلة على نيران وانور وجمع كثرة على نيران ونور والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو ضد الظلمة والنار سبع طباق اعلاها جهنم فلظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وباب كل واحدة منهم داخل الاخرى على الاستواء كما قاله ابن عطية وغيره **او في دار نعيم** مقيم في **جنة** المولى الكريم الرؤف الرحيم فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة وكل ما هو كذلك فالايمان به واجب واعتقاد وجوده حق لازب والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب **هما** اي الجنة والنار **مصير الخلق** من الانس والجن اي لا بد لكل واحد من **كل الورى** كغير الخلق من الانس والجن بل ومن الملائكة فانهم يكونون في الجنة كما ياتي ان يصيروا اما الى الجنة واما الى النار واما اهل الاعراف فان مصيرهم الى الجنة كما ياتي **فالنار** التي هي دار الهوان والبوار **في دار من** اي كل شخص من انس وجن **تعدى** طوره وخالف مولاه فكفر به او باحد من رسله او بكتاب من كتبه او بشرع شرعه على لسان نبي بعثه ولم ينسخه **وافترى** فيما عبد واجترى بما قصد فلم يقف عند الحدود ولم يف بالعهد المعهود فكل من حكم بشرع بكفره من كافر اصلي من اهل الشرك وعبدة الاوثان والكواكب والنيران واهل الشرائع المنسوخة بعد النسخ والتبديل من اهل التوراة والانجيل فهم خالدون في النار مخلدون

فالنار دار من تعدى وافترى

وكل انسان وكل جنة في دار النار او نعيم جنة

هما مصير الخلق من كل الورى

في النار ودار الحزي والبوار ومن اي وكل عبد مؤمن بالله ورسوله ولو مبتدعا لم يحكم الشرع بكفره عصى
بمخالفته ربه وتعدى حدوده بذنبه ولو كان ذنبه من اكبر الكبائر كالقتل والزنا واكل الربا ومات على
الايمان ولو لم يتب لم يخلد في النار وان دخلها لتطهره من الاوزار فانه يخرج منها اما بشفاعة
الشافعين او رحمة ارحم الراحمين كما تقدم ربنا اوتنا اي يا هلاك المعتدي اشارة الى تقبيح ما ذهبت
اليه المعتزلة من زعمهم انه من دخل النار هو فيها خالد فيها لانه اما كافر او صاحب كبيرة مات بلا توبة
اذ المعصوم والنابي وصاحب الصغيرة اذا اجتنب الكبائر ليس من اهل النار على ما سبق من
اصولهم والكافر مخلد بالاجماع بخلاف العاصي وتقدم الكلام على ذلك بما فيه كفاية وان مرتكب
الكبيرة اذا مات ولم يتب في مشيئة الله ان شاء عفى عنه ولم يعذبه وان شاء عذبه ثم يخرجه
واما خلود المؤمن المصر فهو مذهب الخوارج والمعتزلة واهل الحق على خلافه وهو الحق الذي لا
مرية فيه والله تعالى اعلم **تنبيهات** الاول قال الجوهري الجان ابو الجن قال الامام ابو الوفا ابن عقيل
انما سمي الجن جنا لاجتنانهم واستتارهم عن العيون قال والشياطين عصاة الجن وهم من ولد ابليس
والمردة اعتاهم واغواهم وقال ابن عبد البر الجن عند اهل الكلام والعلم باللسان على مراتب
فاذا ذكر الجن خالصا قالوا جني فان اراد وا انه مما يسكن مع الناس قالوا عامر والجمع عُمّار فاذا كان
مما يعرض للصبيان قالوا ارواح فان خبث وتعرض قالوا شيطان فان زاد على ذلك وقوي امره قالوا
عفريت وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه لم يخالف احد من طوائف المسلمين في
وجود الجن وكذا جمهور الكفار لان وجودهم تواترت به اخبار الانبياء تواترا معلوما بالاضطرار
يعرفه الخاصة والعامة قال ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم وقال
القاضي ابو بكر الباقلاني كثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديما ونفوا وجودهم الآن
ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم انهم لا يرون لرقة اجسامهم ونفوذ الشعاع فيها ومنهم من زعم
انهم انما لا يرون لانهم لا الوان لهم وقد ذكر اسحق بن بشر في المبدأ عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما خلق الجن قبل آدم بالفي سنة وقال اسحق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله
سوى ابو الجن وهو الذي خلق من مارج من نار قال له تعال من قال اعمى لا ترى ولا ترى وانه يغيب
في الثرى ويصير كهلنا شابا فاعطي ذلك فهم يرون ولا يرون واذا اتوا غيلة في الثرى
ولا يموت كهلهم حتى يعود شابا يعني مثل الصبي يرد الى ارذل العمر واخرج مسلم عن ام المؤمنين
عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق
الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم واخرج الفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد

في قوله

ومن خص هذا بابي البقاء العقدي الحنبلي

في قوله وخلق الجان من مارج من نار قال اللهب الاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا أوقدت وقال ابن عباس
رضي الله عنهما خلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من نار واخرج ابن ابي حاتم عن عمرو بن دينار قال خلق الجان
والشياطين من نار السموم انتهى وقال ابو الوفا ابن عقيل في الفنون سأل سائل عن الجن فقال اخبر الله عنهم
انهم من نار واخبر ان الشهب تضرهم وتحرقهم فكيف تحرق النار النار قال والجواب ان الله تعالى اضاف
الشياطين والجان الى النار حسبما اضاف الانسان الى التراب والطين والفخار والمراد به في حق الانسان
ان اصله الطين وليس الآدمي طينا حقيقة ولكنه كان طينا كذلك الجان كان نارا في الاصل قال القاضي
عبد الجبار المعتزلي الدليل على ان اصل الجن النار السمع دون العقل وقال الامام القاضي ابو يعلى الفراء
الجن اجسام مؤلفة واشخاص مثلنا ويجوز ان تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافا للمعتزلة في قولهم
انهم اجسام رقيقة ولرقتها لا نراها قال القاضي ابو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم
والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله كلمات ضربا من ضروب الافعال اذا فعلوها وتكلموا بها نقلهم الله
من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله
وفعله نقله الله عن صورة الى صورة اخرى لجرى العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان
انتقالها عن صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال
وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها قال والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك والذي روي ان
ابليس يصور نفسه في صورة سراقة وانه جيء بمثل في صورة ذهبية محمول على ما ذكرنا وهو انه قدرة الله على
قول قاله فنقله الله عن صورة الى صورة اخرى قال القاضي الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون كما
يفعل الانس وظاهر العمومات ان جميع الجن كذلك وهو رأي قوم ثم اختلفوا فزعم بعضهم انهم لا يأكلون
ولا يشربون ولا يتناسلون وانما يتغذون بالشم والاستراح لا مضغ ولا بلع وهذا دليل عليه وقال الاكثرون انهم يأكلون بالمضغ والبلع
وزعم قوم ان جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا ساقط وقيل انه صنفان منهم من يأكل ويشرب
وصنف لا يأكلون ولا يشربون وسئل وهب بن منبه عن الجن هل يأكلون ويشربون وهل يموتون و
يتناكحون فقال هم اجناس فاما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون
ومنهم اجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون ويموتون قال وهي هذه التي منها السعالي
والغول واشباه ذلك اخرجه ابن جرير وحديث علقمة عن ابن مسعود عند الامام احمد ومسلم و
الترمذي لما اتى النبي صلى الله عليه وسلم داع من الجن فذهب معه فقرأ عليهم القرآن وانه صلى الله عليه وسلم انطلق
باصحابه فأراهم آثارهم وآثار نيرانهم يدل على انهم كانوا كالانس في الجملة وفيه انهم سألوه الزاد وكانوا
من جن الجزيرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ولفظ الترمذي لم يذكر اسم الله عليه

في قوله

يقع في ايديكم او فرماكان لحما وكل بعرة علف لدوابكم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن وقد جمع بعض العلما بين رواية الترمذي لم يذكر اسم الله عليه وبين رواية الامام احمد ومسلم بالاما في المسند وصحيح مسلم في حق المسلم من الجن وفي رواية الترمذي في حق غير المؤمنين منهم وصححه السهيلي وقال هذا يعضد الاحاديث وقد استدلوا على منا لخهم بقوله تعا افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وبقوله تعا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وهذا يدل على انه يتاتى منهم الجماع وفي الحديث ان الجن يتوالدون كما يتوالد بنو ادم وهم اكثر عددا رواه ابن ابي حاتم وابو الشيخ في العظمة عن قتادة الثاني في ذكر تكليف الجن ولو احقه ذلك قال العلامة شمس الدين محمد بن مفلح في كتابه الفروع الجن مكلفون في الجملة اجماعا فيدخل كافرهم النار اجماعا ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقا لمالك والشافعي رضي الله عنهما الا انهم يصيرون ترابا كالبهايم وان ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافا لابي حنيفة والليث بن سعد ومن وافقهما قال وظاهر الاول يعني قول الامام احمد ومالك والشافعي رضي الله عنهم انهم في الجنة كغيرهم بقدر ذنوبهم خلافا لمن قال لا ياكلون ولا يشربون فيها لمجاهد والهم في ربض حول الجنة كعمر بن عبد العزيز وقال ابن حامد في كتابه الجن كالانس في التكليف والعبادات انتهى كلام الفروع وقال ابن عبد البر الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعا يا معشر الجن والانس وكقوله فباي الاء ربكما تكذبان قال الفخر الرازي اطبق الكل على ان الجن كلهم مكلفون قال القاضي عبد الجبار المعتزلي لا نعلم خلافا بين اهل النظر ان الجن مكلفون الثالث قال ابن مفلح في فروعه ولم يبعث اليهم يعني الجن نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال وليس منهم رسول ذكره القاضي ابو يعلى وابن عقيل وغيرهما واجابوا عن قوله تعا يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم انها كقوله تعا يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وكقوله وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في سماء واحدة قال والمفسرين قولان والمقول بانه منهم رسلا قول الضحاك وغيره قال الامام الحافظ ابن الجوزي وهو ظاهر الكلام وقال الحافظ السيوطي في لقط المرجان جمهور العلما سلفا وخلفا على انه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحلبي وابي عبيد وقد اخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم عن مجاهد في قوله تعا يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم قال ليس في الجن رسل انما الرسل في الانس والنذارة في الجن وقرا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين واخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله رسل منكم قال رسل الرسل وقرا الاية قال ابن جريج واما الذين قالوا بقول الضحاك فاحتجوا بان الله اخبر انه من الجن رسلا ارسلوا اليهم وقالوا لو جاز ان يكون خبره عن رسل الجن بمعنى رسل الانس لجاز ان يكون خبره عن رسل الانس

بمعنى

بمعنى انهم رسل الجن وفي فساد هذا المعنى ما يدل على ان الخبر بن جميعا بمعنى الخبر عنهم انهم رسل الله لانه المعروف في الخطاب دون غيره وقال ابو محمد بن حزم لم يبعث الى الجن نبي من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم الانس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة قال وبالبيقين ندري انهم قد انذروا واصح انهم كانت لهم انبياء منهم في قوله الم يأتكم رسل منكم انتهى وتاول الجمهور كل ما ورد من ذلك ولا يخفى ان ظاهر القرا ان مع ما قال الضحاك والاكثرون على خلافه وتحقيق ذلك والبحث فيه مما لا فايدة فيه لعدم ترتب شي عليه غير انا نقطع بانهم سمعوا ببعثة رسل الانس لقوله تعا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فظاهر هذا انهم كانوا مؤمنين بشريعة موسى عليه السلام والظاهر ان الشياطين الذين سخرهم الله لسليمان كانوا ياتمرون بالشرايع بقوله وهو كان من ابنياء بني اسرائيل وهل كان على شرع مستقل او على شرع موسى قلت الظاهر كما يفهم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح وغيره انه كان على شرع موسى كان شريعة التورية استمرت من عهد موسى الى ان بعث عيسى فنسخ بعضها وامر باتباع بعض وهذا ظاهر في انه كان على شريعة موسى بالصريح والله اعلم الرابع قال في الفروع قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلا يكون ما امر وابه وما نهوا عنه مساويا لما على الانس في الحد والحقيقة للنهم مشاركون هم في جنس التكليف بالامر والنهي والتحليل والتحريم بلا نزاع علمه بين العلما فقد يدل ذلك على منا لخهم وغيرها قال في الفروع وقد يقتضيه اطلاق اصحابنا وفي المغني وغيره ان الوصية لا تصح لجني كما انه لا يملك بالتمليك كالهبة قال في الفروع فيتوجه من انتفاء التمليك منا منع الوطي الذي في معناه ما قال الله تعا والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها قال وقد جعل اصحابنا هذا المعنى في شروط الكفاءة فهنا اولى قال ومنع منه غير واحد من متاخري الحنفية وبعض الشافعية وجوزه منهم ابو يوسف في شرح الوجيز قال في مسايل حرب باب منا لخة الجن ثم روى عن الحسن وقتادة والحكم واسحق كراهتها وروى من رواية ابن طهيعة عن يونس عن الزهري نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن وعن زيد العمي اللهم ارزقني جنية اتزوج بها قلت صاحبني حيثما كنت قال في الفروع ولم يذكر حرب عن الامام احمد شيا وعن مالك لا باس به في الدين ولكني اكره اذا وجدت امراة حاملا فقيل من زوجك قالت من الجن فيكثر الفساد انتهى وذكر الحافظ السيوطي اثارا واخبارا عن السلف والعلما تدل على وقوع التناكح بين الجن والانس وقد حدثني بوقوعه جماعة معهم انفسهم فالله اعلم بصحة ذلك وان ظهر مخايل ثبوته فانا على شك منه والله الموفق وجنة النعيم اعلم ان للجنة عدة اسما باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار الذات فهي متواردة من هذا الوجه ومتخالفة باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه وهكذا اسماء الرب تعا

وجنة النعيم للابرار

واسماء كتابه واسماء رسوله واسماء اليوم الاخر واسماء النار فالاسم العام لجنة المتناول لتلك
الدار وما اشتملت عليه من انواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة العين واصل اشتقاقها
من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن والجان لاستتارهم عن العيون والمجن لستره
ووقايته الوجه والمجنون لاستتار عقله وتواريه والجان وهي الحية الصغيرة الدقيقة ومنه تسمية
البستان جنة لانه يستتر داخله بالاشجار وغيرها فلا يستحق هذا الاسم الا موضع كثير الشجر
مختلف الانواع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس وغيره ومنه قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة اي ستروا
بها من الكفار المؤمنين عليهم ومنه لجنة بالكسر وهم الجن كما تقدم ومنه قوله تعالى من الجنة والناس
وذهبت طائفة من المفسرين الى ان الملائكة يسمون جنة واحتجوا بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا وقالوا هذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوه بوجهين احدهما ان النسب الذي
جعلوه انما زعموا انه بين الملائكة وبينه لا بين الجن وبينه الثاني قوله تعالى ولقد علمت الجنة
انهم لمحضرون اي قد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول محضرون العذاب قال الامام المحقق
شمس الدين ابن القيم في كتابه حادي الارواح الى منازل الافراح والصحيح ان الجنة هم الجن انفسهم
كما قال تعالى من الجنة والناس وعلى هذا ففي الاية الكريمة قولان احدهما قول مجاهد قال قالت
كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم قالوا بنات
الجن وقال الكلبي تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة وقال قتادة قالوا صاهر الجن والقول
الثاني قول الحسن قالوا اشركوا الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قال ابن القيم
والصحيح قول مجاهد واما قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون فالضمير يرجع الى الجنة
اي قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد اي لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضرهم الحساب
كما قال تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فجعل
سبحانه عقوبتهم بذنوبهم واحضارهم للعذاب مبطلا لدعواهم الكاذبة وهذا التقرير في
الاية ابلغ في ابطال قولهم من التقرير الاول انتهى ومن اسماء الجنة جنات النعيم قال تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم قال في حادي الارواح وهذا ايضا اسم جامع
لجميع الجنان لما تضمنته من الانواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور
والمناكح والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن وقوله تعالى النظم
للابرار اشارة الى ان هذه اللام لام الاختصاص والاستحقاق فلا يدخلها ويسكنها غيرهم
والابرار جمع بار وهو كثير البر اسم جامع للخير وقيل في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

ان البر

ان البر لجنة وفي القاموس البر الصلة والحسنة والخير والصدق والطاعة كالبر ضد العقوق كالمبرة
والبر بالفتح من اسماء الله الحسنى والصادق والكثير البر وجمع البار راضيا على بررة وقد ذكر الله في كتابه
عدة ايات يخص الجنة باهل الايمان والتقوى كقوله تعالى في الجنة اعدت للمتقين وقال تعالى واما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار وقال والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات وهذا
في القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد ايمان وتقوى وعمل خالص لله عز وجل على موافقة السنة
فاهل هذه الثلاثة هم الابرار وهم اهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعلى هذه
الثلاثة اشياء دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهي تجتمع في اصلين اخلاص في طاعة الله
واحسان الى خلقه وترجع الى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تعالى في محابه والطريق الى ذلك
الا بتحقيق العبودية ظاهرا وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاعمال التي هي تفاصيل هذا
الاصل فهي بضعة وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن
الطريق وبين هذين الشعبتين التي مرجعها الى تصديق الرسول في كل ما اخبر به وطاعته
في جميع ما امر به ايجابا واستحبابا واجتناب ما نهى عنه تحريما وكراهة وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين رواه
البخاري ومسلم وغيرهما وفي حديث ابي هريرة ايضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبت
النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم حفت بدل حجبت
وفي حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات رواه مسلم والترمذي وقد ثبت ان مفتاح الجنة كلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقد اخرج الامام احمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا مفتاح
الجنة شهادة ان لا اله الا الله قال الحافظ ابن رجب في كتابه التوحيد في سنده انقطاع وفي صحيح
البخاري عن وهب بن منبه انه قيل له اليس مفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله
اسنان فان اتيت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح وفي صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه
قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب
يقظان فقالوا لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله مثل رجل بنى دارا وجعل فيها

مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل
من المأدبة فقالوا اوّلوها يفقهها فقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فالدار الجنة والداعي محمد
فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس ورواه الترمذي بنحوه
بلفظ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي
فذكر نحو ما تقدم وفيه فالله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وانت يا محمد رسوله فمن اجابك
دخل الاسلام دخل الجنة واكل مما فيها مصونة اي جنة النعيم محفوظة ومحمية عن سائر اي جميع
الكفار سواء كان كفرهم بالشرك او الجحود او انكار النبوات او انكار احد من الانبيا او استحلال ما علم
تحريمه او تحريم ما علم حله من الدين بالضرورة او جحود ما علم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به بالضرورة
او انكار المعاد الجسماني او جحود الكتاب المنزل او شيا منه او ملكا من الملائكة او انتقاص ملك او
نبي ونحو ذلك فالجنة لا تدخلها الا نفس مؤمنة باجماع اهل الحق واما اهل الكفر والجحود فهم في نار جهنم
كلما مر عليهم زمن او كد لهم الخلود فلا يفتر عنهم العذاب ولا ينقطع ولا ان بكا احدهم واستغاث
ينتفع فعذابهم متواصل في دار الهوان بما كانوا يكفرون كما قال تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم
خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقال تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها وقال لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون والايات في مثل هذا كثيرة و
سال الحسن البصري ابا برزة عن اشد آية في كتاب الله تعالى على اهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فقال هلك القوم بمعاصيهم لله عز وجل اخرجه ابن ابي حاتم وفيه
ضعف وكذا البيهقي وقال الحراعرفه وفي القرآن العظيم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة الى قوله تعالى وذلك هو الفوز العظيم فاشعرت الاية الكريمة بخطر النفس الانسانية وعظم
مقدارها عند ربها فان السلعة اذا خفي عليك قدرها فانظر المشتري لها من هو وانظر الى الثمن
المبذول فيها ما هو وانظر الى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس والله تعالى المشتري لها
والثمن جنات النعيم والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة واكرمهم عليه وخيرهم من البشر واكرمهم
عليه وفي جامع الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج
ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة قال الترمذي حديث حسن غريب
وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بلالا ينادي في الناس انه
لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وفي لفظ مؤمنة وفي مسلم عن ابن عمر لابن الخطاب رضي الله عنهما وذكر الحديث وفيه
يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون وفي البخاري معناه وفي كتاب صفة الجنة

مصونة عن سائر الكفار

لابي نعيم من حديث ابان عن انس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول الجنة قال
لا اله الا الله قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه حادي الارواح وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة
وتصوم رمضان قال والذي نفسي بيده لا ازيد على هذا شيا ابدا ولا انقص منه فلما ولى قال صلى الله عليه وسلم
من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا وفي مسلم عن جابر رضي الله عنه قال اتى النعمان بن قوقل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت اذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام واحللت الحلال ادخل الجنة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وفي صحيح مسلم ايضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وفي مسند الامام احمد وسنن ابي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد قال لا اله الا الله دخل الجنة وفي الصحيحين عن ابي ذر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني آت من ربي فاخبرني او قال فبشرني انه من مات من امتك
لا يشرك بالله شيا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وفي الصحيحين ايضا عن
عتبان بن مالك الانصاري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم النار على من قال لا اله الا الله
يبتغي بذلك وجه الله وفي هذا عدة احاديث تزيد على حد التواتر واجزم جزم اليقين وعرفانه وتصديق
واذعان بان النار وما فيها من انواع العذاب والهوان بالبوار والخزي والهوان والاغلال والعقارب والبغال
ونحوها موجود الآن ومن قبل الآن كما ان الجنة وما فيها من الولدان والحور والنعيم والجنى والحلل و
الينجاد والفواكه والدور والقرش والقصور وجميع ما اشتملت عليه من انواع الملاذ والسرور موجود
الآن ومن قبل الآن فالنار هي وجودها الآن كالجنة فهما موجودتان قال الامام المحقق في كتابه
حادي الارواح لم يزل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم والتابعون وتابعوهم واهل السنة
والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام واهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك واثباته مستندين في ذلك
الى نصوص من الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من اخبار الرسل كلهم من اولهم الى اخرهم فانهم دعوا الامم
اليها واخبروا بها الى ان نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فانكرت ان تكون الجنة كالنار الآن مخلوقة
وقالوا بل الله ينشيهما يوم المعاد وحملهم على ذلك اصلهم الفاسد الذي وضعوه برايهم فيما يفعله الله
وانه ينبغي له ان يفعل كذا ولا ينبغي له ان يفعل كذا وقاسوه سبحانه على خلقه في افعاله فهم مشبهة في
الافعال ودخل التحريم فيهم فصار وامع ذلك معطلة في الصفات وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث
فانهما يصيران معطلتين مدة امتطاولة ليس فيهما ساكنهما قالوا ومن المعلوم ان ملكا لو اتخذ دارا

واجزم بان النار كالجنة في وجودها الآن

واعد فيها الالوان والاطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم مداخلها قرونا متطاولة
لم يكن ما فعله واقعا على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلا الى الاعتراض عليه فجروا على الرب تعالى بعقولهم
الفاسدة وآرائهم الباطلة وشبهوا افعاله بافعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة
التي وضعوها وحرفوها عن مواضعها وضيعوها وضلوا كل من خالف بدعتهم هذه القبيحة
وبدعوا من انصرف عن شرعتهم هذه الفضيحة والتزموا لها لوازم اضحكوا عليهم فيها العقلاء
وقبح عليهم رأيهم بسببها النبلاء ولهذا صار السلف الصالح ومن نحى نحوهم يذكرونه في عقايدهم ان الجنة
والنار مخلوقتان ويذكرون في مصنفات المقالات ان هذه مقالة اهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون
منهم الامام ابو الحسن الاشعري امام كل الاشعرية في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين وفيه
ان الجنة والنار مخلوقتان وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها الجنة كما في الصحيحين
من حديث انس رضي الله عنه في صفة الاسراء وفي آخره ثم انطلق بي جبريل حتى اتى سدرة المنتهى فغشيها
الوان ما ادري ما هي قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها حنابذ اللؤلؤ واذا تربها المسك وفي الصحيحين ايضا
من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده
بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك
حتى يبعثك الله يوم القيمة وقد رأى صلى الله عليه وسلم الجنة في صلاة الكسوف حتى هم ان يتناول عنقودا
من عنبها ورأى النار فلم ير منظرا افضع من ذلك وهذا في الصحيحين ايضا وفي مسند الامام احمد
وسنن ابي داود والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في قصة ذلك وفيه لقد ادنيت الجنة حتى لو بسطت
يدي لتعاطيت من قطوفها ولقد ادنيت النار مني حتى لقد جعلت اتقيها خشية ان تغشاكم
الحديث وفي صحيح مسلم من حديث انس رضي الله عنه ان صلى الله عليه وسلم قال لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا قالوا وما رأيت يا رسول الله قال رأيت الجنة والنار وفي مسند الامام احمد وصحيح مسلم والسنن
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة والنار ارسل جبريل الى
الجنة فقال اذهب فانظر اليها والى ما اعددت لاهلها فيها فذهب فنظر اليها والى ما اعد الله لاهلها فيها فرجع
وقال بعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فامر بالجنة فحفت بالمكاره فقال ارجع فانظر اليها والى ما اعددت
لاهلها فيها قال فنظر اليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد ثم ارسله الى النار فنظر
اليها يركب بعضها بعضا فقال لا يدخلها احد فلما حفت بالشهوات قال وعزتك لقد خشيت ان لا ينجو
منها احد الا دخلها قال الترمذي حديث حسن صحيح ودخوله صلى الله عليه وسلم ورؤيته نهر الكوثر
وقصور الجنة وحورها وثمارها ودورها وقصة آدم وخروجه منها واضعاف اضعاف ما ذكرناه

من الادلة

من الادلة القطعية التي يفوت عدها ويتعسر حدها ويعلم المنصف ان العدول عن مضمونها مكابرة ورد
للاخبار المتواترة والله تعالى اعلم واجزم ايضا بانها اي النار لم تفن اي لم تهلك وتبيد قال في القاموس
تلف كفرح هلك واتلفه افناه والمتلف كالمعقد المهلك يعني ان النار لا تفنى ولا يفنى ما فيها كالجنة وما فيها
قال الامام المحقق في حادي الارواح اما ابدية الجنة وانها لا تفنى ولا تبيد فمما يعلم بالاضطرار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر به قال الله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع ولا اثنا في بين هذا وبين قوله الا ما شاء ربك
نعم اختلف السلف في هذا الاستثناء فقال الضحاك هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يعني
سبحانه انهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والارض الا مدة مكثهم في النار وقالت فرقة العزيمة
وقعت لهم من الله بالخلود الدايم الا ان يشاء الله خلاف ذلك اعلاما لهم بانهم مع خلودهم في مشيئة وهذا
كما قال لنبيه ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وقوله فان يشا الله يختم على قلبك وقوله
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ونظائر ذلك مما يخبر به سبحانه عباده ان الامور كلها بمشيئته ما شاء
كان وما لم يشأ لم يكن وقالت فرقة اخرى المراد مدة دوام السموات والارض في العالم فاخبر سبحانه
انهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والارض الا ما شاء الله ان يزيدهم عليه وكان هذا قول من قال
ان الا بمعنى سوى وهذا قول ابي عبيدة فانه قال المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء الله تعالى
ان يزيدهم من الخلود على مدة العالم وقالت فرقة اخرى المراد بالسموات والارض سماء الجنة وارضها
وهما باقيتان ابدا وقيل غير ذلك وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يجاء بالموت في صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا اهل الجنة فيطلعون مشفقين
ويقال يا اهل النار فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة
والنار ويقال يا اهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا اهل النار خلود ولا موت فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون واشار بيده الى الدنيا وفي لفظ للبخاري
وهم في غفلة وهؤلاء في غفلة اهل الدنيا وهم لا يؤمنون اخرجه في المنتقى وفي الصحيحين في هذا الحديث
فاذا قيل لهم هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح قوله
فيشرئبون هو بفتح اوله وسكون الشين المعجمة وفتح الراء بعدها الخشبة المعوجة ثم موحدة مشددة اي
يمدون اعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر وفي الصحيحين ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يدخل اهل الجنة واهل النار ثم يؤتى بينهم يا اهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت كل خالد فيما هو
فيه وفي رواية عنه عندهما فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم

وفي هذا عدة احاديث عن ابي هريرة عند الحاكم وابن ماجه وعن انس عند ابي يعلى والبزار والطبراني وفيه
فيذبح كما يذبح الشاة فيما من هولاء وينقطع رجاء هولاء فثبت بما ذكرنا من الايات الصريحة والاخبار
الصحيحة خلود اهل الدارين خلودا مؤبدا لكل منهما هو فيه من نعيم وعذاب اليم وعلى هذا اجماع اهل
السنة والجماعة فاجمعوا ان عذاب الكفار لا ينقطع كما ان نعيم اهل الجنة لا ينقطع ودليل ذلك الكتاب
والسنة وزعمت الجهمية ان الجنة والنار تفنيان وقال هذا امامهم جهم بن صفوان امام المعطلة
وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا احد من ائمة الدين ولا قال به احد من اهل السنة
نعم حكى بعض العلماء في ابدية النار قولين وحاصل ذلك كله سبعة اقوال احدها قول الخوارج والمعتزلة
ان من دخل النار لا يخرج منها ابدا بل كل من دخلها يخلد فيها ابد الآباد الثاني قيل ما يقول ان اهلها
يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم وهذا قول
محيي الدين ابن عربي الطائي في كتابه فصوص الحكم وغيره من كتبه الثالث قول من يقول ان اهل
النار يعذبون فيها الى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها غيرهم آخرون وهذا القول حكاه اليهود
للنبي صلى الله عليه وسلم فاكذبهم فيه وقد اكذبهم الله تعالى ايضا في قولهم وقالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة
واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فهذا القول انما هو قول اعداء الله
اليهود فهم شيوخ ارباب والقائلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين
وائمة الدين على فساده الرابع قول من يقول يخرجون منها وتبقى نار ليس فيها احد يعذب
ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية عن بعض اهل الفرق قال والقرآن والسنة يردان هذا القول الخامس
قول من يقول تفنى النار بنفسها لانها حادثة كانت بعد ان لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه
وابديته وهذا قول جهم ابن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار السادس قول من يقول
تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادا لا يتحركون ولا يحسون بالم وهذا قول ابي الهذيل العلاف
احد ائمة المعتزلة طردا لامتناع حوادث لا اغاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم السابع
قول من يقول ان الله تعالى يفنيها لانه تعالى علم زعم ارباب هذا القول جعل الخلق امدا
تنتهي اليه ثم تفنى ويزول عذابها قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين
وشيخ الاسلام وتلميذه الامام المحقق ميل الى هذا القول وذكر على تاييده بضعا وعشرين وجها
ثم قال وما ذكرناه في هذه المسئلة من صواب فمن الله وهو المادة به وما كان من خطا فمني ومن الشيطان
والله ورسوله بريئان منه والله عنده لسان كل قايل وقصده والله اعلم انتهى وقد الف العلامة

الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها قيف الفريقين على خلود اهل الدارين تنبيه
ذهب جمع الى ان الموت عرض ومعنى والاعراض لا تنقلب اجساما بل زعم بعضهم ان الموت عدم محض
وبه قال الزمخشري واجابوا عن قوله تعالى خلق الموت والحياة بان الخلق في هذه الاية التقدير قاله قيل
فعلى هذا كيف ياتي الموت بصورة كبش فيذبح فاجاب نقل الحكيم الترمذي ان مذهب السلف في
هذا الحديث الوقوف عن الخوض في معناه فوض معرفته وتكل علمه الى الله واجاب بعض اهل العلم ان
لعل هذا الكبش صورة ملك الموت من الملائكة الذين يقبضون ارواح الخلايق والا فالموت في نفسه
عدم محض راجع الى سلب الحياة او هو استعارة وكناية عن الخلود الدايم فضرب المثل بالموت ولا
موت هناك حقيقة انتهى وذهب جماعة الى ان الموت جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش
والحياة في صورة فرس قال الامام ابو الحسن الاشعري الموت امر وجودي لقوله تعالى خلق الموت و
الحياة والعدم لا يخلق كل هذا ملخص من كلام الشيخ مرعي رحمه الله تعالى وقال النووي في شرح مسلم
يتاول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم ثم يذبح مثالا لان الموت لا يطرى على اهل الاخرة قلت
وهذا غير مرضي ولا معول عليه والدليل على ان الموت جسم في صورة كبش ما اخرج ابن ابي حاتم
في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى خلق الموت والحياة قال الحياة فرس جبريل والموت كبش املح وقال
مقاتل والكلبي خلق الموت في صورة كبش لا يمر على احد الا مات وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على احد
الا حيي واخرج ابو الشيخ بن حيان في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال خلق الله الموت كبشا املحا
مستقبل الجنة وبياض له اربعة اجنحة جناح تحت العرش وجناح في الثرى وجناح في المغرب وجناح
في المشرق قال الزكي فكان ثم قال له ابرز فيما بين اعين اسرافيل قلت الذي يذهب اليه ان الموت امر وجودي
وانه جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش املح وان الحياة في صورة فرس كما صح بذلك الاخبار
عن النبي المختار ونقلها الائمة الابرار ورد وتها الجهابذة الكبار على انه كثير من العلماء اشاروا الى ان جميع
المعاني المعقولة عندنا مصورة عند الله تعالى بصور الاجسام ومشخصة بهيئة الاشخاص وان
كنا لا نحس ذلك لكوننا محجوبين عنه والاحاديث النبوية ناطقة بذلك شاهدة له فانه قد ورد عدة
اخبار ان الاعمال تتصور في صورة اشخاص الاسلام والصلاة والصيام والمعروف والذكر فهذا كله
يدل على ما ذكرنا وبالله التوفيق **فائدة** ذكر في الدرر السافرة ان عند اسماعيل بن زياد الشامي
في تفسيره ان الذي يتولى ذبح الموت جبريل عليه السلام وقيل يحيى بن زكريا عليهما السلام والله اعلم **تتمة**
في ذكر مكان الجنة والنار وان بهما على مقتضى الاثار اعلم ان الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن
كما قال جل شانه في محكم القرآن ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى

وقد ثبت ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة وسميت بذلك لانها ينتهي اليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها
وما يصعد اليه فيقبض منها وقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون قال ابن ابي نجيح عن مجاهد
هو الجنة وتلقاه الناس عنه وذكر ابن المنذر في تفسيره عن مجاهد قال هو الجنة والنار وقد اخرج ابو نعيم
عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قال الكريم خليقة الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ان الجنة في السماء وروى
ابو نعيم ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الجنة في السماء السابعة ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم
القيمة وجهنم في الارض السابعة وروى ابو مندة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الجنة في السماء
الرابعة فاذا كان يوم القيمة جعلها الله حيث شاء والنار في الارض السابعة فاذا كان يوم القيمة جعلها الله
حيث شاء وقال مجاهد قلت لابن عباس رضي الله عنهما اين الجنة قال فوق سبع سموات قلت فاين النار
قال تحت سبعة ابحر مطبقة رواه ابن مندة وثبت في الصحيحين ان صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وهذا يدل على انها في غاية العلو والارتفاع وفي لفظ لهذا
الحديث الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض اعدها الله للمجاهدين في سبيله
وشيخ الاسلام ابن تيمية يرجح هذا اللفظ وهو لا ينفي ان تكون درجات الجنة اكثر من ذلك كما في قوله
صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة اي من جملة اسمائه هذا العدد
فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين ويدل على هذا ان منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا
كله في درجة الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة بناها آحاد امته بالجهاد وقال في حادي الارواح
والجنة مقببة اعلاها اوسعها ووسطها وهو الفردوس وسقفه العرش كما قاله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح اذا سالتم الله فاسئلوه الفردوس فانه وسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن
ومنه تفجر انهار الجنة قال في حادي الارواح قال شيخنا ابو الحجاج المزي الحافظ والصواب رواية
من رواه فوقه بضم القاف على انه اسم الظرف اي وسقفه عرش الرحمن فانه قيل فالجنة جميعها تحت العرش
والعرش سقفها فان الكرسي وسع السموات والارض والعرش اكبر منه فالجواب كما قاله العرش اقرب
الى الفردوس مما دونه من الجنان بحيث الجنة فوقه دون العرش كما سقفه الذي دون ما تحته من الجنان لعظم
سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من ادناها الى اعلاها بالتدريج شيئا فشيئا درجة فوق درجة
كما يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فان منزلتك عند آخر آية تقرأها وهذا يحتمل شيئا غاية تكون منزلته
عند آخر حفظه واما يكون عند آخر تلاوته لمحفوظه والله اعلم واخرج ابو نعيم في تاريخ اصبهان عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جهنم محيطة بالدنيا واما الجنة وراءها فلهذا كان
الصراط على جهنم طريقا الى الجنة واخرج حويبر في تفسيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه

من اين يجاء بجهنم يوم القيمة قال يجاء بها من الارض السابعة لها سبعون الف زمام معلق كل زمام
بسبعين الف ملك تصيح الي اهلي الي اهلي فاذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة
فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه يقول رب نفسي نفسي واخرج الامام احمد والبيهقي
بسند رجاله ثقات عن علي بن امية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البحر هو جهنم واخرج الامام
احمد ايضا والزهد عن سعيد بن ابي الحسين قال البحر طبق جهنم واخرج ابو الشيخ في العظمة والبيهقي
من طريق سعيد بن المسيب عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ما رأيت يهوديا اصدق منه فلا زعم ان
نار الله الكبرى هي البحر فاذا كان يوم القيمة جمع الله الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسعرته
واخرج ابو الشيخ عن كعب في قوله تعالى والبحر المسجور قال البحر يسجر فيصير جهنم واخرج البيهقي في
شعب الايمان عن وهب انه قال اذا اقامت القيامة امر بالغلق فيلتفت عند سقر وهو غطاؤها فيخرج منه
نار فاذا وصلت الى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته اسرع من طرفة العين وهو حاجز
بين جهنم والارضين السبع فاذا نشف اشتعلت في الارضين السبع فتدعهن جمرة واحدة وقيل
ان النار في السماء كالجنة لما مر وروى الامام احمد من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اتيت بالبراق فلم تر اد طرفة عين انا وجبريل حتى اتيت بيت المقدس وفتحت لنا ابواب السماء و
رايت الجنة والنار واخرج ابضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رايت ليلة اسري بي الجنة والنار في السماء
فقرات هذه الاية وفي السماء رزقكم وما توعدون فكاني لم اقراها وليس في هذا ونحوه حجة على ان
النار في السماء لجواز ان يراها في الارض وهو في السماء وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست
الجنة في الارض وثبت انه صلى الله عليه وسلم راآها وهو في صلاة الكسوف وهو في الارض قال الحافظ
ابن رجب وحديث حذيفة ان ثبت وفيه انه رأى الجنة والنار في السماء فالسماء ظرف للرؤية
لا للمرئي وفي حديث ضعيف جدا انه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار فوق السموات فلو صح حمل على
ما ذكرنا والحاصل ان الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش وان النار في الارض السابعة على
الصحيح المعتمد وبالله التوفيق ولما انهى الكلام على الجنة والنار وصح وجودهما الآن وبقاؤهما
ابدا بلا نهاية ولا حساب وبرهن على ذلك وعلى مكانهما اعقب ذلك بقوله فنسئل الله العظيم رب
العرش العظيم النعيم المقيم في جنات النعيم بانواع ملاذها ونعيمها مع كراعيمها وحورها في خيامها
وقصورها وعرصاتها ودورها ولذة عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونسئل الله
العظيم الحليم الجواد الكريم النظر لوجهه ورضاه وخالقناوهادينا الكريم مع اهل الطاعة ولما استقامة
والفوز والنجاة يوم القيمة من غير ما زاده المزيد النفي اي من غير شين اي عذاب ومناقشة حساب

فنسئل الله النعيم والنظر
لوجهه من غير ما يشين غير

وتوبيخ وعتاب والشين ضد الزين فاله ما حصل له شيء مما ذكر يذهب زينه ويخلقه شينه والشائن
العايب عبر بفتح العين المعجمة والباء الموحدة اي ذهب والمراد سبق يعني ما عبر سابق عذاب
ومناقشة حساب يقال عبر عبورا كمكث وذهب فصل وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يجادر
فيما عبر من السورة اي يسرع في قراتها قال في النهاية قال الازهري يحتمل العابر ها هنا الوجهين
يعني الماضي والباقي فانه من الاضداد قال وقال غير واحد من الائمة انه يكون بمعنى الماضي والحاصل
انه سال الله تعالى ان يمن عليه بالنعيم والتنعم بالنظر الى وجهه الكريم من غير سابقة عذاب ولا مناقشة
حساب وقد تقدم بعض ما تضمنه من ذكر النعيم المقيم واما النظر الى مولانا الكريم فهو من اصول
اهل الحق خلافا لاهل الضلال والحمق ومن ثم قال فانه سبحانه وتعالى ينظر بالابصار في دار
المقامة والقرار باتفاق ائمة الدين الابرار وسلف الائمة الاخيار كما اني جاء في النص القراني
والتنزيل الرحماني اصل النص اقصى الشيء وغايته وفي حديث كعب يقول للجبار احذر وقفي فاني لا اناص
عبد الا عذبته اي لا استقصي عليه في السؤال والحساب وروى الخطابي عن عوف بن عبد الله مثله
ومنه قولهم النص عليه ان ورد النص اي ما دل ظاهر لفظها عليه من الاحكام وفي كلام عمرو بن دينار
ما رايت رجلا انص للحديث من الزهري اي ارفع له واسند وكما اني في الاخبار النبوية والاثار السلفية
واجمع عليه اهل الحق وسلف الامة واهل الصدق واعلام الائمة ورؤية الرب العالمين اعظم
واجل واشرف واتم نعيم الجنة وقدر اوعلاه واغلاه خطرا واعمها وهي الغاية القصوى والنهاية العظمى
التي شمر اليها السابقون وتنافس فيه المتنافسون واتفق عليه الانبياء والمرسلون والصحابة
والتابعون وائمة السلف والدين على ثبوتها في دار القرار من غير شك ولا انكار وانما انكرها
اهل البدع والضلال والتجهم والاعتزال قال الله تعالى في محكم الذكر وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة وقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال في حق اهل الكفر والفجور كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال تعالى ولدينا مزيد واخرج مسلم والترمذي وابن ماجه عن صهيب
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا ازيدكم
فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا
شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلى هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة يعني انه يرفع
الموانع عن الادراك عن ابصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال فذكر الحجاب
انما هو في حق الخلق لا الخالق كذا قال القرطبي في تذكرته واخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبعث يوم القيمة مناديا ينادي بصوت يسمعه

فانه ينظر بالابصار كما اتى في النص والاخبار

اولهم

اولهم واخرهم يا اهل الجنة ان الله وعدكم الحسنى وزيادة الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن واخرج
ابن جرير وابن مردويه ايضا واللالكائي في السنة عن كعب بن عجرة مرفوعا مثله واخرجوا ايضا وابن ابي حاتم
مثله عنه مرفوعا وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله وابن مردويه
ايضا وابو الشيخ واللالكائي عن انس رضي الله عنه مرفوعا الحسنى والزيادة كالذي قبله سواء ومن حديث
ابي هريرة كذلك رواه ابو الشيخ وعن الصديق رضي الله عنه موقوفا مثله رواه ابن جرير وابن مردويه
وابن المنذر وابو الشيخ واللالكائي والاجري وابن مردويه عن علي رضي الله عنه رواه ابن مردويه وعن
حذيفة رضي الله عنه رواه ابن جرير وابن المنذر وابو الشيخ واللالكائي والاجري وكذا عن ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ومثله عن سعيد بن المسيب
والحسن البصري وعبد الرحمن بن ابي ليلى وعامر بن سعد البجلي وابي اسحق السبيعي وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة
ومجاهد وقتادة وغيرهم من التابعين قال الامام الحافظ البيهقي في كتابه الرؤية هذا تفسير قد استفاض
واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين ومثله لا يقال الا بتوقيف وفسر قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة قال ابن عباس رضي الله عنهما حسنة الى ربها ناظرة قال تنظر الى خالقها وقال عكرمة ناضرة من
النعيم الى ربها ناظرة قال تنظر الى الله نظرا وقال الحسن ناضرة الحسن الى ربها ناظرة نظرت الى ربها فنظرت
بنوره وقال كعب النظر في نضرة تلك الوجوه وحسنها للنظر اليه ومثله عن مجاهد واخرج ابن ابي حاتم
واللالكائي عن الحسن في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال اذا كان يوم القيمة بسر ربنا تبارك وتعالى
فيرى الخلق ويحجب الكفار فلا يرونه وروى اللالكائي عن اشهب قال سال رجل مالكا هل يرى المؤمنون
ربهم يوم القيمة فقال مالك لما تحير المؤمنون ربهم يوم القيمة لم يعاقب الكفار بالحجاب فقال لا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قيل فما قولك انت الله لا يرى فقال مالك السيف السيف واخرج
اللالكائي عن المزني قال سمعت الشافعي يقول في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيه دلالة
على ان اولياء الله يرونه ربهم يوم القيمة ونقل ذلك عن الامام الشافعي رضي الله عنه من عدة وجوه وقال
الطبراني قال علي بن ابي طالب وانس بن مالك رضي الله عنهما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
هو النظر الى وجه الله عز وجل وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره كما في حادي الارواح فبهذه
تفاسير هذه الايات مسندة الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين لغة بلغت مبلغ التواتر عند ائمة
الحديث واما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في الرؤية فاخرج اللالكائي في السنة من طريق
فضيل بن عمار قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح
وقد ورد ذلك من حديث الصديق وانس وجابر وجرير البجلي وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وصهيب

سمعت

وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمر وابن مسعود ولقيط بن عامر وابي ابن رزين وعلي بن ابي طالب
وعدي بن حاتم وعمار بن ياسر وفضالة بن عبيد وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وبريدة بن الحصيب
الاسلمي رضي الله عنهم اجمعين وفي البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة رضي الله عنه انا ناسا قالوا يا
رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر
قالوا لا يا رسول الله قال فتضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك الحديث
وفي الصحيحين وغيرهما عن جرير البجلي رضي الله عنه قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر
ليلة اربعة عشر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته فان استطعتم ان لا
تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و
قبل الغروب وقد عدد في حادي الارواح رواة من روى رؤية الباري عز وجل فزادوا على الحد
قال العلما كان التشبيه للرؤية وهو فعل الراي لا المرئي والمعنى ترون ربكم رؤية يتزاح معها الشك
وتنتفي معها الريبة كرؤيتكم القمر لا ترتابون ولا تمترون وفي لفظ لا تضامون وروي بتخفيف الميم وضم
اوله من الضير اي لا يلحقكم في رؤيته ضير ولا مشقة وبتشديدها والفتح على حذف احدى التائين
والاصل لا تتضامون اي لا ينضام بعضكم بعضا كما يفعل الناس في طلب الشيء الخفي الذي لا يسهل ادراكه
فيتزاحمون عند ذلك ينظرون الى جهة بعضهم بعضا يريد انكم ترونه وكل واحد في مكانه وفي
الصحيحين وغيرهما ايضا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة
صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله
قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيمة الا كما تضارون في رؤية احدهما الحديث
واخرج الترمذي عن سعيد بن المسيب انه لقي ابا هريرة فقال ابو هريرة اسال الله ان يجمع بيني
وبينك في سوق الجنة قال سعيد فيها سوق قال نعم اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة
اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا فيزورون ربهم
ويبرز لهم عرشه ويتبدا لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر
من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس ادناهم وما فيهم دني على كثبان
المسك والكافور وما يرون ان اصحاب الكراسي بافضل منهم مجلسا قلت يا رسول الله وهل نرى
ربنا قال نعم هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تمارون في رؤية ربكم
ولا يبقى في ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلانة اتذكر يوم قلت

كذا وكذا

كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب افلم تغفر لي فيقول بلى بسعة مغفرتي بلغت منزلتك
هذه الحديث والاحاديث في ذكر كثيرة جدا في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها وقد قيل لابن عباس
رضي الله عنهما هل دخل الجنة يرى الله تعالى عز وجل قال نعم وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه يحير الناس
يوم القيمة في صعيد واحد فينادي اين المتقون فيقومون في كنف الرحمن لا يحتجب الله عنهم ولا يستتر
فقيل لم المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان واخلصوا لله العبادة فيمرون الى الجنة ولهذه
الاخبار اشار ربنا بقوله لانه اي الرب سبحانه وتعالى لمحجبون بضم الخاء المشددة وسكون الجيم وفتح الجيم
مبنيا للمالم يسم فاعله اي يمتنع سبحانه من ان يمكن عباده من رؤيته في دار القرار الا عن الكافر بالله تعالى
وبكل ملكر اتصف به فكل من حكم الشرع بكفره فهو محجوب عن رؤية ربه قال علي بن المديني سالت عبد الله
ابن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال ما حجب الله عز وجل احدا عنه الا عذبه ثم قرأ كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون قال الشافعي لما حجب قوما بالسخط
قوم ان المعتزلة ينكرون بهذه الاحاديث ان الله ينزل الى السماء الدنيا واهل الجنة يرون ربهم فحدثني
بنحو عشرة احاديث في هذا وقال انا نحن فقد اخذنا ديننا هذا عن التابعين والتابعون اخذوه عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن اخذوه وقال عقبة بن قبيصة استانا ابا نعيم يوما فنزل الينا من
الدرجة التي في داره فجلس وسطها كالمغضب وقال حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري
وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي وهؤلاء ائمة اجلاء
يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يرى في الاخرة حتى ان الجهمي
يزعم ان الله لا يرى يعني بشر المريسي وقال عبد العزيز بن ابي سلمة الماجشون لم يزل يبلغنا لهم يعني المبتدعة
من الجهمية واضرابهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقالوا
لا يراه احد يوم القيمة فجحدوا والله افضل كرامة الله التي اكرم بها اولياءه يوم القيمة النظر الى وجهه
الكريم ونظره اياهم في معاد صدق عند مليك مقتدر فوربك السماء والارض ليجعلن رؤيته
يوم القيامة للمخلصين نوابا يضربها وجوههم دون المحرمين ويفتح بها على اهل الجاحدين
وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا انه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم
ولذا قلنا ونحن الضعاف المذنبون برؤيته وبتكليمه لعباده المتقين وكما اشار اليه الامام عبد الله بن المبارك
في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون
قال بالرؤية كما ذكره ابن ابي الدنيا وقال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه من لم يقل بالرؤية فهو جهمي
وقال وقد بلغه عن رجل قال ان الله لا يرى فغضب غضبا شديدا وقال من قال ان الله لا يرى في الاخرة

في الاخرة

لا انه سبحانه لمحجوب عن رؤية الكافر والمذنب

هو كافر وقد كفر على لعنة الله وغضبه كافرا من كافرا من الناس انيس يقول الله عز وجل وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال ابو داود سمعت الامام احمد يقول
من قال ان الله لا يرى في الاخرة فهو كافر وقال ابو بكر المروذي قيل لابي عبد الله رضي الله عنه نعرف عمار بن يزيد
ابن هرون عن العطوف عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه انه استقر الجبل فسوف تراني وانا لم يستقر
فلا ترائي في الدنيا ولا في الاخرة فغضب ابو عبد الله غضبا شديدا حتى تبين في وجهه وكان قاعدا والناس
حوله فاخذ نعله وانتعل وقال اخزى الله هذا لا ينبغي ان يكتب عنه هذا ودفع عمار بن يزيد بن هرون
رواه او حدث به وقال هذا جهمي كافر مخالف لما قال الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
وقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون يخزي الله هذا المحدث وقال الامام احمد ايضا من كذب
بالرؤية فهو زنديق قال رضي الله عنه نؤمن بها اي الرؤية واحاديثها ونعلم انها حق نؤمن بها بلا كيف
نرى ونرى ربنا يوم القيمة لا نشك فيه ولا نرتاب وقال من زعم ان الله لا يرى في الاخرة فقد كفر بالله
وكذب بالقرآن وردّ على الله امره يستتاب فان تاب والا قتل وقال في رواية حنبل وسألته عن احاديث
الرؤية فقال هذه احاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها وكلما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد
جيد اقررنا به وقال ابو عبد الله اذا لم نقر بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله
امره قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا **فوائد** الاولى قال العلامة
ابن حمدان في كتابه نهاية المبتدين كسائر علماء السنة ويجزم بان المؤمنين يرونه ربهم تعالى يوم القيمة
بالابصار ويكلمهم على ما يليق به فيهما ولا يراه الكفار ولا يكلمهم قال ومن انكر الرؤية كفر نص عليه
الامام احمد انتهى وفي حادي الارواح الرب سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو
الذي فهمه الصحابة والائمة رضي الله عنهم من قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال
ابن عباس رضي الله عنهما لا تدركه الابصار ولا تحيط به الابصار وقال قتادة هو اعظم من ان تدركه
الابصار وقال عطية ينظرون الى الله ولا تحيط ابصارهم به من عظمته وبصره تعالى يحيط بهم فذلك
قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فالمؤمنون يرونه ربهم تبارك وتعالى بابصارهم
عيانا ولا تدركه ابصارهم بمعنى انها لا تحيط به اذا كان غير جائز ان يوصف الله عز وجل بانه شيء
لا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلامه من شاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه فقوله تعالى
لا تدركه الابصار من اثبت شيء على انه يرى ولا يدرك فهو لعظمته تعالى عن ان تدركه الابصار
ولا تحيط به للطفه وخبرته بدرك الابصار فلا يخفى عليه شيء فهو عظيم في لطفه اللطيف في عظمته
العالي في قربه القريب في علوه الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار

وهو اللطيف الخبير انتهى ملخصا **الثانية** ذهب جماعة من العلماء منهم الحافظ عماد الدين ابن كثير الى ان
الناس لا يرون الله تبارك وتعالى في الاخرة وذهب جماعة ايضا منهم العز بن عبد السلام وتبعه صاحب
اكام المرجان وابن جماعة الى ان الملائكة لا يرون الله تبارك وتعالى في الجنة وهذا خلاف التحقيق
فان النص الصريح والخبر الصحيح يردهذا ويبعده ويبطله ويدحضه ويطرده فعند الدارقطني
مرفوعا اذا كان يوم القيمة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فاحدثهم عهدا بالنظر البه يوم الجمعة قال
ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم الاضحى اي في مثل يوم الفطر ويوم الاضحى وعموم الاحاديث
الصحيحة شاملة للنساء من غير توقف واخرج الاجري عن عكرمة قال قيل لابن عباس رضي الله عنهما
كل من يدخل الجنة يرى الله تعالى قال نعم واخرج ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية رب ارني انظر اليك قال يا موسى انك لن ترى في احد الا مات ولا يابس الا تدهده
ولا رطب الا تفرق وانما يرى اهل الجنة الذين لا تموت اعينهم ولا تبلى اجسادهم وبظاهر حديث
الدارقطني اخذ ابن كثير فاختار انه الناس يرون ربهم في الاعياد دون الجمع وبه جزم الحافظ السيوطي لكنه
يحتاج الى دليل خاص اقوى من حديث الدارقطني واستثنى الحافظ السيوطي زوجات الانبياء عليهم السلام
وبناتهم فيرينه تعالى غير في الاعياد كما انه ابا بكر وعمر يراه تعالى ازيد من غيرهما من غير الانبياء عليهم الصلاة
والسلام قلت ومريم ابنة عمران وامرأة فرعون ينبغي ان يكونا من المستثنيات وكذا نحوهما كام موسى واخته
والله اعلم وفي آخر الدرر السافرة للحافظ السيوطي وقع في كلام بعض الائمة ان رؤية الله تعالى خاصة بالمؤمنين
البشر وان الملائكة لا يرونه واحتج له بقوله تعالى لا تدركه الابصار فانه عام خصوصه بالاية والاحاديث
في المؤمنين فيبقى على عمومه في الملائكة قال السيوطي وقد نص البيهقي على خلافه فقال في كتاب الرؤية
ذكر ما جاء في رؤية الملائكة ربهم فاخرج عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خلق الله
الملائكة اجناسا اجناسا منهم ملائكة قيام ما صافين منذ يوم خلقهم الى يوم القيمة وملائكة ركوعا
خشوعا منذ يوم خلقهم الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة تجلى لهم تبارك وتعالى فاذا نظروا الى وجهه
الكريم قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ثم اخرج من وجه آخر عن علي بن ارطاة عن رجل
من الصحابة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم
ملك ما تقطر دمعة من عينه الا وقعت ملكا يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض
لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة تجلى لهم ربهم فينظرون اليه قالوا
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك كما ينبغي لك انتهى والحق الذي لا مرية فيه انهم يرونه تعالى ويؤمنوا
الجن يرونه اما في الموقف فجزما مع سائر المؤمنين واما في الجنة ففي بعض الاوقات على ما يظهر

بل الظاهر انهم يرونه الا انهم دوون المؤمنين في الرؤية في كل جمعة والحاصل ان رؤية الرب جل جلاله
في الموقف حاصلة حقيقة لنا فقي هذه الامة على الاصح واما الرؤية في الجنة فاجمع اهل السنة على انها
حاصلة للانبيا والرسل والصديقين من كرامة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة واختلف
في غيرهم وقد جزم الحافظ بن رجب في اللطايف بان كل يوم عيد للمسلمين في الدنيا فانه عيد لهم
في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه فينظرون اليه فاعطاهم شيئا هو احب اليهم
من ذلك وهو الزيادة التي قال الله تعالى فيها للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويوم الجمعة في الجنة يدعى
يوم المزيد ويوم الفطر والاضحى يجتمع اهل الجنة فيهما قال الحافظ ابن رجب في اللطايف روى انه
يشارك النساء الرجال فيهما كما يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة قال فهذا العموم اهل الجنة
فاما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون فيه ربهم مرتين بكرة وعشيا لانه الخواص كانت ايام الدنيا
كلها لهم اعيادا فصارت ايامهم في الاخرة كلها اعيادا قال الحسن رحمه الله تعالى كل يوم لا يعصى الله فيه
فهو عيد فاليوم الذي يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد انتهى ملخصا وفي التذكرة
للقرطبي ان الناس يزورون ربهم في الموقف ثم يحجبون الى ان لا يبقى في النار من يدخل الجنة احد ثم يؤذن لهم
فيرونه في الجنة ثم لا يحجبون بعد ذلك ابدا ولا في حال تمتعهم وقد دخل ان الكفار كالمنافقين
يرونه تعالى ثم يحجبون عنه فتكون الحجبة حسرة عليهم وخص النووي الكلام بالمنافق واما الكافر
غير المنافق فلا يراه تعالى اتفاقا كما لا يراه غير العقلاء من سائر الحيوانات والله تعالى اعلم المسالة
اختلف العلما في رؤيته خاتم الانبيا لربه الى الارض والسما في ليلة المعراج التي هي في حقه صلى الله عليه وسلم
افضل من ليلة القدر واسمي فاتتهما حبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وزجمة النووي
وقال والحاصل ان الراجح عند اكثر العلما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رئي ربه بعيني راسه ليلة الاسرا
لحديث ابن عباس رضي الله عنهما وهذا قول انس وعكرمة والحسن والربيع بن سليمان وجماعة من
المفسرين قال القرطبي وقد ثبت ذلك يعني رؤية الباري جل شانه سمعا بقوله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى
المولى كذا قال وقال القاضي عياض رؤية الله تعالى جايزة عقلا وثبتت الاخبار الصحيحة
المشهورة وقوعها للمؤمنين في الاخرة واما في الدنيا فقال مالك اما نحن لم نر سبحانه في الدنيا فلانه بان في
والباقي لا يرى الفاني فاذا كان في الاخرة رزقوا ابصارا باقية فراوا الباقي قال القاضي
عياض وليس في الكلام استحالة الرؤية الا من حيث القدرة فاذا اقدر الله من شاء من عباده عليها
لم يمتنع وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم

حتى تموتوا

حتى تموتوا واخرجه ابن خزيمة من حديث ابي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فان جاز
الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكون موسى نبينا صلى الله عليه وسلم لما راه يقول انه المتكلم لا ارى
في عموم كلامه كذا في الفتح قال وقد اختلف السلف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه فذهب جماعة الى اثباتها
وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رئى ربه وجزم ابن خزيمة عن عروة ابن الزبير
باثباتها وكان يشتد عليه اذا ذكر له انكار عايشة وبه قال سايل اصحاب ابن عباس رضي الله عنهما وجزم
به كعب الاحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه ثم اختلفوا هل
راه بعينه او بقلبه وعن الامام احمد رضي الله عنه كالقولين قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري جاءت
عن ابن عباس رضي الله عنه اخبار مطلقة واخرى مقيدة قال فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك
ما اخرجه النسائي بسند صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انجبوه
ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد واخرجه ابن خزيمة بلفظ ان الله اصطفى ابراهيم
بالخلة الحديث واخرج ابن اسحق من طريق عبد الله بن ابي سلمة ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس رضي الله عنهم
هل رئى محمد ربه فارسل اليه ان نعم ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رئى ولقد راه نزلة اخرى قال رئى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق
عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال راه بقلبه واصرح من ذلك ما اخرجه ابن مردويه من طريق عطا
عن ابن عباس ايضا رضي الله عنهما قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيني انما راه بقلبه وروى
ابن خزيمة باسناد قوي عن انس رضي الله عنه قال رئى محمد ربه وعند مسلم من حديث ابي ذر انه سال
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور اني اراه وللامام احمد عنه قال صلى الله عليه وسلم رايت نورا ولابن خزيمة
عنه قال راه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراد ابي ذر رضي الله عنه بذكر النور اي ان
النور حال بين رؤيته لبصره والحاصل ان في هذه المسئلة ثلاثة اقوال احدها ثبوت رؤية
النبي صلى الله عليه وسلم لربه وهو قول ابن عباس واتباعه وهو ظاهر ما ذهب اليه الامام احمد رضي الله عنه فقد
روى الخلال في كتاب السنة عن ابي بكر المروذي قال قلت لاحمد انهم يقولون ان عايشة قالت من زعم
ان محمدا رئى ربه فقد اعظم على الله الفرية فباي شيء يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رايت ربي
قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها وجمع ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب
في الاستدلال له بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله راه بقلبه على ان
الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه الثاني منع ذلك في الدنيا وهو قول عايشة الصديقة
بنت الصديق رضي الله عنهما قالت رضي الله عنها من زعم ان محمدا رئى ربه بعين راسه فقد اعظم الفرية على الله

وروى الترمذي عن الشعبي قال لقي ابن عباس رضي الله عنهما كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال
فقال ابن عباس انا بنو هاشم وزاد عبد الرزاق تقول ان محمدا رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته
وكلامه زاد عبد الرزاق بين موسى ومحمد فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين قال مسروق فدخلت
على عائشة رضي الله عنها فقلت هل رأى محمد ربه قالت لقد قف شعري اي قام من الفزع لما حصل
عندها من هيبة الله واعتقدته مما تنزيهه تعالى واستحالة وقوع ذلك ثم قالت لقد ان انت تكلم بثلاث
ايات من حدثكهن فقد كذب ومن لفظ من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية
ثم قرأت لا تدركه الابصار وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ولكن رأى جبريل في
صورته مرتين وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي ان مسروقا قال قلنا لعائشة رضي الله عنها
يا امتاه اصله يا امي وانما ابدلت الكسرة فتحة فاضيف اليها الف الاستغاثة فابدلت تاء وزيدت هاء السكت
بعد الالف هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت
وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك انه كتم شيئا مما كتاب الله فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين ووافق عائشة رضي الله عنها
على ما ذهبت اليه من ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعيني رأسه جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود
وابو هريرة وغيرهما رضي الله عنهم وبه قال جمع من العلماء بل نقل الدارمي الحافظ اجماع الصحابة
على ذلك واعترض الامام النووي وغيره على من ذهب الى مذهب عائشة بانهما رضي الله عنهما لم تنف
وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها الذكر به وانما اعتمدت الاستدلال على ما ذكرت من ظاهر الآية
وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا
والمراد بنفي الادراك في الآية الكريمة نفي الاحاطة وذلك لا ينافي الرؤية انتهى كما قدمنا ذلك موضحا
وجزمه بان عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فانه قال في كتاب
التوحيد من صحيحه النفي لا يوجب علما قال ولم تحك عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبرها انه لم يره
وانما تاولت الآية انتهى وهذا عجيب منهما ففي الصحيحين والترمذي وغيرها ان مسروقا قال
كنت متكئا عند عائشة رضي الله عنها فقالت يا ابا عائشة ثلاث من تكلم بهن فقد اعظم على الله الفرية
قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا ام المؤمنين انظريني ولا تعجليني الم يقل الله ولقد رآه بالافق
المبين ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما
هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه

مابين السماء الى الارض ثم قالت اولم تسمع ان الله تعالى يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار واخرجه
ابن مردويه من طريق اخرى باسناد مسلم فقلت انا اول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال يا رسول الله هل رأيت ربك فقال انما رأيت جبريل منهبطا لم ار خالف ابن عباس عائشة
رضي الله عنهم باحتجاجهما بالآية الكريمة فاخرج الترمذي من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال رأى محمد ربه قلت اليس الله يقول لا تدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره
الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ما نقل عن الامام احمد
رحمه الله من اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه انما يعني رؤية المنام فانه سئل عن ذلك فقال نعم رآه
فانه رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعين راسه وقال شيخ الاسلام ايضا عن ابن عباس رضي الله
عنهما لم يقل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين راسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه
موجودة ليس فيها شيء مما ذكر قال ولفظ الامام احمد رضي الله عنه كلفظ ابن عباس رضي الله عنهما قال
واهل السنة متفقون على ان الله تعالى لا يراه احد بعينه في الدنيا لا النبي ولا غير نبي ولم يقع النزاع
الا في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة مع ان الاحاديث المعروفة ليس في شيء منها انه رآه وانما روى ذلك
باسناد موضوع باتفاق اهل الحديث انتهى واذا علم ما حررناه فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس
ونفي عائشة رضي الله عنهم بان يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب كما قاله الحافظ
ابن حجر في شرح البخاري ثم المراد برؤية الفؤاد ورؤية القلب لا مجرد حصول العلم بانه صلى الله عليه وسلم
كان عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبت له انه رآه بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه
كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بتخلقها
في العين وقد مر عن ابي ذر رضي الله عنه انه سأل صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور اني اراه
ورواه الترمذي ايضا بهذا اللفظ ورواه الامام احمد عنه قال رأيت نورا ولابن خزيمة عنه
قال رآه بقلبه ولم يره بعينه قال الحافظ ابن حجر وبهذا يتبين مراد ابي ذر بذكر النور اي النور
حال بين رؤيته له ببصره وقال الامام المحقق ابن القيم في عدة مواضع من كتبه كما علام الموقعين
والجيوش وغيرهما سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول معناه كما انا نور وحال دونه
رؤيته نور فاني اراه ويدل عليه انه في بعض الفاظ الحديث الصحيح هل رأيت ربك فقال رأيت نورا قال
المحقق ابن القيم وقد اعضل امر هذه على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال نورا اني اراه اه كما
على انها ياء النسبة والكلمة واحدة وهذا خطأ لفظا ومعنى وانما اوجب لهم هذا الفهم انهم
لما اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه وكان قوله اني اراه كالانكار للرؤية حاروا

في الحديث وبعضهم رده باضطراب لفظه وكل هذا عدول عما يوجب الدليل قال المحقق ابن القيم ويدل على ما قاله شيخنا قوله صلى الله عليه وسلم حجابه النور وهذا النور والله اعلم هو النور المذكور في حديث ابي ذر وانتهى وذكر ابن الاثير في حل الفاظ جامع الاصول ان الامام احمد رضي الله عنه سئل عن احد حديث ابي ذر هذا فقال ما زلت منكر الهذا الحديث وما ادري ما وجهه وقال ابن خزيمة في القلب من صحة هذا الخبر شيء وقال بعض العلماء في هذا الحديث قد اجمعنا على انه تعالى ليس بنور وحفظنا المجوس في قولهم هو نور والانوار اجسام والباري سبحانه وتعالى ليس بجسم والمراد بهذا الحديث ان حجابه سبحانه النور وكذلك روي في حديث ابي موسى رضي الله عنه فالمعنى كيف اراه وحجابه النور والله اعلم العالم الوقف عما القطع بالنفي والاثبات في هذه المسئلة وقد رجح هذا جماعة منهم القرطبي في المفهم في شرح صحيح مسلم فانه قال الوقف في هذه المسئلة ارجح وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتاويل قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي ومن استنار قلبه لا تقفا الاثار وضلع ربقة التقليد التي هي منشا التغيير في وجوه الاخبار علم ايد السلامة في التسليم وفوق كل ذي علم عليم وبالله التوفيق

الباب الخامس في ذكر النبوة وذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض الانبياء وفضله وفضل اصحابه وامته صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم

وعظم وكرم اعلم ان حاجة الخلق الى ارسال الرسل وبعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية لا ينتظم لهم حال ولا يصلح لهم دين ولا يال الا بذلك فهم اشد احتياجا اليه من كل احد من ارسال المطر والهواء بل ومن النفس الذي لا بد لهم منه كما في مفتاح دار السعادة للمحقق ابن القيم رحمه الله تعالى واحالة اليمنية ارسال الرسل لتوقفه على علم المرسل بمن ارسله ولا طريق اليه الا الخبر واعلا انواعه المتواتر وهو لا يفيد عندهم علما فلعل القائل له ارسلتك الى قول كذا شيطان مثلا وزعمت البراهمة وهم طائفة من المجوس ان ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لاغنائه العقل عن الرسل لانه ما جاء به الرسول ان كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله وان لم يات به وان كان مخالفا له قبيحا فانه يحتاج اليه فعله والا تركه وقالت المعتزلة بوجوب ذلك على الله تعالى بالنظر الى ذاته والحق انه جائز عقلا في حقه تعالى واجب سمعا وشرعا والى ذلك اشار بقوله **ومن عظيم منة الرب السلام** المنة ما حوذة من المن وهو الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه ومن اسماء الله تعالى المنان وهو المنعم المعطي من المن وهو العطاء وقد يقع المنان على الذي لا يعطي شيئا الا منه واعتد به على من اعطاه وهو مذموم لان المنة

تفسد

تفسد الصنيعة اذا كانت من غير الباري جل وعلا والسلام من اسمائه تعالى ومعناه ذو السلامة من كل عيب ونقيصة فيكون بمعنى اسماء التنزيه وقيل معناه مالك تسليم العباد من المهالك فيرجع الى معنى القادر وقيل ذو السلام على المؤمنين في الجنان فيرجع الى الكلام القديم الازلي قال تعالى سلام قولا من رب رحيم والفرق بين القدوس والسلام ان القدوس فيه اشارة الى انه بري من جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر والسلام فيه اشارة الى انه لا يطرا عليه شيء من ذلك في المستقبل ومن عظيم **لطفه** تعالى اي رفقه **بسائر** اي جميع **الانام** كسحاب والانام بالمد والانيم كامير الخلق والانس والجن وجميع ما على وجه الارض اي من رفقه تعالى بهم في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها الى من قدر هدايته من خلقه يقال لطف به وله بالفتح يلطف لطفا اذا رفق به واما لطف بالضم يلطف فمعناه صغر ودق ومن اسماء الله تعالى اللطيف وهو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم وانما عدل عن قوله منة المنان ولطفه بسائر الانام لعدم شمول المن الجن فبسبب عموم الانام على الانس عدل اليه لان الانس كالانس البشر والمنة بارسال الرسل شاملة للثقلين بل لكل الخلق والله اعلم ان بفتح الهمزة وسكون النون حرف مصدري تسبك مع ما بعدها بمصدر **ارشد** اي هدى ودل ودعى سبحانه وتعالى يقال رشد كضرب وفرح رشدا ورشادا هدى واسترشد طلب الرشد والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه والرشيد من اسمائه الله تعالى الهادي الى سواء الصراط والذي حسن تقديره فيما قدره والاولى ما بعدها في تاويل مصدر مبتدا والخبر قوله في البيت قبله ومن عظيم الخ والتقدير ارشد الخلق الى الوصول كائن من عظيم منة السلام **الخلق** من الثقلين الانس والجن **الى الوصول** الى معرفة الله تعالى وعبادته والقيام بما شرعه من التكليف الذي ثمرته الفوز بالسلامة الابدية والسعادة السرمدية والنعيم المقيم في جنات رضا الرب الرحيم الرحيم والنظر اليه في دار القرار مع الاتقياء الاخيار والاولياء الابرار حال كونه تعالى **مبينا** اي مظهرا وموضحا **النهج الحق** وهو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقايد والاديان والمذاهب باعتبار اتصافها على ذلك ويقابله الباطل ومن اسمائه تعالى الحق او من صفاته واما الصدق فقد شاع في الاقوال ويقابله الكذب ويفرق بين الحق والصدق بان المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع والصدق من جانب الحكم فعلى هذا معنى صدق الحكم مطابقة الواقع ومعنى حقيقته مطابقة الواقع اياه والمشهور فيهما مطابقة كل واحد منهما للواقع **بالرسول** متعلق بمبين والرسول انسان اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه فان لم يؤمر بتبليغه فنبي فقط وتقدم في صدر الكتاب وسئل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما في صحيح ابن حبان عن عدد الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر وفي رواية واربعة عشر والاولى عدم حصرهم في عدد معين لان الحديث ضعيف وربما خالف قوله تعالى منهم من قصصنا عليك

بلغ
ومن عظيم منة السلام
مبينا الحق بالرسول
ولطفه بسائر الانام
ان ارشد الخلق الى الوصول

ومنهم من لم نقصص عليك فلا بد من دخول من ليس منهم فيهم وخروج بعضهم عنهم واولو العزم
منهم خمسة محمد وابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام **التنبيهات الاول** في قوله
ومن عظيم منته السلام الى اخر البيتين اشارة الى ان ارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرايع منه
من الله تعالى وفضل لا واجب عليه ذلك وانما هو على سبيل اللطف بالخلق والفضل عليهم فبعثه تعالى
جميع الرسل من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين الى المكلفين لطفا من الله بهم ليبلغوهم عنه سبحانه
امره ونهيه ووعده ووعيده ويبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون اليه من امور المعاش والمعاد
مما حاوا به من شرايعهم واحكامهم التي انزلها الله تعالى كتبه عليهم اختصاصا كالقرآن العظيم
والتوراة كالتوراة لموسى وهارون ويوشع ومنه بعدهم الى عيسى عليه وعليهم السلام حتى
تقوم الحجة عليهم بالبينات وينقطع عنهم سائر التعللات كما قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من
قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وقوله تعالى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا وقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل فلولا اعذاره تعالى اليهم على السنة الرسل واقامة الحجة عليهم ببعثة اهل خيرته من ذوي النبوة
والفضل لتوهموا ان لهم حجة سائغة ومعذرة بالغة لوجوه احدها ان يقولوا انما خلفنا ربنا
لعبادته وما بين لنا العبادة التي يريدها منا ما هي ولا كم هي ولا كيف هي ثانيها ان يقولوا
قد ركبنا ربنا في هياكل واجسام تقبل السهو والغفلة وسلط علينا الشهوة والهوى فكان
ينبغي ان يؤيدنا بما اذا سهونا نبهنا واذا مال بنا الهوى ردنا واذا وسوس الينا الشيطان
منعنا بما يرشدنا اليه من الاذكار وغيرها ثالثها ان يقولوا هب انا نعلم بعقولنا حسن الايمان
وقبح الكفر والعصيان لكنا لم نصل بادراك عقولنا الى ان من فعل القبيح عذب مع انا نحسن ان
لنا في معاناة القبيح لذة وليس على الباري في ضرة ولم نعلم ان من آمن وعمل صالحا استحق
الثواب مع ادراكنا بعقولنا عدم العود بمنفعة له تعالى فلا جرم تقاضينا الشهوات واقدمنا
على ما فيه لنا اللذات فارسال الرسل لمعاضدة العقل امر جائز في حقه وواجب وقوعا وسمعا
لما يزيد هذا وضوحا **التنبيه الثاني** ان الرسالة ضرورية للعباد لا غنى لهم عنها وحاجتهم اليها
فوق حاجتهم الى كل شيء فان الرسالة روح العالم ونوره وحياته فاي صلاح للعالم اذا عدم الروح
والحياة والنور والدنيا مظلمة ملعونة كلها الا ما طلعت عليه شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق
في قلبه شمس الرسالة وتنله حياتها وروحها فهو في ظلمة وسهوم الاموات قال الله تعالى او من كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها

الشيطان ح

هذا

هذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فاحياه الله بروح الرسالة ونور الايمان وجعل له نورا يمشي به في الناس واما الكافر فميت القلب في الظلمات وسمى الله تعالى رسالته روحا والروح اذا عدم فقدت
الحياة قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الاية فالروح الحياة والنور الاضاءة المزيلة
للظلمة فالكافر في ظلمات الكفر والشرك وهو ميت غير حي وان كان في حياة بهيمية لكنه عادم الحياة
الروحانية العلوية الناشئة عن الايمان وبها يحصل للعبد الفوز والسعادة والفلاح في الدنيا و
الاخرة فان الله تعالى جعل الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما
ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم فبعثوا جميعا بالدعوة الى الله تعالى و
تعريف الطريق الموصل اليه وبيان حال الهالكين بعد الوصول اليه فارشدوهم الى توحيده تعالى واثبات
صفاته واثبات القدر وذكر ايام الله تعالى اوليائه واعدائه وهي القصص التي قصها
على العباد والامثال التي ضربها لهم وارشدوهم الى العلم بتفصيل الشرايع والامر والنهي والاباحة
وبيان ما يحبه الله تعالى ويكرهه وكذلك بينوا لهم وجوب الايمان باليوم الاخر والجنة والنار والثواب
والعقاب وعلى هذه الثلاثة اصول مدار الخلق والامر والسعادة والفلاح موقوفة عليها
ولا سبيل الى معرفتها الا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقايقها
وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة الى الطب ومعرفة
دوايه ولا يهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة العبد الى الرسالة اعظم بكثير من حاجة
المريض الى الطبيب فان اخر ما يعذب بعدم الطبيب موت الابدان واما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة
وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه ابدا وشقي شقاوة لا سعادة معها ابدا فلا فلاح الا
باتباع الرسول فان الله تعالى خص بالفلاح اتباعه المؤمنين به وانصاره كما قال تعالى فالذين امنوا
به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون اي لا مفلح الا هم فالهدى و
الفلاح دائر حول ربع الرسالة وجودا وعدما قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في قاعدة
وجوب الاعتصام بالرسالة وهذا مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء وبعثت به جميع الرسل
المرسلة وقال الرسالة ضرورية في صلاح العبد في معاشه ومعاده فكما انه لا صلاح له في آخرته الا
باتباع الرسالة فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه الا باتباع الرسالة فالانسان مضطر الى الشرع
فانه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه وحركة يدفع بها ما يضره والشرع هو النور الذي يبين
ما ينفعه وما يضره فهو نور الله في ارضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمنا
وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحس فان ذلك يحصل للحيوانات العجم فان الحمار

ولجل يفرق ويميز بين الشعير والشراب بل التمييز بين الافعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده وبين الافعال التي تنفعه في معاشه ومعاده كنفع الايمان والتوحيد والعدل والبر والصدق والاحسان والامانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الارحام وبر الوالدين والاحسان الى الجيران والمماليك وادا الحقوق واخلاص العمل والتوكل على الله تعالى والاستعانة به والرضا بواقع اقداره والتسليم لحكمه والتوكل عليه وتصديق رسله في كل ما اخبروا به وطاعتهم في كل ما امروا به وغير ذلك مما لهو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته ولولا الرسالة لم تهتد العقول الى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش والمعاد فمن اعظم نعم الله على عباده واشرف منته عليهم ان ارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الانعام وشر حالا منها فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ومن رد ها وخرج عنها فهو من شر البرية واسوأ حالا من الكلب والخنزير واحقر من كل حقير فالحمد لله الذي ارسل الينا رسولا من انفسنا يتلو علينا اياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وانه كان من قبل في ضلال مبين ولا بقاء لاهل الارض الا ما دامت اثار الرسالة موجودة فيهم فاذا درست اثار الرسل من الارض وانمحت معالم هداهم اخرب الله العالم العلوي والسفلي واقام القيمة وليست حاجة اهل الارض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر والرياح والمطر ولا كحاجة الانسان الى حياته ولا كحاجة العين الى ضوئها والجسم الى الطعام والشراب بل اعظم من ذلك واشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في امره ونهيه وهم السفراء بينه وبين عباده وكان خاتمهم وسيدهم واكرمهم على ربه محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين يقول يا ايها الناس انما انا رحمة مهداة وقال تعالى في حقه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب قال شيخ الاسلام في قاعدة وجوب الاعتصام بالنبي صلى الله عليه وسلم عليه افضل الصلاة والسلام وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل فرفع الله عنهم هذا المقت برسوله صلى الله عليه وسلم فبعثه الله رحمة للعالمين ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق اجمعين وافترض على العباد طاعته ومحبته وتوقيره وتعزيره والقيام باداء حقوقه وسد اليه جميع الطرق فلم يفتح لاحد الامم طريقة واخذ العهود والمواثيق بالايمان به واتباعه على جميع الانبياء والمرسلين وامرهم ان ياخذوها على من اتبعهم من المؤمنين ارسله ربه بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فختم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فما فرق برسالته الارض بعد ظلمانيتها ولا لف به القلوب بعد شتاتها فاقام به الملة العوجاء واوضح به المحجة البيضاء وشرح له صدرة ووضع عنه وزره ورفع له ذكره

وجعل

وجعل الذلة والصغار على من خالف امره ارسله صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرايع واستبد كل قوم بالظلم ادبارهم وحكموا على الله وبين عباده بعقالاتهم الفاسدة واهوائهم النادة فهدى الله به الخلايق واوضح به الطرايق واخرج الناس به من الظلمات الى النور وميز به بين نهج اهل الفلاح واهل الفجور فمن اهتدى بهديه اهتدى ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى وصلى الله وسلم عليه وساير الرسل والانبيا ما لاح نجم وبدا وعلى اله وصحبه والتابعين ومن اقتدى

التنبيه الثالث

اعلم ان الايمان بالله تعالى وملايكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبيا والمرسلين من لدن صفي الله ابي البشر آدم عليه السلام الى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم عليه وعليهم الصلاة والسلام فيجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين وتصديقهم في كل ما اخبروا به من الغيب وطاعتهم في كل ما امروا به ونهوا عنه ولهذا اوجب سبحانه الايمان بكل ما انزل به ولم يوجبه بما اتى به غيرهم قال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فاتفق علماء الملة على كفر من كذب نبيا معلوم النبوة وكذا من سب نبيا او انقصه ويجب قتله لان الايمان واجب بجميع الانبيا وانه لا تفرق بين احد منهم وتصديقهم فيما اخبروا به واتباعهم على جميع ما جاوا به فهو حق وصدق قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وتقدم ان جميع الانبيا عليهم السلام من لدن آدم الى خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مائة الف واربعة وعشرون الفا وان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ففي صحيح ابن حبان من حديث ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فذكر حديثا طويلا وفيه قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا قلت يا رسول الله من كانوا قال هم آدم عليه السلام قلت يا رسول الله نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين قلت يا رسول الله كم كتابا انزله الله قال مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث خمسون صحيفة وانزل على اخنوخ ثلاثون صحيفة وانزل على ابراهيم عشر صحايف وانزل على موسى قبل التوراة عشر صحايف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان الحديث وقد تكلم عليه الولي العراقي ورد على من حباه جماعة من الحفاظ لا دخاله هذا الحديث الصحيح في كتاب شرح الايمان والاسلام لشيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في قول الامام احمد رضي الله عنه

في الرسل وعددهم وانه يجب الايمان بهم ويصح الاقرار بهم في الجملة مع الكف عن عددهم وكذلك محمد بن نصر
المروزي وغيرهما من ائمة السلف قال وهذا يبين انهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل وان حديث ابي ذر
في ذلك لم يثبت عندهم انتهى والامام احمد رضي الله عنه ذكر ذلك الزاما للمخالف لم يقل بزيادة الايمان مع
اجمالهم لاعتقادهم جواز زيادتها والضابط غير محدود فقال ما تقولون في انبياء الله وكتبه ورسله
هل تقرون بهم في الجملة وتزعمون انه من الايمان فاذا قالوا نعم قيل لهم هل تحدونهم وتعرفون بعددهم ليس
انما تصيرون في ذلك الى الاقرار بهم في الجملة ثم تكفون عن عددهم وهذا ظاهر في عدم معرفة عدد
الانبياء والرسل والكتب وقد ذكر اهل العقايد في عقايدهم هذا العدد محمد بن علي حديث ابي ذر
على ما فيه وقد روي ان الانبياء الف الف ومائة الف والمشهور في الكتب الهم مائة الف
واربعة وعشرون الفا وتقدم ان الواجب الايمان بهم جملة لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك فالواجب الايمان بجميعهم اجمالا وتفصيلا فمن ذكره الله في كتابه العزيز و
قد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان
بني اسرائيل كانوا اكثر الامم انبياء بعث اليهم موسى بن عمران عليه السلام بشريعة التوراة ولا يعرف
منهم شيئا الى ان جاء المسيح بعد ذلك بشريعة اخرى غير فيها بعض شريعة التوراة بامر الله عز وجل
وشرط جبتا من اي كل انسان اكوم بضم الهمزة مبنيا للمفعول فاعله اي اكرمه الله تعالى بالنبوة
بضم النون والباء الموحدة وتشديد الواو ويجوز فيه تخفيف الهمز وتخفيفه يقال نبا ونبا وانبا
فانه قيل روى النسائي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبيء الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تنبز باسمي
فانما انا نبي الله فالجواب ما حكاه ابو هريرة انه يقال نبأ على القوم اذا طلعت عليهم ونبأ
من ارض الى ارض اذا خرجت من هذه الى هذه وهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله يا نبيء الله لانه خرج
من مكة الى المدينة فانكر عليه الهمز لانه ليس من لغة قريش والحاصل ان النبي اما مشتق من النبا
اي الخبر لانه ينبيء عن الله تعالى اي يخبر قال سيبويه ليس احد من العرب الا يقول تنبا مسيلمة بالهمز
غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في المذرية والبرية والخبية الا اهل مكة فانهم تكلموا به هذه الاحرف
الثلاثة ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذكرها واما مشتق من النبوة وهو الشيء المرتفع
لان النبي مرتفع الرتبة على سائر الخلق قال في القاموس والنبي المخبر عن الله وترك الهمز المختار والجمع
انبياء وانبا والنبوة والاسم النبوة ذكره في باب الهمزة وقال في باب المعتل والنباوة ما ارتفع
من الارض كالنبوة والنبي انتهى حرية خبر المبتدا الذي هو شرط من اكرم الخ وذكر لانه الرق وصف
نقص لا يليق بمقام النبوة والنبي يكون داعيا للناس اناء الليل واطراف النهار والرقيق لا يتيسر له ذلك

وايضا

وايضا الرقة وصف نقص بانف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وان يكون اماما
لهم وقدوة وهي اثر الكفر والانبياء منزهون عن ذلك وشرط من اكرمه الله بالنبوة انتفاء ذكورة اي ان
يتصف بالذكورية لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاثبت الرسالة للرجال الموحى
اليهم واشعر بنفي ذلك عن غيرهم فلا تكون انثى نبية خلافا لاهل التوراة الزاعمين بنبوة مريم ابنة عمران
اخت موسى وهارون عليهما السلام وقد خالف في اشتراط الذكورة ابو الحسن الاشعري ثم القرطبي
وتبعهما على ذلك اناس من العلماء والحق اعتبار الذكورية لان الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة
والانوثة تقتضي الستر وتنافي الاشتهار وما بين الاشتهار والاستتار من التمانع وقد حكى العلامة
ابن الملقن في شرحه على عمدة الاحكام خلافا في نبوة مريم وآسية وسارة وهاجر وام موسى
عليهن السلام واسمها يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب كما قاله شيخ السنة البغوي والحافظ
ابن الجوزي في تبصرته قال الحافظ برهان الدين الناجي قيد هذا الاسم على شيخنا الحافظ بن
ناصر الدين حال قراءة التبصرة عليه بمثناة تحتية مضمومة فواو وساكنة فخاء معجمة مفتوحة
فالف مقصورة فناء موحدة مفتوحة فذال معجمة وهو غير مصروف للعجمة والتانيث اي مع العلمية
قلت في كتب اهل الكتاب ولاية في التورية يكابد بكاف بدل الخاء وبدال مهملة بدل المعجمة والنطق
بالكاف مفخما وسماه بالعربية جليلة ورايت الحافظ جلال الدين السيوطي ضبطه بخاء مهملة
بدل الخاء المعجمة وبنون بدل الباء الموحدة كما هو في تاريخ الانبياء له وكقوله كقوة اي كما يعتبر
في من اكرمه الله تعالى بالنبوة ان يكون قويا في اعباء ما حمل من ثقل النبوة والقوة الطاقة والجمع قوى
بالضم وبالكسر قال في القاموس القوة بالضم ضد الضعف يقال قوي كرضي فهو قوي والقوي بالضم
العقل وطاقات الخيل ذا عقل صحيح وفهم رجيح وعلم بالامور الدينية حسن الخلق والخلق ليسهل عليه
تحمل الخلق في مخالطاتهم وتعليمهم لامور الديانة فان الانبياء منزهون عن جميع الرذايل من البخل والجبن
واللهو واللغو وسايء الاخلاق الذميمة كما انهم معصومون من لوم النسب وشرة الغلب وحرص النفس
على الدنيا وهذا لم يبعث الله نبيا الا في اشرف نسب امته فلم يبعث نبيا من ذي نسب مبذول
كما لم يبعث نبيا عبدا ولا سيما ولا امراة لعلو مرتبة الذكورة على الانوثة مع عدم الاشتهار من
النساء المطلوب للدعوة ولكون النفوس مائلة الى النساء ذوات تهن بحسب الطبع فتغفلوا عن مقالهن
والحاصل اختصاص النبوة باشرف افراد النوع الانساني من كمال العقل والذكا والفطنة وقوة الراي
ولو في الصبى كعيسى ويحيى عليهما السلام والسلامة من كل ما تنفر عنه الاتباع كدناءة الاباء وعهر
الامهات والغلظة والفظاظة والعيوب المنفرة للطبايع كالبرص والجذام والامور المخلة بالمروة
كالاكل على الطريق والحرف الدنية كالحجامة وكل ما يخل بحكمة البعثة ونحو ذلك وبالله التوفيق وما ذكر

ما اشعر بانفراد كمل النوع الانساني بالنبوة واختصاص المذكور الاحرار المتصفين بها عن النقايص بها
خشي ان يتوهم متوهم بادئ ذي بدء ان يدرك بالرياضة والتهذيب والجد والاجتهاد والتاديب فتفوه بقوله
والانتال بضم التاء المثناة فوق مبنيا للمفعول فاعله اي لم تعط رتبة بالرفع نايب الفاعل يقال
نالهُ نوله اذا اعطاه قال في القاموس النوال والنايل العطا ونلته ونلت له وبه انوله وانلته اياه
ونولته اعطيته والمرتبة بالضم والمرتبة المنزلة النبوة بالجر اضافتها الى المرتبة وهي عبارة عن صفة
عالية ينكشف بها من الغيوب التي هي مطلوبات الانسان من عباده واحكامه التي يكلفهم بها انكشافا تاما سبب
انكشاف الغار للذهن برؤية الدخان وانكشاف رائحة المسك بجذب النفس الى الانف والمراد بها هنا
ما يعم الرسالة كما لا يخفى بالكسب متعلق بالانتال والانتال رتبة النبوة ودرجة الرسالة ايضا بالتهذيب
اي تنقية البدن وتصفية الاخلاق وخلوص البشرية من الاخلاق الرذيلة وتبقية الاوصاف الجميلة
والنعوت الجليلة والانتال رتبة النبوة ايضا بالفتوة اي كرم النفس وتخليصها من الاوصاف المذمومة
الى الاوصاف الممدوحة قال في القاموس الفتوة الكرم وقد تفتى وتفاتى يعني تعاطى اوصاف الفتوة
وتخلق بها وارض نفسه حتى صار من ذويها وفتوتهم اذا غلبتهم فيها فمذهب اهل الحق ان النبوة
لا تنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد وتكلف انواع العبادات واقتحام اشق الطاعات وتدأب في تهذيب
نفسه وتنقية خواطره وتطهير اخلاقه ورياضة نفسه وبدنه وتهذيب ذلك لكنها اي النبوة
والرسالة فضل من المولى الاجل سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء من عباده ممن سبق علمه وارادته الازلية
باصطفايه لها فالله اعلم حيث يجعل رسالاته وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين المجوزين
اكتساب النبوة بزعمهم الامر لازم الخلوة والعبادة وداوم المراقبة وتناول الحلال واخلا نفسه
من الشواغل العايقة عن المشاهدة بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرآة
باطنه وفتحت بصيرة لبه وتهيا لما لا يتهيا له غيره من التحلي بالنبوة لانه النبوة عندهم عبارة عن اجتماع
ثلاث خواص في الانسان احداها الاطلاع على المغيبات لصفا جوهر نفسه وشدة اتصاله بالروحانيات
العالية من غير سابقة كسب ولا تعلم والثانية تعليم الثانية ظهور خوارق العادات بحيث تطيعه
الهيولى العنصرية القابلة للصور المفارقة الى بدنه القابلة مشاهدة الملايكة على صور تخيله
ويسمع كلام الله تعالى هذا محصل مذهبهم الفاسد وملخص مسلكهم الباطل فيجعلون كلام الله تعالى
ما يفيض على نفس النبي من غير ان يتكلم الله كلاما خارجا عنه في نفس النبي وعند التحقيق فلا فرق عندهم
بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس الا من جهة كونها اصفى واكمل عندهم ان القرآن كلام النبي وهذا من
اعظم الكفر قال شيخ الاسلام ابن تيميه وهؤلاء عند هم النبوة مكتسبة وكان جماعة من زنادقة

الاسلام

الاسلام يطلبون ان يصيروا انبيا والحاصل ان النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة من الله تعالى من بها سبحانه
ويعطيها لمن شا ان يكرمه بالنبوة فلا يبلغها احد بعلمه ولا يستحقها بكسبه ولا ينالها عملا استعداد
ولا قابلية بل يخص بها من يشاء من خلقه ومن زعم انها مكتسبة فهذا زنديق يجب قتله لانه يقتضي كلامه
واعتقاده ان النبوة لا تنقطع وهو مخالف للنص القراني والاحاديث المتواترة بان نبينا صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين عليهم السلام وهذا قال الى الاجل يعني ان النبوة فضل من الله ونعمة من بها الرب الحكيم
والعليم الكريم على من يشاء ويريد اكرامه بها وكما ذكر محمدا من عهد الاب الاول الصفي آدم عليه الصلاة
والسلام الى ان بعث الخاتم النبي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وهذا قال ولم تزل فيما اي في الزمن الذي مضى
اي في سائر الازمان الماضية الانبياء جمع نبي كانبيا والنبيين من فضله اي من فضل الله سبحانه وتعالى
ولا فتة ولطفه لامن حيث ان واجب عليه تعالى كما تقدم بيانه تاتي بابلاغ الشرايع وبيان الحق وايضاح
السبيل لمن اي لكل اهل زمن من الامم الماضية والقرون الخالية يشاء الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما شا على
السنة من شاء من انبيايه لما شاء من مكلفي عباده فلم تخل الارض من داع يدعو الى الله تعالى من لدن آدم
عليه السلام الى ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيجب الايمان بجميع الانبيا والرسل وانهم صادقون فيما اخبروا به
عن الله تعالى اجمالا فيمن لم يعينوا كما دل على ذلك قوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل
آمن بالله وملايكته وكتبه ورسله فدلت الآية الكريمة على الاكتفا بذلك في الايمان بهم من غير تفصيل
الا من ثبتت تسميته فيجب الايمان به على التعيين وكما يجب الرسل والانبيا من القرون الماضية والازمان الخالية
معروفا مستمرا من لدن الاب الاول الصفي عليه السلام حتى اي الى ان اتى بالنبي الخاتم والرسول القايم بيننا
محمد صلى الله عليه وسلم اي الى ان ارسله بخير كتاب واتم شريعة وافضل ملة واكمل دين الذي ختم الله به النبيين
والمرسلين واكمل بدينه كل دين قال الله تعالى في محكم الذكر المبين ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين اي الذي ختمهم وختموا به فلا نبي بعده واخرج الامام احمد من حديث العرباض بن ساريه
السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني عند الله في ام الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل
في طينته الحديث واخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد وروي معناه من حديث ابي امامة الباهلي رضي الله عنه
من وجوه اخر مرسلة وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاكملها واحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلون ويتعجبون
منها ويقولون لولا موضع اللبنة زاد مسلم فجئت فختمت بي الانبياء وفي الصحيحين ايضا من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه معناه وفيه فجعل الناس يطوفون به ويقولون هلا وضعت اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين
وفي صحيح الحاكم عن عايشة رضي الله عنها قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها

من يشاء من خلقه الاجل
ولم تزل فيما مضى الانبياء من فضله تا تي لمن يشاء
حتى اتى بالخاتم الذي ختم به
ولانتال الرتبة النبوة بالكسب والتهذيب والفتوة
لكنها فضل من المولى الاجل

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقالوا لا نعلم فقال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة لها شعرات متواترات كانها عرف فرس فخرجوا بالهودي حتى اذا خلوة على امه ففالوا اخرجي لنا ابنك فاخرجوه وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع الهودي مغشيا عليه فلما افاق قالوا ويلك مالك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل وهذا الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد بخاتم النبوة بين كتفيه وخاتم النبوة من اعلامات نبوته صلى الله عليه وسلم التي كان يعرف بها اهل الكتاب ويسئلون عنها ويطلبون الوقوف عليها وقد روى انه هو قول ملك الروم من النصارى ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم معاينظر لخاتم النبوة وفي نبوة شعيا او سلطانه يعني النبي صلى الله عليه وسلم على كتفه يريد علامة نبوته وفي الجواب الصحيح لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ما نصه قال اشعيا النبي عليه السلام ونص على خاتم النبوة وانه لنا غلام يكون نبيا وبشر والشامة على كتفه اركون السلام وسلطانه سلطان الاسلام يجلس على كرسي داود فالاركون هو المعظم بلغة الانجيل والاركنة المعظمة تشهد لاشعيا بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ووصفه باخص علاماته واوضحها وهي شامة فلعمري لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح ووصفه بانه يجلس على كرسي داود يعني انه سيولد من بني اسرائيل نبوتهم وملكهم ويتزهم رياستهم قال العلماء رحمهم الله في حكمة وجود الخاتم بين كتفيه او على نقص كتفه الايسر هو على جهة الاعتبار ان صلى الله عليه وسلم لما ملأ قلبه من الايمان والانوار وجمع له اجزاء النبوة وحواشيها ختم عليها كما يختم على الوعاء المملوء مسكا او درا فلم يجد نفسه ولا اعداؤه سبيلا اليه فاجل ذلك ختم لانه الشيء المختوم محروس كما بين لنا اذا اوجدنا الشيء نختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما بين الامينين فلذلك ختم رب العالمين قلبه ختما يطابق له القلب الذي النور فيه ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كبيضة الحجلة كما اشار اليه ابو القاسم السهيلي خاتم النبوة وقوله واعلانا معناه امة هذا النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم الرب الرحيم والاله الحكيم به صلى الله عليه وسلم على كل الامم الماضية والملل الخالية يشاهد قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وكذلك جعلناكم امة وسطا وروى البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وفي الصحيحين وغيرهما من حديث المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال اناس من امتي ظاهرين حتى يأتيهم امر الله وهم ظاهرون وروى مسلم وابو داود والترمذي من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي امر الله وهم كذلك وروى هذا من حديث سعد رواه مسلم ومن حديث معاوية رواه البخاري ومسلم ومن حديث عمران بن حصين

رواه

رواه ابو داود ومن حديث غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وروى الترمذي من حديث انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اخره خير ام اوله وقال حديث حسن غريب. وروى من حديث ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عصابتان من امتي احرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام واخرج ابو داود من حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة عذابها في الفتن والزلازل والقتل ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيمة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم وفي رواية لمسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية في الصحيحين نحن الاخرون السابقون بيد اي غير انهم اوتوا الكتاب من قبلنا وفي الصحيحين وغيرهما من حديث انس رضي الله عنه انتم شهداء الله في الارض وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا قال اما ترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قال فكبرنا قال اني لارجو ان تكونوا شطر اهل الجنة وساخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار الا كشعرة بيضاء في ثور اسود او كشعرة سوداء في ثور ابيض هذا لفظ مسلم وعند البخاري وكشعرة سوداء بغير الف يعني قبل الواو وروى الامام احمد والترمذي باسناد على شرط الصحيح من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفا ورواه الطبراني في معجمه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وروى نحوه من حديث ابن مسعود رواه الطبراني وروى عبد الله بن الامام احمد من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم ربع اهل الجنة انتم ثلث اهل الجنة انتم نصف اهل الجنة انتم ثلثا اهل الجنة قال الطبراني تفرد برفعه عبد الله بن المبارك عن الثوري وروى ايضا من حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال اهل الجنة عشرون ومائة صف انتم منها ثمانون صفا رواه خيثمة بن سليمان القرشي قال المحقق ابن القيم وهذه الاحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها فلا تنافي بينها وبين حديث الشطر لانه عليه السلام رجا اولا ان يكونوا شطر اهل الجنة فاعطاه الله سبحانه رجاءه وزاده عليه شيئا اخر وقد اخرج الامام احمد في مسنده من حديث ابي الزبير انه سمع جابرا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارجو ان يكون من يتبعني من امتي يوم القيمة ربع اهل الجنة قال فكبرنا قال فارجو ان يكونوا الشطر واسناده على شرط مسلم وروى الدارقطني من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي
قال المحقق ابن القيم في كتابه حادي الارواح فهذه الامة اسبق الامم خروجا من الارض واسبقهم
الى اعلاها مكانا في الموقف واسبقهم الى ظل العرش واسبقهم الى الفصل والقضاء بينهم واسبقهم الى الجواز
على الصراط واسبقهم الى دخول الجنة فالجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ومحرمة على الامم
حتى تدخلها امته واول من يدخل الجنة من هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق رضي الله عنه
كما رواه ابو داود في سننه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وروى الامام احمد في المسند والترمذي وابن ماجه
والحاكم من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تتمون سبعين امة
تونون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى واخرج الترمذي من حديث ابي امامة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله فضلني على الانبياء او قال امتي على الامم واحل لنا الغنايم وقال حديث حسن
صحيح وفي صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه رفعه يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين
بذنوب امثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى وقد روي معنى هذا الحديث
عن ابي موسى ايضا الطبراني والحاكم وصححه وكذا ابن ماجه والطبراني وقد روي ايضا من حديث انس
رضي الله عنه اخرجه ابن ماجه والنسفي واخرجه مسلم عن ابي موسى من وجه آخر بلفظ اذا كان يوم القيمة
دفع الله الى كل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار قال العلامة القرطبي قال علماؤنا
هذه الاحاديث ليس على عمومها انما هي في اناس مذنبين تفضل الله عليهم برحمته فاعطى كل واحد منهم فكاكا
من النار وقال معنى قوله يضعها على اليهود والنصارى انه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم
حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبي المسلمين لواخذوا بذلك لانه تعالى لا يأخذ احدا بذنب احد
كما قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وله تعالى ايضا عفو على من يشاء العذاب ويخفف عمن يشاء بحكم ارادته
ومشيئته وقال في الرواية الاخرى وهي قوله لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه يهوديا او نصرانيا
النار معناه ان المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا في النار بسبب ذنوبه وعفى الله عنه بفضله ورحمته
بقي مكانه خاليا امته اضافي ذلك المكان الى يهودي او نصراني ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه
الذي يستحقه بحسب كفره وقد جاءت احاديث دالة على ان لكل مسلم من هذه الامة منزلا كان اولا
منزلين منزلا في الجنة ومنزلا في النار وكذلك الكافر وذلك معنى قوله تعالى اولئك هم الوارثون اي يرث
المؤمنون منازل الكفار من الجنة والكفار منازل المؤمنين في النار الا ان هذه الوراثة تختلف فمنهم من
يرث بلا حساب ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وقال الامام البيهقي يحتمل ان يكون الفداء في قوم كانت
ذنوبهم كفرت عنهم في حياتهم او في مدة خروج من النار يقال لهم ذلك بعد الخروج وقال بعضهم بل يحتمل

ان يكون

ان يكون الفداء مجازا عن رؤية المنزلة التي تقدم الاشارة اليها ورجحه النووي وغيره وقيل المراد بالذنوب
التي توضع على الكفار ذنوب كان الكفار سببا فيها بان سنوها فلما غفرت سيئات المؤمنين
بقيت سيئات الذي سن تلك البدعة السيئة باقية على اربابها الكفرة لان الكفار لا يغفر لهم فيكون
الوضع كناية عن ابقاء الذنب الذي يلحق الكافر بما سنه من عمل السيء الذي عمله المؤمن وقواه الحافظ ابن حجر
وبالله التوفيق وقد روي ان لكل واحد من مؤمني هذه الامة نورين كالانبياء الا فذ روى ابو نعيم وابن الجوزي
في الوفا عن كعب الاحبار رحمه الله انه سمع رجلا يقول رايت في المنام كان الناس جمعوا للحساب فدعي الانبياء
فجاء مع كل نبي امته ودعي لكل نبي نورين ولكل من اتبعه نور امشي به فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل
شعرة في راسه ووجهه نور ولكل من اتبعه نور لانه يمشي بهما فقال كعب وهو لا يشعر النهار وباء من حدثك
هذا قال نا والله الذي لا اله الا هو رايت هذا في المنام فقال بالله الذي لا اله الا هو لقد رايت هذا في منامك
قال نعم قال والذي نفس كعب بيده او قال والذي نفسي بيده انها لصفة محمد صلى الله عليه وسلم وامته وصفة
الانبياء عليهم الصلاة والسلام واسمها في كتاب الله كما تقرا من التوراة وروى الحافظ ابو نعيم والحافظ
ابن الجوزي في الوفا عن كعب الاحبار ايضا انه رئي حبرا من احبار اليهود يبكي فقال له ما يبكيك قال
ذكرت بعض الامر فقال كعب انشدك الله لئن اخبرتك ما انا لتصدقني قال نعم قال انشدك الله
هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يا رب اني اجد في الالواح امة هم الاخرون السابقون
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل
الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال قال فقال موسى رب اجعلهم امتي قال لهم امة احمد يا موسى قال
الحبر نعم الحديث وفيه فقال موسى عليه السلام ليتني من امته او من اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فاوحى الله
اليه يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين الحديث وروى
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة
وقراها فوجد فيها ذكر هذه الامة قال يا رب اني اجد في الالواح امة هم الاخرون السابقون فاجعلهم
امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد امة هم السابقون المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد الحديث
وفيه قال يا رب فاجعلني من امة احمد فاعطى عند ذلك خصلتين فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين قال رضيت يا رب وذكر الامام المحقق ابن القيم
في كتابه جلاء الافهام وذكر الحافظ ابن الجوزي في تبصرته في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس في كنتم
قولان احدهما كان وصفكم في البشارة قل وجودكم قاله الحسن البصري الثاني كنتم في سابق علم الله تعالى
وحكمه وفي اللوح المحفوظ وقال ابن الانباري اي عازلتم وقيل ان معنى كنتم اي انتم مثل قوله تعالى

وكان الله غفورا رحيما قال ابن قتيبة قد يأتي الفعل على بنية الماضي وهو ذاهب وهو مستقبل كقوله
كنتم ومعناه انتم ومثله واذ قال السماي واذ يقول الله ومثله اتى امر الله ونظائره والله اعلم
قال ابن الجوزي رحمه الله تنبه واعلم ان فضيلة هذه الامة على الامم المتقدمة وان كان ذلك باختيار الحق
لها وتقديمه اياها الا انه سبحانه جعل لذلك سببا كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم عليه السلام
علمه بما جهلوه فكذلك جعل لتقديم هذه الامة سببا هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس
فاعتبر حالهم بمن قبلهم فانه قوم موسى راوا قدرة الخالق في شق البحر ثم قالوا اجعل لنا الهاكما لهم
كثير منهم الى عبادة العجل وعرضت لهم غزاة فقالوا اذهب انت وربك فقاتلا ولم يقبلوا التوبة
حتى تفق عليهم بجبل ولما اختار موسى سبعين منهم وضع في نفوسهم ما اوجب تزلزل الجبل بهم ولهذا
لما صعد نبينا صلى الله عليه وسلم على جبل حرا في جماعة من اصحابه تزلزل فقال اسكن فما عليك الا نبي او صديق
او شهيد فكانه اشار الى انه ليس عليك مما يشكك كقوم موسى ومن تامل حال بني اسرائيل راى هم قد امروا
بقول حطة فقالوا حنطة وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوه زحفا واذنابهم فقالوا آدر
ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم وهذا من اعظم التغفيل لان الجسم مؤلف ولا بد للمؤلف من مؤلف
ومن غفلة النصارى اعتقادهم ان الله جوهر والجواهر تتماثل ولا مثل للخالق ثم مقالاتهم في عيسى وتثليثهم
ودعواهم فيه الالهية وانه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وتنفر منه النفوس وتحيله العقول
وليس للقوم فهوم ولهذا قال بعض فضلاء امتنا انهم عار على بني آدم من بين سائر الامم هذا وقد علم
يقينا هذه الامة وبذلهم انفسهم في الحروب وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظهم لكتاب الله فلهذا
ونظائره كانوا يوفون سبعين امة هم خيرها واكرمها على الله تعالى وكل هذا انما هو بسبب كرامة نبينا
على الله وجزيل فضله عند الله وقربه من الله والحمد لله على ما انعم ووفضل وكرم والله اعلم

فصل في بعض خصائص النبي الكريم والرسول السيد السند العظيم نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه التي اختصه الحق بها جل شانه على سائر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام واشار الى اولها بقوله وخصه اي خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر
الانبيا بذاك اي بكونه ختم به النبوة والرسالة فلا نبي بعده لقوله تعالى وخاتم النبيين وذلك
يستلزم ختم المرسلين لان ختم الاعم يستلزم ختم الاخص بلا عكس ومعنى ختم النبوة بنبوته
عليه الصلاة والسلام انه لا تبتدا نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعه واما نزول عيسى عليه السلام
وكونه متصفا بنبوته السابقة فلا ينافي في ذلك لان عيسى عليه السلام اذا نزل انما يتعبد بشريعة
نبينا صلى الله عليه وسلم دون شريعته المتقدمة لانها منسوخة فلا يتعبد الا بهذه الشريعة اصولا وفروعا

فيكون

لعله جبل احد

بغ

وخصه بذاك كالمقام

وبعثته لسائر الانام

فيكون خليفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وحاكما من حكام ملته بين امته بما علمه الله تعالى في السماء قبل نزوله
وينظر في كتاب الله الذي هو القرآن وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدي
الى استنباط ما يحتاج اليه ايام مكثه في الارض من الاحكام وكسر الصلبان وقتل الخنزير ووضع الجزية
وعدم قبولها مما علم من شريعتنا لا يقال هذا نسخ لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لانا نقول بل هذا من شريعة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم معنا الى نزول عيسى عليه السلام فاذا نزل انتهى ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى
ابن مريم حكما عدلا فنزوله غاية لاقرار الكفار ببذل تلك الاموال ثم لا يقبل الا الاسلام فلا نسخ لها
وقد قدمنا ذكر قريبا والثانية ما اشار اليها بقوله كما خصه الله سبحانه وتعالى بالمقام المحمود وهو
الشفاعة العظمى كما تقدم الكلام على ذلك وروى النسائي باسناد صحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه
قال يجمع الناس في صعيد واحد فاول من يدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك
المهدي من هديت عبدك وابن عبديك وبك والبك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت
وهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وصححه الحاكم قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولا منافاة بينه
وبين حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي في صحيح البخاري ولفظه قال ان الناس يصيرون يوم القيمة جثى
كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم
فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا واخرج البخاري ايضا عن رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بادم فيقول لست بصاحب
ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد فيشفع فيقضي الله بين الخلق فيمشي حتى ياخذ بحلقة باب الجنة
فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم وذلك لان ما رواه النسائي من حديث حذيفة رضي الله عنه
كانه مقدمة الشفاعة قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وروى ابن ابي حاتم من طريق سعيد بن ابي هلال
انه بلغه ان المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين
جبريل فيغبطه لمقامه ذلك اهل الجمع ورجاله ثقات لكن مرسل قال الحافظ ابن حجر في شرح تفسير
سورة الاسرا من صحيح البخاري وقيل المراد بالمقام المحمود اخذه بحلقة باب الجنة وقيل اعطاؤه
لواء الحمد وقيل جلوسه على العرش اخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد وقيل شفاعته رابع اربعة
انتهى وتقدم في الشفاعة ما فيه كفاية والله اعلم والثالثة انه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم
ببعثته نبيا رسولا لسائر اي جميع الانام كسحاب الخلق من الانس والجن بالاجماع واختلف في
ارساله الى الملائكة على قولين احدهما انه لم يكن مرسلا اليهم وبهذا جزم جمع محققون وهو ظاهر
كلام علمائنا قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين ويجزم بان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا الى الانس والجن كافة

قال القاضي ابو يعلى وانه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وافضلهم بنص عليه الاعلام احد انتهى ونقل الاجماع على ذلك غير
واحد والقول الثاني بانه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الملائكة ايضا وزعم كما قال السيوطي في الخصائص
والسبكي قبله وزاد انه صلى الله عليه وسلم مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وزعم انه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت
للناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة ورجح هذا القول البارزي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات
واستدل على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة وبشهادة الحجر والشجر له ايضا قال الحافظ السيوطي وازيد بذلك
الى ذلك انه مرسل الى نفسه وتقدم كلام صاحب النوع وغيره في التنبيهات الملحقة بخاتمة قوله وكل انسان
وكل جنة في دار نار ونعيم جنة فعاوده فان قلت قد علم يقينا ان قوم نوح بعد الطوفان كانوا جميع اهل
الارض ورسالة نوح عليه السلام عامة لهم فالجواب ان عموم امر اتباعه اذ لم يسلم من الهلاك الا من كان معه في السفينة
فالعموم صار ثانيا وبالفرض على انه لم يبعث للجن والحاصل ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين بالاجماع
ورسالته مطبقة جميع الاكوان ولا التفات لزعم بعض ملحدي اهل الكتاب ان خصوص رسالته للعرب لان
هذا مكابرة باطلة ومغالطة عاطلة لوجوه بديهية البرهان منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكذب وقد
انزل عليه في محكم القرآن قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وما ارسلناك الا كافة للناس ثم مقاتلة
اهل الكتاب وسبي ذراريهم واستباحة دمائهم وضرب الجزية عليهم امر معلوم بالتواتر والضرورة فالمتعلق
بهذا هذا والله تعالى الموفق والرابعة المشار اليها بقوله وخصه بمعجز القرآن الذي اعجز عن الاتيان بأقصر سورة من مثله اهل الفصاحة
واعجم عما عارضه من صناديد الانس والجان واعترفوا بالعجز عن الاتيان بأقصر سورة من مثله اهل الفصاحة
والبلاغة من سائر الاديان كما تقدم الكلام على ذلك مستوفى في مبحث القرآن من الباب الاول فراجعه تظفر بمقصودك
والله اعلم الخامسة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ما اشار اليها بقوله كما اختصه الله سبحانه وتعالى بالمعراج
الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام فكان قاب قوسين او ادنى قال الواقدي
عاد رجاله كان الاسراء والمعراج في ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية عشر
من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا وروى ايضا عن اسياخ له قالوا اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة وادعى ابو محمد بن حزم فيه الاجماع وهذا قول ابن عباس و
عائشة رضي الله عنهم قال الحافظ ابن الجوزي في الوفا سمعت شيخنا ابا الفضل يقول قال قوم كان الاسراء
قبل الهجرة بسنة وقال آخرون كان الاسراء قبل الهجرة بثمانية اشهر وقال آخرون بسنة اشهر ممن قال بسنة
فيكون ذلك في ربيع الاول ومن قال بثمانية اشهر فيكون ذلك في رجب ومن قال بستة اشهر فيكون ذلك
في رمضان قال ابن الجوزي وقد قيل انه ليلة سبع وعشرين من شهر رجب قلت واختار هذا القول الحافظ
عبد الغني المقدسي الحنبلي وعليه عمل الناس وكان المعراج الى السماء بجسده الشريف وروحه المقدسة

كالاسراء

حقا بالامين والاعجاج

كالاسراء من مكة الشرفة الى المسجد الاقصى ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء حتى هذا حقا ثابتا
واجزم به جزما ثابتا بلا امين اي بلا امتراء ولا كذب ولا ريب يقال ما به امين كذب يعني ولا
ميد وميادا ولا اعوجاج يقال اعوج اعوجاجا اذا كان غير مستقيم قال في النهاية وقد تكرر ذكر
العوج في الحديث اسما وفعلا ومصدرا وفاعلا ومفعولا وهو بفتح العين المهملة مختص بكل شخص مرئي
كالاجسام وبالكسر فيما ليس بمرئي كالرأي والقول وقيل الكسر فيهما معا والاول اكثر ومنه الحديث حتى يقيم
به الملة العوجاء يعني ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها وقيل ان الاسر الاخلاق فيما ذهب نفس
القرآن العظيم على سبيل الاجمال وجاءت السنة الثابتة بتفصيله وشرح اعاجيبه فورد في عدة من
الصحابة الكرام من الرجال والنساء نحو الثلاثين رضي الله عنهم اجمعين واما ليلة المعراج فاختلف فيها
فقيل ليلة الجمعة وقيل السبت كما تقدم عن الواقدي وقال ابن دحية تستغرق تلك الليلة عام يوم الاثنين
ان شاء الله تعالى لموافق المولد والبعث والهجرة والوفاة فانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث
يوم الاثنين وهاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين وقد
اخرج الامام احمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث انس بن مالك رضي الله عنه ان مالك بن صعصعة
رضي الله عنه حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة الاسراء قال بينما انا نائم في الحطيم وربما
قال قتادة في الحجر مضطجع اذ اتاني آت فجعل يقول الصاحبه الوسط بين الثلاثة قال فاتاني
فقد وقال مرة فشق ما بين هذه الى هذه قال قتادة فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني
فقال من ثغرة نحره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصه الى شعرته قال فاستخرج قلبي قال فاتيت
بطست من ذهب مملوة ايمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي وفي لفظ فافرغ في صدره وملأه علما
وحلما ويقينا واسلاما ثم اطبقه ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض قال فقال
الجارود هو البراق يا ابا حمزة قال نعم يقع خطوه عند اقصى طرفه قال فحملت عليه وملك اراد الله
عليه وسلم العروج الى السماء بعد وصوله الى بيت المقدس وصلاته بالانبياء عليهم السلام اولى بالمعراج
التي يعرج عليه ارواح الاتقياء من بني آدم فلم يكن في الخلائق احسن منه لم ير قاط ما فضة ورقاة
ما ذهب وهو مرتفع الى سماء الدنيا وهي التي في جنة الفردوس منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فارتقى
عليه هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام من عند الصخرة التي يقال لها صخرة المعراج عن يمين الصخرة
قال بعض اهل العلم انه لم يختلف انه عرج من ثم وظاهر صنيع الحافظ ابن الجوزي في الوفا ان البراق
ترقى بباب النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار يقع خطوه عند اقصى طرفه
قال فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح الحديث بطوله وفي الصحيحين وغيرهما

وقال بعضهم قد صحت لما احاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه وظاهر انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس وجمع بعضهم بانه الراوي اختصر فلم يذكر بيت المقدس و بعضهم انه لما وصل المعراج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها الى ان وصل الى سدرة المنتهى ثم بعد سؤاله صلى الله عليه وسلم ربه ومراجعته لربه التخفيف عما امته حتى انتهى ذلك من الخمسين الى الخمس صلوات وسماع الكلام العلي لما علي قد امضيت فريضتي وشفعت نبيي وخففت عن عبادي بهن خمس صلوات كل يوم وليلة وهن خمسون في الاجر لان الحسنة بعشر امثالها وسمع قوله لكما ما يبدل القول لدي ولا ينسخ كتابي وكانت المراجعة ما بين الحق جل جلاله وبين موسى الكليم عليه افضل الصلاة واتم التسليم فانه الذي حث النبي الكريم على مراجعة الرب الرحيم وسؤاله التخفيف عما هذا الخلق الضعيف ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في موسى عليه الصلاة والسلام ونعم الصاحب كان لكم اي معشر الامة ثم قال له موسى عليه السلام اهبط باسم الله ولما دنى المصطفى من العلي الاعلى وهل يستوي سمع فيه صريف الاقلام وكلمة الجليل جل جلاله فقال له يا محمد قال لبيك يا رب قال سل قال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال الله سبحانه وتعالى وقد اتخذتك حبيبا قال الراوي وهو مكتوب في التوراة حبيب الله وارسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لا اذكر الا اذكر معي وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون والاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واول من يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنوز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة والصلاة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة كل هذا الخطاب في حال قربه من رب العالمين ثم ان الله تعالى خفف عن عباده الفعل من خمسين الى الخمس وابقى لهم ثواب الخمسين تفضلا منه تعالى وتكرما على نبيه المصطفى وعلى امته ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لما وصل الى سدرة المنتهى غشيته سحابة فيها من كل لون فناجى جبريل

ثم عرج

ثم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل المستوى سمع فيه صريف الاقلام فدنى منه الحضرة الالهية حتى كان كقاب قوسين او ادنى اي او اقرب اي بل اقرب من ذلك ثم انحط عنه السحابة فاخذ جبريل بيده فانصرف سريعا فمر على ابراهيم فلم يقل شيئا ثم اتى على موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الصاحب كان لكم فقال ما هنعن يا محمد ما فرض عليك ربك وعلى امتك قال النبي صلى الله عليه وسلم فرض علي وعلى امتي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن امتك فانه لا تطيق ذلك فاني جربت الناس قبلك وبلوت بني اسرائيل وعالجتهم اشد المعالجة على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فامتك اضعف اجسادا وابدانا وقلوبا وابصارا واسماعا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل يستشيره فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فرجع سريعا حتى انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا وقال رب خفف عن امتي فانها اضعف الامم قال وضعت عنكم خمسا وهكذا الى ان بقيت الخمس وهذا في صحيح مسلم من حديث انس رضي الله عنه والذي في المسند والصحيحين وغيرهما عن انس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه ان الله تعالى حط عنه عشرا ثم عاد فحط عنه عشرا ثم عاد فحط عنه عشرا وكذلك هو في الصحيحين ثم حدث انس رضي الله عنه وقال الامام الحافظ ابن الجوزي في الوفا وهذا اصح لاتفاق البخاري ومسلم عليه من حديث انس عن مالك ومن حديث انس نفسه ايضا وذكر المراجعة خمس مرات وقال عن رواية انه حط خمسا خمسا غلط من الراوي انتهى وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري كونه حط كانا خمسا خمسا اصح ولفظه قد حققت رواية ثابتة ان التخفيف كان خمسا خمسا وهي زيادة معتمدة يتعين حملها في الروايات عليها انتهى قلت ولما قدمته وجه وجيه من امور احدها ان كونه التخفيف عشرا اليق بكرم الكريم الثاني اتفاق الصحيحين عليه من حديث انس ومن حديث مالك بن صعصعة واما كونه خمسا خمسا فمن افراد مسلم وما اتفق عليه الصحيحان اصح الثالث كونه عشرا اقل من مراجعة الرابع ان حديث انس من كونه كان خمسا صادقا بان الحط في الخامسة خمس فيصدق عليه بانه الحط كان خمسا في الجملة والحاصل ان كون الحط كان عشرا اصح وبالله التوفيق **تنبيهات الاول** تقدم الكلام على رواية النبي صلى الله عليه وسلم لذي العزة والجبروت والانعام واختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ذلك ومما ينبغي ان يعلم ان الخلاف المذكور انما هو في وقوعها في امكانها وجوازها اذ هي جائزة عقلا ونقلا اما العقل فواضح ولما النقل فاما كلام الرحمن الا سبال المستحيل هذا مما لا يظنه من عرف منصب النبوة فضلا عن الرسول فضلا عما احاط علمه بالرسل ليت شعري من جهل الواجب والجائز والمستحيل على الله تعالى ما علم هذا مما لا يتصوره مؤمن بالله ورسله يرى الحق ويتبعه ابدا ثم ان رواية الباري جل شانه واقعة للمؤمنين في الاخرة قطعا كما مر وامتا من ادعاها في الدنيا يقظة لغير نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في ذلك من الخلاف

فهو ضال بل قال الكواشي في تفسيره في سورة النجم ومعتقد رؤية الله تعالى هنا يعني في الدنيا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم فزنديق فلو قال اني اري الله عيانا في الدنيا ويكلمني شفاها كفر انتهى ونقل عن المهدي المفسر انه كفر مدعي الرؤية هنا وقد نقل جماعة الاجماع على انها لا تحصل للاولياء في الدنيا قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح وابو شامة انه لا يصدق مدعي الرؤية في الدنيا يقظة فانه شيء منع منه موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام واختلف في حصوله لنبينا صلى الله عليه وسلم كيف يسلم به لو لم يصل لمقام مهما لا يتوقف فيه انه لا يحصل لآحاد الناس وقد اختلف في رؤية الله تعالى منامًا والحق جوازها وبالله التوفيق الثاني اختلف في المراد من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى اي حيث الوتر من القوس قاله مجاهد وقال ابو عبيدة قاب قوسين اي دار قوسين او ادنى او اقرب والقاب ما بين القبضة والسية من القوس قال ابو احمد هذا قول الجمهور من المفسرين ان المراد بالقوس التي يرمى بها قال وقيل المراد بها الذراع لانه يقاس به الشيء قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وينبغي ان يكون هذا القول هو الراجح فقد اخرج ابن مردويه باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال القاب القدر والقوسين الذراعين وليس في هذا ان لو كان المراد به القوس الذي يرمى به لم يمثل بذلك لاحتياج الى التثنية فكان يقال مثلا قاب رمح او نحو ذلك وقد قيل انه على القلب والمراد فكان قابي قوسين لان القاب ما بين المقبض الى السية فلكل قوس قابان بالنسبة الى حالة فتنة وقوامه او ادنى اي او قرب قال الزجاج خاطب الله العرب بما الفوا والمعنى فيما تقدرون انتم واستعلمكم بالاشياء على ما هي عليه لا ترد عنده وقيل او بمعنى بل والتقدير بل هو اقرب الثالث المقدر المذكور وسدة القوس هي العرضة التي يوضع فيها الوتر والمراد بجبريل عليه السلام قال الحافظ ابن كثير هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام الصحابة رضي الله عنهم وقد روى الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت ذاك جبريل قال المحقق ابن القيم لان جبريل هو الموصوف بما ذكر من اول السورة الى قوله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قال ذاك جبريل لم يره في صورته التي خلق عليها الا مرتين رواه مسلم قال ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك ثم ساق سبعة وجوه تدل على ذلك واما ما وقع في البخاري من رواية شريك عن انس ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فقد تكلم الناس فيه وقالوا ان شريكا غلط فيه وذكر فيه امورا منكرة لكن قال المحقق ان الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هذا وجزم ابن كثير بان الدنو والتدلي في حديث شريك غير الذي في الآية ولذا قال الرازي

في تفسيره

في تفسيره فكان قاب قوسين اي فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين او اقل وهذا على استعمال العرب وعادتهم فانهم الاصغرين منهم او الكبيرين اذا اصطلحوا وتعاقدوا اخرجا بين سيهما فجعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهم من الرعية يكونون كفتي بكفتي صاحبه فيمدانها عليهما كذلك فسمي مبايعة انتهى وقوله او ادنى قال المحقق ابن القيم او هنا ليست للشك بل للتحقيق قدر المسافة فانها لا تزيد على قوسين البتة كما قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون تحقيقا لهذا العدد والفهم لا ينقص عن مائة الف رجل واحد ونظيره قوله تعالى فهي كالحجارة اواشد قسوة اي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها قال وهذا المعنى احسن والطف وادق من قول من جعل او في هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الرائي ومن قول من جعلها بمعنى الواو وقائله انتهى الثالث سدرة المنتهى السدر شجر النبق واحدته سدرة وانما قيل لها سدرة المنتهى لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الارض كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقيل غير ذلك قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لانها تفيء ظلا مديدا وطعم لذيذ وريح ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية وقد وقع عند مسلم في صحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان السدرة في السماء السادسة وظاهر حديث انس انها في السابعة قال القرطبي وهو تعارض لا اشكال فيه وحديث انس قول الاكثر وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب ويترجح حديث انس ايضا بانه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف قال الحافظ ابن حجر كذا قال يعني القرطبي ولم يعرج على الجمع بل اجزم بالتعارض ولا تعارض عندها في السماء السادسة ما دلت عليه بقية الاحاديث انه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على ان اصلها في السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليست في السادسة الا اصل ساقها قال ابن حجر والاظهر ان سدرة المنتهى مغروسة بالارض بدليل قوله ونهراه باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما اشبهه الا على ما يقوم والباطن لا بد ان يكون سريانه تحت شيء وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن وقال القاضي عياض دل الحديث على ان اصل شجرة سدرة المنتهى في الارض لكونه قال ان النيل والفرات يخرجان من اصلها وهما بالمشاهدة يخرجان من الارض فيلزم منه ان يكون اصل السدرة في الارض وتعقبه النووي بانه المراد بكونهما يخرجان من اصلها غير خروجهما بالنبع من الارض والحاصل ان اصلها من الجنة وهما يخرجان اولا من اصل السدرة ثم يسيران الى ان يستقرا في الارض ثم ينبعان وفي اصل القصة فاذا في اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران وقال جبريل لما سئل عنها اما الباطنان فنهران في الجنة

واما الظاهر انه فالنيل والفرات قال ابن ابي جمرة هذا يدل على ان النيل والفرات ليسا من الجنة وسدرة المنتهى ليست في الجنة حتى يقال انهما يخرجان منها بعد نبعهما من السدرة وهذا معارض لما رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة ويجمع بينهما والله اعلم ان الفرات او النيل منبعهما من السدرة واذا نزلا الى الارض يسلكان اولا على الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الارض انتهى قلت اذا قلنا سدرة المنتهى في السابعة تعين انها في الجنة لان الجنة ليس سقفها سوى عرش الرحمن والله اعلم

الرابع المستوى الذي سمع فيه صلى الله عليه وسلم صريف الاقلام هو المصعد وقيل المكان المستوي وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء هو صوت حركة الاقلام وجريانها على المكتوب فيه من الاقضية الالهية والوحي وما ينسخونه من اللوح المحفوظ او ما شاء الله من ذكر ان يكتب ويرفع لما اراده تعالى من اوامره وتدبيره وفيه حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام الذي هو تعالى يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت به الايات والاحاديث الصحيحة فكل ما جاء من ذلك فهو حق يبقى على ظاهره نعلم كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى ومما اطلعه الله تعالى على شيء من ذلك من الملائكة والمرسلين وما يتأول هذا او يحيله لا ضعيف الايمان اذ جاءت به الشريعة والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو الغني الحميد والله تعالى اعلم

الخامس الصحيح المعتمد ان الاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة هذا الذي اعتمده اكثر اهل العلم وقيل كان الاسراء وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة اخرى والاول هو الذي ذهب اليه اكثر اهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين وانهما كانا يقظة بالروح والجسد جميعا لا في المنام من مكة الى المسجد الاقصى الذي هو في بيت المقدس الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله العلي الاعلا قال اهل الحق وهذا هو الحق من غير امتراء وعليه يدل القرآن نصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاضت استفاضة تكاد تبلغ التواتر او بلغته ولا نعدل عن الظاهر في الاخبار الواردة في ذلك ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الاذهان من الفاظها الى التاويل الا عند الاستحالة ونعذر من حمل اللفظ على حقيقته وليس مستحيلة تؤذن بالتاويل فلا جرم وجب اعتقاده على ظاهره مع تفويض علم ما ذا في الحق وبالله التوفيق

السادس زعم بعض الصوفية ان المعراج وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة وقال بعضهم اربعة وثلاثين مرة واحدة منها بجسمه الشريف والباقي بروحه ورد المحقق تعدد ذلك مع تعدد فرض الصلاة والمراجعة في الحط والتخفيف قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وما اظن احدا ممن قال بالتعدد يلتزم اعادة مثل ذلك والله تعالى اعلم فلم جباه ربه سبحانه وتعالى بكرمه وكم فضله على غيره بمزيد من المزايا التي لا تحصى والكرامات التي لا تستقصى فانا لو هذه خبرية بمعنى كثير وهي تفيد كثرة ما حباه ربه به من الكرامات

والمزايا

والمزايا والحبا بمعنى الاعطاء يقال حباه فلانا اعطاه بلا جزاء او عوض او عام والاسم الحباب ككتاب كما في القاموس

وكم خصه سبحانه وتعالى بخصوصية يقال خصه خصا وخصوصا وخصوصية ويفتح وخصيص وميد وخصه وتخصه فضله والخاص والخاصة ضد العامة وخوله بمعنى اعطاه قال في القاموس خوله الله المال اعطاه اياه مفضلا والمعنى انه جل وعلا خص نبيه المصطفى بخصائص كثيرة ومزايا جليلة غير ما ذكرنا حتى ان ابن سعد ذكر في كتابه شرف المصطفى واوصل الخصائص التي اختص الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بها عن سائر الانبياء والمرسلين الى ستين وبعض متاخري الحفاظ اوصلها الى ثلاثمائة وقال بعض الحفاظ الحق عدم حصرها غير انه لم يتعرض في النظم الا لبعض المهم منها على انها اوذت بالتاليف فلا حاجة الى تعدادها هنا

فصل في التنبيه على بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم

وهي كثيرة جدا وتعرف المعجزة وهي اسم فاعل ماخوذة من العجز المقابل للقدرة وفي القاموس معجزة النبي ما عجز به الخصم عند التحدي وانها للمبالغة انتهى وقال ابن حمدان في نهاية المبتدين المعجزة هي ما خرق العادة من قول او فعل اذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتدا بحيث لا يقدر احد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقاربها وقال الفخر الرازي المعجزة عرفا امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة قال العلامة التفتازاني انما قال امر ليتناول الفعل كانفجار الماء من بين اصابع النبي صلى الله عليه وسلم ويتناول عدمه اي عدم الفعل كعدم احراق النار لابراهيم عليه السلام واحترزوا بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الاولياء والعلامات الارهاصية التي تتقدم البعثة النبوية وعن ان يتحدى الكاذب معجزة من يصدقه الانبياء وما تقدم له في السنين الماضية حجة للنفس وبقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة وقول ابن حمدان وطابقها يخرج ما اذا قال معجزتي ما اذا قال معجزتي نطقي هذا الحي فنطق بانه كذاب مفتر وكما تقل مسيلمة في بئر فغار ماؤها ومسح علي راس غلام فصار اقرع ونحو ذلك اذا عرفت هذا فقد اشار الى التنبيه على ان معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فلا يمكن استقصاء عدها بقوله ومعجزات جمع معجزة وتقدم تعريفها انفا خاتم الانبياء يعني نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء جمع نبي وتقدم الكلام على كونه خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كثيرة جدا تخرا اي تعظم وتكبر عن احصائي اي عن عدي وحفظي لكثرة افرادها وتنوعها من الاقوال والافعال التي ما سبقت لمثله من الانبياء ولم يبلغ احد من الانبياء كثرة المعجزات ما بلغ نبينا صلى الله عليه وسلم وهو دليل على مزيد الشرف والتكريم وشدة الاعتناء والاهتمام بشانه والاحتفاء بامر نبوته وايضا لما كان نبينا خاتم النبيين والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع اجمعين ناسب كثرة المعجزات وتراوف الايات البينات والمعجزات الباهرات قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الجواب الصحيح الايات

كثيرة جدا عن احصاء الانبياء ومعجزات

خصه سبحانه وخوله

والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهي اكثر واعظم من ايات غيره من الانبيا
قال وبسببها النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة واعلام النبوة وتخويف وقال وهذه الالفاظ اذا
سميت بها ايات الانبيا كانت ادل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا
في الكتاب والسنة وانما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان واهل الكلام لا يسمون معجزا الا ما كان
للانبيا فقط واما ما يثبت للاولياء من خرق العادة يسمونه كرامة قال السلف كالامام احمد وغيره
كما قد يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات اذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي
اختصاص الانبيا بخلاف ما كان اية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه وربما
سموا الكرامات ايات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي فان الدليل يستلزم المدلول فيمتنع
ثبوته بدونه وثبوت المدلول فكذلك ما كان اية وبرهانا وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع
ان يكون لغير النبي وقد يقال انهم سموها معجزات لان كرامات الاولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه
او لانها تعجز غيرهم وهي اية على صحة طريقهم انتهى قال بعض العلما معجزات نبينا كثيرة لا تنحصر
وفي كلام بعضهم ان الله صلى الله عليه وسلم اعطي ثلاثة الاف معجزة يعني غير القرآن فانه فيه ستين او سبعين الف
معجزة تقريبا ولهذا قال منها اي من معجزات نبينا خاتم النبيين بالاعظم منها واجلها كلام الله المنزل
على النبي المرسل معجز الورى كفى الخلق جميعهم انسهم وجنهم اولهم وآخرهم فهو معجز بنفسه ليس في
وسع البشر الاتيان بسورة من مثله كما تقدم ذكره موضحا وكذا من غير معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق
البدر اي القمر قال في القاموس والبدر القمر المتملئ انتهى وهو احد الكواكب السيارة التي هي الشمس
والقمر والزهرة وعطارد والمريخ والمشتري وزحل فانشقاق القمر نصفين ثابت من غير امترا
اي من غير شك ولا جدل ماخوذ من المرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مماراة ومرا
وامترى فيه وتمارى شك كما في القاموس وفي النهاية المرا الجدال والتماري والمماراة المجادلة على
مذهب الشك والريبة انتهى وانما قال من غير امترا لثبوت ذلك وظهوره لكل احد ظهورا تاما
وثبوتا جازما وقصة ذلك كما في الصحيحين من حديث انس بن مالك رضي الله عنه ان اهل مكة سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما وقال شيبان عن قتادة
فاراهم انشقاق القمر مرتين وفي حديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم وغيرهما قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشقنا
القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلتم تؤمنون قالوا نعم فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربه

عز وجل

منها كلام السيد معجز العربي
كذا انشقاق البدر من غير امترا

عز وجل ان يعطيه ما سالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا
وذلك بمكة قبل الهجرة وقال مجاهد انشق القمر فبقيت فرقة وذهبت فرقة فمر وراء الجبل وقال ابن زيد
لما انشق القمر كان يرى جبل قعيقعان النصف وابي قبيس النصف الاخر قال في النهاية جبل بمكة قيل سمي بذلك
لان اول جرهما لما تحاربوا كثرت قعقعة السلاح هناك وجبل ابي قبيس مشهور معلوم بمكة وروى الامام احمد
من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار فرقتين فرقة
على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد وقالوا ان كان سحرنا محمد فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم
فاسالوا السفار فاما شهد وا بما ابصروه انه حق وليس هو سحرا فسالوا من كان مسافرا على مكة
من اهلها ومن غيرهم فاخبروهم انهم راوا ذلك فتمادوا في كفرهم وعتوهم ولم يؤمنوا وروى الطبراني عن
ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هذا سحر سحركم ابن ابي كبشة
فاسالوا السفار يقدمون عليكم فانه كان مثل ما رايتم فهذا صدق والا فهو سحر فقدم السفار فسئلوهم
فقالوا نعم قد رايناه فانشق القمر واخرج ابو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت قد ثبت انشقاق القمر بنص القرآن العظيم
وبالسنة الصحيحة الصريحة عن الرسول الكريم وقد بلغت الاحاديث بذلك مبلغ التواتر واجمع على ذلك
اهل الحق وهذا الانشقاق الواقع للقمر من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي اختص بها على سائر النبيين
والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فلم يشركه في ذلك غيره ولم يقع لاحد سواه وهو من اعظم
معجزاته التي لا يكاد يعدلها بعد القرآن شيء ولا يعدل اية من ايات الانبيا عليهم السلام لظهور ذلك في
ملكوت السموات خارجا عما جبل طباع ما في هذا العالم المركبة الطبايع فهو اية عظيمة ومعجزة جسيمة
ولهذا قرنها بمعجزة القرآن واقتصر عليهما من المعجزات لانه فيهما كفاية عما سواهما والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم
لا تحصى ودلائل نبوته لا تستقصى **تنبيهات الاول** قد روى انشقاق القمر عن جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم منهم ابن مسعود وانس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم رضي الله عنهم
الثاني الثابت من قصة انشقاق القمر ما ذكرناه من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة واما ما قيل
ان القمر دخل في جيب صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فلا اصل له **الثالث** قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب
الصحيح ايات صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالقدرة والفعل والتاثير انواع منها ما هو في العالم العلوي كانشقاق
القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة ومعراجه الى السماء قال وانما جعل الاية في انشقاق القمر
دون الشمس وسائر الكواكب لانه اقرب الى الارض من الشمس والنجوم وكان الانشقاق فيه دون اجزاء الفلك
لانه جرم جسم مستنير فيظهر فيه الانشقاق الحاصل من براه ظهورا لا يتمارى فيه واذا قبل الانشقاق

فقيل محله اولى بذكر قال وفيه حكمتان عظيمتان احداهما كونه من ايات النبوة والثانية انه فيه
دلالة على جواز انشقاق الفلك وانه ذكر دليل واضح على ما اخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام
من انشقاق السموات خلافا للفلاسفة في زعمهم ان الفلك لا يقبل الخرق والالتيام والله اعلم
ومنها ما هو في الجو كاستقايه واستصحابه صلى الله عليه وسلم وطاعة السحاب في حصوله وذهابه
ومنها قصر فيه الحيوانات الانس والجن والبهائم ومنها قصر فيه الاشجار والخشب والاحجار
ومنها تاييده بملائكة السماء ومنها كفاية الله تعالى اعداءه وعصمته من الناس ومنها اجابة
دعائه صلى الله عليه وسلم ومنها اعلامه بالغيبيات الماضية والمستقبلة ومنها تاثيره في تكثير الماء
والشراب والطعام والثمار وغير ذلك من دلايل نبوته واعلام رسالته ومعجزاته الظاهرة وايايته
الباهرة **الرابع** انه نقل صورة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة الباهرة وهيئته وطلعته الظاهرة
وسمته ودله بدليل العقلاء على صدقه ولهذا قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه فلما رايت وجهه
عرفت انه ليس بوجه كذاب وما سمع كلامه ورئي آدابه لم يدخله شك في نبوته قال الحافظ
ابن الجوزي وغيره من الحفاظ وثبت في عدة اخبار ان صلى الله عليه وسلم كان في صغره يعرف بالامانة
والصدق وجميل الاخلاق وقد قال هرقل في حديث ابي سفيان ما كان ليترك الكذب على
الناس ويكذب على الله تعالى وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في جواب الصحيح قال
نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هو مثل ضربه الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

لو لم تكن فيه ايات مبينة ... كانت بديهته تاتيك بالخبر

وذكره القاضي عياض في كتابه الشفا وذكر من هذا القبيل طرفا صالحا وبالله التوفيق **فصل** في ذكر فضيلة
نبينا واولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين **وافضل**
العالم العلوي والسفلي من ملك وبشر وجن في الدنيا والاخرة في سائر خلال الخير وخصال الكمال
ونعوت المكارم والجمال من غير امتراء اي من غير شك ولا ريب قال في القاموس العالم الخلق كله
او ما حواه بطن الفلك بينا خبر المبتدا الذي هو افضل العالم محمد المبعوث رسولا لكافة الناس
بل للمثقلين الانس والجن قيل والملائكة وتقدم ذكر في ام القرى مكة المشرفة وبلدة المعظمة
قال تعالى لتنذر ام القرى يعني مكة قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه مثير العزم الساكن الى
اشرف الاماكن في تسميتها بذلك اربعة اقوال احدها لانها الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس
رضي الله عنهما وقال ابن قتيبة لانها اقدمها الثاني انها قبلة يؤمها جميع الناس الثالث انها

اعظم

وافضل العالم من غير امتراء
نبينا المبعوث في ام القرى

اعظم القرى شانا الرابع لانها فيها بيت الله عز وجل ولما اطردت العادة بان البلد الملك وبيته هو المتقدم
على الاماكن سمي ام القرى لانها الام متقدمة وانما كانت افضل خلق الله تعالى لما ذكرناه من بهر المعجزات وظهر الدلالات
واشهر الكرامات ففيها اشهر المعجزات واظهرها وامته ازكى الامم واطهرها وشريعته اتم الشرايع واشهرها
واخلاقها وصفاته اكمل الصفات واشرفها واخلاقه احسن الاخلاق واعرفها واوسعها وشيمه
اعلا الشيم وانفعها ومن اعظم ما يدل على تعظيم نبينا وفضله على سائر الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين ان الله سبحانه وتعالى اقسم بحياته في شرعه وانما تنعقد الايمان باسماء الله تعالى
وصفاته وكلامه ابدا وقد ذكر قال الامام الحافظ ابن الجوزي في الوفا اقسم الحق عز وجل بحياته
وانما يقع القسم بالمعظم وبالمحبوب قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وخرج الترمذي
وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلق الله وما ذرا ونفسا هي اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم
وما سمعته اقسم بحياة احد غيره فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال الامام ابن عقيل رحمه الله
واعظم من قول الله تعالى لموسى واصطنعتك لنفسي قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويده
ذكر انه جعل اللام في قوله واصطنعتك لنفسي التي هي للملك والاختصاص بينه وبينه ولم يجعل بينه تعالى
وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة بل قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقوله تعالى لا اقسم بهذا
البلد وانت حل بهذا البلد المعنى اقسم بهذا البلد فانه اقسمت بالبلد فلا تذكر فيه ثم قال ابن عقيل
يا موسى اخلع نعليك ولا تمش الا ماشيا يا محمد اركب البراق والا تمش الا راكبا واخرج الطبراني وصححه وابن حبان
من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا اتاني جبريل فقال يقول لك ربك اتدري كيف رفعت
لك ذكرك قال الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي واخرجه الشافعي وسعيد بن منصور وعبد الرزاق عن طريق
مجاهد قال قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر قال ولو
ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله
ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة ولا اذان الا ينادي اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وما زاده على سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام ان الله تعالى دعاهم باسمائهم يا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة وذكره في الكتاب اودريس يا نوح اهبط بسلام منا يا ابراهيم اعرض عن هذا يا موسى
اني اصطفيتك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي يا زكريا انا نبشرك

يا يحيى خذ الكتاب ودعى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والتفخيم فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول
ولما ذكر اسمه قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل محمد رسول الله والذين
معه وامنوا بما نزل على محمد ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله ولما ذكر الخليل وسيدنا
رسول الله ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى انه اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وكان الانبياء عليهم السلام يجادلون امم هم عما انفسهم كقول قوم نوح
انا لنراك في ضلال مبين فقاربوا اضافوه نفسه ليس بي ضلالة وقال قوم هود انا لنراك في سفاهة
فقال ليس بي سفاهة وقال فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا فقال موسى اني لاظنك يا فرعون مثبورا
اي مصروفا عن الحق مطبوعا على قلبك واما نبينا صلى الله عليه وسلم فتولى الحق سبحانه المجادلة عنه
فلما قالوا هذا ساحر قال تعالى وما علمناه الشعر وما قالوا كاهن قال تعالى وما هو بقول كاهن
وقالوا ضال فقال ما ضل صاحبكم وما غوى وقالوا مجنون فقال ما انت بنعمة ربك بمجنون حتى قال
الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول كدعاء بعضكم بعضا قال الواحدي اعلمهم الله فضل النبي صلى الله عليه وسلم
على سائر البرية في المخاطبة وامرهم ان يخصوه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يا محمد يا
ابن عبد الله كما يدعو بعضهم بعضا بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله في لين وتواضع وخفض
وذكر ابن الجوزي في الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الآية
قال كانوا يقولون يا محمد يا ابا القاسم فنهاهم الله تعالى عن ذلك اعظاما لنبيه فقالوا يا نبي الله
يا رسول الله وحكى عن الحسن نحوه رواه ابو نعيم وهذا بخلاف الامم السالفة فانهم كانوا يخاطبون
انبياءهم باسمائهم وفضائله ومزاياه صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فهو افضل خلق الله تعالى
صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وفي
الترمذي من حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي
ولا فخر قال ابن الانباري اراد لا اتبجح بهذه الاوصاف لكن اقولها شكرا ومنها على انعام ربي
علي وفي حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو ان موسى
كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني فان قيل قد قال صلى الله عليه وسلم لما قال له يا خير البرية ذاك
ابراهيم وقال لا تخيروني على موسى وقال لا تفاضلوا بين الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد
ان يقول اني خير من يونس بن متى فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم اما ان يكون قال ذلك قبل

ان يعلمه

ان يعلمه الله تعالى انه سيد الاولين والآخرين فلما اعلمه الله سبحانه وتعالى بذلك اخبر به واما انه قال ذلك تواضعا
وتأدبا واحتراما لخلة ابراهيم عليه السلام واما انه اراد بره قبر عصر ابراهيم او ان النهي انما هو عن تفضيل
يؤدي الى تنقيص المفضول او يؤدي الى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب ورود ذلك الحديث
او ان النهي عن التفضيل في النبوة نفسها وذلك قد لا يتصور فيما بل في خصايصها وتوابعها والحق
انه ورد النص بتفضيل بعض الرسل على بعض فقد قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض والحاصل
ان صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل العلم بتفضيل الله له على سائر الانبياء والرسل مع مراعاته لعلو مراتبهم
الباذخة وجلالة مناصبهم الشامخة ثم اعلمه الله تعالى بانه سيد الاولين والآخرين وافضل جميع الانبيا
والمرسلين وامر بتبليغ ذلك فبلغه كما امر وان اعتقاد ذلك حق لازم وفرض جازم مع مجانبة التفضيل
المؤدي الى تنقيص المفضول ومراعات تلك المراتب التي لا تدرك كنه حقايقها اكثر العقول فالنبي
المصطفى افضل الخلق جميعا بلا خلاف صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

وبعده اي بعد النبي صلى الله عليه وسلم الافضل من سائر الخلق هم اهل العزم اي اهل الثبات والجد من الرسل
وهم على المشهور ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الروح ونوح النجي فيكونون خمسة بنينا
محمد صلى الله عليه وسلم وهم المذكورون في قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى بن مريم فانهم اصحاب الشرايع وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتكريما لشانه
وهؤلاء الذين اجتهدوا في تاسيس الشرايع وتقريرها وصبروا على تحمل المشاق من اقومهم ومعاداة
الطاغين فيها وقيل انما كانوا اولي العزم لصبرهم على البلاء من الله تعالى فنوح صبر على اذى قومه
فانهم كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده وقد قيل كل الرسل من اولي العزم
فمن للتبيين لا للتبعيض وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر وقال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم لم يبعث الله
نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل وانما ادخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما قال الاشرف الكسية
من الخز واردية من البز وقال بعضهم لم ابينا كلهم اولوا العزم الا يونس عليه السلام لعجلة كانت منه الا ترى
انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولوا العزم نجبا الرسل المذكورون في
سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال
ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة نوح وابراهيم النجم وهو المشهور كما قدمنا انفا واخرج البغوي في
تفسيره وابو الشيخ ابن حيان عن مسروق قال قالت لي عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لاولي العزم الا بالصبر على

على مكروهها والصبر على محبوبها فلم يرض الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبروا ولي العزم من الرسل واني والله لا بد لي من اطاعته والله لاصبرن كما صبروا واجهدن ولا قوة الا بالله وقد اختلف العلماء فيمن يلي النبي صلى الله عليه وسلم في الفضيلة منهم والمشهور واختاره ابن حجر في شرح البخاري انه ابراهيم خليل الرحمن لما ورد ان ابراهيم عليه السلام خير البرية خص منه محمد صلى الله عليه وسلم بالاجماع فيكون افضل من موسى وعيسى ونوح عليهم السلام والثلاثة بعد ابراهيم افضل من سائر الانبياء والمرسلين قال الحافظ ابن حجر ولم اقف على نقل الهم افضل والذي ينقدح في النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام قال بعض العلماء العلة تقديم موسى عليه السلام لانه كلمه الله ثم عيسى عليه السلام لانه كلمة الله وقال بعض المحققين الواجب اعتقاده افضلية الافضل على طبق ما ورد الحكم به تفضيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي ثم ان تعين لنا نص من الشارع على الوجه الذي جعله سببا لافضليته قلنا به والا امسكنا عنه لان التفضيل راجع لاختيار الباري سبحانه وتعالا لعلة موجبة وجدت في الفاضل وفقدت من المفضول ولله تعالا ان يفضل من عبيده من شاء بما يشاء على ما يشاء منهم وان كان كل واحد منهم كاملا في نفسه بالغا ما ذكر الغاية التي تليق به مما عين ان يحمله على ذلك وصفا يكون فيهم وذلك مما يجب له سبحانه بحق ربوبيته وسيادته ولا شك ان الفاضل لا يجب ان يفضل بما لم يجعله الله سببا للتفضيل وان المفضول لا يجب ان يجعل مفضولا لسبب لم يجعله الله تعالا سببا للمفضولية وان الله تعالا لا يجب ان يفاضل احدا بين احبابه بما لم يجعله سببا للمفاضلة فتعين ان الصواب ما اشير اليه من الوقوف على المنقول بالنص القرآني والثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الله وصحبه تفضيلا واجمالا وبالله التوفيق ثم بعد اولي العزم فالواجب اعتقاده ان يليهم في الافضلية سائر الرسل المكرمين بالرسالة فهم افضل من الانبياء عليهم السلام غير الرسل وبه يعلم ان الرسالة افضل من النبوة ولو في شخص واحد خلافا للعز بن عبد السلام في قوله ان نبوة النبي افضل من رسالته لقصرها على الحق تعالا اذ هي لا يحابا يتعلق بالباري جل شانه من غير ارتباط بالخلق اما مع تعدد المحل فلا خلاف في افضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة على ان الصحيح المعتمد افضلية الرسالة مطلقا والله تعالا اعلم ثم الافضل بعد الرسل الكرام الانبياء عليهم افضل الصلاة والسلام وهم متفاوتون في الفضيلة فبعضهم افضل من بعض كما قال تعالا ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض كما ان بعض الرسل افضل من بعض كما قال تعالا تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فهذا واجب الاعتقاد تفصيلا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلا ولو بدليل ظني صحيح واجمالا فيمن علم منهم وعلم حكمه اجمالا ولهذا قال بالجزم السديد والقطع المفيد المحكم المذكور من غير شك ولا تردد حسبما

تقدم

تقدم على النهج السديد الاقوم وعلم مما ذكر ولا سيما ما قدمه بالجزم رد زعم من زعم ان الولي قد يبلغ درجة النبي كما يحكى عن الكرامية بل زعم بعض الصوفية ان الولاية افضل من النبوة قالوا لانها تنبئ عن القرب والكرامة كما هو شانه خواص الملك والمقربين منه والنبوة عن الانباء والتبليغ كما هو حال من ارسله الملك الى رعاياه التبليغ الاحكام قالوا لان الولي لا يبلغ درجة النبي بخلاف العكس لان نبوة النبي لا تكون بدون ولاية وقد شنع شيخ الاسلام ابن تيمية على من زعم ذلك في محلات من كتبه وقال ان ذلك مخالف لدين الاسلام واليهود والنصارى وقال في جواب المسائل الاسكندرية بعد ما ذكر شنيع مقالاتهم وزيف قبيح ترهاتهم ولهذا يقولون ان الولاية اعظم من النبوة والنبوة اعظم من الرسالة وينشدون مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي ويقولون ان ولاية النبي اعظم من نبوته ونبوته اعظم من رسالته ثم قد يدعي احدهم ان ولايته وولاية سائر الاولياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وان جميع الانبياء والرسل ما حيث ولايتهم هي غذاهم من نبوتهم ورسالتهم وانما يستفيدون العلم بالله الذي هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء وشبهتهم في اصل ذلك ان قالوا الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول يأخذ بواسطة ولهذا جعلوا ما يلقى في نفوسهم ويجعلونه من باب المخاطبات الالهية والمكاشفات الربانية اعظم من تكليم موسى بن عمران عليه السلام قال وهي في الحقيقة اما ان ات شيطانية ووساوس نفسانية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ولو هدوا العلم ان افضل ما عند الولي ما يأخذه عن الرسول لما ياخذه عن قلبه وان افضل الاولياء الصديق وافضلهم ابو بكر رضي الله عنه وكان هو افضل من عمر مع ان عمر كان محدثا كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان قبلكم في الامم محدثون فان يكن في امتي احد فعمر وفي الترمذي لو لم ابعث فيكم لبعث عليكم عمر وقال ان الله تعالا ضرب الحق على لسان عمر وقلبه ومع هذا فالصديق الذي تلقى من مشكاة النبوة مطلقا افضل لانه ماخذه معصوم من الخطا والمحدث ليس معصوما بل يقع له الصواب والخطا ولهذا يحتاج ان يزن بميزان النبوة المعصومة وقال ابو محمد في قوله تعالا ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قال لا يسئل منازل الانبياء ثم تكلم على زعمهم ما زعموا في خاتم الاولياء وانا هذه كلمة لا حقيقة لفضلها ومزيتها وانما تكلم ابو عبد الله الحكيم الترمذي بشيء من ذلك غلطا لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ومسمى هذا اللفظ هو آخر من بقي يكون وليس ذلك افضل الاولياء باتفاق المسلمين بل افضل الاولياء سابقهم واقربهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما كما يأتي اذ الاولياء يستفيدون من الانبياء كما يأتي فاقربهم الى الرسول افضلهم بخلاف خاتم الرسل فانه لما ارسله بالرسالة لم يحله على غيره فقياس مسمى احد اللفظين على الاخر مع وجوب كونه افضل من افسد القياس

٢ الكرام الانبياء بالجزم

وقال شيخ الاسلام روح الله روحه في النكت على من جعل خاتم الاولياء افضل
من الرسل والانبياء وزعم هؤلاء انه الرسل جميعهم ولا نبيا يستفيد ولا علم المعرفة بالله تعالى من
مشكاة كالذي جعلوه خاتم الاولياء وجعلوه افضل منه خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعلم
به وانه يأخذ عن الاصل من حيث يأخذ الملك الذي يوحي الى خاتم الرسل فان خاتم الرسل انما هو سيد
في الشفاعة فسادته في هذا المقام الخاص على العموم قال وهؤلاء وليس هذا العلم الا لخاتم
الرسل وخاتم الاولياء وما يراه احد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول لخاتم ولا يراه احد
من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم حتى ان الرسل لا يرونه متى يراونه من مشكاة خاتم الاولياء
فان الرسالة والنبوة اعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع ابدا فالرسل
من كونهم اولياء لا يرونه ما داموا كونا به يعني من الحقيقة والعلم بالله ومعرفته الا من مشكاة خاتم الاولياء
فكيف من دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع
فذلك لا يقدح في مقامه ولا ينقض ما ذهب اليه هؤلاء في ما بين عمومه قالوا فانه ما وجه يكون
النزول كما انه ما وجه يكون اعلا وذكر شيخ الاسلام عنهم من مثل هذه الترهات اشياء كثيرة
ينبو عنها السمع ونا قشهم عليها مناقشة تامة ولا يخفى على احد من اهل الملة ان افضل الخلق
الرسل فالانبيا فالصحابة فالاولياء وان دخل بعضهم في بعض في الجملة والله تعالى الموفق

فصل فيما يجب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما يجوز عليهم وما يستحيل

في حقهم قد تقدم في اول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من الذكورة والحرية والقوة
على اعباء ما حملوه ونحو ذلك وذكرنا هناك ما يجب اعتقاده في حقهم وهو ما يعرف كل مسلم انه كمال واحد
منهم اي من الانبياء الكرام والرسل العظام سلم وتنزه من كل ما زاية لاقامة الوزن ومزيد التاكيد
عما سلموا منه ونزهوا عنه نقص يؤدي الى ازالة الحشمة واسقاط المروة والحق بقاءها الا ورأى
والخسة كسرقة اللقمة وتطفيف حبة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدي الى الازراء والدناءة
لان الله تعالى يقول لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ومن المعلوم عموم ذلك وليس في شيء من فعل ما يزري ما يوجب حب الله والاحسن
التاسي والاقتداء في ذلك فوجب تنزيههم عنه وعن كل عيب وسلامتهم من كل ما يوجب الريب
وان كل واحد منهم من كفر بجميع انواعه عصم قبل النبوة وبعدها والعصمة المنعة والعاصم المانع
الحامي والاعتصام الامتساك بالشيء افتعال منه ومنه شعر ابي طالب ثمال اليتامى عصمة للارامل
اي منعهم من الضياع والحاجة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه الناس متفقون
على ان الانبيا معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى فلا يستقر في ذهن خطا باتفاق المسلمين
ولكن هل يصدر منهم ما يستدركه الله تعالى فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله اياته هذا

في قوله

فيه قولان قال والمأثور عن السلف موافق القول بذلك قال واما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة
فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل وبالسمع ومتنازع في العصمة من الكبائر والصغائر
او من بعضها او هل العصمة انما هو في الاقرار عليها لا في فعلها وقيل يجب القول في العصمة لا بالتبليغ
فقط قال وهل يجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة ام لا قال والذي عليه الجمهور الموافق
للآثار اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا قال ووقوع الذنب اذا لم يقر عليه لم
يحصل منه تنفير ولا نقص فان التوبة النصوح يرفع بها صاحبها اكثر مما كان اولا وكذلك
الناسي انهم انما هو فيما اقروا عليه بدليل النسخ ونحوه انتهى وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين
وانهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى وليسوا معصومين في غير ذلك من الحظا والنسيان والسهو
والصغائر في الاشهر لكن لا يقرون على ذلك وقال ابن عقيل في الارشاد انهم عليهم الصلاة والسلام
لم يعتصموا في الافعال بل في نفس الاداة ولا يجوز عليهم الكذب في الاقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى
انتهى وقال الحافظ زين الدين العراقي النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالاجماع
ولا يعتد بخلاف بعض الخوارج والحشوية الذين نقل عنهم تجويز ذلك ولا بقول من قال من الروافض
بجواز ها تقية وانما اختلفوا في جواز وقوع الصغيرة سهوا فمنعه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني
والقاضي عياض واختاره تقي الدين السبكي قال وهو الذي ندين الله به واجازه كثير من المتكلمين
قال القاضي عياض اجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات قال وقد
ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا انتهى وقال العلامة السعد التفتازاني
وفي عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالاجماع
وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية وانما الخلاف في الامتناع بدليل السمع او
العقل واما سهوا فيجوز نه الاكثرون قال واما الصغائر فيجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي و
اتباعه ويجوز سهوا بالاتفاق اما ما يدل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة لكن المحققين
شرطوا الا ينهوا عنه فينهوا عنه هذا كله بعد الوحي قال واما قبله فلا دليل على امتناع صدور
الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها الا لخافوجب النفرة المانعة من اتباعهم فتفوت مصلحة البعثة
قال السعد والحق منع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والتجوز والصغائر الدالة على الخسة ومنع
الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة منهم قبل الوحي وبعده لكنهم جوزوا اظهار الكفر تقية
انتهى تنبيه لم يكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على دين قومه بل ولد مسلما موحدا كما
قال ابن عقيل وغيره قال في نهاية المبتدئين قال ابن عقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم على دين سوى الاسلام

ولا كان على دين قومه بل ولد نبيا مؤمنا صالحا على ما كتبه الله وعلمه وحاله انتهى وقال الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف وقد استدل الامام احمد رضي الله عنه بحديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه عما النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني عند الله في ام الكتاب لخاتم النبيين وان ادم عليه السلام لمنجدل في طينته رواه الامام احمد وروي معناه من حديث ابي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه اخر مرسلة واخرجه الحاكم ايضا حديث العرباض وقال صحيح الاسناد على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل على التوحيد منذ نشاء ورد بذلك على من زعم غير ذلك قال الحافظ بل يستدل بذلك على انه صلى الله عليه وسلم ولد نبيا فانه نبوته وجبت له من حين اخذ الميثاق حيث استخرج من اصلاب آدم وذريته كما انه نبي من حينئذ لكن كانت مدة خروجه الى الدنيا متاخرة عما ذكر وذلك لا يمنع كونه نبيا قبل خروجه كما يولى ولاية ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته وان كان تصرفه متاخرا الى حين مجيء الوقت قال الحافظ قال حنبل قلت لابي عبد الله يعني للامام احمد رضي الله عنه من زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه قبل ان يبعث قال هذا قول سوء ينبغي لصاحب هذه المقالة ان يجتنب كلامه ولا يجالس قلت ان جارنا الناقد ابا العباس يقول هذه المقالة قال قاتله الله واي شيء ابقى اذا زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وهم يعبدون الاصنام قال الله تعالى مخبرا عن عيسى عليه السلام ومبشرا برسول يأتي من بعد اسمه احمد ثم قال الامام احمد رضي الله عنه ماذا يحدث الناس من الكلام هؤلاء اصحاب الكلام من احب الكلام لم يفلح سبحان الله لهذا القول واحتج للامام احمد برؤيا امه النور عند ولادته حتى اضاءت له قصور الشام قال وليس ذكر عند ما ولدت رأت ذلك وقيل وقبل ان يبعث فان ظاهر مطهرا من الاوثان ثم قال الامام احمد احذروا الكلام فانه اصحاب الكلام لا يؤل امرهم الى خير خرجه ابو بكر عبد العزيز في كتاب السنة قال الحافظ ابن رجب ومراد الامام احمد بالاستدلال بتقديم البشارة بنبوته من الانبياء قبل خروجه الى الدنيا وولادته وهذا هو الذي يدل عليه حديث العرباض انتهى كلام الحافظ ابن رجب ملخصا وقد صرح فيه بنص الامام انه النبي صلى الله عليه وسلم وولد على الاسلام والله اعلم

كذلك كل واحد من الانبياء والمرسلين قد عصم من افك اي من كذب قال في النهاية الافك في الاصل الكذب قال في القاموس افك كضرب وعلم افكا بالكسر والفتح افوكا كذب فهو افاك وافيك وافوك وفي حديث عرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب لقد افكوا قومكم كذبوك وظاهروا عليك اي صرفوا عن الحق ومنعوا منه يقال افكه يافكه افكا اذا صرفه عما شيء وقلبه والحاصل ان الانبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب ومعصومون من خيانة ولو قلت لوجوب وصفهم عليهم الصلاة والسلام بالصدق الذي هو ضد الكذب ووجوب وصفهم بالامانة التي هي ضد الخيانة والضدان لا يجتمعان فالصدق واجب في حقهم عقلا وشرعا وهو مطابقة اخبارهم للواقع ايجابا وسلبا

كذا كان من افكه ومن خيانة
لوصفهم بالصدق والامانة

اذ لو جاز

اذ لو جاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى لتصديقه اياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب والكذب على الله تعالى محال فلزومه كذلك وقد اجمعت الامة على ان ما كان طريقه الابلاغ فالانبيا والرسل معصومون فيه من الاخبار عما شأنه مخالفة الواقع لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا على تفصيل في بعض ذلك يعلم مما مر وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز والسنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى وان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذب به وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وهو عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره وفي قصة هرقل مع ابي سفيان كما في الصحيح عند سؤال هرقل عظيم الروم ابا سفيان عما وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال هل كنتم تتهمونه بالكذب اي على الناس قال لا وانه كان لا يدع فينا بالامين فقال لقد علمت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم ليكذب على الله تعالى فيشعر هذا ان عقلاء الامم مطبقون على استحالة كذب الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله والامانة اي يجتلبهم الامانة وهي ضد الخيانة وقوله تعالى انا عرضنا الامانة اي الفرائض المفروضة او النية التي يعقدها فيما يظهره باللسان مما لم يؤد به من جميع الفرائض في الظاهر لان الله تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لاحد من خلقه فيما اضمره من التوحيد مثل ما اظهر فقد ادى الامانة كما في القاموس وقال في النهاية الامانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والمراد بها في حق رسل الله تعالى وانبيائه عليهم الصلاة والسلام انصافهم بحفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بما نهي عنه ولو نهي كراهة عند بعض العلماء اي كونهم لا يتصور ان يكونوا الا كذلك اذ لو جاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم او مكروه على قول الجائز ان يكون بذلك المنهي عنه من حيث انه منهي عنه ما مورا به لان الله تعالى امرنا بائتمانهم في اقوالهم وافعالهم من غير تفصيل وهو تعالى لا يامر بمحرم ولا مكروه فقد قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والمراد ما لم تقم قرينة على الخصوصية كما جاز في اربع فتخصص بهن دون امتهم وفي الآية الكريمة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله سره وحه ومعلوم ان الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما امر ولم يكتم منها شيئا فانه كتمان ما انزل الله تعالى اليه نبيا قض

موجب الرسالة كما ان الكذب ينافض موجب الرسالة قال ومن المعلوم في دين المسلمين
الكتاب لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها والامة تشهد له بانه بلغ الرسالة كما امر الله تعالى
وبين ما انزل اليه من ربه وقد وجب على كل مسلم تصديقه في كل ما اخبر به فتقرر ذكر ابو الفضل
القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفا انه يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز على
طريق المذاكرة والتعليم انه يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب
توقيره وتعظيمه وسياق حال بيانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه
عليه السلام من الشدائد يظهر عليه الاشفاق والارتماظ والغيظ على عدوه ومودة الغذ للنبي صلى الله عليه وسلم
لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام
تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشع ذلك وهجر من تلك العبارة ما يقبح كلفظ
الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز اختلف في القول والاخبار مخلافا ما وقع
سهوا وغلطا ونحوه من العبارة وتجتنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز
ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل
لقبح لفظه وشناعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي
ومواقعة بعض الصغائر وخوارم المروءة والاولى من قوله هل يجوز ان يعصي او ان يذنب او ان يفعل كذا وكذا
من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقيره واعظام
قدره واما ما يورده على جهة النفي والتنزيه عنه فلا حرج في شرح العبارة وتصريحها كقوله
لا يجوز عليه عليه السلام الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن
مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف
يظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا ومثله في ذلك جميع الانبيا
والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد قدمنا مما تقدم الواجب في حقهم والمستحيل عليهم
مما عصموا منه صلوات الله وسلامه عليهم واشار الى الجائز في حقهم بقوله وجائز عقلا وشرعا
في حق كل الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا القسم وان افهم من ذكر ما يجب لهم وما يستحيل
عليهم فانه ما لم يكن واجب الثبوت لهم ولا واجب النفي عنهم فوجوده وعدمه جائز في حقهم لكن
نبه بما ذكره لايضاح قسم الجائز عليهم صلوات الله عليهم التوم وهو امر خصه الله تعالى على عباده
لتستريح ادراكهم عن تعبهم وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشيا لكن نبينا صلى الله
عليه وسلم كانت تنام عينه ولا ينام قلبه بل قلبه صلى الله عليه وسلم كان ابدا مستيقظا متهيئا لادراك ما يلقى اليه

وجائز في حقهم عليهم الصلاة والسلام النوم والنكاح ومثل الاكل

من ربه ومثل النوم مما هو جائز في حق الانبيا والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين الجلوس و
المشي والبكا والضحك وكل ما هو من خواص البشرية المباحة على ما هو الحق من جواز وقوع المباح منهم
والنكاح والتسري وجماع النسا فيجوز عليهم وطي النسا بالملك بشرط كونهن مسلمات او مطلقا على
المعتمد ونحو ذلك من الاكل والشرب للحلال وكذا يجوز عليهم كل عرض بشري ليس بمحرم ولا مكروه
ولا مباح مزر ولا مزمن ولا مما تعافه الانفس ولا مما يؤدي الى النفرة حتى لا يجوز عليهم الاحتلام
والحاصل انهم عليهم الصلاة والسلام من البشر وارسلوا الى البشر فظواهرهم خالصة للبشر
يجوز عليهم من الافات والتغيرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر مما لا
نقيصة فيه فانه نبينا صلى الله عليه وسلم كان يمرض ويتالم ويشتكي وكان يصيبه الحر والقر والجوع
والعطش والغضب والضجر والنصب والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه ولا يوجب الاتصاف به
نوع نفرة عند كل نبيه والله تعالى اعلم

فصل في ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم اعلم
انه لما كان افضل خلق الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم بقية اولي العزم ثم الرسل ثم الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ثم بعد الانبيا افضل البشر الصحابة رضي الله عنهم وياتي ذكر الخلاف في التفاضل بينهم
وبين الملائكة اعقب ذكر الانبيا بالصحابة حسب اصطلاح اصحابنا ومن وافقهم وبدا بافضلهم للامام
على التحقيق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصديق الصديق الاعظم ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فقال وليس في الامة اي في امة الاسلام وهم امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال فيها للعهد الذهني و
تقدم انها افضل الامم فيكون الصديق افضل البشر بعد سايرالانبيا بالتحقيق الثابت المنصوص
والمدقق البات المخصوص في الفضل بجميع انواع الفضائل وبذل المعروف من مكارم الاخلاق و
محاسن الشيم كابي بكر وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة كما قاله ابن عبد البر فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
ولقبه بالصديق قال ابن قتيبة ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم عتيقا لجماله وجهه وكان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
يحلف بالله ما سمعت الله تعالى انزل اسم ابي بكر رضي الله عنه من السماء الصديق وهو ابو بكر الصديق عبد الله بن عثمان
ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم
في مرة بن كعب وام الصديق ام الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بنت عم ابيه ماتت هي وابوه ابو قحافة
عثمان بن عامر بن عمرو مسلمين رضوان الله عليهم فاتا الصديق رضي الله عنه جاء بابيه يوم الفتح الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاسلم وتوفي بعد موت ابي بكر رضي الله عنهما في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو
اول الناس ايمانا بالنبي صلى الله عليه وسلم على قول جمع من اهل العلم وفي سنن الترمذي من حديث ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال ابو بكر رضي الله عنه الست اول من اسلم الست صاحب كذا الست صاحب كذا

ليس في الامة بالتحقيق ولا في المعروف كالصديق

الحديث وقيل بل اول من آمن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونقل الحاكم اتفاق المؤرخين عليه واستنكر
هذا منه وقيل زيد بن حارثة وقيل خديجة وادعى الثعلبي الاجماع فيه وانا الخلاف في انما هو فيمن
بعدها وصوبه كثير واستظهره البرماوي وغيره وقيل اولهم بلال بن حمامة وقيل خباب بن الارت
حكاها المسعودي وقيل خالد بن سعيد بن العاص ونقل الماوردي في اعلام النبوة عن ابن قتيبة
ان اول من آمن به ابو بكر ابن اسعد الحميري ونقل ابن سبع في خصايص عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
انه قال كنت اولهم اسلاما وروى عن ابي حنيفة الامام رضي الله عنه انه قال للماوردي انا نقول اول من اسلم
من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال
وهذا احسن ما قيل لجمعه الاقوال واسلم على يد الصديق عثمان بن عفان والزبير وطلحة وعبد الرحمن
ابن عوف وسعد بن ابي وقاص قال الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب وهو اول من جمع القرآن وقاء تحرجا
من الشبهات واول من سمى القرآن مصحفا واول من سمي خليفة واخرج الامام احمد عن ابن ابي مليكة قال قيل
لابي بكر يا خليفة الله فقال انا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انا راض بهذا واول من ولي الخلافة وابوه حي
واول خليفة مات وابوه حي واول من اتخذ بيت المال ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى ومزاياه
وآثاره لا تستقصى وهو افضل الصحابة وحبهم باجماع اهل السنة فقد اجمع اهل السنة والجماعة
على ان افضل الصحابة والناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر
العشرة ثم باقي اهل بدر ثم باقي اهل احد ثم باقي اهل بيعة الرضوان ثم باقي الصحابة هكذا اجماع اهل الحق
فابو بكر الصديق رضي الله عنه افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم لا ينازع في ذلك الا رافضي وقد
اخرج الامام احمد وغيره عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال خير هذه الامة بعد نبيها
ابو بكر وعمر قال الحافظ الذهبي هذا متواتر عن علي رضي الله عنه فلعن الله الرافضة ما اجهلهم وقال
شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية قد نقل عن علي رضي الله عنه من نحو ثمانين وجها خير هذه
الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما وذكر نحو ذلك ابن الحنفية كما في البخاري والرافضة تكذبه
فهم مع علي كالنصارى مع المسيح واليهود مع موسى عليهما السلام واخرج الحاكم عن التوأم ابن ميسرة
قال قلنا لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه يا امير المؤمنين اخبرنا عن ابي بكر فقال ذاك امرء سماه الله
الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا
فرضيناه لدنيانا اسناده جيد واخرج الدارقطني والحاكم عن ابي دحي قال ما احصيكم سمعت عليا
يقول على المنبر ان الله سمى ابا بكر على لسان نبيه صديقا واخرجه الطبراني بسند صحيح عن حكيم بن سعد
قال سمعت عليا يحلف بالله لانزل الله اسم ابي بكر من السماء الصديق وقال علي رضي الله عنه في قوله تعا

والذي

والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون هو ابو بكر فاخرج البزار وابن عساكر ان عليا رضي الله عنه
قال في تفسيرها الذي جاء بالحق هو محمد والذي صدق به هو ابو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق
ولعلها وآله العلي انتهى وقيل انه انما سمي صديقا لانه اول من صدق بنا على انه اول من آمن وهذا قال
ابو محجن الثقفي فيه

وسميت صديقا وكل مهاجر ... سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت الى الاسلام والله شاهد ... وكنت جليسا في العريش المشهر

واول من اشتهر ابو بكر بهذا الاسم صبيحة ليلة الاسراء فقد اخرج الحاكم في المستدرك عن ام المؤمنين
عايشة الصديقة رضي الله عنها قالت جاء المشركون الى ابي بكر فقالوا هل لك يا صاحب يزعم انه
اسري به الى بيت المقدس قال اوقال ذلك قالوا نعم فقال لقد صدق اني لاصدقه بابعد من ذلك بخبر
السماء غدوة وروحة ولذلك سمي ابو بكر الصديق اسناده جيد وقد ورد ذلك من حديث انس بن مالك
وابي هريرة رضي الله عنهما عند ابن عساكر ومن حديث ام هاني اخرجه الطبراني واخرج سعيد بن منصور في
سننه حدثنا ابو معشر عن ابن وهب مولى ابي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به
فكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق واخرجه الطبراني
في الاوسط موصولا عن ابن وهب عن ابي هريرة رضي الله عنه وقد اخرج عبد الله بن الامام احمد في زوايد
الزهد والطبراني في الكبير عن الشعبي قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما اي الناس كان اول اسلاما قال ابو بكر
الصديق الم تسمع قول حسان

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة ... فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا

خير البرية اتقاها واعدلها ... بعد النبي واوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده ... واول الناس منهم صدق الرسلا

واخرج ابو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران قلت علي افضل ام ابو بكر وعمر قال فارتعد
حتى سقطت عصاه من يده ثم قال ما كنت اظن اني ابقى الى ان اعد لهما ثالثا درهما كانا اول الاسلام
قلت فابو بكر كان اول اسلاما ام علي قال والله لقد رآه ابو بكر يا نبي صلى الله عليه وسلم زمعا بحيرا الراهب
حين مر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى انكحها اياه وذلك قبل ان يولد علي واخرج ابو اسحق
عن هبيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا برز سمع مناديه يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق هاربا
فاسرع الى ابي بكر وكان صديقا له في الجاهلية وفي صحيح البخاري عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل انتم تاركوا لي صاحبي اني قلت يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فقلتم
كذبت وقال ابو بكر صدقت قال الحافظ الذهبي وغيره من حفاظ الاسلام والمنتهم صحب ابو بكر رضي الله عنه
النبي صلى الله عليه وسلم من حين اسلم الى ان توفي فلم يفارقه سفرا ولا حضرا الا قيما اذن له صلى الله عليه وسلم واخرج فيه
من حج او غزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله واولاده رغبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو رفيقه في الغار قال تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وانفق ماله
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجود الصحابة قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى الى آخر السورة
قال الحافظ ابن الجوزي اجمعوا على انها نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه واخرج الامام احمد عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر الصديق فبكى ابو بكر وقال
هل انا ومالي الا لك يا رسول الله واخرج ابو يعلى من حديث علي وابن عباس وانس وجابر وعائشة رضي الله عنهم
مرفوعا مثله قال الحافظ ابن كثير وبناه ايضا من حديث علي وابن عباس وانس وجابر بن عبد الله وابي سعيد
الخدري رضي الله عنهم واخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلا وزاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه واخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة ابن الزبير ان
ابا بكر رضي الله عنه اسلم يوم اسلم ولد اربعون الف دينار فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري
عن محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال قلت لابي اي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر قال
قلت ثم من قال عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين وفي الصحيحين
عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال
ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون عمر من رواية انس وابن عباس رضي الله عنهم
واخرج ابن سعد عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت في ابي بكر شيئا قال نعم
قال فانا اسمع فقال وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
... وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت وقد اجمع المسلمون
على ان المراد بقوله ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ان الصاحب المذكور
هو ابو بكر وفي سنن ابي داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انك
يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من امتي وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر ولكن اخوة الاسلام وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس
وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن عبد الله والبراء ابن عازب وكعب بن مالك وجابر بن عبد الله وانس
وابي واقد الليثي وابي المعلا وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم فهو من الاحاديث المتواترة واخرج الترمذي
وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي
في الغار واخرج عبد الله بن الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر صاحبي
ومؤنسي في الغار واخرج ابن عساكر من طريق مجمع بن يعقوب الانصاري عن ابيه قال كانت حلقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تتشبث حتى يكون كالسوار وان مجلس ابي بكر منها لفارغ ما يطمع فيه احد من الناس

تصير

فاذا جاء

فاذا جاء ابو بكر جلس ذلك المجلس واقبل عليه النبي بوجهه والقى اليه حديثه وسمع الناس واخرج ابن عساكر
عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب ابي بكر وشكره واجب على امتي واخرج مثله
من حديث سهل بن سعد واخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا الناس كلهم يحاسبون الا ابا بكر
والاحاديث في فضائله كثيرة شهيرة يعسر استقصاؤها وقد اشرنا بقطرة من بحرها وبذرة من
رمل عالج وقد افردت مناقبه بالتصنيف فدع المخادع والمعالج وبالله التوفيق قال الامام الحافظ
ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي وهو من ذريته كان ابو بكر رضي الله عنه ابيض نحيفا خفيف العارضين
احنا لا يستمسك ازاره يستر عنه ما حقه ان يستر معروق الوجه غائر العينين ناتي الجبهة عاري
الاشاجع وكان من الولد عبد الله واسماء امهما قتيلة وعبد الرحمن وعائشة وامهما ام رومان
ومحمد وامه اسماء بنت عميس وام كلثوم وامها حبيبة بنت خارجة وهي التي قال في حقها عائشة انما هو
اخوك واختك وتوفي الصديق رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين
واربعة اشهر الا عشر ليال وقيل وثلاثة اشهر وتسع ليال وغسلته زوجته اسماء بنت عميس بوصية منه
رضي الله عنها وصلى عليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وروى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين
واربعين حديثا منها في الصحيحين ثمانية عشر حديثا المتفق عليه منها ستة وانفرد البخاري باحد عشر
وسلم بحديث وسبب قلة روايته رضي الله عنه انه تقدمت وفاته قبل انتشار الاحاديث واعتنا
التابعين بسماعها وقد ذكر امير المؤمنين عمر بن الخطاب في قصة بيعة الصديق انه لم يترك شيئا
انزل في الانصار الا ذكره ولا شيئا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شانهم الا ذكره وهذا يدل على كثرة
محفوظه من السنة وسعة علمه بالمزايا وقد روى عنه من الصحابة عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف
وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وابو هريرة وابن عمر وابن الزبير
وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وانس وابو سعيد الخدري وعقبة بن عامر الجهني وعمار ابن ياسر
وابو برزة الاسلمي وجابر بن عبد الله وبلال وعائشة واسماء رضي الله عنهم ومن التابعين خلائق
ودفن رضي الله عنه في الحجرة الشريفة الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه قد اغتسل في يوم بارد
فحم خمسة عشر يوما ومات وقيل سبب موته غير ذلك ولعنة اي بعد ابي بكر الصديق الاعظم اي
يليه في الفضيلة امير المؤمنين عمر بن الخطاب الفاروق سماه بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
اسلم لان الله فرق به بين الحق والباطل فهو عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وبالياء
التحتية فحاء مهملة ابن عبد الله بن قرط بضم القاف وسكون الراء وفاء مهملة ابن رزاح بفتح الراء والزاي
فحاء مهملة بعد الالف ابن عدي بن كعب بن لوي بن غالب القرشي العدوي وامه حنتمة بفتح الحاء المهملة
فنون ساكنة فتاء مثناة فوقية مفتوحة فميم فتاء تانيث بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر مخزوم

وبجوار الفاروق من عمر افاض

وقال ابن الاثير بنت هاشم قال وقال ويعرف هاشم بذي الرمحين قال وقال الامير ابن ماكولا ومن قال بنت هشام
فقد اخطأ كذا قال وقد قال ابن الجوزي في منتخب المنتخب انها بنت هشام وهي اخت ابي جهل عمرو بن هشام فابو جهل
خال عمر رضي الله عنه كنيته ابو حفص كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لما زعم قتل رجال بني هاشم
فانهم انما خرجوا مكرهين فقال ابو حذيفة والله لئن لقيت العباس لالجمنه السيف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فقال يا اباحفص يضرب وجه عم النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر والله انه لاول يوم كناني فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي حفص رواه ابن الجوزي وغيره والحفص في اللغة ولد الاسد وسبب تلقيبه
بالفاروق ما رواه الحافظ ابن الجوزي في سيرة العمرين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سالت عمر رضي الله عنه
لاي شيء سميت بالفاروق فذكر حديث اسلامه واخرج ابو نعيم في الدلايل وابن عساكر عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال سالت عمر اي شيء سميت الفاروق قال اسلم حمزة قبلي بثلاثة ايام وسبب اسلام حمزة انه اتى ابا جهل اثر
الى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه ويؤذيه فاخبر حمزة بذلك فاخذ قوسه وعمد المسجد الى حلقة قريش التي
فيها ابو جهل فاتكى على قوسه مقابل ابي جهل فنظر اليه فعرف ابو جهل الشر في وجهه فقال مالك يا ابا عمارة
فرفع القوس وضربه به فشجه فسالت الدما فاصلحك ذلك قريش مخافة الشر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مختف في دار الارقم المخزومي فاظلق حمزة فاسلم قال عمر رضي الله عنه وخرجت بعده بثلاثة ايام فاذا
فلاه المخزومي فقلت ارغبت انت عما دين ابائك واتبعت دين محمد قال ان فعلت فقد فعلت ماذا هو
اعظم عليك حقا قلت ومن قالك اختك وختنك فاظلقت فوجدت هينمة فدخلت فقلت ماذا هذا
زال الكلام بيننا حتى اخذت براس ختني فضربته وادميته فقامت الي اختي فاخذت براسي وقالت
قد كان ذلك على رغم انفك وقد ادميت راسها فاستحييت حين رايت الدما فجلست وقلت ارونيه هذا
الكتاب فقالت لا يمسه الا المطهرون فقمت واغتسلت فاخرجوا الي صحيفة فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم
قلت اسماء طيبة طاهرة وفيها طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الى قوله تعالى الاسماء الحسنى
فعظمت في صدري وقلت من هذا نزل قريش فاسلمت وفي حديث انس بن مالك رضي الله عنه عند ابي يعلى
والحاكم والبيهقي قال اخرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال الى اين تعمد يا عمر فقال اريد
ان اقتل محمدا قال وكيف آمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا قال ما اراك الا وقد صبوت
قال افلا ادلك على العجب ان ختنك واختك قد صبوا وتركا دينك فمشى عمر فاتاهما وعندهما خباب فلما
سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل عمر فقال ما هذه الهينمة وكانوا يقرؤون طه فقالا ما عدا حديثا
تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه يا عمر ارايت ان كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر
فوطاه وطا شديدا فجاءت اخته لتدفع عن زوجها فنفحها بيده فدمى وجهها فقالت وهي
غضبى وكان الحق في غير دينك انا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال عمر اعطوني

الكتاب

الكتاب الذي هو عندكم فاقرؤه وكان عمر يقرأ الكتاب فقالت اخته انك رجس وانه لا يمسه الا المطهرون فقم
واغتسل او توضا فقام وتوضا ثم اخذ الكتاب فقرأه حتى انتهى الى قوله انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
واقم الصلاة لذكري فقال عمر دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال ابشر يا عمر فاني ارجو
ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في اصل الصفا فانطلق عمر حتى اتى الدار وعلى بابها عمزة وطلحة
وناس فقال حمزة هذا عمر ان يرد الله به خيرا يسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبي
صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فخرج حتى اتى عمر فاخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال اما انت منتهيا
يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة فقال عمر اشهد ان لا اله الا الله
وانك عبد الله ورسوله وفي حديث البزار والطبراني وابو نعيم والبيهقي في الدلايل عن اسلم
نحوه وفيه فلكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة وفيه فجئت خالي ابا جهل بن هشام وكان شريفا
فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت ابن الخطاب وقد صبوت قال لم تفعل ثم دخل واجاف الباب دوني
وفي حديث ابن عباس عند ابي نعيم في الدلايل وابن عساكر فقلت يا رسول الله السنا على الحق قال بلى
قلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين انا في احدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي
والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق الله بين
الحق والباطل فاخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قلت لعائشة رضي الله عنها ما سمي عمر الفاروق قالت النبي
صلى الله عليه وسلم واخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما اسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر
اهل السماء باسلام عمر واخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما اسلم عمر قال المشركون
قد انتصف القوم اليوم وانزل الله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين واخرج البخاري
وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واخرج ابن سعد عنه ايضا قال كان اسلام عمر
فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امامته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى اسلم عمر
فلما اسلم قاتلهم حتى تركوا سبيلنا وقال حذيفة لما اسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة ولما قتل
كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعدا وكان اسلام امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة
السادسة من البعثة وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة وكان اسلامه بعد تسعة وثلاثين رجلا واربعين
او خمسة واربعين واحد عشر امراة ففرح المسلمون باسلامه وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه وقد
وردت الاحاديث الكثيرة والاخبار الشهيرة بفضائله ففي الصحيحين عن سعد بن ابي وقاص
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان
سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد كان فيمن قبلكم من الامم محدثون فان يكن في امتي احد فانه عمر اي ملهمون واخرجه مسلم ايضا من حديث عائشة
رضي الله عنها ولفظه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يكون في الامم محدثون فان يكن في امتي احد
فعمر بن الخطاب ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال ابن عيينة محدثون اي ملهمون وقال ابن وهب
تفسير محدثون ملهمون واخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
جعل الحق على لسان عمر وقلبه وقال ابن عمر وما نزل بالناس امر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن فيه على نحو ما قال
عمر واخرج الترمذي ايضا عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان
بعدي نبي لكان عمر واخرج ايضا من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لانظر الى شياطين الجن
والانس فروا من عمر وفي الصحيحين والترمذي والنسائي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم رايت الناس يعرضون علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي
ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يا رسول الله
قال الدين وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا نائم رايتني في الجنة فاذا امراة تتوضا الى جانب قصر فقلت لمن هذا قالوا لعمر فذكرت غيرته
فوليت مدبرا فبكى عمر رضي الله عنه وقال عليك اغار يا رسول الله وفي الترمذي عن انس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة فاذا انا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا قالوا الشاب من قريش
فظننت اني انا هو قالوا عمر ابن الخطاب وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما علي وجه الارض احد
احب الي من عمر اخرجه ابن عساكر وقيل لابي بكر رضي الله عنه ماذا تقول لربك وقد وليت عمر قال اقول له
وليت عليهم خيرهم اخرجه ابن سعد وقال علي رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر ما كنا نعد
ان السكينة لا تنزل الا على لسان عمر اخرجه الطبراني في الاوسط وقال ابن مسعود رضي الله عنه
لو ان علم عمر وضع في كفة ووضع علم احياء الارض في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون انه ذهب
بتسعة اعشار العلم اخرجه الطبراني في الكبير والحاكم وقال حذيفة رضي الله عنه والله ما اعرف
رجلا لاتاخذه في الله لومة لائم الا عمر وعلى كل حال فامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بعد الصديق لما عظم افضل هذه الامة من غير افتراء اي من غير كذب بقال فرى يفري فريا وافترى
يفتري افتراء اي كذب فهو افتعال منه وفي الآية الكريمة ولا ياتين ببهتان يفترينه وفي الحديث
ما اقوى الفرا يري الرجل عينيه ما لم يريا فالفرا جمع فرية وهي الكذبة وافرى افعل منه للتفضيل
وتقدم الكلام على ذلك في الكلام على الحوض عند قوله عنه بذاد المفتري كما ورد ولما كان الحكم
بافضلية ابي بكر ثم عمر الفاروق رضي الله عنهما بالنص والاجماع صرح بقوله من غير افتراء اشارة
لرد قول الخطابية الزاعمين بان عمر رضي الله عنه افضل الخلفاء وهذا الزعم بالنسبة للصديق زور

علم ع

وافترا

وافترا وكذب وضلال من زاعمه نعم بالنسبة الى من بعد الصديق حق لا مرية فيه وكذلك فيه اشارة الى رد
قول الرافضة الزاعمين ان افضل الصحابة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه والرد على الشيعة في زعمهم
ان افضلهم علي رضي الله عنه كما ياتي الكلام عليه قريبا وقد اخرج الحاكم في الكنى وابن عدي في الكامل
والخطيب في تاريخه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر وعمر خير الاولين
والاخرين وخير اهل السموات وخير اهل الارض الا النبيين والمرسلين واخرج الترمذي عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي الا وله وزيران من اهل السماء ووزيران من اهل
الارض فاما وزيراي من اهل السماء فجبريل وميكائيل واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر واخرج
الامام احمد والترمذي عن علي رضي الله عنه وابن ماجة عنه ايضا وعن ابن ابي جحيفة رضي الله عنه وابو يعلى في
مسنده والضياء المختارة عن انس والطبراني في الاوسط عن جابر وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهم اجمعين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذان سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والاخرين الا النبيين والمرسلين
يعني ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر رضي الله عنهما وهاجر عمر رضي الله عنه
الى المدينة جهرا وذلك انه تقلد سيفه واخذ بيده اسهما والى الكعبة واشراف قريش بفنائها فطاف سبعا
ثم صلى ركعتين عند المقام ثم اتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من اراد ان تثكله امه ويتيم
ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم احد وشدة عمر وشجاعته لا تخفى حتى انه
وصف في التوراة بانه قرن من حديد شهد المشاهد كلها وكان شديدا على الكفار والمنافقين
ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة وقد وافق ربه في عدة احكام ماثورة وموافقات في الآيات
القرآنية مخبورة وولي الخلافة بعهد من خليفة رسول الله الصديق الاكبر ابي بكر رضي الله عنه يوم توفي وذلك
يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة فقام بالامر قيام ازم فيام وكثرت
الفتوحات في ايامه ففي سنة اربع عشرة فتح دمشق بن الصلح والغوطة وحمص وبعلبك واليه
غوطة وفيها جمع الناس على صلاة التراويح وفي الخامسة عشر فتح الاردن غوطة الاطيرية
فالها فتحت صلحا وفيها كانت وقعة اليرموك والقادسية وفيها حاصر عمر ومصر وسعد الكوفة
وفيها فرض عمر الفروض ودون الدواوين واعطا العطايا وفي السادسة عشر فتح الاهواز والمدائن
واقام لها سعد الجمعة في ايوان كسرى وهي اول جمعة جمعت بالعراق وفيها كانت وقعة جلولا وهرمز
ويزدجرد بن كسرى وتقهقر الى الري وفيها فتحت تكريت وفيها سار بنفسه رضي الله عنه ففتح بيت المقدس
صلحا وخطب بالجابية خطبته المشهورة وفيها فتحت قنسرين غوطة وحلب وانطاكية وصنع صلحا
وفيها كتب التاريخ في ربيع الاول من الهجرة بمشورة علي رضي الله عنه وفي السابعة عشر زاد عمر رضي الله عنه
في المسجد النبوي وفيها كان الغلاء والجفاف فسمي عام الرمادة واستسقى عمر بالعباس فاخذ عمر رضي الله عنه

بن العباس رضي الله عنه ثم رفعهما فقال اللهم انا نستشفع اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ان تذهب عنا المحل وانه سقينا الغيث فلم يبرحوا حتى سقوا فاطبقت السماء عليهم اياما وفي الثامنة عشر فتحت جند اسابور صلحا وحلوان عنوة وفيها وقع طاعون عمواس وفيها فتحت الرها وسميساط وحران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة وكذا الموصل ونواحيها وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية وفي سنة عشرين فتحت مصر عنوة وقيل صلحا واسكندرية عنوة والغرب كله عنوة وفيها فتحت تستر وفيها هلك قيصر ملك الروم وفيها اجلا عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم خيبر ووادي القرى وفي سنة احدى وعشرين فتحت نهاوند عنوة ولم يكن للاعاجم بعدها جماعة وفي سنة اثنتين و عشرين فتحت كرمان وسجستان وملكران من بلاد الجبل واصبهان ونواحيها وفي آخرها كانت وفاة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك بعد رجوعه من الحج قال ابن المسيب لما نفر عمر من منى اناخ بالابطح ثم استلقى ورفع يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط فصار الى المدينة فنزل الحج حتى قتل شهيدا وكان قال الله تعالى الاحبار الى احبارك في الكتاب الاول ان قتل شهيدا فقال اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد نبيك وكان قد قال في خطبته راتبة كانه ديكا نقرني نقرة او نقرتين والي الاراه حضور اجلي وان قوما يامرون اني استخلف وان الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل بي امر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قال الزهري كان عمر رضي الله عنه لا يأذن للكافر قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة ابن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنائع يستأذنه ان يدخل المدينة ويقول ان عنده اسما لا كتيبة فيها منافع للناس وانه حداد ونقاش ونجار فاذن له ان يسلمه الى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في كل شهر فجاء الى عمر يشتكي شدة الخراج فقال له ما خراجك بكم فانصرف ساخطا ثم قال له عمر رضي الله عنه الم اخبر انك تقول لو شاء صنعة رحى تطحن بالريح فانشأ الى عمر عابسا وقال لاصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى قال لاصحابه او عدني العبد وهو ابو لؤلؤة ثم اتخذ خنجرا ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في المجلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنى منه طعنه ثلاث طعنات كما اخرجه الحاكم وطعن معه اثني عشر رجلا مات منهم ستة فالقى عليه رجل من اهل العراق ثوبا فلما اعتم فيه قتل نفسه قال ابو رافع كان ابو لؤلؤة عبدا للمغيرة يصنع الارحى وحمل عمر رضي الله عنه الى اهله وكاد وقت طلوع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالناس باقصر سورتين والى عمر ينبذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج ثانيا فقالوا لا باس عليك فقال ان يكن في القتل باس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه ويقولون كنت وكنت

فقال

فقال اما والله ودرت اني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي وان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي فاثنى عليه ابن عباس فقال لوددت اني طلعت الارض ذهبا لافتدي به من هول المطلع وقد جعلها شورى في ستة علي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد واجلهم ثلاثة ايام وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الامر شيء فان اصابت الامرة سعدا فهو ذاك والا فليستعن به ايكم ما امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وامر صهيبا ان يصلي بالناس قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه كان ابو لؤلؤة مجوسيا وكان اسمه فيروز وقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل منيتي بيد رجل لا يدعي الاسلام وكانت اصابته يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد وصح انه انما كسفت يوم موته وناحت الجن عليه ثم قال عمر رضي الله عنه لابنه عبد الله رضي الله عنه انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ثلاثين الفا او نحوها فقال ان وفى مال آل عمر ادائها من اموالهم فادها والا فاسئل في بني عدي فان لم تف اموالهم فاسئل في قريش واذهب الى ام المؤمنين عائشة وقل يستأذنه عمر ان يدفن عند صاحبيه فذهب اليها فقالت كنت اريده يعني المكان لنفسي والله لاوثرنه اليوم على نفسي فاتى عبد الله فقال قد اذنت فحمد الله تعالى ثم قال رضي الله عنه اوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى واوصيه بالمهاجرين والانصار واوصيه بالاعصار خيرا فلما توفي رضي الله عنه صلى عليه صهيب في المسجد وخرج الناس يتشوفون وعبد الله امامهم فسلم عبد الله وقال عمر يستأذن فقالت عائشة رضي الله عنها ادخلوه فادخل فوضع هناك مع صاحبيه رضي الله عنهما ابي بكر وعمر وصلوات الله وسلامه على رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم روى لامير المؤمنين من الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا اخرج له في الصحيحين منها احدى وثمانون اتفقا على ستة وعشرين وانفرد البخاري باربعة وثلاثين ومسلم باحد وعشرين تنبيه اعلم ان خلافة سيدنا عمر الخطاب امير المؤمنين رضي الله عنه مرتبة ولازمة لحقيقة خلافة الصديق الاعظم ابي بكر رضي الله عنه وقد قام الاجماع واشارات الكتاب والسنة على حقية خلافته فما ثبت للاصل الذي هو الصديق من حقية الخلافة يثبت لفرعه الذي هو عمر بن الخطاب فيها فلا مطمع لاحد من فرق الضلال في الطعن والنزاع في حقية خلافته وقد علم اهل العلم علما باتا ضروريا باراء الصحابة الكرام اجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن ثم لا يعتد في ذلك من غير مرية فقد اخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم ان يستخلف ابو بكر فهذا صح عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو من اكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم فحكى الاجماع على الصحابة على خلافة ابي بكر ولذلك كانا هو احق بها عند جميع اهل السنة واجماعة في كل عصر ومصر وكذلك عند المعتزلة واكثر فرق الامة على انه احق بها من جميع الصحابة روى البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول اجمع الناس على خلافة ابي بكر رضي الله عنه وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يجدوا ابحث اديم السماء خيرا من ابي بكر فولوه رقابهم واخرج اسد السنة عن معاوية بن قرة قال ما كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون بانا ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمون الا خليفة
رسول الله وما كانوا يجتمعون على خطا ولا على ضلالة وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما مما بلغ التواتر وعلم
من الدين بالضرورة ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه بايعه واعتذر اليه عن تاخره لعدم مشورته
وانه لم يحق في الشورى حتى ان سيدنا عليا رضي الله عنه بايع ابا بكر على المنبر لازالة شبهة التخلف وفرح
الناس بذلك والنصوص المشيرة الى خلافة الصديق كثيرة ومن اعظم فضائل الصديق وانم فراسته
على التحقيق واكمل نصحه لهذا الدين القويم استخلافه امير المؤمنين عمر الفاروق لما حصل به من عموم النفع
وفتح البلاد وظهور الاسلام الظهور التام وقمع اهل الكفر وعبدة الاصنام فانه ابا بكر الصديق رضي الله عنه
لما ثقل به المرض دعى عبد الرحمن بن عوف فقال اخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسئلني عن امر انت اعلم به
مني فقال ابو بكر وانه كذلك فقال عبد الرحمن هو والله افضل من ورائك ورايك فيه ايتم ثم دعى عثمان
ابن عفان فقال اخبرني عن عمر فقال انت اخبر به فقال علمك فيه ذلك فقال الصديق
علمي به لا سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله وشاورهما زيدا واسيد بن حضير وغيرهما
من المهاجرين والانصار فقال اللهم علمه الخير ثم دعى عثمان فكتب عهده لعمر ثم امر بالكتاب فختمه
ثم امر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعى ابو بكر رضي الله عنه عمر خاليا فاوصاه
بما اوصاه ثم خرج من عنده فرفع ابو بكر يديه فقال اللهم اني لم ارد بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم
الفتنة فعملت فيهم ما انت اعلم به واجتهدت لهم رايي فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم واحرصهم
على ما يرشدهم وقد حضرني من امرك ما حضرني فاخلفني فيهم فانهم عبادك ونواصيهم بيدك اصلح
ولاتهم واجعله من خلائفك الراشدين واصلح له رعيته وقد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة
ابو بكر حين استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استاجره والعزيز حين تفرس في يوسف فقال
لامراته اكرمي مثواه واخرج ابن عساكر عن يسار بن عمرة قال لما ثقل ابو بكر اشرف على الناس من كوة
فقال ايها الناس اني قد عهدت عهدا افترضونه به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام علي رضي الله عنه فقال الا ترضى الا ابا بكر يا عمر قال انه عمر رضي الله عنهم اجمعين وبعده اي بعد
امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اي بليغ الافضلية امير المؤمنين ابو عمرو ابو عبد الله ذو النورين
عثمان بن عفان بن ابي العاص واسمه الحارث بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي
الاموي قال ابن الاثير يقال كان يكنى في الجاهلية ابا عمرو فلما ولدت له رقية رضي الله عنها بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله اكتنى به وامه اروى وامها ام حكيم البيضا بنت عبد المطلب عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو اروى ام عثمان كريز بضم الكاف وفتح الراء اي مصغر كرز وكريز بن ربيعة بن حبيب

وبعده عثمان فاكرم المثوى

ابن عبد شمس وولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة من الفيل واسلم قديما على يد الصديق لما عظم رضي الله عنه
قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر الهجرتين الى الحبشة وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل البعثة بمائتي عشرة في الثانية من الهجرة عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر العظمى ولم
يشهد عثمان رضي الله عنه بدرا لتخلفه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمرض رقية رضي الله عنها فجاء البشير
بنصر المؤمنين عند دفنها فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره ولما ماتت رقية زوجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اختها ام كلثوم وتوفيت عنده ايضا سنة تسع من الهجرة قال العلما ولا يعرف احد
تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي ذي النورين فهو من السابقين الاولين واول المهاجرين واحد العشرة
المشهود لهم بالجنة واحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض واحد الصحابة
الذين جمعوا القرآن ومر ان الصديق جمعه ايضا وانما ثمن عثمان بجمعه في المصحف على هذا الترتيب اليوم
واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة ذات الرقاع وكان رضي الله عنه ذا جمال مفرط روي له عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة واربعون حديثا وروى عنه من الصحابة زيد بن خالد الجهني وابن الزبير
والسائب بن يزيد وانس بن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الاكوع وابو امامة وابو قتادة وابو هريرة و
غيرهم رضي الله عنهم وخلائق من التابعين واخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال ما رايت احدا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا احدث اتم حديثا ولا احسن موعظة من عثمان بن عفان رضي الله عنه الا ان
كان رجلا يهاب الحديث واخرج عن محمد بن سيرين قال كان اعلمهم بالمناسك عثمان وبعده ابن عمر رضي الله عنهم
واخرج ابن عساكر ان عثمان رضي الله عنه كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل ابيض مشرب بحمرة
بوجهه نكتات حمر ذو لحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين جزل الساقين طويل الذراعين
شعرة قد كسى ذراعيه جعد الراس اصلع احسن الناس ثغرا جمته استفاض اذنيه يخضب بالصفرة و
كان قد شد اسنانه بالذهب وقال بعضهم رايت عثمان فما رايت قط ذكرا ولا انثى احسن وجها منه واخرج
ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنتيه ام كلثوم لعثمان قال لها انه يشبه
اشبه الناس بجدك ابراهيم وابيك محمد صلى الله عليه وسلم واخرج ابن عدي ايضا وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نشبه عثمان بابينا ابراهيم واخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال الا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة واخرج
البخاري ان عثمان رضي الله عنه حين حوصر اشرف عليهم وقال انشدكم بالله ولا انشد الا اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حر جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم الستم تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها فضد قوه بما قال وبايع رضي الله عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنه بيساره فكانت يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من يمين نفسه واخرج

الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان قال الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه واخرج ابو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعثمان انه سيلي امر امتي واكومها واخرج عن ابي امامة رضي الله عنه مرفوعا ان اشد هذه الامة بعد نبيها حياء عثمان ابن عفان واخرج الطبراني عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعثمان لاول من هاجر باهله الى الله بعد لوط واخرج الامام احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان يا عثمان ان الله ومع لفظ لعل الله مقمصك قميصا فان اراد وك خلعه فلا تخلعه حتى يخلعوه ومع لفظ فلا تخلعه حتى تلقاني واخرج الترمذي عن ابي سهلة قال سمعت عثمان رضي الله عنه يقول يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا فانا ممتثل له وصابر عليه ان اطيق فصبر حتى قتل رضي الله عنه شهيدا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح واخرج الترمذي عن طلحة بن عبيد الله وقال غريب وابن ماجه عن ابي هريرة مرفوعا لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي في عثمان واخرج الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وصححه عن ابي اليماح سمعت الصنعاني انه خطبنا قامت بالشام وفيهم رجال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قمت وذكر الفتن فقربها ومر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان فاقبلت عليه بوجهه فقلت هذا قال نعم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مظلوم وانه يومئذ على الهدى واما ذكر خلافة رضي الله عنه فقدم ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعلها شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فلما فرغ الناس من دفن عمر رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا امركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت امري الى علي وقال سعد قد جعلت امري الى عبد الرحمن بن عوف وقال طلحة قد جعلت امري الى عثمان فقال عبد الرحمن بن عوف انا لا اريدها فايكما يبرأ من هذا الامر ونجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن افضلهم في نفسه وليجهدن على صلاح الامة فسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه الي والله علي ان لا آلوكم عن افضلكم قالا نعم فخلا بعلي وقال لك من القدم في الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لئن امرتك لتعدلن ولئن امرت عثمان لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما اخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي وكانت هبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال وكان عبد الرحمن بن عوف قبل ان يتخلا عنهما احد قد خلا بعثمان فقال له ان لم نبايعك فما تشير علي قال علي وقال لعلي ان لم نبايعك فما تشير علي قال علي ثم دعى الزبير فقال ان لم نبايعك فما تشير علي قال علي او عثمان ثم دعى سعدا فقال له ما تشير علي فاما انا وانت فلا نريدها فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن اعيان المهاجرين والانصار وذوي الرأي حتى اذا كثرهم عثمان فبايعوه جميعا فثبت بيعة عثمان باجماع الصحابة عليها وهذا قال فاترك المراء اي الجدال والشك قال في القاموس المرية بالضم والكسر

الشك

الشك والجدل يقال ماريته مماراة ومراء امترى فيه وتماروا شكوا وفي الحديث لا تماروا في القرآن فانه مراء فيه كفر المراد الجدال والتماري والممارات المجادلة على مذهب الشك والريبة كما في نهاية ابن الاثير وتقدم قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه في جملة من بايعه وقد غرابعه وكان يقيم الحد بين يديه كما اخبر بذلك عن نفسه رضوان الله عليه وخلافة عثمان فرع عن خلافة عمر التي هي فرع عن خلافة الصديق رضوان الله عليهم اجمعين واستشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في داره سنة ثمانية وثلاثين في اواسط ايام التشريق وصلى عليه الزبير وكان اوصى اليه ودفن في حش كوكب بالبقيع وهو اول من دفن به والحش بالحاء المهملة والشين المعجمة البستان وضم الحاء اجود من ذكرها وكوكب رجل من الانصار وولي الخلافة احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة ايام عشرون يوما ومدة حصاره في داره الى ان قتل سبعة واربعون يوما وقيل شهرا وعشرون يوما واستشهد وهو يومئذ صائم وهذا يؤيد كونه قتله بعد ايام التشريق او قبلها فقد قيل كان قتله لثمان عشرة خلت من ذي الحجة او لسبع عشرة وقيل لثمان حلون منه يوم التروية وقيل لليلتين بقيتا منه وقد مضى في جامع الاصول وفي الزهر البسام انه قتل يوم ثمانية عشر من ذي الحجة واختلف فيمن باشر قتله فقال كثير انه لا يعرف قاتله وقيل الاسود التجيبي من اهل مصر وقيل جبلة بن الاهيم من مصر ايضا وقيل سودان بن حمران وقيل رومان اليماني وقيل سواد بن رومان وقيل رومان بن سرحان رجل ازرق قصير وقيل قتله رجل من اهل مصر يقال له حمار ازرق اشقر وقيل قتله اثنان وقيل غير ذلك وله يومئذ ثمان وثمانون سنة وقيل ثمان وتسعون سنة وقيل تسعون ويروى انه كان المصحف بين يديه يقرأ فيه فوقعت قطرة من دمه او قطرات على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم واخرج الحاكم عن الشعبي رحمه الله قال ما سمعت من مر اثي عثمان احسن من قول كعب بن مالك رضي الله عنه

فكف يديه ثم اغلق بابه ... وايقن ان الله ليس بغافل
وقال لاهل الدار لا تقتلوهم ... عفى الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صبت عليهم ... عداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير ادبر بعده ... عن الناس ادبار الغمام الجوافل

واخرج الامام احمد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه انه دخل على عثمان رضي الله عنه وهو محتصر فقال له الامام العامة وقد نزل بك ما ترى واني اعرض عليك خصالا ثلاثا اختر احداهن اما ان تخرج فتقاتلهم فانك على الحق وهم على الباطل واما ان تخرق لهم بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وانت بها واما ان تلحق بالشام فانه اهل الشام فيهم معاوية فقال عثمان رضي الله عنه فاما اخرج فاقاتل فلن اكون اول من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته بسفك الدم واما ان اخرج الى مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن اكون انا واما ان الحق بالشام فلن افارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج ابن عساكر

عن ابي ثور التيمي قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اخبأت عندي عشرا اني لرابع اربعة في الاسلام
وانكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فانكحني الاخرى وما تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني
على فرجي منذ بايعت بها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مرت بي جمعة منذ اسلمت الا وانا اعتق فيها رقبة
الا اني لا اكون اعتقتها بعد ذلك ولا سرقت في جاهلية ولا اسلام ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام
ولقد جمعت القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضم الى هذه العشرة تجهيز جيش العسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم
لما جاءه بالمال وكان الف دينار فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين رواه الترمذي
وقال حديث حسن ويضم اليها ايضا ما اخرجه الترمذي وحسنه والنسائي عن ثمامة بن حزن القشيري
قال شهدت يوم الدار حين اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين البانا علي فجيء
بهما فقال انشدكم بالله والاسلام زاد رزين ولا انشد الا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب الا بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها
ويجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من مالي وانا اليوم امنع ان اشرب منها
حتى اشرب من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله والاسلام اتعلمون ان المسجد ضاق باهله
فقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من
صلب مالي وانا اليوم امنع ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال وانشدكم بالله هل تعلمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما جهز جيش العسرة وجبت له الجنة وجهزته قالوا اللهم نعم قال وانشدكم بالله هل
تعلمون اني كنت على ثبير مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فتحرك الجبل حتى تساقط حجارته
بالحضيض فركضه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيد
قالوا اللهم نعم فقال الله اكبر شهدوا لي بالجنة ورب الكعبة ثلاثا وفي رواية شهد والي ورب الكعبة اني شهيد
ثلاثا وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

نهر سقوا الموت صرفا لا مزاج له ... فليأت ما دونه في دار عثمانا

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

ليسمعن وشيكا في دياهم ... الله اكبر يا ثارات عثمانا

وعلى كل حال فقتل عثمان رضي الله عنه ظلما بلا محال وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد السابقين
الاولين الى الاسلام واحد الخلفاء الراشدين واحد المهاجرين المقربين واحد اختانا سيد الاولين
والآخرين ومناقبه كثيرة ومآثره غزيرة واياديه شهيرة فرضوان الله تعالى عليه وعلى جميع
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم روي لامير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائة وثلاث واربعون حديثا منها في الصحيحين ستة عشر اتفقا على ثلاثة وانفرد البخاري بثمانية
ومسلم بخمسة ونعد بنائها على الضم لحذف المضاف اليه ونية ثبوت معناه اي ونعد عثمان
ابن عفان رضي الله عنه على القول الرجيح والمذهب الصحيح فالفضل الشامخ والقرب الراسخ والمجد

الباذخ

٢٦٧

الباذخ من سائر الامة واتفاق الائمة **حقيقا** اي حقيقة الامر من غير شك ولا نكول **فاسمع** فعل امر
مبني على السكون وحرك بالكسر للقافية **مني نظامي** اي منظومي هذا الذي درجت فيه عقدة السلف
الصالح وضمنته ما يقتفيه كل محقق فالح ثابت ذكه الفضل ومستقر الاقدام الهمام امير المؤمنين
علي بن ابي طالب **البطين الانزع** قال ابن الاثير في نهايته وفي صفة علي رضي الله عنه البطين الانزع
اي العظيم البطن وفي حديث علي رضي الله عنه ابيت مبطانا وحولي بطون غرث المبطان الكثير الاكل
والعظيم البطن ذكر ذلك على سبيل الاستفهام الانكاري والمراد بكونه بطينا انه باطنة عظيم لتضلعه
من العلوم والمعارف والمراد بالانزع المنحسر شعر راسه مما فوق الجبين والنزع عنا ان عما جانبي الرأس
مما لا شعر عليه قال في النهاية كان الامام علي رضي الله عنه انزع الشعر له بطن وقيل معناه الانزع
من الشرك المملو البطن من العلم والايمان **مجدل الابطال** قال في القاموس جدله فانجدل وتجدل
صرعه على الجدالة كسحابة الارض مطلقا او ذات رمل دقيق وتقدم حديث انا خاتم النبيين
في ام الكتاب وانا ادم لمنجدل في طينته اي ملقى على الجدالة وهي الارض وفي حديث امير المؤمنين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه حين وقف على طلحة رضي الله عنه يوم الجمل وهو قتيل فقال اعز علي ابا محمد
ان ارالك مجدلا تحت نجوم السماء اي مرميا ملقى على الارض قتيلا والابطال جمع بطل بفتح الموحدة
والطاء المهملة وكسر اد بين البطالة او البطولة الرجل الشجاع سمي بذلك لانه يبطل اقرانه
فلا يكترث بهما او يبطل عنده دماء الاقران كما في القاموس والاشارة الى ان عليا رضي الله عنه قتل الابطال
عدة مثل الوليد بن عتبة يوم بدر وعمرو بن عبد ويوم الخندق ومرحب من ابطال خيبر وغيرهم
وقوله ماضي العزم اشارة الى شدة قوته وفرط شدته والماضي من مضى في الامر مضا ومضوا
نفذ ومضى السيف اي قطع والمضاء كالعلو التقدم والعزم والجد والصبر ومنه قولهم فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقوله **مفرج** اي كاشف الاوجال يقال فرج الله الغم يفرجه كشفه
كفرجه والاوجال جمع وجل بفتح الواو والجيم للخوف ورجل وجل كفرح ياجل ويجل ويوجل
وييجل بكسرا وله وجلا وموجلا لمقعد ويجمع ايضا على وجلين والمراة وجلة اشارة الى ما كان
عليه من كشف الغموم وتفريج الهموم والاقدام في المواقف الصعبة والبروز الى الاقران المستصعبة
وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين
الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس يدوكون
اي يخوضون ويتحدثون ليلتهم ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم يرجو ان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقيل يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية الحديث

من نظامي للبطين الانزع
مفرج الاوجال والذي الخزم
مجدل الابطال ماضي العزم

وبعد فالفضل حقيقا فاسمع

وقوله وافي الحزم اشارة الى وفور عقله وغزارة فطنته وفضله والحزم ضبط الرجل امره والحذر من
فوات ما خوف معاقولهم حزمت الشيء اذا شددته ونحو الحديث ما رايت ملء ناقصات عقل ودين اذهب
للب الرجل الحازم من احداكن يعني النساء اي اذهب لعقل الرجل المحتوم به لامور المستظهر فيها وفي
حديث اخر انه صلى الله عليه وسلم سئل ما الحزم فقال تستشير اهل الراي ثم تطيعهم وفي القاموس الحزم
ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة كالاحتزام والحزومة يقال حزم ككرم فهو حازم وحزيم والجمع
حزمه وحزما وافي اي كثير الندا اي السخا والكرم يقال فلان يندى اصحابه اي يسخي كما في النهاية
وفي القاموس تندى سخي وافضل كاندى فهو ندي الكف والندا الثرى او التخم المطر والبلل وشيء
يتطيب به كالبخور وفي محل اخر اندى كثر عطاياه انتهى اشارة الى غزارة كرمه وجزالة عطاياه
وحزمه مبدي اي مظهر الهدى اعني العلوم الفاخرة والعلوم الرياضية والهدى بضم الها
وفتح الدال المهملة الرشاد والدلالة مردي العدا اسم فاعل من اردا اذا اهلكه وكسره واوقع
اعداءه في الردا والتلف والهلاك مجلي اي مزيل ومفرق وكاشف الصدا اي العطش والظما والمراد
به كاشف الكرب ومجلي الشوب ياويل هذه يراد بها الدعا بالحزي والهلاك والمشقة ومعنى الندا نحو
ياحزيي ويا هلاك وعذاب احضر فهذا وقتك واوانك ولمن اي انسان مكلف من ذكر وانثى فيه اي في
امير المؤمنين علي بن ابي طالب اعتدى بانتقاصه وانحطاطه عن منزلته الشامخة ودرجته الباذخة
وهضم من حقوقه الظاهرة وفضائله الباهرة او علا فيه غلوا خارجا عن طوره ونسب اليه ما
ليس من نحو الوهية كغلاة اهل الرفض او نبوة او افضلية على من هو نفسه اعترف بانه افضل منه
وقد اخرج البزار عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان فيك مثلا من عيسى بن مريم عليه السلام ابغضته اليهود حتى بهتوا امه واحبته النصارى حتى انزلوه
المنزل الذي ليس به الا وانه يهلك فيك اثنان محب يقرظني بما ليس في ومبغض يحمله شنآني على
ان يبهتني ورواه ابو يعلى والحاكم ايضا واخرج الامام احمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اشقى الناس رجلان احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على
هذه يعني قرنه حتى يبل منه هذه يعني لحيته وقد ورد ذلك ايضا من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة
وغيرهم رضي الله عنهم وروى الطبراني وابو يعلى بسند رجاله ثقاة الا واحدا منهم وقد وثق ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوما من اشقى الاولين قال الذي عقر الناقة يا رسول الله قال صدقت قال فمن
اشقى الاخرين قال لا علم لي يا رسول الله قال الذي يضربك على هذه واشار رسول الله صلى الله عليه الى يافوخه
فكان علي رضي الله عنه يقول لاهل العراق يعني عند ضجره منهم وددت انه قد انبعث اشقاها لهم
فخضب هذه يعني لحيته من هذه ووضع يده على مقدم راسه وصح ايضا ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه

قال العلي

قال العلي لا تقدم العراق فاني اخشى ان يصيبك ها هنا باب السيف فقال علي وايم الله لقد اخبرني بذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو الاسود الدؤلي فما رايت كاليوم محاربا يخبر بذا عن نفسه اذا علمت هذا
فاعلم ان امير المؤمنين علي الانزع البطين بن ابي طالب واسمه عبد مناف وقيل اسمه كنية بن عبد المطلب
واسمه شيبة الحمد قاله ابن اسحق وقيل عامر قاله ابن قتيبة قال ابن عبد البر ولا يصح وكنيته ابو الحارث
والحارث اكبر اولاده وتكنى ايضا ابا البطحا وانما قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب اردفه حين اتى به
من المدينة صغيرا فكان يقال له مزهذا فيقول عبدي وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي الى آخر النسب
الشريف فعلي رضي الله عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم وهي اول هاشمية
ولدت هاشميا في الاسلام وقد اسلمت وهاجرت وامير المؤمنين علي رضي الله عنه احد العشرة المشهود لهم
بالجنة واخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمواخاة وصهره على سيدة النسا فاطمة الزهرا عليها السلام
واحد السابقين الى الاسلام واحد العلما الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين
والخطباء المعروفين والخلفاء الراشدين واحد مجامع القرآن المبين واول خليفة من بني هاشم وابو
البطين السعيدين اسلم علي رضي الله عنه قديما قال ابن عباس وانس بن مالك وزيد بن ارقم وسلمان الفارسي
وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم انه اول من اسلم حتى نقل بعضهم الاجماع عليه وقد ورد في ذلك عدة
اخبار وتقدم في ذكر الصديق ما يجمع الاقوال على التحقيق ويدل لهذا ما قاله امير المؤمنين علي
رضي الله عنه لما بلغه افتخار معاوية فقال للغلامه اكتب اليه ثم املى عليه رضي الله عنه قوله

• محمد النبي اخي وصهري • وحمزة سيد الشهدا عمي • وجعفر الذي يمسي ويضحي • يطير مع الملائكة ابن امي •
• وبنت محمد سكني وعرسي • منوط لحمها بدمي ولحمي • وسبطا احمد ابناي منها • فايكم له سهم كسهمي •
• سبقتكم الى الاسلام طرا • غلاما ما بلغت اوان حلمي

قال الحافظ البيهقي ان هذا الشعر مما يجب على
كل متولي علي رضي الله عنه حفظه ليتعلم مفاخر علي في الاسلام انتهى واعلم ان مناقب امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كثيرة ومآثره غزيرة وفضائله شهيرة حتى قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه ما جاء لاحد
من الفضائل ما جاء لعلي رضوان الله عليه وكذا قال اسمعيل القاضي والنسائي وابو علي النيسابوري لم يرد
في حق احد من الصحابة بالاسانيد الحسان اكثر مما جاء في علي رضي الله عنه قال بعض العلما وسبب ذلك
والله اعلم ان الله تعالى اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون بعده مما ابتلي به علي وما وقع من الاختلاف لما آل اليه
امر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الامة باشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به مما بلغه ثم
لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحا للامة ايضا ثم لما
اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني امية بتنقيصه وسبه حتى على المنابر ووافقهم على ذلك الخوارج
اشتغلت جهابذة العلما والحفاظ من اهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحا للامة ونصرة للحق

وقد اخرج السلفي في الطيوريات عن عبد الله بن الامام احمد رضي الله عنهما قال سالت ابي عن علي ومعاوية فقال اعلم ان عليا كان كثير الاعداء ففتش لهم اعداوه شيا فلم يجد والجاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله ناصروه كيدا منهم له رضي الله عنهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه الكل مقربا ان معاوية ليس كفوا لعلي رضي الله عنهما في الخلافة ولا يجوز ان يكون معاوية خليفة مع امكان استخلاف علي لسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله فانها كانت عند هم ظاهرة معروفة كفضل اخوانه ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولم يكن يوجد من اهل الشورى غيره وغير سعد لكن سعد كان قد ترك هذا الامر وكان الامر قد انحصر في علي وعثمان رضي الله عنهما فلما توفي عثمان رضي الله عنه لم يبق لهما معين الا علي رضي الله عنه وانما وقع ما وقع من الشر بسبب قتل عثمان رضي الله عنه وقال شيخ الاسلام ومعاوية لم يدع الخلافة ولم يبايع له بها حين قاتل عليا ولم يقاتله علي رضي الله عنه على انه خليفة ولا انه يستحق الخلافة ولا كانوا يرون ان يبدؤا عليا بقتال بل لما رأى علي انهم اولا شوكة وهم خارجون عن طاعته رأى ان يقاتلهم حتى يردوا الى الواجب وهم رأوا ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما باتفاق وقتلته في عسكر علي رضي الله عنه وهم غالبون لهم شوكة وعلي رضي الله عنه لم يمكنه دفعهم كما لم يمكنه الدفع عن عثمان فراوام الاراء الفاسدة ان نبايع خليفة يقدر على ان ينصفنا وينتزل لنا الانصاف وكان في جهال الفريقين من يظن بالعامة ان علي وعثمان رضي الله عنهما ظنونا كاذبة منهم من زعم ان عليا رضي الله عنه امر بقتل عثمان رضي الله عنه وكان علي رضي الله عنه يحلف وهو البار الصادق بالايمين انه لم يقتله ولا رضي بقتله ولم يمال على قتله قال شيخ الاسلام وهذا معلوم بالاريب من علي رضوان الله عليه فكان الناس منه محبي علي ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه فمحبوه يقصدون به الطعن على عثمان وانه كان يستحق القتل وان عليا امر بقتله ومبغضوه يقصدون به الطعن على علي رضي الله عنه وانه اعان على قتل الخليفة المظلوم الشهيد الذي صبر نفسه ولم يدفع عنها ولم يسفك دم مسلم في الدفع عنه فكيف فيطلب طاعته وامثال هذه الامور التي تنسب الى المشتغلين بعثمان نهر والعلوية وكان الطائفتين مقربا ان معاوية ليس بكفو لعلي رضي الله عنه ولا الخلافة ووقعة المبايعة بها العذر في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة فانه لما قتل عثمان جاء الناس يهرعون اليه فقالوا له ابسط يدك نبايعك فقد بدك فلا بد للناس من امير فقال علي رضي الله عنه ليس ذلكم اليكم انما ذلك الى اهل بدر فمن رضي به اهل بدر فهو خليفة فلم يبق احد من اهل بدر الا اتى عليا فقالوا ما نرى احدا احق بها منك مد يدك نبايعك فما يعوه وهرب مروان وولده وجاء علي الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا ادري دخل عليه رجلان لا اعرفهما ومعهما محمد بن ابي بكر واخبرت عليا والناس بما صنع فدعى محمدا فسئله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لو تكذب قد والله دخلت عليه وانا اريد قتله فذكرني الله فقمت عنه وانا تائب الى الله سبحانه وتعالى والله ما قتلته ولا امسكته فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه ادخلهما وذكر ان محمد بن ابي بكر رضي الله عنهما دخل كما ذكر فاخذ بلحية عثمان

فقال له

فقال له عثمان رضي الله عنه والله لو رآك ابوك لساءه مكانك مني فترا خت يده ودخل عليه الرجلان فذففا جهاده حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امراته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة وصعدت الى الناس فقالت ان امير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا وهم كانوا بالمدينة فخرجوا وقد ذهلت عقولهم لهذا الخبر الذي اتاهم حتى دخلوا عليه فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وضرب علي الحسن وصدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وكان ارسلهم يذبون عن عثمان وقال لابنيه كيف قتل وانتم على الباب وخرج وهو غضبان حتى اتى منزله فهرع الناس اليه فبايعوه جميعا وزعم بعض الناس ان طلحة والزبير انما بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا الى مكة وام المؤمنين عائشة بها فاخذاها وخرجا الى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك عليا فخرج الى العراق فلقي طلحة والزبير ومن معهما وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وبلغت القتلى ثلاثة عشر الفا واقام علي رضي الله عنه بالبصرة خمسة عشر ليلة ثم انصرف الى الكوفة ثم خرج عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتال نهارا اياما فرفع اهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا ان يوافوا راس الحول باذرح فينظروا في امر الامة فافترق الناس ورجع علي الى الكوفة وبلغت القتلى ثلاثين الفا قال القرطبي في التذكرة وكان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة اشهر وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاثة اشهر وقيل بل قتل في ثلاثة ايام وهي الايام البيض ثلاثة عشر واربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون الفا من الفريقين ذكره الثقة العدل ابو اسحق ومن تلك الليالي ليلة الهرير جعل يهر بعضهم الى بعض والهرير الصوت يشبه النباح لانهم تراموا بالنبل حتى فنيت وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقضت حتى نزل القوم لمشي بعضهم الى بعض وقد كسروا اجفان سيوفهم وتضاربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد فلا يسمع الا غمغمة القوم والحديد في الهام ثم تراموا بالاحجار ثم جثوا على الركب فنحاتوا بالتراب ثم تكادموا بالافواه وكسفت الشمس وثار القتام وارتفع الغبار وظلت الالوية والرايات ومرت مواقيت الاربع صلوات لان القتال كان من بعد صلاة الصبح الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك في ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين كما في تاريخ الامام احمد رضي الله عنه وغيره وكان عدة اهل الشام الذين مع معاوية مائة الف وخمسة وثلاثين الفا وكان اهل العراق الذين مع علي رضوان الله عليه عشرين او ثلاثين ومائة الف ذكر ذلك الزبير بن بكار واستشهد في صفين ابو اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان مع علي رضي الله عنه وكان عمار يومئذ ابن ثلاث وتسعين سنة وكان قد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيب المطيب فقد روى الترمذي عن امير المؤمنين رضي الله عنه قال جاء عمار بن ياسر يستاذن على النبي صلى الله عليه وسلم

فقال ائذن فقال له مرحبا بالطيب المطيب قال الترمذي حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم من حديث
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال اخبرني من هو خير مني ابو قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمار تقتلك
فئة باغية واخرجه مسلم ايضا من حديث ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمار تقتلك الفئة الباغية وفي الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار
ابشر تقتلك الفئة الباغية واستسقى بصفين فاتي بقعب فيه لبن فلما نظر اليه كبر ثم قال اخبرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان آخر زاد في الدنيا ضياح لبن في مثل هذا القعب ثم حمل قلم يثن حتى قتل اخرج الترمذي
السند منه وقال حسن صحيح والبا في ذكره رزين وفي صحيح البخاري من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل ينفض التراب عن عمار وهو يبني المسجد النبوي ويقول ويح عمار يدعوهم الى الجنة
ويدعونه الى النار قال وجعل عمار يقول اعوذ بالله من الفتن وفي رواية ويح عمار تقتله الفئة الباغية
يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ولم يذكر البخاري هذه الزيادة يعني تقتله الفئة الباغية وهذه
الزيادة صحيحة ثابتة وهي في صحيح مسلم وغيره وكذلك في بعض نسخ البخاري كما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية
وغيره من اهل العلم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ومن رضي بقتل عمار رضي الله عنه كان حكمه
حكمها اي حكم الفئة الباغية التي قتلته ويروى ان معاوية تاول ان الذي قتله هو الذي جاء به الى
هنود فقاتله فاقتتلا الا الذي اخرجه فالزمه علي رضي الله عنه بقوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قتل حمزة
حين اخرجه لقتال المشركين ولا يخفى ان حجة معاوية هذه اوهى من بيت العنكبوت ومن ثم قال شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه ولا ريب ان قول علي هو الصواب انتهى ولا يرتاب ذوو الالباب ان الحق
والصواب مع امير المؤمنين ابي السبطين وزوج سيدة نساء العالمين علي بن ابي طالب رضوان الله
عليهم اجمعين واما معاوية رضي الله عنه فهو مجتهد مخطي وليس له يومئذ في الخلافة حق ومن ثم قال له
ابو مسلم الخولاني انت تنازع عليا في الخلافة وانت مثله قال لا والله اني لاعلم انه افضل ولكن الستم تعلمون
ان عثمان قتل مظلوما وانا ابن عمه وولي اطلب بدمه فائتوا عليا فقولوا له يدفع الينا قتلة عثمان فاجاب
فاجاب معاوية اهل الشام فارسل الى علي ايا مسلم يطلب بدم عثمان وانه ولي وابن عمه فقال امير المؤمنين
علي يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكم المدعى عليهم عندي فاحكم بما انزل الله فابى معاوية حتى
جرى ما جرى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان اهل الشام يسمون قتل عمار فتح الفتوح
وفي قتله يقول الحجاج بن غزية الانصاري رضي الله عنه قال النبي له تقتلك فئة ظالمة سيطت لحومهم بالبغي فجار
فاليوم يعلم اهل الشام انهم اصحاب ذاك ومنهم شبت النار وقال ابن عبدون في رائيته
وما رعت لابي اليقظان صحبته ولم تزوده الا الضيح في العمر قال في النهاية الضياح و
الضيح بالفتح اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط وهو بفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية فحاء مهملة

وفي القاموس

وفي القاموس اللبن المرقيق الممزوج وكذا الضياح بفتح الضاد المعجمة ولما رفع اهل الشام المصاحف يدعون
الى ما فيها قال علي رضي الله عنه نعم نحن احق بالاجابة الى كتاب الله تعالى فقال القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج
خوانا يا امير المؤمنين ما ننتظر الى هؤلاء الاشلاء علينا بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا فقال سهل بن حنيف
يا ايها الناس اتهموا رايكم قال لما امر الى ان كتبوا بينهم كتابا ان لا يوافوا راس الحول باذرح كما تقدم فرجعت عامة
طائفة امير المؤمنين الخوارج وهم القراء فقالوا كفر علي وكفر معاوية فاعتزلوا عليا رضي الله عنه ونزلوا حروراء
وهم بضعة عشر الفا فارسل عليهم ابن عباس رضي الله عنهم فناشدهم الله ارجعوا الى خليفتكم فيم
فقسم عليه في قسمة او قضاء قالوا نخاف ان ندخل في الفتنة قال فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة
فتنة العام المقبل فرجع بعضهم الى الطاعة وقال اخرون نكون ناحية فاذا جاء القضية يعني التحكيم قاتلناه
على ما قاتلنا عليه اهل الشام بصفين واذا نقضها قاتلنا معه فساروا حتى قطعوا النهر وافترقت
منهم فرقة يقتلون الناس فقال اصحابهم ما على هذا فارقنا عليا فلما بلغ امير المؤمنين عليا رضي الله عنهم
وكان متجهزا لقتال اهل الشام بعد التحكيم فاذا الناس اجتمعوا باذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين
وحضر في هذه القضية سعد بن ابي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة رضي الله عنهم
فقدم عمرو بن العاص ابا موسى الاشعري مكيدة منه فانه تخلف على خلع الاثنين علي ومعاوية ويصير
الامر شورى في رضيه اهل بدر من المهاجرين والانصار فهو الخليفة فتقدم ابو موسى فقال قد خلعت عليا
فقام عمرو فقال ان ابا موسى قد خلع عليا وانا قد نصبت معاوية فاختلف الناس واخذ ابو موسى يسب عمرا
ويقول انك غدرت فرجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام وصار علي على خلاف من اصحابه حتى صار
رضي الله عنه يعض على اصبعه ويقول اعصى ويطاع معاوية وربما قال يطاع ابن آكلة الاكباد اشارة
الى اكل هند بنت عتبة ام معاوية من كبد حمزة رضي الله عنه يوم احد فلما تجهز علي رضي الله عنه لقتال اهل
الشام شغله امر الخوارج وما ارتكبوه من المفاسد فقال لاصحابه استيروا الى عدو كم اوترجعوا الى
هؤلاء الذين خلفوكم في ديارهم فقالوا بل نرجع اليهم فقال رضي الله عنه اسطوا عليهم فوالله لا يقتل منكم
عشرة ولا ينج منهم عشرة فكان كذلك فقال اطلبوا في القتلى رجلا صفته كذا وذكر من نعته انه اذن يا كيد
المرة وظلبوه فوجدوه على النعت الذي ذكر امير المؤمنين لهم فقال رجل الحمد لله الذي اباده واراحنا
منه فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده انه منهم لمن في اصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد
وهؤلاء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين فيقتلها اولى الطائفتين
الى الحق رواه مسلم في صحيحه فقتلهم علي رضي الله عنه وفرح على بقتال الخوارج بجلاوقة وقعة الجمل وغيرها
فانه كان يظهر منه الحزن والكآبة والاسف ومن بقايا الخوارج القراطسة وهم الباطنية والاسماعيلية
والملاحدة واضرابهم عن بسة عجيبة ذكر الجلال السيوطي في لقط المرجان قال ذكر في كتاب نزهة

المذاكرة من طريق الزهري عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال حضرت مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه قتل الحرورية بالنهروان فالتمس علي ذا الثدية فلم يجدوه
فقال اطلبوه فوجدوه بعد ذلك فقال علي رضي الله عنه ما يعرف هذا فقال رجل من القوم نحن نعرفه
هذا حرقوص وامه هاهنا فارسل علي الى امه فقال لها امه ابو هذا قالت ما ادري الا اني كنت ارعى غنما
لاهلي في الجاهلية بالمدينة فغشيني شيء كهيئة الظلة فحبلت منه فولدت هذا انتهى تعني انه اباه من
الجن وهذا غريب جدا والله اعلم **تنبيه** علم مما تقدم انه احق الناس بالخلافة بعد الثلاثة
المتقدمة اعني ابا بكر وعمر وعثمان علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم باتفاق اهل الحل والعقد كطلحة والزبير
وابي موسى الاشعري وابن عباس وخزيمة بن ثابت وابي الهيثم بن التيهان ومحمد بن مسلمة وعمار بن ياسر
وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم قال بعض محققي علمائنا وقد اتفق على بيعة علي رضي الله عنه عمار ومن
حضر المدينة من البدريين والانصار كاجماع اهل السقيفة على بيعة ابي بكر رضي الله عنه قال الحسن البصري
رضي الله عنه والله ما كانت بيعة علي رضي الله عنه الا كبيعة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال ابو عبد الله بن بطة
ما علمنا انه كانت بيعة علي رضي الله عنه اجتماع ورحمة لم يدع الى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه
ولم يغلبهم بعشيرته ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها شرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها
بعلو قدره ولقد اباها فاجبروه وتقاعس عنها فاكرهوه وقال سيدنا احمد رضي الله عنه ان عليا رضوان الله
عليه لم تزنه الخلافة ولكن علي زانها وروى الشعبي قال دخل اعرابي على علي رضي الله عنه حين افضت اليه الخلافة
فقال والله يا امير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ولهي كانت احوج اليك
منك اليها قال ابو عبد الله بن بطة رحمه الله تعالى قد احسن الاعرابي وصدق فيما قال فان عليا وهو قدم
من الخلفاء رضي الله عنهم زينوا الخلافة وحملوا امة محمد صلى الله عليه وسلم والموا الدين واظهروه واسسوا الاسلام
واشهروه وانشد الامام الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي في تبصرته في حق علي رضي الله تعالى عنه

ما زانه الملك اذ حواه ... بل كل شيء به يزان ... حوافقات الملوك سبقا ... فليس قد لحقه عنان

فالنداء ذري معال ... يعجز عن نعتها العيان ... وفي شرح المقاصد عند بعض المتكلمين انعقد على بيعة
علي رضي الله عنه الاجماع ووجه انعقاده ما انحصر الامر فيه وفيهما ان زمن الشورى على الفهم لعثمان
وهذا اجماع على علي رضي الله عنه لو لا عثمان فلما توفي عثمان رضي الله عنه بقيت لعلي اجماعا ومن ثم قال
بعض محققي علماء الكلام لا اكتراث بقول من قال لا اجماع على امامة علي رضي الله عنه وقد تقدم في كلام
شيخ الاسلام ما يفهم عنه هذا المقام والله ولي الانعام ولما قتل علي رضي الله عنه خرج بالنهروان
واستاصل جمعهم ولم ينج منهم الا القليل انتدب ثلاثة بقايا هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبجاج بن عبد الله
الصريمي ويعرف بالبرك وداذويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم فاجمعوا رأيهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن

والله يكون

والله يكون قتلهم في ليلة واحدة وهي ليلة سبع عشرة من رمضان او احدى وعشرين وقيل ليلة احدى
وعشرين من شهر رمضان وكان تعاقدهم وتعاهدهم على ذلك جبلة المشرقية فضمن ابن ملجم قتل علي فقيل له
وكيف لك بذلك قال اغتاله وضمن البرك قتل معاوية وضمن داذويه قتل عمرو بن العاص وزعموا
ان هذه الثلاثة قد افسدوا امر هذه الامة ولو قتلوا لعاد الامر الى مستحقيه كذا زعموا لعنهم الله تعالى
فوجه كل واحد منهم الى صاحبه فاما البرك الصريمي فقدم على معاوية بدمشق وضربه فجرحه
المية وهو في الصلاة ويقال انه قطع عرق النسا منه فما احيل الناس بعد تلك الضربة واما داذويه
ابن حذافة العنبري فقدم مصر لقتل عمرو بن العاص فاتفق انه تلك الليلة استخلف على صلاة الفجر
خارجة ابن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عتبة بن عوف بن عدي بن كعب بن لوي بن غالب
القرشي العدوي شهد فتح مصر وكان امير ربع المدد الذي امدهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عمرو بن العاص في فتح مصر وكان على شرط مصر في امرة عمرو بن العاص لمعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهم
قال في جامع الاصول كان خارجة بن حذافة هذا احد فرسان قريش فيقال انه كان يعدل بالف
فارس قال ابن عبد البر وكان كتب عمرو بن العاص الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب يستمده بثلاثة الاف
فارس فامده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم فاراد
بخارجي داذويه قتل عمرو بن العاص فقتل خارجة بن حذافة فلما قتله الخارجي اخذوا ادخل على عمرو
فقال الخارجي ما هذا الذي ادخلتموني عليه فقالوا لعمرو بن العاص قال ومن قتلت قالوا خارجة
فقال اردت عمرو واراد الله خارجة فذهبت مثلا والى هذا اشار ابو محمد عبد المجيد بن عبدون
الاندلسي في قصيدته الرائية التي رثى بها بني الافطس ملوك بطليوس بقوله

ولبئسما اذ قدرت عمرا بخارجة ... قدرت عليا وهو شاة من البشر

واما اشقى الاخرين عبد الرحمن بن ملجم اللعين فقدم الكوفة والتقى بها مع اخوانه الخوارج فسارهم
بما اراد فاشترى سيفا فيما زعموا بالف وسقاه السم حتى لفظه وكان في خلال ذلك يأتي عليا رضي الله عنه
فيسئله فوقعت عينه على قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت خارجية ترى رأي الخوارج وكانت جميلة
رائعة في الجمال فاعجبته فخطبها فقالت آليت ان لا اتزوج الا على مهر لا اريد سواه فقال ما هو
فقالت ثلاثة الاف وعبد وجارية وقتل علي بن ابي طالب فقال والله ما اتيت الا للقتل بر
ولا اقدم منه هذا المصر غير ذلك ولكن لما ان اردت تزويجك فقالت ليس الا الذي قلت لك فقال وما
يغنيني منك اذا انا قتلت عليا اعلم اني لم افلت فقالت ان قتلته ونجوت فهو الذي اردت تبلغ
شفاء نفسك وتفيد العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا ففال لها كما اشترطت ثم قال لعنه الله
ثلاثة الاف وعبد وقينة ... وضرب علي بالحسام المسمم ... فلا مهر اغلا من علي وان علا
ولا فتك الا دون فتك بن ملجم ... فقالت له ورأي معاشر ظهرك ... فيعثث الى ابن عم النبي محمد

فاجابها ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الاشجعي فقال يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والاخرة فقال وما هو قال تساعدني على قتل علي بن ابي طالب فقال ثكلتك امك لقد جئت شيئا ادا كيف تقدر على ذلك قال انه رجل لا حرس له ويخرج الى المسجد منفردا فنشد منه وقد كمنا له في المسجد فنقتله فان نجونا نجونا وان قتلنا فقد سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الاخرة فقال ويلك ان عليا ذو سابقة في الاسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم وما تشرح نفسي لقتله قال ويحك انه حكم الرجال في دين الله وقتل اخواننا الصالحين فنقتله ببعض ما قتل فلا تشكن في دينك فاجابه واقبلا حتى دخلا على وطام وهي معتكفة في المسجد الاعظم في قبة ضربتها لنفسها فدعت لهما واخذا سيفيهما وجلسا قبالة السدة التي يخرج منها امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فخرج الى الصلاة الصبح فبدره شبيب فضربه فاخطاه وضربه عبد الرحمن على رأسه وقال الحكم لله يا علي لا لك ولا لاصحابك فقال علي رضي الله عنه فزت ورب الكعبة لا يفوتكم الكلب وشد الناس عليه من كل جانب فحمل عليهم ابن ملجم فافرجوا له فتلقاه المغيرة بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب فرمى عليه قطيفة كانت عنده واحتمله وضرب به وقعد على صدره ~~فجعل الناس يصيحون عليكم بصاحب السيف~~ واما شبيب فانتزع السيف من يده رجل من حضرموت وصرعه وقعد على صدره فجعل الناس يصيحون عليكم بصاحب السيف فخاف الحضرمي على نفسه فرمى بالسيف وانسل شبيب بين الناس فاخذ ابن ملجم فدخل به على امير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال الا اعنش فالامر لي وان امت فالامر لكم فالعفو او القصاص واجتمع الاطباء عنده وكان ابصرهم بالطب اثير بن عمرو السكوني وكان من اطباء كسرى فاخذ رية شاة حارة فشق عرقا منها فاخرجه فادخله في جراحته على ثم نفخ العرق فاستخرجه فاذا عليه بياض دماغ واذا الضربة قد وصلت الى ام رأسه فقال يا امير المؤمنين اعهد عهدك فانك ميت وسمع ابن ملجم لعنه الله الرنة من الدار فقال له حضرة اي عدو الله انه لا باس على امير المؤمنين رضي الله عنه فقال ابن ملجم فعلام تبكي ام كلثوم اعلي تبكي اما والله لقد اشتريت سيفي بالف ومازلت اعرضه فما يعيبه احد الا اصلحت ذلك العيب ولقد سقيته السم حتى لفظه ولقد ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لاتت عليهم ثم مات امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ليلة الاحد لتسع عشرة مضت من رمضان سنة اربعين وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وصلى عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة ثم احضر ابن ملجم وجاء الناس بالنفط والبواري وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه بمسامير الحديد ثم حماة ثم قطع لسانه ثم احرق في قوصرة وقيل انه قطعت اطرافه لعنه الله ولم يتاوه بل يتلو القرآن فلما اراد ان يقطع لسانه امتنع من اخراجه فتعبوا في ذلك فقيل له وقطعت يداك

ورجلاك

بل ضربة من غوي اورثته اظلى ٭ فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا ٭ كانه لم يرد قصد بضربته ٭
٭ الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا ٭ وما احسن ما قال عمارة اليمني في الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم

٭ اردت عليا وعثمان بخلبها ٭ ولم يفتها ابو بكر ولا عمر ٭
٭ وما اراد التاسي في مصيبته ٭ فللورى في رسول الله معتبر ٭

واعلم ان مناقب علي رضي الله عنه كثيرة ومآثره شهيرة ولقد قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما كان علي رضي الله عنه ضرس قاطع في العلم وكان له القدم في الاسلام والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجود في المال وكان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو حسن يعني عليا رضي الله عنه واخرج الامام الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في تبصرته بسنده عن ابي صالح قال معاوية بن ابي سفيان لضرار بن ضمرة صف لي عليا قال او تعفيني يا امير المؤمنين قال بل تصفه لي قال او تعفيني قال لا اعفيك قال اما اذ لا بد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا و يحكم عدلا تتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستانس بالليل و ظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله كاحدنا يجيبنا اذا سالناه ويبتدئنا اذا ابتدأناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتدئه لعظمته كان اذا ابتسم فعن مثل اللولو المنظوم يعظم اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فاشهد بالله لرايته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكاني اسمعه وهو يقول يا دنيا يا دنيا الي تعرضت ام الي تشوقت هيهات هيهات غري غيري قد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيك ولا مثنوية فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير ويروى انه قال حلالك حساب وحرامك عذاب ثم انشد رضي الله عنه

٭ دنيا تحاوعني كاني لست اعرف حالها ٭ مدت الي يمينها ٭ فرددتها وشمالها ٭
٭ خطر الاثام امامها ٭ وانا اجتنبت حلالها ٭ وعلمتها خداعة ٭ فتركت حملتها لها ٭

آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت دموع معاوية رضي الله عنه فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقى عبرتها ولا تسكن حسرتها وانشد الحافظ ابن الجوزي في التبصرة من نظم الامام امير المؤمنين علي رضي الله عنه ووصف نفسه اذا المشكلات تصدين لي ٭ كشفت حقايقها بالنظر ٭ واثبت في محل الصواب ٭ عميا لا يحلها البصر ٭ مقنعة بغيوب لها مورة ٭ وضعت عليها صحيح الفكر ٭ لساني كشقشقة الاريحي ٭ او كالسنان لحسام الذكر ٭ وفي الطيوريات

قال رجل

قال رجل لعلي رضي الله عنه سمعتك تقول في الخطبة اللهم اصلحنا بما اصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فاغرورقت عيناه قال هم احياني ابو بكر وعمر اماما الهدى وشيخا الاسلام رجلا قريش و المقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع اثارهما هدي الى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو في حزب الله والامام علي امير المؤمنين رضي الله عنه اول من وضع علم النحو قال ابو القاسم الزجاجي في امالية عن ابي الاسود الدؤلي قال دخلت على امير المؤمنين فرايته مفكرا فقلت فيم تفكر قال اني سمعت ببلدكم هذا لحنا فاردت ان اضع كتابا في اصول العربية فقلت له افعلت هذا احييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم اتيته بعد ثلاث فالقى الي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما انبا عن المسمى والفعل ما انبا عن حركة المسمى والحرف ما انبا عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال واعلم يا ابا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ثم قال تشعبه ايخ نحوه وزد فيه ولهذا مشهور وما يحيط الدفاتر بحر الخضم والشيء الاعم والسواد الاعظم فكل ما ذكرناه بالنسبة لما تركناه كقطرة من بحر لجي او كرملة واحدة من رمال فجي وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا منها في الصحيحين اربعة واربعون حديثا اتفقا منها على عشرين وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر والله ولي التوفيق ثم قال في نظمه فحبه اي حب امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فحبهم اي الخلفا الراشدين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بكر الصديق الامام المجمل على التحقيق المسمى بعبد الله والملقب بعتيق فمن احبه فهو مؤمن ومن ابغضه فهو منزندين وكذلك عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق وكذلك عثمان بن عفان الذي بكل مكرمة موصوف فان كنت مؤمنا فاحبهم جميعا وحتم ذلك على نفسك وعلى كل ابناء جنسك حتما اي خالصا محكم الامر وجب على جميع الامة باتفاق الائمة لا يزوغ عما حبهم الا هالك ولا يروغ عما وجوب ذلك الا افاك ومن ثم قال ومن اي اي مكلف من هذه الامة المحمدية تعدى في حبه اولم يقل بفضل الخلفاء الراشدين على ترتيب الخلافة او قلاهم او احدا منهم اي ابغضهم او احدا منهم يقال قلاه كرماه رفضه قلا وقلى اذا ابغضه وكرهه غاية الكراهة وتركه وهجره وقال الامام ابو المظفر عوف الدين بن هبيرة القلا بغض يعدي فقد الكفاية في جواب ما وقد حرف تحقيق كذب في كل واحدة من الخصلتين من تعدية في الحب وبغضه لهم او لاحد منهم رضي الله عنهم اجمعين تنبيهات الاول اعلم ان الواجب اعتقاده ان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فهم الذين ولوا الخلافة التي هي النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عموم مصالح المؤمنين من اقامة الدين وصيانة المسلمين بحيث يجب على كافة الخلق الاتباع ويحرم عليهم المخالفة وقد بين صلى الله عليه وسلم مدة الخلافة بعده بانها ثلاثون سنة

ومن تعدى او قلاهم

فقد كذب

ثم يصير ملكا عضوضا فكانت مدة خلافتهم فاخرج الامام احمد من حديث سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون ملك بعد ذلك الملك
ورواه اصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم الا الخلفاء الاربعة
وايام الحسن رضي الله عنهم واخرج البزار بسند حسن من حديث ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول دينكم نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا وجبرية فمنيت
بالنصارا مدة الخلفاء الاربعة خلافة ورحمة وكذا مدة سيدنا الحسن رضي الله عنه وكانت ستة اشهر
وايا ما كان والله اعلم الثاني ترتيبهم في الافضلية على ترتيبهم في الخلافة وهذا قول عامة اهل السنة
من اهل الحديث والفقه والكلام من الاثرية والاشعرية والماتريدية وغيرهم قال الامام احمد رضي الله عنه
علي رضوان الله عليه رابعهم في الخلافة والتفضيل قال ومن فضل عليا على ابي بكر وعمر او قدمه عليهما
في الفضيلة والامامة فهو رافضي مبتدع فاسق ذكره القاضي ابو يعلى قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين
فان فضله يعني عليا رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه فكذلك يعني انه يكون رافضيا مبتدعا غاليا فاسقا
وفي رواية اخرى لا يكون رافضيا مبتدعا بتفضيل علي على عثمان رضي الله عنهما وتبرأ الامام احمد
رضي الله عنه من ضلالهم او احدا منهم انتهى الثالث اعلم ان الذي اطبق عليه عظماء الملة وعلماء الامة
ورؤساء الائمة ان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الصديق ثم اعظم ابو بكر ابن ابي قحافة
ثم عمر الفاروق ابن الخطاب رضي الله عنهما ثم اختلفوا فالاكثرون ومنهم الامام احمد والشافعي وهو
المشهور عن الامام مالك رضي الله عنهم ان الافضل بعد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما عثمان بن عفان
ثم علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفضيل علي على عثمان وقيل
بالوقف عن التفضيل بينهما وهو رواية عن مالك فقد حكى ابو عبد الله المازري عن المدونة ان مالكا
سئل اي الناس افضل بعد نبيهم فقال ابو بكر ثم عمر قال او في ذلك شك فقيل له وعلي وعثمان فقال ما
ادركت احدا ممن اقتدى به يفضل احدهما على الاخر انتهى وقوله او في ذلك شك يؤيد ما سنحرره
ان تفضيل ابي بكر وعمر على بقية الامة قطعي نعم حكى القاضي عياض عن الامام مالك انه رجع عن التوقف
الى تفضيل عثمان قال القرطبي وهو الاصح انتهى وقد نقل التوقف ابن عبد البر عن جماعة من السلف منهم
الامام مالك ويحيى القطان وابن معين قال الامام يحيى ابن معين ومن قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة ولا شك انه مما اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو
مذموم ومما تم يعلم ان حكاية الاجماع على ان عثمان افضل من علي رضي الله عنهما مدخولة بل الخلاف معلوم
نعم معتمد محققي اهل السنة ان الخلفاء الراشدين في ترتيب الافضلية على نسق ترتيب الخلافة

وهذا منصوص الامام احمد وغيره من ائمة الاسلام لكن التفضيل بطرف ابي بكر وعمر رضي الله عنهما قطعي
على المعتمد وقيل ظني كما عند الباقلاني وغيره الرابع سال الامام ابو زرعة الولي العراقي عمن اعتقد
في الخلفاء الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن يحب احدهم اكثر هل يأثم اولا فاجاب
بان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان
افضل كانت محبتنا الدينية له اكثر فمتى اعتقد ذلك في واحد منهم انه افضل ثم احببنا غيره من جهة
الدين اكثر كان ذلك تناقضا لعدم احبابنا غير الافضل اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة و
احسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها ابو بكر
ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر مما ابي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى
لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه
واما بقلبه فهو مفضل لعليا لكونه احبه محبة دينية زائدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت
المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي او لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه انتهى وعلى كل حال
فالمحبة الدينية لازمة للافضلية على حسب زيادتها ونقصانها وبالله التوفيق وبعد اي
بعد الخلفاء الراشدين فالافضل من سائر الصحابة المكونين باقي العشرة المشهود لهم بالجنة
على لسان سيد العالمين وخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وهم الستة الذين
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ورضوا الله تعالى عليهم اجمعين احدهم ابو محمد طلحة بن عبيد الله
ابن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي وامه الصعبة بنت عبد الله
ابن عباد الحضرمي اخت العلاء بن الحضرمي اسلمت واسلم طلحة قديما على يد ابي بكر الصديق وشهد
المشاهد كلها غير بدر كان النبي صلى الله عليه وسلم انفذه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي
كانت لقريش مع ابي سفيان ابن حرب فعادا يوم الفرقان وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد
ووقاه بيده فشلت اصبعه وجرح يومئذ اربعة وعشرين جراحة وقيل كانت فيه خمسة وسبعون
بين طعنة وضربة ورمية كما في جامع الاصول وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد طلحة الخير وسماه
يوم غزوة ذات العشيرة طلحة الفياض ويوم حنين طلحة الجود وكان آدم كثير الشعر ليس بالجعد
القطط ولا بالسبط حسن الوجه دقيق المرنين لا يغير شعره قتل رضي الله عنه يوم وقعة الجمل يوم
الخميس لعشر بقين من جمادى الاخرة سنة ثنتين وثلاثين ويقال ابن عمرو وابن الحكم قتله وقيل اصابه سهم
في حلقه ودفن بالبصرة ولد اربع وستون سنة وقيل اثنتان وستون يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم
في مرة بن كعب وروي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين سبعة

وبعد فالافضل بالي العشرة

طلحة رضي الله عنه

المتفق عليه منها حديثان وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بثلاثة وروى عنه السايب بن يزيد وعبد الرحمن
ابن عثمان بن عبيد الله التيمي وابو عثمان النهدي وقيس بن ابي حازم وموسى بن طلحة وغيرهم **الثاني**
ابو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لوي بن غالب القرشي الاسدي وامه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلمت واسلم هو قديما على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنهم وهو ابن ست عشرة سنة فعذبه عمه بالدخان
ليترك الاسلام فلم يفعل وهاجر الى ارض الحبشة الهجرتين وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
المشاهد كلها وهو اول من سل السيف في سبيل الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكان ابيض
طويلا وليس الجسم بالطويل ولا بالقصير يميل الى النحافة في اللحم ويقال كان اسمر خفيف العارضين قتله
عمير بن جرموز بفوفلا من ارض البصرة في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين وله اربع وستون سنة ودفن
بوادي السباع ثم حول الى البصرة وقبره بها مشهور يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي
روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين تسعة المتفق عليه منها حديثان
وبانفرادهما للبخاري روى عنه ابناه عبد الله وعروة وغيرهما وهو احد الشجعان المشهورة وحواري
رسول الله صلى الله عليه وسلم **الثالث ابو اسحق سعد بن ابي وقاص** واسم ابي وقاص مالك بن وهيب
ويقال اهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب القرشي الزهري وامه
حمنة بنت سفيان وقيل بنت ابي سفيان بن عبد شمس بن عبد مناف اسلم قديما على يد ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وهو ابن سبعة عشر سنة وقال كنت ثالثا في الاسلام وانا اول من رمى بسهم في سبيل الله
شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قصيرا غليظا ذا هامة شثن الاصابع ادم الفطس
اشعر الجسد وفداه النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد بابويه اي قال له ارم فداك ابي وامي مات رضي الله عنه
في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو
يومئذ والي المدينة من قبل معاوية ودفن بالبقيع وذلك سنة خمس وخمسين وقيل سبع وخمسين
وله بضع وسبعون سنة وقيل اثنتان وثمانون وهو اخر العشرة موتا وكان قد اعتزل الفتنة
وكف بصره في اخر عمره رضي الله عنه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتان وسبعون حديثا
منها في الصحيحين ثمانية وثلاثون حديثا اتفقا منها على خمسة عشر وانفرد البخاري بخمسة ومسلم
بثمانية عشر روى عنه عبد الله بن عمر وجابر بن سمرة وعامر ومحمد ومصعب بنوه وابراهيم بن عبد الرحمن
ابن عوف وابن المسيب وابو عثمان النهدي وقيس بن ابي حازم وغيرهم **الرابع ابو الاعور سعيد**
ابن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وباقي نسبه معروف من نسب امير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي

العدوي وامه فاطمة بنت بجرة بفتح الموحدة وسكون العين المهملة وبالجيم بن امية بن خزاعة اسلم قديما
قبل ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر فانه
كان مع طلحة بن عبيد الله يتطلبان خبر عير قريش كما تقدم انفا وضرب لهما النبي صلى الله عليه وسلم بسهمهما
في الغنيمة والاجر كان آدم طويلا اشعر ات بالعقيق قريبا من المدينة فحمل اليها ودفن بها سنة احدى
وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل مات بالكوفة ودفن بها يجتمع مع نسب
النبي صلى الله عليه وسلم في لوي روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية واربعون حديثا منها في الصحيحين ثلاثة
المتفق عليه منها اثنان والثالث للبخاري **الخامس ابو محمد عبد الرحمن بن عوف** بن عبد عوف بن عبد الحارث
ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب القرشي الزهري كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وامه الشفا بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة اسلمت وهاجرت وهي الزهرية العام
امه صفية بنت عبد مناف بن زهرة ويقال الشفا بكسر الشين المعجمة وبالفا بنت عوف واسلم هو قديما على يد ابي بكر
الصديق رضي الله عنهما وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وثبت معه يوم احد وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك واتم معه فانه كان طويلا رقيق البشرة
ابيض مشربا بحمرة ضخم الكفين اقنى وقيل كان ساقط الثنيتين اعرج اصيب يوم احد وجرح عشرين
جراحة واكثر فاصابه بعضها في رجله فعرج ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنين وثلاثين
ودفن في البقيع وله ثنتان وسبعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة ويلتقي نسب النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب
ابن مرة روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وستون حديثا منها في الصحيحين سبعة احاديث المتفق
عليه منها حديثان وبانفرادهما للبخاري روى عنه ابن عباس وابنه ابراهيم وبجالة بن عبدة وغيرهم رضي الله عنهم
السادس امين الامة ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث
ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري اسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة الهجرة
الثانية وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم احد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا
في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فحلق الغفر بفيه فوقعت ثنيتاه فكان احسن الناس
هتما كان رضي الله عنه طوالا معروق الوجه خفيف اللحية مات في طاعون عمواس بالاردن سنة ثماني عشرة
ودفن هناك وقبره مشهور يزار ويتبرك به روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا
ولم يخرج له البخاري في صحيحه شيئا ولا اخرج له مسلم الا في حديث العنبر رواية ابي الزبير عن
جابر بن عبد الله رضي الله عنهم وهو قوله يعني قول ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه نحن رسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو معنى تام فسموه حديثا فهو لاء العشرة المذكورون في حديث عبد الرحمن بن عوف

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد ابن زيد في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة رواه الترمذي واخرج ابو داود والترمذي عن رباح بن الحارث قال كنت قاعدا عند قاري في الكوفة في المسجد وعنده اهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه واقعده على السرير فجاء رجل من اهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد ما يسب هذا الرجل فقال اذى علينا فقال الا ارى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول واني لغني ان اقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غدا اذا لقيته ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة وسكت عن العاشر قالوا ومن هو العاشر قال سعيد بن زيد يعني نفسه ثم قال يعني سعيد بن زيد رضي الله عنه والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير من عمل احدكم ولو عمر نوح وان عمر نوح وان عمر نوح ثم لا جرم لما انقطعت اعمارهم اراد الله تعالى ان لا ينقطع الاجر عنهم الى يوم القيمة والشق من البعضهم والسعيد من احبهم ولفظ الترمذي اشهد على التسعة انهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم قال عبد الرحمن ظالم المازني قلت لسعيد بن زيد رضي الله عنه من التسعة فذكرهم قلت ومن العاشر فتلكأ هنيهة ثم قال انا وللترمذي في رواية اخرى عن سعيد بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عشرة في الجنة فعد التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله يا ابا الاعور من العاشر قال نشدتموني بالله ابو الاعور في الجنة ابو الاعور هو سعيد بن زيد والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وبكفي ما اخرجه الترمذي عن عقبة بن علقمة اليشكري قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول يعني بعد وقعة الجمل سمعت اذني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لطلحة والزبير جاراي في الجنة وبعد العشرة اي الذين يلونهم في الافضلية فاهل غزوة بدر العظمى وهي البطشة الكبرى ويقال لها بدر القتال ويوم الفرقان كما رواه ابن جرير وابن المنذر وصححه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لان الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهي التي اعز الله بها الاسلام وفتح بها عبدة الاصنام وبدر قرية مشهورة ولم تزل عمرة يومئذ باهل الاسلام معمورة على نحو اربع مراحل من المدينة النبوية قيل نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة وقيل الى بدر بن الحارث وقيل الى بئر ابن كلدة وقيل بدر اسم للبئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها او لصفاتها فكان البدر يرى فيها وقيل بل هو علم على البلد المذكورة لغيرها من اسماء البلاد قال البغوي وهو الاكثر وكانت هؤلاء

فاهل بدر شهد اهل البصرة

وقعة بدر

وقعة بدر لهار الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكان عدة المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوز معه النهر ولم يجاوزه معه الا هو ومن بضعة عشر وثلاثمائة وفي حديث ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه عند ابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني والبيهقي قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتعاد فتعدنا فاذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر فاخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدتنا فرددنا وحمد الله تعالى وقال عدة اصحاب طالوت وروى الامام احمد وابن ابي شيبة ومسلم وابو داود والترمذي وابو عوانة وابن حبان من حديث امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر ولفظ مسلم تسعة عشر رجلا ونظر الى المشركين فاذا هم الف وزيادة الحديث وروى البزار بسند حسن عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كانا عدة اهل بدر عدة اصحاب طالوت يوم جاوز ثلاثمائة وسبعة عشر وفي الفتح ثلاثة عشر بدل سبعة عشر وفي الصحيح عن موسى بن عقبة عن الزهري قال جميع من شهد بدرا من قريش ما ضرب له سهم احد وثمانون معه ابن البخاري واسحق بن راهويه اخر جاعة البراء بن عازب رضي الله عنه قال وكانا المهاجرون يوم بدر نيفا على الستين والانصار نيفا واربعين ومائتين قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذين الحديثين ان حديث البراء فيمن شهد بدرا حسا وقول الزهري فيمن شهدها بالعدد حكما ممن ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له بسهمه واجره او المراد بالعدة الاول الاحرار وبالثاني باضمام مواليهم وانتباعهم واذا تحرر هذا فجميع من شهد القتال ثلاثمائة وخمسة وستة فقد عد ثمانية انفس ممن في اهل بدر ولم يشهدوها وانما ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهامهم لكونهم تخلفوا لضرورات لهم وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد والحارث بن حاطب والحارث بن الصمة وخوات بن جبير وعاصم بن عدي وابو لبابة رضي الله عنهم واستشهد من المسلمين في وقعة بدر اربعة عشر نفسا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضي الله عنهم اجمعين وقتل من الكفار يومئذ سبعون واسر سبعون وقد روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الثمانية عشر الذين قتلوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله تعالى ارواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادي ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شيء قال فيقول عبادي ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة نرد ارواحنا في اجسادنا فنقتل كما قتلنا وروى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه وكان من اهل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون اهل بدر فيكم قال من افضل المسلمين او كلمة نحوها

قال كذلك من شهد بدرا عدة الملائكة وروى نحوه الامام احمد من حديث رافع ابن خديج قال الحافظ
ابن الجوزي في جامع المسانيد كذا وقع في مسند الامام احمد والظاهر انه غلط من بعض الرواة وانما
هو حديث رافع بن رفاعة الزرقي لابن خديج ويحتمل انه يكون سمعه ابن خديج ايضا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخرج الامام احمد بسند صحيح على شرط مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية وروى ابو داود وابن ماجه والطبراني
بسند جيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وروى الامام احمد عن ام المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لارجو ان لا يدخل النار انشاء الله احد شهد بدرا والحديبية قالت
قلت اليس الله تعالى يقول وان منكم الا واردها قالت فسمعته يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا واخرج مسلم والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه ان عبدا لحاطب جاء
يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال كذبت لا
يدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية وفي الصحيح عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
في قصة كتاب حاطب وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس من اهل بدر ولعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم او قال قد وجبت لكم الجنة وفي المعنى احاديث غير ما ذكرنا **تنبيه** قد استشكل
جمع قوله اعملوا ما شئتم فان ظاهره انه للاباحة وهو خلاف عقد الشرع واجيب بانه اخبار عن
الماضي اي كل عمل كان لكم فهو مغفور ويؤيده انه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضي
ولقال فما غفر لكم وتعقب بانه لو كان للماضي لما حسن لما استدل به في قصة حاطب لانه صلى الله
عليه وسلم خاطب بذلك عمر رضي الله عنه منكرا عليه ما قاله في امر حاطب وهذه القصة كانت بعد بدر
بست سنين فدل على ان المراد ما سياتي واورده بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه فان امير المؤمنين
عمر رضي الله عنه قال لحاطب قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ بالانقاب وتكتب الى قريش
تحذرهم دعني يا رسول الله اضرب عنقه فانه الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك
يا عمر ان الله عز وجل اطلع على اصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فاغرورقت
عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم حين سمعه يقول في اهل بدر ما قال وانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله وانا بما تعملون بصير وقيل انه بصيغة الامر
في قوله اعملوا للتشريف والتكريم فالمراد عدم المؤاخذة بما يصدر عنهم وانهم حصل لهم
لما حصل لهم من الاعمال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السالفة وتاهلوا لان يغفر لهم الذنوب

اللاحقة اي كلما عملتم بعد هذه الموقعة من اي عمل كان فهو مغفور وقيل المراد ان ذنوبهم تقع اذا
وقعت مغفورة وقيل اي شهادة بعدم وقوع الذنب منهم وفيه نظر ظاهر لما ثبت في قصة
قدامة بن مظعون حين شرب الخمر في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه متاولا الحد له
عمر ثم هاجره بسبب ذلك فرئي عمر في المنام فزيارته بالمصالحة وكان قدامة بدريا والذي يفهم من
سياق القصة الاحتمال الثاني واتفق العلماء على ان البشارة المذكورة فيما يتعلق باحكام الاخرة
لا فيما يتعلق باحكام الدنيا من اقامة الحدود ونحوها والله اعلم على انه زعم اناس ان قوله تعالى ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله الاية وفيها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الاية نزلت في ثعلبة بن حاطب
او ابن ابي حاطب بن عمرو بن عبيد بن امية بن زيد بن عوف الانصاري الاوسي وقد ذكروه من
البدريين وقد عده الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب من اهل بدر ثم عده في الكتاب المذكور
من جملة المنافقين ثم قال قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء
مائة وسبعين قال ابن الجوزي وقد كان فيهم من شهد بدرا فتغيرت حاله كثعلبة وعتب
ابن قشير نعوذ بالله من الخذلان انتهى وقال ابن الكلبي ان ثعلبة البدري قتل باحد وقال الحافظ
ابن حجر في الاصابة في ترجمة ثعلبة بن حاطب او ابن ابي حاطب الانصاري ذكره ابن اسحق فيمن
بنى مسجد الضرار قال الحافظ ابن حجر وفي كونه صاحب القصة الاصح الخبر ولا اظنه يصح فهو
البدري المذكور قد تغير وقد تاكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي انه البدري استشهد باحد
ويقوي ذلك ايضا انه ورد في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما في الاية
المذكورة يعني ومنهم من عاهد الله قال نزل ذلك في رجل يقال له ثعلبة بن ابي حاطب من الانصار
اتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن اتانا الله من فضله الاية فذكر القصة مطولة قال انه ثعلبة بن ابي حاطب
والبدري اتفقوا على ان ثعلبة بن حاطب وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد شهد
بدرا والحديبية وحكى عماد ربه تبارك وتعالى انه قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فمن اين يكون لهذه المثابة
كيف يعقبه الله تعالى نفاقا في قلبه وينزل فيه ما نزل فالظاهر انه غيره والله تعالى اعلم ثم بعد اهل بدر
فالافضلية لاهل بيعة الرضوان تحت الشجرة المعهودة وتسمى شجرة البيعة وشجرة الرضوان وهي
شجرة حضر اسمرة بفتح المهملة وضم الميم من شجر الطلح وهو نوع من العضاه او من سدر كما رواه مسلم
عن جابر ولما كانت خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان اناسا يهبون الى
الشجرة فيصلون تحتها ويتبركون بها فامر رضي الله عنه بها فقطعت واخفى مكانها خشية الافتتان
بها لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما امن من تعظيم اهل الجهل لها حتى ربما افضى بهم جهلهم الى

ان لها قوة نفع وضر كما هو مشاهد من شاء الناس في هذه الاعصار وما زال من تعظيم ما هو دونها من الشجر والبقاع وما تم قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت رحمة من الله يعني احفافها بعد ذبحها او كانت موضع رحمة من الله ومحل رضوانه لانزاله الرضا على المؤمنين عندها وقوله وقيل اهل غزوة جبل احد المقدمة اي في الزمن والافضلية اشارة الى ان الاصح المفضل اهل بدر فاهل احد فاهل البيعة وقوله والاول وهو تقديم اهل البيعة في الافضلية على اهل غزوة احد اولى واحق واحرى بذلك لورود النصوص المحكمة من الكتاب والسنة من احاديث نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وكانت غزوة احد في نصف شوال سنة ثلاث اولها نهار السبت وفي الفتح لاحدى عشرة خلت منه وقيل التسع وقيل لثمان وقيل لسبع واحد بضم الهمزة والحاء والدال المهملتين هو جبل احمر ليس بذي شناخيب بينه وبين المدينة اقل من فرسخ وهو من شماليها الى الشرق روى الشيخان عن انس رضي الله عنه وابن ابي شيبة والطبراني بسند جيد عن اسويد بن عامر الانصاري والبخاري عن ابي حميد الساعدي والبخاري عن سهل بن سعد والطبراني عن ابي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاحد لما بدا لنا هذا جبل يحبنا ونحبه وتكرر منه صلى الله عليه وسلم هذا القول مرات وفي الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعا احد ركن من اركان الجنة قال ياقوت احد اسم مرجل لهذا الجبل وقال السهيلي سمي احد للتوحده وانفطاعه عن جبال اخر هناك او لما وقع من اهله من نصرة التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عندنا استوحيا وعيبا اذا علمت هذا فظاهر كلام متكلمي الاشاعرة ان اهل غزوة احد يلون اهل بدر في الافضلية وكانا عدة اهل غزوة احد بعد ذكر ابن ابي سبع مائة وكانا المشركون ثلاثة الاف وعدد من استشهد يومئذ من المسلمين سبعون رجلا منهم اربعة من المهاجرين وهم سيد الشهداء حمزة ومصعب وعبد الله ابن جحش وشماس بن عثمان وسائرهم من الانصار وزاد بعضهم من المهاجرين سعد مولى حاطب ابن ابي بلتعة وثقف بن عمرو الاسلمي حليف بني عبد شمس وهذا يوافق ما رواه ابن حبان والحاكم عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال اصيب يوم احد من كل من الانصار اربعة وستون ومن المهاجرين ستة والذي يظهر لي والله اعلم انه اذا اريد شهداء احد فنعم والا فيحتاج الى توقيف فقد ورد في الاحاديث فضل شهداء احد كقوله صلى الله عليه وسلم في حق عبد الله والد جابر رضي الله عنه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه رواه البخاري واخرج ابن المنذر عن انس رضي الله عنه قال لما قتل حمزة واصحابه يوم احد قالوا يا ليت لنا مخبرا يخبر اخواننا بالذي صرنا اليه من كرامة الله تعالى لنا فاوحى الله اليهم سبحانه وتعالى انا رسول لكم الى اخوانكم فانزل الله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله

وقيل اهل احد المقدمة والاول اولى للنصوص المحكمة

لهم

احوالنا بل احياء عند ربهم يرزقون الى قوله لا يضيع اجر المؤمنين واخرج الامام احمد ومسلم وابو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله تعالى ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا ونحن لفظ قالوا نبلغ اخواننا انا احياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى هؤلاء الايات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الى اخر الايات وروى نحو منه عبد الرزاق في المصنف وابن ابي شيبة والامام احمد في المسند ومسلم في الصحيح من حديث ابن مسعود وكان صلى الله عليه وسلم يزور شهداء احد فاذا بلغ فرضة الشعب يقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم كان ابو بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وكذا عمر وعثمان رضي الله عنهما ولما اجرى معاوية رضي الله عنه العين فرت على الشهداء فاخرجوهم طريا تنثني اطرافهم ووجدوا والد جابر وديعة على جرحه فامسطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت الى مكانها فسكن الدم قال جابر فرايت ابي في حفرته كانه نائم والنمرة التي كفن فيها كما هي وكان ذلك بعد احد بست واربعين سنة واصابت المسحاة رجل رجل منهم وهو حمزة فانبعث الدم فقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه لا تنكروا بعد هذا منكرا وكانوا وهم يحفرون يوجدون عليهم من القبور ريح المسك وروى الحارث في مسنده عن سعد بن ابي وقاص والحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر اصحابا احد يقول اما والله لوددت اني غودرت مع اصحابي بفحص اكيل يعني شهدا احد والاحاديث في ذلك كثيرة جدا واما اهل الشجرة يعني اهل البيعة وهم اصحاب الحديبية فقد وردت النصوص المحكمة في فضلهم كما سنذكر طرفا من ذلك والحديبية بحاء مضمومة فذال معجمة فموحدة فوحدة مكسورة فتحتية مفتوحة فتخفيف والتشديد قال النحاس سالت كل من لقيت ممن اثق به من اهل العلم فلم يختلفوا على قراتها مخففة وتضم الباء على التخفيف وحكى التشديد عن ابن سيدة في المحكم قال في تهذيب المطالع ولم اره لغيره وزعم بعضهم ان التشديد لم يسمع في فصيح وقال الامام النووي هما وجهان مشهوران قال البكري وربيعة من حلة اكثرها في الحرم وفي صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه والحديبية بئر قال الحافظ ابن حجر بئر الى الان المكان المسمى بالحديبية بالحاء المهملة سمي ببئر كانت هناك هذا اسمها ثم عرف المكان كله بذلك وبينها وبين مكة نحو مرحلة واحدة ومن المدينة تسع مراحل وكانت في ذي القعدة من السنة السادسة وكان عدة المسلمين الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اربعة عشر مائة او اكثر من ذلك ولعل الزائد على الالف واربعمائة من الخدام والاتباع واما نفس المقاتلة فاربعة عشر مائة

واما قول ابن اسحٰق كانوا سبعماية فغلط لم يوافق عليه وكانوا سبب البيعة انه قريشا لما صدت النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمين عن المسجد الحرام فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال له اذهب الى قريش واخبرهم انا لم
نات لقتال وانما جيئنا عمارا وادعهم الى الاسلام ثم ابلغ ابا سفيان وعظماء قريش فدعى الناس
الى البيعة وقال لا ابرح حتى تناجز القوم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من حديث سلمة بن الاكوع رضي الله عنه
والبيهقي عن عروة وابن اسحٰق عن الزهري ومحمد بن عمر عن شيوخه قال سلمة رضي الله عنه بينا نحن قائلون
اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله
قال فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه وفي صحيح مسلم عنه قال فبايعته اول
الناس ثم بايعته وسط الناس ثم بايعته آخر الناس والصحيح انه الذي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الناس
في تلك البيعة ابو سنان الاسدي فقال ابسط يدك ابايعك فقال النبي صلى الله عليه وسلم على م تبايعني قال على
ما في نفسك قال وما في نفسي قال اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل فبايعه وبايع الناس
على بيعة ابي سنان وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الاخرى عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه
وقال اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولك فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من ايديهم
لانفسهم ثم تبين كذب الخبر بقتل عثمان رضي الله عنه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وكانوا
عشرة وذلك بعد البيعة ثم كانت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش وقد روى البخاري وغيره
وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا بالحديبية الفا واربعماية فقال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتم خير اهل الارض وروى الامام احمد ومسلم وابو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما ومسلم عن ام بشر رضي الله عنها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة
واخرج الامام احمد ايضا بسند رجاله ثقات عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا اهل
الحديبية لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم وسال ابو الزبير جابرا كم كانوا يوم الحديبية قال كنا
اربع عشرة ماية فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري
اختفى تحت بطن بعير وقال بايعناه على ان لا نفر وعند ابن اسحٰق قال جابر رضي الله عنه فكاني انظر اليه
يعني الى الجد بن قيس لاصقا بابط ناقته قد ضبأ اليها وهو بفتح الضاد والموحدة مهموز اي اختبأ بها
يستتر بها من الناس فبايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت وهذا الجد بن قيس الذي لم يبايع كان
يرمى بالنفاق وعده الحافظ ابن الجوزي في المنتخب من المنافقين وقد نزل في حقه في غزوة تبوك
ما يشعر بذلك وهو ابن عمة البراء بن معرور وكان سيد بني سلمة بكسر اللام في الجاهلية فسود النبي صلى الله
عليهم عمرو بن الجموح وقيل سود عليهم بشر بن البراء بن معرور وقال البر ابن عبد البر وخرج
الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر

ومن ثم قال ابن عبد البر ليس في غزواته صلى الله عليه وسلم ما بعد بدر اوثر منها الا غزوة الحديبية و
قيل صاحب الجمل الاحمر غير الجد بن قيس يدل له ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد غفر
للركب اجمعين الا رويكبا واحدا على جمل احمر التفت عليه رحال القوم ليس منهم وقال صلى الله عليه وسلم كلكم مغفور
له الا صاحب الجمل الاحمر قال ابو سعيد رضي الله عنه فطلبنا العسكر فاذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
والرجل من بني ضمرة من اهل سيف البحر يظن انه من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لسعيد رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا فقال له سعيد ويحك اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك وقال
جابر تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لان اجد ضالتي احب الي من ان يستغفر لي واذا هو
قد اضل بعيرا له فانطلق يطلب بعيره بعد ان استبرأ العسكر وطلبه فيهم فبينا هو في جبال سراوع اذ
زلقت به نعله فتردى فمات فما علم به حتى اكلته السباع وقصة هذا قبل البيعة اذ هذا ليس من عسكر
المسلمين بخلاف الجد بن قيس والله اعلم **تنبيهات الاول** ظاهر كلام علمائنا ان افضل الصحابة بعد العشرة
اهل بدر من المهاجرين ثم الانصار على قدر الهجرة اولا فاولا ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
رتب وهذا الذي قدمه ابن حمدان في نهاية المبتدئين ثم ذكر ان امة محمد خير الامم وافضلهم القرن الذي
صحبوه وشاهدوه واحبوه وصدقوه ونصروه وافضل القرن الذين صحبوه اربع عشرة ماية
الذين بايعوا بيعة الرضوان وافضلهم اهل بدر الذين نصروه وافضلهم اربعون في الدار كنفوه يعني
السابقين الاولين وافضلهم عشرة عزروه ووقروه وشهد لهم بالجنة ومات وهو عنهم راض و
افضل هؤلاء العشرة الخلفاء الاربعة وافضلهم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم اجمعين
وبهذا وافق لما حررناه من تقديم اهل البيعة على اهل غزوة احد فالتحقيق ان اهل بيعة الرضوان
يلونه اهل بدر في الافضلية لما قدمناه من النصوص ولان الله تعالى قال في اهل بيعة الرضوان لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال في اهل غزوة احد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم وفي الاية الاخرى ثم صرفكم
عنهم ليبتليكم ولقد عفى عنكم فوصفهم في الموضعين بالعفو ووصف اهل البيعة بالرضا وهو اعلا
واسنى وافضل من العفو وهذا ظاهر والله تعالى اعلم **الثاني** المراد بالسابقين الاولين الذين انفقوا قبل الفتح
وقاتلوا والمراد بالفتح امر الحديبية قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا قال شيخ الاسلام بن تيمية في الفتاوى المصرية المراد بالفتح فتح الحديبية
لما بايع النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه تحت الشجرة وكانوا الذين بايعوه اكثر من الف واربعماية وهم الذين
فتحوا خيبر وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة وسورة الفتح انزلها الله كما قال
فتح مكة وكانت البيعة تحت الشجرة سنة ست من الهجرة كما تقدم وبذلك الصلح الذي كان بينه صلى الله عليه وسلم

وبين المشركين في الحديبية حصل الفتح والخير الكثير الذي لا يعلم الا الله تعالى كونه كما قدره خلق من
المسلمين ولم يعلموا عافية من حسن العاقبة ثم فتح الله تعالى على نبيه وعباده المسلمين مكة في شهر رمضان
من العام الثامن وكان قد انزل في سورة الفتح لتدخلن المسجد الحرام انشاء الله امنين محلقين رؤسكم
ومقصرين الى قوله فجعل من بعد ذلك فتحا قريبا الثالث المراد بالافضلية من حيث الجملة ولا يلزم
تفضيل كل فرد مما من المهاجرين على كل فرد من الانصار وانما تفوق الصحبة افضل من غيرها ولا احد من غير
الصحابة يساوي احدا من الصحابة وكذلك الهجرة وكذلك كل ما امتاز به جملة على غيرها من غير هضم قالمفضول
من الفضائل والكمالات التي امتاز بها علم غيره من غير تلك الحيثية التي فضله فيها غيره كما بانى بيانه ذلك وتحرره
والله اعلم وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ام عبد الله المؤمنين وحبيبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم رب العالمين عقد عليها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وبنى بها
بالمدينة اول مقدمه في السنة الاولى وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة وتوفيت بالمدينة
ودفنت بالبقيع واوصت ان يصلي عليها ابو هريرة رضي الله عنه سنة ثمان وخمسين فهي رضي الله عنها
وعد ابيها افضل نساء صلى الله عليه وسلم في العلم النافع والفقه الناصع فلها الفضل في ذلك ما ليس لغيرها
من سائر ازواجه صلى الله عليه وسلم حتى كان الاكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم اذا اشكل
عليهم امر من الدين استفتوها فيجدون عندها علما وقد وقع الخلاف بين علماء السلف في التفاضل
بينها وبين ام المؤمنين خديجة فقدم البلباني في مناقب علمائنا تبعا لابن حمدان في نهاية المبتدئين
ان عائشة افضل النساء وقال الامام موفق الدين افضل النساء خديجة قال المحقق ابن القيم في
جلاء الافهام وقد اختلف في تفضيل خديجة على عائشة على ثلاثة اقوال ثالثها الوقف قال وسمعت
شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فقال اختص كل واحدة منهما بخاصة والى هذا اشرت
بقولي مع خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ام المؤمنين واول نساء رسول
رب العالمين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وبقيت معه الى ان اكرمه الله تعالى
برسالته فامنت به وصدقته ونصرته وكانت له وزير صدق ومات قبل الهجرة بثلاث سنين في الاصح
وقيل باربع وقيل بخمس ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها غيرها وكل اولاده منها الذكور والاناث الا
ابراهيم عليه السلام فانه من سريته مارية القبطية فخديجة المذكورة افضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم
في السبق الى الاسلام وموازرة خير الانام قال شيخ الاسلام في جوابه المحقق ابن القيم خديجة كان له
تاثيرها في اول الاسلام وكانت تسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبته وتبذل دونه مالها فادركت
عزة الاسلام واحتملت الاذى في الله ورسوله وكانت نصرتها للرسول صلى الله عليه وسلم في اعظم اوقات
الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها قال وعائشة رضي الله عنها تاثيرها في آخر الاسلام

فلها

وعائشة في العلم مع خديجة في السبق فاعلم نكتة النتيجة

فلها تم التفقه في الدين وتبليغه الى الامة وانتفاع بنيها بما ادت اليهم من العلم ما ليس لغيرها فلعائشة رضي الله عنها
في آخر الاسلام من حمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من العلم مما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما
تميزت به عن غيرها وقال المحقق في كتابه بدائع الفوائد الخلاف في كون عائشة رضي الله عنها افضل من
فاطمة عليها السلام او فاطمة افضل اذا حرر محل التفضيل لا يستقيم اي الخلاف فاذا اريد بالفضل كثرة
الثواب عند الله فذلك امر لا يطلع عليه الا الله ولا يحكم بتفاضل اعمال القلوب لا بمجرد اعمال الجوارح وكم
من عاملين احدهما اكثر عملا بجوارحه والاخر ارفع درجة منه في الجنة واذا اريد بالتفضيل التفضيل
بالعلم فلا ريب ان عائشة اعلم وانفع للامة وادت من العلم ما لم تؤد غيرها واحتاج الى علمها خواص
الامة وعامتها واذا اريد بالتفضيل شرف الاصل وجلالة النسب فلا ريب ان فاطمة افضل فانها
بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير اخواتها واذا اريد السيادة ففاطمة
سيدة نساء الامة واذا تبينت وجوه التفضيل وموارد الفضل واسبابه صار الخلاف لفظيا
عدل واكثر الناس اذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل ولم يوازن بينها بميزان
واذا اضاف الى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضله تكلم بالجهل والظلم
ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فاجاب فيها بالتفصيل الشافي وقال هذا التفصيل
اشرنا بقولنا فافهم فهم تحقيق واذعان وتدقيق وايقان نكتة النتيجة اي اثر فائدة الخلاف
فاذا فيها نكتة اثر قليل كالنقطة شبه الاثر الذي يكون في المرآة والسيف ومنه حديث الجمعة
فاذا فيها نكتة سوداء اي اثر قليل كالنقطة شبه الوسخ واصله النكت بالعصا ونكت التراب والمراض
بالقضيب والنتيجة المراد بها هنا الحكم المتولد من القضيتين بالتفصيل في التفضيل واصله من نتجت الناقة
اذا ولدت فهي منتوجة وانتجت اذا حملت فهي تنتوج ولا يقال منتج ونتجت الناقة انتجتها اذا ولدتها
والحكم الناتج مما نحن فيه ان خديجة افضل بحسب السبق والموازرة وانفاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسلية وحمل المشاق بسببه ونحو ذلك وعائشة افضل بحسب تحمل العلوم واحاديث النبي صلى الله عليه وسلم
فانها احد المكثرين ونشرها لسنته صلى الله عليه وسلم ونفعها للامة فانها كانت عالمة فقيهة فصيحة
فاضلة كثيرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عارفة بامر العرب واشعارها وفضايلها ومناقبها كثيرة
لا تحصى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم اياها وتفضيلها على سائر زوجاته صلى الله عليه وسلم مما لا يخفى قال الامام
المحقق ابن القيم في جلاء الافهام ومن خصائص خديجة رضي الله عنها ان السلام تعالى بعثها اليها
السلام مع جبريل فبلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد اتت معها اناء فيه ادام او طعام

اوشراب فاذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام مني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب
ورواه مسلم ايضا وهذه لعمر الله خاصية لم تكن لسواها واما عائشة رضي الله عنها فانه جبريل سلم عليها
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فاخرج البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي عن ام المؤمنين عائشة
رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام
ورحمة الله وبركاته تريد ما لا ارى قال ابن القيم ومن خواص خديجة رضي الله عنها انها لم تسؤه
قط ولم تغايضه ولم ينل منها مثله ايلاء ولا عتب قط ولا هجر وكفى بهذه منقبة ومن خواصها انها
اول امرأة آمنت بالله من هذه الامة ومن خصائص عائشة رضي الله عنها ان صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا
غيرها وانها كانت ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها ولما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بها فخيرها وقال لها فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستامري ابويك فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله
ورسوله والدار الاخرة فاستتن بها بقية ازواجه صلى الله عليه وسلم وقلن كما قالت ومن اعظم خصائصها
انها كانت احب ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه كما ثبت عنه ذلك في الصحاح والمسانيد والسنن وقد
قال صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواه البخاري ومسلم وغيرهما
ومن اعظم خصائصها ان الله تعالى برأها مما رماها به اهل الافك وانزل في براءتها وحيا يتلى في محاريب
المسلمين وصلواتهم الى يوم القيمة وشهد لها بالتمام الطيبات فلله من خصائص عظمة فضائلها
وجلت مناقبها وسنحت قدرها في الدين وعظم شانها عند سائر المسلمين واحتاج لعلمها ائمة الصحابة
وشهد لها اهل التحقيق بالتقدم والاصابة فقد اخرج الترمذي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
قال ما اشكل علينا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسالنا عائشة الا وجدنا عندها منه
علما قال الترمذي حديث حسن صحيح واخرج الترمذي عن انس رضي الله عنه وصححه ان رجلا قال يا عائشة
رضي الله عنها عند عمار بن ياسر رضي الله عنه قال اعزب مقبوحا منبوحا انوذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخرج الترمذي عن عبد الله بن زياد الاسدي قال سمعت عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول لهي زوجته في
الدنيا والاخرة يعني عائشة رضي الله عنها وقال حديث حسن صحيح ومناقبها كثيرة وفضائلها غزيرة
رضي الله عنها وعن سائر ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصل في ذكر الصحابة الكرام بطريق الاجمال وبيان مزاياهم على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل والترضي والتفضيل على سائر الامة وتقبيح من آذاهم او شناهم والكف عما جرى بينهم مما لعله لم يصح عنهم وما صح قلة تاويلات سائغة واذا كان لاحد منهم هنات تقع مكفرة مستهلكة في عظيم حسناتهم وجسيم مجاهداتهم ثم التابعين لهم باحسان ولهذا قال وليس في الامة المحمدية المفضلة على سائر الامم بافضليتها نبي صلى الله عليه وسلم

وافضليته وما جاء به من الذكر الحكيم والدين القويم والصراط المستقيم فيكون الصحابة افضل خلق الله تعالى
بعد انبياء الله تعالى ورسله كالصحابة الكرام الذين فازوا بصحبة خير الانام عليه افضل الصلاة واتم السلام
وتقدم في صدر الكتاب تعريف الصحابة وطريق ثبوت الصحبة وبيان عدالة الصحابة وبيان علو مراتبهم و
درجاتهم ومعتمد القول عند ائمة السنة ان الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول بالكتاب والسنة
واجماع اهل الحق المعتبرين قال الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قيل اتفق المفسرون على ان ذلك
في الصحابة لكن الخلاف في التفاسير مشهور ورجح كثير منهم انها في امة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وهذا خطاب للموجودين حينئذ وقال تعالى
محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى نهاية الآيات فليس في سائر الامة المحمدية مثل الصحابة
الكرام في الفضل يشاهد ذلك في الصحيحين من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه لا تسبوا
اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه
وهذا لو ورد على سبب وهو ما جرى بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد رضي الله عنهما
فالعبرة بعموم اللفظ ولا ينافي ذلك كون الخطاب لاصحابه فان المراد لا يسب غير اصحابي اصحابي
ولا يسب بعضهم بعضا فالمراد النهي عن حصول السب لهم مطلقا وقوله لو ان احدكم الخطاب
كثير اعتمادا على القرائن وهذا الموضع منه والنصيف احد اللغات الاربع في النصف فانه يقال
نصف بكسر النون وفتحها وضمها ونصيف بفتح النون وزيادة الياء والمعنى لو انفق احدكم مثل احد ذهبا
ما بلغ قولا بدرك نفقة اصحابي مدا ولا نصف مد لان انفاقهم كان في نصرة صلى الله عليه وسلم وحمايته وذلك
معدوم بعده فتضمن ذلك افضليتهم على غيرهم مطلقا وان افضليتهم نفقتهم على نفقة غيرهم
باعتبار ذواتهم وفي الصحيحين وغيرهما عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم
قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن
زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون ورواه ابو داود ولفظه خير امتي القرن الذي بعثت فيهم ثم
الذين يلونهم ثم الذي يلونهم والله اعلم اذكر الثالث ام لا الحديث ورواه النسائي بنحوه ورواه الشيخان من
حديث ابن مسعود رضي الله عنه ورواه مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه بنحوه وفيه والله اعلم اذكر
الثالث ام لا واخرجه مسلم ايضا من حديث عائشة رضي الله عنها واخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليبلغ الحاضر الغائب الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد آذاني

ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان ياخذه ومن ياخذه الله فيوشك ان لا يفلته واخرج
الترمذي ايضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الذين يسبون اصحابي
فقولوا لعنة الله على شركم واخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لعروة ابن الزبير يا ابن اختي
امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم واخرج الترمذي من حديث بريدة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت من اصحابي بارض الا بعثهم لهم نورا وقائدا يوم القيمة
وذكر سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سالت ربي عما اختلف اصحابي من بعدي فاوحى الي يا محمد ان اصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء
بعضها اقوى من بعض ولكل نور فمن اخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى قال وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ذكره في جامع الاصول وليس في الامة
كالصحابة الكرام في المعروف وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس
وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة اي معروفين بين
الناس اذا راوه لا ينكرونه والمعروف الضعفه وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس ضد
المنكر في ذلك جميعه وفي الحديث اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة اي من بذل معروفه
للناس في الدنيا اتاه الجزاء معروفا في الاخرة وقيل اراد من بذل جاهه لاصحاب الجرايم التي لا تبلغ
الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في اهل التوحيد في الاخرة وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما
في معنى ذلك قال يا بني اصحاب المعروف في الدنيا يوم القيمة فيغفر لهم بمعروفهم ويبقى حسناتهم
جامة فيعطونها فان زادت سيئاتهم على حسناتهم فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان
الى الناس في الدنيا والآخرة ولا يرتاب احد من ذوي الالباب ان الصحابة الكرام هم الذين حازوا
قصبات السبق واستولوا على معالي الامور من الفضل والمعروف والصدق فالسعيد من اتبع
صراطهم المستقيم واقتفى منهجهم القويم والتعيس من عدل عن طريقهم ولم يتحقق بتحقيقهم فاي
خطة رشد لم يستولوا عليها واي خصلة خير لم يسبقوا اليها تالله لقد ورد وا بنبوع الحياة
عذبا صافيا زلالا واطدوا قواعد الدين والمعروف فلم يدعوا لاحد بعدهم مقالا فتحوا القلوب
بالقرآن والذكر والايمان والقرى بالسيف والسنان وبذل النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمان
فلا معروف الا ما عنهم عرف ولا برهان الا ما يعلومهم كشف ولا سبيل بنجاة الا ما سلكوه ولا خير
وسعادة الا ما حققوه وحكوه فرضوان الله عليهم ما تحلت المحالس بنشر ذكرهم وما تعطرت الطروس
بعرف مدحهم وشكرهم وليس في الامة اضل كالصحابة رضي الله عنهم الا صاب له للحلم المشروع والهدى
المتبوع فهم احق الامة بالاصابة الحق والصواب واجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب ويشهد لهذا

ما رواه

ما رواه الامام احمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال من كان متاسيا فليتاس باصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهم ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا واقومها هديا واحسنها حالا قوما
اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا اثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم
واحق الامة باصابة الصواب ابرها قلوبا واعمقها علوما واقومها هديا من غير شك ولا ارتياب
وروى ابو داود الطيالسي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد
خير قلوب العباد فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب
اصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه فما راى المسلمون حسنا فهو عند الله
حسن وما راوا المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح فخير قلوب العباد احق الخلق باصابة الصواب
فكل خير واصابة وحكمة وعلم ومعارف ومكارم انما عرفت لدينا ووصلت الينا من الرعيل الاول والسر
الذي عليه المعول فهم الذين نقلوا العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتداء وفي حديث
العرباض بن ساريه رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة
ضلالة رواه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حديث حسن صحيح وقال
الحافظ ابو نعيم حديث جيد صحيح فدل الحديث على ان سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع سنته
صلى الله عليه وسلم بخلاف غيرهم من ولاة الامور واخرج الامام احمد والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه
قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا فقال اني لا ادري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من
بعدي واشار الى ابي بكر وعمر وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه وفي رواية
وتمسكوا بعهد ابن ام عبد واهتدوا بهدي عمار فحض صلى الله عليه وسلم في آخر عمره على من يقتدى به من
بعده والخلفاء الراشدون الذين امر بالاقتداء بهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فان في حديث
سفينة رضي الله عنه الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا وصححه الامام احمد وغيره وتقدم
فكل ما اجمع عليه الصحابة مما اجمعوا عليه وجمعهم اميرا المومنين عمر بن الخطاب عليه فاجتمعوا
فهو الحق لا شك فيه ولو خالف فيه بعد ذلك ما خالف وقد تم بخبر ابو يعلى الموصلي عن انس رضي الله عنه مثل اصحابي مثل الملح
ان لم يخالفه مثله على معتمد المذهب واخرج ابو يعلى الموصلي عن انس رضي الله عنه مثل اصحابي مثل الملح
في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح وعلى كل حال لا يرتاب ذوي الالباب من ذوي الافضال ان الصحابة
الكرام حازوا قصبات السبق بصحبة خير الانام واستولوا على الامم فلا مطمع لاحد من الامة
بعدهم في اللحاق ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهاجهم القويم والمتخلف من عدل
عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال فذاك المنقطع الثاني في بيداء المهالك والضلال

وقوله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام يعني كما ان الملح صلاح الطعام فاصحابي صلاح الانام
قال في اعلام الموقعين كما ان الملح به صلاح الطعام فالصواب به صلاح الانام فلو احظا الصحابة
فيما افتوا به لاحتاج ذلك الى ملح يصلحه فاذا افتى من بعدهم بالحق كان قد اصلح خطاهم فكانوا ملحا لهم
انتهاي ولكان اهم هم الملح المصلح فكيف يكون غيرهم مصلحا لهم فهذا خلاف ورود الطبراني وابو نعيم
وغيرهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه قال يا معشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم فوالله
لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا وقال
في اعلام الموقعين ومن المحال ان يكون الصواب في غير طريق من سبق الى كل خير على الاطلاق وقال في
ايضا من تامل المسائل الفقهية والحوادث الفروعية وتدرب بمسالكها وتصرف في مداركها وسلك سبيلها
في الاستدلال وتقصى من موردها عللا ونهلا علم قطعا ان اكثر ائمتها قد يشتبه فيها وجوه الراي بحيث لا يوقف
على حقائقها الا وقياس صحيح تنشرح له الصدور وينشلج له الفؤاد بل تتعارض فيها الظواهر والاقيسة
على وجه يقف كثير من العقول حتى لا يبقى للظن رجحان بين لا سيما اذا اختلف الفقهاء فان
هناك تزل العقول وافوزها فاذا تلددوا وتوقفوا ولم يتقدموا ولم يتاخروا لم يكن ذلك في
المسئلة طريقة واضحة ولا حجة لائحة فاذا وجد فيها قول لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم
سادات الامة وقدوة الائمة واعلم الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم وقد شاهدوا التنزيل وعرفوا
التاويل ونسبة من بعدهم اليهم كنسبتهم اليهم في الفضل والدين كان الظن الحاصل هذه باب الصواب
في جهتهم والحق ما جانبهم من اقوى الظنون وهو اقوى من الظن المستفاد من كثير من الاقيسة
هذا ما لا يتمارى فيه عاقل منصف وكان الراي الذي يوافق راييهم هو الراي السديد الذي لا
راي سواه واذا كان المطلوب في الحادثة انما هو ظن راجح ولو استند الى استصحاب او قياس علة او دلالة
او شبه او عموم او خصوص او محفوظ مطلق او وارد على سبب فلا شك ان الظن الذي يحصل بقول
الصحابي الذي لم يخالف ارجح من كثير من الظنون المستندة الى هذه الامور او اكثرها فظهر بهذا ان
الصحابة رضي الله عنهم اولى الامة بالاصابة فيما اثبتت عنهم فانهم رضي الله عنهم كانوا ابر قلوبا واعمق علما
واقل تكلفا واقرب الى ان يقفوا للصواب من غيرهم بما خصهم الله به من توقد الاذهان ورصانة اللسان
وسعة العلم وسهولة الاخذ وحسن الادراك وسرعته وقلة المعارض وعدمه وحسن القصد وتحري الحق
فالعربية طريقتهم وسليقتهم والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم ولا حاجة بهم الى النظر
في الاسناد واحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل وكل الى النظر في قواعد الاصول واوضاع الاصوليين
فقد اغنوا عن ذلك كله فليس في حقهم الا امر ان احدهما قال الله كذا وقال رسوله كذا والثاني
معناه كذا وكذا وهم اسعد الناس بهاتين المقدمتين واحظى الامة بهما فقولهم متوافرة

مجتمعة

مجتمعة عليها وبالله التوفيق ولهذا نقول في النظم وانهم اي الصحابة الكرام عليهم الرضوان المقام السلام
قد شاهدوا واصحبوا المختار بالف الاطلاق في المخاوف من سائر الانام عليه افضل الصلاة واتم السلام
وعاينوا في صحبتهم للنبي المختار الاسرار القرانية وعلوما من الحضرة النبوية وعلم التنزيل واسبابه
والتاويل وادابه وعاينوا الانوار القرانية والاشعة المصطفوية وفهم اسعد الامة باصابة الصواب
واجدر الامة بعلم فقه السنة والكتاب لفورهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدة نزول الوحي
ومعرفة الاسباب فلا يجاروهم في علم ولا يباروهم في فهم فكل علم وفهم وخير عندهم وصل وكل سعادة
وسيادة وفقه من علمهم وبسببهم حصل فرضوان الله عليهم ما زين ذكرهم الدفاتر وشرف نشرهم المنابر
وجاهدوا في سبيل الله لاعلاء كلمة الله وبذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاة الله حتى بانا بالف الاطلاق
اي ظهر ووضح واستعلن دين الهدى اي دين الاسلام الذي به الهدى والدلالة الموصلة والفوز والفلاح
واشرق نور الاهتدا وشعاع الوصول فلاح وقد سمى اي علا دين الاسلام ولله الحمد الا
الاديان التي كانت قبله وتقدم تعريف الدين لغة واصطلاحا فساير الاديان غير دين الاسلام الذي
جاء به ولد عدنانا منسوخة وكل عبادة تم يات بها في باطلة ممسوخة كما قال تعالى ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه وقال ان الدين عند الله الاسلام وقد اثنى في محكم التنزيل على الكتاب العظيم
والذكر الحكيم من فضلهم اي الصحابة الكرام عليهم الرضوان والسلام هاي الذي يغني هذه الايات
المحكمات والكلمات الباهرات يشفي من شفي يشفي اي يبري العليل بالعين المحجة كامير العطش
او شدته او حرارة الجوف كما في القاموس والمراد ما يطفي حرارة الجهل عن قلوبهم الباردة ويشفي الوهم
والغل عن طواد علومهم الراسخة كقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم
الايات وكقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وكقوله السابقون الاولون الايات وكقوله
قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وقوله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله تعالى اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
وقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال غير واحد من السلف هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ولا ريب ان ائمة الصادقين وكل صادق بعدهم فبهم يائتم في صدقه بل حقيقة صدقه اتباعهم
معهم وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اي امة
خيارا عدولا فانها هذه احق بالوسط فهم خير الامم واعدلها في اقوالهم وافعالهم واعمالهم وارادتهم ونياتهم
ولهذا استحقوا ان يكونوا شهداء للرسل على اممهم يوم القيمة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم

وعاينوا في صحبتهم للنبي المختار الاسرار القرانية وعلوما من الحضرة النبوية وعلم التنزيل واسبابه والتاويل وادابه

من فضلهم ما ليس للعليل شفا

وقد اثنى في محكم التنزيل

فهم شهداؤه ولهذا نوقشوا بهم ودفع ذكرهم واثنى عليهم وقال لقد جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس الاية الى غير ذلك من الايات القرانية والحكمات الرحمانية وقد اتى
ايضا في الاحاديث النبوية وفي الاثار السلفية وقد اتى في كلام القوم من المحدثين والفقها والصوفية
واهل المعارف والحقايق والهم الوفيه والعلوم الشرعيه والمها مهم الذكيه وفي الاشعار المرضية من
العرب والمولدين من مدحهم والثنا عليهم ما ايّ شيء قد يزري زاد وعلا ونام اليحيط نظمي في هذه
الارجوزة ويضيق عن بعضه فضلا عن غالبه وكله فاقنع بما ذكرته لك من الايات البالغة والاحاديث
الثابتة عن سيد بني آدم وصفوة جميع العالم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخذ ذلك واعتمد
عليه وصيره اليك واعتصم به واستند اليه فانه عن علم ويقين وايضاح وتبيين ومعرفة وتمكين
وقل ما شئت من القنوع وهو الرضا باليسير من العطا وقد قنع يقنع قنوعا وقناعة بالكسر ازضي
وقنع بالفتح يقنع قنوعا اذا سئل ومنه حديث القناعة كنز لا نفنى لان الانفاق منها لا ينقطع
فكل ما تعذر عليك شيء من امور الدنيا فقنع بما دونه ورضي وحديث عمر قنع وذل من طمع لانه القانع لا
يذل الطلب فلا يزال عزيزا وعلى كل حال فلا مقام بعد مقام النبوة اعظم من مقام قوم اختارهم الله عز وجل
لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرة دينه القويم وصراطه المستقيم قال تعالى محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فحق على كل ناظر فيما ذكرنا حق التامل واعطى المقام حقه نحى ما قبيح
ما انتحلته الروافض وفضيح ما ذهبت اليه من الالحاد في ايات الله واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الافك والمناقضة فالحذر الحذر مما ادى الى تلك المناصب الشامخة والعلوم الراسخة
ولهذا نقول واحذر حذرا فعاله وتسليم مع سلامة صدر وامتثال امر النبي الكريم من الخوض
المفضي الى التوسع والتنقيب والتنجيح والتانيب الذي قد يزري وينقص ويحيط بفضلهم المعلوم
من الكتاب والسنة عند ذوي العلوم مما ذكرنا فيما تقدم شذرة صالحة منه مما اعني من الاختلاف
والتخاصم والتشاجر الذي جرى بينهم لو كنت تدري غب ذلك الخوض المفضي الى توليد الاحن وحزازات
القلوب والحقد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من اعظم الذنوب فانهم خير القرون وهم السابقون
الاولون وذلك انه جرى بين علي ومعاوية وقبلهما وبعدهما المنازعات والمقاتلات ما لو صدرت من
سواهم وكانت من غيرهم لم تقصر عن التفسق فضلا عن غيره والحوالة على ذلك ما اشير اليه بقوله
فانه اي التخاصم والنزاع والتقاتل والدفاع الذي جرى بينهم كان على اجتهاد قد صدر من كل واحد

من رؤساء الفريقين ومتصدي سايغ لكل فرقة من الطايفتين وان كانوا المصيب في ذلك للصواب واحد
او هو علي رضوان الله عليه ومن والاه والمخطي هو من ناوءه وعاداه غير ان المخطي في الاجتهاد اجرا واثابا
خلافا لاهل الجفا والعناد فكل ما صح مما جرى بين الصحابة الكرام وجب حمله على وجه ينفي عنهم
الذنوب والاثام فمقالة علي مع العباس رضي الله عنهما لا تقضي الى شين وتقاعد علي رضي الله عنه عن
مبايعة الصديق الاعظم في ابدا الامر كان لاحد امرين اما لعدم مشورته كما عاتبه عليه بذلك واما وقوفا
مع خاطر سيدة نساء العالم فاطمة البتول عليها السلام مما ظنت انه لها وليس الامر كما ظنت ثم ان عليا
رضي الله عنه بايع الصديق رضي الله عنه على رؤس الاشهاد فانحدت الكلمة وبه الحمد وحصل المراد وتوقف
علي رضي الله عنه عن الاقتصاص من قتلة عثمان اما لعدم العلم بالقاتل واما خشية تزايد الفساد و
الطغيان وكانت عايشة وطلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم ومن اتبعهم ما بين مخطي ومجتهد ومتاول
في جواز محاربة امير المؤمنين سيدنا ابي الحسنين الانزع البطين رضوان الله عليه وقد اتفق اهل الحق
ان المصيب في تلك الحروب والتنازع امير المؤمنين علي رضوان الله عليه من غير شك ولا يدفع وان كان
ليس عنه نزول انهم كلهم رضوان الله عليهم عدول لانهم متاولون في تلك المخاصمات مجتهدون في
المقالات فانه وان كان الحق على المعتمد عند اهل الحق واحدا فالمخطي مع بذل الوسع وعدم التقصير ماجور
لا مازور وسبب تلك الحروب اشتباه القضايا فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة اقسام
قسم ظهر لهم بالاجتهاد ان الحق في هذا الطرف وان مخالفه باغ فوجب عليهم نصرة الحق وقتال الباغي عليه فيما
اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن لهذه صفة الناظر عند مساعدة الامام العادل في قتال البغاة في
اعتقاده وقسم عكسهم سواء بسواء وقد ذلك اشتبهت عليهم القضية فلم يظهر لهم ترجيح احد
الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لانه لا يحل الاقدام على قتال مسلم
حتى يظهر ما يوجب ذلك وبالجملة فكلهم معذورون وماجورون لا مازورون ولهذا اتفق
اهل الحق ممن يعتد به في الاجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وثبوت عدالتهم ولهذا قال علماؤنا كغيرهم
من اهل السنة ومنهم ابن حمدان في نهاية المبتدئين يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة
واقراء وسماعا وتسميعا ويجب ذكر محاسنهم والترضي عنهم والمحبة لهم وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر
لهم وانهم انما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سايغ لا يوجب كفرا ولا فسقا بل ربما يثابون عليه لانه اجتهاد سايغ
ثم قال وقيل المصيب علي ومن قاتله مخطاوه معفو عنه وانما نهي عن الخوض في النظر لان الامام احمد كان ينكر
على من خاض وسئل احاديث الفضايل وقد تبرا رضي الله عنه مما ضللهم او كفرهم وقال السكوت عما جرى
بينهم وقال بعض المحققين البحث عما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وعما جرى بينهم من الموافقة

في الاحاديث والاثار
في كلام القوم والاشعار
عن بعضه فاقنع واخذ عن علم
واحذر من الخوض الذي قد يزري
بفضلهم مما جرى او قد يري
فانه عن اجتهاد قد صدر

فاسلم اذا سلم من لهوى

[illegible] ليس من العقايد الدينية ولا من القواعد وليس هو مما ينتفع به في الدين بل ربما اضر باليقين
[illegible] العلماء منها فانفاقا في كتبهم صونا للمقاصرين عن التاويل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة
[illegible] رواياتها ليتعجبهم مما لا يصل الى حقيقة علمها او لان الخوض في ذلك انما يصلح للتعليم او للرد على المتعصبين
[illegible] تدريس كتب تشتمل على تلك الماثار فيقول ذلك ويبينه للعوام فقط حتى لا يلزم ان
[illegible] على ان الحكم بالرافضة موضوع والاكثر باطل مصنوع فالاحوط السلامة في التسليم وكف
اللسان عن هذا المدخل الضيق العظيم ولهذا قال فاسلم اذا الخوض في تلك البحور واخذ مع
العافين ذلك العطش الذي يجور فانا مع قارفي الفتنة افتتن ومع المرض بدينه للشبهات و
الشهوات اختبن ثم ان الناظم دعى على طائفة الجفاة والفجرة واهل الرفض والضلال مجاهارة عن
الامر المامور فقال اذل الله سبحانه وتعالى وقد فعل من اي كل مبتدع من الراقضة ومن وافقهم
لهم اي الصحابة الكرام او لبعضهم هجر وعادى ولم يوال ويحب وقد روى الديلمي عن انس رضي الله عنه
اذا اراد الله سبحانه وتعالى برجل من امتي خيرا القى حب صحابي في قلبه واخرج الترمذي من حديث عبد الله
ابن مغفل رضي الله عنه مرفوعا الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله تعالى ومن اذى الله تعالى
يوشك ان ياخذه والذي اجمع عليه اهل السنة والجماعة انه يحكم على كل احد بتزكية جميع الصحابة
باثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم فقد اثنى الله سبحانه عليهم في عدة ايات
من كتابه العزيز على انه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شيء لاوجبت الحال التي كانوا عليها
من الهجرة والجهاد ونصرة الدين وبذل المهج والاموال وقتل الاباء والاولاد والمناصحة في الدين
وقوة الايمان واليقين والقطع بتعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم افضل جميع الامة بعد نبيهم
هذا مذهب كافة الامة ومن عليه المعول من الائمة واما من شذ من اهل الزيغ والابتداع عن فضل
واضل فلا التفات اليهم ولا معول عليهم ولهذا قال الامام ابو زرعة العراقي من اجل شيوخ مسلم
اذا رايت الرجل ينتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق وذلك ان القرآن حق
والرسول حق وما جاء به حق وما ادى الينا ذلك كله الا الصحابة فمن جرحهم انما اراد ابطال الكتاب
والسنة فهم اولى بالجرح وبه لائق والحكم عليه بالزندقة والضلال اقوم واحق وقال ابن حزم الصحابة
كلهم من اهل الجنة قطعا قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من
الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون فثبت ان جميعهم من اهل الجنة والحاصل انه لا يجر الصحابة ويعاديهم الا عدو لله

مبعود

وبعدهم فالتابعون احرى بالفضل ثم تابعوهم طرا

مبعود ومن رحمه الله حبيب زنديق والله ولي التحقيق قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين
سب احد من الصحابة مستحلا كفر وان لم يستحل فسق وعنه يكفر مطلقا وان فسقهم
او طعن في دينهم او كفرهم كفر والله تعالى اعلم وما انهى الكلام على الصحابة الكرام حسبما يقتضيه
المقام وان كان ما ذكر في جنبهما سكت عنه كقطرة من بحر طام وذبابة من نور عام ذكر التابعين
لهم باحسان ثم تابعيهم كما قال حيث الانام فقال وبعدهم اي بعد الصحابة المخصوصين بالفضل
والعدالة العامة ولما صابه فالتابعون لهم باحسان احرى اي احق واحدر بالفضل ولما تقدم
والتقديم على غيرهم من سائر اهل الايمان وتعريف التابعي هو كل من صحب الصحابي ومطلقه مختص
بالتابعي باحسان ويقال للواحد تابع وتابعي والاشهر في التابعي من زيادة ما تعتبر به الصحبة
في الصحابي كما تقدم لان الصحبة خصوصية كما بيناه ولهم طبقات بالنسبة الى من اجتمع بعشرة
او ثلاثة من الصحابة وبالعلم والزهد وغير ذلك وقد اختلف في افضل التابعين قال سيدنا الامام
احمد وغيره من اهل العلم افضل التابعين سعيد بن المسيب وقال قوم افضل التابعين اويس بن عامر
ويقال عمرو وكنيته ابو عمرو وهو القرني واستدلوا لذلك بحديث خير التابعين اويس رواه الحاكم عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم ان خير التابعين رجل يقال له
اويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم قال النووي هو اويس بن عامر كذا رواه
مسلم وهو المشهور وقال ابن ماكولا ويقال اويس بن عمرو وهو القرني بفتح القاف والواو وهو بطن من
مراد وهو قرن بن رداع وغلطوا من نسبه الى قرية المناخ بالحجر المعروف بميقات اهل نجد في الاحرام
وفيه طلب الدعاء والاستغفار من اهل الصلاح وان كان الطالب افضل منهم فان قيل كيف يستجاز
الامام احمد ومن نحا نحوه تفضيل سعيد بن المسيب على سائر التابعين مع وجود النص الصريح
بالنقل الصحيح في تفضيل اويس القرني فالمراد ان الامر اد سيدنا الامام احمد واضرابه افضلية سعيد
في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونفع الامة بذلك وبما بلغه عن الصحابة الكرام عن
النبي عليه افضل الصلاة والسلام فانه الامام الحافظ الثقة المامون حتى قيل فيه اعلم امة محمد بن محمد
بعد محمد سعيد بن المسيب رحمه الله ورضي عنه والدليل على افضلية التابعين هو قول النبي صلى الله عليه وسلم
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان
بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم
السمن زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عمران
ابن حصين رضي الله عنه ورواه ابو داود ولفظه خير امتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم

والله اعلم اذكر الثالث ام لا ورواه مسلم من حديث ابي هريرة وفيه والله اعلم اذكر الثالث ام لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار مسلم رآني او رأى من رآني رواه الترمذي من حديث جابر قال طلحة فقد رأيت جابرا وابن عبد الله رضي الله عنهما وقال موسى قد رأيت طلحة وقال يحيى وقال لي موسى وقد رأيتني ونحن نوجد يومئذ قال الامام المحقق ابن القيم في اول كتابه اعلام الموقعين الفى الصحابة الكرام الى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا وكانوا سندهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العالمين سندا صحيحا عاليا وقالوا هذا عهد نبينا الينا وقد عهدنا اليكم وهذه وصيته ونبينا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم فجرى التابعون لهم باحسان على منهاجهم القويم واقتفوا آثار صراطهم المستقيم ولهذا قال ثم الافضل بعد التابعين تابعوهم اي اتباع التابعين لما تقدم من صحيح الاخبار وصريح الآثار طرا اي جميعا وهو منصوب على المصدر او الحال لانهم سلكوا مسلكهم الرشيد وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد وكانوا بالنسبة الى من قبلهم كما قال الراصدق القائلين قلة من الاولين وقليل من الاخرين ثم جاء الائمة من القرن الرابع المفضل في احد الروايتين كما ثبت في الصحيح من حديث ابي سعيد وابن مسعود وابي هريرة وعائشة وعمران بن حصين رضي الله عنهم اجمعين من قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني الحديث والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر ما الامور المقصودة والاصح انه لا يضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم هم اصحابه وكانت مدتهم من المبعث الى اخر من مات من اصحابه وهو ابو الطفيل مائة وعشرين سنة وقرن التابعين على نحو مائة الى سبعين سنة وقرن اتباع التابعين من ثم الى حدود العشرين ومائتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا واطلقت المعتزلة السنتها واظهرت الجهمية مخلتها ورفعت الفلاسفة رؤسها وامتحن ائمة الدين وعلماء المسلمين ليقولوا بخلق القرآن وكان المقصود الاعظم منهم اما منا الامام احمد فقام بامر السنة اتم قيام وعاضده عليها ائمة اعلام وحفاظ للدين فحام شكر الله سعيهم وثبتنا على نهجهم امين وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم كما في رواية ثم يفشو الكذب قال في النهاية خير الناس قرني يعني الصحابة ثم التابعين والقرن اهل كل زمان وهو المقدار المتوسط في اعمار كل زمان ماخوذ من الاقتران فكانه المقدار الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واوائلهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل مائة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر قرن يقرن وقرنا قال الحافظ جلال الدين السيوطي في الدر المنثور القرن اهل كل زمان وهو المقدار الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم **فصل في ذكر كرامات لها وليا واثباتها وهذا** من العقايد السنية التي يجب اعتقادها ولا يجوز نفيها واهمالها ولهذا قال **وكل خارق** للعادة

من الخوارق وهي ستة انواع الاول المعجزة وتقدم الكلام عليها الثاني الارهاص وهو كل خارق تقدم النبوة فهو مقدمة لها فالمعجزة امر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة والارهاص المقدمة لها قبلها كقصة اصحاب الفيل الثالث الكرامة وهي امر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة وكان مقدمة يظهر على يد عبد ظاهره الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعة مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم ذلك العبد الصالح ام لم يعلم الرابع الاستدراج والمكر اخامس المعونة كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين وضعفا اهل هذا الدين تخليصا لهم من الحيح والمكاره السادس الاهانة والاحتقار كما فعل مسيلمة الكذاب من مسحه بيده على راس غلام فانقرع ومن تقلد قوسا غير عذبة ليزداد ما وها حلاوة فصار ملحا اجاجا ومن الخوارق المفاسدة السحر والشعبذة ونحوهما والحاصل ان الكرامة لا بد ان تكون امرا خارقا للعادة الى ذلك الخارق عن امر صالح وهو الولي العارف بالله وصفاته حسبما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات من ذكر وانثى ولا بد ان يكون صدور ذلك الخارق في زماننا وبعده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اسانيد تابع لشرعنا معشر المسلمين لا ساير الشرايع سواء قد نسخت او لم تنسخ وان يكون الخارق مما قبل ما ظهر على يده غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة كما تقدم انفا ولا عبرة بكون صدر عنه الخوارق عارفا مطيعا ظاهر الصلاح متابعا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم اشار بقوله وناصح لله ولرسوله ولكتابه ولشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي اتى بها عباد الله وناصح لائمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم فان الدين النصيحة مما يصدر من الخوارق المؤكدة للكذب الكذابين وتوهات المفترين من قبيل المكر والاستدراج والمحق والاعوجاج واما اذا صدرت عمن ذكر من الصالح الناصح التابع لشرعنا القويم ودينا المستقيم فانها تكون من الكرامات التي بها اي بجوازها ووقوعها نقول معشر اهل السنة من السلف والخلف قال ابن حمدان في نهاية المبتدين وكرامة الاولياء حق وانكر الامام احمد رضي الله عنه على من انكرها وضلله قال وتوجد في زمن النبوة واشراط الساعة وغيرها ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى او عن نفسه ولا على ولايته لجواز سلبها وان تكون استدراجا له بعض المجرد الخارق لا يدل على ذلك ولذلك قال ولا سبيل لنا ولا يطلع هو ولا كرامته بها ولا يدعيها وتظهر بلا طلبه لشرفه اظهارا ولا يعلم من ظهرت منه هو او غيره انه ولي الله تعالى قال بذلك وقيل بلى ولا يلزم من صحة الكرامات ووجودها صدق مدعيها بدون بينة او قرائن حالية تفيد الجزم بذلك ولا مشى على الماء وفي الهوى او سخرت له الريح والسباع حتى تنظر خاتمته

من تابع لشرعنا وناصح
فانها من المكر والاستدراج والله اعلم
وكل خارق الى غير صالح

وعن افعاله للشرع في الامر والنهي فانه وحد الخارق من نحو جاهل فهو مخرقة ومكر من ابليس واغواء واضلال
ولا شيء على من ظن الخير محمود براءة عنه وان كان في الباطن شيطانا وحسن الظن باهل الدين والصلاح
حسن فاقف في اعتقادك الصالح وتنحكم الناجح اي اتبع للادلة الشرعية والمشاهدات الحسية
والقواطع العقلية فانه كرامات الاولياء ثابتة بالعيان والبرهان اما اولا فانه وجودها جائز
عقلا واقع عيانا وشرعا فانا حملا مريم بلا ذكر ووجود الرزق عندها بلا سبب من فاكهة الصيف في
الشتاء وفاكهة الشتاء الصيف من الخوارق وليستا بمعجزتين لعدم شرط المعجزة وهو دعوى النبوة
والتحدي فنعين كونه ذلك كرامة لها وايضا قصة آصف بن برخيا فانا احضاره عرش بلقيس
في لحظة من مسيرة شهر خارق للعادة حتما وايضا قصة اصحاب الكهف فان بقاءهم ثلاثمائة
سنين بلا آفة من اعظم الخوارق وثانيا ما قد اتر معناه وان كانت تفاصيله عن احاد من كرامات
الصحابة والتابعين ومن بعدهم والى وقتنا هذا ما شاع وذاع وملأ الافاق والاسماع و
ضاقت عن احصائه الدفاتر وشهدت بوجوده الاكابر والاصاغر ولا ينكره الا معاند او
مكابر فلا جرم فهو الحق الصراح الى ادع لاهل الانكار والكفاح وهو مع كونه كرامة لمن ظهرت
على يديه غالبا فهو دليل على صحة نبوة متبوع من ظهرت على يديه وحقيقة دينه واستقامة
نهجه وصراطه قلنا ومن اي انسان كان كائنا ما كان فانها اي كرامات الاولياء فلم يقل بجوازها فضلا
عن وقوعها هم ذوو اي اصحاب الضلال والزيغ عن نهج اهل السنة والاعتزال وكذا من نحو هم
من اهل السنة كالاستاذ ابي اسحق الاسفرايني وعبد الله الحليمي من الاشاعرة فقد اتى في ذلك
النفي وعدم التجويز لها بالمحال المنابذ للبرهان والعيان وثبوتها في السنن المتواترة ومحكم القرآن
مع هذه الادلة المتواترة والوقائع المتكاثرة فالانكار لها مكابرة غير منظور اليه ولا معول عليه
وزعمهم ان الخوارق لو جاز ظهورها من الاولياء لالتبس النبي وغيره اذ الفرق ما بينهما انما هو بالمعجزة
وبانها لو ظهرت للكثرة الاولياء وخرجت عن كونها خارقة للعادة والفرض كونها خارقة فاذا
خرجت عن كونها خارقا لكثرتها نافت المقصود وخالفته ولانها لو ظهرت لا لغرض التصديق لانسد
باب اثبات النبوة بالمعجزة لجواز ان يكون ما يظهر من النبي لغرض آخر غير التصديق وبانا مشاركة الاولياء
للانبياء في ظهور الخوارق يخل بعظيم قدر الانبياء ووقعهم في النفوس باطل اما اخذ غير صالح للتمسك به
والتعويل عليه والالتفات اليه والمصير اليه حتى ولو لم تكن الادلة بكرامات الاولياء طافحة والعيان
والبيان والبراهين بها واضحة فكيف والادلة القرآنية والسنن النبوية والآثار السلفية والمشاهدات
العيانية اكثر من ان تحصى واجل واعظم من ان تستقصى ولهذا قال معللا لما ارتكبوه في نفيهما ما

المحال

ومن نفاها فاس
فقد اتى في ذاك بالمحال

المحال لانها اي كرامات الاولياء كثيرة شهيرة للعيان ثابتة بالبرهان ولم تزل تظهر على يد الاولياء
الصالحين واهل التحقيق العارفين في كل عصر من الاعصار الماضية والى الآن والعصر مثلثة وبضمتين
الدهر ويجمع على اعصار وعصور واعصر وعُصر ويطلق العصر على اليوم والليلة والعشي الى احمرار الشمس
وذلك كما تقدم من حكاية قصة مريم وعرش بلقيس وقصة اصحاب الكهف والمشي على الماء كما نقل عن
كثير من الاولياء من الصحابة وغيرهم كما في قصة العلاء بن الحضرمي من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فانه
لما ذهب الى البحرين سلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فصلى ركعتين ثم قال
يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم استقنا فجاءت سحابة فامطرت حتى ملأوا الانية وسقوا الركاب ثم انطلقوا
الى خليج من البحر ماخيض قبل ذلك اليوم فلم يجدوا فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي
يا عظيم اجز لنا ثم اخذ بعنان فرسه قال جوز وا باسم الله قال ابو هريرة [illegible] الله ما
ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش اربعة الاف والطبراني في [illegible] ابي طالب
ذا الجناحين رضي الله عنه وكقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروايته [illegible] المنبر
بالمدينة بنهاوند فنادى وهو على المنبر يا ساري الجبل ساري فقال يا [illegible] العدو
وملكوهم لما مروا الجبل وسماع ساري مع بعد المسافة وكشرب خا [illegible] غير من
ان يحصل له تقريبه وكجريان النيل بكتاب امير المؤمنين عمر بن الخطاب [illegible] ومن
كرامات الصحابة رضي الله عنهم مما لا يحصى الا بكلفة وكذلك كرامات التابعين
طافح مشهور لا يمكن رده وانكاره لانه في غاية البيان والظهور ولذا [illegible] تقي
اهل الزلل بما ارتكبوه وياحسارتهم لما انتحلوا مورد المحسوس وتكذيبهم [illegible] من
ومكابرتهم لافكار العيان بمجرد الوهم والهوس وقد قال علماؤنا ان كرامة الولي و [illegible] س
من كونه من احاد الامة معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من امته [illegible] بلد
انه ولي ولن يكون وليا الا وان يكون محقا في ديانته وديانته هي الاقرار بالقلب [illegible] والطاعة
بالجوارح والاركان لما جاء به نبيه المتبوع ورسوله الذي عليه المعول والى [illegible] الاستقلال
لاوامره والانتهاء عن زواجره في السر والاعلان حتى لو ادعى هذا الذي ظهرت [illegible] قبل الاستدراج
بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر خارق على يده ولو فرض ظهو [illegible] ومن قبل ادعاء
والحاصل ان الامر الخارق للعادة فهو بالنسبة الى النبي معجزة [illegible] بلد من علمه بكونه نبيا وهو
وهو بالنسبة للولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة ثم ظهر ذلك [illegible] يعلم بولايته ويستر كرامته
قصده اظهار خوارق العادات وظهور المعجزات واما الولي فد [illegible]

وغيرها ويجتهد على اخفاء امره كما تقدمت الاشارة الى ذلك كله **تنبيهات الاول** وافق ابو حسين البصري
المعتزلي ومن نحا منحاه اهل السنة في جواز كرامات الاولياء ووقوعها **الثاني** يجوز في الكرامات ان تقع
بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف انواعها ولو كقلب العصى حية وكوجود ولد من غير اب لا مثل ما
اختص به النبي صلى الله عليه وسلم مثل القرآن العظيم الذي هو اعظم المعجزات واخص الايات وقال قوم الكرامات
تختص بمثل اجابة دعاء ونحوه قال الامام النووي وهذا غلط ظاهر فقائله وانكاره للحس بل الصواب جريانها
حتى في قليل الاعيان **الثالث** الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ولا يصل الولي ما دام عاقلا بالغا
الى مرتبة سقوط التكليف عنه بالاوامر والنواهي ومن زعم ذلك فهو الحاد وزندقة ومن الزندقة ما زعمه
من زعم من بعض الكرامية ومن نحا نحوهم من ان الولي قد يبلغ درجة النبي بل اعلا وقدمنا الكلام في ترييف
هذا الم[illegible] الامام والله ولي الانعام **الرابع** قال بعض المحققين للولي اربعة شروط احدها
ان يكو[illegible] حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي والمتنبي **الثاني** ان يكون عالما
[illegible] ليكتفي بنظره عن التقليد في الاحكام الشرعية كما اكتفى عوام ذلك في اصول
[illegible] علما اهل الارض لوجد عنده ما كان عندهم ولاقام قواعد الاسلام
[illegible] وهذا غير معتبر ولا مشترط في مطلق الولي فمن غير تردد نعم يعتبر هذا
[illegible] لمة الولي والله اعلم **الثالث** ان يتخلق بالاخلاق المحمودة التي دل عليها الشرع
[illegible] يات بل والمكروهات وامتثال المامورات واخلاص العمل وحسن المتابعة
[illegible] زمه الخوف ابدا واحتقار النفس سرمدا وان ينظر الى الخلق بعين الرحمة والنصيحة
[illegible] تذ محاسن الشريعة ومطالعة عيوب النفس وافاتها والخوف بملاحظة السابقة
[illegible] ويزيد عليه قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا
[illegible] ري في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم والله تعالى اعلم
[illegible] الفاضلة بين البشر والملائكة وهي مسئلة عظيمة وقد كثر فيها الاختلاف وتشعبت
[illegible] فيها المحاورات والجدال ولكثرة الخلاف فيها وبيان اقوال الائمة من المتكلمين وغيرهم
[illegible] ر وعندنا معشر اهل السنة خصوصا اهل الاثر وسلف الامة وكبار الائمة
[illegible] تفضيل اعيان البشر محركة الانسان ذكرا وانثى ويطلق البشر على الواحد
[illegible] الى ارباعيانهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء فالانبياء افضل
[illegible] كل صالح افضل من الملائكة قال الامام ابو الوفا بن عقيل الصحيح
[illegible] لائكة والملائكة افضل من الفسقة وقال تارة الانبياء افضل من الملائكة

وجبريل

وجبريل واسرافيل وميكائيل افضل من الاولياء وقال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه بنو آدم افضل من الملائكة
ولذا قلنا على ملك ربنا تبارك وتعالى كما اشتهر ذلك من نصوص امامنا الامام احمد رضي الله عنه والملك هو الملك
وجمعه ملائكة وحذفت همزة اعلال لكثرة الاستعمال واصله ملأك وزنه مفعل فقيل ملك وقد تحذف الهاء من
الجمع فيقال ملايك واصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة وهي الرسالة ثم قدمت اللام على الهمزة في الجمع
كما في النهاية وغيرها قال امامنا الامام احمد رضي الله عنه وغيره اي اي انسان قال بلسانه او اعتقد بجنانه
سوى هذا اي غير القول بتفضيل بني آدم على الملائكة **افترى** اي اتى بكلام خطا يشعر بالافتراء وقد
تعدى اي تجاوز الحد المنقول والثابت عن الرسول واسلف المحقول في المقال الذي اعتمده **واجترى**
اي افتات على الشارع بالاعتقاد الذي اعتقده ولفظ النص يخطى من [illegible] وقتل كل منهما
افضل من الملائكة قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين وقال الامام العلا[illegible] جعفر
المشهور بغلام الخلال رحمه الله تعالى ما كان لا خير فيه اكثر من شره فهو احر من [illegible]
فالبهائم خير منه وقيل من غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة و[illegible] البهائم
خير منه هذا محصل قول اصحابنا وقال العلامة المحقق ابن القيم في كتا[illegible] شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه على صالحي بني آدم والملائكة ايهما ا[illegible] البشر افضل باعتبار كمال النهاية والملائكة افضل باعتبار البداية فان الملا[illegible] عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب ان هذه الاحوال الآ[illegible] يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحي البشر اكمل من حال الملائكة قال و[illegible] سر التفضيل وتنتفي ادلة الفريقين ويصلح كل منهم على حقه قال ابن القيم [illegible] يعني باب التفاضل بين الاشياء لا يعرف اسباب الفضل اولا ثم درجاتها ونسبة د[illegible] بينها ثانيا ثم نسبتها الى ما قامت به ثالثا كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاو[illegible] هي كمال الشخص وليست كما لا لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد [illegible] ابن عباس بفقهه وعلمه وكمال ابي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا قال فهذه [illegible] المتكلم في درجات التفضيل وتفضيل الانواع على الانواع اسهل من تفضيل [illegible] وابعد من الهوى والغرض انتهى ملخصا **تنبيهات الاول** وقد علمت انه [illegible] بين الانبياء والملائكة وفي هذه ثلاثة اقوال احدها الانبياء افض[illegible] وهو الصواب الثاني الملائكة افضل وهو قول المعتزلة واخ[illegible] وابو بكر الباقلاني والحاكم والحليمي وفخر الدين في المعالم وابن

ملأ ملك

على ملائكة ربنا كما اشتهر

وقد تعدى قال سوى هذا افترى

وعند ذا تفصيل اعيان البشر

الاربعين وفي المحصل الثالث الوقف عن القول بالتفضيل لاحد النوعين على الاخر ومحل الخلاف على هذا القول
في غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اما هو فافضل الخلق بلا خلاف لا نفيض عليه ملك مقرب ولا غيره كما ذكره غير واحد
مما حكى الخلاف كالسيوطي في الحبائك والتاج السبكي في منع الموانع والسراج البلقيني في منهج الاصوليين
وبدر الدين الزركشي ونقل فخر الدين الرازي الاجماع على ذلك وكانه اراد اجماع اهل السنة الصورة الثانية
التفاضل بين خواص الملائكة واولياء البشر وهم من عدا الانبيا وهذه الصورة زعم بعضهم نفي الخلاف
بانا خواص الملائكة افضل ونقل السعد التفتازاني في شرح عقائد النسفي الاجماع على ان خواص الملائكة
افضل من اولياء البشر بعد الرسل والانبيا وهذا مردود فقد قدمنا ان معتمد القول عند علمائنا
ومعا وافقهم [illegible] افضل من خواص الملائكة بعد ابن عقيل خالفهم في ذلك فقال خواص الملائكة
مع ح[illegible] جبريل وعزرائيل ملك الموت افضل من الاولياء وقال في القول بخلاف هذا شناعة
عظ[illegible] نفسه صرح بان الانبيا والاولياء افضل من الملائكة وصحح ذلك
الص[illegible] بين اولياء البشر وغير الخواص من الملائكة وفي هذه قولان احدهما تفضيل
[illegible] وجزم به ابن السبكي في جمع الجوامع وذكر البلقيني في منهجه انه قول اكثر العلما
[illegible] على الملائكة وجزم به الصفار من الحنفية وهو المختار عندهم وقال البلقيني
[illegible] من اولياء البشر من هو افضل من غير الخواص من الملائكة وقال قوم من اهل السنة
[illegible] الرسل من الملائكة والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة وذهب اخرون
[illegible] به على سكان الارض وفضل جماعة من محققي المالكية بديه ومن وافقهم فقالوا
فضل الصلاة والسلام افضل من رسل الملائكة كجبريل عليه السلام ورسل الملائكة
فضل من عامة البشر وهم اولياؤهم غير الانبيا كابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعامة
[illegible] انبيا افضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين وهذا
[illegible] قيل واصح اهل هذا التفضيل بالاجماع وقد علمت انه مدخول بل ادعوا فيه
[illegible] تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة بوجوه سنذكرها
[illegible] الاصلين ان المختار عند الحنفية ان خواص البشر وهم الرسل افضل من جملة الملائكة
[illegible] الانبيا غير المرسلين والانبيا افضل من غير الخواص من الملائكة قال ومنهم
[illegible] البشر والملائكة كذا قال واحق المعتمد عندهم ان خواص البشر كالانبيا
[illegible] خواص الملائكة كرسلهم افضل من عوام البشر كالاولياء وعوام البشر
[illegible] رسل منهم والله اعلم التنبيه الثاني في بعض ادلة مذهب اهل الحق من

تفضيل

تفضيل صالحي البشر على الملائكة خلافا للمعتزلة والفلاسفة ومن وافقهم منهم قوله تعالى واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لادم فالمسجود له افضل من الساجد فان قيل لم لا يجوز ان يكون السجود لله تعالى
وآدم كالقبلة فالجواب انه لو لم يكن السجود لآدم على منصب المسجود له على الساجد لما قال ابليس
ارايتك هذا الذي كرمت علي ان لم يوجد ما يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا السجود فدل ذلك السجود
على ترجيح منصب المسجود له على الساجد ومنها ان آدم عليه السلام كان اعلم من الملائكة والاعلم افضل
لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد قال تعالى وعلم ادم الاسماء كلها الى قوله قالوا سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ومنها ان طاعة البشر اشق والاشق افضل فان البشر مجبولون
على الشهوة والحرص والغضب واللهوى ونحوها وهذه من اكبر الموانع وهي
قوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين و
والآل يراد به الرجل نفسه ويراد به اقاربه الادنون ويراد به اتباعه فا
في بني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين اذ يلزم على ظاهر هذا تفضيل
فالجواب اولا الاية تحتمل التخصيص وثانيا من شرط العالم المفض
وجود انبياء بني اسرائيل اما الملائكة فهم من جود وبحال وجود محمد
لهم عقول بلا شهوة والبهائم لها شهوة بلا عقل والآدمي له عقل وشهوة ثم
على عقله كان احسن من البهائم كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا و
كان افضل من الملائكة فمن يطيع الله واوامره وطينته مجبولة بالشهوة والهو
هواه تكون عبادته افضل الا ترى ان ابتلى من الملائكة بالشهوة كيف وقع
نحو هذا البيهقي وقال كما وقع لهاروت وماروت وساقها من ثلاثة طرق ثم اخ
ابن سلام رضي الله عنه انه قال ان اكرم خليفة الله على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم
قال الملائكة خلق لخلق الارض وخلق السماء وخلق السحاب وخلق
الخلائق وان اكرم الخلق على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم واخرج البيهقي ايضا عن
ان الله تعالى فضل محمدا على اهل السماء وعلى الانبيا قال وما فضله على اهل ال
ومما يقال منهم اني الدم دونه فذلك مخزيه وجهنم وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا
تقدم من ذنبك وما تاخر واخرج ايضا عن ابن عمر وقال قال رسول الله صلى
قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال الملائكة مجبورون بمنزلة
السلمي عن خالد الحذا وعبيد الله قال البخاري عنده عجايب قال

وهو الصحيح قال البيهقي وممن قال بالقول الاخر وهو تفضيل الملأ الاعلى على سكان الارض اشياخنا
يقول اذا كان التوفيق للطاعة من الله تعالى وجب ان يكون الافضل من يكون اتقى فيقة وعصمة اياه اكثر
ووجدنا الطاعة التي وجودها اتقى فيقة وعصمة من الملائكة اكثر فوجب ان يكون اتقى بذلك افضل
واخرج البيهقي ايضا حديث لما خلق الله تعالى ادم وذريته قالت الملائكة رب خلقتهم ياكلون و
يشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة فقال سبحانه وتعالى لا اجعل من خلقته بيدي و
نفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان قال وفي ثبوته نظر اهـ وقال العز بن عبد السلام في اثناء كلام له
في انواع التفاضل بين الحوادث من الجواهر والاجسام لا تفضل الملائكة على الانبياء الاجسام بني
التفضيل
في وهمها واوهام فاسدة تعدها ولم ينفوا الخيالات والتوهمات في امور
قال الامام ابن عقيل من علمائنا في كتابه الارشاد ما موا منوا ولاد آدم من الاولياء
في الاولى اشرف من الملائكة على قول اصحابنا قال وعندي انه قد
في الملائكة ما لا يجوز ان يفضل عليه الاولياء مثل جبريل وميكائيل
ت والمقربين ولكني افضل عليهم الانبياء ومنهم من يفضل عليه اولياء
بين من الملائكة السياحة وغير ذلك قال والدلالة على ان خواص الملائكة
من الاولياء خلافا لاصحابنا انهم علماء سادوهم في العبادة وفضلوا بالقرب
دم من الله تعالى الذي شرف بسماعه موسى عليه السلام على غيره وهذه الرتبة عظيمة
يا انهم فضلوهم بالرسالة والنبوة ومعاناة الامم والتعليم وجعل الملائكة
انا من صالحي بني آدم خوفهم جبريل اشناعة عظيمة علينا فمن حيث سوينا بينه
جلالة جبريل وعظمته وشرفه عند الله فان جبريل سفير الرحمن وحامل وحيه الى
ل صلى الله عليه وسلم ما قال يا معشر معاذ وابو هريرة رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليهم
خلفكم ففلنا ولم نوسع يا رسول الله قال للملائكة انهم اذا كانوا معكم ثم يكونوا
كم وانما يكونون عن ايمانكم وشمائلكم قالوا امن فضلنا عليهم او من فضلهم علينا
عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده وايضا لفظ
لائكة باهل عرفات ولا يباهي الا بالافضل وايضا فان جبريل افتخر بانه يسمى
كم ان الله يدخله تحت الكساء وكان تحته فاطمة والحسن والحسين انتهى
ية الاول فموضوع لا تحل روايته فضلا عن الاحتجاج به ومن زعم صحته
اليه واورده الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات باختصار فلم يذكر قوله

قالوا

قالوا فضلنا عليهم الخ وحكم بوضعه واما حديث المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذي عنده فالمعروف من
لفظ الحديث المؤمن اكرم على الله من بعض ملائكته كذا رواه ابن ماجه وهذا اللفظ لا يدل على تفضيل الاولياء
على جميع الملائكة بل على بعضهم وحديث المباهاة لا يدل على الافضلية واما حديث ان جبريل عليه السلام
افتخر بانه يسمى من اهل البيت وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم انه يدخله تحت الكساء فلا اصل له قال الحافظ السيوطي
لم اقف له على اصل في شيء من كتب الحديث وكيف يجسر احد على تفضيل غير الانبياء من البشر على جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل مع ما في صحيح البخاري عن ابن ابي مليكة قال ادركت ثلاثين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل وقال سراج الدين البلقيني
الاكثرون من الاشاعرة على تفضيل الانبياء على الملائكة وذهب القاضي ابو بكر الباقلاني [illegible] الملائكة
العلوية افضل وينبغي ان يكون محل الخلاف في غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو افض
واما الصالحون من البشر غير الانبياء فاكثر العلماء على تفضيل الملائكة
منهم تفضيلا موافيا الموت على ذلك فقد يفضل على الملك باعتبار
من الدواعي الى الشهوة وغيرها لا سيما ممن كان خليفة سيد الاولين
والسلام وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح جمع الجوامع اما تفضيل
عقيدة الاشعري وجمهور اصحابه وهو آخر اقوال ابي حنيفة فيما ذكره شمس
التركيب المعرض للنوائب التي يجب الصبر عليها والشهوات التي يجب الصبر عن
قوله تعالى بعد ذكره جماعة من الانبياء وكلا فضلنا على العالمين والملائكة من العالم
منهم وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم
واراد بني آدم لان الملائكة لا يجازون بل هم خدام اهل الجنة ولان الانبياء قامت
الملائكة حتى قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولان آدم سجد له الملائكة
الساجد كما تقدم ثم في الانبياء من هو افضل من آدم ولان الناس في الموقف انما
بالملائكة وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام لاشك ان للبشر طاعات لم يثبت
ومخالفة الهوى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلايا والمحن
ربهم ويبشرهم باجلال رضوانه عليهم ولم يثبت مثل هذا للملائكة وقال بعض
العصاة من المؤمنين دون الانبياء والملائكة فاما المطيعون فا
على قولين وقال ا[illegible] في مختصره في الاصول
المؤمن الطائع اف[illegible] وقال ابن المنير مذهب اه

لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية ولو كانت البشرية بمجردها افضل من الملائكة لكان كل البشر افضل من الملائكة ومعاذ الله والله اعلم **التنبيه الثالث** قد اشرنا فيما تقدم ان المعتزلة ذهبت الى تفضيل الملائكة على البشر حتى على الرسل والانبياء واختاره من الاشاعرة القاضي ابو بكر الباقلاني وابو اسحق الاسفرائني والحافظ ابو عبد الله الحاكم والحليمي والفخر الرازي في المعالم دون الاربعين وابو شامة ومن تخاطبهم وآخر تحوا بحجج منها قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون قالوا فهذا يقتضي كون الملائكة افضل من المسيح الا ترى انه يقال انه قد انا لا يستنكف الوزير من خدمته ولا السلطان ولا يقال انه لا يستنكف السلطان من خدمته ولا الوزير فلما ذكر المسيح اولا والملائكة ثانيا علمنا ان الملائكة افضل من المسيح والجواب عنه من وجوه الاول انه محمد صلى الله عليه وسلم وكذا ابراهيم الخليل افضل من [illegible] من كون الملائكة افضل من المسيح كونهم افضل من محمد ولا من ابراهيم عليهما [illegible] قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع فتناول الكل فهذا يقتضي كون [illegible] يح قلم قلتم انه يقتضي كون كل واحد من الملائكة افضل من المسيح الثالث [illegible] المقربون حرف عطف وهو انما يفيد الجمع المطلق لا الترتيب والمثال الذي [illegible] الكلي لا يثبت بالمثال الجزئي ثم انه معارض بنحو قولك ما اعانني على هذا [illegible] لا يفيد كون المتأخر في الذكر افضل من المتقدم ومنه قوله تعالى والله يهدي [illegible] البيت ولما اختلفت الامة امتنع التعويل عليها ثم في التحقيق في المسئلة [illegible] لا يستنكف من خدمة الوزير ولا السلطان فنحن نعلم بعقولنا ان السلطان [illegible] يعرفنا ان الغرض من ذكر الثاني هو المبالغة فهذه انما عرفناها بهذه [illegible] يب في الذكر فلا يمكننا ان نعرف ان المراد من قوله ولا الملائكة المقربون بيان [illegible] قبل ذكر ان الملائكة المقربين افضل من المسيح وحينئذ يتوقف صحة الدليل [illegible] كر في الدور الرابع هب ان الآية الكريمة دالة على ان منصب الملك اعلا وازيد [illegible] ل على الزيادة من جميع الوجوه فالملك ازيد من جهة القوة والقدرة والبطش [illegible] نع مدائن قوم لوط والبشر لا يقدرون على مثل ذلك فلو قلتم ان الملك افضل [illegible] صل بسبب مزيد الخشوع والعبودية وتمام التحقيق ان الفضل المختلف [illegible] الثواب ثم ان كثرة الثواب لا تحصل الا بنهاية التواضع والخضوع وكون [illegible] لا يليق بالعبد الا ذلك صيرورته مستغرق الهم في [illegible] هذا المعنى واما اتصاف [illegible] ة الشديدة والقوة

الكاملة

الكاملة فانه مناسب للتمرد وترك العبودية فالنصارى لما شاهدوا من المسيح احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اخرجوه بسبب هذا القدر من القدر عن عبودية الله تعالى فقالوا كان عيسى لا يستنكف بسبب هذا القدر عن عبوديتي ولا الملائكة المقربون الذين هم فوقه بالقدرة والبطش والاستيلاء على عالم السموات والارضين وعلى هذا الوجه تنتظم دلالة الاية على ان الملك افضل من البشر في القدرة والقوة والبطش لكنها لا تدل البتة على ان الملك افضل من البشر في كثرة الثواب وقال ايضا انما ادعت النصارى الهية عيسى لانه وجد لا من اب فقيل لهم الملك حصل ووجد لا من اب ولا من ام فكيف يستنكف المسيح عن العبودية لكونه وجد من ام لا من اب والملك الذي وجد لا من اب ولا من ام لا يستنكف عنها فالملائكة اعجب في هذا المعنى من المسيح [illegible] يستنكفون عن عبودية الله تعالى وفيها قوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن [illegible] هذه الاية الكريمة من وجهين الاول انه تعالى احتج بعدم استكبارهم [illegible] يجب ان لا يستكبروا عنها ولو كان البشر افضل من الملائكة لما تم هذا [illegible] ان يقر على نفسه وجوب طاعتهم له فانه يقول الملوك لا يستكبرون ولا [illegible] وبالجملة فظاهر ان هذا الاستدلال لا يتم الا بالاقوى على الاضعف الثاني [illegible] عندية الفضيلة والقربة والجواب عن هذا فهم مما قبله وهو ان الملائكة مع [illegible] لا يتمردون عن طاعة الله تعالى ولا يستكبرون بخلاف البشر يتمردون عن طاعة [illegible] هذا يوجب كون الملك اقوى من البشر لا كونه افضل منه بمعنى كثرة الثواب [illegible] بقوله تعالى في صفة البشر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال عليه السلام [illegible] انا عند المنكسرة قلوبهم وهذا افضل لانه قال في الملائكة انهم عند ربهم وقال [illegible] ان ربهم عندهم ومنها ان عبادات الملائكة ادوم واشق فوجب ان تكون افضل [illegible] يسبحون الليل والنهار لا يفترون وعلى هذا التقدير لو كانت اعمالهم مساوية [illegible] طاعتهم ادوم واكثر فكيف ولا نسبة لعمر كل البشر الى عمر الملائكة وانما افضل [illegible] افضل وفي الحديث خيركم من طال عمره وحسن عمله والجواب عن هذه بان [illegible] اما كون عبادتهم اشق بل عبادة البشر اشق لما فيهم من دواعي التخلف والسهو [illegible] ذكر على قوة الملائكة وهذا مسلم ولا حجة لهم ايضا في الحديث لان [illegible] تفاضل احد الانواع [illegible] به في غيره كما لا يخفى وا [illegible] وجدية غير دال على [illegible] امت الادلة من الطرف الاخر [illegible] ل الانبياء وكذلك من الحقناهم بهم

في التفضيل في الجملة ولا يذهب عليك انه لا خلاف في فضيلة الملائكة وانما الخلاف في افضليتهم على خواص
بني آدم هذا وقد قال بعض العلماء مسئلة تفضيل البشر على الملك والملك على البشر ليست مما يضر اعتقاده
ويضر الجهل به ولو لقي العبد ربه ساذجا من المسئلة بالكلية لم يكن عليه اثم فما رأى مما كلف الناس بمعرفته
وقال القاضي تاج الدين السبكي الناس ثلاثة رجل عرف ان الانبياء افضل من الملائكة واعتقده بالدليل
وآخر جهل هذه المسئلة ولم يشتغل بها بالكلية وهذا لا ضرر عليهما قال وثالث قضى بانه
الملك افضل وهذا على خطر وهل يقال انه مع قضي بتفضيل الانبياء على خطر فيكون الساذج اسلم منه
او انه ناج لاصابته الحق مع الخطر هذا موضع نظر قال والذي اختم عن الوالد السلامة في السكوت
عن هذه المسئلة [illegible] في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير ورود دليل
قاطع [illegible] ظيم وحكم في مكان لسنا اهلا للحكم فيه وقد جاءت احاديث يحتم بالتأمل فيها
[illegible] له صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى ونحوه ونحن على قطع بانه
[illegible] السلام ولم يختلف في ذلك احد لعله اشارة الى انكم لا تدخلون في امر
[illegible] بين الملوك واعني بالسوقة في هذا امثالنا وبالملوك الانبياء و
[illegible] علمت مذاهب الناس فيما اسلفناه والله اعلم **التنبيه الرابع** اختلف
[illegible] سلام قال العلامة شمس الدين بن مفلح في كتابه الفروع ما نصه قال ابن حامد
[illegible] التكليف والعبادات قال ومذاهب العلماء اخراج الملائكة من التكليف والوعد
[illegible] بعض الكلام على الجن وذكر انا قال في الفروع قبيل باب الامامة في كلام ابي المعالي
[illegible] وهي مسئلة ستر هاعة الملائكة والجن قال وكلام صاحب المحرر وظاهر كلامهم
[illegible] بعقوبة اجانب وكذا عن الملائكة مع عدم تكليفهم لانه لا آدمي مكلف وقدام
[illegible] تحفظها عن كل احد الا من زوجته وامته وبهذا مع العلم بحضورهم
[illegible] اخراجهم عن التكليف بما كلفنا به لا مطلقا والاعم مكلفون قطعا قال
[illegible] مالي المكلفون على ثلاثة اقسام قسم كلف من اول الفطرة وهم اولاد آدم
[illegible] وحوى عليهم السلام وقسم لم يكلف اول الفطرة وهم اولاد ادم وقسم فيهم
[illegible] اول الفطرة وهم الجان انتهى قلت الكتاب والسنة ظاهرهما تكليف
[illegible] هم ويفعلون ما يؤمرون ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب
[illegible] ين يخافون ربهم من فوقهم [illegible] خشية مشفقون
[illegible] يق الذين امنوا وهذا [illegible] عن التكليف والاحاديث

طافحة

طافحة بمعنى ذكر والله اعلم **الخامس** في ذكر بعض اوجه التفضيل بين المعلومات قال العز بن عبد السلام
الجواهر والاجسام كلها متساوية من جهة ذواتها وانما يفضل بعضها على بعض بصفاتها واعراضها
وانتسابها الى الاوصاف الشريفة في المفاضل الخسيسة واوصلها تلميذه القرافي في كتابه انوار البروق
الى عشرين قاعدة اولها المعلوم على غيره بذاته دون سبب يعرض له يوجب التفضيل له على غيره وله
مثل احدها الواجب لذاته المستغني في وجوده عن غيره كذات الله تعالى وصفاته الثاني العلم حسن
لذاته وهو افضل من الظن المقطع بعدم الجهل معه ويجوز الجهل مع الظن وذلك لذات العلم لا لصفة
قامت به كما ان الجهل نقيضه لذاته لا لصفة قامت به اوجبت نقصه بخلاف الجاهل والعالم ينقص الجاهل
لصفة قامت به وهي الجهل وفضل العالم بصفة قامت به وهي العلم الثالث [illegible] ام الموت لذاتها
لا لمعنى اوجب لها ذلك وسبب تفضيلها كونها تنافي معها العلوم والق
التصرفات وصفات الكمال كالنبوة والرسالة والولاية وغيرها وتع
ذلك وانما تنقطع هذه الاشياء بالموت ولا تفنى ولا تضمحل بل يدوم
اوجب لها ذلك الثاني التفضيل بالصفات الحقيقة القائمة بالمفضل كنعت
المختار على الموجب بالذات بسبب الارادة والاختيار القائم به وتفضل
الموجودية القائمة به فهذا كله تفضيل بالصفات القائمة بالمفضل لذاته
الثالث التفضيل بطاعة الله تعالى كتفضيل المؤمن على الكافر وتفضيل الهلالي
فاحلتها ذبايحهم واباح تزويجنا من نسائهم دون عبدة الاوثان فانه جعل
بالذكاة كتصرف الحيوان الم
والخمر محرمات الا
المقصرين في ا
اي تولى الله بطاعته
فمن كانه اكثر تقربا الى الله تعالى كان
الله تعالى ببذل نفسه وماله في نصرة دينه واعلاء
ما جميع الاعمال في الجهاد الا كنفطة في بحر وما الجهاد
حديث آخر لو وزنه مداد العلماء ودم الشهيد لرجح بسبب
من جملتها الجهاد وهو
من فضل الله تعالى

قلت هذا انتصار للقول بافضلية العلم على الجهاد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك رضي الله عنهما فعندهما
العلم بعلمه وتعليمه افضل من الجهاد وهي رواية عن الامام احمد ايضا لانه العلم هو الدليل المرشد وقد قال
الامام ابو الوفا ابن عقيل ومما انعم الله علي انه حبب الي العلم فهو اسنى الاعمال واشرفها قال ابن مفلح في
فروعه واختاره اي القول بان العلم افضل الاعمال غير من علمناه ولفظ الرواية العلم افضل الاعمال
لمن صحت نيته قيل فاي شيء تصحيح النية قال ينوي به يتواضع فيه وينفي عنه الجهل نقله منها الرابعة
التفضيل بكثرة الثواب الواقع في العمل وله مثالان منها الايمان افضل من جميع الاعمال بكثرة ثوابه
فان ثواب الخلود في الجنان والخلوص من النيران ومن غضب الديان ومنها صلاة الجماعة فانها افضل من
صلاة المنفرد [illegible] صلاة ومنها الصلاة في احد المساجد الثلاثة ومنها صلاة القصر
افضل [illegible] الاتمام اكثر عملا الخامسة التفضيل لشرف الموصوف منها صفات الله
[illegible] سائر الصفات المنسوبة الى الله تعالى افضل من غيرها لوجوه منها شرف الموصوف
[illegible] كعلمه وكرمه وشجاعته وحلمه وجميع ما هو صفة لنفسه الكريمة له الشرف
[illegible] احدها شرف الموصوف السادسة التفضيل بشرف المدلول وله امثلة
[illegible] لذات الباري وصفاته العلى واسمائه الحسنى ومنها تفضيل الايات المتعلقة
[illegible] المتعلقة في ابي لهب كتبت يدا ابي لهب ومنها الايات الدالة على الوجوه
[illegible] الدالة على الاباحة والكراهة والندب لاشتمالها على الحث على اعلاء دين الصالح
السابعة التفضيل بشرف الدلالة لا بشرف المدلول كشرف الحروف الدالة على
[illegible] الدلالة ولم الشرع بتعظيمها
[illegible] اخراجها عن بلاد المسلمين
[illegible] لموقة وليست
[illegible] والله اعلم الثامنة
[illegible] بل هي ما هو موصوف فقط والعلم له
[illegible] والسمع والبصر بجميع الموجودات
[illegible] تفضيل المتعلق بذات الله تعالى وصفاته على غيره في العلوم
[illegible] هذا القسم عين المدلول فكل مدلول متعلق وليس كل
[illegible] لفاظ والحقايق الدال [illegible] الصانع فانها تدل عليه
[illegible] مدلول في نفسه وليس [illegible] متعلق خاص

وهو معلوم

وهو معلوم وكذلك الارادة المتعلقة بالخير افضل من الارادة المتعلقة بالشر والنية في الصلاة
افضل من النية في الطهارة لانها متعلقة بالمقاصد والثاني بالوسائل والمقاصد افضل من الوسائل
والمتعلق بالافضل افضل العاشرة التفضيل بكثير المتعلق كتفضيل علم الله تعالى على قدرته وارادته
وسمعه وبصره لتعلقه بجميع الواجبات والممكنات والمستحيلات واختصاص الارادة بالممكنات وجودا
وعدما والقدرة بوجود الممكنات خاصة واختصاص السمع بالمسموعات على ما تقدم الحادية عشر
التفضيل بالمجاورة كتفضيل حجر المصحف على سائر الجلود الثانية عشر التفضيل بالحلول كتفضيل
قبره صلى الله عليه وسلم على جميع بقاع الارض وحكاه القاضي عياض اجماعا [illegible]
وفي بدايع الفوائد للمحقق ابن القيم قال ابن عقيل سألني [illegible] عليه وسلم
او الكعبة فقلت ان اردت مجرد الحجرة فالكعبة افضل وان اردت [illegible]
ولا العرش وحملته ولا اجنحة عدن ولا الافلاك الدائرة لانه بالحجرة [illegible]
الثالثة عشر التفضيل بسبب الاضافة كقوله تعالى اولئك حزب الله [illegible]
واضافة البيت اليه تعالى وكذا الناقة ونحوها الرابعة عشر التفضيل بالاسم
عليه السلام على جميع الذراري بسبب نسبهم المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم
وان تفاوتن في ذلك الخامسة عشر التفضيل بالثمرة والجدوى كتفضيل العلم
صلاح الخلق وهدايتهم الى الحق بالتعليم والارشاد واما العبادة ففاصورة على
تفضيل الرسالة على النبوة [illegible] التفضيل [illegible]
ثمرة لكن ثمرة احدهما
شرعية لان الاخرى
المساجد تدم
قليلة فثمرة الصفة اعظم وعم
والله اعلم السابعة عشر التفضيل بالله
مؤثرة في تحصيل وجود الممكنات والعلم تابع لم
حيث التأثير فالقدرة والله علم وكذلك الارادة بالله
في الممكنات بزمانها [illegible] مؤثرة عليها والحياة لا تؤ
السبعة التي تتبعها [illegible] القدرة والارادة فقط والبناء
والتركيب كتفضيل [illegible] حرام عليهم السلام على الجماد بسبب
التفضيل بجودة البنية
ابنيتهم وحسن تركيبهم

فانهم خلقوا من نور فجبريل يسير من العرش مسيرة سبعة الاف سنة لحظة واحدة ويحمل مدائن قوم لوط
الخسفة من تحت الارض على جناحه ولا يضطرب منها شيء بل يقتلعها من تحتها ويصعد بها الى السماء ثم يقلبها
وهذا عظيم والملك الواحد من الملائكة يقهر الجمع العظيم من الجان ولهذا سأل سليمان عليه السلام ربه ان
يولي على الجان الملائكة ففعل له ذلك فهم الزاجرون لهم عند العزائم وغيرها التي يتعاطاها اهل هذا العلم
فيقسمون على الملائكة بتلك الاقسام التي تعظمها الملائكة فتفعل في الجان ما يريده المقسم عليهم
بتلك الاسماء العظيمة كذا زعم القرافي قال وكانوا قبل زمن سليمان عليه السلام يخالطون الناس في الاسواق
ويعبثون بهم [illegible] فلما رتب سليمان عليه السلام هذا الترتيب وسلكه من دونه انحازوا الى الفلوات
والخرا[illegible] اوا[illegible]
[illegible] تهم والملائكة عليهم السلام تراقبهم في ذلك فمن عبث منهم وعاند رد وه
[illegible] م مع سفههم انهم قال وما سبب اقتدار الملائكة على الجان الا فضل ابنيتهم
[illegible] الجان من هذا الوجه مضافا لبقية الوجوه ومن هذه الحيثية فضلت
[illegible] فان الصحيح ان البشر افضل على تفضيل فيه فاذا ورد نص في تفضيل الملك
[illegible] الابنية وجودة التركيب اذا كان النص يحتمل ذلك فتندفع اكثر الاسئلة
[illegible] فضلية لما بنيا صلوات الله وسلامه عليهم ولا نزاع ان الملائكة في ابنيتهم وابنية
[illegible] الى ابنية الملائكة فتحمل نصوص التفضيل على ذلك وكذلك تفضيل الجان في الابنية
[illegible] بني آدم ومع ذلك الجان يعيشون الالاف من السنين ولا تعرض لهم الامراض والاسقام
[illegible] التركيب فضل الذهب
[illegible] على احد المتساويين
[illegible] حاصله تمام الغرض
[illegible] دما فضل الجمادات كفضل الجوهر
[illegible] وفضل الانوار على الظلمات وفضل الشفاق
[illegible] المظلم والحسن على القبيح والضرب الثاني فضائل
[illegible] قوة الاجسام كالقوى الجاذبة والممسكة والدافعة
[illegible] الاعيا والاثقال والـ[illegible] الجذبة الى الخير والوازعة
[illegible] عاذة والسخا والحكم الرابع [illegible] الخواص السادس العلوم
[illegible] الآلة وصفاته الذاتية والسلبية [illegible] ومعرفة ارسال الرسل

وانزال

وانزال الكتب وتنبية الانبياء ومعرفة ما شرع الله من الاحكام الخمسة واسبابها وشروطها وموانعها ومعرفة
الاهوال الناشئة عما ذكرنا من المعارف كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل والتعظيم ولها جلال والقيام بطاعة
الله تعالى في كل ما امر به ونهى عنه ومراتب الله تعالى على هذه المعارف والاهوال والطاعات من لذات الاخرة وانواعها
بالنعيم الجثماني والروحاني كلذة الامن من عذاب الله والانس بقربه وجواره وسماع كلامه وسلامه ومصحوبه
بالرضا الدائم والنعيم المقيم والنظر الى وجهه الكريم مع الخلاص من العذاب الاليم فهذه فضائل بعضها
افضل من بعض فمن اتصف بافضلها كان افضل البرية ولا شك ان معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ولذات
رضاه والنظر الى وجهه الكريم افضل مما عداهن وافضل الملائكة من قام به افضل هذه الصفات فانه
تساوي اثنانه من الملائكة في ذلك لم يفضل احدهما على الآخر وكذلك ان تساوى
يفضل احدهما على الاخر فان فضل الملك على البشر بشيء من ذلك كان ان
بشيء من ذلك كان افضل عنه والفضل منحصر في اوصاف الكمال والكم
واما بالافراح واللذات فاذا احسن الله تعالى الى اجساد الانبياء بما
خطر على قلب بشر واحسن الى ارواحهم بالمعارف الكاملة والاحوال
وسرور رضاه عنهم وكرامة تسليمه عليهم فاين للملك مثل هذا واعلم ان
والساكن والمسكن احوال احدها ان يكون الساكن اشرف من المسكن ا
من الساكن الثالثة ان يستويا في الشرف فلا يفضل احدهما على الاخر فاذا كان
بخساسة المسكن واذا كان الشرف للمسكن فلا يشرف به الساكن والاصل
الخامس التفضيل
الارواح فاص
وارواح الشهد
الملائكة لانهم مسلو
ورسول البشر يدعو الى الامم والى
من الهدى على يديه وليس مثل هذا للملائكة وبالجملة
والله تعالى يحب الصابرين ولا عبرة بفضل اجساد الملا
والاشرف بالمساكن وانما الاشرف بالاوصاف القائمة بال
فان الانبياء قد
مريم وكذلك روح
[illegible] عاتهم مع القطع بانهم افض
[illegible] من جسد امه وروح نبينا
[illegible] تهم فروح المسيح افضل من جسد
عليه وسلم افضل من جسد امه

فاذا تقرر هذا فاعلم ان اسباب التفضيل قد تتعارض فيكون الافضل
من حاز اكثرها او افضلها وقد يختص المفضول ببعض الصفات الفاضلة ولا يقدح ذلك في التفضيل
عليه كقوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم علي وافرضكم زيد واقرؤكم ابي واعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل
وازهدكم ابو ذر رضي الله عنهم مع ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه افضل من الجميع وكذلك الانبيا
فخص سليمان بالملك العظيم ونوح بالانذار المبين من السنين وآدم ابا البشر مع تفضيل محمد صلى الله عليه
وعليهم اجمعين فلو لم يجز تخصيص المفضول بما ليس للفاضل لزم التناقض فلا جرم علمنا ان التفاضل
ما بين الملائكة والانبيا عليهم السلام انما هو بالطاعات وكثرة المثوبات والاحوال السنيات وشرف
النبوا[ت] درجات العليات فكل من كان فيها اتم فهو افضل وفيما ذكرنا تعداد اسباب
التف[ضيل] محمود الرشيد الخليفة في زعمه ان اسباب التفضيل اربعة وكلها في علي
ر[ضي الله عنه] زعم انه افضل الصحابة وهي العلم والشجاعة والكرم وشرف النسب
[عليه] عليهم اجمعين ويرد على اهل السنة فيطلب ما ذكر دعوى الحصر وكانه
[ذلك] قدريا ومسائل التفضيل كثيرة بين الانبيا والصحابة والملائكة
العبارة وذكرنا ما لعله يفيد المطلوب غير ان الاعراض عن كثير مما ذكر
جوزة وبالله التوفيق **الباب السادس في ذكر الامامة وتعلقاتها**
[ب] الامام الاعظم فرض كفاية لان الصحابة رضي الله عنهم اجمعوا على ان نصب
[ة] راجعلوه اهم الواجبات حتى اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم
[سو]ل الله صلى الله عليه وسلم قام
[ا]لله فانه الله حي
[ذ]ا قلنا
[ثم] رسوله الجيل من كل حي
[خ]ليفة مملة بدل امة وهي بكسر الميم الشريعة
[ا]ي وجد وحصل واستمر عن اقام متعلق
[جو]به عند اهل السنة واكثر المعتزلة بالسمع يعني
[جو]به بالعقل ووجوبه شرعا لمسيس الحاجة اليه
[عد]د التخوف وتجهيز الجيش
[حا]ة التحتية وضم الذال المعجمة و
[مد]ة اي يدفع ويمنع

ولا غنى لامة الاسلام في كل عصر كان عن امام يذب عنها كل ذي جحود

عنها

[عن]ها اي عن ملة الاسلام وبيضة الدين كل ملحد جبار وملحد مغوار ومعند ممهار وظلوم كفار
[ذي] اي صاحب جحود اي انكار يقال جحده حقه ولحقه كمنعه جحدا وجحودا انكره مع علمه والمراد به
هنا الجاحد للدين القويم والضال عن الصراط المستقيم واضرابه ويعتني ذلك الامام المنصوب يقال
عنه الامر يعنيه ويعنوه عناء وعنايه وعنيا اهمه واعتنى به اهتم بالغزو اي غزو الكفار وقهر
اهل البغي والعناد يقال غزا غزاه غزوا اراده وطلبه وقصده كاغتزاه وغزا العدو سار الى قتالهم
وانتهابهم غزو وغزوانا وغزاة فهو غاز فيقاتل من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم او يدخل
في الذمة ويعتني الامام المنصوب ايضا باقامة الحدود جمع حد وهو لغة المنع والفصل بين
شيئين وحدود الله محارمه كقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها
قدره والحدود العقوبات المقدرة سميت بذلك لانها تمنع من الوقو
عليه او لكونها زواجر عنها اي المحارم التي حوم عليها الناس فيقيم الحد
وتحفظ حقوق العباد من الاتلاف والاستهلاك ويعتني ايضا
في الاحاديث النبوية والنصوص السماوية وهو اسم جامع لكل ما عرف
الى الناس وكلما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو
الناس اذا راوه لا ينكرونه وترك نكر معطوف على ما قبله اي ويعتني ايضا
المعروف فكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر ويعتني الامام المنصو
بتخليصه من يحجه ورد ظلامته عليه من ظالمه واخذ حقه ممن هو عليه
قهرهم وذلهم يقال قمعه
الاسلامية
على المال الذي
في الاصل لهم
لان الدفاع فاءه على المسلمين اي ير
على عباده لانه تعالى انما خلق الخلق لعباده و
التي لم يستعينوا بها على عبادته لعباده المؤمنين
يعاد على الرجل ما غصب من ميراثه وان لم يكن قبضه هو
قتال كالجزية و
الذي تركه الكفار

وفي نصر مظلوم ورفع كفر

ويعتني بالغزو والحدود

واخذ مال الفيء والخراج

ونحوه والصرف في مصالح

ونحوه اي نحو ما ذكر كالمال
خمس الخمس من الغنيمة وحال من

مات من الكفار ولا وارث له وحال المرتد اذا مات على ردته بقتل او غيره او لحق بدار حرب ويتعين ان
بالصرف لذلك المال المذكور في منهاج اي طريق وجهة مصروفه المعينة له شرعا فيصرف في
مصالح اهل الاسلام وبيدا منها ذكر بالاهم فالاهم من المصالح العامة لاهل الدار التي بها حافظ
المسلمين من وظائف جند الاسلام وعمارة الثغور وكفاية اهلها وما يحتاج اليه من ما يدفع عن
المسلمين من السلاح والكراع وسد البثوق وكري الانهار وعمل القناطر على الطرق والمساجد
وارزاق القضاة والائمة والمؤذنين والفقهاء وما يحتاج اليه المسلمون وكلما يعود نفعه على
المسلمين فان فضل منه شيء قسم بين المسلمين غنيهم وفقيرهم نعم لا يفرد العبد بالعطاء بل يزاد
م ابن تيمية قدس الله روحه انه لاحظ للرافضة فيه ذكره المحقق ابن القيم
العباد عد الامامين مالك واحمد رضي الله عنهما وكل ما ذكر من اقامة
يضة الاسلام واجب وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب
سلام عد اقامة امام فنصبه فرض كفاية اذ في نصبه جلب
ار لا تستقصى وكل ما كان كذلك فهو واجب فان جلب المنافع ودفع
مام تكاد تلحق بالضروريات بل بالمشاهدات بشهادة ما نراه
صام امور العباد بمجرد ذوق الامام وان لم يكن على ما ينبغي من الصلاح
ام فرض كفاية عند اهل السنة ومن وافقهم بالاجماع وعند من قال بالوجوب
من والحاجم والخياط والكحيم فيباح للضرورة واما مخالفة الخوارج ونحوهم
الاجماع ولا تخل بما يفيده
هو مثله بامتثال
سوق فان لم
ر اليها الان
اجتمع ضرران دفع اعظمهما
عادة كما هو مشاهد ويثبت نصبه اي
واحد من اهلها بانه يعهد للامام بالامامة الى انسانه
نة اهل الحل والعقد كما عهد ابو بكر الصديق بالخلافة
به بضم بالاجماع من اهل
المسلمين كامامة الصديق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ابـ
العقد من العلماء ووجوه الناس

الذين هم

ونصبه بالنص والاجماع

الذين هم بصفة الشهود من العدالة وغيرها ثبتت امامته وكذا بجعل الامر شورى في عدد محصور
لينعقد اهل البيعة على احدهم فانعقدوا على واحد منهم صار اماما كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث
جعل الامر الامامة بين ستة انفار حتى وقع اتفاقهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنهم اجمعين
وبثبت نصبه ايضا بقهره الناس بسيفه حتى يذعنوا له ويدعوه اماما فتثبت له الامامة قال الامام
احمد رضي الله عنه في رواية عبدوس بن مالك العطار ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي
امير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله ويبيت ولا يراه اماما برا كان او فاجرا انتهى لان عبد الملك بن مروان
خرج على ابن الزبير رضي الله عنهما فقتله واستولى على البلاد واهلها حتى بايعوه طوعا وكرها ودعوه
اماما ولما في الخروج عليه من شق عصى المسلمين واراقة دمائهم وذهاب
امر ارشاد اي البعد ونزل ومنه لا يبغون عنها حولا عد الخداع من
ويكسر خثله واراد به المكروه من حيث لا يعلم كما خدعه فانخدع و
اهل البدع وتزويقها ما يظهرونه من جواز الخروج على الامام وعد طا
فانهم ضالون ومن وافقهم صار منهم ثم اخذ في ذكر شروط الامام المنعـ
ومتصفا به على سبيل الوجوب فقال وشرطه اي يشترط في الامام
المسلمين سبيل والحرية لان الرقيق بجميع انواعه عليه الولاية فلا يكون
المسلمين وخاصتهم واما حديث اسمعوا واطيعوا ولو ولي عليكم عبد
على تحاويج سريته وشرطه اي يشترط فيه ايضا عد الذكورة لاشتراط
العظمى نعم ان قهر النا
سمع اي ان
بقا
ودرية
ما الحيلة هي الفاعوس واراد به انه
قد علم باحوال الناس ومكرهم وختلهم وحبرا
يصح للامامة العظمى ويعتبر ايضا ان يكون الامام
الهما بن مالك بن النضر واسمه قيـ كنانة بن خزيمة بن
ابن نزار بن معد
قريش في قول الكلبي
بفتح اكا المعجمة اي حاجتهم وو

وان يكون من قريش عالما

وشرطه الاسلام والحرية

عدالة سمع مع الدرية

وقدرة فحل عن الخداع

ليغنموهم ويسبوا خلفهم وكاد ذلك فولهم تفارشت الرماح اذا تداخلت في الحرب كذا المستعلم المستخبر
يداخل احوال الذي يطلب علم حاله ليحصل له مقصوده وقيل لانه ماخوذ من التقريش وهو
التعيش لانهم كانوا يعيشون الحاج فيطعمونه الجايع ويكسون العاري ويحملون المنقطع قال
الجوهري القرش الكسب والجمع وقد قرش يقرش بالكسر قال الفراء وبه سميت قريش وقيل سموا بدابة
عظيمة تاكل الدواب في البحر وقيل غير ذلك وانما اشترط كونه من قريش لقوله صلى الله عليه وسلم
الائمة من قريش رواه الامام احمد وابو يعلى في مسنديهما والطبراني من حديث ابي برزة رضي الله عنه
وروى الترمذي نحوه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ولفظه الملك في قريش وسنده صحيح
وروى [illegible] قال الخلافة في قريش ورواه الطبراني ايضا وروى البزار من
[illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء من قريش ابرارها امراء ابرارها
[illegible] قدموا قريشا ولا تقدموها وقول الصديق والمهاجرين للانصار
قريش ورووا لهم في ذلك الاخبار ويعتبر ان يكون عالما بالاحكام
[illegible] في امرها ونهيه وان يكون مكلفا اي بالغا عاقلا لا غير البالغ العاقل
[illegible] اليا على امر المسلمين وان يكون ذا خبرة بتدبير الامور المذكورة
[illegible] حاكما اي قادرا على ايصال الحق الى مستحقه وكف ظلم المعتدي وقمع اهل
[illegible] على اقامة الحدود وقمع اهل الضلال والجحود لانا خذه رافة في اقامة
[illegible] عقدت لاكثر من واحد نهي للاول فان شق الامام بعد العدالة
[illegible] الاحوال ولا كونه افضل الامة
[illegible] وهذا من خرافاتهم
[illegible] الينال عهدك
[illegible]
[illegible] سمين فكن مطيعا [illegible] وسايرو
[illegible] طاعة والحاصل ان طاعته تجب في الطاعة
[illegible] بالمعروف وجب امتثال امره والم يكن امره بشيء
[illegible] يحتذر ويجب [illegible] ان طاعته في المعصية بل تحرم
[illegible] قال شيخ الاسلام ابن [illegible] السياسة الشرعية
[illegible] عنه انه قال ان الله يرضى لكم ثلاثا [illegible] وان تشركوا به شيئا

وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه امركم قال وآية الامر في كتاب الله تعالى قوله
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به
ان الله كان سميعا بصيرا يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا
قال نزلت الاية في ولاة الامور عليهم ان يؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكموا بين الناس ان يحكموا
بالعدل ونزلت الاية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم ان يطيعوا اولي الامر الفاعلين لذلك
في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك الا ان يامروا بمعصية الله تعالى فاذا امر بمعصية الله تعالى
فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فان تنازعوا في شيء وردوه الى كتاب الله [illegible] صلى الله
عليه وسلم وان لم يفعل ولاة الامور ذلك اطيعوا فيما يامر به من طاعة الله
واديت حقوقهم اليهم كما امر الله ورسوله واعينوا على البر والتقوى
وفعلي ولي الامر ان يولي على كل عمل من اعمال المسلمين اصلح من يجده لذلك
من ولي من امر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو اصلح للمسلمين
والمؤمنين رواه الحاكم في صحيحه وفي رواية من قلد رجلا عملا على عصابة
من هو ارضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين وقال امين المؤ
من ولي من امر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة او قرابة بينهما فقد خان الله

فصل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولما كان صلاح [illegible]
ولا يستقيم لهم حال الا بذلك قال [illegible]
محكم المبين بان الا
والاحسا

فر
اي ح
والا انتهاء عما زواجره ولا يتم ذلك الا بام
اخرجت للناس قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للنا
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير [illegible] بالمعروف وينهون
والمؤمنون والمؤ [illegible] بعضهم يامرون بالمعرو

[illegible] خبرة وحال
[illegible] ذا خبرة
[illegible] محكما ذا خبرة
[illegible] مطيعا لامره فيما امر
[illegible] ما لم يكن عاصيا فيما امر
[illegible] وان لم يكن مطيعا لامره فيما امر
[illegible] فرض كفاية على من قد
[illegible] واعلم بان الامر والنهي معا
[illegible] فرض كفاية على من قد

كانوا لا ينتهون هو ما عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وفي الحديث الثابت عن امير المؤمنين ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية
وتضعونها على غير موضعها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه وفي لفظ
ما عند رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والنسائي ولفظه اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القوم اذا راوا المنكر فلم يغيروه اعمهم الله بعقاب وفي رواية لابي داود
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ثم لا
يغيروا الا يوشك ان يعمهم الله منه بعقاب وفي رواية ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك
ان يكون ذا اي الذي علم بالمنكر وتحققه وشاهده وهو عارف بانكر
حصل المقصود الا بهم جميعا تعينا اي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
م للزومه عليهم لكن شرطه اي شرطا فتراضه على الجماعة او الواحد
ان يامنا بالف الاطلاق على نفسه واهله وماله ولم يخف سوطا ولا
د على المنكر وقيل ان زادت وجب الكف وان تساويا سقط الانكار
بالرفق والخضوع فانه اسمع وابكره لا بالغضب فيكون يريد ان ينتصر لنفسه
ذي ممن تامره وتنهاه ولا تغضب لنفسك بل لله وزل المنكر وغيره
يد وازالة ازالة وازالا باليد وهو اعلا درجات الانكار وازالة المنكر
والمضروب ونحوه ورد المغصوب
وتذكره بالله واليم عقابه
بعض المحال
م
يد
سوب لك العدو واعن التغيير لتمنكر باللسان
د تستطع تغيير المنكر لا بيدك ولا بلسانك فاعدل الى
د احذر من النقص
ه وسلم يقول من رى م
فبلسانه

فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي ولفظه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من راى منكم منكرا فغيره بيده فقد برئ ومن لم يستطع ان يغيره بيده
فغيره بلسانه فقد برئ ومن لم يستطع ان يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ وذلك اضعف الايمان
وفي صحيح مسلم ايضا عن حذيفة بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله
في امة قبلي الا كان له من امته حواريون واصحاب ياخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف
من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم
بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وفي هذا الباب
عدة احاديث وقد دلت كلها على انكار المنكر بحسب القدرة عليه وان
ينكره قلبه المنكر دل على ذهاب الايمان من قلبه وقد روي عن ابي
رضي الله عنه انه اول ما تغلبون عليه من الجهاد بايديكم ثم الجهاد
لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله و
من لم يعرف المعروف وينكر المنكر بقلبه ليشير الى ان معرفة المعروف و
احد ممن لم يعرفه هلك واما الانكار باليد واللسان فانما يجب بحا
عن العرس بن عميرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عمل
من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها ورضيها كان كمن شهد
عن ابي هريرة مرفوعا واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كونه ذ
رجاء الثواب وتارة خوف العقا
للمؤمنين وارحمهم
والاخرة و
كلهم
قال سعيد
رفيق بما يامر رفيق بما ينهى عدل بما يامر
الناس محتاجون الى المداراة ورفق الامر بالمعروف
ولاعتبار كون الامر بالمعروف
اسناده او الذي ينهى
الشيء الذي ينهى الناس

انهاصح

وان يكن ذا واحد انفعا
عليه لكن شرطه ان يامنا
المنكر واحذر من النقصان
فاصبر ولا بالبد والل
باللس
استو
واللسا
وهو الانكار
وانت قادر عليه
الانكار بقلبك وهو
الخدري رضي الله عنه قال سم

ومن يرى عماله قد ارتكب

من فعل المحظور ﴿ وترك المامور ﴾ فقد والله اتى من قاله وحاله مما اي من العمل الذي بدا اي عنه
تقضي بانبنائه لما لم يسم فاعله والعجب نائب الفاعل اي يقضي العقلا واهل العلم والحزم مما
مخالفة قوله لعمله العجب اي يحكمون بقبحه ويقطعون بالعجب وهو انكار ما يرد عليك ويخفى سببه والمراد انه
يعظم عليهم ذلك ويكبر لديهم ان ينهى عن القبيح ويأتيه ويأمر بالحسن ولا يأتيه وقد ورد التحذير
عن مثل ذلك كما في حديث اسامة ابن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه اي امعاؤه ومعنى تندلق اي تخرج
فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك لم تكن تأمر
بالمعروف [illegible] فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه
[illegible] صحيح مسلم عنه رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
[illegible] رض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال
[illegible] لا يفعلون وروى نحوه ابن ابي الدنيا من حديث انس رضي الله عنه
[illegible] من افتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون
[illegible] ما ابن حبان في صحيحه والبيهقي وروى الطبراني باسناد حسن عن
[illegible] رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يعلم الناس الخير
[illegible] ج يضيء للناس ويحرق نفسه وروى الاصبهاني عن انس رضي الله عنه
[illegible] به مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه مع قلبه سواء ولا يخالف
[illegible] خرج الى الناس فكانه رجل عاين
[illegible] شيئا وكانه الامام احمد
[illegible] الثقلين
[illegible] هذا
[illegible] آخر مقام هذا الدواء وقد يرى انه به قوة
[illegible] يطابه طريق النجاة لا يقوم غيرها مقامها فلا بد منها
[illegible] لقومه وما اريد [illegible] اما انهاكم عنه وقال بعض السلف
[illegible] ذا امرت بشيء فكن اول
[illegible] ين بر واذا نهيت عن شيء

فكن

فقد اتى من حاله ما يقضي العجب

فكن اول المنتهين عنه ولهذا قال فلو بدا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قبل امره ونهيه لغيره بنفسه
متعلق ببدا فذادها اي منعها وردها عن غيها متعلق بذادها اي عن ضلالها والغي الضلال
والانهماك في الباطل ومنه حديث الاسر لو اخذت الخمر عنوة اشتكاي ضلت لكان بدايته بارشاد نفسه
وردها عما هي فيه من ارتكاب مهاوي الهوى والضلال والغي والوبال فذا فادها النجاة والسلامة
والرشد والاستقامة فانه الناصح الشفيق والمرشد الرفيق يبدا في ارشاده من نفسه التي بين
جنبيه وقد قال من افصح في المقال وفصح من كان له قلب او القى البال وترك الوبال

يا ايها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدوا لذي السقام من الضنا ... كي يشتفي منه وانت
لا تنه عن خلق وتاتي مثله ... عار عليك اذا
فابدا بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عن
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى ... بالقول منك و

ولما جلس عبد الواحد بن زيد الواعظ انتدا امراة من الصالحات ف
يا واعظا قام لاحتساب ... يزجر قوما عن الذنوب ... تنهى وانت الم
لو كنت اصلحت قبل هذا ... عيبك وقعت من قريب ... كان لما قلت يا
تنهى عن الغي والتمادي ... وانت في النهي كالمريب ... وقال
وغير تقي يامر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس

وجاء رجل لابن عيلة رضي
تضحك هذا
وقد

والعفاف فعلى مرتكب الذنب النهي عن
يترك احدهما انه يترك الاخر فيجب عليه
الانكفاف عن المحرم
باسناد فيه ضعف

[illegible] الانجاح
[illegible] اهل العدالة
[illegible] وانه ليس لمن
[illegible] عن المنكر واجب و
[illegible] ظر وقد روى ابن ابي الدنيا
[illegible] وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر

فلو بدا بنفسه فذادها عن غيها لكان قد افادها